

توفر عليها
أ.د شعبان عبد العزيز خليفة



الدار المصرية اللبنانية

دَائرة المعَارف العَربَيّة

في عُلوم

الكتب وَالمكتبات وَالمعلومات

خليفة ، شعبان عبد العزيز .
دائرة المعارف العربية في علوم الكتب والمكتبات والمعلومات / تـوفر عليها
شعبان عبد العزيز خليفة . ــ ط1. ــ القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، 2010.
مج 15 ؛24 سم .
المحتويات : مج 15 . الجرائد الرسمية ــ جوتنبرج ــ يوحنا
تدمك :1 - 359 - 427 - 977
1 ــ المكتبات ــ دوائر معارف
أ ــ العنوان 020.3
رقم الإيداع : 2704 / 2008

الدار المصرية اللبنانية
16 عبد الخالق ثروت تليفون: 23910250 202+
فاكس: 23909618 202+ - ص.ب 2022
E-mail:info@almasriah.com
www.almasriah.com

الطبعة الأولى : محرم 1431هـ - يناير 2010م

دائرة المعارف العربية
في علوم
الكتب والمكتبات والمعلومات

المجلد الخامس عشر

الجرائد الرسمية ـ جوتنبرج ـ يوحنا

توفر عليها

أ.د. شعبان عبد العزيز خليفة

الدار المصرية اللبنانية



مقدمة المجلد الخامس عشر

يضم هذا المجلد ثلاثين مادة كلها فى حرف الجيم، ذلك الحرف الذى وزع على ثلاثة مجلدات، ويبدأ مجلدنا بمادة الجرائد الرسمية وينتهى بترجمة يوحنا جوتنبرج مخترع الطباعة العظيم فى منتصف القرن الخامس عشر الميلادى. وقد وزعت المواد الثلاثون على المحاور الآتية:

موضوعات	١٥
أشخاص	١٠
بلدان	٥

وكعادتنا فى المجلدات السابقة كانت هنا فى هذا المجلد معالجات ضافية لبعض المواد وهى تلك التى لم يكتب فيها بالعربية كثيرا، بينما كانت هنا أيضًا معالجات سريعة مختصرة لمواد كتب فيها باستفاضة فى اللغة العربية. ولما كان يوحنا جوتنبرج هو الرجل الذى تنعم البشرية باختراعه الفذ كان لابد وأن يعالج معالجة ضافية تليق بمكانة وقيمة هذا الرجل.

والله من وراء القصد،

أ.د. شعبان عبد العزيز خليفة

الجيزة ٢٠٠٦م

* * *

الجرائد الرسمية

Official Gazettes

الجريدة الرسمية هى الدورية الحكومية التى تنشر بها القوانين والقرارات التى تصدرها الحكومة ويقصد توثيقها وإشهارها للعمل بها. وفى الدول الفيدرالية ذات الحكم اللامركزى ينسحب المصطلح على حكومات الولايات والأقاليم وحتى حكومات المدن. بل إن من الطريف أن يكون لبعض المؤسسات الكبيرة نوع من الجرائد الرسمية على نحو ما نصادفه مثلا فى جامعة القاهرة حيث تصدر بها الجريدة الرسمية التى تضم قرارات السيد الأستاذ الدكتور رئيس الجامعة. ويمتد تاريخ الجرائد الرسمية فى عمق التاريخ حيث ترجع إلى النصف الثانى من القرن السابع عشر على نحو ما نجده فى (لندن جازيت) و(الجريدة الرسمية للدولة فى أسبانيا).

ومن أقدم البيليوجرافيات التى حصرت الجرائد الرسمية البيليوجرافية التى أعدها ونفريد جريجورى سنة ١٩٣٢ بعنوان (قائمة المطبوعات الدورية للحكومات الأجنبية). وفى سنة ١٩٣٠، ولمدة عشر سنين قامت عصبة الأمم بنشر قائمة سنوية بالجرائد الرسمية للحكومات، وقد توقف النشر مع الحرب العالمية الثانية.

وفى سنة ١٩٣٧ خلال المؤتمر العالمى للتوثيق فى باريس ١٦-٢١ من أغسطس قدم ت.ب.. سفنسما مدير مكتبة عصبة الأمم من ١٩٢٩-١٩٣٩ تحليلا للمطبوعات الرسمية ومن بينها بطبيعة الحال الجرائد الرسمية:-

"من بين المطبوعات الحكومية تشكل الجرائد الرسمية من مختلف الدول أهمية خاصة، فوق أنها تمثل أوسع المطبوعات الحكومية تداولا. ولأسباب تاريخية وغيرها أصبحت هذه الجرائد مستودعا لأنواع مختلفة كثيرة من المعلومات وتتفاوت تفاوتا بينا من دولة إلى دولة. ومن الطبيعى أن نجد فيها القوانين والقرارات وغيرها من المعلومات الرسمية. وفى بعضها نجد مضابط المجالس النيابية لبعض الدول، وفى البعض الآخر نجد أحكام

المحاكم العليا بل ونجد الإحصاءات الرسمية. هذه المعلومات القيمة يصعب بطبيعة الحال استرجاعها.ولهذا السبب سعت مكتبة عصبة الأمم إلى تكشيف المعلومات الأساسية التى يشتد عليها الطلب وهى أساسا المعلومات المالية والاقتصادية (الإحصاءات، التقارير...) والتى تنشر من حين إلى آخر فى الجرائد الرسمية لكثير من الدول. ونأمل أن هذا المجهود سوف يسهل مهمة البحث من جانب المكتبات الأخرى والمكاتب الحكومية والباحثين الأفراد. وفى نفس الوقت قد يوحى هذا المجهود للآخرين بإعداد تحليل أكثر تفصيلا وعمقا ودقة أكثر مما قمنا به فى تجربتنا الحالية . (مترجمة عن الفرنسية).

والتكشيف الذى قام به سفنسما عبارة عن تحليل لمحتويات نحو ٦٠ جريدة رسمية: وطنية، ولائية ،محمية. وفى هذا الاتجاه أيضاً قامت مكتبة عصبة الأمم فى جنيف ووزارة مالية فرنسا (باريس) بإعداد كشافات للجرائد الرسمية مماثلة لما قام به سفنسما. وفى سنة ١٩٣٨ قام جيمس بنيت تشايلدز بتحليل نحو ٢٥٠ جريدة رسمية تحليلا منظما هجائيا بالموضوعات وقدم عمله المبدئى هذا إلى لجنة الوثائق العامة (المطبوعات الحكومية) باتحاد المكتبات الأمريكية فى المؤتمر السنوى فى السنة المذكورة.

ومن أجمل ما فعل جيمس بنيت تشايلدز أيضاً خطة لتكشيف وتحليل جرائد حكومات المنفى التى سببتها الحرب العالمية الثانية وحملت هذه الخطة عنوان "حكومات المنفى: سجلاتها الرسمية" فكل الخطة التى نشرها سنة ١٩٤١ فى مجلة (المجلة الأمريكية لعلم السياسة) وقدم الرجل حصرا بتلك الجرائد وبعض التفاصيل والنماذج والأمثلة.

وفى سنة ١٩٥٨م قامت مكتبة الأمم المتحدة (فى جنيف) بإعداد كشاف للجرائد الرسمية الموجودة فى المكتبة تحت عنوان (تحليل المواد المنشورة بانتظام فى الجرائد الرسمية) ونشر هذا الكشاف باعتباره العدد الأول فى السلسلة الجديدة من "الببليوجرافيات المتنوعة" التى كانت تنشرها المكتبة. وقد صدر ذلك الكشاف فى ٣٨ صفحة وقد حلل هذا الكشاف المعلومات غير القانونية فى ١٩٩ جريدة رسمية كانت تتلقاها مكتبة الأمم المتحدة فى جنيف من ذلك الوقت.

وفى نفس سنة ١٩٥٨ صدر عن اليونسكو " دراسة عن البيليوجرافيات الجارية الخاصة بالمطبوعات الحكومية الوطنية" والتى توفر على تحريرها جين ميريات الذى كان رئيسا للجنة الدولية للتوثيق فى العلوم الاجتماعية والذى ركز فى هذه الدراسة على الجرائد الرسمية وقال بالحرف الواحد صفحة ٣٩ "بأنها يجب أن تصنف فى المرتبة الأولى بين المطبوعات الحكومية". ونقتطع من مقدمته الفقرات الآتية:

"الجريدة الرسمية للدولة هى المطبوع الحكومى الأول. وفى حقيقة الأمر فإن الغالبية العظمى من الحكومات تصدر مثل تلك الجريدة. وفى الدول القليلة التى لم يتطور بها الجهاز الحكومى الإدارى بعد تصدر هناك على الأقل جرائد شبه رسمية. وفى كل الأحوال تلعب الجريدة الرسمية دوراً أو وظيفة أساسية هى: إشهار تلك النصوص والقواعد التى يجب أن يحاط بها المواطنون.

(أ) **محتويات الجريدة الرسمية**. تتضمن الجريدة الرسمية كل ما تريد الدولة من المواطنين أن يعرفوه ومن هنا تنشر الجريدة الرسمية بطبيعة الحال الإعلامات والإحاطات والقوانين والقرارات التى يصدق عليها أو يصدرها رئيس الدولة..وبمعنى أدق فإن المحتويات المعيارية للجريدة الرسمية هى التى تتمشى مع فئات المطبوعات المذكورة بعاليه.. وبالنسبة للجزء الأكبر من الجرائد الرسمية فإن فئات عديدة من النصوص وقد تنشر خارج الجريدة الرسمية تحت عنوان مستقل أو تنشر على التواكب أو على التعاقب فى الجريدة الرسمية وفى مطبوعات مستقلة.

(ب) **قوائم محتويات وكشافات الجريدة الرسمية**. إن المشكلات الأساسية فى الجرائد الرسمية تكمن فى قوائم المحتويات والكشافات وحيث قد لا تكشف قوائم المحتويات والكشافات إن وجدت عن التفاصيل الدقيقة الموجودة فى الجرائد الرسمية. مع العلم بأنها أدوات ضرورية للوصول إلى الثروة الهائلة من المعلومات الإدارية والاقتصادية والثانوية الموجودة بها.

تلك الكشافات وقوائم المحتويات لو أعدت إعداداً دقيقاً فإنها تكون بالفعل أدوات

ببليوجرافية قيمة ومن المفيد لكل دولة أن تعرف ما إذا كانت تلك الأدوات تصدر منفصلة عن الجريدة نفسها، ما هو نظام التصنيف المستخدم فيها، ما هى فترات الصدور، وهل يمكن تركيمها على حدة.

وفى هذا السياق قد يكون من المجدى أولا وقبل كل شيء أن نوصى بإصدار كشافات وقوائم محتويات مفصلة للجريدة الرسمية فى كل دولة على كل حال وأن يطبق فيها نظام تصنيف مفيد ويجب أن توزع على المكتبات التى تقتنى الجريدة الرسمية باعتبارها أدوات ببليوجرافية لها.".

وبعد هذا البيان الذى قدمه جين ميريات تناول باختصار فئات معينة من المطبوعات التى تمثل مشاكل خاصة عندما تنشر منفصلة عن الجرائد الرسمية وهى أ- النصوص القانونية ب- الأحكام والقواعد القضائية ج- الاتفاقات والارتباطات الدولية د- جداول الأعمال ومحاضر جلسات أى مضابط الهيئات التشريعية (البرلمانات). ومن الجدير بالذكر أن ميريات قد تناول ١٠٠ جريدة رسمية وطنية فى دراسته.

وفى سنة ١٩٦٤ قامت مكتبة داج همرشولد بالأمم المتحدة فى نيويورك بإعداد ببليوجرافية من خمسين صفحة بعنوان " الجرائد الحكومية: قائمة مشروحة بالجرائد المقتناة فى مكتبة داج همرشولد فى نيويورك" وقد حصرت تلك القائمة نحو ٢٠٠ جريدة رسمية.

ويرى الخبراء أن الجرائد الرسمية ربما تكون أسرع نموًا من الجرائد العادية وأكثر إلحاحا فى ضرورة الاحتفاظ بها لأنها تمس صميم الحياة اليومية فى الدولة، وهى فى نفس الوقت تمثل عبئا على رفوف المكتبات بطبعاتها الورقية ولذلك تلجأ كثير من المكتبات إلى تفليمها على نحو ما قامت به مكتبة نيويورك العامة والتى تقتنى ما لا يقل عن ٢٥٠ جريدة رسمية حكومية وطنية و١٠٠ جريدة رسمية محلية ومن بينها جريدة الحكومة البريطانية والحكومة الأسبانية العائدتين إلى القرن السابع عشر، وقامت المكتبة بتفليم تلك الجرائد التى ترجع إلى ما قبل ١٩٧١ للعديد من الأسباب من بينها أنها تحتل حيزا ثمينا على الرفوف . وأن الورق التى طبعت عليه أخذ فى التحلل والتداعى.

وعلى صعيد مكتبة الكونجرس قام هناك مركز تفليم الجرائد الأجنبية. وقد بدأ التفليم بالجرائد الرسمية وينشر على الملأ تقرير بما يتم إنجازه فى هذا الصدد عدة مرات فى السنة تحت عنوان: "تقرير الجرائد والجرائد الرسمية الأجنبية".

وفى أسبانيا وبمقتضى القرار الصادر فى الرابع من فبراير ١٩٧١ يقوم مكتب الجريدة الرسمية الوطنية فى مدريد بتفليم جارٍ للجريدة ويتيح الميكروفيلم للجميع وخاصة المحاكم الأسبانية والجهاز الإدارى بالدولة، والمكتبات والجامعات ومراكز البحوث والتوثيق وكافة المؤسسات القانونية. وهناك تفليم راجع إلى سنة ١٨٠٥.

ومن الجدير بالذكر أن الغالبية العظمى من دول العالم تصدر الجريدة الرسمية الخاصة بها حتى الدول الصغيرة. وفى مصر صدرت "الوقائع المصرية" كجريدة رسمية للدولة منذ سنة ١٨٢٨م وكانت باللغتين العربية والتركية أيام محمد على، ثم بعد ذلك اقتصرت على اللغة العربية فقط وكانت تنشر بها كل القوانين والقرارات والإعلامات والإخطارات التى يريد الحاكم إبلاغها للمواطنين، كما كان ينشر بها قرارات الوزراء ومديرى العموم عندما كانت الأجهزة الإدارية محدودة ولا يحتاج الأمر إلى قرار أو قانون أو لائحة إلا على فترات متباعدة. ولكن بعد قيام الثورة ناءت الوقائع المصرية بما تحمله من معلومات، ولذلك تقرر أن تصدر سنة ١٩٥٨ "الجريدة الرسمية" بحيث تحمل "الوقائع المصرية" القوانين والقرارت الرئاسية وتحمل الجريدة الرسمية قرارات ولوائح الوزراء وما دون ذلك.

المصادر

1- Childs, James Bennett. Exiled Governments: Their Official Records.- **in**.- American Political Science Review.-Vol. 35, no.6, December 1941.
2- Childs, James Bennett. Official Gazettes.- **in**.- Encyclopedia of Library and Information Science.- New York: Marcel Dekker, 1977.- Vol.20.
3- Government Gazettes: An Annotated List of Gazettes Held in the Dag Hammerskjold Library.- New York: United Nations, 1964.

جروفر، واين كليتون ١٩٠٦-١٩٧٠

Grover, Wayne Clayton 1906-1970

واين كليتون جروفر مدير دار الأرشيف الوطنية فى الولايات المتحدة ١٩٤٨-١٩٦٥م، وينظر إليه الأرشيفيون هناك على أنه المهندس المعمارى للتنظيم المتعدد الأوجه لما أصبح اليوم يسمى (دار الأرشيف الوطنية وخدمة السجلات).

ولد واين جروفر فى جارلاند من أعمال يوتاه فى السادس عشر من سبتمبر سنة ١٩٠٦م وتخرج فى جامعة يوتاه سنة ١٩٣٠ وحصل على درجة الماجستير ١٩٣٧ وعلى درجة الدكتوراه سنة ١٩٤٦ من نفس الجامعة الأمريكية فى واشنطون العاصمة، وقد تزوج الرجل سنة ١٩٣٥ من إيستر توماس ابنة السناتور الأمريكى إلبرت توماس (الديمقراطى عن يوتاه).

وقد عمل الرجل صحفيا ومراسلا فى الكونجرس بين ١٩٣٠ و١٩٣٥. وعمل فى الأرشيف الوطنى سنة ١٩٣٥م وهى السنة التى افتتحت فيها (دار الأرشيف الوطنية) وكان أول شخص يتلقى تعليما أكاديميا فى مجال الأرشيف. وفى سنة ١٩٤١-١٩٤٢م عمل مستشارا أرشيفيا فى (مكتب الخدمات الاستراتيجية). وفى سنة ١٩٤٣م كلف بالعمل برتبة كابتن فى القوات المسلحة وأصبح رئيس فرع إدارة السجلات فى مكتب مساعد الجنرال، وبهذه الكيفية أصبح الشخصية الرئيسية فى الإدارة العسكرية التى وضع لها برنامج إدارة السجلات وهو الذى افتتح نظام مراكز السجلات فى الجيش، وعلى الرغم من تسريحه برتبة مقدم سنة ١٩٤٦م إلا أنه فضل البقاء فى عمله بصفته المدنية، وقد منح وسام الاستحقاق عن عمله.

وفى سنة ١٩٤٧ ووجه الأرشيف الوطنى بتخفيض عدد العاملين فيه وفى نفس الوقت تراكم العمل بكميات كبيرة وضرورة وضع الكميات الكبيرة من الوثائق الفيدرالية تحت الضبط والسيطرة. ولذلك رأى مدير الأرشيف الوطنى آنذاك سولون ج

بك أن يستعين بخبرات ومهارات واين جروفر وقام بتعيينه مساعد مدير الأرشيف الوطني.وكان من مسئوليات جروفر أن يرمم ويصلح العلاقة بين دار الأرشيف والكونجرس، وأن يجعل دار الأرشيف تعمل بكفاءة واقتدار . وعندما استقال بك من عمله كمدير للأرشيف الوطني سنة ١٩٤٨ رشح جروفر كي يخلفه.

وفي السنة الأولى في رئاسة الأرشيف الوطني استطاع جروفر أن يطور المؤسسة تطويرا كبيرا ورفع الميزانية وخفض من كمية العمل المتراكم. ويرى الثقات أنه مع كل هذا فإن مشروعات زيادة الدعم والتمويل للأرشيف الوطني لم تكن كافية ولذلك سعى جروفر إلى تشكيل "لجنة هوفر حول تنظيم الفرع التنفيذي للحكومة" لوضع مشروع شامل لإدارة السجلات الفيدرالية. وكان هذا هو السبيل الأوحد في نظره الذي يؤدي إلى كفاءة وفاعلية استعمال الوثائق الفيدرالية بطريقة اقتصادية ويؤدي في الوقت نفسه إلى سيولة انسياب وتدفق الوثائق ذات القيمة الكبرى إلى دار الأرشيف الوطنية. ومع كل ذلك فقد أوصت لجنة هوفر بإلغاء استقلالية الأرشيف الوطني باعتباره مؤسسة فيدرالية وأن ينشأ مكتب آخر لإدارة السجلات.وبالفعل قام الكونجرس بتحويل الأرشيف الوطني إلى (الأرشيف الوطني وخدمة السجلات) سنة ١٩٤٩ تحت إشراف أو كجزء من "إدارة الخدمات العامة" وفي نفس الوقت أكد الكونجرس على أن تبقى تلك المؤسسة (خدمة إدارة السجلات الحكومية) وقام بزيادة تمويلها لهذا الغرض.

لقد كان الاهتمام الأول للأرشيف الوطني بالوثائق الحكومية رغم أنه كان يدير أيضاً مكتبة فرانكلين روزفلت وقسم السجل الفيدرالي، إلا أنه أصبح أيضاً تحت إدارة واين جروفر مسئولا عن إدارة السجلات في إدارات حكومية مختلفة. وكانت خطوة جروفر الأولى هي استصدار (قانون السجلات الفيدرالي) الشامل سنة ١٩٥٠م الذي جعل من الأرشيف الوطني وكالة حكومية وهذه الخطوة تعني حفظ الوثائق الفيدرالية لأغراض البحث والإشراف على إدارة السجلات في الوكالات الحكومية المختلفة ومن المهم بالنسبة لعلم المعلومات والبحث العلمي عامة أن جروفر كسب معركته في وضع أسس

استعمال الوثائق الفيدرالية فى مرحلتها الجارية (كوثائق حية جارية) وفى مرحلتها التاريخية (كوثائق ميتة تاريخية).

ولقد حقق جروفر معجزة الزواج بين أرشيفى الوثائق الجارية (الأرشيف الحي) وأرشيفى الوثائق الميتة (الأرشيف التاريخي) وخلق بين الطائفتين علاقات وثيقة متينة تقوم على أسس التعاون المستمر لصالح الطرفين. وتوسع الرجل فى عرض الوثائق الأساسية وحصل من مكتبة الكونجرس سنة ١٩٥٢م على (إعلان الاستقلال) و(الدستور). وافتتح الرجل برناجا لتصوير الوثائق وتوسع فى برنامج النشر المصغر للوثائق، وبرنامج حفظ الأفلام التسجيلية خاصة والتاريخية. وفى سنة ١٩٥٠م شكل اللجنة الوطنية للمطبوعات التاريخية التى كان من مهامها إصدار المطبوعات التاريخية التوثيقية التسجيلية استناداً إلى رصيد الدار من الوثائق والسجلات.

وفى ظل إدارة جروفر بدأ قسم السجل الفيدرالى سنة ١٩٥٧م سلسلة جديدة قيمة من الأعمال وهى سلسلة (الأوراق العامة لرؤساء الولايات المتحدة). وقد أشرف واين جروفر وبنفسه على عملية الحصول المنظم على أوراق آخر الرؤساء الأمريكيين ومعاونيهم وتنظيم وإدارة تلك الأوراق فيما يعرف بالمكتبات الرئاسية وذلك طبقا للقانون الذى استصدره (قانون المكتبات الرئاسية). وتحت إشراف الرجل تم حل كثير من مشكلات حفظ وتنظيم ووصف مجموعات الوثائق فى (الأرشيف الوطنى وخدمة السجلات). وقد زاد عدد العاملين فى المؤسسة من ٣٤١ موظفا عندما تولى الإدارة سنة ١٩٤٨م إلى ١٧١٦٩ موظفا عندما تقاعد سنة ١٩٦٥.

والحقيقة أن جروفر لم ينجح فى التعامل السلس مع (إدارة الخدمات العامة) التى تتبعها دار الأرشيف رغم أنها ضاعفت موارد الدار وساعدت فى زيادة عدد العاملين على النحو المشار إليه، وكان الرجل دائم الصدام معها لتدخلها فى العمل الفنى وتهديدها المستمر لحرفية العلم.وقد انتهز الرجل فرصة تقاعده وطالب بعودة دار الأرشيف الوطنى إلى وضعها المستقل السابق على غرار مكتبة الكونجرس ورغم فشل حملته إلا أنها

قد أسفرت عن تمويل أفضل للدار والتوسع فى مشروعاتها، وقد استمرت الحملة من جانب الأرشيفيين والمؤرخين حتى سنة ١٩٨٥ عندما استقلت المؤسسة تحت اسم (الأرشيف الوطنى وإدارة السجلات). ولم يتوقف جروفر عن النشاط بعد تقاعده وظل يؤدى الكثير من الأعمال بما فى ذلك تقديم الاستشارات للرئيس الأمريكى ليندون جونسون فى تطوير (مكتبته الرئاسية).

واعترافا بخدمات الرجل قامت جامعة براون (بروفيدانس-رود أيلاند)، جامعة بوكنيل (لويسبرج-بنسلفانيا) وكلية بلمونت آبيى (كارولينا الشمالية) بمنح الرجل درجات فخرية. وحصل فى سنة ١٩٥٩ على (جائزة الخدمة المتميزة) وإحدى (جوائز الخدمة المدنية) التى تقدمها (رابطة الخدمة المدنية الوطنية) سنة ١٩٦١.

وعلى جانب النشاط المهنى خارج الوظائف الرسمية شغل الرجل المناصب الآتية:-

١- رئيس جمعية الأرشيفيين الأمريكيين.

٢- نائب رئيس المجلس الدولى للأرشيف.

٣- عضو اللجنة الوطنية الأمريكية لليونسكو.

ومن جهة الإنتاج العلمى كان للرجل إسهامات عديدة على شكل مقالات فى الدوريات المهنية وفصول داخل بعض الكتب المتخصصة إلا أنه لم يخلف كتبا قائمة بذاتها. ويرى المراقبون أن أهم عمل علمى وتذكارى هو "دار الأرشيف الوطنية" على الحالة التى تركها والتى تغيرت كلية عن الحالة التى تسلمها عليها سنة ١٩٤٨.

ولقد توفى الرجل فى سيلفرسبرنج من أعمال ميريلاند فى الثامن من شهر يونية سنة ١٩٧٠م عن عمر يناهز الرابعة والستين.

المصادر

1- Mc Coy, Donald R. Grover, Wayne C.-in.- Encyclopedia of Library and Information Services.- Chicago: A.L.A.,1993.

2- Mc Coy, Donald R. The National Archives: America's Ministry of Documents: 1934-1968.- Washington, D.C, NARS, 1978.

جروليير (نادى كتاب)
The Grolier Club

نادى جروليير فى مدينة نيويورك أسس فى شهر مارس سنة ١٨٨٤م على يد تسعة رجال من مهن مختلفة لا تجمعهم إلا رابطة حب الكتب الفاخرة بعضهم كان جماعا للكتب القديمة الجميلة، بعضهم كان يهوى إنتاج الكتب الحديثة الفاخرة وبعضهم كان يعشق جمع كتب المؤلفين العظام. هذه الاتجاهات الثلاثة فى حب الكتب شكلت النسيج الذى قام عليه نادى جروليبه طوال تاريخه.

ولتحقيق ميولهم اقترح المؤسسون ثلاثة أنشطة لهذا النادى: أ-إقامة المعارض. ب- نشر المطبوعات. ج- إنشاء مكتبة متخصصة فى الموضوع. وأعضاء هذا النادى كان يشترط فيهم أن يكونوا واحدا من جمّاعى الكتب، المكتبيون، الطابعون، تجار الكتب، وقد توفر النادى على نشر ما يربو على مائة كتاب على مدى قرن من إنشائه ونظم أكثر من ٥٠٠ معرض كبير، وتصل المكتبة الآن إلى نحو ٧٠,٠٠٠ مجلد. وقد زاد عدد الأعضاء من التسعة المؤسسين سنة ١٨٨٤م إلى ما يربوا على ٧٠٠ عضو فى نهاية القرن العشرين . وجميع أنشطة النادى تنظم فى مقره فى مدينة نيويورك (شارع ٦٠ شرق بناية رقم ٤٧).

وقد سمى النادى باسمه جروليبه نسبة إلى جان جروليبه وزير خزانة فرنسا فى القرن السادس عشر وواحد من أكبر وأشهر جماعى الكتب فى كل العصور وكانت لوحة كتب جان جروليبه تعبر بدقة عن روح جماع الكتب الحقيقة وتقول اللوحة باللاتينية ما ترجمته (من مكتبة جان جروليبه وأصدقائه). ومن الجدير بالذكر على سبل الاستطراد أن جان جروليبه ولد فى ليون سنة ١٤٧٩م وصحب والده أمين صندوق الحرب مع الجيش الفرنسى أثناء غزوه لإيطاليا. وقد خلف والده وزير المالية فرنسا وظل فترة طويلة فى هذا المنصب (مات عن ست وثمانين عاما). وكان ترتيبه السادس بين وزراء مالية فرنسا. ومنذ صغره كان تواقا للكتب والعلم ملازما للعلماء والباحثين والطابعين ثم راعيا لهم بعد

ذلك. وقد بدأ هواية جمع الكتب وهو فى العشرينات من عمره وكان مغرما بكتب ألدوس مانوتيوس على وجه الخصوص وكان التجليد الإيطالى الفاخر أحب شيء إليه لدرجة أنه أصبح المروج الأساسى للتجليد الفاخر فى فرنسا من ١٥٣٠ وحتى وفاته سنة ١٥٦٥ ومن حسن الحظ أنه وصلنا من مكتبته نحو ٦٠٠ مجلد رغم أن مجموعته عند وفاته ربت على ثلاثة آلاف مجلد. ومنذ القرن الثامن عشر تم اعتبار تلك الكتب من الآثار النادرة، ووضع المقتنون المتأخرون للكتب من مكتبة جروليير فى قائمة الشرف باعتبارهم من الجماعين العظماء للكتب.

ولقد بدأت سلسلة مطبوعات هذا النادى الطويلة بطبعة محدودة من كتاب (قرار غرفة النجمة) وهو نص هام جداً فى تاريخ الرقابة على المطبوعات. ومع سنة ١٩٠٠ كان قد صدر عدد من الكتب الهامة. وقد ثمنها الباحثون وقدروها ليس فقط لقيمتها العلمية وإنما أيضاً لطباعتها وتجليدها الفاخر. ومن الجدير بالذكر أنه كانت هناك فى ذلك الوقت شركة نشر تطلق على نفسها (جمعية جروليير) بدلا من نادى وكانت تنشر طبعات محدودة أيضاً من بعض الكتب تقلد فيها مطبوعات نادى جروليير ولكنها فشلت فى أن تحقق شيئا له قيمة إلى أن نشرت دائرة معارف الأطفال المعروفة باسم (كتاب العامل) ومن هنا ذاع صيتها ولمع اسمها وكبر حجمها. ولذلك وجب عدم الخلط بين جمعية جروليير ونادى جروليير الذى نحن بصدده.

وفيما يتعلق بالمعارض كان النادى ينشر قائمة أو دليلا بمحتويات المعرض ولكن المراقبين لاحظوا أن تلك القوائم لم تكن تتناسب فخامة وإعداداً مع بعض المعارض الهامة الكبيرة التى كانت تقام ولذلك بدأ النادى يلجأ إلى إعداد فهارس فخمة مصورة مع بيانات ببليوجرافية كاملة. وبعض تلك الفهارس أعد خصيصا كى يكون أداة مساعدة لجماعى الكتب فى سعيهم لاقتناء الكتب الفاخرة وخاصة القديمة ومن بين تلك الفهارس:" مائة كتاب شهيرة فى الأدب الإنجليزي"، "مائة كتاب أمريكى مؤثر" و"مائة كتاب شهيرة فى العلوم".

ولا يقل عن المعارض أهمية المطبوعات العينات التى كان النادى ينشرها للكشف عن جوانب فنية محددة فى فن الطباعة فى القرن العشرين والتى يقوم بها كبار الطابعين ومن بينهم تيودور دى فن، والترجيليس، د.ب.أبدايك، جون هنرى ناش، بروس روجز، فردريك جودى، إلمر أدلر، جوزيف بلومنتال.

وفيما يتعلق بمكتبة النادى فإن من الجدير بالذكر أنها ليست مكتبة كتب نادرة أو أوائل مطبوعات كما يتوقع البعض ولكنها مكتبة متخصصة عن الكتب والطباعة والببليوجرافيا وما إلى ذلك وإن كانت لا تخلو من عينات من كتب فاخرة وتجليد ممتاز. والمجموعة البالغة اليوم فى نهاية القرن العشرين سبعين ألف مجلد يمكن تقسيمها إلى قسمين أساسيين: أعمال وعن الببليوجرافيا وتاريخ الطباعة والخطاطة وهى تستخدم أساساً للعرض فى المعارض كما تستخدم فى النشر، والقسم الثانى عبارة عن مجموعة لا نظير لها من كتالوجات مزادات الكتب وتجار الكتب القديمة من القرن السابع عشر حتى الآن، وهى تعتبر أساساً لأى دراسة جادة عن جمع الكتب وانتقالها من مالك إلى مالك. والمكتبة كالمعارض والمطبوعات متاحة للجميع ومفتوحة أمام القراء والباحثين فى كافة المجالات وكانت مصادرها عونا فى إعداد كثير من البحوث والدراسات التى من بينها على سبيل المثال:" دراسة مسحية عن مخطوطات العصور الوسطى وعصر النهضة فى الولايات المتحدة ".

وفى الرابع من مايو ١٨٨٤م أى بعد أربعة أشهر فقط من تأسيس النادى نظم النادى أول معرض له وكان موضوعه "الرتوش من ديرر إلى هويستلر" أى حفر الكليشيهات وتشطيبها . وعلى مدى ثلاثة أيام زار هذا المعرض ما لا يقل عن ٦٠٠ زائر. أما المعرض الثانى فقد دار حول (المخطوطات المزوقة" وربما كان الأول من نوع فى ذلك الزمان. وقد ضمت المعارض التالية عينات من مطبوعات النادى المتخصصة مثل كتاب تيودور لو دى فن (أبناط الطباعة التاريخية)، وكتاب روبرت هو المعنون (تجليد الكتب كفن جميل)،وكتاب وليام ماتيوز (تجليد الكتب من الناحية العملية).

وكانت المعارض غالبا ما يتبعها (رسومات أصلية من إيضاحيات الكتب)،

(العمليات الفوتوكيميائية فى إنتاج الكتب). وقد لخص رئيس النادى فى تقريره السنوى تلك المعارض بقوله:

" لقد كان الهدف من معرض المخطوطات المزوقة هو عرض أقدم اشكال الكتب الفاخرة وكذلك عينات من جلود الكتب المتميزة.أما معرض الرسوم الأصلية فقد هدف إلى الكشف عن العلاقة بين فنون التصميم الأصلية القديمة وفن الحفر الحديث فى صناعة الكتب. وفيما يتعلق بمعرض العمليات الفوتوكيميائية فإنه يمثل أحدث جوانب إنتاج الكتاب".

وقد قام ثالث رئيس للنادى سيفرلى تشو باستحداث نوع مختلف من المعارض: المخطوطات الموقعة، الطبعات الأولى، رسائل أشهر المؤلفين، هذا إلى جانب المعارض التقليدية التى اعتاد النادى على إقامتها.

وقد خصص العدد الأكبر من المعارض لعرض الصور المطبوعة والمطبوعات والكتب ذات الايضاحيات وبما يتناسب مع موضوع العرض. ومن بين تلك المعارض أعمال ويستلر (سبعة معارض توجت بنشر الفهرس الكبير: أعمال كليشيهات ويستلر والذى نشره النادى ١٩١٠. ومن بين الذين عرض لهم من المعاصرين والذين ربوا على خمسة وعشرين فنانا نذكر : بيردسلي) روزيكا، تشابلن، هادن، ومن بين الفنانين الأقدمين نجد عددا كبيرا ربا على عشرين فنانا نذكر منهم: ديرر، رامبراندت، جويا، رولاندسون، هومر، كما كانت هناك معارض تعرض عينات من الكتب والصور على القرون والبلدان مثل القرن الخامس عشر والسادس عشر فى إيطاليا وألمانيا وانجلترا، القرن الثامن عشر فى فرنسا وأمريكا، القرن التاسع عشر فى إنجلترا وأمريكا، القرن العشرين فى فرنسا وأمريكا، القرن التاسع عشر فى إنجلترا وأمريكا، القرن العشرين فى فرنسا وألمانيا وأمريكا. على الجانب الآخر كانت هناك معارض نوعية: الطبع الحجرى، الكليشيهات (الرتوش) المحفورات على المعادن،الملصقات، الزنكات، الكتل الخشبية الباكرة، المحفورات الملونة، النقوش التظليلية على المعادن. وكانت هناك فئة رابعة من المعارض

على الموضوعات مثل مطبوعات وصور البحرية، صور النباتات المطبوعة، الكاريكاتير، صور ومطبوعات الرياضة، الصور الخيالية، ولعل الفئة الخامسة من المعارض كانت معارض الصور الشخصية سواء التى رسمها فنانون بعينهم أو صور أشخاص بعينهم مثل معرض الفنان نانتويل والفنان ديسبوتين والفنان فيثورن والفنان فلامنج ومثل صور أبراهام لنكولن وجورج واشنطون ومثل صور بعض المؤلفين الإنجليز، والنساء والمؤلفات والمؤلفين الفرنسيين وشخصيات الثورة الأمريكية. وربما جاء من هذه الزاوية الكتاب الذى نشره النادى بعنوان (صور واشنطون الشخصية المحفورة) والذى نشر سنة ١٩٠٤م.

ولعل المجال الأكبر للمعارض كان هو موضوعات الأدب وحيث كان الهدف إبراز وعرض أحسن الإنتاج الفكرى فى تلك الموضوعات ولعل أهم ما فى هذه المعارض هو البيليوجرافية التى تحصر هذا الإنتاج الفكرى على نحو ما نجد فى البيليوجرافية رباعية المجلدات بعنوان (من لانجلاند إلى ويثر) ١٨٩٣-١٩٠٥،والبيليوجرافية ثنائية المجلدات (مائة كتاب شهيرة فى الأدب الإنجليزى) سنة ١٩٠٢، (بيليوجرافية وليام بليك) التى أعدها جيوفرى كينز ١٩٢١. وهناك عشرات من البيليوجرافيات الخاصة بمؤلفين أفراد صاحبت المعارض الخاصة بإنتاجهم نذكر منهم:

كيتس	جونسون	لامب بايرون	إميلى دكنسون
تنيسون	ثاكيراى	كيلنج	سويفت
تشوسر	ديكنز بوب	والبول	هنرى جيمس
داريدن	ستيفنسون	بيبيز	كوبر
هوثرون	شكسبير	كينلم	شو
بليك	شيللي	ديجباي	ثورو
ميلتون	موليير	هاردي	هويتمان
إليوت	إدواردلير	جلبرت	جيمس بوزويل

ومن معارض الموضوعات الأدبية العريضة نصادف: الأدب الإيطالى، الدراما، الرواية الإنجليزية، الأدب الإنجليزى الباكر، الأدب الأسبانى روايات الفروسية الرومانية، المجلات الصغيرة، الأمريكيات الكاتبات، أدب العصر الإليزابثى، الشعر الحديث، الطبعة الثانية، كتب جائزة بولتزر، الأدب الأمريكى فى الجنوب، أدب العشرينات من القرن العشرين، تأثير الأدب الإيطالى على الأدب الأمريكى، الأدب الأيرلندى ١٨٦٥-١٩٣٩. غرماء شكسبير، أدب المنفى والمنفيين.

ومن بين المعارض الهامة أيضاً معارض الطباعة الفاخرة ومن بين الطابعين الذين عرضت مطبوعاتهم: يوحنا جوتنبرج، ألدوس مانوتيوس، تورى، بودونى كيلمسكوت، بروس روجرز، أبدايك، إلمر أدلر، وكانت هناك معارض تصور فترات تاريخية معينة من عمر الطباعة من عصر المهاديات حتى نهاية القرن العشرين مثل كتب الشعائر الدينية الباكرة، الطباعة الفاخرة الحديثة، المطابع الألمانية الحديثة.

ومن المعارض ذات الصلة بالطباعة معارض التجليد والجلود ومن أمثلتها: "الجلود حتى ١٨٠٠"، "الجلود بعد ١٨٠٠، "الجلود ١٨٦٠-١٨٩٠"،" جلود تاريخية من مكتبات مشاهير الجماعين"، "جلود عصر النهضة" وغير ذلك. فى سنة ١٩٦٥م نظم معرض "جلود من مكتبة جروليبه" حيث عرضت ٧٤ كتابا ذات جلود فاخرة من مكتبات جماعين أمريكيين.

ومن المعارض القليلة المتعلقة بالمخطوطات (المخطوطات المزوقة) وكان ثانى معرض ينظمه نادى جروليبه فى نفس سنة ١٨٨٤م التى نشأ فيها النادى . نفس هذا المعرض تم تكراره سنة ١٨٩٢م.

وفى سنة ١٩١٧م نظم معرض حول المخطوطات الفارسية. وفى سنة ١٩٦٢ نظم معرض آخر حول المخطوطات الفارسية والهندية، وفى سنة ١٩٦٦ معرض مخطوطات العالم المسيحى الشرقى: البيزنطية، الأرمينية،القبطية، السوريانية، الحبشية.

ومن الطبيعى جدا أن تكون هناك معارض عديدة حول الشئون الأمريكية ومن بينها:

(٥٠ كتابا أمريكيا شهيراً)سنة ١٨٨٨، الطباعة الأمريكية الباكرة، الأفرخ العريضة الأمريكية، معرض لويس وكلارك. وقد نشر فهرسان هامان بمناسبة تلك المعارض المتعلقة بأمريكا هما (١٠٠ كتاب أمريكى مؤثر)، (كتب أمريكية تاريخية وأدبية). وكما أسلفت كانت هناك معارض خاصة بكل من بنيامين فرانكلين وجورج واشنطون. ومن المعارض الأخاذة التى نالت إعجاب الزائرين معرض (خرائط ومناظر مدينة نيويورك) سنة ١٨٩٧ والذى تتكرر سنة ١٩١٥ والذى صاحبه نشر كتاب فيلبس ستوكس (أيقونات جزيرة مانهاتن) ومعرض (مدينة نيويورك ١٦٢٦-١٩٤٢). وغير ذلك من المعارض المتعلقة بكافة جوانب الشئون الأمريكية.

وكانت هناك اهتمامات جانبية بمعارض عن دول أجنبية مثلما حدث بالنسبة لليابان التى نظم حول كتبها أربعة معارض بين ١٨٨٧ و١٩١٧ وكان أهم هذه المعارض :" صور الشخصيات اليابانية الهامة" (١٩٢٣)، " مناظر خلوية يابانية وزهور وطيور اليابان" سنة ١٩٢٤ وكلا المعرضين تم توثيقهما فى فهرسين مفصلين من إعداد لويس ف. ليدوكس. وفى نفس الفترة تقريبا نظمت ثلاث معارض للكتب والمخطوطات الصينية.

وقد حظيت العلوم بجانب من المعارض ومن بين المعارض العلمية نذكر:-

١- الكيمياء سنة ١٨٩١.

٢- التشريح سنة ١٩٢٥.

٣- الملاحة البحرية سنة ١٩٣٨.

٤- الفضائيات ١٩٤٠ و١٩٥٨.

٥- النبات والزراعة سنة ١٩٤٣.

٦- لافوازييه سنة ١٩٥٢

٧- فرويد سنة ١٩٥٦

٨- التاريخ الطبيعى ١٩٥٧.

٩- ١٠٠ كتاب شهيرة فى العلوم سنة ١٩٥٨.

ومن الجدير بالذكر أن مفردات تلك المعارض وثقت فى ببلوجرافية ممتازة من إعداد هاريسون. د. هوربليت.

وثمة مجالات عرض أخرى وإن كانت على نطاق أقل وتتم على فترات متقطعة من بينها: جمع الكتب (خمس معارض)، الخطاطة (معرضان) ، الرياضة (٤ معارض منها اثنان للصيد بالسنارة)، الجريمة والقرصنة، الجاسوسية، الرحلات، والسياحة، والاستكشاف، تجارة الصين، المعاهدات والخرائط، البحار كل منها مثلت بمعرض واحد وأخيرا الموسيقى التى مثلت بثلاثة معارض.

وكانت هناك معارض فريدة (لمرة واحدة) عن أشياء فريدة نادرة مثل (المراوح) (السحر) (الأحجار الكريمة)، السيرك، الدخان، السيرة الذاتية، العلاج بالإيمان، المجلدات الشاذة، كتب الرقوق، الكتب ذات الإهداءات...

وكان لتدفق الكتب النادرة على المكتبات الأمريكية المختلفة، أثره على أنشطة نادى جروليه حيث كان عليه أن يتعقب تلك المجموعات وأن ينظم المعرض تلو المعرض بعينات من مجموعات المكتبات وكان بعض تلك المعارض ضخما يضم مجموعات نادرة من عدد من المكتبات فى وقت واحد.

ومنذ منتصف الستينات من القرن العشرين بدأ النادى فى إقامة سلسلة من المعارض الصغيرة المحدودة من واقع المكتبات الشخصية للأعضاء حيث معظمهم يملك مكتبات خاصة قوية وبالذات أن من بين الأعضاء جماعين للكتب على نحو ما أسلفت. وهذه المعارض الصغيرة تغطى مجالات متعددة على حسب قوة المكتبة الشخصية التى تستل منها المعروضات ومن بين تلك المعارض نصادف: الكتب المزورة، الأدب الشعبى، كتب الأطفال، التاريخ الطبيعى، تشارلز لامب، الأدب الفرنسى، التجليد الأمريكى، مطبوعات الحجر الفرنسية ١٨١٥-١٨٦٠، كبلنج، جوشوا رينولدز، وايلد، المهاديات ذات الإيضاحيات، رحلات إلى الشرق الأقصى ، جلود عصر النهضة..هذه المعارض الصغيرة قدمت رافدا آخر يرفد المعارض الكبيرة على النحو سابق الذكر.

ومن الملامح العريضة على النحو المصور فى هذه الصفحات القليلة نجد أن نادى جروليه قد نجح فى تحقيق الأهداف الثلاثة التى وضعها لنفسه ولأعضائه وهى نشر المطبوعات المتخصصة فى الطباعة والنشر وإقامة المعارض النوعية، وقد نجح فيها نجاحا كبيرا كما رأينا وأنشأ مكتبة متخصصة فى الببليوجرافيا والطباعة والتجليد وتجارة الكتب، وكما لاحظنا نمت هذه المكتبة نمواً كبيرا حتى بلغت الآن فى نهاية القرن العشرين ومطالع القرن الواحد والعشرين ما يربو على سبعين ألف مجلد.

المصادر

١- شعبان عبد العزيز خليفة. الكتب والمكتبات فى العصور الحديثة: الغرب المتألق. - القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠١م.

2- Austin, Gabriel. The Grolier Club.-in.- Encyclopedia of Library and Information Science.-New york: Marcel Dekker 1973.-Vol.10.

جريم ، جاكوب ١٧٨٥-١٨٦٣
جريم،فيلهلم ١٧٨٦-١٨٥٩
Grimm, Jacob 1785-1863
Grimm, Whihelm 1786-1859

يشار إليهما عادة باسم الأخوين جريم، وترجع شهرتهما إلى أنهما كانا عالمين فى اللغويات والأدب الشعبى وربما إلى الأدب الشعبى ترجع شهرتهما أكثر وألصق لأنهما أول من جعل الأدب الشعبى علما قائما بذاته. وهما المؤسسان الحقيقيان للدراسة الأكاديمية فى اللغات الألمانية وآدابها وثقافتها. وعلى الرغم من أنهما عملا بمهنة المكتبات فترة طويلة فى حياتهما والإخلاص لهذه المهنة إخلاصا كبيرا وتحملا مسئولية هذا العمل إلا أنهم والحق يقال لم يضيفا إلى هذه المهنة شيئا يخلدهما كما عمل الكثيرون من المكتبيين بل وأكثر من هذا تذكر المصادر أنهما أفادا كثيرا من عملهما بالمكتبات فى الحصول على المصادر للدراسات اللغوية والأدبية التى قاما بها.

ولقد ولد الاثنان فى مدينة هاناو-أم ماين فى سنتين متتاليتين ودرسا القانون معاً فى ماربورج، وكانت صداقتهما المبكرة لدارس الحركة الرومانتيكية كليمنس برنتانو الذى كان من جماعى الكتب،وأيضا أكيم فون آرنيم، وقبل هذين وبعدهما المؤرخ القانونى الكبير فريدريتش كارل فون سافجنى (١٧٧٩-١٨٦١) وهو الآخر كان جمّاعا نهما للكتب وقد آلت كتبه بعد وفاته إلى المكتبة الملكية فى برلين. نقول كانت صداقتهما لمثل هؤلاء الأشخاص ذات فائدة كبيرة لهما. ومن خلال سافجنى استطاع الإخوان جريم أن يكونا إحساسا عميقا بالأهمية الثقافية والفكرية للآثار القانونية والأدب الألمانى القديم. وكان جاكوب المساعد الأيمن لـ سافجنى فى دراساته فى المكتبة الوطنية الفرنسية سنة ١٨٠٥ فى باريس.

وبناء على توصية من جوهانيس فون ميللر (١٧٥٢-١٨٠٩) المؤرخ الشهير وأمين المكتبة فى كاسيل وماينز وفيينا تم تعيين جاكوب أمينا للمكتبة الشخصية للملك جيروم بونابرت ملك فستفاليا فى قلعة فيلهلمشوهيه. وفى سنة ١٨١٤ و١٨١٥ كان عضوا فى لجنة المطالبة باسترداد الكنوز الأدبية الألمانية التى سلبها الفرنسيون خلال حروبهم مع ألمانيا. وفى ١٨١٦ عين الأخوان معا فى مكتبة الأمير المنتخب الشخصية فى كاسيل. وفى سنة ١٨٢٩م انتقل جاكوب إلى جامعة جوتنجن أستاذا وأمين مكتبة، وانتقل فيلهلم إلى منصب مماثل سنة ١٨٣٠م.

وبسبب مواقفهما السياسية التحررية وآرائهما التى بدت متطرفة كان الإخوان جريم من بين السبعة فى جوتنجن الذين تم طردهم من الجامعة سنة ١٨٣٧، ولأنهم اعترضوا على إلغاء دستور هانوفر. وتم إقصاء جاكوب ونفيه إلى كاسيل ثم لحق به أخوه فيلهلم بعد ذلك. وفى سنة ١٨٤١م انتقل الإخوان معا إلى برلين حيث عملا فى أكاديمية برلين. وقد أصبح جاكوب عضوا فى الجمعية العامة (البرلمان) فى فرانكفورت سنة ١٨٤٨م.

المصدر

Thompson, Lawrence S. Grimm, Jacob and Wilhelm. in.-Encyclopedia of Library and Information Science.- NewYork: Marcel Dekker, 1984.-Vol. 37.

جرين،بارثولوميو ١٦٩٩-١٧٥١
Green, Bartholomew 1699-1751

بارثولوميو جرين كان أول طابع يدخل المطبعة إلى كندا وهو يحمل نفس اسم أبيه بارثولوميو جرين وقد ولد بارثولوميو صاحبنا فى مدينة كامبردج من أعمال ماساشوستس فى مايعرف الآن باسم الولايات المتحدة سنة ١٦٩٩. وكان فى البداية يعمل طابعا لدى حاكم ماساشوستس ومجلس الحكم بها وهو حفيد صامويل جرين طابع كلية هارفارد من ١٦٤٩ وحتى تقاعده سنة ١٦٩٢م أى أن صاحبنا بارثولوميو ينحدر من عائلة طابعة.

وفى سنة ١٧٣٤م دخل صاحبنا بارثولوميو جرين (الأصغر) فى شراكة مع جون بوشيل وبيزون ألين فى بوسطون، وقد ارتحل الرجل إلى هاليفاكس، نوفاسكوتيا فى كندا سنة ١٧٥١م. ومن المعروف أن هاليفاكس كانت قد وضعت تحت الحكم البريطانى سنة ١٧٤٩م أى بعد ٣٦ سنة من تخلى فرنسا عن نوفاسكوتيا كلها طبقا لاتفاقية أوترخت. ورغم أن السيادة البريطانية قد بسطت هناك منذ ١٤٩٧، ورغم أن تشامبلين قد أقام مستعمرة فرنسية فى بورت رويال (الميناء الملكي) سنة ١٦٠٥م إلا أنه لا إنجلترا ولا فرنسا أدخلت أية مطبعة على ما يعرف الآن بـ كندا طوال ثلاثة قرون من اختراع يوحنا جوتنبرج للطباعة وحتى مجيء بارثولوميو جرين بمطبعته إلى هاليفاكس

ومن سوء الحظ أن جرين مات بعد دخوله هاليفاكس بفترة صغيرة، ويعتقد أنه قام بطبع عدة أعمال ولكن لم يصلنا أى منها. ولكن من حسن الحظ أن جون بوشيل أحد شريكيه فى بوسطون حضر إلى هاليفاكس بعيد وفاة جرين واستكمل ما بدأه الرجل واستخدم نفس المعدات والمحل. وقد نشر بوشيل (جريدة هاليفاكس) أول جريدة ووسيلة إعلان فى كل كندا وقد صدر العدد الأول منها فى ٢٣ مارس ١٧٥٢، كما نشر أيضاً فى نفس السنة " قانون التخفيف عن المدينين" ديسمبر ١٧٥٢م.

ولقد توفى بوشيل نفسه سنة ١٧٦١م وخلفه فى العمل هناك فى هاليفاكس أنطونى هنرى (هنريتش) الذى كان قد اتخذه بوشيل شريكا له قبل ثلاث سنوات من وفاته أى منذ ١٧٥٨م. وقد تم تعيين أنطونى هنرى بعد ذلك طابعا للملك فى نوفاسكوتيا.

المصادر

١- شعبان عبد العزيز خليفة. الكتب والمكتبات فى العصور الحديثة: الغرب المتألق.-القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠١.

2- Canadian Book of Printing: How Printing Came to Canada and the Story of the Graphic Arts Told Mainly in Pictures/ Toronto Public Libraries and the 500th Anniversary Committee Commemorating the Invention of Printing from Movable Types.- Toronto, 1940.

3- Harrison, J. Clement. Green Bartholomew.- in.- Encyclopedia of Library and Information Science.- New York: Marcel Dekker, 1973.- Vol. 10.

4- Oswald, John Clyde. Printing in the America's,-Port Washington.- New York: Kennikat Press, 1965.

الجزائر، المكتبات فى

Algeria, Libraries in

تقع جمهورية الجزائر الشعبية الديمقراطية فى شمالى إفريقيا ويحدها من الشمال بطبيعة الحال البحر الأبيض المتوسط؛ ويحدها من الشرق تونس وليبيا، ومن الجنوب موريتانيا ومالى والنيجر ومن الغرب المغرب. والمساحة الكلية ٢,٣٨١,٧٤٠ كيلو مترًا مربعًا. وقد بلغ عدد السكان فى ٢٠٠٥م ٣٢,١٢٩,٣٢٤ نسمة والكثافة السكانية ١٣ نسمة فى الكيلومتر المربع. واللغة الرسمية هى العربية والفرنسية واسعة الانتشار جدًا كما يتكلم

جانب كبير من السكان اللغة الأمازيغية (البربرية). والدين هو الإسلام ويعتنقه ٩٩٪ من السكان على المذهب السنى. العاصمة الجزائر (٣ مليون نسمة).

والصناعات الرئيسية هى البتروكيماويات والغاز الطبيعى والتعدين والمواد الغذائية والبترول. والمحاصيل الرئيسية القمح والشعير والقنب والزيتون. والمصادر الطبيعية هى البترول، الغاز الطبيعى وخام الحديد والفوسفات واليورانيوم والرصاص والزنك. والعملة هى الدينار الجزائرى.

أما عن التعليم فهو إجبارى بين ٦-١٤ سنة ونسبة الأمية فى حدود ٣٠٪ أى أن ٧٠٪ من السكان متعلمون بطريقة أو بأخرى. أما عن وسائل الاتصال الجماهيرى: أجهزة التليفزيون ١٠٧ لكل ألف من السكان وأجهزة الراديو ٢٤٢ لكل ألف من السكان وخطوط التليفون ٢,٢ مليون خط وتداول الصحف ٢٧,٢ نسخة بين كل ألف من السكان والانترنت ٥٠٠,٠٠٠ مستفيد.

ونقدم فيما يلى نبذة تاريخية عن الجزائر وتطورها. فقد كان السكان الأصليون من سلالة البربر وتبعهم الفينيقيون والرومان والوانداليون ثم أخيرًا العرب والأتراك. وقد حكم الأتراك الجزائر بين ١٥١٨ و١٨٣٠م عندما احتلها الفرنسيون منذ ١٨٣٠ وحتى ١٩٦٢. ورغم قسوة الاحتلال الفرنسى إلا أن ذلك لم يمنع من اندلاع الثورة ضد الفرنسيين وحرب العصابات إلى أن انسحب الفرنسيون تحت ضغط الصحافة الفرنسية ومليون شهيد جزائرى. ولقد غادر الجزائر مليون أوربى يتقدمهم شارل ديجول واستقلت الجزائر فى الخامس من يولية سنة ١٩٦٢. وكان أحمد بن بيللا هو بطل التحرير ورئيس الجمهورية حتى ١٩٦٥ حينما حاصرت كتيبة عسكرية بن بيللا ونصبت هوارى بومدين رئيسًا للبلاد منذ ذلك التاريخ حتى وفاته بسرطان الدم ١٩٧٨.

وفى سنة ١٩٦٧م أعلنت الجزائر الحرب على إسرائيل متضامنة مع مصر بعد هزيمة مصر ١٩٦٧م ومن هناك قطعت الجزائر روابطها مع الولايات المتحدة ومن ثم اتجهت إلى الاتحاد السوفيتى. وفى سنة ١٩٨٨م حدثت أزمة اقتصادية فى البلاد وثار الناس على

إثرها وقتل فى ذلك الوقت نحو ٥٠٠ من الناس الثائرين ضد الحكومة. وفى سنة ١٩٨٩م صوت الناس على الدستور الجديد للبلاد والذى يقضى بتعدد الأحزاب.

وفى يناير ١٩٩٢ فاز الأصوليون الإسلاميون فى الانتخابات التى أجريت هناك ولذلك أسرع العسكريون بإلغاء تلك الانتخابات بمساعدة من الولايات المتحدة وحظرت أى نشاط غير دينى داخل مساجد الجزائر العشرة آلاف. وكان من الطبيعى كرد فعل أن يقوم الأصوليون بتكوين جماعات مسلحة مناهضة للحكومة، تهاجم الرسميين والأجانب والبوليس وأحيانًا المدنيين.

وفى انتخابات ١٦ من نوفمبر ١٩٩٥ نجح الأمين زروال. وطرح دستور جديد يحظر أى نشاط سياسى للأحزاب الدينية مما قوى مركز الرئيس. وفى انتخابات ١٥ من أبريل سنة ١٩٩٩ نجح الرئيس عبدالعزيز بوتفليقة وحاول إصلاح الوضع وتحقق الوفاق الوطنى بعد الحرب الأهلية التى أطاحت بما يقرب من ١٠٠,٠٠٠ نسمة. وفى انتفاضات الاحتجاج التى وقعت أبريل – يونية ٢٠٠١م قتل نحو مائة شخص وجرح ٧٠٠ آخرون ومعظمهم من الأقلية البربرية. وفى نوفمبر من نفس السنة اجتاحت الفيضانات البلاد وقتل فيها ما لا يقل عن ٧٠٠ فرد. وفى زلزال شمالى الجزائر الذى وقع فى ٢١ مايو ٢٠٠٣ مات ٢٣٠٠ نسمة وشرد ما لا يقل عن ٢٠٠,٠٠٠ آخرون. وفى انتخابات الثامن من أبريل سنة ٢٠٠٤م نجح عبدالعزيز بوتفليقة بنسبة ٨٣.٥٪. وقد شن الجيش حملات مكثفة على الجماعات الإسلامية إثر قتلهم لاثنى عشر عسكريًا فى يونية فى نفس سنة ٢٠٠٤م.

وللجزائر تاريخ فكرى طويل وعريق يمتد من العصور القديمة حتى وقتنا هذا ولذلك فإن إنتاج الكتب ومن ثم المكتبات تشغل رقعة واسعة من التاريخ فعلى صخور جبال تاصيلى وجبال أطلس نجد نقوشا وكتابات موغلة فى القدم تقف شاهدًا على الحياة الاجتماعية والثقافية للسكان الأولين فى البلاد. كما قام القرطاجنيون والنوميديون بترك كتاباتهم أيضًا على الصخور فى المناطق التى عاشوا فيها فى البلاد وإن لم تصلنا كتابات على مواد منقولة من تلك الفترة. وتعتبر تلك الكتابات مصدرًا هامًا جدًا للدارسين فى

الأبجدية الليبية - البربرية القديمة. ويرى الفقهاء أن الرومان أنفسهم رغم استعمالهم للبردى والرق فى كتاباتهم إلا أنهم قاموا عند احتلالهم للجزائر من القرن الثانى ق.م حتى القرن الخامس الميلادى باستعمال الصخور فى الكتابة وخلفوا لنا نصوصًا هامة عليها، وما تزال أطلال دجميلا وتمجاد وتيبازا تحمل العديد من النقوش.

ولعل أندر الوثائق وأهمها هى تلك الألواح المسماة **بألواح ألبرتينى** وهى تشمل وقائع وأحداثًا خاصة شخصية ترجع إلى فترة احتلال الواندال وحكمهم للجزائر (٤٢٩ -٥٣٣). وهذه الألواح مصنوعة من خشب الأرز وهى مغطاة بكتابات لاتينية مضلعة بقلم مدبب من البوص (الغاب) المغموس فى حبر مصنوع من ثمرة الخروب. وقد تم اكتشاف هذه الألواح سنة ١٩٢٨م فى جرة من الفخار مدفونة فى خرائب منطقة تبيسا. وعدد هذه الألواح الخشبية ٤٥ لوحًا تضم ٣٤ وثيقة.

وبعد الفتح العربى للجزائر سنة ٦٨٢م استخدم الرق كمادة للكتابة أولاً وبعد تصنيع الورق وانتشاره من المشرق العربى إلى المغرب العربى فى نهاية القرن الثامن الميلادى تعايش الرق والورق كمادة للكتابة فى الجزائر إلى أن غلب الورق على الرق بعد ذلك. وفى ظل الإسلام انتشرت المراكز الثقافية وانتعشت الوراقة وانتشرت دور الوراقين وازدهر العلم والفن وخاصة فى القرن الحادى عشر فى ظل الموراقيين والمحادسيين. وكان لدى الحكام العظماء من أمثال ابن تومرت وعبدالمؤمن مكتبات شخصية عظيمة كما انتشرت مكتبات الجوامع والمدارس وبعض المكتبات العامة وشبه العامة هناك. وتذكر المصادر أن ابن خلدون التونسى صاحب التاريخ المشهور ومقدمته كانت لديه مكتبة شخصية عظيمة أثناء الفترة التى عاشها فى الجزائر وهى فترة طويلة نسبيًا. (حياة ابن خلدون بين ١٣٣٢ - ١٤٠٦م). وفى بداية العصر الحديث فى الجزائر كان للمناضل عبدالقادر الجزائرى مكتبة شخصية عظيمة الشأن كما كان هو نفسه مؤلفًا عظيمًا وقد ناضل ضد الفرنسيين سبعة عشر عامًا (حياة عبدالقادر الجزائرى ١٨٠٨-١٨٨٣).

لقد انتشرت فى الجزائر فى الحقبة الإسلامية المكتبات الشخصية، المكتبات المدرسية،

مكتبات الجوامع، المكتبات العامة وشبه العامة وهى التى حافظت على ما وصلنا اليوم من مخطوطات؛ وقد ظل هذا الطابع التقليدى مسيطرًا على الجزائر حتى الاحتلال الفرنسى ١٨٣٠م.

وقد يكون من الجدير بالذكر أن الطباعة دخلت الجزائر على استحياء سنة ١٨٣٢م، وكان أول مطبوع هناك هو جريدة (المراقب الجزائري) وكانت تطبع طباعة حجر.. ولم تنتشر الطباعة هناك كظاهرة إلا مع نهاية القرن التاسع عشر.

المكتبة الوطنية الجزائرية

ترجع أصول المكتبة الوطنية الجزائرية إلى سنة ١٨٣٥م أى بعد الاحتلال الفرنسى للجزائر سنة ١٩٨٣٠م بخمس سنوات وذلك بمبادرة من الحاكم المدنى الفرنسى للجزائر (جنتى دى بوس) وكانت أول مكتبة تقام فى الجزائر فى العصر الحديث. وقد سكنت فى بداية الأمر مبنى حكوميًا والذى ظلت فيه حتى نقلت سنة ١٨٣٨م إلى مبنى ثكنات الإنكشارية. وبعد عدة تنقلات أخرى استقرت فى سنة ١٨٦٣ فى قصر الداى (قائد الانكشارية) مصطفى باشا. وقد بنى للمكتبة مبنى خاص بها سنة ١٩٥٨م. وقد اكتسبت صفة المكتبة الوطنية سنة ١٩٨٢ عندما أصبحت تتبع وزارة الثقافة الجزائرية.

وتشير المصادر إلى أن المديرين الأربعة الأوائل للمكتبة الوطنية كانوا من المناضلين المتميزين فى سبيل رفعة هذه المكتبة وهم:

١- أدريان بيربروجر. الذى أدار المكتبة ١٨٣٥-١٨٦٩. وكان من بين المفكرين المؤلفين وله كتاب مشهور هو (الجزائر: تاريخيًا وتصويريًا وأثاريًا) بالفرنسية. وكان فى نفس الوقت مسئولاً عن "المجلة الإفريقية" ورئيسًا للجمعية التاريخية الفرنسية.

٢- أوسكار مكارثى. الذى أدار المكتبة ١٨٦٩-١٨٩٠م والذى كان عالمًا فى الجغرافيا ومكتشفًا رحالة ويعزى إليه الفضل فى مساعدة الرحالة رئيس البعثة: شارل دى فوكولد (١٨٥٨-١٩١٦) فى بعثته الاستشكافية فى المغرب.

٣- إميل موباس. الذى أدار المكتبة ١٨٩٠-١٩١٦ والذى كان عالمًا فى البيولوجيا. وكان مشهورًا فى أوربا باكتشافه الحياة الجنسية لدى الحيوانات المجهرية المائية الدقيقة المعروفة عربيًا باسم الدولابيات أو الدوارات ولاتينيا باسم (ورتيفيرا)، وباكتشافه أيضًا لطريقة التناسل عند النقاعيات (إنفيوسوريا).

٤- جابرييل إسكوير. الذى أدار المكتبة ١٩١٦-١٩٤٨. وكان متخصصًا أساسًا فى تاريخ الجزائر ومع استقلال الجزائر وخروج الأوربيين منها وضعت المكتبة الوطنية فى أيدى أبناء البلد الذين طوروها ونموها وجعلوا منها مكتبة عصرية. والمكتبة تقتنى فى كل فروع المعرفة البشرية مع التركيز على الإنسانيات والعلوم الاجتماعية. وقد حصلت المكتبة على مجموعات شخصية عديدة أهمها مجموعات: المكتبة الشخصية للعالم الأثرى الفرنسى ستيفان جيزيل (١٨٦٤-١٩٣٢) والمكتبة الشخصية للرحالة الفرنسى مكتشف إفريقيا بيير سوفورجنان دى برازا (١٨٥٢-١٩٠٥).

ونصادف فى المكتبة الوطنية الجزائرية مجموعة خاصة (مجموعة المغرب العربى) وتربو على ثمانين ألف مجلد تتعلق بكل ما يتصل بدول المغرب العربى الكبير: الجزائر، تونس، المغرب. وقد حصلت المكتبة على بعض المخطوطات النادرة المتعلقة بالجزائر والعائدة إلى القرن السابع عشر والثامن عشر عن طريق مزادات الكتب فى أوربا ومن بين تلك المخطوطات العظيمة المخطوطة الفرنسية (وصف مختصر لمدينة ودولة الجزائر) التى ألفها سنة ١٦٩٥م بتيس دى لاكروا ومخطوطة جنرال أوريلى لاكازاس سنة ١٧٠٩م (الطوبوغرافيا الجديدة للجزائر). كذلك فإن من بين مطبوعات المجموعة المغربية مطبوعات أوربية عائدة إلى القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر عن تاريخ الجزائر قبل ١٨٣٠ أى قبل الاستعمار الفرنسى لها. وبعد ١٨٣٠ نجد أيضًا مجموعة من الذخائر بينها على سبيل المثال "قائمة بمواقع المنشآت الفرنسية فى الجزائر ١٨٣٨-١٨٦٨" وموسوعة (الاكتشاف العلمى للجزائر) فى ٣٢ مجلدًا ١٨٤٤-١٩٥٤. كذلك

نجد من بين ذخائر المجموعة المجلدات والأعداد القديمة من جريدة "المراقب الجزائرى" أول مطبوع يصدر فى الجزائر وكذلك جريدة "الأخبار" الجزائرية. وبعد استقلال الجزائر ووضع المكتبة بين أيدى أبناء الجزائر تم تجميع مجموعة ضخمة من الوثائق المتعلقة بحرب التحرير الوطنية (١٩٥٤-١٩٦٢).

وإلى جانب هذه المجموعة البحثية الخاصة هناك المجموعة العامة والمتاحة للإعارة الخارجية والاطلاع الداخلى. كما تقتنى المكتبة نحو ٤٥٠٠ مخطوطة باللغة العربية بطبيعة الحال (إلى جانب قلة قليلة كما ألمحت من المخطوطات بلغات أجنبية فرنسية وتركية) وتغطى المخطوطات موضوعات دينية وفقهية ولغوية وأدبية وتاريخية وجغرافية إلى جانب عدد محدود فى العلوم البحتة والتطبيقية من بينها كتب طبية وفلكية. ويمكننا القول مطمئنين أن مجموعة المخطوطات فى المكتبة الوطنية الجزائرية ثروة قيمة لندرتها التاريخية لأن الجزء الأكبر يقع فى الفترة من القرن الرابع – السابع الهجرى أى القرن العاشر – الثالث عشر الميلادى كما قد تعود ندرة بعض المخطوطات إلى الإيضاحيات الموجودة بها أو إلى تجليدها أو تمليكاتها. ومن بين المخطوطات النادرة موطأ بن مالك، مجموعة التعاليم الأخلاقية التى جمعها فى مخطوطة أنيقة سنة ١١٩٤م الموحد أبو يوسف يعقوب، وكذلك النسخ الفائقة الجودة من القرآن الكريم وخاصة تلك المكتوبة بالخط المثمن الصغير جدًا؛ والمذهبة الحواف والمطعمة جلودها وهى من كتابه الخطاط الفارسى عماد بن إبراهيم.

ولقد نمت مجموعات المكتبة عبر تاريخها الممتد (١٨٣٥-٢٠٠٥م) على مدى ١٧٠ عامًا اليوم، نموًا وئيدًا فكما رأينا بدأت المكتبة سنة ١٨٣٥ بنحو ستة آلاف كتاب وصلت فى نهاية القرن إلى نحو ٢٥٠٠٠ كتاب بفضل الأربعة الأوائل من مديرى المكتبة. وفى سنة ١٩٥٨م كان بالمكتبة نحو ٥٠٠,٠٠٠ مجلد كتب و٥٠٠,٠٠٠ مجلد دوريات (راجعة) إلى جانب ١٢٠٠ عنوان دورية جارية. وفى سنة ١٩٦١م ارتفع حجم الكتب إلى ٦٠٠,٠٠٠ مجلد والدوريات المجلدة إلى ٥٠٠,٠٠٠ مجلد والدوريات الجارية ١٥٠٠

عنوان. وفى ١٩٧٦م زاد حجم مجموعات الكتب إلى ٧٠٠ ألف مجلد معظمها باللغة الفرنسية إلى جانب ١٥٠,٠٠٠ مجلد باللغة العربية. وفى سنة ١٩٨١م كان عدد المجلدات باللغات الأجنبية ٧٦٥,٨٥٠ و١٨١,٧٣٩ مجلدًا بالعربية ووصل عدد الدوريات الجارية إلى ١٥٠٤ عنوانًا إلى جانب المواد غير المطبوعة.

وفى سنة ٢٠٠٤م حين زارها الباحث للمرة الثالثة كانت صورة المجموعات تسير على النحو الآتى:

– كتب بلغات أجنبية	٩٩٨,٤٥٩	مجلدًا
– كتب باللغة العربية	١٤٥,٢٥١	مجلدًا
– دوريات مجلدة راجعة	٧٤٠,٠٠٠	مجلدًا
– دوريات جارية	١٦١٤	عنوانًا
– بكرات ميكروفيلم	٦٢٥٠	أسطوانة
– خرائط	١٢٦٠	خريطة
– مواد أخرى	١٠,٠٠٠	قطعة مختلفة

وقد بلغ عدد المنتفعين من المكتبة فى تلك السنة نحو ٢٥٠٠٠ مستفيد.

ومن الجدير بالذكر أن المكتبة تتمتع بالإيداع القانونى وتصدر (الببليوجرافية الجزائرية) فعليًا وهى تحصر أساسًا المطبوعات التى يتلقاها (مكتب الإيداع القانوني) هناك؛ إلى جانب ببليوجرافيات أخرى متفرقة تصدرها المكتبة فى مناسبات مختلفة. ولدى المكتبة برنامج مستفيض للتبادل كما تشترك فى اتفاقيات إعارة بينية عديدة.

المكتبات الأكاديمية فى الجزائر

يوجد فى الجزائر الآن ثلاث جامعات موزعة على الأقاليم الكبرى فى الدولة هى: جامعة الجزائر، جامعة قسنطينة وجامعة وهران. هذا إلى جانب مجموعة من معاهد التعليم العالى خارج نطاق الجامعات. وتضم كل جامعة مكتبة مركزية إلى جانب

مكتبات الكليات وبعض المكتبات الفرعية فى الأقسام العلمية بحيث يبلغ عدد المكتبات الأكاديمية فى الجزائر اليوم نحوًا من ١٩٠ مكتبة ما بين جامعية وكليات وأقسام.

وقد صدر قانون إنشاء جامعة الجزائر فى ٢٠ من ديسمبر سنة ١٨٧٩ وإن تأخر قيام الجامعة إلى سنة ١٨٨٧م وقد أنشئت نواة الجامعة وفيها المكتبة الجامعية وتغطى كل فروع المعرفة البشرية مع التركيز على القانون والطب والعلوم والآداب. وفى سنة ١٩٦٢ م شب حريق مع نهاية حرب التحرير الوطنية فى يونية أتى على جانب كبير من مقتنيات هذه المكتبة (١٥٠, ١١٢ مجلد). وقد أعيد بناء المكتبة وأعيد افتتاحها بعد ست سنوات سنة ١٩٦٨. وتعتبر مكتبة جامعة الجزائر من أقوى المكتبات الأكاديمية هناك إلى جانب خمسة وسبعين مكتبة فرعية موجودة بالجامعة. وفى سنة ١٩٧٦ بلغت المجموعات نحو ٦٠٠, ٠٠٠ مجلد كتب و١٥٥٠ دورية إلى جانب ٣٢٦, ١٢ بكرة ميكروفيلم لمواد باللغة العربية وفى سنة ١٩٢٨ كان حجم المجموعات قد بلغ ٦٤١, ٠٠٠ مجلد وفى سنة ٢٠٠٤ م ارتفع هذا الرصيد ليبلغ قرابة ثلاثة أرباع المليون قطعة.

المكتبات العامة بالجزائر

يوجد فى الجزائر اليوم نحو ٥٦٠ مكتبة عامة تبلغ مجموعاتها أكثر من مليون مجلد. فقد حرصت الدولة منذ الاستقلال على إنشاء مكتبات عامة فى عواصم الولايات، تتبعها مكتبات عامة فرعية فى المدن والقرى الكبيرة. وهذه المكتبات هى أساسًا مكتبات بلديات تتبع الوالى (حاكم الولاية). ولعل أقدم وأكبر مكتبات المدن هناك مكتبة قسنطينة التى أفتتحت سنة ١٩٥١ وكان عدد الكتب بها سنة ١٩٦٦م حوالى ٢٥٠٠٠ مجلد ارتفعت سنة ١٩٧٦م إلى ١٨٢, ٦٨ مجلدًا واليوم تصل إلى نحو ١٠٠, ٩٠ مجلد كتب و٥٠ دورية جارية. وتدير المكتبة الوطنية أسطول سيارات إلى المكتبات المدرسية والمناطق المحرومة من الخدمة المكتبية.

المكتبات المدرسية بالجزائر

نصف المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية هى التى تتمتع بخدمة مكتبية سواء عن طريق مكتبات ثابتة قائمة فى تلك المدارس أو عن طريق ما تقدمه المكتبة الوطنية الجزائرية

لها حيث حرصت المكتبة الوطنية الجزائرية أن تقدم مجموعة أساسية من الكتب لبعض المدارس (٥٠٠ كتاب) إلى جانب سيارات الكتب التى تجوب المدارس لتعير كتبها للطلبة والمدرسين والإداريين طبقًا لجدول خاص. المجموعات فى مكتبات المدارس الثانوية تتراوح ما بين (٣٠٠٠-٥٠٠٠ مجلد) وفى المدارس المتوسطة (٢٠٠٠-٣٠٠٠ مجلد) وفى المدارس الابتدائية ما بين (٥٠٠-١٠٠٠ مجلد). والخدمة المكتبية فى مدارس الجزائر فقيرة ومتخلفة على وجه العموم.

المكتبات المتخصصة بالجزائر

فى سنة ٢٠٠٤م كان بالجزائر نحو ٥٠٠ مكتبة متخصصة ومركز توثيق، بعض تلك المكتبات متقدم للغاية وبعضها تقليدى. ويعتبر مركز التوثيق الجزائرى من أكثر مراكز التوثيق فى الوطن العربى تقدمًا. والمكتبات المتخصصة فى الجزائر تقع فى الفئات الآتية:

١- رئاسة الجمهورية.

٢- الهيئة التشريعية والهيئات القضائية.

٣- الوزارات والإدارات الحكومية.

٤- البنوك والشركات الصناعية.

٥- الشركات التجارية وإدارة الأعمال.

مهنة المكتبات فى الجزائر

بدأ الإعداد المهنى لأمناء المكتبات فى الجزائر ببرنامج تدريبى موسع تديره المديرية العامة للكتب والمكتبات والقراءة العامة التابعة لوزارة الثقافة. وهذا البرنامج التدريبى رسمى صدر به القرار رقم ٦٤/ ١٣٥ فى الرابع والعشرين من أبريل سنة ١٩٦٤ ويلتحق به الحاصلون على الثانوية العامة ويمتد هذا البرنامج الدراسى لمدة ١٢ شهرًا من المحاضرات النظرية والتطبيقات العملية. ويحصل الطالب بعدها على دبلوم مساعد باحث أو مساعد موثق.

وتوجد بالجزائر اليوم ثلاث مدارس (معاهد) لعلم المكتبات والمعلومات واحد بكل جامعة: معهد علوم المكتبات والتوثيق بجامعة الجزائر؛ معهد علوم المكتبات والمعلومات (الآن قسم) بجامعة قسنطينة؛ معهد علوم المكتبات والمعلومات بجامعة وهران. والمدارس الثلاث تقدم هذا التخصص على مستوى المرحلة الجامعية الأولى للحصول على الإجازة أى الليسانس كما تقدم هذا التخصص على مستوى الدراسات العليا. ويقبل للالتحاق بتلك المدارس الحاصلون على الثانوية العامة (البكالوريا). وهذه المعاهد تأسست فى ظل قانون تنظيم دراسات المكتبات والمعلومات (التوثيق) رقم ٧٥/ ٩٠، الصادر فى ٢٤ يولية سنة ١٩٧٥.

المصادر

1- Chait, R. Algeria.- **in**.- World Encyclopedia of Library and Information Services.- Chicago: A.L.A., 1993.

2- Nasri, Willian Z. Algeria, Librarie in.- **in**.- Encylopedia of Library and Information Science.- New York: Marcel Dekker, 1988- Vol. 1.

3- World Almanac and Book of Facts.- NewYork: World Almanac Book, 2005.

جزر الهند الغربية، المكتبات فى

West Indies, Libraries in

بالإضافة إلى المقالات المتفرقة عن دول بعينها فى جزر الهند الغربية والتى أتينا عليها هنا فى هذه الموسوعة مثل باربادوس، ترينداد وتوباجو، غُيانا فإن الأمر يقتضى نظرة فوقية طائرة حول الوضع المكتبى بصفة عامة فى مجموعة الجزر ككل على نحو ما فعلنا فى مناطق جغرافية بعينها تربط جزئياتها ملامح مشتركة عامة مثل آسيا، ومثل إفريقيا الناطقة بالإنجليزية وإفريقيا الناطقة بالفرنسية وكذلك أمريكا اللاتينية وهكذا. ففى السنوات الأخيرة عقدت مجموعة من المؤتمرات وحلقات البحث ونشرت مقالات وتقارير ووثائق

حكومية حول الوضع الجارى فى مجموعة الجزر وخاصة جزر الهند الغربية الناطقة بالإنجليزية وحيث تغير الوضع السياسى والاجتماعى والفكرى تغيرًا جذريًا.

وسوف تعالج هذه الدراسة الجوانب التاريخية والجوانب الاجتماعية والثقافية للجزر والتقاليد الفكرية لشعوبها باعتبارها الخلفية التى تعمل فيها الحركة المكتبية ثم نتقدم بعد ذلك إلى تطور الحركة المكتبية من كل جوانبها حتى نهاية القرن العشرين ونعرج على الببليوجرافيات الوطنية والنشاط الببليوجرافى بصفة عامة، وتعليم علم المكتبات والتجمع المهنى. وقد تجدر الإشارة إلى أن جزر الهند الغربية هى نفسها جزر الكاريبى والتى يربطها بحر يمتد من فلوريدا الأمريكية إلى فنزويلا فى أمريكا الجنوبية. وجزر الهند الغربية هو مصطلح سياسى بينما دول الكاريبى أو جزر الكاريبى هو مصطلح جغرافى.

فى اعتقادى كرحالة ليس هناك أروع ولا أمتع ولا أروح للنفس من منظر مجموعة متتابعة من الجزر المتناثرة فى خضرة ممتدة ملألئة ومياه زرقاء صافية فى بحر الكاريبى. وحيث تشاهد أيضًا من نافذة الطائرة بلاجات الرمال الناعمة البيضاء وقرى الصيادين، ودساكر الفلاحين الصغيرة المنتشرة على سطوح الجبال المخضرة المتدرجة، جزر مسطحة منبسطة وكثافة سكانية عالية. قطع من الأرض مكسوة بنباتات استوائية مورقة، براكين تكسو فوهاتها تشكيلات عجيبة من السحب وأمطار فجائية ترحب بك ورياح تعانق النخيل الذى يتمايل معها أبد الدهر، ورياح تطير بتلات زهور البونسيانا الملكية. هذه الجزر جميعًا تشكل أرخبيلا يعرف باسم (جزر الهند الغربية) الواقعة بين أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية ويغطى مساحة قدرها ٢٥٠٠ ميل من فلوريدا الولايات المتحدة إلى فنزويلا أمريكا الجنوبية. وتعرف هذه المنطقة أيضًا باسم جزر الأنتيل. وهذه المنطقة يمكن تقسيمها إلى ثلاث كتل:

١- جزر البهاما.

٢- جزر الأنتيل الكبير (كوبا، جامايكا، هايتى، جمهورية الدومنيكان، بورتوريكو).

٣- جزر الأنتيل الصغير (جزر ضد الرياح، جزر مع الرياح، باربادوس، ترينيداد وتوباجو ومجموعة الجزر الهولندية والفنزويلية).

وباستثناء: كوبا، بورتوريكو، هايتى، البهاما، جمهورية الدومنيكان، جامايكا، بربادوس، غيانا، ترينيداد وتوباجو، جرينادا فإن بقية الجزر ما تزال مستعمرات بريطانية، فرنسية، هولندية، ولايات متحدة؛ فنزويلية.

التطورات التاريخية والاجتماعية والسياسية فى جزر الهند الغربية

كان اكتشاف أمريكا ١٤٩٢م، وحدوث أول استيطان أبيض فى هسبانيولا (هايتى والدومنيكان) سنة ١٤٩٦م وما تبع ذلك من هجرات متلاحقة من أوربا وإقامة المستوطنات البيضاء خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، مدعاة إلى التدمير الكامل تقريبًا للسكان الأصليين وخاصة الأراواك والكاريب. وعلى مدى ثلاثة قرون جاء الرقيق الزنوج أفواجًا متلاحقة كثيفة من إفريقيا وبعد ذلك جاءت وفود المهاجرين الطوعيين من الهند وإفريقيا والصين وسوريا وأوربا ومناطق أخرى فى العالم وكونوا مجتمعًا متعدد الجنسيات ذا خصائص وأنماط اجتماعية وسياسية جديدة تحت شعار (جنسيات متعددة وطن واحد). وكان الصراع على احتلال تلك المناطق قد احتدم بين هولندا، وأسبانيا وفرنسا وانجلترا وقد كتب النصر النهائى فى هذا الصراع بطبيعة الحال لانجلترا ليس هنا فقط وإنما أيضًا فى أمريكا الشمالية. وظل النفوذ الإنجليزى مسيطرًا ولم تستطع بعض تلك الجزر الاستقلال إلا فى ستينات القرن العشرين. وما تزال جزر كثيرة تحت السيطرة البريطانية وما يزال النفوذ والتأثير الإنجليزى واضحًا فى كل مكان فى الأرخبيل. وتمثل جزر الكومنولث الإنجليزى ٣/٤ جزر الهند الغربية وباستثناء هايتى فإن دول الكومنولث البريطانى هنا تضم ٢/٣ السكان فى كل الأرخبيل.

وبصرف النظر عن اختلافات الأصل واللغة والكثافة السكانية والمصادر الطبيعية ومساحة الجزيرة والمناخ والتنظيم السياسى، فإن ثمة ثقافة سائدة فى كل الجزر، وهى ثقافة المجتمعات الزراعية. لقد نبتت هذه الثقافة الكريولية المبنية على الاختلافات النبيلة التى قد لا تظهر للغريب بين عناصر المجتمعات هناك. بالنسبة للرحالة الزائرين من أمثالى

يبدو التجانس واحدًا ظاهرًا ولكن بالنسبة للعين الخبيرة الفاحصة تظهر هناك خصائص وفروق فردية. وقد استطاع علماء الإنسان وعلماء الاجتماع أن يحصروا أكثر من خمسين مجتمعًا فى تلك الجزر ذات خصائص عرقية وفيزيقية دقيقة وفارقة. والفروق فى البنية الاجتماعية يمكن إدراكها عن طريق الماضى الفرنسى والأسبانى فى ترينيداد وتوباجو إلى جانب وجود الهنود الشرقيين فى تلك الجزر؛ على ضوء التناقض التام للتاريخ البريطانى فى باربادوس. وبينما معظم مجتمعات العالم لها لغة وتقاليد خاصة بها إلا أن ذلك لا يصدق على جزر الهند الغربية:

لقد سرق الرقيق والعبيد السابقون من لغتهم وجردوا بالقوة من عادات الزواج السائدة لديهم بل وجردوا من كل خلفيتهم وسياقهم الاجتماعى. لقد أصبحوا فقط على احتكاك بمياه خلفية مأخوذة من معين الثقافة الأوربية... لقد حرم عليهم تقريبًا الزواج والتعليم وكانت التداعيات غريبة، ذلك أنه عندما تم تحرير العبيد لم يجد هؤلاء العبيد المحررون لهم هوية أو خاصية؛ ولم يجدوا لأنفسهم مهربًا من الفقر والجهل إلا أن يتشبهوا بالأوربيين.

ولم تزل جزر الهند الغربية اليوم تعكس شيئًا من الماضى الاستعماري؛ وإن كان التحول من مجتمع مبنى على اقتصاد الزراعة وخاصة قصب السكر إلى مجتمع الاقتصاد المبنى على الصناعات الصغيرة قد هز البنية الاجتماعية فى هذا الجزء من العالم.

ولقد تسببت المشكلات التاريخية والنفسية التى أفرزتها تلك الخلفية فى عدم وجود إطار ناجح للوحدة الاقتصادية أو الجغرافية. ومن الأمثلة على ذلك تكوين البعثة الأنجلو أمريكية الكاريبية فى مارس ١٩٤٢ وهى هيئة استشارية تكونت لدراسة وإنقاذ اقتصاد المنطقة المتداعى وقد اقتصرت هذه الهيئة على المستعمرات البريطانية الأمريكية فقط دون الأخريات ولم تضم المستعمرات الفرنسية والهولندية إلا سنة ١٩٤٥. ولذلك تغير اسم البعثة فى تلك السنة إلى (بعثة الكاريبي). بل إن هذه الهيئة نفسها التى كانت معنية كذلك بالصحة والتعليم والخدمة الاجتماعية إلى جانب الاقتصاد، قد تم حلها سنة

١٩٦٥ (فى ٣١ ديسمبر). ومثال آخر نجده فى اتحاد جزر الهند الغربية الذى قام سنة ١٩٥٨م واتخذ من بورت – أوف – سبين فى ترينيداد مقرًا لحكومته. هذا الاتحاد ضم جامايكا التى تبلغ نصف مساحة وسكان الجزر كلها إلى جانب كل من: جزر ليوارد أنتجويللا (مع الريح)، وجزر ويندوارد الدومنيكان (ضد الريح)، سانت كتس، نيفيس، مونتسيرات، أنتجوا، سانت لوتشيا، سانت فنسنت، جرينادا، باربادوس، ترينيداد وتوباجو ولكن للأسف لم يدم هذا الاتحاد لأكثر من أربع سنوات حيث حل سنة ١٩٦٢ عندما استقلت كل من جامايكا وترينيداد وتوباجو وانضمت إلى الكومنولث البريطانى. وقد لحقت بها باربادوس غيانا (غيانا البريطانية سابقًا) سنة ١٩٦٦. وقد نالت جزر البهاما استقلالها التام سنة ١٩٧٣ وجرينادا سنة ١٩٧٤ وفى نهاية الثمانينات كانت جزر دومنيكا وسانت لوتشيا وسانت كيتس – نيفيس تتفاوض من أجل الاستقلال التام أيضًا.

لقد قاد السياسيون من أمثال لويس مونوز مارتين فى بورتوريكو وإريك ويليامز فى ترينيداد وتوباجو حركات سياسية شعبية أدت فى النهاية إلى قيام حكومة حرة مستقلة مستقرة. كذلك اتخذت دول مثل باربادوس وغيانا وجامايكا على وجه الخصوص فى ظل حكومة مايكل مانلى الديمقراطية الشعبية خطوات هامة فى سبيل السيطرة على زمام الأمور وضبط النفوذ الأجنبى والبنوك الأجنبية بل واتجهت نحو السيطرة على نظام التعليم الوطنى وخاصة المدارس التابعة للكنائس. لقد تم استقطاب كثير من دول جزر الهند الغربية عن طريق تيارات سياسية تحتية قوية. لقد أسفر التحرير من الاستعمار فى بعض الأحيان عن رؤى وتوقعات غير محددة بل ومهزوزة. ولقد أسفرت وسائل الاتصال الحديثة وعلى رأسها الأقمار الصناعية والإلكترونيات عن خلق قرية كونية أصبح كل مجتمع فيها واعيًا تمامًا بما يحدث حوله وما يحدث من أنماط الحياة فى المجتمعات ما بعد الصناعية. لقد ساعد التليفزيون بصفة خاصة على خلق احتياجات جديدة لدى الناس. ولقد خلقت المشاهدة الدائمة لمستوى معيشة معين مقارنًا بمستوى معيشة آخر نوعًا من القلق وعدم الرضا العالمى. وإلى جانب حالة الفقر وعدم العدالة ورفض الظروف كان

لابد من حدوث تغييرات سياسية واجتماعية – اقتصادية فى دول مثل كوبا وأن يمتد أثرها على كل الكاريبى وكل دول أمريكا اللاتينية.

وثمة مشكلة حادة أخرى موجودة فى جزر الهند الغربية وهى ما تعرف باسم (استنزاف العقول) أى عدم قدرة البلاد على امتصاص أو الإفادة القصوى من القوى العاملة هناك. ومن المحبط حقيقة أن يحصل أحد المكتبيين المواطنين على درجة الماجستير أو الدكتوراه من الخارج ويعود فلا يجد عملاً مناسبًا أو يجد أن شهادته هذه لا تتوافق مع احتياجات البلد.

وفى ظل هذا الإطار من القلق السياسى الدائم والتوق إلى العدالة والحراك الاجتماعى تصبح المكتبات مجرد إجراء لحسابات سياسية وإجراء عقائدى فى نفس الوقت. وعلى الرغم من أن بعض المؤرخين وصفوا المكتبات على أنها مؤسسات تخلقها الحاجة إلى المشاركة الديمقراطية فى حياة الأمة والحاجة إلى النمو الفكرى الشخصى وتتبع المعرفة فإن هذا التوصيف لا ينطبق على المكتبات فى معظم الدول النامية.

إن الإيمان والوعى بدور التكنولوجيا فى تحسين مستوى المعيشة قد خلق بالضرورة الحاجة إلى نقل المعلومات من مكان إلى آخر عبر نظم الاتصالات السريعة. ولقد آمن القادة السياسيون فى جزر الهند الغربية لحسن الحظ بأهمية شبكات المعلومات المركزية المنظمة. ومع ذلك فإن كثير من الحاجات المعلوماتية يمكن ترجمتها إلى أولويات سياسية واقتصادية فريدة وفى البقاء فى السلطة ولكنها لم تترجم بالضرورة إلى حاجات ضرورية لحياة الشعوب ونظم التعليم للجموع الجائعة المتعطشة لهذا التعليم. ولكن من حسن الحظ أن ظهور عدد كبير من المكتبيين وأخصائيى المعلومات الشباب فى حياة المجتمعات فى جزر الهند الغربية قد بدأ يعدل مسار الدفة وأخذ فى إصلاح الوضع وساعد على وضع جميع أنواع المعلومات فى جميع مسارات الحياة وعلى كل مستوى فى المجتمع هناك. لقد بدأت المكتبات فى جزر الهند الغربية تلعب دورًا هامًا فى الحفاظ على التراث الفكرى المتنوع والمعقد ونقل المعلومات وتسهيل الوصول إليها على كافة المستويات.

الناس والتقاليد الفكرية فى جزر الهند الغربية

إن بعض مقتطفات من كتب التاريخ والاجتماع والسياسة والاقتصادية يمكنها مجتمعة أن تعطى صورة عن الأسس الفكرية التى يقوم عليها مجتمع جزر الهند الغربية:

إن ما يجعل للمرء أهمية هو أنه ينحدر من عدة أصول ثقافية وردت على الجزر عبر أربع موجات من الهجرات المتلاحقة... الموجة الغربية تمثل الإدارة والتنظيم؛ الموجة الآسيوية تمثل الفلسفة والحكمة؛ الموجة الإفريقية تمثل الفن؛ الموجة الأسبانية تمثل العلم. إن الخلفية الاجتماعية تشبه أجمة أو دغلا تخرج منه بغير نظام الآلهة الخرافية والجهل؛ الرجل الضعيف ينحنى والرجل القوى يثور والنبل الداخلى للإنسان هو وسيلته للاستمرار فى الحياة.

إن هذه الفقرة إنما تعبر حقيقة عن الإنسان الهندى الغربى: خليط من الناس من إفريقيا وأوربا وآسيا. العبيد القادمون من إفريقيا؛ والعمال المتعاقد معهم من الهند (وخاصة المسيحيون من الهنود الشرقيين؛ والمستوطنون الأوربيون، أصبحوا جميعًا جنسًا مندمجًا (هندى غربى) ويتحدثون من خلال تقاليد فكرية واحدة. لقد استمد كل عرق من أصوله وأسلافه شيئًا يسد به احتياجات الحياة فى الجزر، ومن خلال حياتهم وتاريخهم الاستيطانى (فترة المستعمرات) أضافوا مفاهيم جديدة إلى ما جاءوا به. لقد بنوا نظمًا اجتماعية، طوروا لهجة خاصة بهم وطوروا بنية عائلية فريدة وأخلاقًا ومفاهيم أخلاقية خاصة. ورغم قانون تحرير العبيد سنة ١٨٣٣ عندما أصبح التعليم حقًا مقررًا لكل المواطنين فى جزر الهند الغربية فإن:

"البنية الاجتماعية فى الجزر بقيت ساكنة حتى تسعينات القرن التاسع عشر. وفى ذلك العقد دخل المجتمع فى أول عملية لإعادة بنائه فقد أخذ المزارعون البيض بدون دعم عمالة العبيد فى مغادرة الجزر، وغدا حكم الأغلبية السوداء وشيك الحدوث ولم يستطع أولئك البيض بصرف النظر عن الاعتبارات الاقتصادية مواجهة الحياة فى مجتمع المساواة مع السود ولذلك رحلوا إلى قارة أوربا. ومن بقى منهم تحولوا إلى التجارة أو الوظائف

الحكومية إلى جانب المتعلمين الكروليين. وهؤلاء الذين بقوا فى الجزر، أصبحت الجزر بيتهم ووطنهم ونما لديهم شعور بالوطنية والانتماء".

ولقد شهد القرن العشرون وعيًا تاريخيًا وثقافيًا بين الفنانين فى العديد من جزر الهند الغربية وعلى الرغم من أن صوت الأرض على لسان شعرائها وكتابها – القوى الفكرية المحركة الأولى – كان موجودًا منذ القرن التاسع عشر إلا أن التأثيرات المرجوة لم تحدث إلا مع مطالع القرن العشرين. ذلك أن تأثير تلك الصفوة بين المفكرين لم يكن ليحدث أثره فى ظل نسبة أمية عالية ومستويات متدنية من التعليم، وفى ظل مستوى اقتصادى متدهور وفى ظل قلق سياسى، وفى نهاية الثلاثينات والأربعينات من القرن العشرين هاجر كتاب جزر الهند الغربية بسبب ندرة دور النشر فى البلاد وعدم وجود قاعدة قرائية وانخفاض المستوى الفكرى العام كما وصفت الحالة فى الفقرة التالية:

"قراءة الكتب خارج المدارس ليس سلوكًا عامًا فى جزر الهند الغربية فليس لدى الناس وقت فراغ ينفقونه فى القراءة لغير الصحف اليومية... كما أن هناك لا مبالاة عامة إزاء الكتب على اعتقاد أنها لا هى ممتعة ولا هى نافعة. لقد نظر إليها على أنها أسوأ ما فى المدرسة، يجب أن يتم تعلمه وبعد كل تلك المعاناة ليست ثمة علاقة بينها وبين حياة الفرد وميوله. إنها أشياء لا فائدة منها بمجرد أن يترك الفرد المدرسة ويدخل معترك الحياة ليكسب عيشه ويواجه الحياة العملية".

لقد كان هناك دائمًا اتجاه نحو المواءمة بين المستوى التعليمى والمستوى الثقافى فى المؤسسات الفكرية الجديدة للأمة؛ تلك المؤسسات التى اعتبرت أدوات أساسية لتقدم الأمة، إلى جانب القيم والأشكال الثقافية الأخرى للتعبير كالموسيقى والمواد البصرية والمشافهة. هذه الأدوات رغم أننا نسيناها إنما تشكل العمود الفقرى للشعب وانعكاس أصالته وتمثل أهم رابطة له بالماضى. وهى تكشف يقينًا عن أن التطور الفكرى ليس من الضرورى أن يواكب التقدم الصناعى والذى يحاول كثير من مؤرخى الثقافة أن يقنعونا به ويحملونا على الاعتقاد فيه. ذلك أن تطور الثقافة إنما هو ظاهرة تحدث من خلال عدة

مستويات للتركيبة الاجتماعية، وتشكل نفسها من خلالها. إن الطريقة التى نرى بها ثقافتنا هى فى حقيقة الأمر جزء من ثقافتنا. ومن هذه الزاوية تحدث كثير من مثقفى جزر الهند الغربية ومن بينهم كبار الساسة المفكرون مثل إيريك وليامز من ترينيداد وتوباجو، مايكل مانلى من جامايكا، تحدثوا عن عالمهم بمشاعر عميقة وثراء فكرى منقطع النظير. إن الأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية التى تجرى الآن فى جزر الهند الغربية، إلى جانب الالتزام القوى إزاء حفظ وتنظيم وبث التراث الفكرى تركت بالضرورة آثارها واضحة جلية على منظومة المكتبات ومراكز المعلومات فى الحال والاستقبال على جزر الهند الغربية.

التطورات المكتبية فى جزر الهند الغربية من البداية حتى نهاية القرن العشرين.

من المؤكد أنه مع بداية الاستيطان فى جزر الهند الغربية كانت هناك بالضرورة مجموعات من الكتب والمخطوطات والأرشيفات محفوظة فى مكان ما وإن لم تكن بالضرورة منظمة مرتبة بدقة. وكانت هذه المجموعات مملوكة فى الأعم الأغلب لملاك الأراضى والكنائس والقلة القليلة من الجمعيات العلمية والمؤسسات التعليمية والمكاتب الحكومية ودور المحاكم والقضاء. وتذكر المصادر الثقاة أن مكتبات الفترة الاستيطانية كانت مدعومة من صناديق خاصة وللاستخدام المطلق من جانب القلة المتعلمة. ومن المتفق عليه أن التعليم العام للجموع كان أمرًا مرفوضًا ومتناقضًا مع نظام اجتماعى قائم على تسخير العبيد فى العمل وظل هذا الوضع قائمًا حتى ١٨٣٣ عندما أقر مجلس العموم البريطانى قانونًا يقضى بتحرير العبيد فى المستعمرات البريطانية. فى ذلك الوقت بدأ نظام التعليم فى جزر الهند الغربية وخاصة على مستوى المرحلة الابتدائية. ولم يدخل التعليم الإلزامى الإجبارى إلى المنطقة إلا فى وقت متأخر. ومن الطبيعى جدًا أن يتأثر وجود المكتبات بإهمال التعليم فى تلك القرون.

فى سنة ١٧٧٧م أسست جمعية أدبية فى بريدجتاون فى باربادوس وكان لديها مكتبة اشتراكات. ومن الثابت تاريخيًا كما ذكرنا فى دراسة سابقة أنه كانت هناك مكتبة تجارية فى

كنجستون فى جامايكا كان يديرها شخص يدعى وليام أيكهان سنة ١٧٨٠م. وفى سنة ١٧٨٩م قامت "جمعية كنجستون الطبية" بتأسيس مكتبة خاصة بها. وبعد هذا التاريخ بقليل قام عدد آخر من الجمعيات والنوادى والأفراد بإنشاء المزيد من مكتبات الاشتراكات فى جامايكا. وعلى الرغم من أن مكتبات الاشتراكات كانت تخدم أعدادًا محدودة من المستفيدين إلا أنها يقينًا كانت هى السلف الذى مهد الطريق للمكتبات العامة فى جزر الهند الغربية بالمعنى الحديث المعروف لدينا الآن للمكتبات العامة. ولقد فرضت حقائق الوضع الاقتصادى هناك أنه حتى المكتبات العامة المدعومة من مؤسسة كارنيجى كان عليها كى تستمر فى أداء رسالتها أن تعتمد على تشكيلة من الدخول والتمويل: تمويل من الحكومة، تمويل محلى من الأبرشيات، رسوم الاشتراكات وأيضًا تبرعات المتطوعين.

يرجع تاريخ تنظيم المكتبات فى باربادوس مثلاً إلى إقرار قانون المكتبة العامة هناك فى ٢١ من أكتوبر سنة ١٨٤٧ . هذا التشريع القانونى الذى بمقتضاه أنشئت مكتبة عامة فى بريدجتاون يقدم دليلاً حيًا على أن المكتبة كانت تفتح أبوابها لكل المقيمين على أرض الجزيرة وأن مجموعاتها لم تقتصر فقط على الكتب والصحف ولكنها ضمت متحفًا للمواد الطبيعية والعلمية والقطع الفنية على غرار ما كانت عليه مكتبة المتحف البريطانى. ومن جهة ثانية وضع حجر أساس مكتبة كارنيجى الحرة (المجانية) الموجودة اليوم فى ١٥ من سبتمبر ١٩٠٤ وافتتحت رسميًا فى ٢٦ يناير ١٩٠٦. وكانت باربادوس أول مستعمرة بريطانية تحظى بمنحة من مؤسسة كارنيجى. وبعد ذلك التاريخ مباشرة أنشئت مكتبات كارنيجى فرعية صغيرة للمكتبة الأم وضع بعضها فى مكاتب البريد.

وفى ترينيداد كانت أول مكتبة اشتراكات قد قامت فى بورت – أوف – سبين سنة ١٨٥١م وقدمت قاعة مطالعة حرة. وفى جامايكا قامت عدة مكتبات اشتراكات هناك اعتبارًا من ١٨٧٤م عندما أسست مكتبة عامة نتيجة إدماج مقتنيات عدد من المكتبات الحكومية معًا على نحو ما شرحناه فى حينه عند حديثنا عن جامايكا فى هذا المجلد. وهذه المجموعة نفسها هى التى أصبحت نواة مكتبة بحثية فى معهد جامايكا، أعظم مراكز جامايكا الثقافية والذى أسس كما أسلفت سنة ١٨٧٩ والذى كان من نشاطه المكتبى:

"يحق لأعضاء الجمعيات فى عموم الجزيرة أن يستعيروا الكتب بدون مقابل؛ كما أن النوادى من حقها أن تتلقى صناديق من الكتب، كما كانت هناك خدمة مكتبية وإعارة كتب بالبريد. وعلى عكس كل مكتبات الاشتراكات الأخرى فى المنطقة كان هذا المعهد مدعومًا ماليًا بقوة من جانب الحكومة. وفى سنة ١٩٤٠م أنشئت أول مكتبة عامة للأطفال فى جامايكا كمركز منفصل عن مكتبة الكبار داخل إطار المعهد. وخارج العاصمة كنجستون قامت مكتبات قليلة ذات مجموعات صغيرة عشوائية غالبًا تم تجميعها من خلال الهدايا ومن خلال المتطوعين المحليين وذلك فى أربعينات القرن العشرين.

ومن التطورات الهامة المكتبية فى ترينداد، إنشاء مكتبة مركزية سنة ١٩٤١م كنقطة محورية فى شبكة أو منظومة مكتبات وقد بسطت الحكومة سيطرتها عليها سنة ١٩٤٥. وفى سنة ١٩٤٨م انضمت مكتبة توباجو العامة إلى المكتبة المركزية كمكتبة أو فرع إقليمى لها.

وعندما نتصدى لمسح التطور المكتبى فى غيانا سنجد صورة مختلفة نسبيًا، ذلك أن غيانا قد ارتبطت بعلاقات ثقافية أقوى مع جزر الكاريبى وبريطانيا العظمى أقوى من العلاقات مع جيرانها فى أمريكا الجنوبية. ولذلك فإن معظم المكتبات التى أنشئت فى غيانا قامت أساسًا حول العاصمة جورجتاون والتى لا يسكنها إلا ربع سكان الجزيرة فقط. وقامت هناك أول مكتبة عامة حرة (مجانية) سنة ١٩٠٩م بمنحة من مؤسسة كارنيجي؛ وفى سنة ١٩٥٠م بدأت تلك المكتبة تقدم خدماتها خارج العاصمة. ومن خلال قانون ١٩٧٢م تم تنقيح قانون المكتبة العامة الحرة للنص على إنشاء مكتبة وطنية وهى الأولى من نوعها فى كل جزر الهند الغربية الناطقة بالإنجليزية، وقد شكلت لهذا الغرض "لجنة أوصياء المكتبة العامة". ورغم أن هذه اللجنة مستقلة بذاتها إلا أنها مسئولة أمام وزارة المعلومات والثقافة التى تستمد منها ميزانيتها ومخصصاتها المالية. واليوم تقوم المكتبة الوطنية فى غيانا بدور مزدوج كمكتبة وطنية ومكتبة عامة. وهناك

مكتبات أخرى هامة فى غيانا مثل مكتبة جامعة غيانا ومكتبة جون فيتزجيرالد كيندى التابعة لوكالة الولايات المتحدة الدولية للاتصالات، ومكتبة المجلس البريطانى هناك.

ومن الجدير بالذكر فى هذا السياق التاريخى أن المكتبات العامة فى جزر الهند الغربية كانت تخدم المواطنين من كل الأعمار والمستويات التعليمية وفى حالة الإمكانية تقدم خدماتها للمدارس الابتدائية فى المناطق الحضرية والريفية على السواء. وكذلك يجدر الذكر هنا أن كبرى المكتبات العامة فى جزر الهند الغربية كانت تقوم أحيانًا بوظيفة المكتبة الوطنية من جمع وحفظ وتنظيم وتيسير الإفادة من الإنتاج الفكرى الوطنى وعن الوطن. كما تقوم بوظائف الإعارة البينية، وتقوم بدور المركز الببليوجرافى والأرشيفى للدولة ومركز تدريب وإعداد أمناء المكتبات. وهو نمط من الأعمال المكتبية قل وجوده فى الدول النامية.

المكتبات فى جزر الهند الغربية قبل وبعد تقرير سافدج

من الطبيعى فى منطقة يسودها الحكم البريطانى أن تتأثر المكتبات فى جزر الهند الغربية ـ باستثناء الجزر الهولندية والأسبانية والفرنسية – بنمط المكتبات البريطانية تحت وطأة التقاليد والمؤسسات وأهم من هذا وذاك المساعدات المالية الاقتصادية. وليس هناك آى دليل أو قرينة على أن المكتبات العامة هناك فى القرن التاسع عشر كان لها أى تأثير على تغيير الوضع الاجتماعى أو تعبئة الناس أو دعم نظام التعليم الذى لم يتخط فى الأعم الأغلب المرحلة الابتدائية. وتذكر المصادر أن إنشاء أول مكتبة عامة فى سانت جورج عاصمة جرينادا سنة ١٨٤٦م لم يحدث أى تأثير فى نظام التعليم هناك فى الجزيرة على نحو ما أشار إليه "تقرير خاص عن الموضوعات التعليمية" الذى نشر فى لندن سنة ١٩٠٥. ولم يشر التقرير إلى استخدام التلاميذ للمكتبات العامة، ولا نصادف مثل تلك الإشارة إلا فى قرار صدر سنة ١٩٣٤م وهو قرار خاص يسمح للتلاميذ باستخدام مجموعات وخدمات المكتبات العامة فى جرينادا باشتراك سنوى مقداره شلنان.

لقد دق تقرير سافدج سنة ١٩٣٤م ناقوس الاستيقاظ ونوبة الصيحان حول المكتبات فى جزر الهند الغربية ورغم أنه ركز على جزر الهند الغربية المتحدثة بالإنجليزية إلا أنه كان له صداه فى جزر اللغة الفرنسية والأسبانية والهولندية. وقصة هذا التقرير ترجع إلى سنة ١٩٣٣ حين كلفت مؤسسة كارينجى فى نيويورك إرنست سافدج، أمين مكتبة إدنبرة كارنيجى العامة فى بريطانيا بدراسة الوضع المكتبى فى جزر الهند الغربية من ممتلكات بريطانيا والولايات المتحدة وهى آنذاك: برمودا، جزر البهاما، جزر الهند الغربية البريطانية، غيانا البريطانية، هندوراس البريطانية، بورتوريكو والجزر العذراء الأمريكية. وفى هذا التقرير الذى يعتبر أول دراسة منهجية منظمة للأوضاع المكتبية فى تلك المنطقة من العالم قدم الرجل العديد من المقترحات أهمها:

١- إنشاء شبكة مكتبات عامة إقليمية مجانية لخدمة الاحتياجات الثقافية والمهنية.

٢- تحصيل مبالغ مالية كافية بنسب محددة من الحكومات المختلفة فى المنطقة لتمويل قيام وإدارة وتشغيل الشبكة.

٣- تدبير العدد الكافى اللازم من أمناء المكتبات المؤهلين للعمل فى الشبكة وإدارتها.

٤- تكوين المجموعات المناسبة لوحدات الشبكة بما فى ذلك أدوات العمل اللازمة لأمناء المكتبات.

٥- إدارة مكتبات الشبكة كوحدة واحدة فى كل الجزر أو تجزيئها إلى عدة وحدات إقليمية على حسب التقسيم الإدارى الذى كان سائدًا.

وقد وضع الخبير التفاصيل الكاملة للتنفيذ فى تقريره ولكنه لاحظ شيئًا غريبًا هو خلو كافة التقارير السنوية والحكومية التى تصف التطورات الاقتصادية والاجتماعية فى مختلف الجزر من كلمة "مكتبات" كأنها لم تكن قائمة أو بالأحرى ليس لها دور فى التطور الاقتصادى والاجتماعى هناك. وقد ضرب الرجل مثلاً ساخرًا بتقرير ١٩٣١/ ١٩٣٢م لحكومة باربادوس الذى ذكر "المدارس والنقابات، جمعية الفنون والحرف.. جيش الإنقاذ.. دور السينما والتنس.. أما المكتبات المدعومة من المال العام فلا إذ نسيت

بالكامل". كما وجد الرجل على حسب تعبيره مجاعة أو ندرة فى أمناء المكتبات المؤهلين وندرة فى الإنتاج الفكرى المتخصص كما لاحظ اختفاء التعاون بين المكتبات. وقد أدت مقترحاته بإنشاء شبكة مكتبات موحدة (الاقتراح الخامس) على نطاق المنطقة كلها إلى إنشاء المكتبة المركزية فى ترينيداد بدعم مالى من مؤسسة كارنيجى قدره سبعون ألف دولار. ونفس هذا البرنامج – نظام مكتبات مقاطعات حديث – نفذ بعد عدة سنوات فى كل جزر الكاريبى الشرقية.

لقد بدأ تنفيذ خطة مكتبة ترينيداد المركزية سنة ١٩٤١ تحت إشراف خبيرة المكتبات الكندية الدكتورة هيلين جوردون ستيوارت. وكان مقر المشروع فى سبورت – أوف – سبين مع معونة إضافية من مؤسسة كارنيجى والمجلس البريطانى. وقد بدأت الدكتورة هيلين مشروعها بمجموعة من "المكتبات المسافرة" الريفية عبر ترينيداد وتوباجو ثم انطلقت بعد ذلك إلى الجزر المجاورة لها. وقامت بشراء مجموعات وفيرة من المواد المكتبية كانت المنطقة فى مسيس الحاجة إليها كما قامت بإعداد دورات تدريبية مكثفة ومطولة تؤدى إلى الحصول على شهادة. وفى سنة ١٩٤٥م كما أشرت سابقًا وضع مشروع المكتبة المركزية تحت إشراف وإدارة حكومة المستعمرة بعد أن انتهى دور الدكتورة هيلين ستيوارت، وأدير المشروع من الدور الأرضى فى بناية هوايتهول فى بورت – أوف – سبين.

وفى نفس سنة ١٩٤٥م حدث تطور جديد وهام بفضل المنح الإضافية من المجلس البريطانى وجماعة التنمية والخدمة الاجتماعية فى المستعمرة حيث قامت شبكة مكتبات تعاونية إقليمية منبثقة مباشرة من المكتبة المركزية تحت اسم (مكتبة جزر الكاريبى الشرقية الإقليمية) بدأت خدماتها المكتبية بالريف فى ترينيداد وتوباجو ثم امتدت خدماتها بعد ذلك إلى الجزر الأخرى. ولكن لاحظ الخبراء أن تلك الجهود كانت مبعثرة ولا تربطها وحدة واحدة أو طابع معين ولم تقم المكتبة الإقليمية بدور النقطة المحورية فى الشبكة وإنما كانت تعمل بمفردها مستقلة عن باقى وحدات الشبكة وكمجرد عنصر مساعد فقط. وفى سنة ١٩٤٨م وسعت (مكتبة جزر الكاريبى الشرقية الإقليمية) نشاطها فأسست فى

تلك السنة (مدرسة علم المكتبات) وقد أشرف اتحاد المكتبات البريطانية على برنامج المدرسة وكان أساسًا يشتمل على جزء تعليم بالمراسلة ثم ثلاثة شهور محاضرات مباشرة ثم فترة تدريب أثناء الخدمة. وفى خلال ستينات القرن العشرين كانت المكتبة المركزية تدير شبكة ناجحة من المكتبات الفرعية وعدد من "مجموعات إيداع" أو ما يسمى بـ "مراكز الكتب"، إلى جانب مجموعة من سيارات الكتب. ومن الطريف أن المكونات القديمة فى شبكة المكتبات العامة فى ترينيداد وتوباجو ما تزال قائمة حتى اليوم فى نهاية القرن العشرين ومطلع القرن الواحد والعشرين وهى: مكتبة ترينيداد العامة التى كانت قد أسست سنة ١٨٥١م، مكتبة كارنيجى العامة فى سان فيرناندو والتى كانت قد افتتحت ١٩١٩م، والمكتبة المركزية التى كانت قد أسست سنة ١٩٤١م.

وفى الوقت الذى وسعت فيه (مكتبة جزر الكاريبى الشرقية الإقليمية) خدماتها إلى مجموعة من الجزر، كانت جامايكا تطور شبكتها الخاصة بها والتى قامت بالدرجة الأولى على مكتبات اشتراكات أبرشية مستقلة وشبه مستقلة يديرها متطوعون محليون "يربطهم شعور قوى بالولاء والطموح الوطنى والذى لا نصادفه فى أى منطقة أخرى". وكما أشرت فى الدراسة الخاصة بالمكتبات فى جامايكا فى نفس هذا المجلد من دائرة المعارف قامت حكومة جامايكا إدراكًا منها لهذا الشعور الفذ بانتداب الآنسة نورا بيتسون خبيرة المكتبات الكندية لوضع خطة جديدة لتطوير المكتبات فى جامايكا وهى المعروفة باسم (خطة مكتبات جامايكا) والتى قدمتها سنة ١٩٤٥، والتى دعت إلى إنشاء شبكة مستفيضة للمكتبات هناك يكون مقر إدارتها فى كنجستون؛ وقد بدأ تنفيذ تلك الخطة فى مايو ١٩٤٨، بدعم متواصل من الحكومة والمجلس البريطانى وقد ساعدت هذه الخطة على قيام شبكة مكتبات تعاونية موحدة من كل المكتبات العامة القائمة وإنشاء مكتبات أبرشيات فى المدن العواصم الثلاث عشرة. وإلى جانب ذلك قامت كل مكتبة فى عاصمة الأبرشية بإنشاء وإدارة عدد من المكتبات الفرعية ومحطات كتب (مراكز كتب) وتقديم خدمات مكتبية (إعارة كتب أساسًا) مجانية بالبريد. وفى بداية الستينات دعت الحاجة إلى اللامركزية إلى تقسيم جامايكا إلى أربع مناطق مكتبية كل منها تضم ثلاثًا أو أربعًا من

المكتبات الأبرشية وحيث حددت أحسنها وأكبرها كمقر لإدارة القطاع الإقليمى. وتذكر المصادر أن شبكة مكتبات جامايكا تعتبر ظاهرة فريدة من نوعها فى الكاريبي؛ ذلك أن الشبكة منذ قامت سنة ١٩٤٨ وهى تقوم بالعمليات الفنية مركزيًا، كما تحتفظ بفهرس موحد لكل المكتبات كما تشرف على توزيع المواد المكتبية على مكتبات الشبكة. كما تقوم مكتبات الأبرشيات فى المدن العواصم بالإشراف على ما دونها من مكتبات من خلال المجالس واللجان والموظفين والتمويل. وقد شهد النصف الأول من القرن العشرين فى جامايكا إنشاء المزيد من مكتبات الاشتراكات رغم أن بعضها لم يعمر طويلاً.

التطورات المكتبية الجارية فى جزر الهند الغربية

قام المجلس البريطانى للمرة الثانية بإجراء دراسة مسحية للمكتبات والحركة المكتبية فى جزر الهند الغربية وقام بها هذه المرة إدوارد سيدنى سنة ١٩٤٧م أى بعد حوالى ١٥ سنة من دراسة سافدج. وقد وصف فى تلك الدراسة (مكتبة جزر الكاريبى الشرقية الإقليمية) وقال أن تمويلها يأتى من كل الدول المنتفعة بخدماتها ويديرها مجلس يتألف من ممثل واحد عن كل دولة. ومن المحزن حقيقة أن ينتهى هذا التكامل الإقليمى العظيم بالفشل بعد فترة ليس بسبب سوء القصد بين ممثلى الدول فى إدارة الشبكة أو بين المكتبيين العاملين فى الشبكة ولكن بسبب الظروف السياسية والاقتصادية الخارجة عن إرادتهم. وعلى سبيل المثال كما ألمحت من قبل تكون اتحاد فيدرالى ما بين جزر الهند الغربية سنة ١٩٥٨، واتخذ من مدينة بورت – أوف – سبين مقرًا له. هذا الاتحاد الكونفدرالى فرض قيودًا وروابط سياسية واقتصادية وثقافية إلى جانب القيود الإدارية على كل من: ترينيداد وتوباجو ومعظم جرز ليوارد وجزر ويندوارد البريطانية. ولم يلبث هذا الاتحاد أن حُلَّ بعد أربع سنوات سنة ١٩٦٢ بسبب استقلال كل من جامايكا وترينيداد وتوباجو. وفى ظل عمليات التغيير هذه تخلخلت البنية التعليمية والثقافية ومن بينها المكتبات للافتقار إلى التوجيه والدعم الاقتصادى. وقد اضطرت شبكة (مكتبة جزر الكاريبى الشرقية الإقليمية) التى كانت أنجح شبكة تعاونية فى المنطقة إلى التفكك أيضًا سنة

١٩٦٢ بسبب نقص التمويل وتم نقل مجموعاتها القيمة إلى (المكتبة المركزية) فى بورت – أوف – سبين.

لقد أنشئت فى رحاب (إدارة مكتبات جامايكا) سنة ١٩٥٢ (إدارة المكتبات المدرسية) لتقديم مواد القراءة الترفيهية والترويحية والتثقيفية والقرارات التكميلية (باستثناء الكتب الدراسية) لكافة المدارس الحكومية بدءًا من الحضانة ورياض الأطفال والمرحلة الابتدائية والثانوية. وكان يجرى دعم المجموعات الصغيرة فى المدارس الابتدائية والثانوية من مجموعات مركزية عن طريق تبادل غير منتظم فى البداية للمجموعات بين المدارس إلى أن تم تنظيم عملية التبادل هذه الآن بطريقة تدعو إلى الإعجاب. واليوم تجوب سيارات الكتب طبقًا لجدول محدد ومنظم كل دول جزر الهند الغربية. لقد أسرع من عمليات تبادل المواد التربوية والترفيهية والإعلامية بين المدارس الإجراءات التى اتخذتها الحكومات هناك على نحو ما حدث فى جامايكا سنة ١٩٧٣، لجعل التعليم الثانوى والجامعى مجانًا لكل طلاب المؤسسات التعليمية الحكومية. لقد كشفت إصدارات التقويم العالمى الأخيرة عن أن نسبة المتعلمين فى جامايكا قد بلغت ٨٨٪ وفى ترينيداد وتوباجو ٩٩٪ (٢٠٠٥م) بفضل جهود الدول فى تحقيق ديمقراطية التعليم. ولقد كشفت الدراسات المكتبية التى أجريت مؤخرًا عن نمو الحاجة واطرادها نحو الكتب والمواد المكتبية الأخرى المتعلقة بالأجناس الموجودة فى الجزر والكتب الخاصة بالتجارب الوطنية. ويجب ألا نستغرب هذا الاتجاه فى دول دخلت فى تحولات سياسية واجتماعية سريعة وفى منطقة تتنازعها مشاعر الوطنية وحركات الانفصال بصفة منتظمة وفى آن واحد.

فى ظل تلك الظروف بزغت فى الستينات والسبعينات من القرن العشرين حقبة مكتبية جديدة فى جزر الهند الغربية تولى بلورتها جماعة من المكتبيين والمثقفين المؤهلين الذين نموا الوعى لدى المجتمع بضرورة الحاجة إلى خدمات مكتبية ومعلوماتية جديدة. لقد أدى الإحساس الجديد بالكبرياء والفخر لدى المكتبيين والالتزام المهنى إلى تأسيس اتحادات المكتبات: فى جامايكا سنة (١٩٥٠)، ترينيداد وتوباجو سنة (١٩٦٠)، غيانا وباربادوس

(١٩٦٨) بل وأيضًا اتحاد مكتبات الكومنولث سنة (١٩٧٢). لقد تم تحسيس الساسة والمربين بأهمية الحاجة إلى تخطيط خدمات المكتبات والمعلومات على المستوى الوطنى. وقد أسفر هذا على سبيل المثال عن (الخطوط العريضة لخطة التنمية التربوية فى ترينيداد وتوباجو ١٩٦٧-١٩٨٣) والتى تم وضعها فى مارس ١٩٦٧م والتى تضمنت جزءًا عن إعادة تنظيم الخدمات المكتبية فى البلاد. وقد تبع هذا بعد عام واحد قيام مجلس الوزراء بتشكيل لجنة للنظر فى وضع كافة الخدمات المكتبية بالبلاد فى يد مكتبة وطنية ونشر (مسودة خطة للتنمية التربوية فى ترينيداد وتوباجو ١٩٦٨-١٩٨٢). وقد خصص الجزء السابع من تلك الخطة للمكتبات والأرشيفات والمتاحف والثقافة. وبين ٢٨ سبتمبر و٢٧ ديسمبر ١٩٧٢ قامت إليزابث هومر مورتون خبيرة اليونسكو الموفدة بوضع خطة لتطوير نظام المكتبات الوطنى فى البلاد. وتأتى دراسة وتقويم إليزابث مورتون للاحتياجات المكتبية الوطنية فى الأهمية بعد دراسة إرنست سافدج (١٩٣٣) ودراسة ألما جوردون (١٩٦٠-١٩٦٣). وقد اقترح تقرير إليزابث مورتون الذى نشر ١٩٧٤ خطة تنمية مكتبية على أربع مراحل تغطى المدى الزمنى ١٩٧٣-١٩٩٩م. وفى سنة ١٩٧٨ لم تكن هناك بالفعل مكتبة وطنية فى ترينيداد وتوباجو ولكن النية كانت قد انعقدت على جعل المكتبة المركزية مكتبة وطنية.

وفى باربادوس كانت أهم المكتبات وأكثرها تنظيمًا هى مكتبة كارنيجى العامة فى بريدجتاون وتقوم هذه المكتبة بطريقة غير رسمية بدور المكتبة الوطنية حيث إنها تملك أقوى مجموعة عن باربادوس كما كانت فى يوم من الأيام تأوى مكتبة القانون وتأوى مكتبة مجلس الكنائس. كما أنها تملك أكبر مجموعة صحف ترجع إلى سنة ١٨٠٥م، وبها مجموعة مطبوعات حكومية قوية ومجموعة كتب نادرة ومجموعة مواد سمعية بصرية قوية كما أنها مركز الإيداع القانونى، وهى التى تصدر الببليوجرافية الوطنية منذ سنة ١٩٧٥م. وقد نظمت هذه المكتبة دورات تدريبية فى المكتبات والتعليم المستمر. وهى تخضع لإشراف وزارة التربية والتعليم وتمول من الميزانية العامة. وفى سنة ١٩٦٤م أنشئت

(إدارة الأرشيف) لجمع وحفظ الوثائق والسجلات الوطنية. كما أن هناك عشرات من المكتبات المدرسية التى توفر على العمل بها مدرسون وموظفون.

وربما كانت غيانا هى أول دولة فى جزر الهند الغربية الناطقة بالإنجليزية التى أنشأت مكتبة وطنية عندما تم تعديل قانون إنشاء المكتبة العامة الحرة الصادر فى سنة ١٩٧٢م لتعديل وضع تلك المكتبة إلى درجة مكتبة وطنية. ونفس قانون ١٩٧٢ هذا تضمن مواد للإيداع القانونى تحتم على كل طابع و/أو ناشر بإيداع نسخة من كل مطبوع فى المكتبة الوطنية ونسختين فى مكتبة جامعة غيانا ونسخة واحدة فى إدارة الأرشيف الوطنى. واليوم تتبع المكتبة الوطنية عدة مكتبات فرعية ومحطات كتب (مراكز كتب) فى المناطق النائية وخدمة مكتبات متنقلة (سيارات كتب) وخدمة مكتبية خاصة للسجون.

فى الوقت نفسه يتقدم الوضع المكتبى فى جامايكا تقدمًا سريعًا فى الربع الأخير من القرن العشرين ففى سنة ١٩٧٢م تم تشكيل لجنة استطلاعية حول الفنون والثقافية من قبل رئيس الوزراء لدراسة الوضع الثقافى وتقديم توصيات التنفيذ، وبناء على المقترحات التى قدمتها اللجنة سنة ١٩٧٣ قام رئيس مجلس الوزراء بتشكيل "المجلس الوطنى للمكتبات والأرشيف والتوثيق". وفى ٢٥ من مارس سنة ١٩٧٤م قام المجلس يعقد أول جلسة فى مكتب رئيس الوزراء. هذا الاهتمام المفاجئ وعلى أعلى مستوى حكومى إنما هونتيجة حتمية للتطورات الجديدة الحاسمة فى جامايكا. وفى الفترة من ٢٧-٣٠ من أبريل سنة ١٩٧٦م قام مجلس جامايكا بدعوة الدكتورة دورثى كونُنجز خبيرة اليونسكو لدراسة إمكانية تطوير (مكتبة مراجع جزر الهند الغربية) لتصبح مكتبة وطنية. وقد وضعت مرئياتها وتوصياتها فى تقريرها بعنوان (خطة لنظام توثيق ومعلومات ومكتبات لجامايكا) نشر سنة ١٩٧٨ وقبل انقضاء حول ١٩٧٨م كانت مكتبة مراجع جزر الهند الغربية قد تحولت إلى مكتبة وطنية.

وإلى جانب الدول المذكورة سابقًا هناك جزر ليوارد وجزر ويندوارد والتى تؤلف عنقودًا من عشر دول ومحميات شبه مستقلة يشار إليها باسم الدول الأقل تقدمًا فى

المجتمع الكاريبي. ومسألة التخطيط المكتبي البعيد المدى في هذه المنطقة مسألة جديدة عليها تمامًا؛ ورغم أنه في سنة ١٨٩٣ كانت هناك مكتبة في سانت فنسنت إلا أن الخدمات المكتبية لم تعرف هناك كظاهرة في القرن التاسع عشر. ولم تدخل الخدمة المكتبية العامة إلى تلك الجزر إلا في النصف الأول من القرن العشرين ونهاية الخمسينات من ذلك القرن. وبعض الخدمات المكتبية كان يتم من خلال نظام بريدى بطيء ولا يعول عليه كثيرًا؛ وكانت معظم المكتبات العامة تخدم خليطًا غير متجانس من الناس بها في ذلك مجتمع المدارس الابتدائية. وفي الفترة الأخيرة أي في ثمانينات وتسعينات القرن العشرين أصبح هناك اتجاه واضح نحو إنشاء مكتبات مدرسية على مستوى المرحلة الابتدائية والثانوية في جزر: جريناداً، سانت كيتس، نيفيس، أنجويلا، سانت لوتشيا، أنتجوا. وفي سانت لوتشيا وسانت فنسنت نجد مكتبتين تقوم كل منهما في مبنى مخصوص مكون من طابقين من تمويل منح كارنيجي. بينما في مونتسيرات وجريناداً تقوم المكتبة المركزية في كل منهما في مبنى حكومي مشترك مع إدارات حكومية أخرى. وفي سانت كيتس ونيفيس وضعت المكتبة الرئيسية في مبنى دار المحكمة. وفي أنتجوا تم إنشاء مركز للكتاب لأكثر من ٣٠ مدرسة بمساعدة المدرس/المكتبي. ومنذ دمر زلزال نوفمبر ١٩٧٤م مبنى المكتبة الرئيسية لم تعد هناك مكتبة بالمعنى الواسع وإنما مجرد بعض محطات كتب قليلة، ومجموعات بسيطة لخدمة الأطفال.

وفي بليز (هندوراس البريطانية) نجد عددًا من المكتبات الفرعية ومحطات إيداع الكتب (التي تسمى هناك مكتبة جانبية) وسيارات الكتب إلى جانب المكتبة المركزية التي تخدم المدارس الثانوية أيضًا. وفي دومينكا نجد مكتبة رئيسية في العاصمة روسو، وهي إلى جانب الجمهور العام تخدم تلاميذ المدارس الابتدائية في الوقت الذي نجد فيه مكتبات مقبولة في المدارس الثانوية. وفي معظم تلك الدول توزع المواد المكتبية من مكتبة عامة رئيسية إلى مجموعة عناقيد من محطات الكتب والمكتبات غير المتفرغة (مكتبات بعض الوقت) والمكتبات الفرعية الموجودة في المدارس والإدارات الحكومية في مختلف

الأبرشيات. وبصفة عامة فإن توزيع المواد المطبوعة وغير المطبوعة - وخاصة أسطوانات الجراموفون وتسجيلات الحكايات الشعبية والموسيقى الشعبية والأشرطة والكاسيتات الصوتية - يتأرجح ما بين نظام مركزى كامل على نحو ما نجده فى مونتسيرات وحيث يتم خدمة كل المكتبات فى الجزيرة عن طريق مكتبة عامة فى بلايموث بواسطة سيارة كتب حديثة جذابة، وما بين نظام يجمع بين المكتبات الفرعية ومحطات الكتب وسيارات الكتب بطريقة لامركزية فى بليز.

لقد تم توثيق التطورات الحديثة فى مجال المكتبات والمعلومات فى منطقة الكاريبى فى العديد من المؤتمرات السنوية التى يعقدها (سيمنار تزويد المواد المكتبية بأمريكا اللاتينية: سلالم) منذ ١٩٥٦م، ومؤتمرات "اتحاد المكتبات الجامعية والبحثية والمعهدية الكاريبية" منذ ١٩٦٩م والعديد من الاجتماعات التى تعقدها اليونسكو والهيئات الدولية والحكومية الأخرى. والأوراق التى قدمت تدرس بعمق المشكلات المتعلقة بالمكتبات ومراكز المعلومات وتعليم علم المكتبات والمعلومات، والببليوجرافيات الوطنية والعمليات التعاونية الإقليمية وشبكات المعلومات على كافة المستويات، وخدمات التكشيف والاستخلاص وتخطيط نظم المعلومات والتوثيق الوطنية. ويقوم المكتبيون والموثقون وباعة الكتب والناشرون والببليوجرافيون والكتاب والأرشيفيون والرسميون فى الدولة والخبراء من المنظمات الدولية والطلاب وعلماء المعلومات وغيرهم، يقومون بتبادل الأفكار والآراء عامًا بعد عام مما يدل دلالة قاطعة على أن مهنة المكتبات فى الكاريبى قد شبت عن الطوق ونمت.

ومن الواضح أن دول الهند الغربية ذات الأنظمة والبنية التحتية المكتبية والمعلوماتية المتقدمة وخاصة: غيانا، ترينيداد وتوباجو، جامايكا، باربادوس، سوف تمد يد المساعدة والعون لجيرانها "الأقل تقدمًا". ومن الواضح أيضًا أن استمرار التقدم والتطور فى خدمات المكتبات والمعلومات والتوثيق سوف يعتمد إلى حد ما فى دول الهند الغربية على التمويل والخبرة الخارجية التى تقدمها هيئات دولية مثل (مركز بحوث التنمية الدولي) فى

كندا، منظمة اليونسكو، منظمة الدول الأمريكية، مؤسسة فورد، مؤسسة روكلفر، مؤسسة كارنيجى، المجلس البريطانى وغيرها.

لقد أشار كارلوس فيكتور بنًا إلى أن عقد السبعينات من القرن العشرين هو عقد التخطيط للخدمات المكتبية وقد صدق ذلك على ثلاث دول من دول الهند الغربية هى: ترينيداد وتوباجو؛ غُيانا؛ جامايكا. ففى تلك الدول جرت محاولات عديدة لزرع تخطيط النظام الوطنى للمكتبات داخل خطط التنمية الوطنية الشاملة وسياق الإصلاح الاجتماعى والثقافى الحكومى العام. وفى سنة ١٩٧٣ قامت ألما جوردون بتحليل الخطط الإقليمية والوطنية المكتبية فى منطقة الكاريبى ووجدَّت أنه فى ١٨ خطة تنمية وضعتها تسع دول فى المنطقة هى: ترينيداد وتوباجو، توباجو متفصلة، جامايكا، باربادوس، غُيانا، جرينادا، سانت فنسنت، سانت لوتشيا، مونتسيرات، دومنيكا، وجدت أن ١١ منها تضمنت إشارات سريعة مختصرة إلى الخدمات المكتبية، اثنتان من تلك الخطط اقتصرت على المكتبات المدرسية وحدها، وثلاثة إلى الخدمات المدرسية عمومًا؛ ولم تشر أى من الخطط إلى المكتبات الوطنية أو المتخصصة. وقد لاحظت ألما جوردون أنه باستثناء (مسودة خطة التنمية التربوية فى ترينيداد وتوباجو ١٩٦٨-١٩٨٣م) التى أشرت إليها من قبل والمنشورة سنة ١٩٨٦ و(خطة جامايكا الوطنية) فإن أيا من الخطط المدروسة والمتعلقة بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية "قد اعترفت بدور المكتبات كجزء متكامل فى البنية الاجتماعية والتربوية للدولة أو حاولت وضع مخطط وطنى كامل لتطوير خدمات المكتبات والمعلومات".

وكما ألمحت سابقًا هناك دول فى المنطقة يجب استثناؤها من وصف ألما جوردون، ففى تقرير إليزابث مورتون (تطور الخدمات المكتبية فى ترينيداد وتوباجو) سنة ١٩٧٤م نجد مسحًا لكل أنواع المكتبات والخدمات المكتبية ورسم خطة أولويات مستقبلية لإنشاء مكتبة وطنية ووضع إطار وطنى شامل للتنمية المكتبية يتكون من ثلاث مراحل وعدة أهداف على مدى السنوات ١٩٧٣-١٩٩٩.

النشاط البيليوجرافى والمهنى والمكتبات الوطنية فى جزر الهند الغربية

الضبط البيليوجرافى للإنتاج الفكرى الصادر فى جزر الهند الغربية على إجمالها ضعيف للغاية وليس معدومًا. هناك البيليوجرافية الإقليمية الجزئية المعنونة (البيليوجرافية الكاريبية الجارية) التى تصدر منذ عام ١٩٥١م التى بدأتها اللجنة (البعثة) الكاريبية ثم تولتها بعد ذلك المكتبة الإقليمية الكاريبية فى بورتوريكو. وهناك إلى جانب ذلك (قائمة الإضافات الكاريبية) أو حرفيًا التزويد الكاريبى التى تصدر منذ ١٩٥٩م وهى عبارة عن تجميع سنوى للمواد التى تقتنيها مكتبة جامعة فلوريدا فى جينزفيل من المنطقة. ومن المحاولات التى لا بأس بها الباب المعنون (البيليوجرافية الجارية) فى مجلة "دراسات كاريبية" التى بدأت فى الصدور سنة ١٩٦١ وهى دورية فصلية يصدرها معهد الدراسات الكاريبية فى جامعة بوتوريكو، وكذلك "بيليوجرافية كاريكوم" أى التى يصدرها "المجتمع الكاريبي" وهذه البيليوجرافية الأخيرة إضافة حديثة إلى البيليوجرافيات الإقليمية فى جزر الهند الغربية. وقد بدأت فى الصدور سنة ١٩٧٧، وتتوفر على إصدارها مكتبة سكرتارية المجتمع الكاريبى وهى عبارة عن تجميع جارى للمطبوعات التى تنشر فى الدول والمحميات الأعضاء فى المجتمع الكاريبى وهى: باربادوس، ترينيداد وتوباجو، جامايكا، غيانا، جزر البهاما، جريناداا، انتجوا، بليز، دومنيكا، مونتسيرات، سانت كيتس، نيفيس، أنجويلا، سانت لوتشيا، سانت فنسنت.

وعلى جانب التجمع المهنى العام أسس "اتحاد المكتبات الجامعية والبحث الكاريبي" سنة ١٩٦٩م وكان خطوة متقدمة فى مجال مهنة المكتبات النوعية فى جزر الهند الغربية. وقد شجع هذا الاتحاد على قيام عمل تعاونى محلى وإقليمى وبيليوجرافى مشترك منذ اجتماعه الأول فى سان خوان، بورتوريكو فى ١٤-١٧يونية سنة ١٩٦٩. وفى سنة ١٩٧٧م تغير اسمه ليصبح رسميًا (اتحاد المكتبات الجامعية والبحثية والمعهدية الكاريبية) وذلك لتوسيع نطاق عضويته. وهو يعقد مؤتمرًا سنويًا وينشر بحوث كل مؤتمر أولاً بأول. وللاتحاد صلات وثيقة مع منظمة اليونسكو وسلالم واتحاد الأرشيفات الكاريبية.

واتحاد الأرشيفات الكاريبية الذى أسس سنة ١٩٦٥م ويعقد هو الآخر مؤتمرًا سنويًا. ونحن فى جامايكا وفى باربادوس وفى ترينيداد وتوباجو وغيانا وبرمودا والبهاما نجد بعض الأرشيفات الجيدة.

لقد قبل الطابعون والناشرون فى جزر الهند الغربية على مضض قوانين الإيداع التى صدرت هناك وربما كان ذلك ناتجاً عن صغر حجم الطبعات التى يطبعونها. كما أنهم يشعرون أن الببليوجرافيات الوطنية غير كاملة وغير منتظمة. وحركة نشر الكتب هناك ضعيفة على وجه العموم ومبعثرة والناشر التجارى هناك نادر وقليل ومعظم المنشورات تأتى من المعاهد العلمية والإدارات الحكومية وأحيانًا من الأفراد والمطابع. وربما كان المستفيد الأساسى من قوانين الإيداع المكتبات الجامعية والمكتبات الوطنية أو ما يحل محلها. ومن الطريف أن قانون الإيداع فى غيانا يخير الناشر و/ أو الطابع بين أن يأخذ ثمن ما يودع أو يقدمه هدية بدون مقابل.

ومن الجدير بالذكر أن هناك بعض مراكز البحوث الخارجية قد تخصصت فى دراسة جزر الهند الغربية على إطلاقها أو جانب منها ومن بين تلك المراكز البحثية نذكر:

١- مركز البحث حول كوبا والكاريبى بجامعة ميامى، كورال جابلز، فلوريدا.

٢- معهد بحوث دراسة الإنسان. مدينة نيويورك.

٣- معهد الدراسات الكاريبية. جامعة بورتوريكو. ريو بيدارس.

كما يوجد أيضًا بعض مراكز توثيق المعلومات حول جزر الهند الغربية خارج المنطقة أيضًا نذكر منها:

أ- مركز الدراسات الكوبية. مدينة نيويورك.

ب- مركز العلاقات البينية الأمريكية. مدينة نيويورك أيضًا.

ت- بحوث ومصادر بورتوريكو. واشنطون العاصمة.

وربما كان من أقوى مراكز البحوث داخل منطقة الكاريبى نفسها مكتبة مراجع جزر الهند الغربية التابعة لمعهد جامايكا المشار إليه مرارًا من قبل والتى أصبحت المكتبة الوطنية

فى جامايكا فى الأول من أبريل سنة ١٩٧٩ فى كنجستون. وهذه المكتبة تضم أقوى مجموعة فى العالم عن حزر الهند الغربية من كتب ومخطوطات وخرائط ووثائق وبالتالى فهى أقوى من المكتبات الموجودة فى جامعة جزر الهند الغربية بفروعها الثلاثة مونا (جامايكا)؛ سانت أوجسطين (ترينيداد)؛ كيف هيل (باربادوس). وتعتبر مكتبات جامعة جزر الهند الغربية أيضًا من المجموعات البحثية القوية الموجودة فى المنطقة وخاصة مكتبات فرع مونا فى جامايكا التى تغطى دائرة واسعة من المواد البحثية عن الجزر الناطقة بالإنجليزية فى الكاريبى.

كذلك مارست المهنة تكشيف واستخلاص الدوريات المنشورة فى منطقة الكاريبى أو عن الكاريبى فى الخارج ومن بين كشافات الدوريات هناك:

١- الكشاف الكاريبى: العلوم الاجتماعية. وهو يغطى أهم الصحف والدوريات الصادرة فى جزر الهند الغربية الناطقة بالإنجليزية وخاصة تلك المنشورة فى باربادوس؛ ترينيداد وتوباجو، غُيانا؛ جامايكا. وقد بدأ فى الصدور سنة ١٩٧٦. وهو يغطى نحو ستين دورية. ويصدر هذا الكشاف نتيجة جهد جماعى. ومقر صدوره هى جامعة جزر الهند الغربية فرع سانت أوجسطين فى ترينيداد.

٢- كشاف الدوريات الأمريكية الأسبانية. وهو يصدر خارج جزر الهند الغربية، عن مركز أمريكا اللاتينية فى جامعة كاليفورنيا – لوس أنجلوس. وقد صدرت أولى إصدارات هذا الكشاف سنة ١٩٧٨ وهو يكشف نحو ٢٠٠ دورية متخصصة فى الإنسانيات والعلوم الاجتماعية وتصدر فى أمريكا الأسبانية والبرازيل وأوربا والولايات المتحدة ومنطقة الكاريبى. وفيما يتعلق بمنطقة الكاريبى يغطى الكشاف الدوريات الصادرة فى كوبا وجمهورية الدومنيكان وهايتى وبورتوريكو وجامايكا وغيرها.

ويرى الثقات أن هذا الكشاف يسد الفجوة التى خلفها توقف: كشاف الإنتاج الفكرى فى دوريات اللاتينية ١٩٢٩-١٩٦٥، كشاف دوريات أمريكا اللاتينية ١٩٦١-

١٩٧٠، كشاف دوريات أمريكا الأسبانية ١٩٧٤ والذى لم يصدر منه سوى مجلد واحد يغطى تلك السنة فقط، وقد صدر عن مركز دراسات أمريكا اللاتينية فى جامعة أريزونا فى تمبل بولاية أريزونا.

هذه الكشافات تغطى عددًا من دول منطقة الكاريبى ولكن هناك على الجانب الآخر كشافات تصدر محليًا لتغطى دوريات دولة واحدة أو مجالاً بعينه داخل الدولة الواحدة، وهى كثيرة.

وسوف أحاول الآن التعرض سريعًا لبعض دول المنطقة للتعليق على المكتبات الوطنية والببليوجرافيات الوطنية واتحادات المكتبات فيها لكى تكتمل الصورة علمًا بأننا قد عالجنا كل دولة على حدة فى ترتيبها الهجائى فى موسوعتنا هذه.

باربادوس: ليست هناك مكتبة وطنية وإن كانت المكتبة العامة الرئيسية فى بريدجتاون تقوم بالعديد من وظائف المكتبة الوطنية فهى تنشر الببليوجرافية الوطنية. الجارية منذ ١٩٧٥ وهى تصدر هناك فصليًا منذ يناير - مارس ١٩٧٥. وهى فى نفس الوقت تغطى المواد التى تنشر فى وعن سانت فنسنت وسانت لوتشيا. وفرع جامعة جزر الهند الغربية فى كيف هيل فى باربادوس ينشر (قائمة الإضافات الجديدة حول جزر الهند الغربية). ومن الجدير بالذكر أن اتحاد المكتبات فى باربادوس أسس وأعلن عن قيامه فى ١٤ من مايو سنة ١٩٦٨ ومقره مكتبة بريدجتاون العامة وهو ينشر نشرة إخبارية تقدم معلومات عن المكتبات والمهنة والاتحاد فى باربادوس.

كوبا. تعتبر المكتبة الوطنية الكوبية (خوزيه مارثي) من أقدم المكتبات فى المنطقة حيث أسست فى ١٨ من أكتوبر ١٩٠١، وهى تنشر الببليوجرافية الوطنية منذ ١٩٣٨ بعنوان (الحولية الببليوجرافية الكوبية) كما أسس فى نفس سنة ١٩٣٨م (اتحاد المكتبات الكوبية).

جمهورية الدومنيكان. أسست المكتبة الوطنية هناك سنة ١٩٧١م. أما الببليوجرافية الوطنية فقد بدأت سنة ١٩٤٦، ١٩٤٧ تحت عنوان (الحولية الببليوجرافية الدومنيكانية) وكانت قد حلت محل (النشرة الببليوجرافية الدومنيكانية) التى غطت فقط يولية -

أغسطس، سبتمبر – ديسمبر ١٩٤٥، وكانت قد غطت إنتاج الدولة من الكتب عن عامى ١٩٤٤، ١٩٤٥. هذا وقد أسس "اتحاد المكتبيين الدومنيكان" فى ٢٨ من نوفمبر ١٩٧٤م على أنقاض اتحاد سابق عليه (جماعة الببليوجرافية الوطنية فى جمهورية الدومنيكان). أما الببليوجرافية الوطنية الدومنيكانية الجارية فقد بدأت فى الصدور اعتبارًا من يونية ١٩٧٨.

غُيانا. خرجت المكتبة الوطنية فى غيانا من عباءة (المكتبة العامة الحرة) فى جورجتاون سنة ١٩٧٢. وبعد ذلك مباشرة بدأ صدور (ببليوجرافية غيانا الوطنية) اعتبارًا من ١٩٧٣ فصلية مع تركيم سنوى. ويقضى قانون الإيداع هناك على الناشر و/ أو الطابع أن يقدم نسخة من كل المواد المطبوعة إلى المكتبة الوطنية والأرشيف الوطنى ومكتبة الجامعة. ولقد أسس اتحاد المكتبات فى غيانا سنة ١٩٦٨ (شهر مايو) ومقره مكتبة جورجتاون العامة الحرة وينشر مجلته (مجلة اتحاد مكتبات غيانا) منذ ١٩٦٩.

هايتى. افتتحت المكتبة الوطنية هناك سنة ١٩٣٩. والببليوجرافية الوطنية هناك هى أساسًا راجعة تغطى فترات مختلفة وهى أساسًا من إعداد أفراد ولعل آخرها: "المعجم الببليوجرافى الهايتى ١٨٠٤-١٩٤٩" وهو من إعداد ماكس بيزانتى بالفرنسية". وتصدر له ملاحق من حين لآخر كما حدث ١٩٥٠ ـ ١٩٦٥ والذى نشر فى "مجلة معهد هايتى الفرنسى" وربما يعوض عدم وجود ببليوجرافية وطنية جارية تضمين الكتب الهايتية فى "الببليوجرافية الكاريبية الجارية" ومجلة "دراسات كاريبية". وليس هناك اتحاد مكتبات فى هايتى.

جامايكا: يشرف "المجلس الوطنى للمكتبات والأرشيفات والتوثيق" الذى أسس سنة ١٩٧٤م على تطوير وتنسيق المكتبات ونظم المعلومات فى جامايكا. وقد خرجت المكتبة الوطنية فى جامايكا كما أسلفت مرارًا من بطن (مكتبة مراجع جزر الهند الغربية) فى الأول من أبريل سنة ١٩٧٩. وكانت مكتبة مراجع جزر الهند الغربية هذه تنشر ببليوجرافية وطنية مبدئية عرفت باسم (إضافات جامايكا) ١٩٦٤-١٩٧٤. وقد تغير

اسمها الآن إلى ببليوجرافية جامايكا الوطنية. أما اتحاد مكتبات جامايكا فقد أسس فى السادس والعشرين من يناير ١٩٥٠ واتخذ مقرًا له فى معهد جامايكا الذى ألحت إليه مرارًا وذلك فى العاصمة كنجستون وبدأ ينشر دوريته السنوية منذ نفس السنة ١٩٥٠م.

مونتسيرات. من الدول الأقل تقدمًا (نموًا) فى جزر الهند الغربية. وليس لها مكتبة وطنية ولكنها تنشر من ١٩٧٧ ببليوجرافية وطنية تحت عنوان "مونتسيرات: ببليوجرافية" تحررها وتنشرها المكتبة العامة بالتعاون مع مركز الجامعة هناك ومتحف مونتسيرات ويشرف على إصدارها مدير المكتبة العامة وفريق من متطوعى هيئة السلام. وقد صدرت الإصدارة الأولى من هذه البيليوجرافية فى ١٦ صفحة وتغطى مطبوعات البلد والمطبوعات عن البلد وإلى جانب الكتب والصحف والخرائط هناك أيضًا التسجيلات الصوتية والمواد شبه المطبوعة أى المرقونة والمسحوبة على الستنسل... وليس هناك قانون إيداع فى مونتسيرات.

بورتوريكو. محمية أمريكية كما نعرف وليس بها مكتبة وطنية. تصدر فيها ببليوجرافية وطنية منذ ١٩٤٨، بعنوان (الحولية الببليوجرافية البورتوريكية). وتوقفت عن الصدور بعد عدد ١٩٥٩-١٩٦٠؛ الذى صدر سنة ١٩٦٦. وقد يعوض ذلك أن مطبوعات بورتوريكو تغطى فى باب (ببليوجرافيات جارية) بدورية "دراسات كاريبية" لسان حال معهد الدراسات الكاريبية بجامعة بورتوريكو فى ريو بيدراس. كما يعوضها أيضًا (الببليوجرافية الكاريبية الجارية) التى ينشرها منذ ١٩٥١ قسم المطبوعات الحكومية فى المكتبة الكاريبية الإقليمية، هاتوريى فى بورتوريكو. وهذه الببليوجرافية كانت تصدر فصلية بين ١٩٥١ و١٩٥٣ ثم أصبحت سنوية مع ١٩٥٤ وتوقفت عن الصدور مع العدد ٢٣ سنة ١٩٧٣. وقد أسست فى يناير ١٩٦١ جمعية مكتبات بورتوريكو ومقرها جامعة بورتوريكو وتنشر الجمعية دورية غير منتظمة منذ ١٩٦١.

ترينيداد وتوباجو. ليس هناك مكتبة وطنية ولكن تقوم المكتبة المركزية هناك بوظائف المكتبة الوطنية. وتنشر الببليوجرافية الوطنية هناك منذ ١٩٧٥ بالتعاون بين المكتبة

المركزية وفرع جامعة جزر الهند الغربية فى سانت أوجسطين. وهذه الببليوجرافية الوطنية حلت محل نشرة (الإضافات الحديثة من مطبوعات ترينيداد وتوباجو) التى كان يصدرها فرع جامعة جزر الهند الغربية فى سانت أوجسطين بين ١٩٧٣ و١٩٧٥ وفى نفس الوقت ماتزال المكتبة المركزية تنشر (ببليوجرافية ترينيداد وتوباجو وجزر الهند الغربية: إضافات كل شهرين). ولقد أسس اتحاد مكتبات ترينيداد وتوباجو فى السادس عشر من يناير ١٩٦٠؛ وبدأ ينشر دوريته السنوية منذ مايو ١٩٦١.

الإعداد المهنى لأمناء المكتبات فى جزر الهند الغربية

كانت هناك محاولات باكرة فى جزر الهند الغربية وخاصة تلك الناطقة بالإنجليزية لتعليم علم المكتبات والتمرس بتطبيقاته. ويمكن تتبع تلك المحاولات منذ الدورات التدريبية المنظمة الأولى التى نظمتها الدكتورة هيلين جوردون ستيوارت سنة ١٩٤٢م وكما أشرت من قبل كانت الدكتورة هيلين الخبيرة الكندية هى أول مديرة للمكتبة المركزية فى بورت – أوف – سبين فى ترينيداد. ثم أنشئت بعد ذلك سنة ١٩٤٨م "مدرسة المكتبات فى المكتبة الإقليمية لشرقى الكاريبي" تحت إشراف وقبول اتحاد المكتبات البريطانية. وكما أسلفت كانت الدراسة بالمراسلة تتبع بمحاضرات أكاديمية مدة ثلاثة شهور ثم فترة تدريب أثناء الخدمة ويعقب ذلك امتحان شامل يحصل بعدها المتخرج على شهادة الترخيص بممارسة المهنة إما بشهادة (المشاركة) أو (الزمالة) من قبل اتحاد المكتبات البريطانية. وقد التحق بتلك المدرسة طلاب من ترينيداد وتوباجو، جامايكا وعدد آخر من الجزر الكاريبية. وتذكر المصادر أنه فى خلال عقد واحد أى حتى سنة ١٩٥٨ تقدم إلى هذه المدرسة نحو ٣٠٠ مرشح لم يحصل على الشهادة منهم إلا نحو ٥٠٪ فقط.

وفى سنة ١٩٥٥ سحب المجلس البريطانى تمويله للمدرسة المذكورة، وبين ١٩٥٦ و ١٩٥٨م استمر التعليم على مستوى مبدئى من جانب بعض المتطوعين من المكتبة المركزية فى ترينيداد. وفى سنة ١٩٥٨م قامت حكومة ترينيداد وتوباجو بتقديم ميزانية لتعيين

مدرس مكتبات متفرغ. وكان إنهيار هذه المدرسة سنة ١٩٦٢ هو نهاية لأول تعليم أكاديمى منظم لعلم المكتبات فى جزر الهند الغربية. وقد تبع ذلك دورات تدريبية أثناء الخدمة نظمها محليًا اتحاد مكتبات ترينيداد وتوباجو واتحاد مكتبات جامايكا. وفى سنة ١٩٦٤م قام اتحاد المكتبات البريطانية بتنظيم برنامج جديد على غرار البرنامج القديم، شعر معه المهتمون فى جزر الهند الغربية أنه لا مناص من تلقى علم المكتبات والمعلومات على أصوله وبطريقة أكاديمية إلا بالذهاب إلى بريطانيا أو أى مكان آخر خارج الجزر. وطوال الستينات اعتمد تعليم علم المكتبات على محاضرات يقدمها اتحاد مكتبات ترينيداد وتوباجو واتحاد مكتبات جامايكا بناء على المخطط الذى وضعه اتحاد المكتبات البريطانية سابق الذكر؛ كما اعتمد أيضًا على دورات تدريبية أثناء الخدمة تقدمها المكتبة المركزية فى كل من ترينيداد، جامايكا. كما قدمت الحكومات بعض منح دراسية قليلة للدراسة فى الخارج. وكان تعلم المكتبات فى الخارج على ثلاثة أنواع:

١- زيارات وتدريبات فى مكتبات أجنبية لمدة تتراوح ما بين ستة أشهر وسنة.

٢- سنة أكاديمية كاملة فى إحدى مدارس علم المكتبات فى بريطانيا.

٣- دراسة للحصول على بكالوريوس المكتبات يتلوها الحصول على الماجستير فى الولايات المتحدة أو كندا.

وكانت حصيلة هذه الأنواع الثلاثة من الدراسة فى الخارج عبر ١٤ سنة هى ٤٨ مكتبيًا مؤهلاً فقط. وكانت صورة العاملين فى المكتبات فى الستينات وأوائل السبعينات من القرن العشرين هى على النحو الآتى:

١- مكتبات الفروع الثلاثة لجامعة جزر الهند الغربية فى مونا (جامايكا)؛ سانت أوجسطين (ترينداد)؛ بريدجتاون (باربادوس) كان بها ٧٥ شخصًا من بينهم ٢٣ فقط مؤهلون مكتبيًا.

٢- المكتبات العامة والمدرسية فى جامايكا كان مجموع ما بها من عاملين ٢٠٨ من بينهم ٢٦ فقط مؤهلون مكتبيا.

٣- شبكة مكتبات ترينيداد وتوباجو كان مجموع العاملين فيها ١٥٠ شخصًا من بينهم ١٢ فقط مؤهلون مكتبيًا.

٤- شبكة المكتبات العامة الصغيرة فى باربادوس وغيانا كان بهما ٣٠ و٤٠ شخصًا على التوالى لم يكن من بينهم إلا ثلاثة من المؤهلين فى كل شبكة.

٥- مكتبات جامعة غيانا كان بها عدد محدود من العاملين غير المدربين ولم يكن من بينهم إلا شخص واحد مؤهل.

٦- بقية جزر الهند الغربية الناطقة بالإنجليزية، وهندوراس البريطانية كان يعمل بها عدد كبير نسبيًا من الأشخاص فى المكتبات ليس من بينهم سوى أربعة مؤهلين مكتبيًا.

٧- المكتبات المتخصصة وبالذات فى الدول الكبيرة فى الكاريبى ومن بينها مكتبات معهد جامايكا والمكتبات الحكومية فى جامايكا مثل مكتبات وزارة الصحة، وزارة المالية، وزارة الخارجية، وزارة الزراعة، وزارة التربية والتعليم... ومكتبات هيئة التنمية الصناعية فى ترينيداد وتوباجو وجامايكا. ومكتبة البحث العلمى فى جامايكا... هذه المكتبات المتخصصة ضمت عددًا كبيرًا من العاملين من بينهم حفنة قليلة من المؤهلين. ومن المؤكد أننا نخرج من هذه الصورة بأنه كان هناك نقص حاد فى المكتبيين المؤهلين فى كل جزر الهند الغربية وأنه ليست هناك مدرسة إقليمية لتعليم علم المكتبات لتخريج الأعداد المطلوبة للعمل فى المكتبات هناك. وأن التعليم فى الخارج مهما توسعوا فيه لم يكن أيضًا بالحل المثالى للمشكلة. وكانت الشرارة التى انطلقت تدعو إلى إنشاء مدرسة للمكتبات فى جزر الهند الغربية قد جاءت من التقرير الذى وضعه بيريام دانتون سنة ١٩٦٨. وكان نص توصيته الأولى الكبرى يقول: "لابد من إنشاء مدرسة لعلم المكتبات فى جامعة جزر الهند الغربية فرع مونا بأسرع ما يمكن وذلك على مستويين متواكبين: الدرجة الجامعية الأولى والدراسات العليا".

وبناء على ذلك أسس (قسم دراسات المكتبات) فى جامعة جزر الهند الغربية وافتتح للدراسة فى أكتوبر سنة ١٩٧١ على مستوى البكالوريوس أولاً ومدة الدراسة ثلاث سنوات والتحق بالقسم فى تلك السنة ثلاثون طالبًا وطالبة من الدول الآتية: أنتجوا، باربادوس، دومنيكا، غيانا، جامايكا، ترينيداد وتوباجو. وفى سنة ١٩٧٣/ ١٩٧٤ بدأت الدراسات العليا فى التخصص على مستوى الدبلوم لمدة سنة واحدة. وكان قسم دراسات المكتبات ومازال يتبع كلية الآداب والدراسات العامة فى فرع جامعة جزر الهند الغربية فى موتا. ولم يمنع افتتاح هذا القسم بمستويه من الاستمرار فى إرسال البعثات للخارج وخاصة إلى بريطانيا والولايات المتحدة وكندا. وفى أكتوبر ١٩٧٨م بدأ برنامج الماجستير هناك فى القسم والدراسة فى هذا البرنامج لمدة سنتين مع تقديم رسالة.

ومن الجدير بالذكر أيضًا أن تأسيس هذا القسم وافتتاحه على هذه المستويات الثلاثة (البكالوريوس – الدبلوم العالى – الماجستير) لم يمنع استمرار الدورات التدريبية وورش العمل كما لم يمنع من قيام مدارس لتعليم علم المكتبات على مستوى دولة بعينها فى المنطقة على ما نصادفه فى بورتوريكو من تأسيس (مدرسة الدراسات العليا فى المكتبات) التى تمنح درجة الماجستير المعتمدة من اتحاد المكتبات الأمريكية (اتحاد مدارس المكتبات الأمريكي). هذه المدرسة التى بدأت فى أغسطس سنة ١٩٦٨م بمنحة من مكتب التربية فى الولايات المتحدة. وينظر البعض إلى هذه المدرسة ومدرسة ما بين الدول الأمريكية لعلم المكتبات فى مندلين (كولومبيا) والتى أسست سنة ١٩٥٦م على أنهما سند حقيقى لقسم دراسات المكتبات فى جامعة جزر الهند الغربية.

وقد رأس هذا القسم فى البداية أساتذة من الولايات المتحدة: أ.د. دورثى كولنجز، التى عملت حتى ١٩٧٤م ومن بريطانيا البروفيسور فرانك هوج عميد كلية المكتبات فى ويلز الذى خلفها فى رئاسة القسم حتى يونية ١٩٧٦م. وبعد ذلك بدأت سلسلة رؤساء القسم من أبناء جزر الهند الغربية والتى جاء فى طليعتها الآنسة دافن دوجلاس والتى كانت أول مواطن يشغل هذا المنصب.

ومن الجدير بالذكر أن القسم قد خصص جائزة باسم دورثى كولنجز تمنح للأول على طلاب البكالوريوس والأول على طلاب الدبلوم كل سنة. ولابد من القول بأن هذه الجائزة من مال كولنز الخاص وليست من أموال القسم أو الجامعة. ونقتطع أرقام العام الجامعى ١٩٧٧/ ١٩٧٨ لإعطاء صورة عن الالتحاق بالقسم:

عدد المقبولين بالسنة الأولى	٢٦
عدد المقبولين بالدبلوم	١٢
عدد الطلاب جميعًا بالقسم	٧٥
عدد المتخرجين فى البكالوريوس	١٧
عدد المتخرجين فى الدبلوم	٦

ومن الخليق بالذكر أيضًا أن القسم يواكب التطورات الحديثة فى المجال ويعدل برامجه وطرق التدريس به طبقًا لما هو جديد. ويقوم القسم أيضًا بتقديم برامج محددة للتعليم المستمر والبرنامج الواحد فى التعليم المستمر يتراوح ما بين أسبوعين إلى أربعة أسابيع لتقديم الجديد للذين تخرجوا فى القسم وفاتهم قطار هذا الجديد أثناء الدراسة به.

وهذا القسم عضو مؤسس فى الاتحادات الوطنية والإقليمية والدولية الآتية:

- اتحاد مكتبات جامايكا.
- اتحاد مكتبات باربادوس.
- اتحاد مكتبات بليز.
- اتحاد مكتبات ترينيداد وتوباجو.
- اتحاد مكتبات غيانا.
- اتحاد المكتبات [البريطانية].
- اتحاد المكتبات الأمريكية.
- اتحاد المكتبات الجامعية والبحثية ومراكز المعلومات الكاريبية.
- الاتحاد الدولى للمكتبات المدرسية.
- الاتحاد الدولى لجمعيات المكتبات ومؤسساتها.

وفى نهاية هذه المعالجة للمكتبات والحركة المكتبية فى جزر الهند الغربية (جزر الكاريبي) لا أستطيع أن أمنع نفسى من تقديم الجدول الآتى الذى يصور تطور نشأة المكتبات هناك حتى سنة ١٩٨٠م أى مدى التطور التاريخى. وحيث تناولت الواقع حتى ٢٠٠٥م تحت كل دولة على حدة فى سياقها الهجائى فى هذه الموسوعة:

١٤٩٢ ١٢ من أكتوبر ١٤٩٢م أبحر كريستوفر كولومبوس تحت العلم الأسبانى وشاهد أرض جواناهاق فى الباهاما. وفى ٢٨ من أكتوبر نزل إلى أرض كوبا. وفى ٦ من ديسمبر اكتشف سانتو دومنجو.

١٥١٨ فى أغسطس سنة ١٥١٨م أصدر الملك تشارلز الخامس أمره بالسماح بإرسال ٤٠٠٠ عبد إفريقى إلى جزر الأنتيل لسد النقص فى العمالة هناك.

١٥١٩ أبحر هيرمان كوريتز من كوبا ليقهر ويفتح المكسيك.

١٦٤٩ ثورة العبيد فى باربادوس.

١٦٥٥ استلاب جامايكا من الأسبان.

١٧٧٢ قاضى القضاة الإنجليزى اللورد مانسفيلد يعلن عدم شرعية الرق فى إنجلترا.

١٧٧٤ إحصاء السكان فى كوبا يكشف عن أن تعدادهم كان ١٧١٦٢٠ نسمة.

١٧٧٧ الجمعية الأدبية فى بريدجتاون وباربادوس هى أول مكتبة اشتراكات فى كل جزر الهند الغربية. ومجموعات هذه المكتبة، وكذلك المكتبة التى بدأها اتحاد المكتبة سنة ١٨٤١ تشكل نواة مكتبة بربادوس العامة الحرة التى افتتحت سنة ١٨٤٧م.

١٨٧٠ هناك قرائن وأدلة على أن مكتبة تجارية قد بدأها المدعو ويليام أيكمان فى كنجستون فى جامايكا.

١٨٠٤ جان جاك ديسالين يعلن استقلال هايتى. الدنمرك تعلن إلغاء تجارتها للعبيد عبر الأطلنطى.

١٨٠٨ بريطانيا تلغى تجارتها للرقيق عبر الأطلنطى. الولايات المتحدة تفعل المثل.

١٨١١ قانون البرلمان البريطانى باعتبار تجارة الرقيق جناية.

١٨١٣ السويد تلغى تجارة الرقيق.

١٨١٤ هولندا تلغى تجارة الرقيق. أول بعثة تبشير بابتست إنجليزية فى جامايكا.

١٨١٨ فرنسا تعلن رسميًا عدم شرعية تجارة العبيد.

١٨٢٠ أسبانيا تعلن عدم شرعية تجارة الرقيق.

١٨٢٣ جرينادا تمنح المواطنة الكاملة (الجنسية) لغير البيض الأحرار.

١٨٣٣ قانون تحرير العبيد يصدر عن البرلمان البريطانى. وكان تحرير العبيد رسميا معناه فتح باب التعليم أمام جميع الأفراد فى جزر الهند الغربية.

١٨٤٤ تأسيس جمعية غيانا (سابقًا الجمعية الملكية الزراعية التجارية) التى تعتبر أقدم مكتبة اشتراكات فى كل غيانا. وهى اليوم تملك أندر مجموعة عن الهنود الحمر الأمريكيين وعن جزر الهند الغربية عمومًا. وفى سنة ١٩٦٤م فتح الباب أمام غير الأعضاء بالجمعية للانتفاع بمجموعاتها بعد دفع مبلغ صغير من المال.

١٨٤٧ بدء الإنشاء المنظم للمكتبات فى باربادوس بعد الموافقة على قانون المكتبة العامة فى ٢١ من أكتوبر ١٨٤٧... والقاضى بإنشاء مكتبة عامة ومتحف... وحيث المكتبة العامة تقتنى مجموعة من الكتب والمراجع والأعمال العملية والمتحف يقتنى مواد وقطعًا طبيعية وعلمية وقطعًا فنية لصالح وخدمة المجتمع.

١٨٤٨ إلغاء الرق فى جزر الأنتيل الفرنسية والدنمركية.

١٨٥١ إنشاء مكتبة ترينيداد العامة.

١٨٦٥ إعادة تأسيس (مستوطنة التاج) فى جامايكا. سانتو دومنجو تعلن استقلالها.

١٨٧٣ بورتوريكو تلغى الرق.

١٨٧٤ إنشاء أول مكتبة عامة فى قاعة النخلة فى كنجستون عاصمة جامايكا.

١٨٧٩ تأسيس معهد جامايكا لتنمية دراسة الفنون والآداب والعلوم. وفى نفس هذه السنة افتتحت مكتبة المعهد أمام الجمهور العام وجمعت لهذه المكتبة المجموعات الموجودة فى عدة مكتبات حكومية. وفى خلال السبعين سنة الأولى كان هذا المعهد هو مكتبة كنجستون الرئيسية العامة وكان يضم مجموعات إعارة إلى جانب مجموعات مرجعية. واليوم فى نهاية القرن العشرين يعتبر المعهد مركزًا هامًا لدراسة وبحث تاريخ الجزيرة ومعظم دول الكاريبى. وهو أكبر مركز للنشر فى جزر الهند الغربية الناطقة بالإنجليزية.

١٨٩٩ أسبانيا تتنازل عن بورتوريكو للولايات المتحدة طبقًا لمعاهدة باريس. قوات الولايات المتحدة تحتل كوبا (حتى ١٩٠٢ فقط).

١٩٠٠ بورتوريكو تصبح محمية أمريكية للولايات المتحدة.

١٩٠٢ تأسيس جمهورية كوبا.

١٩٠٤ باربادوس أول مستعمرة بريطانية تتلقى منحة من مؤسسة كارنيجى لإنشاء (مكتبة عامة حرة مجانية). وقد وضع حجر الأساس فى ١٥ من سبتمبر ١٩٠٤ فى بريدجتاون وقد تم الافتتاح الرسمى لـ (مكتبة بربادوس العامة الحرة) فى السادس والعشرين من يناير ١٩٠٦. وقد تمت إضافة مكتبة أطفال إليها سنة ١٩٢٧.

١٩٠٦ الاحتلال الثانى من قبل الولايات المتحدة لكوبا حتى سنة ١٩٠٩.

١٩٠٩ افتتاح مكتبة عامة حرة فى قلب جورجتاون عاصمة غيانا بمنحة من مؤسسة كارنيجى ومازال المبنى قائمًا حتى اليوم وهو مكون من طابقين وتصل المجموعات الآن إلى ما يربو على مائة ألف مجلد. وفيها ركن للأطفال. وهى تقوم بدور المكتبة الوطنية فى غيانا منذ ١٩٧٢.

١٩١٥	ثورة فى هايتى. الولايات المتحدة تحتل هايتى حتى ١٩٣٤.
١٩١٦	الولايات المتحدة تحتل جمهورية الدومنيكان حتى ١٩٢٤.
١٩١٧	أهل بورتوريكو يصبحون مواطنين ويحملون جنسية الولايات المتحدة.
١٩١٩	تأسيس مكتبة كارنيجى الحرة فى سان فرناندو، ترينيداد.
١٩٩٢	تأسيس الكلية الإمبراطورية للزراعة الاستوائية والتى أصبحت فيها بعد جزءًا من جامعة جزر الهند الغربية، فرع سانت أوجسطين فى ترينيداد.
١٩٣٠	استيلاء تروجيللو على السلطة فى جمهورية الدومنيكان.
١٩٣٣	إرنست سافدج أمين مكتبة إدنبرة العامة بانجلترا يقوم بدراسة الوضع المكتبى فى جزر الهند الغربية البريطانية؛ وذلك بتمويل من مؤسسة كارنيجى فى نيويورك.
١٩٣٤	نشر ما عرف بـ "تقرير سافدج". وهو أول دراسة علمية متعمقة لأحوال المكتبات فى جزر الهند الغربية الناطقة بالإنجليزية.
١٩٤٠	انسلاخ دومينكا عن جزر ليوارد (مع الريح) وانضمامها إلى جزر ويندوارد (ضد الريح).
١٩٤١	إنشاء المكتبة المركزية فى ترينيداد كإجراء مباشر لتقرير سافدج ١٩٣٤ سابق الذكر وبمنحة من مؤسسة كارنيجى مقدارها سبعون ألف دولار. وقد أصبحت هذه المكتبة المركزية النموذج الذى يقاس عليه فى كل الجزيرة وأيضًا فى جزر شرقى الكاريبى البريطانية. وقد وضعت الحكومة يدها على المكتبة اعتبارًا من ١٩٤٥.
١٩٤٢	تأسيس البعثة (الهيئة) الأنجلو أمريكية الكاريبية فى مارس ١٩٤٢ كهيئة استشارية لإنقاذ الاقتصاد المتداعى فى المنطقة. وقد تغير اسم البعثة سنة ١٩٤٥ بعد دخول فرنسا وهولندا فيها ليصبح (البعثة الكاريبية). وقد تم حل هذه البعثة فى ديسمبر ١٩٥٦.

١٩٤٤ حق الاقتراع لكل الكبار فى جامايكا مع حكم ذاتى محدود. حق الاقتراع للمرأة فى باربادوس وغيانا البريطانية وبرمودا.

١٩٤٥ إنشاء المكتبة الإقليمية الكاريبية الشرقية، بدعم من المجلس البريطانى. ومقرها هوايتهول فى بورت – أوف – سبين. وهى مكتبة مختلفة عن مكتبة ترينيداد المركزية. وقد تدهورت المكتبة فى خمسينات القرن العشرين.

١٩٤٦ حق الاقتراع لكل الكبار فى ترينيداد. تأسيس المكتبة الإقليمية الكاريبية (وهى مكتبة مختلفة عن المكتبة الإقليمية الكاريبية الشرقية المذكورة فى البند السابق) سنة ١٩٤٦م لخدمة البعثة الكاريبية فى بورت – أوف – سبين، ترينيداد. وفى سبتمبر ١٩٦١ عندما أنشئت المنظمة الكاريبية خلفًا للبعثة الكاريبية وانتقال المقر إلى بورتوريكو، انتقلت المكتبة كذلك. وأخذت من هناك تقدم خدماتها للباحثين والطلاب والعامة. وعندما انحلت المنظمة الكاريبية سنة ١٩٦٥ قامت حكومة بورتوريكو بإهداء المكتبة التى كانت قد أصبحت من أحسن المكتبات البحثية الكبرى فى موضوعات الكاريبى، إلى هيئة التنمية الاقتصادية الكاريبية.

١٩٤٧ فى تلك السنة تحمل المجلس البريطانى مسئولية تمويل المكتبة الإقليمية الكاريبية الشرقية؛ وطلب إلى الخبير إدوارد سيدنى بدراسة أحوال تلك المكتبة وكتابة تقرير عنها. وقد دعا سيدنى فى تقريره إلى تقوية الوحدات المكتبية العديدة الموجودة فى الجزيرة وربطها بالمكتبة الإقليمية فى شبكة واحدة. وكان هذا التقرير واحدًا من أهم الدراسات التى دعت إلى التعاون الإقليمى بين المكتبات فى جزر الهند الغربية البريطانية الناطقة بالإنجليزية.

١٩٤٨ تأسيس أول جامعة فى كل جزر الهند الغربية فى جامايكا. وكانت النواة هى الكلية الجامعية لجزر الهند الغربية كما أطلق عليها بين ١٩٤٨-١٩٦٢ وكانت عبارة عن معهد إقليمى للتعليم العالى بتمويل من ١٤ محمية ناطقة بالإنجليزية. وفى سنة ١٩٦٢م أصبحت تلك الكلية الجامعية جامعة جزر

الهند الغربية بثلاثة فروع: فرع مونا فى جامايكا (١٩٤٨)؛ فرع سانت أوجسطين فى ترينيداد (١٩٦٠)؛ فرع كيف هيل فى باربادوس (١٩٦٣). وبعد إنشاء جامعة غيانا سنة ١٩٦٣ دخلت حكومة غيانا فى اتفاقية تعاون مع جامعة جزر الهند الغربية.

١٩٤٩ رغم افتتاح مكتبة جامايكا وتقديمها للخدمات المكتبية سنة ١٩٤٨م إلا أن قانون إنشاء المكتبة لم يصدر إلا سنة ١٩٤٩.

١٩٥٠ حق الاقتراح لكل الكبار فى باربادوس. إنشاء اتحاد مكتبات جامايكا فى السادس والعشرين من يناير ١٩٥٠ ومقره معهد جامايكا. واستجابة لتقرير نورا بيتسون المقدم سنة ١٩٤٥ صدر العديد من قوانين إنشاء المكتبات العامة الحرة فى جرينادا وسانت كيتس ودومينكا ونيفيس وسانت لوتشيا وسانت فنسنت.

١٩٥١ إنشاء مكتبة عامة حرة فى مونتسيرات. وقد صدر قانون جديد فى غيانا البريطانية يمد الخدمات المكتبية العامة فيما وراء حدود العاصمة جورجتاون. فى نفس هذه السنة بدأ صدور الببليوجرافية الكاريبية الجارية التى بدأتها البعثة الكاريبية؛ وكانت تحصر المطبوعات التى تخدم البعثة سواء المنشورة فى جزر الهند الغربية البريطانية أو تلك الفرنسية والهولندية والخاضعة أيضًا للولايات المتحدة. وقد بدأت الببليوجرافية نصف سنوية ثم تحولت إلى سنوية. وما تزال الببليوجرافية تصدر ولكن عن طريق المكتبة الإقليمية الكاريبية فى هاتوبى، بورتوريكو.

١٩٥٢ باتيستا يحكم كوبا. بورتوريكو تصبح عضوًا فى الكومنولث. حق الاقتراع لكل الكبار فى غيانا البريطانية.

١٩٥٦ إيريك يوستيس وليامز، المؤرخ والسياسى يشكل فى ترينيداد "الحركة الوطنية الشعبية". قانون الخدمات المكتبية فى الولايات المتحدة الصادر سنة ١٩٥٦ يساعد على تنمية المكتبات فى بورتوريكو والجزر العذراء التابعة للولايات

المتحدة. سيمنار تزويد المواد المكتبية لأمريكا اللاتينية (سلالم) يعقد أول مؤتمراته فى يونية ١٩٥٦. وقد حضره ثلاثون مكتبيًا وأستاذًا يمثلون تسع مكتبات جامعية وسبع مكتبات عامة ووطنية ودولية؛ كما حضره تاجر كتب دولى واحد. وقد عقد هذا المؤتمر فى تشاينيزجوت هيل، بروكسفيل، فلوريدا ١٤-١٥ يونية ١٩٥٦، تحت رعاية مكتبة كولومبوس التذكارية فى اتحاد ما بين الدول الأمريكية وكذلك تحت رعاية مكتبة جامعة فلوريدا. والرسالة الأساسية التى تسعى سلالم إلى تحقيقها هى الضبط الببليوجرافى لكافة أنواع المطبوعات فى أمريكا اللاتينية والكاريبى وبث تلك البيانات والمعلومات الببليوجرافية. وإعداد مكتبة كبيرة لمساندة البحوث التربوية. وقد استمرت مؤتمرات سلالم السنوية بلا انقطاع منذ ذلك التاريخ بما فى ذلك مؤتمر فى سان خوان، بورتوريكو سنة ١٩٦٩، بورت – أوف – سبين، ترينيداد سنة ١٩٧٣. ولقد قطعت تلك المؤتمرات شوطًا كبيرًا فى تحقيق الضبط الببليوجرافى المنشود.

١٩٥٨ قيام الاتحاد بين عشرة من دول جزر الهند الغربية فى يناير ١٩٥٨ وقد اتخذ مقر حكومته الاتحادية فى ترينيداد. بيد أن استقلال كل من جامايكا، ترينيداد وتوباجو سنة ١٩٦٢م عجل بفك هذا الاتحاد.

١٩٥٩ فيديل كاسترو يتولى السلطة فى كوبا.

١٩٦٠ تأسيس اتحاد المكتبات فى ترينيداد وتوباجو فى السادس عشر من يناير ١٩٦٠. المؤتمر الخامس لـ سلالم ينعقد فى نيويورك بالمكتبة العامة ١٤-١٦ يونية ١٩٦٠ لمناقشة موضوع "التزويد من جزر الكاريبى" و "التبادل الدولى للمطبوعات".

١٩٦١ اغتيال تروجيللو. غزو فاشل من قبل الولايات المتحدة لكوبا. إلغاء البعثة الكاريبية وحلول المنظمة الكاريبية محلها. ونقل المقر بما فى ذلك المكتبة الإقليمية الكاريبية من ترينيداد إلى بورتوريكو.

١٩٦٢ استقلال جامايكا فى السادس من أغسطس سنة ١٩٦٢م. كما استقلت كل ترينيداد وتوباجو فى الحادى والثلاثين من أغسطس سنة ١٩٦٢. أول انتخابات حرة فى خلال ٣٨ سنة فى جمهورية الدومنيكان يفوز فيها خوان بوش. انتهاء اتحاد جزر الهند الغربية (١٩٥٨-١٩٦٢).

١٩٦٥ الولايات المتحدة تغزو جمهورية الدومنيكان. توقف نشاط المنظمة الكاريبية فى السادس والعشرين من أبريل سنة ١٩٦٥. وتحويلها إلى حكومة بورتوريكو وهيئة التنمية الاقتصادية للكاريبى. عقد أول مؤتمر كاريبى للأرشيف تحت رعاية فرع مونا - جامايكا من جامعة جزر الهند الغربية؛ وذلك فى سبتمبر ١٩٦٥.

١٩٦٦ استقلال غيانا (غيانا البريطانية سابقًا) فى ٢٦ من مايو ١٩٦٦. وفى ٣٠ نوفمبر من نفس سنة ١٩٦٦م نالت باربادوس استقلالها.

١٩٧٦ ولايات جزر الهند الغربية المتحدة تغدو واقعًا فى مطلع ١٩٦٧م وتضم جزر أنتجوا، دومنيكا، جرينادا، سانت كريستوفر - نيفيس - أنجويلا، سانت لوتشيا. وقد نالت تلك الولايات الحكم الذاتى تاركة مسئولية الدفاع والشئون الخارجية لبريطانيا. فى سنة ١٩٦٧م التحقت ترينيداد وتوباجو وباربادوس بـ منظمة الدول الأمريكية. وفى نفس سنة ١٩٦٧عقد (مؤتمر تأسيس المركز البيليوجرافى للكاريبى) ٢٨-٢٩ مارس١٩٦٧ فى بورتوريكو وقد حضره ٢٢ مكتبيًا من دول الكاريبى و٨ مكتبيين من خارج المنطقة.

١٩٦٨ قيام اتحاد مكتبات باربادوس فى ١٤ من مايو سنة ١٩٦٨. قيام اتحاد مكتبات غيانا أيضًا فى مايو ١٩٦٨. حكومة ترينيداد وتوباجو تنشر "مسودة خطة تطوير التعليم فى ترينيداد وتوباجو ١٩٦٨-١٩٨٣". وقد خصص القسم السابع من هذه الخطة بالكامل لتطوير المكتبات. نشر تقرير دانتون تحت رعاية

اليونسكو وحيث حضر بيريام دانتون إلى المنطقة خلال الفترة يونية - سبتمبر سنة ١٩٦٨ كمستشار لليونسكو. وقد اقترح ضمن أشياء أخرى ضرورة إنشاء برنامج لتعليم علم المكتبات فى جامعة جزر الهند الغربية فرع مونا فى جامايكا.

١٩٦٩ جامايكا تلتحق بمنظمة الدول الأمريكية. عقد مؤتمر تشاطر مصادر البحث والدراسة الكاريبية فى سانت توماس بالجزر العذراء ١٧-١٩ مارس ١٩٦٩. عقد أول مؤتمر لاتحاد مكتبات الجامعات والبحث الكاريبى فى بورتوريكو ١٤ -١٧ يونية ١٩٦٩. هذا الاتحاد جاء ثمرة لحركة التعاون بين جامعات الكاريبى، وقد تغير اسمه وأهدافه بدعم (اتحاد الجامعات ومعاهد البحث الكاريبية) إلى اتحاد مكتبات الجامعات والبحث والمعاهد، سنة ١٩٧٧م إشارة إلى توسيع نطاق عضويته. بدعم من مكتب التربية بالولايات المتحدة أسست فى جامعة بورتوريكو، سان خوان اعتبارًا من أغسطس تلك السنة ١٩٦٩ مدرسة عليا لدراسة علم المكتبات والدراسة بها لمدة عام واحد ينتهى بدبلوم عالٍ.

١٩٧١ بدء الدراسة فى قسم المكتبات بجامعة جزر الهند الغربية فى فرع مونا بجامايكا وذلك فى الثالث من أكتوبر ١٩٧١. وكان عدد الطلاب الملتحقين فى أول عام دراسى ٣٠ طالبًا وطالبة جاءوا من: أنتجوا، باربادوس، دومنيكا، غيانا، جامايكا، ترينيداد وتوباجو. وقد بنى للقسم مبنى مخصوص انتقل إليه بعد عام واحد فى أكتوبر ١٩٧٢.

١٩٧٢ تحول المكتبة العامة الحرة فى جورجتاون - غيانا إلى مكتبة وطنية سنة ١٩٧٢. عقد مؤتمر دولى للمكتبات فى كنجستون - جامايكا ٢٤-٢٩ من أبريل ١٩٧٢ تحت رعاية اتحاد مكتبات جامايكا ووزارة التربية وإدارة مكتبات جامايكا.

وقد حضر هذا المؤتمر مكتبيون من كل من دول الكومنولث الكاريبية، بورتوريكو، الجزر العذراء الأمريكية، الولايات المتحدة وقد ناقشوا دور كل نوع من أنواع المكتبات فى التنمية وتأثير التكنولوجيا الجديدة على المكتبات، دور الاتحادات المهنية، التخطيط للتنمية المكتبية، تعليم علم المكتبات... وقد توفر على تحرير البحوث لـ أ. إنجرام وألبرتينا أ. جيفرسون وقام بالنشر مانسيل فى بريطانيا سنة ١٩٧٥ وكان عنوان العمل (المكتبات وتحديات التغيير).

١٩٧٣ جزر البهاما تصبح عضوًا فى الكومنولث فى العاشر من يولية سنة ١٩٧٣. عقد المؤتمر الثامن عشر لـ سلالم فى بورت – أوف – سبين، ترينيداد ٢٩ من أبريل – ٢ من مايو ١٩٧٣. أول حلقة دراسية فى الكاريبى حول سياسة العلوم والتكنولوجيا والتخطيط، تعقد فى باربادوس، ديسمبر ١٩٧٣. رئيس وزراء جامايكا يحضر أول جلسات (المجلس الوطنى للمكتبات والأرشيفات والتوثيق) الذى تم تشكيله فى ذلك العام لدراسة واقع تلك المؤسسات والتوصية بما يراه مناسبًا.

١٩٧٤ استقلال جرينادا فى السابع من فبراير سنة ١٩٧٤. عقد اجتماع حول تخطيط الببليوجرافيات الوطنية فى دول الكاريبى الناطقة بالإنجليزية فى كنجستون، جامايكا ٢٩ من أبريل – ٣ من مايو ١٩٧٤ تحت رعاية مركز بحوث التنمية الدولى فى كندا وتحت ضيافة معهد جامايكا واتحاد مكتبات الكومنولث. وقد حضر الاجتماع ممثلون عن جامايكا، وترينيداد وتوباجو، وباربادوس. وقد استهدف هذا الاجتماع دراسة واقع النشاط والأدوات الببليوجرافية وتطور الببليوجرافيات الوطنية. اليونسكو تنظم المؤتمر الدولى حول تخطيط البنية الأساسية للتوثيق والمكتبات والأرشيفات الوطنية فى باريس فى سبتمبر ١٩٧٤. وقد حضرته وفود رسمية من العديد من دول الكاريبى. وقد تبنى

المؤتمر توصية إنشاء نظم معلومات وطنية فى الدول الأعضاء. فى نفس سنة ١٩٧٤ عقدت ورشة عمل إقليمية حول الببليوجرافيات الوطنية فى دول الكاريبى الناطقة بالإنجليزية، وذلك فى الفترة ٢٥-٢٩ نوفمبر ١٩٧٤ تحت رعاية مركز بحوث التنمية الدولى فى كندا وتحت ضيافة مشتركة من كل من مكتبة غيانا الوطنية وسكرتارية المجتمع الكاريبى. وقد حضر هذه الورشة ممثلون عن مركز بحوث التنمية، جامايكا، باربادوس، ترينيداد وتوباجو، غيانا، الاتحاد الدولى لجمعيات المكتبات ومؤسساتها (إفلا)، المكتبة الوطنية الاسترالية. فى نفس سنة ١٩٧٤ قامت الحكومة الكوبية بإنشاء (المجلس الوطنى للعلم) من أجل التخطيط ودراسة التوثيق، وضبط المعلومات وتنمية المكتبات.

١٩٧٥ وزراء خارجية منظمة الدول الأمريكية تصوت لصالح رفع المقاطعة عن كوبا والتى استمرت تسع سنوات، والسماح للدول الأعضاء بتطبيع العلاقات الدبلوماسية معها. وفى يولية ١٩٧٥ قام رئيس وزراء جامايكا مايكل نورمان مانلى مؤسس حزب الشعب الوطنى بزيارة ودية إلى هافانا، كوبا. فى نفس سنة ١٩٧٥ عقد فى جواديلوب فى الفترة ٢٧-٣١ من أكتوبر ١٩٧٥م المؤتمر الثانى لأرشيفات الكاريبى. عقدت ورشة عمل حول تخطيط نظم المعلومات الوطنية فى منطقة الكاريبى وذلك تحت رعاية اليونسكو وإدارة مكتبات جامايكا. وتم الاجتماع فى كنجستون فى الفترة ١٠-١٤ نوفمبر ١٩٧٥.

١٩٧٦ عقد المؤتمر الكاريبى الثانى حول سياسة العلم والتكنولوجيا والتخطيط وذلك فى مدينة بورت – أوف – سبين، ترينيداد فى الفترة ١٢-١٦ يناير ١٩٧٦. فى نفس سنة ١٩٧٦ تم عقد الاجتماع الإقليمى لخبراء تطوير الأرشيفات الوطنية فى أمريكا اللاتينية، وذلك فى مدينة بوجوتا، كولومبيا فى الفترة ٢٩ من مارس – ٢ من أبريل ١٩٧٦. وقد نظمت اليونسكو هذا الاجتماع والذى حضره

خبراء ومراقبون من كوبا، جامايكا، جمهورية الدومنيكان. فى هذا العام قامت اليونسكو/ فيد بعقد حلقة دراسية حول التعليم والتدريب وذلك فى مدينة المكسيك فى الفترة ٢٠-٢٤ سبتمبر ١٩٧٦ وذلك تحت رعاية كلية الفلسفة والآداب بجامعة المكسيك والمجلس المكسيكى للعلوم والتكنولوجيا وبعثة أمريكا اللاتينية ولجنة التعليم والتدريب بالاتحاد الدولى للتوثيق واليونسكو ومنظمة الدول الأمريكية. وقد حضر هذه الحلقة ممثلون عن ٢٢ دولة من آسيا وإفريقيا وأمريكا ودول جزر الهند الغربية (جامايكا).

١٩٧٧ فيديل كاسترو يزور جامايكا أكتوبر ١٩٧٧. وفى نفس هذه السنة خلال الاجتماع التاسع لاتحاد المكتبات الجامعية والبحثية الكاريبية المنعقد فى ويلمستار، كوراكاو بجزر الأنتيل الهولندية ٦-١٢ نوفمبر ١٩٧٧ تم توسيع نطاق عضوية الاتحاد ومن ثم تغيير اسمه ليصبح "اتحاد المكتبات الجامعية والبحثية والمعهدية الكاريبية". فى نفس سنة ١٩٧٧ وفى الفترة من ٢٩ نوفمبر ٢٠ ديسمبر اجتمع أمناء المكتبات الإقليمية والموثقون فى مدينة بورت – أوف – سبين، ترينيداد وتوباجو لمناقشة إنشاء نظام معلومات علمية تكنولوجية اجتماعية اقتصادية لجزر الكاريبى. وقد حضر هذا الاجتماع ممثلون عن: البهاما، باربادوس، جمهورية الدومنيكان، جرينادا، غيانا، هايتى، جامايكا، كوبا، جامايكا، جمهورية الدومنيكان. فى هذا العام قامت اليونسكو/ فيد بعقد حلقة دراسية حول التعليم والتدريب وذلك فى مدينة المكسيك فى الفترة ٢٠-٢٤ سبتمبر ١٩٧٦ وذلك تحت رعاية كلية الفلسفة والآداب جامعة المكسيك والمجلس المكسيكى للعلوم والتكنولوجيا وبعثة أمريكا اللاتينية ولجنة التعليم والتدريب بالاتحاد الدولى للتوثيق واليونسكو ومنظمة الدولة الأمريكية. وقد حضر هذه الحلقة ممثلون عن ٢٢ دولة من آسيا وإفريقيا وأمريكا ودول جزر الهند الغربية (جامايكا).

١٩٧٧ فيديل كاسترو يزور جامايكا أكتوبر ١٩٧٧. وفى نفس هذه السنة خلال الاجتماع التاسع لاتحاد المكتبات الجامعية والبحثية الكاريبية المنعقد فى ويلمستاد، كوراكاو بجزر الأنتيل الهولندية ٦-١٢ نوفمبر ١٩٧٧ تم توسيع نطاق عضوية الاتحاد ومن ثم تغيير اسمه ليصبح "اتحاد المكتبات الجامعية والبحثية والمعهدية الكاريبية". فى نفس سنة ١٩٧٧ وفى الفترة من ٢٩ نوفمبر- ٢ ديسمبر اجتمع أمناء المكتبات الإقليمية والموثقون فى مدينة بورت - أوف - سبين، ترينيداد وتوباجو لمناقشة إنشاء نظام معلومات علمية تكنولوجية اجتماعية اقتصادية لجزر الكاريبى. وقد حضر الاجتماع ممثلون عن: البهاما، باربادوس، جمهورية الدومنيكان، جرينادا، غيانا، هايتى، جامايكا، كوبا، ترينيداد وتوباجو، بليز، دومنيكا، مونتسيرات، جزر الأنتيل الهولندية. كما حضر الاجتماع ممثلون عن هيئة سكرتارية المجتمع الكاريبى وبنك التنمية الكاريبى.

١٩٧٨ نائب الرئيس الصينى كنج بياو يقوم بزيارة إلى جامايكا، ترينيداد وتوباجو، غيانا خلال شهر يولية ١٩٧٨م فيما بدا للقيام بعلاقات سياسية وثقافية مع المنطقة وخاصة فى مجال المكتبات والمعلومات. وفى نفس سنة ١٩٧٨ فى الفترة بين ١٠-٢٠ يناير ١٩٧٨، انعقد فى بوجوتا، كولومبيا "مؤتمر ما بين الحكومات حول السياسات الثقافية فى أمريكا اللاتينية والكاريبى وذلك تحت رعاية منظمة اليونسكو وحكومة كولومبيا. وقد حضر هذا المؤتمر من دول الكاريبى ممثلون عن: باربادوس، كوبا، جمهورية الدومنيكان، جرينادا، غيانا، هايتى، جامايكا، ترينيداد وتوباجو، الكومنولث الكاريبى، جزر الأنتيل الهولندية. وكان من بين التوصيات الهامة "أنه نظرًا للطبيعة الخاصة لجزر الكاريبى فإنها تستحق مؤتمرًا خاصًا ودراسة مستقلة. وكان من بين التوصيات ما يتعلق بالمكتبات المدرسية وأدب الأطفال والمكتبات العامة. فى نفس سنة

١٩٧٨ عقد اجتماع فى الفترة من ٢٩ مارس إلى الأول من أبريل لمناقشة وضع "بيليوجرافية المجتمع الكاريبي" وذلك تحت رعاية مركز بحوث التنمية الدولى. وقد انعقد هذا الاجتماع فى مدينة جورجتاون، غيانا وقد حضر هذا الاجتماع ممثلو ١١ دولة من أصل ١٣ دولة أعضاء فى المجتمع الكاريبى إلى جانب ممثلين عن فيجى وترينيداد وتوباجو. وقد بحث المجتمعون سبل تحسين بيليوجرافية الكاريبى. فى سنة ١٩٧٨ عقد الاجتماع العاشر لاتحاد المكتبات الجامعية والبحثية والمعهدية فى مدينة بريدجتاون عاصمة باربادوس فى الفترة من ٥-١١ نوفمبر ١٩٧٨، وذلك فى ضيافة اتحاد مكتبات باربادوس. وكان الموضوع الأساسى هو المواد غير المطبوعة والمواد السمعية البصرية فى مكتبات الكاريبى. وقد وجهت الدعوة إلى أمناء المكتبات الكوبيين.

١٩٧٩ فى الأول من أبريل ١٩٧٩م أسست المكتبة الوطنية فى جامايكا بمقتضى المادة الخامسة من قانون معهد جامايكا لسنة ١٩٧٨. وقد قامت هذه المكتبة على المجموعات والخدمات والموظفين الموجودين فى مكتبة مراجع جزر الهند الغربية بالمعهد. والمكتبة الوطنية هى محور كل النشاط المكتبى والبيليوجرافى وهى النقطة المحورية لنظام المعلومات الوطنى فى جامايكا. فى نفس عام ١٩٧٩ عقد مؤتمر سلالم (سيمنار تزويد المواد المكتبية لأمريكا اللاتينية) الرابع والعشرون فى الفترة ١٧-٢٢ يونية ١٩٧٩ بمدينة لوس أنجلوس، كاليفورنيا. وكان موضوع هذا المؤتمر (البحث والمصادر فى الكاريبي). وقد نشر التقرير النهائى والبحوث سنة ١٩٨٠ عن طريق سكرتارية سلالم فى ماديسون، ويسكونسن تحت عنوان (ويندوارد، ليوارد، مين: دراسات كاريبية ومصادر مكتبية). فى نفس هذه السنة ١٩٧٩م تم أول اجتماع لـ يونيسست حول: (التعاون الإقليمى فى سياسة وتخطيط المعلومات من أجل التنمية فى أمريكا

اللاتينية والكاريبى. وقد عقد هذا الاجتماع فى ليما، بيرو فى الفترة ١-٥ من أكتوبر ١٩٧٩. وكان الهدف الرئيسى من الاجتماع هو استطلاع أهم السبل للوصول إلى تعاون خلاق فى مجال المعلومات بين مختلف المنظمات وبينها وبين حكومات الدول الأعضاء فى أمريكا اللاتينية ومنطقة الكاريبى.

١٩٨٠ فى الفترة بين ٢١-٢٥ من أبريل ١٩٨٠ قام برنامج المعلومات العام لليونسكو بعقد مؤتمر حول تنظيم أنشطة المعلومات العلمية والتكنولوجية فى أمريكا اللاتينية والكاريبى وقد عقد المؤتمر فى سان خوزيه، كوستاريكا. فى نفس سنة ١٩٨٠ وفى الفترة ٢٥-٣١ من مايو ١٩٨٠ عقد المؤتمر الحادى عشر لاتحاد المكتبات الجامعية والبحثية والمعهدية وذلك فى سانتو دومنجو بجمهورية الدومنيكان. وقد حضر المؤتمر أكثر من ٢٠٠ مشارك وكان الموضوع الأساسى هو (دور أمين المكتبة فى المجتمعات النامية). وكان من بين أهم المتحدثين: كينث إنجرام (جامايكا) وكان بحثه "مهنة المكتبات فى دول الكاريبى الناطق بالإنجليزية"؛ إيميليا دى بيريز بيرازو وكان بحثها فى نفس الموضوع: "مهنة المكتبات فى دول الكاريبى الناطق بالإنجليزية" ؛ كارلوس أورتونو (فنزويلا) وكان بحثه حول "دور أمين المكتبة المدرسية فى الكاريبي"؛ كاثى مير مونجو (جامايكا) "دراسة مسحية للمكتبات المدرسية فى أنتجوا، باربادوس، جامايكا"؛ كارمنتسيتا ليون (بورتوريكو) وكان بحثها حول "المكتبة المدرسية وتكاملها فى العملية التعليمية"؛ أولجا أوروبينا دى أوجيدا (فنزويلا) وكان بحثها حول "دور أمين المكتبة المدرسية فى الكاريبي"؛ شيرلى إيفيلين (ترينيداد وتوباجو) وكان بحثها حول "ربط المكتبات العامة والمدرسية"؛ روزمارى دى باولا (كورا كاو) وكان بحثها حول "مكتبة كوراكاو العامة ودورها فى توزيع مواد القراءة التكميلية على المكتبات المدرسية.

* * *

كان هذا عرضًا لأهم التطورات فى مجال المكتبات ونظم المعلومات والتيارات السياسية والاجتماعية المؤثرة فى سياق هذا التطور فى جزر الهند الغربية أو جزر الكاريبى. أما عن الوضع الحالى فإنه قد تم تناوله بالتفصيل تحت كل دولة على حدة.

والخلاصة

أن جزر الهند الغربية أو جزر الكاريبى (على الترادف) تضم الجزر الناطقة بالإنجليزية: انتجوا، البهاما، باربادوس، الجزر العذراء، جزر كايمان، جرينادا، جامايكا، سانت كيتس - نيفيس، سانت لوتشيا، سانت فنسنت. وتضم كذلك المستعمرات الهولندية فى الكاريبى وهى الأنتيل الهولندية كما تضم الجزر الناطقة بالأسبانية وهى: كوبا، جمهورية الدومنيكان، بورتوريكو، وتضم جزر الكاريبى الفرنسية وهى هايتى، جواديلوب، رتنيك. وكانت هذه الجزر جميعًا مستعمرات كما نرى أوربية منذ اكتشاف أمريكا على نحو ما أسلفت فى بداية هذا البحث.

ومن الطبيعى أن يتأثر تطور المكتبات فى منطقة الكاريبى تأثيرًا مباشرًا بالدولة المستعمرة والوضع الاقتصادى. وفى القرن السادس عشر كانت المكتبات الأولى فى المستوطنات من إنشاء رجال الدين الإكليريين والذين أتى بعضهم بمكتباتهم الشخصية معهم من أوربا. وحيث قام الدومنيكان بإنشاء الأديرة وكان فى كل منها بالضرورة مكتبة لاستخدام الرهبان وإدارة الدير على نحو ما تأكد لنا فى الجزر التى استوطنها الأسبان. ومن جهة ثانية ثبت لنا أن الكتب قد استخدمت كأدوات فى استعمار وتنصير السكان المحليين، ولكن مثل تلك المكتبات ذات الغرض المؤقت لم تصل إلينا بل اندثرت عبر السنين. تذكر المصادر الثقات أن المكتبة الشخصية لأول أسقف فى بورتوريكو المدعو د. ألونسو مانسو، احترقت خلال هجوم الهنود الحمر سنة ١٥١٣ على قرية كابارا. وفى سنة ١٦٢٥ قام القراصنة الهولنديون بحرق المكتبة الشخصية للأسقف بيرناردو دى بالبوينا. وحتى المكتبات الشخصية التى جلبها معهم المفكرون العلمانيون والإداريون لم تسلم هى الأخرى من الإتلاف؛ وعلى سبيل المثال فإن المحامى أنطونيو دى لاجاما القاضى المقيم فى بورتوريكو فقد مكتبته فى هجوم للقراصنة الفرنسيين سنة ١٥٢٨.

وخلال القرنين السابع عشر والثامن عشر عندما أصبحت السيطرة والسيادة للمستوطنات الناطقة بالأسبانية فى المنطقة، ازدهرت المكتبات ازدهارًا واضحًا لأن حركة التنوير الأوربية سرعان ما انتقلت وأثرت فى منطقة الكاريبى. فى سنة ١٧٩٣ قامت "الجمعية الاقتصادية الكوبية من أصدقاء الوطن" بإنشاء مكتبة كرمز للمثل الديمقراطية التنويرية ولكى تخدم وتعلم وتساعد شعب كوبا. وفى ١٨٤٣م قامت جمعية مماثلة فى بورتوريكو بإنشاء مكتبة لتنمية المعرفة وتوسيع رقعة الثقافة المحلية. وعلى الرغم من تلك الشعارات إلا أن استخدام المجموعات فى كلتا المكتبتين كان قاصرًا على قلة من البيض الذين سيطروا على مؤسسات الثقافة العليا هناك. وبعد قيام الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩م قامت القوى الاستعمارية فى الكاريبى بحظر كتب التنوير وذلك لكبح جماح أى حركة تنوير تتسرب إلى جزر الهند الغربية، أو أية أفكار تحررية ثورية تدخل إلى عقول الناس هناك. هذه الرقابة الاستعمارية على الكتب خلفت سوقًا سوداء رائجة لهذه الكتب. وكان هناك أسطول من "سفن التنوير" تحمل هذه الكتب إلى مياه الكاريبى لتمد الناس بتلك الكتب الممنوع تداولها.

وخلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر دخلت جزر كاريبية كثيرة فى تجربة "الوطنية" وكانت المؤسسة الفكرية التى تغذى هذه الروح فى جزر الهند الغربية الأسبانية على الأقل هى "المجمع الثقافى: آثينايوم". وفى القرن التاسع عشر أصبحت مكتبات الجمعيات الاقتصادية فى كوبا وبورتوريكو مجمعات ثقافية؛ وتعاونت فيما بينها ومع الصفوة التنويرية لتقوية مؤسسات ودعائم الهوية الوطنية. وفى سنة ١٩٨٠م تم تأسيس المجمع الثقافى فى سان بدرو دى ماركويس بجمهورية الدومنيكان.

شهد القرن التاسع عشر أيضًا تأسيس عدد من المكتبات العامة وهى أساسًا مكتبات اشتراكات ولكن الغالبية وجدت فى الجزر الناطقة بالإنجليزية والجزر الناطقة بالأسبانية. وفى سنة ١٩٨٦م قامت جمهورية الدومنيكان بافتتاح أول مكتبة عامة بها. وقد تبعتها مكتبات أخرى مع مطالع القرن العشرين: فى سنة ١٩٠٤م افتتحت مكتبة أ. موريللك العامة؛ وفى سنة ١٩٢٢م افتتحت مكتبة باهى العامة كمكتبة بلدية فى المدينة العاصمة

سانتو دومنجو. ورغم فترة الدكتاتورية التى دامت لثلاثين عامًا فى ظل الحاكم الطاغية رافاييل ل. تروجيللو والتى جلبت قهرًا سياسيًا للشعب إلا أنها كانت فترة ازدهار للمكتبات العامة فى الدومنيكان. وفى سنة ١٩٥٦ قامت الجمهورية بتأسيس أكثر من ١٠٠ مكتبة عامة. ولكن فى فترة القلق والاضطراب التى سادت الستينات بعد وفاة تروجيللو، انهار نظام المكتبات العامة بشكل كبير فى جمهورية الدومنيكان وقوضه بعد ذلك الغزو الأمريكى والأزمة الاقتصادية الطاحنة. وعندما جرى انتخاب خوزيه فرانشسكو بينًا عمدة للعاصمة سانتو دومنجو فى أوائل الثمانينات بدأ إعادة بناء شبكة المكتبة البلدية.

وفى كوبا رغم أن دستور ١٩٤٠ ينص على إنشاء مكتبة عامة فى كل بلدية، إلا أنه للأسف لم يتم تنفيذ هذا النص. وبعد إنشاء المجلس الوطنى للثقافة سنة ١٩٦١م قامت وزارة الثقافة فى ١٩٧٧ بإنشاء مديرية المكتبات للعمل على تطوير المكتبة الوطنية والمكتبات العامة هناك. وحيث تتألف شبكة المكتبات فى كوبا اليوم من مكتبات إقليمية رئيسية ومكتبات بلديات ومكتبات فرعية.

وفى بورتوريكو لم تستقر أوضاع المكتبات العامة طوال القرن العشرين بسبب القلق السياسى العام. وفى سنة ١٩٥٢م قام الكومنولث البورتوريكى وتحالف مع الولايات المتحدة. وكان هذا الاستقلال الذاتى والإدارة الذاتية قد أحدث نوعًا من التحسن النسبى فى أوضاع المكتبات بالمشاركة بين وزارة التعليم والبلديات. ويرى المراقبون أن التحسن فى أوضاع المكتبات العامة يتم ببطء مع استثناء واحد هو مكتبة دورادو العامة التى أنشئت فى مطلع الثمانينات من القرن العشرين بجهود تطوعية شعبية وشكلت على النمط الأمريكى للمكتبات العامة من حيث بناء وتنمية المجموعات ومن حيث ميكنة الخدمات ومن حيث الاستجابة الفورية لاحتياجات المجتمع من المعلومات.

وتذكر المصادر الثقاة أن تطور المكتبات العامة فى جزر الهند الغربية الناطقة بالإنجليزية أو الفرنسية الهولندية هو ظاهرة القرن العشرين بالدرجة الأولى وما حدث

قبل ذلك إن هو إلا مجرد إرهاصات ومقدمات وخاصة القرن التاسع عشر من بين تلك المقدمات مثلاً قيام رئيس هايتى جان – بيير بوير بتأسيس مكتبة وطنية ١٨٢٥م بدأت بـ ٤٤٤ كتابًا فقط وسمح لعامة الناس باستخدامها. وفى سنة ١٨٤٧م افتتحت فى ناساو (البهاما) أول مكتبة عامة فى جزر البهاما. وبعد أكثر من قرن وفى سنة ١٩٧٢ قامت جزر البهاما بتأسيس شبكة كاملة للمكتبات فى عموم الجزر المأهولة. وفى ثمانينات القرن العشرين افتتحت خمس مكتبات عامة فى ناساو وحدها و٣٠ فى بقية الجزر المأهولة. وفى سنة ١٨٤٧م قامت باربادوس بافتتاح أول مكتبة عامة حرة خرجت من بطن مكتبة اشتراكات محلية. وفى عشرينات القرن العشرين اتخذت باربادوس من تلك المكتبة نبراسا لإنشاء شبكة مكتبات تغطى كل الجزيرة. وفى سنة ١٩٤٩ كما أسفلت صدر فى جامايكا قانون (إدارة مكتبات جامايكا) لإنشاء شبكة مكتبات عامة فى كل الجزيرة، وبمقتضى ذلك أنشئت فى كل مدينة أساسية مكتبة رئيسية تتبعها مكتبات فرعية وسيارات كتب.

وفى ترينيداد وتوباجو أسست أول مكتبة عامة حرة سنة ١٨٥١م وكان تمويل هذه المكتبة كما أشرت يتم عن طريق الحكومة وبعض رسوم بسيطة رمزية من رواد المكتبة. وفى سنة ١٩٢٠ قدمت مؤسسة كارنيجى منحة مالية لإنشاء مكتبة عامة أخرى. وفى سنة ١٩٤٩م قامت الحكومة بإنشاء المكتبة المركزية رسميًا فى ترينيداد وتوباجو. وفى ١٩٨٣م تم إنشاء شبكة المكتبات المتكاملة من مكتبات رئيسية ومكتبات فرعية وسيارات كتب. وكما أشرت فى الجدول الزمنى قامت جزر الأنتيل الهولندية بإنشاء مكتبة ويلمستاد العامة فى كوراكاو سنة ١٩٢٢ وفى سنة ١٩٤٤م افتتحت مكتبة ثانية فى جزيرة أروبا، أورانجستاد.

ويرى الثقات أن تاريخ المكتبات المدرسية فى جزر الهند الغربية سار فى طريق مشابه للطريق الذى سارت فيه المكتبات العامة بل وارتبطت بها فى كثير من الأحيان. ولم تشهد المكتبات المدرسية طفرة حقيقية إلا فى نهاية القرن العشرين. ففى جزر البهاما قامت معظم المدارس الحكومية والخاصة بإنشاء مكتبات ذات حجم معقول. وفى باربادوس

ظلت المدارس تعانى من عدم وجود مكتبات حقيقية حتى الثمانينات من القرن العشرين عندما تحملت وزارة التعليم مسئولية تطوير المكتبات المدرسية الحكومية فأنشأت مكتبات جيدة فى مدارس المناطق الحضرية وسيرت مكتبات متنقلة إلى المدارس فى المناطق الريفية. فى خمسينات القرن العشرين قامت منظمة اليونسكو بمساعدة كوبا على تطوير المكتبات المدرسية فيما عرف بالمشروعات التجريبية فى المكتبات المدرسية الكوبية. ولكن بعد الثورة الكوبية، أصبح من الضرورى إدخال المكتبة جزءًا متكاملاً من العملية التعليمية وكذلك قامت وزارة التعليم بإنشاء مكتبات مدرسية، وقامت المكتبات العامة من جهتها بإقراض وإعارة مجموعات كبيرة من الكتب للمكتبات المدرسية. وطوال القرن العشرين لم تكن منظومة المكتبات المدرسية فى جمهورية الدومنيكان على أى قدر من الكفاءة، وخاصة فى المناطق الريفية وحيث تقوم سيارات الكتب التابعة للمكتبات العامة بسد النقص هناك. وفى هايتى رغم إعلان وزارة التعليم بالتزامها بتقديم خدمات مكتبية متقدمة فى المدارس الحكومية إلا أنه حتى ثمانينات القرن العشرين لم يكن هناك سوى ٢١ مكتبة مدرسية فى المدارس الحكومية فى مقابل ٧١ مدرسة بدون مكتبات. وفى جانب المدارس الخاصة كان هناك ١١٥ مدرسة بها مكتبات فى مقابل ٣٣٢ مدرسة بدون مكتبات. وفى بورتوريكو كان وضع المكتبات المدرسية أسعد حالاً من المكتبات العامة، وأسعد حالاً من كثير من دول جزر الهند الغربية فقد تطورت منظومة المكتبات المدرسية هناك مبكرًا فى الخمسينات والستينات من القرن العشرين؛ وفى التسعينات من القرن كان ٩٠٪ من المدارس الثانوية هناك به مكتبات، وما بين ٥٠-٦٠٪ من المدارس الابتدائية والمتوسطة به مكتبات منها القوى ومنها الضعيف. والعجيب أن تكون أحسن المكتبات المدرسية وأقواها فى المدارس الخاصة وليست الحكومية.

وعلى جانب المكتبات الوطنية فى جزر الهند الغربية يمكننا القول مطمئنين أنها هى الأخرى فى الأعم الأغلب ظاهرة القرن العشرين. ومعظم تلك المكتبات يقوم بدور مراكز البحث الوطنية، وهى جميعًا تقوم بجمع وحفظ وتنظيم وتيسير الإفادة من الإنتاج

الفكرى الوطنى. وفى جل دول الهند الغربية سواء الناطقة بالإنجليزية أو الفرنسية أو الهولندية تقوم كبرى المكتبات العامة بدور المكتبة الوطنية لأن كثيرًا من جزر الكاريبى ليس بها مكتبات وطنية. ومن المكتبات الوطنية الجيدة كما أسلفت مكتبة جامايكا الوطنية التى أسست سنة ١٩٧٩. وليس فى بورتوريكو مثلاً مكتبة وطنية ولكنها أسست فى الخمسينات من القرن العشرين (مكتبة عمومية) كانت مسئولة عن إعداد الببليوجرافية الوطنية التى تحصر وتسجل وتصف ما نشر على أرض بورتوريكو من إنتاج فكرى. وهى المسئولية التى نقلت بعد ذلك إلى مكتبة جامعة بورتوريكو فى ريو بيدراس المسماة باسم (مكتبة خوزيه م. لازارو) والتى تملك هى الأخرى مجموعة قوية حول شئون بورتوريكو. وهى تعتبر بمثابة مركز البحث الوطنى هناك. ولقد أنشئت المكتبة الوطنية فى جمهورية الدومنيكان سنة ١٩٢٧ ولكنها لم تصبح مكتبة لإيداع الإنتاج الفكرى الوطنى إلا سنة ١٩٧١م ومن ثم غدت مسئولة عن النشاط الببليوجرافى بالبلاد منذ ذلك الوقت. وفى هايتى أعيد تأسيس المكتبة الوطنية سنة ١٩٤٠م ولم تلبث أن غدت أحسن المكتبات فى البلاد. وفى الوقت الذى كانت فيه الولايات المتحدة تسيطر على كوبا فى الثلث الأول من القرن العشرين كانت الحكومة الأمريكية هى التى تعين مدير المكتبة الوطنية. ومع سنة ١٩٣٦م أصبح مدير المكتبة الوطنية الكوبية يعين من قبل السلطات الكوبية وفى سنة ١٩٥٢م بنى مبنى جديد للمكتبة الوطنية الكوبية وسميت باسم الزعيم الوطنى (خوزيه مارتي) وبعد الثورة الكوبية فى ١٩٥٩م أصبحت المكتبة الوطنية مركزًا لشبكة المكتبات فى البلاد ومركزًا للبحث وحفظ التراث والضبط الببليوجرافى للإنتاج الفكرى والنشاط الببليوجرافى عامة.

أما عن جانب المكتبات الإكاديمية فقد مارست دور المراكز الثقافية من جهة ومراكز البحث من جهة ثانية. والأمثلة على ذلك نجدها فى جامعة جزر الهند الغربية بفروعها الثلاثة ذات الإدارة الذاتية (فرع جامايكا وفرع باربادوس وفرع ترينيداد وتوباجو). وفى جزر الأنتيل الهولندية نجد مكتبتين أكاديميتين هامتين فى جامعة أروبا وجامعة جزر الأنتيل الهولندية. وفى جمهورية الدومنيكان نجد أقدم وأكبر المكتبات الأكاديمية فى كل

جزر الهند الغربية، وهى مكتبة "جامعة سانتو دومنجو الذاتية" التى يرجع تأسيسها فيما يقال إلى الحقبة الاستعمارية. وفى كوبا نجد أن مكتبة جامعة هافانا تعتبر أحسن وأكبر مكتبة أكاديمية فى كل البلاد. وفى بورتوريكو أسست جامعة بورتوريكو فى ريو بيدارس سنة ١٩٠٣ وتذكر المصادر أن المكتبة المركزية المعروفة باسم (مكتبة خوزيه م. لازارو) تعتبر أحسن مكتبة بحثية فى عموم الدولة.

فى النصف الثانى من القرن العشرين قامت فى جزر الهند الغربية اثنتان من أقوى المنظمات الدولية، بالإسهام تطوير الحركة المكتبية هناك: منظمة "سيمنار تزويد المواد المكتبية من أمريكا اللاتينية" [سلالم] والتى أسست سنة ١٩٥٦. وكذلك "اتحاد المكتبات الجامعية والبحثية والمعهدية" الذى أسس كما أشرت سنة ١٩٦٩. وقد عمل الكيانان على دفع الحركة المكتبية فى جزر الهند الغربية قدما إلى الأمام وخاصة مجال التعاون المكتبى، كما ساهما فى جمع ما يمكن جمعه من بيانات وأرقام ومعلومات عن المكتبات والمهنة هناك. كذلك يقوم مركز التوثيق الكاريبى (مقره فى ترينيداد وتوباجو) بدور فعال فى هذا الصدد. وفى ثمانينات القرن العشرين بدأت مشروعات تعاونية لإدخال الميكنة إلى مسرح المعلومات والمكتبات فى جزر الهند الغربية مثل مشروع (كارسبلان) أو خطة نظم المعلومات الآلية فى الكاريبى وذلك لإنشاء قواعد بيانات آلية فى مجال الاقتصاد والعلوم الاجتماعية.

فى العقدين الأخيرين أصبحت ميكنة المكتبات الكاريبية هدفًا أساسيًا لكثير من المكتبات التى ترغب فى الدخول فى مشروعات تعاونية إقليمية، ولكن بسبب الأزمة الاقتصادية هناك تسير الميكنة بخطى بطيئة.

المصادر

١- شعبان عبدالعزيز خليفة. الكتب والمكتبات فى العصور الحديث. – القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠١.

2- Alleyne, Alvona and Pam Mordecai. Educational Publishing and Book Production in the English Speaking Caribbean. – in. – Library Trends. – Vol. 26, Spring 1978.

3- Baa, Enid. Libraries of the Caribbean. – Saint Thomas: Charlotte Amalis, 1959.
4- Bateson, Nora. Library Plan for Jamaica. – Kingston: Government Printer, 1945.
5- Cave, Roderick. Early Printing and Book Trade in the West Indies. – **in**. – Library Quarterly. – Vol. 48, April 1978.
6- Danton, Periam. Jamaica: Library Development. – Paris: UNESCO, 1965.
7- Douglas, Daphne. West Indies University, Library Studies.- 1990
8- Freudenthal, Juan R. West Indies, Libraries in. – **in**. – Encyclopedia of Library and Information Science. – New york: Marcel Dekker, 1982. Vol.33.
9- Maymi – Sugranes, Hector J. Caribbean. – **in**. – Encyclopedia of Library History. – New York and London: Garland Publishing, 1994.
10- Zimmerman, Irene. Current National Bibliographies: A State – of – the Art. – Florida: University of Florida, 1971.
11- World Almanac and Book of Facts. – New York: World Almanac Books, 2005.

جزنر، كونراد ١٥١٦ـ١٥٦٥

Gesner, Conrad (Konrad) 1516-1565

عالم طبيعيات سويسرى وباحث إنسى وجد فى الببليوجرافيا مجالاً خصبا لعبقريته وطاقته وسعة أفقه التى لا حدود لها. وقد يرى البعض أنه ليس (أبو الببليوجرافيا) فقد سبقه فى العصور القديمة كاليماخوس وفى العصور الوسطى الإسلامية العباقرة ابن النديم، طاش كوبرى زادة، حاجى خليفة، وفى العصور الحديثة الأوربية سبقه تريتهايم، إراسموس، نيفزانو، ليلاند ، شامبير وهؤلاء الأوربيون أعدوا ببليوجرافيات ولكنها لا ترقى إلى حجم الإنجازات التى قام بها جزنر فى هذا المجال فقد كان المنطق والمثابرة والجلد وراء العمل التذكارى الذى قام به جزنر وهو (الببليوجرافية العالمية) أشهر وأكبر أعماله.

ولد كونراد لأسرة كبيرة فى زيورخ فى السادس عشر من مارس ١٥١٦م وقدر عليه أن يعيش مع اثنين من أصدقاء الأسرة شجعاه على الدراسة والبحث، كان أحدهما هو جوهان جاكوب أمان صديق إراسموس الحميم. أما جوهان أمان فقد علمه اللغة اللاتينية. وقد مات أبوه فى معركة كابيل سنة ١٥٣١م واضطر كونراد إلى العودة لمساعدة أمه. وفى سنة ١٥٣٣م ارتحل إلى بروغيز حيث حصل على منحة دراسية ولكنه اضطر إلى العودة مرة أخرى إلى منزله عقب رد الفعل الفرنسى العنيف ضد البروتستانت. وتزوج سنة ١٥٣٥ وفى سن التاسعة عشرة.

وكان أول كتاب ينشره كونراد هو قاموس يوناني-لاتينى (١٥٣٧) وقد تواكب ذلك النشر مع تعيينه أستاذا للغة اللاتينية وآدابها فى الجامعة الجديدة الإنشاء فى لوزان، وبعد أربع سنوات عين أستاذ كرسى الفيزياء والتاريخ الطبيعى فى الكلية الكارولينية فى زيورخ حيث عاش حتى وفاته وقد تم تكريم الرجل من الملكيات المجاورة وزاره الباحثون والدارسون من أماكن مختلفة وراسله آخرون بصفة مستمرة . وتوفى الرجل فى ١٣ من ديسمبر ١٥٦٥م فى أحد الأوبئة التى كانت تجتاح زيورخ من حين لآخر.

لقد أنتج كونراد جزنر ٧٢ كتابا نشرت خلال حياته القصيرة وخلف ١٨ كتابا أخرى لم يتمها، وإلى جانب (**البيليوجرافية العالمية**) التى سنتحدث عنها بشيءمن التفصيل نشر الرجل (حياة الحيوان) فى أربعة مجلدات ظهرت بين ١٥٥١-١٥٥٨م ومجلد خامس نشر بعد وفاته سنة ١٥٨٧م. وقد بدأ اشتغاله بعلم النبات بطبعة من كتاب فاليريوس كوردوس سنة ١٥٦١ ولم تتم طباعته للأسف إلى أن طبع مع كتابه (علم النبات) الذى نشر بعد وفاته بقرنين تقريباً ١٧٥١-١٧٧١. وتذكر المصادر أنه فى كتاباته فى علم الحيوان وعلم النبات كان جامعا ومنسقا فقط وإن بقى الباحث الأول فى هذين المجالين إلى وقت لينايوس. أما فى مجال علم اللغة فإن معاجمه تأتى في المرتبة الثانية بعد (ميثريديتش) المنشور سنة ١٥٥٥م حيث عرض المفردات والمقابلات فى ١٣٠ لغة ونوقشت فيه اللغة الرومانية للمرة الأولى وقد جمعت كتابات جزنر الطبية فى كتابه (الرسائل الطبية) سنة ١٥٧٧م.

وقد ظهرت آراؤه ومبتكراته فى الطهى فى طبعة ١٥٦٣م من كتابه (كتاب ويلليش فى الطهي). وتذكر المصادر أنه عمل وكتب كثيرا في مجالات الجيولوجيا والتعدين وربما جاءت دراساته فى الحفريات نتيجة حبه الشديد لتسلق الجبال، ويرى الثقات أن الكتابات السريعة التى نشرها حول التمارين الرياضية والتسلية لا تستحق التوقف أمامها.

وكان من الممكن أن يتوه كونراد جزنر فى خضم آلاف المؤلفين والكتاب فى القرنين الأولين للطباعة لولا عمله العظيم (الببليوجرافية العالمية) التى وضعته فى مصاف كبار الببليوجرافيين عبر التاريخ مثل كاليماخوس وابن النديم وحاجى خليفة وغيرهم. وهذه الببليوجرافية العالمية حصر فيها كل ما نشر فى أوربا منذ ظهور الطباعة إلى عصره. وقد صدرت فى مجلدين على أيامه: المجلد الأول سنة ١٥٤٥م وقد حصر فيه نحو ١٢٠٠٠ عنوان رتبها هجائيا بالمؤلفين. أما المجلد الثانى فقد صدر سنة ١٥٤٨م وقد أراده كشافا مصنفا للمجلد الأول ولكنه أضاف إليه ٣٠٠٠ عنوان أخرى وبالتالى أصبح المجلد الثانى المصنف يضم ١٥٠٠٠ عنوان. وقد وزعت المفردات على ٢١ قسما رئيسيا فرعت بعد ذلك ليصل عدد الموضوعات إلى حوالى ١١٠٠ موضوع. وهذا المجلد الثانى يضم ١٩قسما، وقد خرج من بطنه القسم العشرون أو المجلد الثالث فى نظر البعض والذى يضم قسم الدين وحده ويقال إنه نشره سنة ١٥٤٩م. وكان مخططا أن يكون القسم الواحد والعشرون مخصصا لكتب الطب ولكنه لم ينشر أبداً. وقد صدر ملحق لهذه الببليوجرافية اعتبره البعض مجلد رابعا سنة ١٥٥٥م ويضم الملحق إضافات لما فات عليه أو استجد فى الفترة التى انصرمت بين ١٥٤٨ و١٥٥٥م.

وقد اكتشف زملاء جزنر أهمية هذا العمل فصدرت ببليوجرافيتان مختصرتان عقب ظهور (الببليوجرافية العالمية) مباشرة ١٥٥١ و١٥٥٥م هذا إلى جانب تلحيق الببليوجرافية الكبرى نفسها على التتابع وصدر أول ملحق سنة ١٥٥٥م كما صدرت طبعات جديدة موسعة ومنقحة توفر عليها تلاميذ جزنر من بينهم جوسياس سيملر (١٥٧٤)، جوهان جاكوب فريسيوس ١٥٨٣.

ولم يكتف جزنر فى بيليوجرافيته بإعطاء اسم المؤلف وعنوان العمل ولكنه حاول جاهدا إعطاء بيانات النشر (مكان النشر والناشر أو الطابع وتاريخ النشر). وفى كثير من الأحيان كان يعطى بيانات بالمحتويات مثل عناوين الفصول والأقسام ما أمكن ومن حين لآخر يقدم ملاحظات نقدية وآراء شخصية فى العمل. وعندما يكون هناك أكثر من طبعة للعمل فإن جزنر كان يشير إلى ذلك كلما استطاع إلى ذلك سبيلاً. وفى أحيان أخرى كان يشير إلى كتب مخطوطة لم تنشر، وربما إلى أعمال لم تتم أو تكتمل قدر طاقته. وفى أحيان متفرقة يذكر مكان تحصيل الكتاب.

المصادر

١- شعبان عبد العزيز خليفة. البيليوجرافيا، أو، علم الكتاب: دراسة فى أصول النظرية البيليوجرافية وتطبيقاتها: النظرية العامة. - القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٤م.

2- Bay, J.Christian. Conrad Gesner: 1516-1565: the Father of Bibliography: An Appreciation.-**in**.- Papers of the Bibliogrphical Society of America, 1916.

3- Ficher, Hans. Conrad Gessner [sic]: 1516-1565: as a Bibliographer and Encyclopedist.- **In**.- the Library, 5th series, 1966.

4- Krummel, D.W. Gesner, Conrad.- **in**.-World Encyclopedia of Library and Information Science.- Chicago: A.L.A, 1993.

جلزنس، رودلف هـ ١٨٩٤ ـ ١٩٦٨

Gjelsness,Rudolph H.1894-1968

رودلف هـ . جلزنس أحد أساتذة علم المكتبات الأمريكيين اللامعين والباحثين والمستشارين فى مجال المكتبات ونظم المعلومات. وكان أول من حصل على جائزة بيتا- في- مو سنة ١٩٥٤م بسبب خدماته المتميزة فى مجال تعليم علم المكتبات.

وقد ولد رودلف جلزنس فى رينولدز من أعمال داكوتا الشمالية فى ١٨ من أكتوبر سنة ١٨٩٤م. وبعد أن أتم تعليمه الثانوى التحق بجامعة داكوتا الشمالية سنة ١٩١٢ وحصل على البكالوريوس من تلك الجامعة ١٩١٦ وعمل بعد تخرجه مديرا للمدرسة الثانوية فى آدامز بنفس داكوتا الشمالية ولكنه استقال بعد عام واحد ليلحق بالقوات المسلحة الأمريكية بعد دخول أمريكا الحرب العالمية الأولى وكان موقعه بين أفراد البعثة الأمريكية المسلحة فى فرنسا. وبعد انتهاء الحرب وإلقاء السلاح سنة ١٩١٨ وقد انفك من الخدمة العسكرية عاد ليعمل أمين مكتبة المراجع فى مكتبة البعثة العسكرية الأمريكية فى بون فرنسا. وبعد هذه التجربة صمم الرجل عند عودته إلى الولايات المتحدة أن يلتحق بمهنة المكتبات من أوسع أبوابها. وعمل فى مكتبة جامعة الينوى بقسم التزويد وحصل فى نفس الوقت على بكالوريوس فى علم المكتبات سنة ١٩٢٠ .

وكانت أول وظيفة مكتبية مهنية يتولاها رودلف كانت وظيفة فى مكتبة جامعة أوريجن رئيسا لقسم التزويد سنة ١٩٢٠. وبعد ذلك بسنتين قبل وظيفة ببليوجراف أول فى مكتبة جامعة كاليفورنيا، وقضى السنة ١٩٢٤/ ١٩٢٥ فى جامعة أوسلو بمنحة دراسية من المؤسسة الأمريكية الاسكندنافية وقد أثارت تلك الفترة فى نفسه ذكريات طفولته حيث كان أبواه الاسكندنافيان يقصان عليه القصص النوردى القديم، وحمسته من جديد إلى الآداب النرويجية. ولذلك قام بعد عودته مباشرة إلى الولايات المتحدة بترجمة عدد من القصص القصيرة والروايات النرويجية إلى الإنجليزية ومن بينها رواية الكاتب النرويجى جوهان فوكبيرجت (ليزبث من جارنفيلد) التى نشرها سنة ١٩٣٠ فى نيويورك.

وقد نشر جلزنس أول إسهام مكتبى فى إصدارة يولية ١٩٢٥ من مجلة (المكتبات العامة) وكانت مقالة بعنوان "سنة مكتبى فى النرويج". ولم تنطو المقالة على معلومات مكتبية حيث قال الرجل إنه من الأفضل التركيز على الأدب النرويجى.

وعندما عاد من النرويج سنة ١٩٢٥ عين فى وظيفة مساعد مكتبى ومصنف أول فى مكتبة جامعة ميتشجان التى كان يرأسها وليام وارنر بيشوب. وفى السنة التالية فتح بيشوب مدرسة لعلم المكتبات وأشرك رودلف جلزنس فى التدريب بها بعض الوقت. وكان أول مقرر يدرسه فى صيف ١٩٢٧ يدور حول (الببليوجرافيا الوطنية والإقليمية)

فى سنة ١٩٢٩ ترك رودلف جلزنس عمله فى ميتشجان ليصبح رئيسا لقسم الإعداد الفنى فى مكتبة نيويورك العامة محاضرا فى علم المكتبات فى مدرسة الخدمة المكتبية بجامعة كولومبيا. وقد أغراه وليام وارنر بيشوب بالعودة إلى آن آربر ميتشجان، أستاذًا زائرًا صيف ١٩٣٢، وفى نفس ذلك الصيف تزوج الرجل من روث اليزابث ويفر. ومنذ ذلك الحين ١٩٣٢ حتى ١٩٣٧م أصبح مديرا لمكتبة جامعة أريزونا حيث عمل على تنمية المجموعات تنمية كبيرة وحقق للمكتبة مكانة عظيمة.

وفى سنة ١٩٣٧م نجح وليام وارنر بيشوب فى الحصول على منحة من مؤسسة كارنيجى فى نيويورك لدعم مدرسة المكتبات فى ميتشجان وكان قوام هذه المنحة ١٥٠,٠٠٠ دولار وهو مبلغ ليس بالهين فى ذلك الوقت وعلى أساس أن يستخدم دخل هذا المبلغ فى تمويل درجة أستاذ للتدريس بالمدرسة وكان اختيار بيشوب قد وقع على جلزنس لشغل تلك الدرجة. وكان بيشوب الذى كان يقترب من سن التقاعد ويرى أنه لابد من فصل وظيفة مدير المكتبة عن وظيفة عميد مدرسة المكتبات عن بعضهما، قد اختار الرجل المناسب ليخلفه فى وظيفته عميد المدرسة (رئيس القسم). وكانت المقررات التى كان على جلزنس أن يدرسها هى: الدوريات،المطبوعات الحكومية الأجنبية، تاريخ النشر الحديث وتوزيع الكتاب.

وحدث فعلا ما خطط له بيشوب حيث خلفه جلزنس فى رئاسة قسم المكتبات (عميد مدرسة المكتبات) بجامعة ميتشجان سنة ١٩٤٠. وتذكر المصادر أن القسم كان محظوظا بهذا التعيين وحيث أعلن بيشوب بين أعضاء رابطة الخريجين أن جلزنس هو الرجل المناسب حيث جمع بين الخبرة العملية فى المكتبات والخبرة الأكاديمية فى تدريس علم المكتبات، وقد وضع بيشوب بين يديه مجموعة من خيرة الطلاب أمانة ليست فقط للحفظ والصون وإنما أيضا للتطوير والتنمية. وقد استمر جلزنس ربع القرن التالى من حياته حتى تقاعده سنة ١٩٦٥ فى تلك الوظيفة الأكاديمية، وعند تقاعده منح درجة أستاذ فخرى. وفى فترة رئاسته للقسم تخرج من جامعة ميتشجان ٢٢٦٩ خريجا فى علم المكتبات من

بينهم ٤٧ طالبا دكتوراه وقد زاد عدد أعضاء هيئة التدريس المتفرغين من أربعة إلى سبعة دعموا بطبيعة الحال ببعض العناصر غير المتفرغة.

ورغم أعبائه الأسرية فإن ذلك لم يلهه عن الوفاء بالتزاماته المهنية العامة والخاصة ففى فترة الثلاثينات والأربعينات عمل بهمة ونشاط فى أنشطة اتحاد المكتبات الأمريكية، فترأس لجنة الفهرسة والتصنيف ١٩٣٠-١٩٣٣، ومرة ثانية من ١٩٣٥-١٩٤١، ورأس لجنة تنقيح قواعد الفهرسة، وكان نائب رئيس تحرير: قواعد فهرسة اتحاد المكتبات الأمريكية: مداخل المؤلف والعنوان (١٩٤١). وفى الفترة ١٩٤١-١٩٤٧ كان أمين صندوق اتحاد المكتبات الأمريكية.

لقد كان على جلزنس التزام قوى إزاء الدولية المكتبية، وكان لديه ميل شديد نحو جذب الطلاب الأجانب إلى جامعة ميتشجان. وأدار المدرسة الصيفية فى المكتبات فى بوجوتا إدارة مشتركة سنة ١٩٤٢ وأخذ إجازة تفرغ سنة ١٩٤٣-١٩٤٤ (من جامعة ميتشجان) ليدير مكتبة بنيامين فرانكلين فى مدينة المكسيك وفى نفس تلك السنة رأس مشروع الفهرس الموحد. كذلك أخذ إجازة تفرغ ثانية ١٩٦٢-١٩٦٣ ليعمل مستشارا لشئون المكتبات فى جامعة بغداد بالعراق تحت كفالة مؤسسة فورد.

وبعد تقاعده من جامعة ميتشجان وكان فى كامل صحته وتوقد ذهنه نفذ وعدًا كان قد قطعه بالعودة يوما ما إلى جامعة أريزونا وعمل رئيسا لقسم المجموعات الخاصة بمكتبة الجامعة. ولم يترك مهمة التدريس تماما بل عاد ليدرس فصل الصيف فى جامعة ميتشجان صيف ١٩٦٨، وفى نفس ذلك الصيف ذهب إلى جامعة بورتوريكو للإسهام فى تأسيس مدرسة الدراسات العليا فى علم المكتبات هناك. ولكن صدمته سيارة وقتلته فى يومه الثانى فى مدينة ريوبيدراس فى السادس عشر من أغسطس ١٩٦٨ مخلفا وراءه زوجته روث وابنته إليزابث وابنه بارنت.

وقد كرم الرجل خلال حياته كثيرا اعتباراً من اختياره لجوائز فى ـ بيتا- كبا و فى ـ كبا- فى إلىي منحه درجات الدكتوراه الفخرية من كلية لوثر (١٩٥٣)، جامعة داكوتا الشمالية (١٩٥٨). وفى سنة ١٩٥٤م كان أول من حصل على جائزة بيتا-في-مو، عن التميز فى

تدريس علم المكتبات على نحو ما أسلفت فى بداية هذه الورقة. وفى سنة ١٩٦٦ نشر كتاب تذكارى على شرف الرجل، أصدرته جامعة فيرجينيا وكان الكتاب بعنوان (كتب فى ماضى أمريكا)، وقد اشتمل الكتاب على مقالات بأقلام عدد من طلابه الذين أشرف على رسائل الدكتوراه الخاصة بهم.

وكما وصف رودلف جانرنس أديبه النرويجى المفضل (جوهان فولكبيرجت) بأنه رقيق مهذب كان رودلف نفسه رقيقا مهذبا فيما تذكر المصادر وتضيف المصادر أنه كان باحثا من الطراز الأول متواضعا غير دعى وكان زملاؤه ينادونه باسمه الأول رودلف، وبعضهم كان يناديه باسم (رودي). وكان يتجنب استخدام اسمه الأول عادة فى أحاديثه ومحادثاته وكان قليلا ما يتحدث عن شبابه أو أسرته، ورغم أنه كان حجة فى كثير من فروع علم المكتبات بما فى ذلك تاريخ النشر والطباعة، ورغم أنه كان جماعا نهما للكتب إلا أنه لم يحاول أبدا استعراض معلوماته أو معرفته أو مهاراته، ولم يعرف إلا أقرب المقربين إليه أنه رسام وعازف بيانو، ولأنه كان شخصية خاصة جداً فلم يكن ليطرح همومه أو أفراحه على الآخرين رغم أنه كان صبورا ومتعاطفا عندما يستمع إلى مشاكل الآخرين. ولم يكن يسعد الرجل أكثر من نجاح طلابه والذين كانت لهم لديه ذاكرة قوية. ولم يكن الرجل ليمل أو يشقى فى مساعدتهم للترقى فى العمل المكتبى.

وقد خلف جلزنس فى رئاسة قسم المكتبات بجامعة ميتشجان سنة ١٩٦٤م البروفيسور والاس جون بونك، وقد كتب فى خطاب له إلى رابطة خريجى القسم يقول- بحق- سنة ١٩٦٥م "بالنسبة للكثيرين منا كان البروفيسور جلزنس هو القسم" والذى كان فى حقيقة الأمر "رقيق الحاشية مهذبا".

المصادر

1- Bidlack,Russel E. Gjelsness, RudolphH.-in.- Dictionary of American Library Biography.- Littleton: Libraries Unlimited, 1978.

2- Bidlack, Russel E. Gjelsness, Rudolph H.- in. -World Encyclopedia of Library and Information Services.- Chicago: A.L.A, 1993.

3- Books in America's Past.- Charlottesville, Va: University of Virginia, 1966 (Festschrift in Honor of Gjelsness).

جليسون، إليزا أتكنز ١٩٠٩ -

Gleason, Eliza Atkins 1909 -

إليزا أتكنز جليسون مكتبية أمريكية وأستاذة فى علم المكتبات والمعلومات، كانت أول عميدة لمدرسة الخدمة المكتبية فى جامعة أتلانتا وكانت كما تصفها المصادر المهندسة المعمارية لبرنامج تعليم علم المكتبات الذى الذى تخرج فيه ٩٠٪ من كل أمناء المكتبات السود فى الولايات المتحدة.

ولدت إليزا فى مدينة ونستون- سالم فى كارولينا الشمالية فى الخامس عشر من ديسمبر ١٩٠٩م لوالديها سايمون جرين وأوليونا بجرام أتكنز، وكان أبوها مؤسس وأول رئيس لكلية الولاية فى سلاتر التى تطورت لتصبح الآن جامعة الولاية فى ونستون- سالم، وكانت أمها مدرسة.

وبعد أن تخرجت إليزا فى جامعة فيسك سنة ١٩٣٠ كعضو فى جماعة فى -بيتا- كبا حصلت على درجة البكالوريوس فى العلوم من مدرسة علم المكتبات من جامعة إلينوى سنة ١٩٣١. وفى سنة ١٩٣٦ حصلت على ماجستير الآداب فى علم المكتبات من جامعة كاليفورنيا- بيركلى. وقد درست فى مدرسة الدراسات العليا للمكتبات بجامعة شيكاغو وأصبحت أول شخص أسود يحصل على درجة الدكتوراة فى علم المكتبات سنة ١٩٤٠. وقد تزوجت من موريس جليون الفيزيائى سنة ١٩٣٧.

وقد عينت إليزا جليسون عميدة لمدرسة الخدمة المكتبية فى جامعة أتلانتا (١٩٤٠- ١٩٤٦) والتى افتتحت الدراسة بها سنة ١٩٤١. وقد أدركت أن نجاح هذه المدرسة فى فترة من أحلك فترات التفرقة العنصرية والتمييز ضد السود بالذات كان يعتمد على مدى استجابته للظروف الاجتماعية والحاجة الإنسانية السائدة آنذاك، ولكنه فى نفس الوقت يمكن تعديله وإعادة تشكيله حسب الحاجة، وقد كتبت أن برنامج مدرسة كهذه لابد وأن

ينطوى على أهداف ديناميكية يمكن تعديلها واستبدالها حسب مقتضيات المستقبل القريب أو البعيد مع التركيز على " الزنوج".

ولقد كانت حياة جليسون المهنية متميزة وثرية ومتنوعة ومثمرة ففى سنة ١٩٣١ و١٩٣٢ شغلت منصب مدير مكتبة كلية بلدية لويزفيل. وفى سنة ١٩٣٢ قبلت منصب رئيس قسم المراجع وأستاذ مساعد فى جامعة فيسك وظلت هناك حتى ١٩٣٦.وفى سنة ١٩٣٦-١٩٣٧م شغلت منصب مدير مكتبات كلية تالاديجا، وحيث لمست حاجة السود إلى خدمات مكتبية عامة فى الجنوب ومن ثم فتحت أبواب مكتبة الكلية وأتاحت مصادرها أمام السود فى البيئة المحيطة بالكلية. وقد عبرت عن ميلها الشديد إلى إتاحة الخدمة المكتبية العامة للسود فى أمريكا فى رسالتها المتميزة (زنوج الجنوب والمكتبة العامة "١٩٤٠").

وفى سنة ١٩٥٣م أصبحت جليسون رئيسة لقسم المراجع فى مكتبة كلية ويلسون المتوسطة فى شيكاغو وفى سنة ١٩٥٣-١٩٥٤م عينت أستاذا مشاركا ورئيسا لقسم المراجع فى مكتبة كلية المعلمين فى شيكاغو. وثم بعد ذلك أستاذا مشاركا لعلم المكتبات فى كليات المعلمين بشيكاغو فى الفترة من ١٩٥٤-١٩٦٣. ومن ١٩٦٤ حتى ١٩٦٧م أصبحت مساعد مدير مكتبة جون كريراد فى شيكاغو. وفى الفترة من ١٩٦٧-١٩٧٠م عينت أستاذا لعلم المكتبات فى معهد إلينوى للتكنولوجيا. وفى سنة ١٩٧٠م أصبحت مساعد أول مدير المكتبات فى مكتبة شيكاغو العامة لشئون المراكز الإقليمية.

وقد كتبت مقالا فى مجلة (مكتبات إلينوي) عدد إبريل ١٩٧٢م حول تأسيس مكتبة شيكاغو العامة ومن هذا المقال تؤكد التزامها بتدريس علم المكتبات والطلاب الذين يتعلمون هذا العلم، والتعليم بصفة عامة والطلاب على إطلاقهم:

"عند التخطيط لإنشاء مركز إقليمى لمكتبة شيكاغو العامة كان التفكير أساسا فى

المستفيدين الذين تضعهم مكتبة شيكاغو العامة فى ذهنها. لقد وضعت ضمن ما وضعت "الطلاب"- الطلاب من كل نوع. طلاب المدارس الثانوية المراهقين، طلاب الكليات المتوسطة، طلاب الكليات الجامعية التى لا تملك مكتبات قوية تساعدهم فى دراستهم، وهناك طلاب العلم على إطلاقه والباحثين الذين يرغبون فى تعمق القراءة فى أحد الموضوعات.

وفى العام الجامعى ١٩٧٤-١٩٧٥ عادت إلى تدريس علم المكتبات، أستاذا فى جامعة شمالى إلينوى وإلى جانب الأعمال التى قامت بها والوظائف المهنية التى تقلدتها كان للدكتورة إليزا جليسون نشاط مهنى عام فقد كانت أول إفريقية- أمريكية (أول أسود أمريكي) عضوا فى مجلس اتحاد المكتبات الأمريكية من ١٩٤٢-١٩٤٦. وفى سنة ١٩٦٤م منحت جائزة جامعة فيسك عن إنجازاتها المتميزة.

وإلى جانب كتابها -المأخوذ عن رسالتها للدكتوراه- فى "زنوج الجنوب والمكتبة العامة: دراسة فى إدارة وتسيير الخدمات المكتبية العامة للزنوج فى الجنوب" والذى نشر سنة ١٩٤١، هناك كتاب آخر حول "تاريخ مكتبة جامعة فيسك" سنة ١٩٣٦، وهناك عدد كبيرمن المقالات والدراسات فى الدوريات المتخصصة. إن امرأة فى قوة وحيوية ونشاط وثراء إليزا جليسون كان لابد لها وأن تمارس أنشطة اجتماعية مختلفة إلى جانب نشاطها المهنى، وقد تم اختيارها وتعيينها فى منا صب قيادية اجتماعية متنوعة من بينها على سبيل المثال تعيينها سنة ١٩٧٨ عضو مجلس إدارة مكتبة شيكاغو العامة. ورغم أن سن السبعين بالنسبة لمعظم الناس هى سن الانسحاب من الحياة العامة إلا أن إليزاجليسون سنة ١٩٧٨ عينت المديرة التنفيذية لـ "صندوق سود شيكاغو المتحد".

المصدر

Josey, E.J. Gleason, Eliza Atkins.-in.- World Encyclopedia of Library and Information Science.- Chicago:A.L.A, 1993.

جماعة البحث فى التصنيف

Classification Research Group

جماعة البحث فى التصنيف البريطانية هى أولى عدة جماعات وطنية قامت لإعداد بحوث ودراسات فى مجال التصنيف وتطوير نظم التصنيف. وهذه الجماعة البريطانية أسست بطريقة غير رسمية سنة ١٩٥٢م واستمرت حتى الآن. وقد جاء تكوين هذه الجماعة نتيجة من نتائج مؤتمر الجمعية الملكية حول المعلومات العلمية سنة ١٩٤٨. هذا المؤتمر دعا إلى تشكيل لجنة من الجمعية الملكية برئاسة ج. د. بيرنال وقد استمرت اجتماعات ومناقشات تلك اللجنة لأكثر من عامين. وقد طلب بيرنال من أ. ج. ويلز وب. س. فيكرى أن يجمع مجموعة من المكتبيين المهتمين التصنيف للاستمرار فى المناقشات والاجتماعات وبلورة الصيغة المناسبة لعمل اللجنة. وقد حققت هذه الجماعة إنجازات هامة وحققت مكانة دولية لعل من أبرز آثارها تكوين جماعات وطنية فى دول مختلفة للبحث فى التصنيف. وإن كانت اللجنة كجماعة لم تنشر إلا بحوثا محدودة إلا أن أعضاء هذه الجماعة بشخوصهم قد أثروا مجال التصنيف بالبحوث القيمة التى يقومون بها والتى تنشر بها قوائم ببليوجرافية من حين لآخر فى "مجلة التوثيق".

وربما كانت وجهة نظر الأعضاء الأصليين فى هذه الجماعة أنه لا توجد خطة تصنيف واحدة مقنعة وأنها جميعا مرفوضة من جانبهم وعلى ضوء التوثيق الحديث. ولذلك كان تركيز هذه الجماعة فى السنوات الأولى حول مبادئ وركائز منهج البحث فى التصنيف وخاصة الحاجة إلى المرونة فى جمع المفاهيم: التنسيق السابق والتنسيق اللاحق، التحليل الوجهى وتحليل العلاقات، استخدام الأدوار والروابط.

وبعد المناقشات المبدئية نشر بيان رسمى بالأهداف والإجراءات فى مجلة (سجل اتحاد المكتبات) تحت عنوان "الحاجة إلى تصنيف وجهى كأساس لكل طرق استرجاع المعلومات". وبعد ذلك مباشرة أخذ أعضاء الجماعة فى إعداد عدد من التصانيف الوجهية

التخصصية مثل: علم التربة، تكنولوجيا الماس، الصيدلة، السلامة والصحة المهنية وكانت هذه التصانيف الوجهية المتخصصة متشابهة فى بنيتها العامة: قسمت الموضوعات إلى مجموعات من المصطلحات أو الأوجه وكانت جميعا شاملة محيطة وفى نفس الوقت مانعة قاطعة. وحيث إن كل مصطلحات الوحدة كانت تقف فى نفس مستوى العلاقة مع الموضوع الرئيسي. وفى علم التربة كانت الأوجه على النحو الآتي:

1 عام
3 الأساليب المعملية
4 التجارب على التربة
5 العمليات فى التربة
6 الخصائص
7 المكونات
8 البنية
9 أنواع التربة

وهذه الأوجه تتدرج من العام إلى الخاص وكل وجه له رقم وكل مصطلح داخل الوجه رمز له بحروف صغيرة. وعلى سبيل المثال:

gib اللطريط: صخر أحمر مسامي.
gig الطفال الرملي الأحمر: تربة خصبة مؤلفة من طين ورمل ومادة عضوية.
9kb الشيرنوزيم المتدرج
8fb النسيج
7hj المياه الجوفية
6p6 طاقة الاحتفاظ بالرطوبة
4eh الصرف

وربما تلجأ بعض الأنظمة الأخرى إلى استخدام الحروف الكبيرة بدلاً من الأرقام وتستخدم الحروف الصغيرة للمصطلحات وعلى سبيل المثال:-

Bhb العمال المسنون والمعوقون.

Ccb الماكينات

Enp حماية التنفس

وهذه الملامح نجدها فى نظام التصنيف الخاص بالسلامة والصحة المهنية والذى يستخدمه مكتب العمل الدولى فى جنيف. ولعل أكبر التصانيف الوجهية المتخصصة هو ذلك الذى تستخدمه شركة الكهرباء الانجليزية والمعروف باسم (تصنيف شركة الكهرباء الإنجليزية الوجهى فى الهندسة) وكان قد بدأ كتصنيف صغير يغطى فقط مجال المفاعلات النووية. ويرى الفقهاء أن كل التصانيف فى موضوعات علمية وتكنولوجية. وفى منتصف الخمسينات انضمت باربارا كايل للجماعة وبدأت تعمل فى تصنيف العلوم الاجتماعية. وذلك بهدف وضع نظام لتصنيف ببليوجرافيات اللجنة الدولية لتوثيق العلوم الاجتماعية. وكانت ترى نبذ الطريقة التقليدية فى التصنيف وآثرت إتباع طريقة رانجاناثان فى التحليل الوجهى وأبقت على الرمز الذى استخدمه رانجاناثان لوجه "الشخصية" و وجه "الطاقة" وأعدت نظامها الخاص بناء على ذلك فأعدت قائمتين طويلتين إحداهما للشخصيات (ورمز لها بحروف صغيرة) والثانية بالأنشطة (ورمزت لها بالحروف الكبيرة). وكما هو الحال فى نظم التصنيف الخاصة بالعلوم والتكنولوجيا تم التنسيق بين المفاهيم عن طريق وضع الرموز المناسبة متوازية. وقد أعد د. ج. فوسكيت نظاما معدلاً عن نظام كايل واستخدمه فى مجال تنمية المجتمع والتربية وكلا النظامين ما يزالان مستخدمين فى معهد التربية بجامعة لندن.

وقد أعد ج. أ. فارادين فى سنة ١٩٥٠ تحليلا شديد التفصيل للعلاقات بين المفاهيم وكان أول تطبيق له على كشاف هجائى وبعدها أدخل فكرة تحليل العلاقات فى بناء نظم التصنيف الوجهية. وقد أعد قوائم بالمصطلحات المقيدة عرفت بالمنعزلات (نفس تسمية رانجاناثان) وذلك للتعبير عن الموضوعات ولكن بدلاً من وضع المصطلحات فى وضع مواز فقط استخدم سلسلة من الرموز للتعبير عن العلاقات وقد أطلق على هذه الرموز اصطلاح المشغلات.

وقد حققت الجماعة إنجازا هاما سنة ١٩٥٧ وذلك بجعل مؤتمر الاتحاد الدولى للتوثيق (فيد) المنعقد فى دوركنج بالاشتراك مع أسلب يدور حول "التصنيف لاسترجاع المعلومات". ومن إنجازات اللجنة أيضا نشر "المجلد التذكارى لـ سيرز" وفاء لذكرى و. س. سيرز.

وبعد إعداد عدد كبير من التصانيف المتخصصة الوجهية أدركت اللجنة أن هذا ليس بالطريق الصحيح لحل واقتحام المشكلة ذلك أن كل موضوع متخصص ينطوى على عدد محدود من الأوجه الأساسية أوجه اللب ولكنه يمتد خارج اللب فى مجالات هامشية واسعة النطاق. ورأت الجماعة أنها قد كونت خبرة واسعة فى مجال إعداد التصانيف المتخصصة وأن عليها أن تتوجه إلى المشروع الصعب وهو وضع نظام تصنيف جديد عالمي. وقد تواكب فى سنة ١٩٦٢م أن قامت اللجنة الاستشارية للعلوم فى الناتو "حول زيادة فاعلية العلوم الغربية" باقتراح إعداد نظام تصنيف جديد للعلوم. وقد تقدمت الجماعة لإعداد هذا التصنيف وفازت بمنحة صغيرة لإعداد المشروع التجريبى وعقد مؤتمر عالمى فى لندن سنة ١٩٦٣م لوضع الأسس العامة للعمل فى المشروع.

فى نفس ذلك الوقت أسست كما ذكرت عدة جماعات بحث فى التصنيف فى دول مختلفة وعلى رأسها مركز بحوث وتدريب التوثيق فى بنجالور وفى الولايات المتحدة وفى العديد من الدول الأوربية. هذه الرغبة فى دراسات التصنيف والتى أثارها الاتحاد الدولى للتوثيق وخاصة من خلال لجنة بحوث التصنيف به، أدت إلى عقد المؤتمر الثانى ـ دوركنج فى إلزينور سنة ١٩٦٤.

وقد أخذت جماعة البحث فى التصنيف على عاتقها وضع الفئات العامة للكليات والخصائص والأنشطة. وقد قصد بالكليات أن تغطى كافة المصطلحات فى القوائم الرئيسية التى تشير إلى الأشياء التى تعتبر كليات سواء كانت مجردة أو مجسمة. وقد ضمت بطبيعة الحال الأشياء والمواد مثل: الحديد، الصخور، الأنهار، الصناعات، الأشياء التى من صنع الإنسان، الحقائق المتعلقة بالإنسان، الإنتاج الفكرى أو العقلى للإنسان مثل

الأفكار والشعر والمذاهب الفلسفية بالضرورة إلى المشكلة الكبرى للنظام العام: من أين نبدأ؟ لو اتفقنا على أن نلغى من حسابنا الأقسام الأساسية التقليدية فما هى إذن نقاط الانطلاق. إن الموضوعات المتخصصة لها مجال عملها ونستطيع عن طريق مسح الإنتاج الفكرى أن نجد الأوجه المناسبة ومن ثم نقرر سياق الترتيب الذى نضعها فيه ولكن ذلك غير متاح بالنسبة لكل المعرفة البشرية. وقد كشف عمل باربارا كايل فى سلسلة من المجالات أن المرء يستطيع أن يلغى فكرة الأقسام الرئيسية ويعد قوائم مطولة بالشخصية والأنشطة ولكن لابد من وضع أسس لتحديد سياق ترتيب تلك المصطلحات فى القوائم.

وفى سبيل البحث عن أساس للترتيب لجأت جماعة البحث تلك إلى نظرية المستويات المتكاملة لترتيب الكليات على الأقل، تلك النظرية ذات التاريخ الطويل الذى يعود على الأقل إلى القرن التاسع عشر وقد أصبحت الآن شائعة فى كتابات عدد من الفلاسفة المعاصرين وعلى رأسهم جوزيف نيدهام و ج. ك. فايبلمان وأول تطبيق مفصل لهذه النظرية نجده فى "مجلد سيرز التذكاري". وهذه النظرية تقول بأن عالم الأشياء يتطور من البسيط إلى المعقد وذلك عن طريق تركيم الخصائص وهكذا فإنه عند كل مستوى مع تجمع الوحدات فى المستوى الأدنى وتراكم خصائصها تصبح تلك الوحدات كلاً جديدا خصائصها بخصائص فريدة ذاتية. وكل مستوى هو أكبر من مجرد الجزئيات المكونة له ويفقد هويته لو تم تقسيمه فالدراجة على سبيل المثال هى أكبر من مجرد مجموعة قطع من المطاط والمعدن والبلاستيك. إنها تتكون من كل هذه الأشياء مركبة ومنظمة بطريقة معقدة وبمجموعة فريدة من العلاقات.

هذه النظرية يمكن أن تقدم أساساً صالحا وعلميا فى التصنيف العام لترتيب الكليات فى سياق يتدرج من الجزئيات الأساسية صاعدة ـ حسب تعبير رانجاناثان ـ إلى سلسلة من أوجه الشخصية المبنية على علاقات حقيقية بين الكليات وليست على أساس مجموعة من المجالات أو الأقسام الرئيسية التى يتم اختيارها اعتباطا. ولقد تم عمل دراسات مبدئية

على مجالات الجيولوجيا، التعدين، النحت وقام بتلك الدراسات التجريبية هيلين توملنسون. وقد تم اختيار تلك المجالات على أنها تمثل العلوم البحتة، والعلوم التطبيقية والفنون الجميلة. وقد رأت هيلين توملنسون أن ترتيب المصطلحات فى مستوى واحد يمكن استعارته من الأوجه الثانوية فى مستوى آخر على الرغم من أن نفس السياق قد لا يكون مناسبا. وقد أجرى المزيد من التجارب والدراسات المبدئية ولكن دون تعميمها على مجالات الفيزياء، الكيمياء، السياسة وذلك لتأكيد الفكرة القائلة بأن النظام المبنى على الكليات يمكن أن يقدم انطلاقة جيدة، أو المبنى على سلسلة من النقاط التى ترتبط فيها بينها بعلاقات وثيقة طبقا لمحتوياتها على العكس من الأقسام الرئيسية فى معظم التصانيف التقليدية.

ويرى فقهاء التصنيف أن هذه النظرية لا تتكيف تماما مع أوجه الطاقة: الخصائص، الأنشطة، العمليات. ولذلك قام فارادين بتوسيع تحليل العلاقات عن طريق التناظر الوظيفى للموضوعات بالاعتماد على نظرية "بنية الفكر" التى طورها ج. ب. جيلفورد، ومن هنا أنتج لنا نظاما يربط مستويات التعقيد فى النظام بـ "بالانماط الأساسية للمفهوم" الخاص بالكليات والأنشطة والتجريدات والخصائص. ويعد فارادين بعدا ثالثا وهو تجميع الموضوعات عن طريق جداول المصطلحات التى تستقى من أى مستوى من المفاهيم الأساسية. كذلك قدم الرجل بعدا رابعا هو فكرة "المصطلحات غير المتجانسة" أو النظم التى تتألف من خليط من المصطلحات من مستويات مختلفة والتى قد نحتاجها فى تكشيف الإنتاج الفكرى الفعلى.

لقد أدت فكرة "النظام" المقرونة بالبحث عن طريقة للتعامل مع وجه الطاقة العام إلى اختبار مدى إمكانية استخدام نظرية النظام العام التى طبقها د. و. أوستن. تلك النظرية التى تؤكد على ضرورة التفريق بين "الخصائص" و"الروافد"، وضرورة تحليل النظم الإيجابية والسلبية والتفاعلات بين النظم والنظم الفرعية. ولقد قام أوستن بإنتاج سلسلة أخرى من "المشغلات" أو تحاليل العلاقات معددا كافة الطرق لتنسيق النظم والبيئات.

وما قام به أوستن إنما يعكس تأثير فارادين سواء فى المحتوى أو طريقة الاستخدام ولكنهما يختلفان فى أنهما لا يحملان أية علاقة بمدارس الفكر النفسى على النحو الذى يمثله كل من بياجيه وجيلفورد اللذين يدين لهما فارادين بالفضل الكثير. إن تكويد فرض أوستن على شكل لوغاريتم "مراحل فى التصنيف والممارسة" قد تم اختباره على نطاق ضيق فى العلوم الطبيعية إلا أنه أسفر عن نتائج جيدة لوضع طريقة فعالة فى تحليل المصطلحات العامة للطاقة بصيغة يمكن تطبيقها فعلا على مصطلحات أى مستوى كلى وبأفضل شكل مناسب.

ولقد استمر العمل بعد ذلك على أساس المزج ما بين نظرية المستوى المتكامل ونظرية النظام العام لإنتاج خلطة جديدة من تحليل الأوجه وتحليل العلاقات بحيث يبنى عليها نظام تصنيف عام جديد قائم على أسس علمية. وقد خطط لذلك النظام أن يقدم القوالب الأساسية للاستخدامات التقليدية على الرفوف والفهارس وكذلك الاستخدامات الآلية؛ كما خطط له أن يكون لغة استرجاع عامة للمعلومات بمفردات وقواعد نحو ملائمة لمراكز المعلومات المتخصصة والعامة ولنظم الاسترجاع اليدوية والميكانيكية. ويمكن لذلك النظام أن يكون نقطة انطلاق نظم تصنيف متخصصة، وقوائم واصفات ومكانز ويصبح بذلك حلا ذكيا لمشكلة التوافقية بين نظم التصنيف على المستوى العالمي.

المصادر:

1- Foskett, Douglas J. The Classification Research Group: 1952-1962.- **in**.-Libri.- Vol. 12, No. 2, 1962.

2- Foskett, Douglas J. the Classification Research Group: 1952-1968.- **in**.-Encyclopedia of Library and Information Science.-NewYork: Marcel Dekker, 1971.- Vol. 5.

3- Foskett, Douglas J. **and** B.I.Palmer (Edt.). The Sayers Memorial Volume. – London: Library Association, 1961.

جماعة دراسة البحث فى التصنيف

Classification Research Study Group

هذه الجماعة أسست سنة ١٩٥٩ لأمريكا وكندا تحت تأثير جماعة البحث فى التصنيف البريطانية، ولكنها لم تعمر طويلا إذ توقفت عن العمل فى حدود ١٩٦٥م. وكانت المشكلة الرئيسية فى الولايات المتحدة وكندا هى المشكلة الجغرافية والتى حالت دون إنشاء جماعة فعالة ومثمرة على غرار الجماعة البريطانية لأن أعضاء الجماعة الأمريكية كانوا يبعدون عن بعضهم البعض مئات بل آلاف الأميال. وكان المؤسسون الأول هم:

١- جيسى هـ. شيرا.

٢- جيرترود ل. أولريتش.

٣- فيلليس أ. ريتشموند.

٤- بولين أثرتون.

٥- ديفيد سباركس.

ولم يكن من بينهم إلا اثنان فقط فى ولاية واحدة. كذلك كانت الاتحادات المهنية الثلاثة الأعضاء فى الجماعة منقسمة مهنيا حسب اتجاه كل اتحاد: اتحاد المكتبات الأمريكية، اتحاد المكتبات المتخصصة. وكان اتجاهما مكتبيا صرفًا، بينما الاتحاد الأمريكى لعلم المعلومات (سابقا المعهد الأمريكى للتوثيق) كان اتجاهه معلوماتيا صرفا وخاصة استرجاع المعلومات. وكان المكتبيون الذين يواكبون أحدث التطورات فى المجال أعضاء فى الاتحادات الثلاثة ولكن كان هناك أفراد فى جماعة دراسة البحث فى التصنيف أعضاء فى اتحاد واحد فقط. هذا الخليط المتنافر جغرافيا وجد الحل فى أن يعقد اجتماعاته على هامش المؤتمرات السنوية للاتحادات الثلاثة على أساس أن هؤلاء الأشخاص المهتمين بالتصنيف لابد وأن يحضروا مؤتمرين على الأقل من المؤتمرات السنوية الثلاثة. ويشتركوا فى

مناقشات الجماعة وعلى أساس أن حضور تلك المؤتمرات الوطنية سوف يخفف من الأعباء المالية على الأفراد مما لو كانت تلك الاجتماعات خاصة بالتصنيف وحده.

حتى هذا الحل لم يمكن إلا عددا قليلا من الأعضاء أن يحضروا اجتماعا واحداً على الأكثر من الاجتماعات الثلاثة وإن كان المؤسسون يستطيعون ذلك بجهودهم الشخصية، وبمجرد أن ينفض المؤتمر كان من الصعب على الأعضاء أن يجتمعوا ما بين المؤتمرات ولذلك كانت المناقشات تبدأ من جديد فى كل مرة. وفى كل مرة تطرح أفكار جديدة لم تكن قد تبلورت من قبل وكانت الخلافات قائمة بين الأعضاء حول بديهيات مثل ما هو شكل التصنيف الذى نريده وما هو الهدف منه وكانت هناك فى الأعم الأغلب مناقشات جانبية. وكانت وسيلة الاتصال فى ذلك الوقت إما البريد وإما التليفون وحيث لم يكن البريد الإلكترونى أو الإنترنت قد ظهرا بعد. ومن المشاكل التى صادفتها الجماعة أيضا مشكلة الاتفاق على تعريف المصطلحات ومفاهيمها وعندما بدأ الاتفاق على التعريفات والمفاهيم كان الملل والضعف قد بدآ يدبان فى أوصال الجماعة وكانت نبوءة برايان فيكرى من جماعة لندن قد صدقت حين قال إن المشكلة الكبرى تكمن فى فهم كل منا للآخر. وكان التقدم من اجتماع لآخر بطيئا وكان الأمر قاتلا بالنسبة لجماعة وطنية فى بلد واسع مثل أمريكا.

لقد كان حماس جماعة دراسة البحث فى التصنيف فى البداية لا حدود له ولكن مع مرور السنوات اتضح أن كثيرا من الأعضاء قد تحولوا من مشاركين إلى مراقبين وبذلك ماتت الجماعة وإن ظل بعض الأعضاء يشتغلون بالتصنيف ودراسات التصنيف بطريقتهم الخاصة وإن كان صوتهم قد خفت.

لقد تعمدت أن أكتب عن هذه الجماعة رغم أنها قد توقفت بعد فترة صغيرة من الزمن أى حوالى خمس سنوات وأصبحت فى ذمة التاريخ وما كان ذلك إلا للاستفادة من التجارب الفاشلة قدر إفادتنا من التجارب الناجحة.

لقد كان المؤسسون الأوائل لتلك الجماعة أسماءً لامعة فى سماء مهنة المكتبات فى زمانهم

وكانت قدراتهم على الإنجاز لا حدود لها وكان الواحد منهم يستطيع أن يكون جماعة بأكملها ولم يكن ينقصهم بحال من الأحوال روح الفريق، ولكن الظروف كما أسلفت كانت أقوى من الجميع ولهذا توقفت جماعة أمريكا الشمالية عن العمل بعد فترة قصيرة.

المصادر:

1- Atherton, Pauline (Edt.). Classification Research: Proceedings of the Second International Study Conference.-Copenhagen: Munks-gaard, 1965.

2- Richmond, Phyllis A. Classification Reseach Study Group. – **in**.- Encyclopedia of Library and Information Science.- NewYork: Marcel Dekker, 1971.- Vol. 5

جمال محمود حجر ١٩٤٨ ـ

Gamal Mohmoud Hagar 1948 -

ترجع شهرة جمال حجر إلى أنه واحد من المؤرخين الثقاة للكتب والمكتبات، كما أنه واحد من المعدودين القلائل الذين مارسوا التدريس فى أقسام المكتبات والمعلومات فى مصر والخليج لهذا العلم.

ولد جمال محمود حجر في أول يناير ١٩٤٨ بقرية نجير من أعمال مركز دكرنس محافظة الدقهلية، كان أبوه تاجراً ثم مقاولاً ثم موظفاً ببنك القرية. وجد جمال نفسه يعيش في إطار أسرة نووية، حيث الجدة والأعمام، والجميع يعيش في بيت واحد، ويأكلون معاً معظم الوجبات خلال الأسبوع. وكانت الوجبة الرئيسية هي وجبة العشاء في نهاية اليوم حيث من الطبيعي أن يلتقى الجميع، بعد أن يفرغ كل من عمله. وعلى هذه الوجبة كان الحديث يدور حول حكايات اليوم الطويل كل يرصد من موقعه. كانت ثقافة أهل القرية تعتمد القدوة في أي مجال مثالاً يجب أن يحتذي. القدوة في فعل الخير، القدوة في إجادة العمل، والقدوة في مجالات الحياة الجديدة، خارج الأعمال التقليدية كالزراعة والتجارة.

كان المتعلمون فى القرية محدودى العدد، وكانوا فى الأعم الأغلب ممن نالوا قسطاً من التعليم المتوسط، لأن أهل القرية كانوا وقتئذ يفخرون بأنهم زراع متنجين، وكان يعيبهم أن يأكلوا فى مطاعم أسواق المدينة، ويفخر الواحد منهم باستضافة من يستضيف فى بيته. كان أبوه وأعمامه يملكون من الأرض ما يكفى لسد احتياجاتهم الغذائية من المحاصيل التقليدية كالقمح والأرز والخضراوات، وكان الاكتفاء ذاتياً من أساسيات الغذاء النباتية والحيوانية مظهراً من مظاهر الرخاء عند أهل القرية. هكذا نشأ جمال فى بيئة تقليدية محافظة.

كان صاحبنا أكبر إخوته وكان منذ الصغر متمرداً على كثير مما يجرى حوله، يرصد الأخطاء ويختزنها ثم ينقدها ويحتج عليها فى دائرة الأسرة، وكان فى المقابل يلقى نقداً مضاداً لخروجه على سياق ما هو متعارف عليه، ولم يكن ذلك يجرى فى البداية إلا فى إطار التسلية والدردشة اليومية، لأنه تربى على طاعة الوالدين واحترام الكبار وتقديس التعاليم الدينية، وحين دفع به أبوه إلى كتَّاب القرية، كانت هذه الخطوة أولى مراحله التعليمية، وكان ترديده لما حفظ من القرآن الكريم يثلج صدر أبويه خاصة وأنه كان يجيد ترتيل ما يحفظ. وكان الالتحاق بالكتاب شرف يسعى إليه كل أب حين يدفع بابنه أو ابنته إلى حيث يحفظ بعض سور القرآن الكريم، وكان الأطفال يتبارون فى إظهار ما يحفظون، ويتناقل أهل القرية أسماء أكثرهم حفظاً وأحسنهم صوتاً.

وحين وصل جمال إلى سن السادسة كان أمامه طريقان، الأول أن يلتحق بالمعهد الدينى فى إحدى المدن المجاورة، والثانى أن يلتحق بالمدرسة الابتدائية فى القرية. رأى أبوه أن استمراره فى التردد على الكتاب مع الالتحاق بالمدرسة يمكن أن يحقق هدفين فى وقت واحد، كما أنه يكفيه مشاكل السفر يومياً، ولقى ذلك قبولاً عند صاحبنا، فالتحق بالمدرسة الابتدائية المشتركة بالقرية، وهكذا سارت مسيرته التعليمية فى خطين متوازيين، الأول التعليم الدينى على يدى الشيخ عبد البديع الذى كان يؤدب الأطفال بضربهم بإصبع واحد من أصابع يده اليمنى، ومع ذلك كان ضربه مؤلماً، والثانى التعليم العام على يدى عمه أحمد أفندى حجر، الذى كان أحد اثنين فقط فى القرية من المشتغلين بالتعليم

الابتدائى. أما باقى مدرسى المدرسة فكانوا يأتون إلى المدرسة على ظهور الحمير من قرية كفر الأعجر المجاورة، والتى كان معظم المتعلمين من أبنائها يعملون بالتدريس فى المرحلة الابتدائية. كان معظم أطفال المدرسة معنيين برعاية حمار المدرس أكثر من اهتمامهم بمتابعة الدروس، وكانت المدرسة تصرف للتلاميذ وجبات يومية تتكون من الفول والبليلة والخبز واللبن المجفف والحلاوة الطحينية، ومع ذلك كانت نسبة التسرب من التعليم الابتدائى عالية.

كان صاحبنا محباً للتعلم راغباً فى مواصلته إلى النهاية، ولكنه لم يكن يعرف أى نهاية، فالنماذج المتعلمة من أهل القرية كانت محدودة للغاية بالنسبة لعدد سكانها. وكانت القدوة محصورة فى نموذج مدرس المرحلة الابتدائية ونموذج المهندس الزراعى، ولم يتجاوز الطموح هذين النموذجين. اختار له أبوه أن يكون مدرساً مثل عمه أحمد أفندى حجر، الرجل المستنير الذى سمح لابنته أن تتعلم وأن تسافر إلى المدرسة الثانوية للبنات بدكرنس، وكان من حسن حظ صاحبنا أن أحمد أفندى حجر كان مدرس فصله الذى تسلمه منذ الفرقة الأولى حتى الفرقة السادسة، إذ كان النظام أن يتحمل المدرس مسئولية الفصل من البداية إلى النهاية، ثم يعود كل ست سنوات لتسلم فصل جديد من الفرقة الأولى إلى أن يصل به إلى الفرقة السادسة.

كان صاحبنا من التلاميذ المتفوقين بالفصل، وكان يتناوب المركز الأول فى منافسة بريئة مع ثلاثة آخرين أحدهم الآن مهندساً والثانى حرفياً والثالث فلاح. وكان عدد الراغبين فى استكمال مسيرة التعليم والانتقال إلى المرحلة الإعدادية، ستة تلاميذ فقط كان صاحبنا أحدهم. ولم يكن بالقرية وقتئذٍ مدرسة إعدادية، إذ كانت مدارس التعليم الإعدادى مقصورة على المدن، ولم يكن بالقرى مثل هذه الرفاهية التعليمية. وبناء على توجيهات المدرسة، التى كانت تسعى لإرضاء المدرستين الإعداديتين المجاورتين، اللتين كانت إحداهما فى مدينة دكرنس على بعد ثمانية كيلومترات، وكانت الثانية فى مدينة شربين على بعد خمسة كيلومترات، فقد التحق ثلاثة تلاميذ بمدرسة شربين الإعدادية، بينما التحق الثلاثة الآخرون ومنهم صاحبنا بمدرسة دكرنس الإعدادية، وكانت تلك نقلة نوعية

وتغييراً جوهرياً فى حياة صاحبنا، فقد انفتح على ثقافة المدينة، وبدأت ملامح التغير الاجتماعى تأخذ مكانها، لأن التغير الثقافى بدأ يجرى فى عروقه نتيجة للانفتاح على عالم أكثر رحابة.

كان امتحان القبول للالتحاق بالمرحلة الإعدادية فى عام ١٩٦٠ أول امتحان حقيقى يواجهه صاحبنا، وكانت له استعدادات خاصة على مستوى الأسرة، التى كانت تنظر إلى طفلها وتتابعه فى مساره الجديد، وتعتبره كل الأمل فى المستقبل. وكان صاحبنا يقدر هذا الاهتمام لأنه استشعر المسئولية منذ الطفولة المبكرة. ولكن الصورة المرتجاة كانت باهتة إلى حد كبير عند كل من صاحبنا وأسرته، وإن كان البعض متفقاً على أن التعليم كان استثماراً جيداً ربما يعود بآثاره الإيجابية فى المستقبل، ولكن ذلك لم يكن مؤكداً، لأن تأثير تملك الأرض كمصدر للهيبة والمكانة الاجتماعية كان لا يزال طاغياً باعتباره أفضل أنواع الاستثمار. ومهما يكن من أمر، فإن رغبة أبيه كانت أقوى من كل عوامل الجذب فى الاتجاهات الأخرى، ولهذا فإن نجاح صاحبنا فى امتحان القبول للإعدادى بتفوق كان يعتبر تدعيماً قوياً لفكر الأب واتجاهاته. وهكذا بدأ أبوه يستثمر استثماراً طويل الأجل بغير مردود مباشر، لامه عليه بعض الأقارب، الذين اعتبروا أن المشوار الذى كان يعتزم السير فيه مع ابنه لا يستحق ما ينفق عليه. وكان صاحبنا يسمع ردود أبيه على من حوله وهو يقول لهم: "أريده أن يكون مثل عمه أحمد أفندى حجر".

كان أبوه يرتدى الطربوش، الذى هو أحد مظاهر الأفندية، وكان يفاخر أمامه بنوع الطربوش الذى يرتديه وجودته، وكان صاحبنا يتمنى لو أنه ارتدى الطربوش مثل أبيه، ولكن المتغيرات السياسية جعلت الطربوش زياً ينتمى إلى "العهد البائد" وهو العهد الملكى الذى قضت عليه ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حين وضعت نهاية لحكم أسرة محمد على الذى استمر نحو مائة وخمسين عاماً. ومع الثورة هلّ فجر جديد بقيم جديدة ومعايير جديدة وأزياء جديدة وفكر جديد، جاء ذلك كله وصاحبنا لا يزال فى مرحلة الطفولة، فشهد المتغيرات بنفسه، ولاحظ أن الناس لم يعودوا حريصين على لبس الطربوش، وخلع أبوه الطربوش، واحتفظ صاحبنا به ليرتديه داخل البيت، ومع نمو وعيه احتفظ به لجمال

شكله، وحينما التحق بالمرحلة الإعدادية كانت القوانين الاشتراكية عام ١٩٦١، قد فرضت واقعاً جديداً تتساوى فيه الرؤوس، وأصبح لبس الطربوش تمسكاً بالانتماء إلى الماضى، فأهدى صاحبنا طربوش أبيه بعد موافقته إلى مؤذن المسجد المجاور كى يصنع منه عمامة. ولكن صاحبنا ندم أشد الندم على التخلص من هذا الطربوش الذى كان رمزاً لمرحلة تاريخية لا يمكن اقتطاعها من تاريخنا بالتخلص من الطربوش.

التحق صاحبنا بالمرحلة الإعدادية فى العام الدراسى ١٩٦٠/ ١٩٦١ فى ظل القوانين الاشتراكية، التى ضمنت تعليماً مجانياً للجميع فى مختلف المراحل التعليمية. وكان فى هذه المرحلة- كما كان فى سابقتها- متفوقاً فى العلوم والرياضيات واللغة العربية والجغرافيا، بينما كان أقل حظاً فى اللغة الإنجليزية والتاريخ. وكان مدرس اللغة العربية يكافئه بخمسة مليمات عن كل سؤال يجيب عنه ويعجز الآخرون عن إجابته، ومع أنه كان يحصد هذه الملاليم الخمسة فى كل مرة تقريباً، إلا أنه كان يدفع ثمن كراهية تلاميذ الفصل له، فآثر أن يضحى بهذه الملاليم التى كانت ذات قيمة شرائية تسمح بشراء ساندوتش مثلاً وأن يبقى على علاقة سوية مع زملائه، فامتنع عن إظهار تفوقه فى حصة اللغة العربية. وقد جعله هذا التميز محباً للغة العربية وآدابها إلى اليوم. وعلى العكس من ذلك تماماً كان موقفه من اللغة الإنجليزية، لأن مدرس الفصل كان عنيفاً يضرب التلاميذ ضرباً مبرحاً، وكان الضرب أحد وسائل التعليم المسموح بها فى المدارس.

كانت مدرسة دكرنس الإعدادية ملاصقة تماماً لمدرسة دكرنس الثانوية. وبينما كانت الأولى متواضعة البناء من طابق واحد يتزل الطلبة إليها بسلالم، كانت المدرسة الثانوية شامخة عظيمة البناء ذات جناحين من ثلاثة أدوار مرتفعة، وكأنها تفتح ذراعيها لاستقبال القادمين كل صباح لتضمهم إلى أحضانها، وكان صاحبنا يتمنى لو أنه التحق بها.

وبينما هو يفكر فى ذلك، وقد اقترب موعد بداية الدراسة بالفرقة الثالثة الإعدادية، وإذا بأهالى قرية كفر أبو ناصر المجاورة لقريته يقيمون بالجهود الذاتية مدرسة إعدادية، كان من المقرر أن تقام فى قرية نجير، وعجز أهل القرية أو فشلوا فى أن يتبرعوا بالمساهمات

المطلوبة لإنشاء المدرسة. وبعد مرور شهرين من العام الدراسى الجديد ١٩٦٢/ ١٩٦٣ افتتحت المدرسة دون أن يتوافر لها المدرسين فى التخصصات المختلفة، وحول أبناء القرى المجاورة إليها إجبارياً. وفى مدرسة كفر أبو ناصر الإعدادية المشتركة قضى صاحبنا العام الأخير من المرحلة الإعدادية، دون أن يتعلم فيها تعليماً مساوياً لمستوى التعليم الذى كان يتعلمه فى مدرسة دكرنس الإعدادية. وكان ذلك أول منعطف سلبى فى مسيرته التعليمية.

ومع نهاية المرحلة الإعدادية والاستعداد للالتحاق بالمرحلة الثانوية كان أمام صاحبنا طريقان عليه أن يختار أحدهما. الأول: أن يلتحق بمدرسة المعلمين بالمنصورة على بعد ٢٢ كيلومترا، ليتخرج منها بعد ثلاثة أعوام، ليعمل مدرساً مثل عمه، الذى كانت صورته لا تزال تشكل طموحاً مرغوباً فيه. وهذا مشوار قصير يحقق أمنية أبيه من ناحية، ويستجيب جزئياً لقوى الضغط عليه بعدم السير فى مشوار التعليم الطويل إلى الجامعة، التى كان ينظر إليها وقتئذٍ على أنها طموح أكبر من قدرات أبناء القرية على الوفاء به، خاصة وأن الجامعات كانت وقتئذ بالعاصمة، حيث جامعة القاهرة بالجيزة وجامعة عين شمس بالعباسية، فضلاً عن جامعتى الإسكندرية وأسيوط، اللتين لم تكونا واردتين فى حسابات أهل القرية لاعتبارات جغرافية.

وبوضع كافة الظروف فى الاعتبار، ترك له أبوه حق اختيار الخطوة التالية فى مسيرته التعليمية، فاختار صاحبنا الالتحاق بالمرحلة الثانوية العامة، التى تمكنه من مواصلة تعليمه فى أى اتجاه بعد ذلك. وبنهاية العام الأول فى مدرسة على مبارك الثانوية بدكرنس، طرأت على صاحبنا مجموعة من المتغيرات الصحية والاجتماعية، دفعته إلى التوجه نحو منعطف لم يكن يضعه فى الاعتبار. إذ دفعته هذه المتغيرات للتفكير بعمق نحو الدراسات الأدبية، والتخلى عن توجهاته العلمية، ووجد لذلك أرضية عند بعض أصدقائه، حين أراحوه بأن هناك كلية مرموقة نشأت فى جامعة القاهرة، يعمل خريجوها بالسلك الدبلوماسى هى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية. فإذا لم يتمكن من اللحاق بها من خلال القسم الأدبى، يمكنه اللحاق بقسم الاقتصاد بإحدى كليات التجارة. وبناء على هذه التوجهات، وضع رغبته فى اللحاق بالقسم الأدبى فى المقام الأول. وحين علم ناظر

المدرسة بذلك، استدعاه وطلب إليه تغيير رغبته، والتخلى عن توجهه الجديد. وحين رفض صاحبنا، طلب منه ناظر المدرسة أن يحضر ولى أمره للتفاهم معه حول هذا الموضوع، الذى اعتبره خطيراً، لأن المدرسة ستواجه مشكلة فى تخريج الأوائل من القسم العلمى على مستوى المحافظة، وهو أمر كان الناظر يسعى إليه.

حضر ولى أمر صاحبنا وأقنع الناظر برغبة ابنه، وبذلك تغير المسار الأكاديمى لصاحبنا تماماً، منذ عام ١٩٦٤، وشجع على ذلك توجه جديد عارض، إذ كان صاحبنا مولع بالكتب والقراءة، وكان أمين مكتبة المدرسة الثانوية (الأستاذ منير عبد المسيح جرجس) خريج قسم المكتبات بجامعة القاهرة، وأول من التحق بهذا التخصص، وأول من عمل به من أبناء القرية، وكان يحكى عن تجربته الجامعية لصاحبنا فى جامعة القاهرة. ومع أن وظيفة أمين المكتبة كان ينظر إليها وقتئذ على أنها لا تزيد على وظيفة أمين مخزن، إلا أن ارتباط صاحبنا بالكتب والقراءة جعلته يضع هذا النوع من الدراسة فى الاعتبار فى حال عدم اللحاق بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية أو بكلية التجارة قسم الاقتصاد. فى هذه المرحلة كان صاحبنا قد تمكن من تكوين مكتبة صغيرة تضم مقتنياته من سلسلة "المكتبة الثقافية" وسلسلة "اقرأ" وسلسلة "كتاب اليوم"، وظلت مقتنيات مكتبته تتنامى بحيث صار من العسير بعد ذلك أن يسكن مع الكتب فى بيت واحد، فخصص للمكتبة شقة مستقلة.

انتهت مرحلة الثانوية العامة بكل ما لحق بها من متغيرات فى المسار التقليدى والفكر التقليدى، وما لحق خلالها من متغيرات على شخصية صاحبنا. وجاءت نتيجة الثانوية العامة على غير هواه، فلا مجموعه أهّله للحاق بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية ولا بكلية التجارة، وإنما دفع به إلى كلية الآداب جامعة الإسكندرية، حيث لم يكن متوقعاً أن ألا يكون بالإسكندرية ولا بكلية الآداب بها، لأن الإسكندرية لم تكن على خريطة طموحاته، كما لم يكن بكلية الآداب بها قسم للمكتبات. وهكذا بدأ صاحبنا رحلة جديدة نحو المجهول، إذ تساوت أمامه جميع الأقسام، فيما عدا قسم الجغرافيا، الذى ربما نال قسطاً من اهتمامه لأنه يتناسب إلى حد ما مع ميوله الرياضية. ولما لم يكن بالكلية وقتئذ

أزمة تنسيق بين الأقسام كما هو الحال اليوم، فقد آثر صاحبنا أن يحضر بعض المحاضرات فى مختلف الأقسام، ليعيد صياغة توجهاته الفكرية بما يتناسب والواقع فى الكلية من ناحية، وواقعه المعرفى من ناحية أخرى. كان المبنى البحرى كما لا يزال يسمى يضم أقسام اللغات فقط (الإنجليزى والفرنسى والعربي) وبالتالى انصرف صاحبنا للبحث عن قسم فى المبنى القبلى، فقد كان للكلية وقتها واجهتان: إحداهما تطل على مستشفى الأطفال الجامعى، والأخرى تطل على ملاعب الكلية المطلة على الترام حيث بنيت كلية التربية فيما بعد، فألحقت بكلية الآداب أضراراً كثيرة.

كان قسم التاريخ فى الطابق الأول من المبنى القبلى، يعلوه قسم الجغرافيا، فقسم الفلسفة والاجتماع، فقسم الآثار، وقسم الصوتيات. وكان من المنطقى جغرافيا أن يجرب صاحبنا حظه مع قسم التاريخ، الذى لم يكن شغوفا بمواده فى المراحل السابقة، وكان هدفه المعلن أن يؤكد لنفسه قناعته بعدم جدوى التاريخ، الذى لم يخرج فى تقديره وقتئذ عن حكايات عفا عليها الزمن، ولا تستحق أن تعاد إلى الذاكرة، لأنها حكايات ملأى بالجرائم ضد الإنسانية، فضلاً عن أن روايتها كانت مملة، لأن مدرسى التاريخ لم يكونوا يجيدون فنون العرض. وعلى غير ما كان صاحبنا يتوقع، كانت المحاضرة الأولى فى تاريخ مصر القديمة للدكتور نجيب ميخائيل إبراهيم رائعة وممتعة، إذ إنها أوقفت صاحبنا وقتئذ على حقيقة أن ما سبق أن درسه فى المراحل السابقة لم يكن تاريخاً. وعرف أن الأستاذ فى الجامعة كان يناقش فكراً، وينظر إلى المجتمع فى قطار متحرك، يرصد كل المتغيرات على كافة المستويات، ويحللها وينقدها ويصوغها ويقدمها للطلبة، ولم يكن هذا مألوفاً له من قبل.

أصبح للتاريخ فى نظر صاحبنا مذاق خاص جديد، فقرر أن يواصل دراسته فى قسم التاريخ، ولم يجرب قسماً آخر. وهكذا سجل منعطفاً جديداً فى حياته الأكاديمية. ومع الوقت اكتشف صاحبنا أن الأساتذة ليسوا كلهم نجيب ميخائيل، ولكن الوقت كان قد مضى، ولم يعد فى الإمكان تعديل المسار. كانت هذه المرحلة من أصعب المراحل فى حياته، إذ كانت امتداداً للمرحلة الثانوية فى التعبير عن التمرد، ولم يكن راضياً عما يجرى حوله،

فالوطن كان مهزوماً مكسوراً فى أعقاب حرب ١٩٦٧، وأضاف هذا إلى هومه الشخصية هماً جديداً، وأدرك أن الأزمات تحاصره من كل اتجاه، وأن طموحاته قد انكسرت على أرض الواقع منذ بداية المرحلة الثانوية، وأصبح كل شيء يتساوى عنده، فلا تفريق فى المعنى ولا فى المذاق بين هذا أو ذاك، وضاعفت الهزيمة القومية من هذا الإحساس، وأصبحت الرؤية معدومة نحو مستقبل ضبابى. فحوصرت طموحات صاحبنا فى قسم التاريخ، الذى صار معنياً بأن يضيف إلى رصيد الماضى السلبى سلبيات جديدة، يجترها أبناء الأمة فى دروس التاريخ الجديدة.

ولكن صاحبنا استطاع أن يتجاوز هذه المنعطفات الجديدة، ووجد نفسه معيناً معيداً بالتكليف فى قسم التاريخ، تخصص التاريخ الحديث، الذى لم يكن يهواه، بالدرجة التى كان يهوى بها التاريخ القديم. ولكن التعيين كان يشبع عنده الحاجة إلى وظيفة فى زمن ضاقت الدنيا بمن فيها، وتمنى لو أنه استكمل دراساته العليا فى التاريخ القديم، لأنه يتعلق بفترة كان فيها مجد الوطن مؤكداً، وكان هذا يشبع غرور صاحبنا، بينما التاريخ الحديث كان عصر الانكسارات والانهزامات المتلاحقة، بينما كانت دراسة التاريخ القديم تطلق العنان للخيال والتأمل، وهو ما كان يستهوى صاحبنا. ولكن هكذا شاء القدر أن يخط لصاحبنا رحلته مع الحياة، دون أن يترك له الخيار فى رسم مسيرته من أولها إلى آخرها.

بدأ صاحبنا منذ تعيينه معيداً فى أكتوبر ١٩٧٠ يسير مسيرة لم تكن فى الحسبان، فأراد أن يخط لنفسه مساراً علمياً، فتلفت حوله فإذا بجميع أعضاء هيئة التدريس متخصصين فى تاريخ مصر الحديث، فاختار لنفسه منطقة الخليج العربى، وكانت وقتئذٍ لا تزال بكراً للبحث والدراسة، ولما لم يكن بالإسكندرية متخصص فى هذا المجال، فقد أجرى اتصالاً مع الدكتور جمال زكريا قاسم الأستاذ المتخصص فى هذه المنطقة بجامعة عين شمس. وكان صاحبنا منذ تعيينه معيداً على اتصال بأساتذة قسم التاريخ بآداب عين شمس من خلال سمنار التاريخ الحديث بها. فاقترح عليه الدكتور جمال زكريا أن يبحث فى موضوع المصالح الأمريكية فى الخليج فى الفترة ما بين الحربين العالميتين، وبذلك تحقق لصاحبنا

أمرين: الأول أن يطرق مجالاً جديداً، والثانى أن يبحث فى العلاقات الدولية، وهو اتجاه كان يحب القراءة فيه. ولكنه اكتشف بعد ذلك أن الموضوع ليس سهلاً لعدم توافر المادة العلمية من ناحية، ولقصور فى الإشراف الأكاديمى من ناحية أخرى.

ومهما يكن من أمر هذه المرحلة التى كانت فى حقيقتها معاناة فى أكثر من مجال، فقد حصل صاحبنا على درجة الماجستير فى عام ١٩٧٥ بتقدير ممتاز. وقرر بعدها ألا يواصل دراسته العليا فى أية جامعة مصرية مهما كان الثمن، ولكنه لم يكن يدرى تحديداً طبيعة هذا الثمن، بل كان يعلم أنه فى أسوأ الأحوال سيسافر إلى الخارج ليعمل فى أى وظيفة متواضعة ويستكمل تعليمه بطريقة صحيحة. وبينما هو على هذه الحال جاء الفرج، إذ أعلنت إدارة البعثات عن خطتها للسنة الثالثة فى العام الجامعى ١٩٧٥/ ١٩٧٦، وتقدم صاحبنا لبعثتين فى وقت واحد، الأولى لحساب كلية دار العلوم جامعة القاهرة، والثانية لحساب كلية الآداب جامعة عين شمس. ومن حسن الطالع أن اختير صاحبنا مرشحا أصلياً للبعثة الأولى فى "تاريخ الخليج العربى"، ومرشحاً احتياطياً للبعثة الثانية فى "تاريخ أوربا الحديث"، وبالتالى لم يعد هناك داعياً للسفر فى إجازة للعمل والدراسة، وكانت هذه البعثة فاتحة خير ومنعطفاً إيجابياً فى حياة صاحبنا لا يزال يجنى ثمارها إلى اليوم.

كان السفر فى بعثة يتطلب إلماماً بلغة البلد التى سيسافر إليها المبعوث، كما كان يتطلب حجزاً لمكان فى إحدى جامعات هذا البلد. وللوفاء بهذين المطلبين، وطبقاً لبرنامج إدارة البعثات، التحق صاحبنا بدورات تعلم اللغة الإنجليزية بالقاهرة على نفقة إدارة البعثات، بينما كان عليه أن يرتب وسيلة الإعاشة والإقامة فى العاصمة الصاخبة، وكان له ذلك لمدة ثلاثة شهور، تعلم خلالها نطق اللغة الإنجليزية كما ينطقها أصحابها، إذ كان المدرس أو المدرسة من الإنجليز. واستطاع صاحبنا خلال هذه الشهور الثلاثة، التى تصادف أن كانت خلال فصل الربيع من عام ١٩٧٦، أن يهزم كثيراً من معوقات اللغة التى كانت عبئاً عليه فى المراحل السابقة، رغم أنه كسر الحاجز النفسى الذى كان يقف دونها منذ بدأ يتعلمها فى المرحلة الإعدادية، وذلك بالقراءة المتصلة فى المراجع الأجنبية خلال إعداده لرسالة الماجستير، ولكن لغة الحوار كانت لا تزال ثقيلة على صاحبنا، فجاءت هذه الدورة التدريبية فى اللغة لتزيح ما بقى من عوائق.

وفيما يتعلق بحجز مكان للدراسة بإحدى الجامعات البريطانية أو الأمريكية، التى كانت مفضلة على غيرها بحكم طبيعة التخصص ومتطلباته، فقد راح صاحبنا يراسل الجامعات فى الوقت الذى كانت فيه إدارة البعثات تقوم بالمهمة ذاتها. ومع انتهاء الربيع ومعه الدورة التدريبية، فشلت جميع المحاولات لحجز مكان فى إحدى تلك الجامعات فى العام الجامعى ١٩٧٦/ ١٩٧٧. بينما كانت الفرصة طبقاً للردود التى تلقاها مهيأة فى العام الذى يليه. ونظراً لأن فرصة السفر هذه ما كان لها أن تمر هكذا، لأنها ربما لا تعوض، فضلاً عن أن صاحبنا كان حريصاً على أن يفلت من الواقع العلمى المرير الذى كان يعيشه فى مرحلة الماجستير وغياب أساسيات البحث العلمى، لذلك كله عزم صاحبنا على السفر إلى إنجلترا بالرغم من عدم حجز مكان لدراسته فى أى من جامعاتها، آملاً أن تتهيأ له هذه الفرصة خلال إقامته هناك لاستكمال دراسة اللغة الإنجليزية. ولما كان ذلك أشبه بمغامرة غير محمودة العواقب، فقد رفضت إدارة البعثات تلبية هذا المطلب، لأنها لا ترسل إلى الخارج إلا من تم الإعداد له إعداداً جيداً، فعرض صاحبنا أن يسافر على مسئوليته، وكان له ما أراد بعد جدل طويل.

وفى صيف ١٩٧٦ سافر صاحبنا إلى إنجلترا، مع من سافر من زملائه الذين تم الحجز لهم فى الجامعات البريطانية، بهدف استكمال دراسة اللغة هناك خلال الصيف. وفى لندن جرى تقسيم مجموعة المبعوثين الجدد إلى قسمين: قسم التحق بمدارس اللغة فى لندن ذاتها، وقسم آخر التحق بمدارس اللغة فى مدينة هيرفورد الواقعة إلى الغرب من لندن. وكان صاحبنا أحد أعضاء المجموعة الثانية. وطبقاً للنظام الذى وضعه المكتب الثقافى المصرى، كان على كل مبعوث أن يقيم مع إحدى الأسر البريطانية، فيتعلم لغة الحياة اليومية من خلال الاحتكاك المباشر.

وفى هيرفورد انضم صاحبنا إلى أسرة مكونة من أربعة أفراد الأب ويعمل مدرساً، والأم وتعمل مدرسة، وطفلة عمرها خمس سنوات، وطفل عمره سنتان. أعادت الأسرة ترتيب المنزل لتخصص غرفة الطفلة لصاحبنا. كان المنزل يتكون من طابقين، به ثلاث غرف فى الطابق العلوى، بينما غرف المعيشة والمطبخ بالطابق الأرضى، وكانت له حديقتان

إحداهما أمامية والأخرى خلفية، شأنه فى ذلك شأن البيت الإنجليزى التقليدى. كان صاحبنا يتناول الوجبات مع الأسرة، وكانت تلك فرصة للحوار حول كل شىء فى الحياة، وكان أصدقاء الأسرة يزورونها للتعرف على القادم الجديد من وراء البحار، فالإنجليز يطلقون على الأجنبى، أى أجنبى تعبيراً مهذباً هو Overseas قضى صاحبنا شهرين مع هذه الأسرة، حملت له ذكريات جميلة تعكس تجاربه الأولى فى التعامل مع المجتمع البريطانى. ومن هيرفورد كان يواصل اتصالاته بالجامعات البريطانية والأمريكية، آملاً أن يجد مكاناً له فى إحداها خلال العام الدراسى الذى أوشك أن يبدأ.

وفى شهر سبتمبر، ومع بداية العام الجديد، التحق بعض المبعوثين بجامعاتهم، وانتقل صاحبنا ومجموعة أخرى إلى بلدة هيستنجز على الساحل الجنوبى لبريطانيا، حيث قضى شهراً هناك ملتحقاً بمدرسة اللغات ومقيماً فى بنسيون. ومن هناك واصل اتصالاته بالجامعات البريطانية والأمريكية. كانت هيستنجز بطبيعتها الساحلية تشبه الإسكندرية، ومع ذلك فقد استشعر فيها صاحبنا الاغتراب الذى لم يكن يستشعره فى هيرفورد، لأن العام الدراسى قد حل، وانصرف بعض الأصدقاء من حوله إلى جامعاتهم الجديدة، وكانت إيجاءات إقامته فى بنسيون تختلف عن إيجاءات الإقامة فى منزل خاص مع أسرة. وقد جعله هذا الجو المتوتر أكثر قلقاً على مستقبله من أى وقت مضى، وربما راودته أفكار ومخاوف العودة إلى الوطن طالما أنه لم يتمكن من الالتحاق بأى جامعة بريطانية.

فى هذه الظروف كثف صاحبنا اتصالاته بالمكتب الثقافى المصرى فى لندن، ليسعى من جانبه فى تدبير مكان خال بإحدى الجامعات، تفادياً لمشوار العودة إلى الوطن الذى كاد أن يكون مؤكداً. وفى هذه الظروف أخبره المكتب الثقافى أنه قد وفق فى حجز مكان له فى إحدى الجامعات الألمانية. ومع أن هذا النبأ قد شكل انفراجة فى الموقف المتأزم، الذى كان يهدد بالعودة إلى مصر، إلا أنه خلق أزمة جديدة، فصاحبنا لم يكن يعرف من الألمانية إلا بعض المفردات التى لم يمارسها أبداً فى الحوار أو القراءة، وأن التحاقه بإحدى الجامعات الألمانية يتطلب إلماماً كافياً باللغة الألمانية، والوفاء بذلك يتطلب عاماً ميلادياً كاملاً على الأقل فى تحصيل اللغة وتوظيفها قراءة ومحادثة وكتابة، وهو ما لم يكن ممكناً خلال عام.

ولهذا أصر صاحبنا على البقاء فى إنجلترا آملاً أن تأتيه بعض الردود الإيجابية على رسائل كان قد بعثها إلى بعض الجامعات ولم يتلق رداً.

وفى أواخر شهر سبتمبر تلقى صاحبنا رداً كتابياً من قسم التاريخ بجامعة كيل بوسط إنجلترا، يدعوه إلى مقابلة مع بروفسور بول رولو (أستاذ السياسة الخارجية البريطانية ورئيس القسم) للنظر فى إمكانية قبوله بالجامعة. كان الخطاب يحمل إلى جانب الدعوة خريطة تفصيلية للطرق الواصلة بين هيستنجز وكيل، ومواعيد القطارات ومحطاتها، ومواعيد الأوتوبيسات ومحطاتها، فضلاً عن خطوط الأوتوبيسات الداخلية الموصلة بين كيل والمدن المجاورة (وكانت ثلاثة هى: هانلى، ستوك أون ترنت، نيو كاسل أندرلايم) فضلاً عن أرقام التليفونات ومفاتيح المدن، وخريطة للجامعة، وكتيب صغير يعرف بالجامعة (نشأتها وتاريخها وأقسامها العلمية، وأقسامها المتميزة) لم يترك قسم التاريخ بجامعة كيل أدق التفاصيل التى قد يحتاجها صاحبنا إلا وأرسلها له، تاركاً له فرصة الاتصال التليفونى لتحديد الموعد المناسب لزيارة كيل ومقابلة البروفسور رولو، لم ينتظر صاحبنا طويلاً بل رفع سماعة التليفون مباشرة على جامعة كيل، وكان على الطرف الآخر سكرتيرة القسم (السيدة كارولين) التى رحبت به وأبلغته باستعداد رولو لمقابلته للتباحث حول إمكانية قبوله للدراسة بالقسم.

أعد صاحبنا نفسه للسفر إلى كيل بعد أن استطلع إمكانية تحقيق ذلك مستعيناً بالمعلومات والخرائط التى تلقاها، وقرر أن يركب القطار من هيستنجز إلى لندن، ومنها إلى ستوك أون ترنت، ثم يستقل أوتوبيس المدينة إلى كيل. كانت الرحلة سهلة وميسرة، ولم تكن هناك حاجة للاستعلام عن أى شىء، لأن المعلومات كانت متوافرة لديه، وفى كل مكان ينزل به.

وعند منتصف اليوم وصل صاحبنا إلى جامعة كيل، التى تقع إلى الغرب من مدينة نيو كاسل أندرلايم، على تلة مرتفعة مجاورة لقرية صغيرة جداً تسمى كيل، ولهذا حملت الجامعة اسمها. كان الاتجاه الحديث فى إنشاء الجامعات أن تقام خارج العمران الكثيف

فى المدن، لمجموعة من الأسباب لعل أهمها: أن تتوافر المساحة الكافية من الأرض التى تقام عليها منشآت الجامعة الأكاديمية والإدارية وأنشطة الطلبة، فضلاً عن مساكن الطلبة وأعضاء هيئة التدريس والعاملين، كل هذا فى منطقة واحدة، ييسر التواصل والانتقال والعيش فى جو أكاديمى، بعيداً عن صخب المدينة. وقد نجحت جامعة كيل فى إنشاء أربعة تجمعات سكانية تحيط بالأقسام العلمية يقطنها أعضاء هيئة التدريس والطلبة والعاملون بالجامعة، فضلاً عن أماكن مخصصة للاستضافة.

كانت الجامعة، التى نشأت حول قصر لأحد اللوردات، أشبه ما تكون بقرية ممتدة على قمة تل عال، يطل على جميع المناطق المجاورة، وتتوسط هذه المنظومة منشآت الأقسام العلمية والمعامل والمكتبة، ويحيط بها طريق دائرى يسير فيها أوتوبيس مجانى ينقل الطلبة بين مناطق الجامعة المختلفة ومنها إلى مدينة نيوكاسل، أو ستوك أون ترنت، أو هانلى، وجميعها تقع بالترتيب على خط سير واحد. وخارج هذا الطريق الدائرى تقع التجمعات السكانية الأربعة المشار إليها. وكان أشهرها وأكثرها جمالاً ذلك التجمع الواقع على بحيرة طبيعية، ويتكون من الفيلات الصغيرة التى يقيم فيها أعضاء هيئة التدريس، حيث القصر القديم الذى اتخذ مقراً لإدارة الجامعة، ومقراً لقسم الدراسات الكلاسيكية. أشارت الأوراق التى يحملها صاحبنا إلى أن قسم التاريخ موجود فى مبنى Chancellar's Building الواقع داخل الطريق الدائرى فى مواجهة التجمع السكنى الطلابى Barns Hall. وفى موقف الأوتوبيس المخصص لهذه المنطقة وطئت قدما صاحبنا أرض جامعة كيل لأول مرة يوم فى أول أكتوبر ١٩٧٦، فتوجه إلى قسم التاريخ مباشرة، ولم يكن فى حاجة إلى أن يطرح أية استفسارات عن المكان، فقد كان كل شىء واضح.

وفى قسم التاريخ دلف صاحبنا إلى غرفة السكرتيرة التى عرفت بالبداهة أن القادم عليها طبقاً للموعد هو مستر حجر، طلبت إليه أن ينتظر قليلاً إلى أن يأتى بروفسور رولو، الذى حضر إلى غرفة السكرتيرة مرحباً بمستر حجر، وداعياً إياه إلى غرفته. كانت غرفته (غرفة رئيس القسم) صغيرة الحجم لا يزيد حجمها عن ٣م× ٣م بها مكتب وكرسيين ودولاب صغير، وتقابلها غرفة اجتماعات القسم، بها طاولة كبيرة وأنتريه، وعلى هذه

الطاولة جلس بروفيسور رولو ومستر حجر وأمامهما كم كبير من الكتب التى سبق إعدادها عن الخليج العربى ومنطقة الشرق الأوسط، فضلاً عن مجموعة من الخرائط للمنطقة ذاتها. وكان أول سؤال طرحه البروفيسور رولو على مستر حجر هو أين يقع "الخليج العربي"؟ مبرراً سؤاله الذى يبدو ساذجاً بأنه بحث فى كل الخرائط فلم يجد شيئاً يسمى "الخليج العربي". لاحظ المستر حجر أن الرجل كان قد فتح جميع الخرائط التى أمامه على ذات المنطقة التى يبحث عنها، ويدعى أنه لم يجدها، كما لاحظ أنه أعد مجموعة من الكتب تحمل فى عنوانها عبارة "الخليج الفارسي" The Persian Gulf. فنظر صاحبنا إلى الأستاذ ثم أعاد النظر إلى الخريطة وقال: هذا هو "الخليج العربى" الذى أقصده، أما أن تسمية "الخليج الفارسى"، أو "الخليج" فقط، فهذا ليس القضية الآن، فضحك الرجل وقال كنت أحسبك ستصر على أنه "الخليج العربي"، فقال له المستر حجر "أعرف أن هذه قضية خلافية حول الاسم، وربما يأتى الوقت لمناقشتها إذا قدر لى أن ألتحق بهذه الجامعة، أما الآن فنحن متفقون على المكان من الناحية الجغرافية، أما التطور التاريخى للتسمية، فقصته طويلة، لأن هناك اقتراح آخر بتسميته الخليج الإسلامي". انصرف الأستاذ إلى طرح أسئلة أخرى عدة حول الموضوع الذى جاء به المستر حجر من جامعة القاهرة لإنجازه فى إنجلترا، وطالت المناقشة لنحو تسعين دقيقة. ثم دار حوار عام خارج الموضوع، وانتهى اللقاء فى الرابعة والنصف، ونهض الأستاذ ليودع ضيفه حتى موقف الأوتوبيس، الذى حان موعد وصوله حول ذلك الوقت، ليستقله إلى المدينة، حيث يستقل القطار من هناك فى رحلة العودة إلى هيستنجز.

وبينما هما فى الطريق إلى الأوتوبيس قال الأستاذ لضيفه "لا أستطيع أن أجيبك الآن إن كنت قد قبلتك طالباً بجامعة كيل أم لا، ولكنى لابد أن أعرض الأمر للمناقشة فى القسم، وسوف أجيبك فى خلال أسبوع". فقال له المستر حجر "أرجو أن لا تطول المدة عن أسبوع، لأنها لو تجاوزت ذلك سأكون قد غادرت إلى ألمانيا أو إلى مصر". اندهش الرجل وقال "ألمانيا؟ لماذا" فأجابه المستر حجر "لأن لى مكاناً فى إحدى الجامعات هناك، والمكتب الثقافى المصرى أعطانى مهلة أسبوع واحد كى أحسم أمري". أقبل الأوتوبيس فى موعده

بالدقيقة وركب المستر حجر عائداً أدراجه بغير أمل حقيقى، أو بشارة بأن هناك أمل فى المستقبل. ولكنه ظل يتطلع إلى المكان، وهو يغرب عنه فى ذات الوقت الذى كانت الشمس فيه تستعد للغروب عن سماء كيل.

لم تكن رحلة العودة إلى هيستنجز سهلة، مع أنها لم تكن سفراً إلى المجهول كما كانت رحلة الذهاب، ولكنها كانت تحمل شيئاً من القلق والغموض حول المستقبل فى إنجلترا. وفى صباح اليوم التالى توجه صاحبنا إلى مدرسته، وهناك تسلم خطاباً من بروفيسور رولو يرحب به طالباً للدراسات العليا، كانت مفاجأة لم يمض عليها أكثر من١٢ ساعة، فما الذى جرى خلال ساعات الليل؟! ومتى كتب الأستاذ هذا الخطاب؟ ومتى أرسله؟ وكيف وصل فى هذا الزمن القياسي؟ عشرات الأسئلة ظلت تطارد صاحبنا، إلى أن عرف مع الوقت أن من طبائع الإنجليز ألا يسبق قولهم فعلهم، فهم يفعلون أولاً ثم يتكلمون، أو لا يتكلمون، وهذا ما جرى مع الأستاذ رولو، وما ظل يجرى معه بعد ذلك طيلة خمس سنوات، فهم لا يعملون "من البحر طحينة" كما نعمل، ولا يفرشون الطريق وروداً ثم نجد أنفسنا نسير على الأشواك، كما نفعل. كانت التجربة جديدة تماماً على ثقافة صاحبنا. أما الخطاب الذى وصل خلال الليل على غير ما هو مألوف فى ثقافة أهل الشرق، فمرجعه أن البريد هناك مستويات، مستوى الدرجة الأولى 1st Class ويصل صباح اليوم التالى إذا وضع فى صندوق البريد قبل الخامسة مساء، ومستوى الدرجة الثانية يستغرق يوماً إضافياً. هكذا بدأت تتكشف أمام صاحبنا بعض أسرار التقدم فى العالم الغربى.

راح صاحبنا يعيد ترتيب أموره من جديد باعتباره باقياً فى إنجلترا، ومواصلاً دراسته فى إحدى جامعاتها، وبدأ يضع قدمين ثابتتين على أول الطريق الذى كان يتمناه منذ سنين، حين التحق بالدراسات العليا فى جامعة الإسكندرية فى أكتوبر ١٩٧٠. رتب حقائبه وأخلى طرفه من المدرسة ومن البنسيون، وتوجه إلى كيل يوم ٨ أكتوبر حيث سيقضى هناك خمس سنوات، بين ربوعها الخضراء وجنتها الفيحاء، وبصماتها التى لاتزال تنطبع على ملامحه الفكرية والسلوكية إلى اليوم.

ولدى وصوله إلى كيل توجه صاحبنا إلى مدير الإسكان الطلابى (Mr. Duke) حيث

دبر له على الفور غرفة فى لندسى هول Lindsy Hall إحدى التجمعات السكانية الأربعة فى الجامعة المشار إليها سابقاً، وهناك التقى بعدد من طلاب الدراسات العليا المقيمين فى غرف مجاورة، معظمهم من الإنجليز، وبعض العراقيين، وكان هو المصرى الوحيد، وكانت تلك نعمة عرف قيمتها فيما بعد. وفى ٨ أبريل ١٩٧٧ لحقت به زوجته، وكان عليه أن يخطر الجامعة كى ترتب له مسكناً مناسباً للحياة الزوجية، وكان له ما أراد.

قدم له مكتب إسكان الجامعة شقة من غرفة وصالة كاملة الخدمات والمرافق فى مبنى به عدد محدود من الشقق، ولكن المكتب اشترط عليه أن يخليها إذا ما طلب منه ذلك، ولما كان الأمر ملحاً بالنسبة له فقد قبل الشرط ولكنه سأل عن السبب فقيل له إن هذه الشقة مخصصة للطالبات الأمهات اللائى ليس لهن أزواج، وحق الطفل مقدم على حق البالغ، والطالبة الأم تكتسب هذا الحق من خلاله، لأن الأم بدون طفل لها مكان آخر فى غرفة مستقلة وليس فى شقة. ومرة أخرى وقف صاحبنا يتأمل كيف يحمى المجتمع الضعيف ويضمن له حقه. وما أن مرت بضعة شهور حتى جاءت طالبة أم ومعها طفل عمره عامان تطلب من الجامعة إيواءها، ولم يكن هناك بديل غير الشقة التى يسكنها صاحبنا، فاضطر لإخلائها ودبرت له الجامعة شقة مناسبة خارج الجامعة فى المدينة المجاورة على بعد خمسة كيلومترات، ظل فيها إلى أن حصل على الدكتوراه. ويؤكد صاحبنا أنه لم يواجه أية معاناة على أى مستوى، فالطفل والطالب فى مثل هذه المجتمعات يلقى كل أنواع الرعاية، فالطفل لا يجب أن يكون عبئاً معوقاً على أمه الطالبة، والأم الطالبة لا يجب أن تكون عبئاً على نفسها، والطالب تتهيأ له كل الفرص التى تتيح له التحصيل، والمجتمع بمؤسساته المعنية مسئول عن تحقيق الرفاهية للجميع.

وفى قسم التاريخ استقبل الأستاذ الطالب الجديد مرحباً به، ثم اصطحبه إلى حجرة خصصت له فى القسم، مناظرة تماماً فى كل محتوياتها لغرفة الأستاذ، فجميع الغرف متماثلة، وقال له من اليوم تستطيع أن تمارس عملك، وتضع أوراقك فى هذه الغرفة، وأخبره أن السكرتيرة لديها (ماستر كي) master key ، وأن عمال النظافة لديهم المفتاح نفسه، لأن السكرتيرة وعمال النظافة لهم حق فتح الغرفة، وغيرها من الغرف بالقسم، وأن

حارس المبنى Porter له حق فتح جميع غرف المبنى، ولكن مستخدم الغرفة هو صاحب الحق الوحيد فى استخدامها. وهكذا أطلع صاحبنا على نظام استخدام الغرفة كى لا يفاجأ بما لم يكن يتوقع. ثم أخبره الأستاذ أن له حق الاحتفاظ بغرفة صغيرة فى المكتبة تسمى Carrell، يجمع فيها ما يستخدم من المراجع، ويقضى فيها بعض الوقت، وهى من التسهيلات التى تقدم للباحثين، كى لا يكون حمل الكتب عبئاً عليه إلى خارج المكتبة. كل ذلك كان جديداً على صاحبنا، فكان يزداد انبهاراً كل يوم بما يرى من نظام ترعاه مؤسسة تضمن لكل واحد حقه، حتى كاد يكوّن فكرة خلاصتها أن "هذا بلد يبحث الحق فيه عن صاحبه"، وفى هذا المناخ المناسب جداً بدأت عجلة الحياة العلمية تدور.

كلف الأستاذ صاحبنا بإعداد بحث فى حدود عشر صفحات فى مدة لا تتجاوز الشهر، وكان للأستاذ ما أراد قبل الشهر، فكلفه مرة أخرى ببحث ثان وثالث إلى أن أنجز صاحبنا ستة أبحاث خلال ستة أشهر. وأخبره أن هذه الأبحاث ستعتبر من بين متطلبات الماجستير، فتعجب صاحبنا من أنه سيعد الماجستير من جديد وهو حاصل عليها فى الإسكندرية، قال الأستاذ إن هذا إجراء شكلى للاطمئنان، لأنه لا يعترف بالشهادات التى حصل عليها صاحبنا من مصر، وأن عمله الفعلى أمامه هو الذى سيجيزه ويكشف عن قدراته، وهكذا عمل الرجل بالمثل المصرى الذى يقول "المية تكدب الغطاس". أكمل صاحبنا الأوراق البحثية الستة، وبعد فترة الاختبار هذه تلقى خطاباً من مسجل الجامعة يخبره فيه بأن موضوعه الذى سجله فى مستوى الماجستير قد تحول تسجيله من الماجستير إلى مستوى الدكتوراه اعتباراً من تاريخ التسجيل، وأن الشهور الستة التى مضت تعتبر من مدة الدكتوراه. كانت هذه مفاجأة سارة فيها شىء من الألم، أما أنها سارة فلأنه أثبت للأستاذ أنه مؤهل علمياً للدراسة عند مستوى الدكتوراه، وأما أنها مؤلمة فلأنه يرى أن شهادات بلاده غير ملزمة للآخرين، وأن فى ذلك ماس بكرامة بلاده التى كان يعتقد أن لها إسهامات حضارية غير مشكوك فيها. كان إحساساً صعباً، لا يزال خريجونا يعانون منه إلى اليوم، بل لعله تفاقم بشكل غير مسبوق، مما جَعَل صاحبنا من أكثر المتحمسين لنشر

ثقافة التطوير فى الوسط الجامعي، وجَعْله هاجساً يومياً، يطارد كل أستاذ وموظف وعامل إلى أن ترقى بلادنا إلى المستوى الذى يليق بها بين الأمم.

كانت تجربة البحث العلمى فى بلاد الإنجليز شيقة ومرهقة خاصة فى العلوم الإنسانية. أما عن كونها شيقة فلأن كل ما يحتاجه الباحث متاح، وفى مجال التاريخ يعتبر أرشيف بلادهم أهم أرشيف فى العالم يخدم تاريخ منطقة الشرق الأوسط، وهو متاح فى ظل نظام وقانون صارمين. نهل منه صاحبنا بنهم شديد ليعوض حرماناً عانى منه طوال سنوات عمله فى الماجستير، ولم يكتف فقط بما يحتاج لبحثه فى الدكتوراه، وإنما كان يجمع كل ما يلفت انتباهه ويسترعى اهتمامه، وخاصة فى المجالات غير المطروقة. وساعدته المادة العلمية التى جمعها خارج موضوع الدكتوراه فى إعداد كثير من الأبحاث التى لا يزال ينشرها تباعاً إلى اليوم.

قد يكون من المناسب الإشارة إلى بعض المواقف ذات الدلالة خلال فترة الإعداد للحصول على درجة الدكتوراه.

الموقف الأول: كنا نتلقى خلال سنوات البعثة جريدة "الشباب العربي" وكانت معنية بالشباب بصفة عامة وأخبار المبعوثين من بينها. ذات مرة نشرت الجريدة فى آخر السبعينيات مسابقة بين المبعوثين المصريين فى الخارج وكانت المسابقة تدور حول الكتابة فى واحد من ثلاثة موضوعات، كان الموضوع الذى اختار صاحبنا الكتابة فيه يدور حول "الدور الريادى لسياسة مصر الخارجية". وجاءت نتيجة المسابقة بعد بضعة شهور تفيد أن صاحبنا حصل على المركز الأول، وكانت الجائزة تذاكر سفر للمبعوث الفائز من مكان دراسته إلى القاهرة والعودة، مع فترة إقامة لمدة شهر فى مصر، وشهادة تقدير. وبقدر ما سعد صاحبنا بالفوز فى المسابقة، بقدر ما كانت السفرة عديمة القيمة أو هكذا بدت له، لأنه كان قد انتهى من إعداد رسالته وأرسلها إلى الطباعة وكان ينتظر الانتهاء من تلك المهمة. ولكن لم يكن هناك بد من استخدام تذاكر السفر، وبعد حساب دقيق لعنصر الزمن قرر أن يسافر إلى مصر قبل المناقشة بشهر، خاصة وأن أسرته الصغيرة (الزوجة

وطفلين توأمين ولدا فى إنجلترا) كانت قد سبقته قبل تسعة أشهر، ووجد أنها فرصة للزيارة. وفى القاهرة تسلم شهادة التقدير فى إدارة البعثات، ثم عاد صاحبنا بعد شهر ليجد الرسالة مطبوعة وجاهزة للمناقشة.

الموقف الثانى: أن صاحبنا رزق طفلين توأمين، وكانت رعايتها قبل الولادة وبعدها من قبل مستشفى الولادة جديرة بالتقدير والاحترام والإشادة، ونموذجاً يجب أن يحتذى فى الرعاية الصحية التى تكفلها الدولة. فقد كانت المتابعة أثناء الحمل تسير طبقاً لبرنامج شهرى منتظم، وكانت الدروس التثقيفية حول الحمل والولادة وتربية الأطفال منتظمة، وكانت التمرينات الرياضية للأمهات لتجهيزهن لولادة طبيعية من بين البرامج الأساسية، وكان إشراك الزوج أو الصديق Boy friend أمراً حتمياً، ورغم أن المستشفى كانت تعلم من خلال الحساب الدقيق للولادة بموعدها، إلا أن الأطباء آثروا أن تتم الولادة بطريقة طبيعية رغم تأخرها أسبوعاً كاملاً، واستعد كبير أطباء التوليد وستة من مساعديه للحالة التى رأوا أنها تحتاج لمعاملة خاصة. وكان التقليد أن يحضر الزوج الولادة ليشارك الزوجة آلامها، وبعد عزوف قبل صاحبنا، ولكن الموقف كان أقوى من قدرته على أن يتحمله فأصيب بإغماءة لم يكن يتوقعها.

يستحق مشهد خروج الأم والطفلين من غرفة الولادة إلى غرفة الإقامة فى المستشفى أن يوصف، فقد نقل كل منهم فى سريره الخاص بإشراف ورعاية فائقة، يتوفر عليها ثلاثة من الممرضات sisters فضلاً عن الداية Medwife التى كانت معنية بالأم، وفى جناح خاص كانت الممرضات يتبدلن على الأطفال لمتابعتهم فى الساعات الأولى بعد الولادة، إلى أن تمكنت الأم من العناية بنفسها، ثم بالأطفال، بالطريقة ذاتها التى كانت قد تدربت عليها خلال فترة الحمل. بقى ثلاثتهم فى المستشفى عشرة أيام كاملة، لأن المستشفى كانت تريد أن تتأكد أن الأم قادرة بنسبة ١٠٠٪ على رعاية نفسها وطفليها. وبعد أن تأكد ذلك، وتهيأ الجميع لمغادرة المستشفى، جاءت الأم مندوبة من المستشفى تسألها عما إذا كانت تريد أن تصطحب الأطفال معها لدى العودة إلى منزلها، اندهشت الأم ذات الثقافة المصرية

لمجرد طرح السؤال، وتعجبت من أمر السائلة، ولكن السائلة كانت جادة، فالمستشفى كانت تعلم أن الأب والأم طالبان، لا يستطيعان مواصلة الدراسة بعد أن أصبحا مسئولين عن أسرة كبيرة فجأة، وخاصة أن المستشفى كانت تعلم أن الدخول المادية للمبعوثين المصريين متواضعة، إذ كانت وقتئذٍ ١٢٣ جنيهاً استرلينياً فى الشهر فى بلد يصرف المرتبات بالأسبوع، وهو مبلغ رأته المستشفى ضئيلاً، وأمام إصرار الأم على أن تخرج من المستشفى بصحبة طفليها، سلمت المستشفى لها بذلك، وخرج الطفلان والأم فى موكب رائع إذ اصطحبت كبيرة الممرضات الأم من غرفتها إلى السيارة عبر الممرات والمصاعد، وحملت إحدى الممرضات أحد الطفلين وحملت ممرضة أخرى الطفل الثانى وسارتا فى موكب خلف الأم، تبين بعد ذلك أن تلك مسألة بروتوكولية، تزف فيها المستشفى المواليد الجدد إلى الدنيا.

لم يقتصر دور المستشفى عند هذا الحد، فالمسئولون فيها لم ينسوا القادمين الجدد بعد أن خرجوا من عندهم، ولم ينسوا أن الأب والأم طلبة علم وأن مواردهم محدودة. ففى صباح اليوم التالى جاءت الممرضة إلى المنزل لتطمئن على الطفلين ولتتأكد أن الأبوين يحسنان معاملتهما ورعايتهما، وحين أفصحت عن هدفها الحقيقى هذا كانت كلماتها مصدر اندهاش كبير من الأبوين. وجاءت الداية لتطمئن على أن الأم بخير، وظلت كل واحدة منهما معنية بشأنها لمدة أسبوع، إلى أن اطمأنت تماماً كل واحدة المرضة والداية على ما يخصها من تكليفات. عرفت المرأتان خلال هذا الأسبوع أن الأب والأم توقفا عن الدراسة ليتابعا عن قرب كيف سيربيان ابنيهما، ولم يكن هذا السلوك فى نظرهما سلوكاً صحيحاً، فالصحيح أن يمارس كل واحد منهما حياته بشكل طبيعى، وعلى المجتمع والدولة أن يساعدا كل واحد على قضاء أمره.

وذات يوم دق جرس الباب، وإذا بسيدة فارعة الطول جميلة المظهر تقف بالباب وتقدم نفسها على أنها مارجريت من Social Security وأنها مسجلة متطوعة لتربية الأطفال التوائم، لأن لديها بنتايت توأمين اكتسبت من تربيتهما خبرة جيدة، وليس لديها

وظيفة، ولذلك فإنها تستثمر وقتها فى عمل نافع مفيد للمجتمع، وأنها راغبة فى مساعدة من يحتاج إلى المساعدة. أخبرها الأب والأم أنهما لم يطلبا مساعدة أحد، فكيف عرفت أن فى هذا البيت تحديداً توأمان، قالت إنه نظام المجتمع، "المستشفى أبلغت Social Security وهذا بدوره أبلغنى لأنى كنت سجلت اسمى للخدمة فى هذا المجال وفى مجال آخر وهو مساعدة كبار السن". اندهش الأب والأم من سلوك هو صميم التقاليد الإسلامية ولا يطبق فى بلاد المسلمين، لأن الناس يبدون متعالين على بعضهم بعضاً، بينما فى بلاد غير إسلامية يطبق الإسلام حرفياً دون تفريط، فى إطار من التكافل الاجتماعى، والتآلف الاجتماعى، الذى وصل إلى حد أن أهل البلاد صاروا فى خدمة الوافدين، طالما أنهم على أرضهم.

رحبت الأسرة بمارجريت التى وقفت، خلال خدماتها التى كانت تقضى فيها ساعتين لمدة ثلاثة أيام فى الأسبوع، على حقيقة أن الأسرة التى جاءت لخدمة أطفالها لازالت فى حاجة إلى من يساعدها لثلاثة أيام أخرى، كى يتاح للأبوين أن يمارسا عملهما العلمى بشكل طبيعى، ودون أن تفصح عن شىء جاءت ذات يوم ومعها صديقة متطوعة لتغطية الأيام الثلاثة الأخرى من الأسبوع. ومع الوقت تنامى عدد المتطوعين ليقدموا الخدمة من خلال ساعات عمل إضافية أو إنجاز بعض الأعمال المتعلقة بنظافة المنزل، أو شراء احتياجات الأسرة، أو التنزه بالطفلين تاركين الأبوين يأخذان قسطاً من الراحة، وغير ذلك من الخدمات. كانت التجربة حضارية وإنسانية إلى أسمى الدرجات، تذكر صاحبنا ما قاله محمد عبده حين زار أوربا فوجد فيها إسلاماً بغير مسلمين، وساعتها وقف صاحبنا على أحد أسرار تقدم الغرب التى نملك أسبابها ولا نمارسها.

الموقف الثالث: يتعلق بطباعة رسالة الدكتوراه، ففى الوقت الذى سافرت فيه أسرة صاحبنا عائدة نهائياً إلى الوطن وطفلاه قد بلغا من العمر أحد عشر شهراً، ظلت مجموعة المربيات يتابعن أخباره العلمية للاطمئنان على أن أموره الحياتية منتظمة ولا توجد معوقات أمام إنجاز رسالته. وحين جاء الوقت الذى كان عليه فيه أن يطبع رسالة

الدكتوراه عرضت "مارجري" إحدى المربيات خدماتها فى هذا المجال قائلة إنها تجيد الكتابة على الآلة الكاتبة، ويمكنها أن تقوم بهذه المهمة ولكنها لا تملك راقنة (آلة كاتبة)، وسألت صاحبنا إن كانت لديه راقنة، تذكر صاحبنا أن بالقسم حوالى عشر راقنات غير مستخدمة. وفى اليوم التالى توجه إلى "كارولين" سكرتيرة القسم، أو إن شئت قل "دينامو" القسم، التى تعرف كل شيء عن كل شيء يجرى فى القسم، ولديها صلاحيات إدارية عالية فى ظل ضوابط واعية، وسألها عما إذا كان فى إمكانه أن يستعير إحدى الراقنات القديمة خارج الجامعة لإنجاز طباعة الرسالة، وشرح لها الموقف الذى عرضته "مارجري"، فأجابت على الفور بالطبع تستطيع أن تأخذ واحدة، أى واحدة. انتقى صاحبنا إحدى الراقنات، وحملها إلى بيت "مارجري"، وسلمها إياها ومعها مسودة الرسالة بخط اليد، وظلت مارجرى تكتب إلى أن انتهت من كتابتها. ثم أعادت الراقنة إليه، مع آخر ورقة كتبتها. فحملها صاحبنا بدوره إلى القسم ليعيد كل شيء إلى مكانه، ويوجه الشكر إلى كارولين. وإذا بكارولين تقول له احتفظ بها لنفسك طالما أنك لا تملك واحدة، فالقسم لم يعد بحاجة إليها، وقيمتها فى استخدامها، قال صاحبنا ولكنها "عهدة" وكان ساعتها يعكس ثقافة البيروقراطية المصرية، فضحكت وقالت لسنا فى حاجة إليها، تستطيع أن تعطيها لمارجرى لتمارس عليها خبرتها، ربما تكون فى حاجة إليها. لم يكذب صاحبنا خبراً، وعاد لمارجرى ليقدم لها الراقنة هدية من الجامعة. هذا موقف يستحيل أن تجد له مثيلاً فى إداراتنا الحكومية، لأن كل شيء عهدة، حتى وإن كان عبئاً علينا، وانتهى إلى سلة المهملات بدلاً من أن يستفيد منه أحد.

هذه المواقف وأمثالها كثير، تعكس صورة مجتمع متكافل بكل ما تحمل الكلمة من معنى، فحين أنجز صاحبنا مهمته ومنح درجة دكتوراه الفلسفة فى التاريخ، أقام له الأصدقاء سلسلة من الاحتفالات، انتهت بتوديعه عائداً إلى الوطن، ليعيش بعد ذلك على ذكريات تلك الأيام الجميلة، التى لم يستطع أن يعيش مثلها فى أى وقت طيلة حياته. كان الناس الذين التقاهم فيها يتصرفون على طبيعتهم دون تكلف، مخلصون فى عملهم دون

ملاحقة رقيب إلا ضمائرهم، أوفياء إلى أقصى درجة نحو من يحبون، قادرون على التعبير عما بداخلهم دون عقد أو حواجز. كان صاحبنا يردد بعد عودته إلى الوطن أنه عاش خمس سنوات فى بلاد الإنجليز هى كل عمره.

كانت مناقشة رسالته للدكتوراه تجربة فريدة، تختلف تماماً عن النظام المصرى فى مناقشة الرسائل، ففى النظام الإنجليزى تناقش الرسائل فى جلسة مغلقة تقتصر على لجنة المناقشة والباحث فقط، وكان البروفيسور رولو المشرف على الرسالة، قد اقترح أن يكون المناقش الخارجى هو البروفيسور ألبرت حورانى الأستاذ بجامعة أكسفورد. وكان الباحث قد التقاه من قبل أثناء زياراته لجامعة أكسفورد، وتناقش معه حول موضوع البحث. وذات مرة دعا حورانى إحدى طالباته الأمريكيات (كريستين هيلمز) وصاحبنا لمناقشتهما حول أوجه التشابه والاختلاف فى موضوعيهما حول بريطانيا والمملكة العربية السعودية، وتبين من المناقشة التى كانت أشبه ما تكون بسمنار جمع الأستاذ والباحثين أن موضوع جمال فى كيل يختلف تماماً عن موضوع كريستين فى أكسفورد، ومنذ ذلك الوقت تعرف حورانى على الباحث جيداً وتابع معه مشوار بحثه فى كيل وأبدى إعجابه بالموضوع، ونصح بالاستمرار فيه، وأبدى رغبته فى متابعة نتائجه. وحين تقرر اختيار كيل للمناقش الخارجى، كان ألبرت حورانى هو المرشح الأول.

أرسل رولو رسالة صاحبنا إلى حورانى وهو لا يعلم أنه قد أصيب بانزلاق غضروفى، وكان عليه أن يستلقى على ظهره لفترة شهرين، وهو ما لن يمكنه من قراءة الرسالة، فاعتذر للأستاذ رولو، واقترح أن يرشح بيتر سلاجليت أحد زملائه من تلاميذه القدامى، وهو أستاذ فى جامعة درهام، فوافق رولو، وجرى إرسال نسخة الرسالة التى كانت فى حوزة حورانى إلى بيتر سلاجليت فى درهام، وهكذا تشكلت اللجنة الثنائية فى صورتها النهائية من بول رولو (مشرفاً) وبيتر سلاجليت (مناقشاً).

وفى الموعد المحدد حضر سلاجليت إلى كيل، وتحدد مكان المناقشة فى ذات الغرفة التى استقبل فيها صاحبنا حين جاء إلى كيل لأول مرة، وعلى الطاولة ذاتها. قدم رولو بيتر إلى

جمال وقدم جمال إلى بيتر بالطريقة المعهودة، ثم قال: لقد قضيت مع جمال وقتاً كافياً خلال سنوات الإشراف، وأعرف إمكانياته جيداً، ويبقى أن تتعرف يا بيتر على إمكانياته، وسوف أترككما معاً لأعد لكما الشاى. وهذا أمر مألوفُ إذ لا يوجد عمال لتقديم الشاى فى مكاتب العمل، وإنما هناك وقت محدد خلال ساعات العمل لتناول الشاى فى القاعات المخصصة لذلك، ولما كانت مهمة المناقش شاقة وقد تستغرق وقتاً طويلاً، كان على بروفيسور رولو نفسه أن يعد الشاى، ويدير أعمال القسم الذى كان يرأسه، ويطل على قاعة المناقشة من حين لآخر ليتابع سير الحوار، الذى كان دائراً بلا توقف بين بيتر سلاجليت وصاحبنا.

وحين انتهى بيتر من مناقشته التى استغرقت حوالى الساعة انضم إليه رولو، الذى طلب من صاحبنا أن ينتظر فى غرفته التى شهدت عمله خلال خمس سنوات متصلة. وبعد دقائق جاء رولو إلى حيث كان ينتظر صاحبنا واصطحبه إلى حيث كان بيتر لا يزال جالساً، وقال له: "مستر حجر تستطيع الآن أن تسافر إلى مصر، فقد حصلت على درجة الدكتوراه فى الفلسفة"، لم يصدق صاحبنا أن سنوات طوال من العمل الشاق، التى كان يقضى فيها نحو ١٦ ساعة عمل يومياً، قد انتهت بنجاح. كانت لحظة فارقة فى حياته، فما بعدها أصبح مختلفاً تماماً عما قبلها. لقد أنهت هذه اللحظة مشواراً طويلاً نحو المجهول، ليبدأ مشواراً آخر بالحماس نفسه بالسير فى المعلوم، وفرق كبير بين الاثنين.

طير صاحبنا برقيات نجاحه إلى أسرتيه الكبيرة والصغيرة فى مصر، وراح يرتب أوراقه وأشياءه استعداداً للسفر. وخلال تلك الفترة طلب منه أستاذه أن يبقى ستة أشهر فى إنجلترا لكى يعد الرسالة للنشر، ولكن صاحبنا كان يرغب فى العودة إلى الوطن بأسرع ما يمكن، ومن هناك قد يفكر فى مسألة النشر، التى لم يقدر لها أن تتم حتى الآن.

ترك صاحبنا كيل ولكنه حمل معه ذكريات جميلة لأيام نادرة، ترك فى كيل مجموعة من الأصدقاء، معظمهم من الإنجليز، وبعضهم من الفرنسين والأمريكيين، وقليل منهم من العرب العراقيين، ومصرى واحد، كان مبتعثاً واستنفد سنوات البعثة فقطعت عنه الموارد

المالية، وترك جامعته وجاء إلى جامعة كيل، ورأى صاحبنا أن يترك له بعض المال إلى حين ميسرة وسلمه شيكاً بالمبلغ، ورغم أن هذا جرى فى نهاية عام ١٩٨١ أى منذ ٢٥ سنة كاملة، إلا أن المبلغ لا يزال فى حساب صاحبنا إلى اليوم، أما الصديق فقد انقطعت أخباره بعد أن تزوج من إنجليزية. أما الأصدقاء الآخرون فقد ظل التواصل معهم منتظماً حتى عهد قريب، ولكن تغير محال إقامة صاحبنا، كل خمس سنوات تقريباً، أفقد هذا التواصل كثيراً من استمراريته.

عاد صاحبنا إلى الوطن وتسلم عمله بكلية دار العلوم جامعة القاهرة فى مطلع عام ١٩٨٢، وظل بها بغير درجة وظيفية لمدة ستة أشهر، يتقاضى مرتباً قدره ٩٥ جنيهاً فى الشهر، كان ينفقها على الانتقالات، أما عن سبب تأخير تدبير درجة مالية لتعيينه فقد تبين أن زميلاً له فى القسم يستعد للمناقشة، وأن الكلية تريد أن تجعل له الأقدمية، باعتباره ابن الكلية، أما صاحبنا فكان فى نظرهم غريباً عنها، قادماً من الإسكندرية عن طريق إنجلترا، وقد حصل على ميزة على أيدى الخواجات، أما ابن الكلية فلم يحصل على أية ميزة، لذلك رأى المسئولون بالقسم وقتئذٍ أن تكون له الأقدمية التى يسبق بها صاحبنا. لم يكن هذا الأمر على أهميته يعنى صاحبنا كثيراً، لأنه بدأ يفكر فى العودة إلى الإسكندرية، حتى وإن بقى على درجة مدرس مساعد، لأن القاهرة كانت ولا تزال فى نظره مدينة مستحيلة على العيش الكريم، ولأن نسبة الفاقد فيها من الوقت والجهد والمال أكبر كثيراً مما يمكن تعويضه. وظل صاحبنا يسعى فى هذا الاتجاه لمدة تقترب من ثلاث سنوات، إلى أن وفق فى النهاية فى إجراء بدل مع زميل آخر كان قد قدر له أن يحصل على بعثة من جامعة الإسكندرية إلى إنجلترا فى العصور الوسطى، وهو أصلاً ابن كلية دار العلوم. وهكذا جرى البدل بين درجتين ماليتين، ودرجتين علميتين متناظرتين. كانت تجربة دار العلوم، رغم ما شابها من غيوم فى البداية، تجربة رائعة على المستوى الإنسانى.

عاد صاحبنا فى أكتوبر ١٩٨٤ إلى كلية الآداب بالإسكندرية، المكان الذى تخرج فيه وعمل معيداً، وحصل منه على درجة الماجستير، وله فيه ذكريات جميلة. وأخذ يندمج فى

الحياة الجامعية بالإسكندرية من جديد، ولكن التكيف كان صعباً، فالوجوه قد تغيرت نسبياً، وكانت البداية من جديد صعبة، ولكنها كانت أرحم من البقاء فى القاهرة المدينة المستحيلة.

وبعد شهر واحد من تسلم العمل فى الإسكندرية قرأ صاحبنا(فى نوفمبر) إعلان جامعة قطر الذى تطلب فيه، عضو هيئة تدريس فى تخصص تاريخ الخليج العربى الحديث. وكان صاحبنا قد قضى الحد الأدنى الذى يسمح له بالإعارة طبقاً للقانون، فتقدم إلى جامعة قطر بأوراقه فى شهر نوفمبر ١٩٨٤، وفى شهر مارس ١٩٨٥ تلقى برقية لمقابلة لجنة جامعة قطر فى مقر السفارة القطرية بالقاهرة. كان على رأس اللجنة مدير جامعة قطر ووكيليه وعميد كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية وغيرهم. وجرى فى المقابلة حوار طويل يجمع بين العلم والسياسة والانطباعات الشخصية، وكان السؤال اللافت للانتباه: يستوضح رأى صاحبنا فى الحرب العراقية- الإيرانية، فأبدى رأياً فيها مفاده: أنها محاولة من القوى الكبرى لاستهلاك طاقة الدولتين وإضعاف الوجود العربي- الإسلامى فى الشرق الأوسط، لإحداث نوع من التوازن الاستراتيجى فى مواجهة إسرائيل، خاصة وأن العراق قد بدأ يظهر فى الدراسات الاستراتيجية على أنه القوة الإقليمية الواعدة فى الشرق الأوسط. انتهى اللقاء حين طلب رئيس اللجنة من صاحبنا أن ينتظر بضع دقائق فى الاستراحة الخارجية، وبعدها سلمه ثلاثة خطابات موقعة ومختومة ونهائية مفادها أن جامعة قطر ترحب بصاحبنا عضواً فى قسم التاريخ بها. كان أحد الخطابات له شخصياً والثاني لعميد كليته والثالث لرئيس جامعة الإسكندرية.

عاد صاحبنا إلى الإسكندرية وقد تصور أن أبواب الرزق قد تفتحت أمامه، وما كان يدرى أن هناك توازنات أخرى يجرى حسابها من قبل إدارة الكلية فى الإسكندرية، فحين قدم الخطاب إلى أ.د. عاطف غيث عميد الكلية وقتئذ، كان رد فعله الفورى: "يا جمال أنت سافرت وشفت الدنيا دع غيرك يراها، أنت لسه واصل عندنا من القاهرة منذ بضعة شهور"، فأجابه صاحبنا إنه أمضى ما يزيد على ثلاث سنوات فى درجة مدرس، وإنه كان

يعمل فى جامعة مصرية. وأمام إصرار العميد على موقفه الغامض، استوضح صاحبنا السبب فى حرمانه من حقه الذى لا ينافسه فيه أحد، والذى لن يشغله أحد من جامعة الإسكندرية إذا لم يسافر هو إلى هذه الإعارة، قال العميد، إن الدكتور أحمد سليم زميلك فى قسم التاريخ لم ير الدنيا، والنسبة لا تسمح لكما أنتما الاثنين بالسفر. قال صاحبنا ولكن الزميل لم تأته إعارة فإلى متى انتظره، قال العميد ناقش هذا الأمر مع د. عمر عبد العزيز بالقسم. عرف صاحبنا ساعتها أن الموضوع مطروح للمناقشة، وأن الزميل قد يسافر إلى بيروت، ولكن لا شئ مؤكد.

طلب العميد من صاحبنا الانتظار من مارس حتى أكتوبر ١٩٨٥ كى تتضح الرؤية بشأن الزميل، كان مطلبه فى الواقع مطلباً قاسياً أن ترتب الأمور هكذا لحساب أحد الأشخاص. ساعتها تذكر صاحبنا أن الانطباع الذى كونه فى إنجلترا عن أنها البلد الذى يبحث فيه الحق عن صاحبه، أصبح مجرد ذكرى، وأن الواقع المر فى الوطن لابد أن نتجرعه. كانت جامعة قطر تراسل صاحبنا بشأن موافقة جامعة الإسكندرية، وكان الرد الوحيد الذى يقدمه فى كل مرة، "جارى اتخاذ القرار"، ولم يكن هناك فى حقيقة الأمر أية خطوة فى هذا الاتجاه.

وبدأ العام الدراسى فى كل من قطر والإسكندرية ولم يتخذ القرار، فتوجه صاحبنا إلى مكتب العميد ليخبره أنه انتظر طويلاً، وأن حقه سيضيع فى هذه الإعارة إذا لم يسافر، وأن زميله لم تأته إعارة إلى جامعة بيروت العربية أو إلى أية جامعة أخرى، فقال العميد على الفور "معك حق تستطيع أن تسافر الآن"، ومع هذه الكلمات بدأت إشراقة شمس جديدة، فرضها الأمر الواقع ولم تفرضها أصول العمل وقوانينه.

سافر صاحبنا إلى قطر معاراً إلى جامعتها يوم ٣ أكتوبر ١٩٨٥، وبدأ منذ ذلك اليوم تجربة جديدة، تضاف إلى مجمل تجاربه السابقة فى المجتمع المصرى والمجتمع البريطانى. بدأت التجربة القطرية مصرية خالصة، فلدى وصول صاحبنا إلى فندق شيراتون الدوحة من الطائرة مباشرة، أقبل مجموعة من الأساتذة المصريين العاملين فى جامعة قطر للترحيب

به، كان من بين هؤلاء الدكتور عادل غنيم والدكتور أحمد زكريا، الأستاذين بجامعة عين شمس، والدكتور رمضان عبده الأستاذ بجامعة المنيا، وجميعهم معار إلى قسم التاريخ والمكتبات بجامعة قطر. كان اللقاء فى فندق شيراتون الدوحة لقاء متميزاً، لأنه كان يعكس ثقافة جديدة أثلجت صدر صاحبنا، ففى هذا اللقاء سارع الزملاء المستقبلون بتقديم ما فى وسعهم من تسهيلات، وفى هذا الفندق أقام صاحبنا وأسرته لمدة ستة أشهر كاملة انتظاراً لليوم الذى تعلن فيه الجامعة أنها دبرت له ولأسرته مسكناً مناسباً.

كان الفندق متميزاً شكلاً وموضوعاً، فهو الفندق الوحيد وقتئذٍ بالدوحة "المدينة الدولة"، وهو أيضا متميز فى عمارته، إذ كان يشبه شكلاً هرمياً بثلاثة أضلاع، يعلوه هرم صغير مقلوب. كان البناء مفرغاً من الداخل، يشبه بهواً كبيراً بارتفاع اثنى عشر طابقاً. وفى داخل البهو نافورات ونباتات تشعر النزلاء بجمال المكان وتميزه. وبعد مرور ستة أشهر من الإقامة فى الفندق، خصصت الجامعة مجموعة من الفيلات للنزلاء الجدد أصاب صاحبنا إحداها.

وفى حديقة هذه الفيلا مارس صاحبنا الزراعة لأول مرة، ووقف على حقيقة أن كل بيت يستطيع أن ينتج غذاءه بنفسه من الخضراوات والفاكهة، لو وضع يده على مساحة مائة متر مربع من الأرض الصالحة للزراعة، ففى مثل هذه المساحة استطاع صاحبنا أن يزرع حوالى ٢٤ صنفاً من الخضراوات والفاكهة على مدار العام، عدا فصل الصيف الشديد الحرارة. كانت تجربة إنتاج الغذاء جديدة تماماً على صاحبنا، ولكنها كانت ناجحة، وتركت لديه تصورات عن كيف يمكن لأى مجتمع أن يكتفى ذاتياً فى أى مجال.

وفى كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية مارس صاحبنا نشاطه العلمي والتدريسى، فكان يدرس مقررات "تاريخ العرب الحديث" و"التاريخ الأمريكي" بصفة أساسية وعدد من المقررات الأخرى بطريقة عارضة. وفى قسم التاريخ والمكتبات التقى لأول مرة بالدكتور شعبان عبد العزيز خليفة، الذى انضم إلى القسم فى العام التالى ١٩٨٦/ ١٩٨٧، ترك لديه انطباعاً قوياً من خلال معارفه الموسوعية بأنه أستاذ متميز، وكثيراً ما التقيا

وتحاورا حول كثير من القضايا المعرفية المتعلقة بتخصص المكتبات والمعلومات وبتخصص التاريخ الحديث، وما يجمع بينهما من معارف عن تاريخ المكتبات. هذا فضلاً عن الحديث عن علم الببليوجرافيا، الذى تعتبر معارفه ضرورة من ضرورات البحث العلمى فى مختلف التخصصات. وقد أدى هذا التقارب المعرفى مع الدكتور شعبان إلى فضول صاحبنا وإقدامه على كتابة موضوع حول "الصياغة الببليوجرافية لحواشى البحوث" يدرس للطلاب فى مختلف المستويات الجامعية منذ عام ١٩٨٧ إلى اليوم. وكان وراء فكرة هذه الدراسة بعض الأسئلة الفنية التى طرحها الدكتور عادل غنيم على صاحبنا حول "الصياغة الفنية لحواشى البحوث التاريخية" ووجدت اهتماماً لدى صاحبنا، فكان الموضوع بالشكل الذى صدر عليه نتاج هذه اللقاءات العلمية المثمرة. وهكذا أدى الاهتمام بالكتب فى مرحلة سابقة من حياة صاحبنا، والعمل فى قسم يجمع بين علوم التاريخ وعلوم المكتبات، والتقارب مع أساتذة المكتبات، إلى اهتمام صاحبنا بتاريخ المكتبات دون تردد، خاصة وأنه كان يميل إلى الدراسات ذات الطبيعة البينية، وهو اتجاه تعمق الاهتمام به فى السنوات الأخيرة.

كانت سنوات الإعارة إلى قطر غنية بالمواقف والأحداث والصداقات على مختلف المستويات، ولكن أكثر المواقف إثارة وتأثيراً فى المسيرة العلمية لصاحبنا كان يتعلق بالنزاع الحدودى بين دولتى قطر والبحرين، وهو النزاع الذى ثار حول جزر حوار وفشت الديبل وقطعة جرادة، وكاد أن يؤدى إلى صدام مسلح بين البلدين.

ففى أبريل ١٩٩٠ فوجئ صاحبنا صباح يوم باتصال تليفونى من الدكتور عبد الله الكبيسى (مدير جامعة قطر) يطلب فيه معرفة حقيقة صلة صاحبنا بديوان أمير الدولة، ولم يكن لصاحبنا أية صلة بالديوان الأميرى، عدا تردده على مكتبة الديوان لمرات معدودة على أصابع اليد الواحدة طيلة إقامته لمدة خمس سنوات فى الدوحة، ربما لم يكن رد صاحبنا مقنعاً للدكتور عبد الله، ولكنه كان الحقيقة الوحيدة حول صلته بالديوان. عندئذ طلب المدير من صاحبنا أن يتصل تليفونياً بمكتب الدكتور حسن كامل مستشار أمير الدولة (الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني)، وبناء على اتصال مع مدير المكتب، تم تحديد موعد مع

صاحبنا لمقابلة المستشار للتشاور حول موضوع لم يحدد. وفى اللقاء الذى تم بين المستشار وصاحبنا دار نقاش حول مسألة الخلافات الحدودية بين قطر والبحرين، وطلب إلى صاحبنا إبداء الرأى فيها بحكم الاختصاص فى تاريخ الخليج العربى الحديث والمعاصر، ولما كان الأمر يتطلب بعض الحذر وبعض الوقت، فقد قدم الدكتورحسن كامل بعض الوثائق إلى صاحبنا لدراستها والإفادة خلال أسبوعين. كانت المفاجأة كبيرة أمام صاحبنا الذى وجد نفسه يستشار فى قضايا دولية، فسأل الدكتور حسن كامل عن سر اختياره لهذه المهمة، وعرف منه أن اسمه قد رشح لهذه المهمة من مصادر مختلفة.

وفى خلال أسبوع كان صاحبنا قد انتهى من دراسة مجموعة الوثائق، التى تسلمها من الدكتور حسن كامل، وفهم منه أنه مقتنع بما تم التوصل إليه من نتائج عندئذٍ فاتحه المستشار صراحة فيما يريد. قال حسن كامل إن حكومة دولة قطر تعد دراسات لعرضها على محكمة العدل الدولية بشأن التحكيم فى قضية النزاع الحدودى بين قطر والبحرين، وأن المطلوب من صاحبنا هو إعداد المذكرة التاريخية لتطور العلاقة بين البلدين، ودراسة حركة السكان خلال الفترة من القرن السابع عشر إلى اليوم (١٩٩٠) فى المنطقة موضوع النزاع. ثم أعلن الدكتور حسن أن دوره سيتوقف عند هذا الحد، وأن التفاصيل لدى البروفيسور فرانسيس فالات (أستاذ العلاقات الدولية بجامعة لندن، ومستشار وزارة الخارجية البريطانية، ورئيس فريق الباحثين فى موضوع النزاع الحدودى من الجانب القطرى، والمسئول عن تقديم وجهة نظر قطر إلى المحكمة). وفى مساء اليوم نفسه اتصل البروفيسور فالات بصاحبنا تليفونياً من لندن حيث جرى التعارف بينهما، وتأكد فالات من استعداد صاحبنا للقيام بالمهمة، وفى ختام اللقاء طرح عليه سؤالاً حول الوجود التاريخى لآل خليفة فى شرقى الجزيرة العربية، وأعطى صاحبنا مهلة أربعة شهور لتلقى الإجابة، وانتهى اللقاء عند هذا الموقف عبر التليفون، ولكن المتابعة كانت قائمة من خلال اتصالات منتظمة إلى أن انتهت الدراسة.

وقف الدكتور حسن كامل على حقيقة الموقف من البروفيسور فالات فى حينه، ثم من صاحبنا بعد ذلك، وأخبره أن فالات كان سعيداً بالحوار، وطلب منه أن يتخذ الإجراءات

اللازمة ليتفرغ صاحبنا من عمله بالجامعة لمدة عام على الأقل لإنجاز ما يطلب منه حول هذا الموضوع. وحين فاتح الدكتور حسن كامل صاحبنا فى الأمر، عرف أنه يستعد للرحيل عن قطر بشكل نهائى بعد أقل من شهرين نظراً لانتهاء إعارته، التى قضى فيها خمس سنوات فى دولة قطر، وهو الحد الأقصى لمدة الإعارة فى ذلك الوقت. وسأل صاحبنا عن المخرج فأجابه بأنه لا يوجد مخرج قانونى، وإنما قد يكون هناك مخرج استثنائى إذا طلبت دولة قطر ذلك من جامعة الإسكندرية باعتبار ذلك مهمة قومية. لم يشأ د. حسن كامل أن يكشف سرية الموضوع، فجعل جامعة قطر هى التى تخاطب جامعة الإسكندرية حول التجديد لعام سادس لصاحبنا. كان على رأس جامعة الإسكندرية وقتئذٍ الدكتور سعيد عبد الفتاح الذى وجد أن فى ذلك تجاوزاً لضوابط الإعارات، ورفض.

كرر الدكتور حسن كامل المحاولة عبر أحد تلاميذه السابقين وهو الدكتور عصمت عبد المجيد (وزير الخارجية المصري) آملاً أن تفلح الوساطة، ولكن جهود الدكتور عصمت اصطدمت بحائط الرفض الذى تبنته جامعة الإسكندرية. لم يكن د. حسن كامل مستريحاً لموقف جامعة الإسكندرية، فآثر أن يطلب إلى الشيخ خليفة بن حمد أن يتحدث إلى الرئيس مبارك عند لقائهما فى مؤتمر بغداد للمصالحة العربية مع مصر فى صيف عام ١٩٩٠، وكان الدكتور حسن كامل ملازماً للشيخ خليفة فى كل سفراته. وحينما وجد صاحبنا أن الأمور وصلت إلى هذه الدرجة من التعقيد أخبر الدكتور حسن كامل أنه يستطيع أن ينجز المطلوب منه خلال فترة الصيف، وبذلك توقفت محاولات مد إعارة صاحبنا لعام سادس.

انتهى صاحبنا من إعداد الدراسة المطلوبة فى يوليو وأجاب بذلك على السؤال الذى طرحه فالات، ولكن الأخير رأى أن يطرح سؤالاً آخر، مبدياً إعجابه بما قرأ، طالباً من د. حسن كامل أن يكلف صاحبنا بإعداد الإجابة بنفس المنهج الذى أعد به إجابة السؤال الأول. كان الجهد شاقاً، وكان صاحبنا فى حاجة إلى إجازة، فقرر أن يعطى نفسه فرصة

لالتقاط الأنفاس مدة أسبوع يزور فيه أسرته التى كانت قد سبقته إلى مصر قبل ما يزيد على الشهر، وكان له ما أراد. ثم عاد إلى الدوحة ليواصل أبحاثه الجديدة.

ومع نهاية سبتمبر أعد صاحبنا الدراسة الثانية، وكان عليه أن يعود إلى الإسكندرية ليتسلم عمله فى موعده يوم ٣ أكتوبر دون تأخير، مع أنه كان يملك حق التأخير لمدة ستة أشهر. ولكنه فوجئ أن فالات طلب منه أن يعد دراسة ثالثة، فاعتذر له عن ذلك لأنه ملتزم بموعد العودة الرسمى إلى عمله، وأمام هذا الاعتذار، وأمام إصرار البروفيسور فالات على استكمال منظومة الأسئلة التى كانت لا تزال تبحث عن إجابة، أبدى مرونة غير مسبوقة حين طلب إلى صاحبنا أن يعد الدراسة الثالثة أثناء وجوده فى مصر، فوافق على ذلك، وخلص صاحبنا من هذه الدراسات الثلاث إلى نتيجة مؤداها أنه لا يستطيع أن يثبت بالدليل التاريخى حق أى من الطرفين (قطر والبحرين) فى المناطق المتنازع عليها، وسلم أوراقه بهذه النتيجة السلبية دون تردد فى أكتوبر عام ١٩٩٠، وإذا كان ذلك قد جرى فى عام ١٩٩٠، فإن الرؤية ذاتها قد تأكدت بعد ذلك بعشر سنوات كاملة من خلال الحكم الذى أصدرته محكمة العدل الدولية، حين توصلت إلى نتيجة نهائية مؤداها: "أن لكل ما بيده ولكل ما بحوزته".

كان صاحبنا لا يزال على قوة جامعة قطر خلال فترة عمله فى الديوان الأميرى. وكان من المألوف أن يجرى حفل توديع لأعضاء هيئة التدريس الذين انتهت خدمتهم، ولما كان هذا الحفل قد جرى بالفعل فى يونية ١٩٩٠، ولما لم يتم تكريم صاحبنا فى تلك المناسبة، لأن الأمل كان معقوداً على تجديد إعارته لعام سادس، فقد أعد الدكتور عبد الله الكبيسى مدير الجامعة حفلاً خاصاً لصاحبنا فى مطلع شهر أكتوبر١٩٩٠ بمكتبه، وكان العام الدراسى الجديد قد بدأ، وتوافد على الدوحة الزملاء العائدين من إجازاتهم فوجدوا أن صاحبنا لا يزال موجوداً بالدوحة، وثارت الأسئلة حول أسباب تواجده، مع أن إعارته كانت قد انتهت، ولكن أحداً لم يعرف الحقيقة كاملة على الأقل، فقد كان الموضوع كله سرياً.

عاد صاحبنا إلى الإسكندرية فى مطلع أكتوبر ١٩٩٠ ليكتشف أن جدول محاضراته لم يكن أكثر من ساعتين فى الأسبوع لتدريس مقرر "نصوص تاريخية بلغة إنجليزية"، وأن هاتين الساعتين كانتا السبب الوهمى فى عدم التجديد له لمدة عام سادس!!! ولم يمض وقت طويل حتى كان نائب رئيس الجامعة لشئون الدراسات العليا (الدكتور إبراهيم عبيدو) يبحث عن صاحبنا ليكلفه بمشوار بحثى جديد، يتعلق بالنزاع بين الجامعة والدولة حول مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية، وحول المساحة المخصصة للمشروع من أرض جامعة الإسكندرية بالسلسلة، وكانت الدولة قد وجدت أن المشروع أكبر من قدرة الجامعة على تنفيذه ومتابعته بعد التنفيذ، فوضعت وزارة التعليم العالى يدها عليه. استشعرت الجامعة أن الموضوع قد تسرب من بين يديها بموافقتها دون أن تعلم من الذى أعطى هذه الموافقة. وكان على صاحبنا أن يبحث فى أضابير الجامعة عن المسؤول عن المصير الذى آل إليه مشروع المكتبة. وبعد ستة أشهر من البحث المتصل فى ملفات قديمة، وقف صاحبنا على حقيقة أن جميع رؤساء الجامعة ساهموا بشكل أو بآخر فى تقديم تنازلات عن المشروع لوزير التعليم العالى، ونصح فى نهاية تقريره أن على الجامعة أن تترك وليدها للدولة على أمل أن تراه عملاقاً فى المستقبل، وقد أخذ مجلس الجامعة المنعقد فى ٣١ ديسمبر ١٩٩١ بما جاء فى تقرير صاحبنا من توصيات فى هذا الشأن واضعاً بذلك نهاية لمرحلة من القلق والتوتر.

لا شك أن صاحبنا اكتسب خبرة عميقة من خلال التجربتين السابقتين فى الدوحة وفى الإسكندرية، وأضاف ذلك إلى رصيده البحثى إضافات حقيقية من حيث النوع والمستوى والأهمية، أفادته فى مستقبل حياته العلمية والعملية، وتصادف ذلك مع الاستعداد الذى يجرى فى الجامعة والكلية للاحتفال باليوبيل الذهبى لكل منهما. وتطلب ذلك إعداد كتاب يتضمن تاريخ الجامعة، وآخر يتضمن تاريخ الكلية. وقد ساهم صاحبنا بخمسين فى المائة من الجهد الذى بذل فى إعداد كتاب: "جامعة الإسكندرية فى خمسين عاماً"، كما ساهم بقدر مناسب فى إعداد كتاب: "كلية الآداب: اليوبيل الذهبي"، ولا يزال هذين الكتابين يقدمان إلى زوار الجامعة إلى اليوم دون أن يكون لهما بديلاً.

كان من بين فصول كتاب جامعة الإسكندرية فى خمسين عاماً فصل عن "دور الجامعة فى إحياء مكتبة الإسكندرية"، وكان من بين فصول كتاب اليوبيل الذهبى لكلية الآداب فصل عن "دور الكلية فى إحياء مكتبة الإسكندرية". وتطلب إعداد هذين الفصلين إجراء لقاءات مباشرة مع رؤساء الجامعة السابقين، ومع عمداء كلية الآداب السابقين، ومع بعض أعضاء هيئة التدريس من ذوى الصلة بالفكرة والمشروع. وكان من بين هؤلاء أ.د. محسن محرم زهران (أول مدير للهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية) الذى طلب من صاحبنا أن ينضم إلى فريق العمل معه فى المشروع، لتغطية الجوانب الإعلامية والتاريخية، بالإشراف على النشرة الإخبارية التى تصدر عن الهيئة بثلاث لغات، وكان له ما أراد، بعد مماطلة من جانب رئيس الجامعة. ومهما يكن من أمر، فقد ظل صاحبنا يعمل مستشاراً أكاديمياً فى الهيئة خلال الفترة من عام ١٩٩٢ إلى عام ١٩٩٦، حين كان عليه أن يترك هذه المهمة بسبب سفره معاراً إلى جامعة الإمارات العربية المتحدة. وخلال هذه الفترة طلب إليه الدكتور روميريو (مدير مشروع المكتبة، المعين من قبل اليونسكو) أن يقدم خبرته إلى جانبه فى مجال التزويد فى الميادين الإنسانية والاجتماعية، وهكذا ظل صاحبنا يعمل لحساب الهيئة (مصر) والمشروع (اليونسكو) حتى عام ١٩٩٦ منتدباً من جامعة الإسكندرية. فأضاف ذلك إلى رصيده المعرفى فى مجال المكتبات أبعاداً جديدة، كما أضاف ذلك خطوطاً جديدة للتواصل مع العاملين فى مجال المكتبات داخل مصر وخارجها، ووجد صاحبنا نفسه مدفوعاً إلى الكتابة فى تاريخ المكتبات. بعد أن تعمقت خبراته وقراءاته فى تاريخ مكتبة الإسكندرية على وجه التحديد.

فى الوقت نفسه كان الدكتور شعبان خليفة قد عاد من قطر، وكان يدعى إلى جامعة الإسكندرية ومكتبة الإسكندرية ليقدم خبراته، فوقف على التطورات التى لحقت باهتمامات صاحبنا تجاه عالم المكتبات، واقترح عليه أن يتولى تدريس مقرر تاريخ المكتبات فى كلية الآداب جامعة الإسكندرية، وفى كلية الآداب جامعة طنطا. وبحكم الاختصاص والخبرة فى مجال الوثائق والأرشيف، أسند إليه كذلك تدريس مقرر الوثائق والأرشيف فى الكليتين. وتعمقت العلاقة العلمية بين الدكتور شعبان وصاحبنا مع الوقت، وركز

صاحبنا اهتمامه فى كتابة "تاريخ فكرة إحياء مكتبة الإسكندرية"، وحاضر حول الموضوع فى قصور الثقافة بالإسكندرية، وبمركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة عين شمس، وغيرها، كما شارك فى المؤتمرات العلمية حول تاريخ المكتبات.

ومع مطلع العام الجامعى ١٩٩٥/١٩٩٦ صدر قرار رئيس الجامعة بتعيين صاحبنا رئيساً لقسم التاريخ لمدة ثلاث سنوات، وكان ذلك بداية تجربة إدارية جديدة تستحق وقفة لأنها غيرت كثيراً من المفاهيم وثبتت كثيراً من القيم عند صاحبنا. إذ لم تكن إدارة قسم التاريخ أمراً هيناً، لأنه كان مشحوناً بصراعات لم تتوقف منذ كان صاحبنا طالباً يرصد ما يستطيع رصده من خلافات بين أعضاء هيئة التدريس، وأصبح أكثر اقتراباً من هذه الخلافات منذ عين معيداً، وأصبح يرى رأى العين مناوشة هنا وأخرى هناك، ولاحظ أن من بين المتصارعين فى الفراغ أشخاص بعينهم يشكلون القواسم المشتركة فى حركة الصراع. كما لاحظ أن الصراع فى حقيقته يدور حول اللاشىء، وتشتعل نيرانه، ولا تجد قضية يمكن الإمساك بها ووضعها أمام العقلانيين والمنطقيين للدراسة. كان الصراع يدور حول كلمة هنا وكلمة هناك، إيماءة هنا وإيماءة هناك، صراع بدون جوهر، أو جوهر فى خيال أصحابه.

لاحظ صاحبنا أن هناك عناصر معينة تعمل على توجيه الأمور الوجهة التى تريدها، فكان حريصاً منذ أول لحظة أن يعلن فى خطبة افتتاح أول مجلس قسم برأسه، أنه لن يكون تابعاً لأحد، ولن يكون حريصاً إلا على مصلحة القسم، فكان ذلك بداية إعلان الحرب عليه من ذوى المصالح الخاصة وتوابعهم، ومع ذلك لم يعبأ كثيراً، ومضى الوقت بتوجهات حقيقية نحو الإصلاح والتنظيم، ووضع خطط وبرامج تفعيل دور القسم فى الكلية، وفرض منطق العقل منهجاً وأسلوباً للحوار بين الأعضاء. ولكن طموحات صاحبنا كانت فى أذهان هؤلاء خيالاً يحلق فى فراغ، فاكتشف أنه يدير كياناً مستحيلاً، ولا يزال إلى اليوم كياناً مستحيلاً يستعصى على أى إدارة أن تعيده إلى صوابه. بل إن المشاكل تفاقمت وانتقلت العدوى إلى العناصر الشابة، وصار الجميع يدور فى الدائرة ذاتها التى لا أول لها ولا آخر، وإذا كان البعض يعطى أذنه فى مرحلة دون عقله، فلم يعد أحد اليوم

يعطى أذنه أو عقله، وتشرذم القسم، وأصبح نموذجاً للفوضى التى تتندر بها أقسام الكلية الأخرى، لأن الأمر وصل إلى حد الشكاوى المتبادلة، واتسع الخرق على الراتق.

فى هذه الظروف كان هناك بعض العقلاء منهم من كان صوته خافتاً، ومنهم من أدرك ألا جدوى من وراء إمكانية أو محاولة الإصلاح، ومنهم من أراح رأسه من صراع رآه أبدياً ولا فكاك منه.

أما صاحبنا فقد واتته فرصة للإعارة إلى ثلاث جامعات خليجية فى وقت واحد. هى جامعة الكويت وجامعة البحرين وجامعة الإمارات العربية المتحدة. كانت العروض جميعها مغرية، وكان عليه أن يختار الالتحاق بإحداها، وكان له أن يستقر على أن جامعة الإمارات يجب أن تعطى الأولوية، بعد استشارة واستخارة. وكان له ما أراد، ففى خريف ١٩٩٦ طار صاحبنا إلى مدينة العين حيث مقر الجامعة، ونزل ضيفاً على الجامعة لعدة أيام فى فندق هيلتون العين على طرف المدينة الشرقى، وهناك وقف على حقيقة الأوضاع المرنة فى الإدارة الجامعية. فقد نقلت الجامعة شئون هيئة التدريس والشئون المالية، وشئون الإسكان، وغيرها إلى الفندق لتتعامل مباشرة مع القادمين الجدد إلى الجامعة فى وقت واحد، وفى مكان واحد، ولا يغادره أحد إلا وقد عرف خلاصه. وفى خلال ثلاثة أيام داخل الفندق كان كل شىء قد تم إنجازه، وأصبح جميع القادمين الجدد معينين كل فى وظيفته، ومستعد لممارسة عمله فى وقت قياسى.

تسلم صاحبنا مفتاح فيلته التى من المقرر أن يقيم فيها، كما تسلم مبلغاً من الدراهم لتأثيثها، وفى بضع دقائق كان خط التليفون يعمل، ودارت عجلة الحياة بإيقاع يصعب تصوره من شخص جاء من مجتمع يعيش البيروقراطية الإدارية المعوقة حتى النخاع. وكانت هذه المرونة الإدارية أول ما لفت نظر صاحبنا فى جامعة الإمارات التى لم يرها بعد. ساعتها وقف صاحبنا يضرب كفاً بكف ويتحسر على أمة تدعى أنها علمت العالم، واكتشف أنها لم تعلم نفسها، وأن الآخرين قد سبقوها بمراحل عدة، لاحظ صاحبنا أنه فى كل سفرة يصاب بصدمة حضارية، وعند كل عودة يصاب بصدمة معاكسة، وما باليد

حيلة. كان بقسم التاريخ فى جامعة الإمارات وقتئذٍ من المصريين اثنان هما الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم من جامعة الأزهر والدكتور حسين عطيه من جامعة طنطا، وكان صاحبنا يعرفهما معرفة مباشرة من قبل. فجاء استقباله والترحيب به فى الفندق، وكالعادة فى هذه البلاد يسعى كل واحد لتقديم خدماته وخبراته للزائر الجديد. وكان رئيس القسم أستاذاً مساعداً من السودان(عبد الماجد يوسف)، أما عميد الكلية فكان هو الآخر سودانياً (عبد الوهاب عبد الرحمن) قضى ما يقرب من ربع قرن فى خدمة جامعة الإمارات، وكلاهما متخصص فى التاريخ الحديث، ولذا كان احتكاك صاحبنا العلمى بهما قوياً.

كانت تجربة العمل فى جامعة الإمارات تجربة غنية فى مختلف الميادين الأكاديمية والإدارية والإنسانية.

فعلى المستوى الأكاديمى، كانت هناك متابعة للإنتاج العلمى لأعضاء هيئة التدريس من خلال التقارير السنوية التى كان يجب عليهم أن يقدموها للجامعة، ومن خلال الخطة السنوية التى كان يجب عليهم أن يضعوها فى بداية كل سنة، وكان النشاط البحثى، بالإضافة إلى أنشطة أخرى علمية تتعلق بالمشاركة فى الندوات والمؤتمرات الداخلية والخارجية يدخل فى تقدير الجامعة لعضو هيئة التدريس، ويوضع فى الاعتبار عند تجديد إعارته، وقد شارك صاحبنا خلال فترة إعارته هذه فى العديد من المؤتمرات والندوات والمشاركات العلمية المختلفة بكثافة غير مسبوقة ولا ملحوقة.

وعلى المستوى الإدارى، كانت الجامعة تدار فى الواقع من خلال اللجان المشكلة من أعضاء هيئة التدريس، على مستويات ثلاثة: مستوى القسم العلمى، ومستوى الكلية، ومستوى الجامعة. وكان القسم يشكل لجاناً من أعضائه، بينما كانت الكلية تشكل لجانها من العناصر النشطة والفاعلة فى الأقسام، وكانت الجامعة تشكل لجانها من العناصر النشطة والفاعلة فى الكليات. وكان لصاحبنا حظ وافر من العمل فى هذه اللجان الإدارية، إذ بلغ عدد اللجان التى شارك فيها عضواً أو مقرراً أو رئيساً على المستويات الجامعية الثلاثة نحو عشرين لجنة مختلفة خلال خمس سنوات، كان بعضها ذا طبيعة

خاصة جداً، مثل "لجنة العقود المتميزة"، و"لجنة أفضل أداء"، و"لجنة الكتاب الجامعي"، و"لجنة الترقيات"، و"اللجنة الثلاثية لمتابعة أعمال الأقسام". وهذه جميعاً على مستوى الكلية أو الجامعة كانت ذات حساسية خاصة. ولا شك أن صاحبنا قد استفاد كثيراً فى المجال الإدارى من عمله فى هذه اللجان.

وعلى المستوى الإنسانى، خلق هذا الجو العلمى والعملى الرائع تواصلاً مكثفاً مع عناصر من جنسيات مختلفة، كانت نماذج للعطاء اللا محدود، كما خلق تواصلاً مع مستويات وظيفية متنوعة، تعمقت فى إنسانيتها مع الوقت، وتركت آثاراً يعجز هذا المكان عن استيعابها، وتستحق أن تحكى فى مجلدات، ذلك أن الجانب الإنسانى رسم خطوطاً غير مسبوقة فى علاقات صاحبنا بالآخرين، وخاصة فى مجالات العمل بالكلية والقسم.

شهدت أواخر التسعينيات إنشاء مركز زايد للتراث والتاريخ بمدينة العين، ولم يكن المركز تابعاً للجامعة بأى حال، ولكنه كان تابعاً لنادى تراث الإمارات الذى مقره مدينة أبوظبى. وقد اختيرت العين مقراً للمركز، لأنها مدينة زايد، ومسقط رأسه، وفيها شهد صباه وشبابه، وممارسته للسياسة حين كان حاكماً للعين، قبل أن يتولى حكم إمارة أبوظبى عام ١٩٦٦، ولأن بها جامعة الإمارات التى يمكن أن تقدم خبرة أساتذتها فى مجالى التراث والتاريخ وتنشط بالمركز، الذى لم يكن فى البداية غير مبنى جميل. كما أنها الجامعة الوحيدة للدولة، فى مدينة هى الوحيدة فى الإمارات السبع التى تضم شباباً من جميع الإمارات، حيث يشكلون نسيجاً رائعاً، يرمز إلى فكرة الاتحاد، التى يتبناها زايد. واختير الدكتور حسن النابودة مديراً لهذا المركز فى عام ١٩٩٩، وهو أستاذ مساعد فى قسم التاريخ بجامعة الإمارات، وتزامل مع صاحبنا فى القسم منذ وصوله إلى العين فى عام ١٩٩٦، وكان يشاركه فى تنظيم الندوات والمؤتمرات، وفى تحكيم البحوث للنشر العلمى، فضلاً عن التأليف، وكان صاحبنا أول من أعد كتاباً عن المركز فى طفولته المبكرة (أى فى العامين الأولين) واستفاد صاحبنا من المشاركة فى نشاط هذا المركز فائدة عظيمة أكاديمياً وإدارياً.

وهكذا فإن التجربة الإماراتية، بشقيها على مستوى الجامعة وعلى مستوى مركز زايد،

كانت إضافة حقيقية إلى تجربة صاحبنا على كافة المستويات. ويبدو أن مردودها كان واضحاً على جامعة الإمارات، التى عرضت على صاحبنا عقداً متميزاً للعمل بها لمدة ست سنوات بعد انتهاء تعاقده الأصلى، أى إلى حين وصوله إلى سن المعاش. ومع أن العرض كان كريماً جداً، إلا أن صاحبنا آثر العودة إلى الوطن، لأن تلبية هذا المطلب للجامعة كان يعنى ببساطة إنهاء ارتباطه بجامعة الإسكندرية، وهو أمر عز عليه أن يتخذ قراراً بشأنه.

سعت الجامعة سعياً حثيثاً فى محاولة إقناع صاحبنا بقبول العقد المتميز، إذ دعته أستاذاً زائراً فى الفصل التالى لإنتهاء إعارته، فى خريف ٢٠٠١، ليتولى تدريس مقرر "التاريخ الأوربى الحديث باللغة الإنجليزية" لأول مرة، وكانت هذه التجربة فى هذا المقرر تحديداً باكورة تحول التدريس فى مختلف المقررات من العربية إلى الإنجليزية، ولا شك أن صاحبنا استفاد من التجربة فائدة عظيمة، وانتهى الفصل الدراسى مع مطلع عام ٢٠٠٢ دون أن يغير صاحبنا موقفه الأساسى تجاه عدم التضحية بارتباطه بجامعة الإسكندرية.

كانت ثقة جامعة الإمارات فى قدرة صاحبنا على إدارة لجنة الكتب الدراسية على مستوى الجامعة عالية، إذ استطاع أن يرشد الانفاق ترشيداً ملحوظاً، ولهذا طلب منه الدكتور على النعيمى، نائب مدير الجامعة، أن يتولى رئاسة هذه اللجنة أثناء وجوده أستاذاً زائراً، وبالرغم من أن هذا ليس قانونياً، لأن وجود الأستاذ الزائر وجود مؤقت، إلا أن نائب المدير أصر على إسناد الأمر إليه، ولما كان ذلك يشكل عبئاً إضافياً على صاحبنا، فقد خفضت له الجامعة جدوله الدراسى إلى ست ساعات فقط بدلاً من اثنتى عشرة ساعة، وقد أثارت هذه المهمة العديد من الأسئلة، وعلامات الاستفهام فى الوسط الجامعى.

عاد صاحبنا فى مطلع عام ٢٠٠٢ إلى الإسكندرية زاهداً فى أى منصب إدارى لأنه كان ولا يزال مؤمناً بأمرين: الأول أن الإدارة تقتل البحث العلمى الذى يعشقه، والثانى أن الإدارة فى مصر بعامة وفى الجامعة بخاصة تفتقر إلى النظام، وتعتمد فى جزء كبير منها على الاتصالات الشخصية، ولم يكن هذا يريح صاحبنا. وتصادف لدى عودته خلو منصب رئيس القسم وكان هو أحق به، فاستدعاه العميد ليطرح عليه الأمر، فرفض على الفور،

وكان له ما أراد. وما أن حل خريف عام ٢٠٠٢ حتى فاتحه عميد الكلية من جديد فى أمر تعيينه وكيلاً للدراسات العليا والبحوث، وكان رده الفورى الذى أثار حفيظة العميد أنه يرفض شغل أى منصب إدارى، وبعد مداولات استخدم فيها العميد كل وسائل الضغط والإقناع لمصلحة الكلية، وبعد استشارة الأصدقاء، وافق صاحبنا على تغيير مساره على مضض، وقبل عرض العميد بأن يكون معاوناً له فى إدارة شئون الدراسات العليا. وصدر قرار رئيس الجامعة فى هذا الشأن، وكان ذلك بداية توجهات جديدة فى المسيرة العلمية والإدارية لصاحبنا.

كان لدى صاحبنا تصورات حول تنشيط دور مكتب الوكيل للدراسات العليا فى مجال النشر العلمى، وفى مجال تطوير مكتبة الكلية ومكتبات الأقسام، وفى مجال إعادة تنظيم مكتب الدراسات العليا ومكتب العلاقات الثقافية، والمعامل، ولكنه اصطدم بالإطار البيروقراطى للإدارة فى الكلية، الذى وقف حائلاً دون انطلاقة صاحبنا بالإيقاع والسرعة التى كان يريدها، إلا أنه لم يوقف مسيرته تماماً، فقد استطاع الإفلات ببعض الخطى الإيجابية، إلى أن جاءت الفرصة التى وجد نفسه فيها عميداً، فأطلق يد الوكيل الجديد لتحقيق ما كان قد اختطه لنفسه من برامج، وبدأ يرى بنفسه ما كان يتمناه وقد تحقق أمام عينيه. وكانت أولى النتائج تفعيل نشاط المكتبة وإعادة برمجتها على الحاسب الآلى، بعد ثمانية أعوام من التوقف التام. وإصدار مجلة الكلية فى ثوب جديد أكثر رشاقة، وأكثر التزاماً بضوابط الإخراج الفنى والأكاديمى للمجلة، وساهم فى تحقيق ذلك طاقم من السكرتارية والفنيين المتميزين.

كان فكر التطوير يلاحق صاحبنا، فالتقطه نائب رئيس الجامعة لشئون البيئة وخدمة المجتمع ليكون مديراً تنفيذياً لمشروع تطوير الدراسات العليا بالجامعة بنظام الساعات المعتمدة، وكانت استجابة صاحبنا لهذا الاختيار، وإدارة المشروع بمعاونة سكرتارية نشطة فاتحة إدارية جديدة، وضعت قدميه على عتبات المستقبل فى الجامعة، خاصة وأن مشاريع التطوير كانت فى باكورة عملها، وكانت تنشر ثقافة جديدة غير مألوفة، وتلقى مقاومة عنيفة من التقليديين والجامدين والذين يرغبون فى مواصلة السباحة فى بحيرات راكدة.

ومع ذلك فقد كان لابد من التضحية ببعض الوقت لتحجيم هذه المعارضة في شكل محاضرات تثقيفية، ونجح صاحبنا والفريق المعاون في تحجيم هذه الهجمة المضادة، ووضع سياسة التطوير موضع التنفيذ، إلى أن أصبح المشروع واقعاً ملموساً. وكانت المفاجأة أن عين صاحبنا عميداً للكلية في ٣١ أغسطس ٢٠٠٤. وهنا تبدأ قصة أخرى لم يكتمل نسيجها بعد.

وقد فجع الرجل فى إبنه المهندس محمد الذى توفى إثر حادث أليم فى الأول من مايو ٢٠٠٥ م؛ وقد حزن عليه حزنًا بالغا.

المؤهلات العلمية:

١ - دكتوراه الفلسفة فى التاريخ من جامعة كييل بإنجلترا (عام ١٩٨١) موضوعها:

Britain, Her Middle East Mandates and the Emergence of Saudi-Arabia, 1926- 1932;

A study in the process of the British Policy – making and in the Conduct and Development of Britain's Relations with Ibn Saud.

٢- ماجستير فى الآداب من قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة الإسكندرية (عام ١٩٧٥) موضوعها:

"المصالح الأمريكية فى العراق وغرب الخليج العربى فيما بين الحربين العالميتين".

٣- ليسانس فى الآداب من قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة الإسكندرية (عام ١٩٧٠).

التاريخ الوظيفى:

١ - معيد بقسم التاريخ بكلية الآداب جامعة الإسكندرية.

من ١/ ١٠/ ١٩٧٠ إلى ٢٠/ ٩/ ١٩٧٥

٢- مدرس مساعد بقسم التاريخ بكلية الآداب جامعة الإسكندرية.

من ٢١/ ٩/ ١٩٧٥ إلى ٤/ ٧/ ١٩٧٦

٣- مدرس مساعد بقسم التاريخ بكلية دار العلوم جامعة القاهرة.

من ٥/ ٧/ ١٩٧٦ إلى ١٥/ ٦/ ١٩٨٢

٤- مدرس بقسم التاريخ بكلية دار العلوم جامعة القاهرة.

من ١٦/ ٦/ ١٩٨٢ إلى ٣٠/ ٩/ ١٩٨٤

٥- مدرس بقسم التاريخ بكلية الآداب جامعة الإسكندرية.

من ١/ ١٠/ ١٩٨٤ إلى ٣٠/ ٦/ ١٩٨٨

٦- أستاذ مساعد بقسم التاريخ بكلية الآداب جامعة الإسكندرية.

من ٢٨/ ٦/ ١٩٨٨ إلى ٦/ ٧/ ١٩٩٣

٧- أستاذ بقسم التاريخ بكلية الآداب جامعة الإسكندرية.

من ٢٧/ ٧/ ١٩٩٣

الخبرة الإدارية:

١- رئيس قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية بكلية الآداب جامعة الإسكندرية.

من ١/ ١٠/ ١٩٩٥ إلى ٢٦/ ٨/ ١٩٩٦

٢- وكليل كلية الآداب جامعة الإسكندرية للدراسات العليا والبحوث.

من ٥/ ١١/ ٢٠٠٢ إلى ٢٩/ ٨/ ٢٠٠٤

٣- مشرف على قسم اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية وآدابها.

من ١/ ٨/ ٢٠٠٣ إلى ١/ ١٠/ ٢٠٠٣

٤- مشرف على قسم اللغات الشرقية وآدابها.

من ١/ ٩/ ٢٠٠٤ إلى ١/ ٨/ ٢٠٠٥

٥- مشرف على قسم الإجتماع.

من ١/ ٨/ ٢٠٠٥ إلى ١٥/ ٩/ ٢٠٠٤

٦- عميد كلية الآداب جامعة الإسكندرية.

من ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٤

٧- رئيس مجلس إدارة مركز تعليم اللغة العربية للأجانب.

من ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٤

٨- رئيس مجلس إدارة مركز الرعاية الاجتماعية والثقافية للمكفوفين.

من ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٤

٩- رئيس مجلس إدارة معهد دراسات البحر المتوسط.

من ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٨

١٠- رئيس مجلس إدارة معهد اللغات الشرقية.

من ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٤

١١- رئيس مجلس إدارة معهد العلوم الاجتماعية.

من ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٤

١٢- رئيس مجلس إدارة معهد الدراسات اللغوية.

من ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٤

١٣- المدير التنفيذي لمشروع تطوير الدراسات العليا بنظام الساعات المعتمدة في جامعة الإسكندرية.

من ١/ ٤/ ٢٠٠٤

الإعارات والزيارات

١- معار إلى جامعة قطر (مدرس/ أستاذ مساعد)

من ١/ ١٠/ ١٩٨٥ إلى ٣٠/ ٩/ ١٩٩٠

٢- معار إلى جامعة الإمارات العربية المتحدة (أستاذ)

من ١/ ٩/ ١٩٩٦ إلى ٢٥/ ٦/ ٢٠٠١

٣- أستاذ زائر إلى جامعة الإمارات العربية المتحدة.

من ١/ ٩/ ٢٠٠١ إلى ٦/ ١/ ٢٠٠

المهمات العلمية:

مهمة علمية بحثية لدى حكومة دولة قطر، قصر الدوحة (يونيه إلى سبتمبر ١٩٩٠)

حول: "التطور التاريخى للنزاع الحدودى بين قطر والبحرين".

أنجزت فيها البحوث التالية:

1. The Effective Presence and Extent of Control of Al-Khalifa in Qatar, Bahrain and on the Hasa Coast 1766-1838", (Doha, 1990).

2. The Dilemma Of Al-Khalifa and the Origin of the Split between Bahrain and Qatar 1838-1851, (Doha, 1990).

3. The Growing Influence of Britain in Bahrain and the Rise of Al-Thani in Qatar 1851-1870, (Doha, 1990).

عضوية الجمعيات واللجان العلمية

١- عضو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية بالقاهرة.

٢- عضو جمعية الآثار بالإسكندرية.

٣- عضو جمعية اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة.

٤- عضو جمعية المؤرخين المغاربة.

٥- عضو اللجنة الاستشارية للجغرافيا والتاريخ والآثار بمكتبة الإسكندرية.

٦- مقرر اللجنة العلمية الدائمة لترقيات أساتذة التاريخ.

الجوائز:

جائزة جامعة الإسكندرية للتشجيع العلمى عام ١٩٩٢.

المواد (المساقات) التى درّستها

(١) فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر

١- تاريخ مصر الحديث والمعاصر

٢- تاريخ مصر العثمانية

(٢) فى تاريخ العرب الحديث والمعاصر

٣- تاريخ العرب الحديث

٤- تاريخ العرب الحديث والمعاصر

٥- تاريخ العرب المعاصر

٦- تاريخ جزيرة العرب الحديث والمعاصر

٧- تاريخ الخليج العربى الحديث والمعاصر

٨- تاريخ المغرب العربى الحديث والمعاصر

٩- قضايا عربية معاصرة

(٣) فى التاريخ الإسلامى الحديث والمعاصر

١٠- تاريخ مصر الإسلامية

١١- تاريخ الشرق الإسلامى الحديث

١٢- تاريخ الشعوب الإسلامية الحديث والمعاصر

١٣- تاريخ العالم الإسلامى الحديث والمعاصر

(٤) فى التاريخ الأوروبى الحديث والمعاصر

١٤- تاريخ العلاقات الدولية الحديثة

١٥- التاريخ الأمريكى الحديث والمعاصر

١٦- تاريخ أوروبا الحديث

١٧- تاريخ أوروبا الحديث باللغة الإنجليزية

١٨- تاريخ أوروبا فى القرن التاسع عشر

١٩- تاريخ أوروبا فى القرنين التاسع عشر والعشرين

٢٠- معالم التاريخ الحديث

(٥) فى تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر

٢١- تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر

(٦) فى تاريخ آسيا الحديث والمعاصر

٢٢- تاريخ الشرق الأقصى الحديث والمعاصر

(٧) فى قضايا المنهج وتطبيقاته

٢٣- مناهج وطرق البحث

٢٤- منهج البحث التاريخى

٢٥- مشروع بحث

٢٦- قاعة بحث

(٨) فى النصوص التاريخية والوثائق

٢٧- نصوص تاريخية بلغة أوربية حديثة (إنجليزية)

٢٨- نصوص متخصصة فى علوم الوثائق والمكتبات بلغة أوربية حديثة (إنجليزية)

٢٩- دراسات وثائقية باللغة الإنجليزية

٣٠- مدخل إلى علم الوثائق والأرشيف

٣١- الوحدات الأرشيفية

٣٢- تدريب عملى فى مجال الوثائق

(٩) متنوع

٣٣- التاريخ الاقتصادى

٣٤- التوثيق الإعلامى

٣٥- موضوع خاص

٣٦- تاريخ الكتب والمكتبات

الأبحاث المنشورة فى مجلات علمية محكمة

١- "إنهاء الملك عبد العزيز للامتيازات الأجنبية فى الحجاز ١٩٢٦-١٩٢٧"، **مجلة الدارة، العدد ١، السنة ١٠، (١٩٨٤).**

٢- "الآثار السلبية للسياسة الغربية فى شمال شبه الجزيرة العربية ١٩٢١-١٩٢٦"، **مجلة الدارة**، العدد ١، السنة ١١، (١٩٨٥).

٣- "تبادل التمثيل الدبلوماسى البريطانى السعودى ١٩٢٩-١٩٣٠"، **حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر**، العدد ١٢ (١٩٨٩).

٤- "ملامح التغير فى العلاقات البريطانية ـ السعودية ١٩١٠-١٩١٥"، **مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر**، العدد ١ (١٩٨٩).

٥- "بريطانيا بين عبد العزيز آل سعود والشريف حسين ١٩١٥ -١٩٢٠"، **مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر**، العدد ٢ (١٩٩٠).

٦- "سير أندرو ريان وأزمة التمثيل الدبلوماسى البريطانى فى جدة ١٩٣٠-١٩٣١"، **حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر**، العدد ١٤ (١٩٩١).

٧- "الحجاز فى الفكر السياسى لمسلمى الهند ١٩٢٤ - ١٩٢٦"، **مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية**، العدد الذهبى (١٩٩٢).

٨- "زايد فى عيون الدبوماسيين البريطانيين المعاصرين: دراسة لتوجيهات زايد الوحدوية"، **مجلة التاريخ العربى**، جمعية المؤرخين المغاربة، العدد ٢٨ (٢٠٠٣).

الأبحاث المنشورة فى كتب

١- "مشروع جور لإعادة تنظيم الإدارة البريطانية فى الشرق الأوسط ١٩٢٠"، فى كتاب المؤلف: **القوى الكبرى والشرق الأوسط**، (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٩) ص ٣٧-٥٢.

٢- "نشأة جامعة الإسكندرية وتطورها"، فى كتاب جامعة الإسكندرية: **جامعة الإسكندرية فى خمسين عامًا**، (الإسكندرية، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٢) ص ١٠٩-١٢٧.

٣- "جامعة الإسكندرية وإحياء مكتبة الإسكندرية القديمة"، فى كتاب جامعة الإسكندرية: **جامعة الإسكندرية فى خمسين عاما**، (الإسكندرية، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٢) ص ١٠٩-١٢٧.

٤- "كلية الآداب فى الإسكندرية: المكان والزمان"، فى كتاب: **كلية الآداب ـ اليوبيل الذهبى ١٩٤٢-١٩٩٢**، (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٢) ص ١-٣٩.

٥- "كلية الآداب ومشروع إحياء مكتبة الإسكندرية القديمة"، فى كتاب: **كلية الآداب ـ اليوبيل الذهبى ١٩٤٢-١٩٩٢**، (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٢) ص ١١٠-١٢٧.

٦- "الصياغة الببليوجرافية لحواشى البحوث"، فى كتاب المؤلف: **فى منهج البحث التاريخى**، (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥) ص ٧٩-٢٤٦.

٧- "الاستمرار والتغير فى أوضاع قطر السياسية ١٩١٦-١٩٣٥"، فى كتاب: **ندوة قضايا التغير فى المجتمع القطرى خلال القرن العشرين**، (الدوحة، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، ١٩٩١) المجلد ١، ص ٧٥-١١٦.

٨- "الحقيقة التاريخية بين المصادر الوثائقية والمصادر المسجلة"، فى كتاب: **الملتقى الخليجى الأول للتراث والتاريخ الشفهى**، (العين، مركز زايد للتراث والتاريخ، ٢٠٠٠) ص ١١٥-١٥٤.

٩- "تقديم" لكتاب: **انخفاض أسعار النفط وأثره على اقتصاديات دول الخليج العربى**، (رأس الخيمة، المركز العربى للدراسات الاستراتيجية، ٢٠٠٠) ص ١٦-٢١.
[من سلسلة: **قضايا خليجية**، العدد ٦، يناير ٢٠٠٠]

١٠- "جهود إحياء التراث الشعبى فى الإمارات" فى كتاب: **مناهج توثيق التراث الشعبى فى الإمارات** (٣ أجزاء) الجزء الأول، (العين، مركز زايد للتراث والتاريخ، ٢٠٠١)

١١- "تراثنا من المكتبات العربية" فى كتاب: **علوم المكتبات (فهرسة، تصنيف، توثيق)**، دورة الأبحاث والمحاضرات التدريبية من ١٩ يونية إلى ١٢ يولية ٢٠٠٠، بمركز زايد للتراث والتاريخ، (العين مركز زايد للتراث والتاريخ، ٢٠٠١)، ص ٣٦-٥٠.

12- "Slavery and the Making of an Article in the Anglo- Saudi Treaty of Jeddah, 1927",

فى كتاب: لطيفة سالم (محرر): **دراسات فى التاريخ الحديث والمعاصر**. مهداة إلى الأستاذ الدكتور يونان لبيب رزق (القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣).

١٣- "تقديم" لكتاب: الإسكندرية. مع أول برلمان مصرى (الإسكندرية، المجلس الشعبى المحلى، ٢٠٠٥).

الكتب المنشورة:

١- تاريخ العرب الحديث، بالاشتراك مع فريق من أعضاء هيئة التدريس بجامعة قطر، (الدوحة، مكتبة العلى، ١٩٨٩).

٢- القوى الكبرى والشرق الأوسط في القرنين التاسع عشر والعشرين. (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٩).

٣- جامعة الإسكندرية في ٥٠ عاما (بالاشتراك)، (الإسكندرية، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٢).

٤- كلية الآداب ـ اليوبيل الذهبى ١٩٤٢ –١٩٩٢ (بالاشتراك)، (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٢).

٥- السعوديون والأزمة المالية ١٩٢٩-١٩٣٣، (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٣).

٦- دراسات في التاريخ الأمريكى، (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥).

٧- المشرق الإسلامى في استراتيجية الدعاية السوفيتية ١٩١٧–١٩٣٨، (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦).

٨- مركز زايد للتراث والتاريخ، الكتاب السنوى ٢٠٠٠-٢٠٠١ (بالاشتراك)، (العين، مركز زايد للتراث والتاريخ، ٢٠٠١).

٩- زايد: المواقف والإنجازات، (كتاب المؤتمر) أبو ظبى، بدولة الإمارات العربية المتحدة (فبراير ٢٠٠١).

١٠- في منهج البحث التاريخى، بالاشتراك، (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠١).

١١- العوامر: دراسة تاريخية للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لقبيلة العوامر بدولة الإمارات العربية المتحدة.

١٢- من قضايا التاريخ الأوربى في القرنين التاسع عشر والعشرين، (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢).

١٣- قراءات في تاريخ الكتب والمكتبات، (الإسكندرية، دار الثقافة العليمة، ٢٠٠٢).

١٤- المعايير القومية للتعليم فى مصر، (وزارة التربية والتعليم، القاهرة، ٢٠٠٣).

١٥- صور من تاريخ العلاقات الدولية فى العصر الحديث، بالاشتراك (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٥).

١٦- الثورة الأمريكية، (القاهرة، دار الفكر العربى، ٢٠٠٥).

١٧- نصوص ووثائق تاريخية، (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٥).

النشر الثقافى

١- "الدوادمى وخطة توحيد المملكة العربية السعودية"، (المجلة العربية، العدد ٨٥، نوفمبر ١٩٨٤).

٢- "إضاءات حول الرحالة الغربيين فى الإمارات والجزيرة العربية"، (مجلة: الرياضة والشباب، العدد ٩٤٦، ١-٨ يونية ١٩٩٩. ص ٨٦-٩٠).

٣- "الخليج العربى والأزمات المالية فى القرن العشرين"، (جريدة البيان، ٤ ديسمبر ١٩٩٩).

٤- "هل نحن جميعا داخلون القرن الواحد والعشرين؟"، (جريدة البيان، ١٩ ديسمبر ١٩٩٩).

٥- "المحاولات الأمريكية للوصول إلى نفط الخليج" | ، (جريدة البيان، ٢٦ ديسمبر ١٩٩٩).

٦- "المحاولات الأمريكية للوصول إلى نفط الخليج" || ، (جريدة البيان، ٢ يناير ٢٠٠٠).

٧- "الخليج بحيرة بريطانية فى النصف الأول من القرن العشرين"، (جريدة البيان، ٢٠ يناير ٢٠٠٠).

٨- "الوثيقة والتاريخ" | ، (مجلة: تراث، العدد ١٩ (يونية ٢٠٠٠) ص ٤٠-٤٣).

٩- "الوثيقة والتاريخ" || ، (مجلة: تراث، العدد ٢٠ (يولية ٢٠٠٠) ص ٦٤-٦٧).

١٠- "السلام الأمريكى ودرس التاريخ"، (الأهرام: ٢٠ مايو ٢٠٠٣).

أعمال الترجمة

١- ترجمة نص مقال كتبته السيدة جيرالدين رندل Geraldine Randel عن رحلتها "عبر

المقال"Across Saudi Arabia" بعنوان: "المملكة العربية السعودية" عام ١٩٣٦
منشور في: Geographical Magazine, Vol. 6, No. 3, 1937-1938 الترجمة
منشورة في مجلة الدارة السعودية، العدد الأول، السنة التاسعة والعشرون (٢٠٠٣).

٢- ترجمة نص مخطوط لمحاضرة ألقاها سان جون فيلبي في الجمعية الفابية بلندن في ٣٠ إبريل ١٩٢٦، بعنوان: "British Policy in Arabia 1919-1926" المخطوط محفوظ ضمن أوراق فيلبي الخاصة في مركز دراسات الشرق الأوسط بكلية سانت أنتوني جامعة أكسفورد. Philby Private Papers, St. Antony's College, Oxford University الترجمة منشورة في مجلة الدارة السعودية، العدد الثاني، السنة التاسعة والعشرون (٢٠٠٣).

أبحاث تم إنجازها ولم تنشر

1- Britain, Her Middle East Mandates and Emergence of Saudi-Arabia, 1926-1932,

A study in the Process of British poliey-making and in the Conduct and Development of Britain's Relations with Ibn Saud, (Ph.D. Thesis,University of Keele, England, 1981).

٢- **المصالح الأمريكية في العراق وغرب الخليج العربي فيما بين الحربين العالميتين**، (رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، ١٩٧٥).

٣- **"تدهور العلاقات البريطانية السعودية ١٩٣٢ - ١٩٣٨"** (الدوحة، ١٩٩٠).

٤- **"مكتبة الإسكندرية الجديدة بين الجامعة والدولة. دراسة موثقة"**، بتكليف من جامعة الإسكندرية (الإسكندرية، ١٩٩٢).

٥- **مصر والأردن وحركة ابن رفادة، مايو - يونية ١٩٣٢** (الإسكندرية، ١٩٩٣).

٦- **"الأوضاع الاجتماعية للرقيق في الجزيرة العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين"** بحث ألقي في ندوة: مكانة الخليج العربي في العصر الحديث (جامعة الإمارات، العين، ديسمبر ١٩٩٧). (البحث قيد النشر في كتاب تكريم الدكتور عمر عبد العزيز عمر).

٧- **"البعد الاستراتيجى للتراث فى فكر زايد"**، بحث ألقى فى مؤتمر: زايد: المواقف والإنجازات (مركز زايد للتراث والتاريخ، أبو ظبى، فبراير ٢٠٠١).

٨- **"زايد على ضوء الوثائق البريطانية"**، (بتكليف من مركز زايد للتراث والتاريخ).

٩- **"زايد بين ٦ أغسطس و ٢ ديسمبر"**، (بحث أعد لمؤتمر: زايد وانتصار الاتحاد).

١٠- **"الإطار التاريخى لميلاد فكرة إحياء مكتبة الإسكندرية"**، بحث ألقى فى: المؤتمر القومى السادس لإخصائيى المكتبات والمعلومات بعنوان: "مكتبة الإسكندرية الجديدة بين منظومة المكتبات المصرية والعربية والعالمية" (مكتبة الإسكندرية، ٢٦-٢٨ مارس ٢٠٠٢).

١١- **"تأصيل فكرة إحياء مكتبة الإسكندرية"**، بحث ألقى فى: محاضرة عامة (بمركز الإسكندرية للإبداع فى ٢٩ يونيه ٢٠٠٣، وبمركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة عين شمس فى ٣ مارس ٢٠٠٤).

١٢- **"رؤية فرنسية للحضور البريطانى فى الخليج أواخر القرن التاسع عشر"**، بحث ألقى فى: ندوة شرقى الجزيرة العربية فى القرن التاسع عشر، (مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، ١١ و ١٢ فبراير ٢٠٠٤).

١٣- **"كيف نقرأ التاريخ؟"**، (منتدى الحوار، مكتبة الإسكندرية، ٢١ أغسطس ٢٠٠٤).

١٤- **"التاريخ الشفهى"**، (ندوة بكلية التربية، بالعريش، ١٤ نوفمبر ٢٠٠٥).

١٥- **"العبادى وإحياء التراث الكلاسيكى بالإسكندرية"**، (ندوة تكريم أ. د مصطفى العبادى بالجمعية الأثرية بالإسكندرية، ٢٢ نوفمبر ٢٠٠٥).

١٦- **"أزمة المنهج فى كتابة التاريخ المعاصر"**، (مؤتمر أزمة المنهج فى العلوم الإنسانية والاجتماعية، بكلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ٢٦ نوفمبر ٢٠٠٥).

النشاط البحثى القائم

١- دراسة لما كتب عن جزيرة العرب فى جريدة "التايمز" اللندنية فى القرن العشرين.

٢- المرأة الغربية والرحلة فى الجزيرة العربية.

٣- البحوث التراثية فى الإمارات العربية المتحدة ـ دراسة بيليوجرافية.
٤- عادات البدو وتقاليدهم كما رآها ثيسجر فى رحلته للربع الخالى فى منتصف القرن العشرين.
٥- المؤرخون والبحث فى تاريخ الخليج العربى: دراسة مسحية لما كتب فى الدوريات الخليجية فى الربع الأخير من القرن العشرين.

مجالات الاهتمام البحثية

١- تاريخ الخليج والجزيرة العربية الحديث والمعاصر.
٢- علاقات منطقة الخليج والجيزرة العربية بالقوى الكبرى
٣- قضايا المنهج وتطبيقاته فى البحث التاريخى.
٤- تاريخ المكتبات.
٥- علم الوثائق والأرشيف.
٦- تاريخ المؤسسات.
٧- قضايا البحث فى التراث.

الندوات والمؤتمرات العلمية

أولاً: الندوات:

شارك فى ٣٩ ندوة فى داخل مصر وخارجها.

ثانيًا: المؤتمرات:

شارك فى ٢٣ مؤتمرًا فى داخل مصر وخارجها.

التطوير الجامعى

١- المدير التنفيذى لمشروع تطوير الدراسات العليا بجامعة الإسكندرية باستخدام نظام الساعات المعتمدة.
٢- مدرب بمشروع تنمية قدرات أعضاء هيئة التدريس بجامعة الإسكندرية.
٣- عضو جمعية رواد الإسكندرية.

جمعة الماجد ١٩٣٢-

Gomiah al Majid 1932-

ترجع شهرة جمعة الماجد المكتبية والمعلوماتية إلى حرصه الشديد على التراث الفكرى العربى والإسلامى الذى أنشأ له الصرح الثقافى الذى يحمل اسمه فى دبى "مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث". وهذا المركز فى أبسط صورة له عبارة عن مكتبة مخطوطات عظيمة القدر يجمع الرجل لها المخطوطات من جميع أنحاء العالم سواء المخطوطات الأصلية أو صور المخطوطات كما يجمع الرجل إلى جانب المخطوطات، المكتبات الشخصية ويحفظها بأكملها وهيئتها وهو بذلك يقدم خدمة جليلة للفكر العربى حتى لا تتسرب تلك المكتبات إلى خارج الوطن العربى أو تتبدد شذر مذر ومن بين المكتبات الشخصية مكتبات لمفكرين وسياسيين وزعماء عرب من طول البلاد العربية وعرضها. فى مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث نجد أيضا معملاً عظيم القدر لترميم المخطوطات والكتب النادرة. ويصدر المركز دورية متخصصة فى الثقافة والتراث تنشر بها بحوث ودراسات كما تنشر بها أخبار وشذرات وعروض واقتباسات.

لا يكتفى جمعه الماجد بجمع التراث وحفظه وصيانته وترميمه ومساعدة الباحثين فى إمدادهم بنسخ مصورة مما لديه فى هذا المركز عندما يطلبون بل يقوم الرجل بترميم التراث فى دور الكتب العربية التى تطلب المساعدة فى هذا الصدد، وهو يقدم فى بعض الأحيان معامل ترميم كاملة لبعض المكتبات التى لديها مجموعات كبيرة من المخطوطات التى تحتاج إلى مثل ذلك الترميم.

ولد السيد/ جمعة الماجد فى دبى سنة ١٩٣٢ وبها شب وترعرع فى ظل والده النوخذة الذى كان يصحبه معه منذ صغره إلى رحلات الغوص البعيدة والشاقة فى الخليج العربى وبحر العرب والمحيط الهندى. وقد تركت تلك الرحلات آثارها العميقة فى نفسه حيث تعلم الصبر والثقة فى النفس وحب العمل والدأب والإصرار لتحقيق ما يؤمن به.

وقد بدأ تعليمه فى البداية على يد "المطوع" فى الكتاب الذى كان المؤسسة الأولى فى

حفظ القرآن وتعلم مبادئ القراءة والكتابة شأنه فى ذلك شأن كل الأطفال فى تلك الفترة. وبعد ذلك تابع تعليمه على يد بعض المعلمين الخصوصيين. حيث أخذ عنهم مبادئ اللغة العربية والنحو العربى كما تعلم منهم أصول الفقه وتفسير القرآن ودراسة الحديث. ولقد أدرك الشاب جمعة الماجد فى ذلك الوقت أن لغة أجنبية هى مسالة أساسية فى تكوينه الفكرى فتعلم اللغة الإنجليزية وأجادها قراءة وكتابة وحديثاً.

وفى تلك الفترة المبكرة من حياة الرجل آمن بأهمية القراءة والتعليم الذاتى فأخذ يكون مكتبة شخصية لإشباع هذا الجانب وكانت نواتها كتب التراث العربى والإسلامى وخاصة كتب الأدب وعيون الشعر العربى.

أما عن بداية حياته العملية فقد بدأت بالتجارة موظفا عند أخواله الذين كانوا يعملون بالتجارة فى دبى ملتقى الطرق التجارية العالمية. ولم يلبث الرجل أن افتتح متجرا صغيرا فى سوق دبى لبيع الأقمشة ثم اتجه للمجوهرات والمفروشات ثم إلى الصناعات. وكان شعاره "الوقت من ذهب" ولذلك ربحت تجارته ووثق فيه كل من تعامل معه إذ كان رائده الصدق والأمانة والعمل الجاد.

حقق الرجل سمعة تجارية دولية فحصل على توكيل شركة جنرال إلكتريك "الأمريكية" سنة ١٩٦٢ وعمره لم يتجاوز الثلاثين. وفى عام ١٩٦٥ كان من الأعضاء المؤسسين فى لجنة تأسيس غرفة تجارة وصناعة دبى. وفى عام ١٩٧٢م انتخب نائبا لرئيس الغرفة ولا يزال إلى اليوم عضوا فى هيئة إدارة الغرفة.

ولقد بارك الله للرجل فى تجارته فتوسعت وازدهرت فافتتح فى سنة ١٩٨١م صالة للمجوهرات عرفت باسم "بيت المجوهرات". وتضم مؤسسة جمعة الماجد اليوم أكثر من ثلاثين شركة صناعية وتجارية منها ثمانى شركات كبرى يعمل بها أكثر من ٤٠٠٠ عامل وموظف.

كانت التجارة والصناعة والاستثمار إذن هى حياة السيد/ جمعة الماجد العملية ولكن الجانب الفكرى فى حياة الرجل هو ما يعنينا هنا بالدرجة الأولى فقد كان حب العلم والدأب فى تحصيله والحدب على أهله والرغبة فى مساعدة الآخرين على تحصيله من السمات والخصائص الأساسية فى حياة هذا الرجل. فقد حلم الرجل منذ البداية بإقامة

مكتبة تراثية مرجعية فى بيته تكون موئلا لطلاب العلم وراغبى الثقافة. وحيث لم يكن فى بلده طباعة أو دور نشر فى ذلك الوقت فقد حرص فى كل أسفاره شرقا وغربا أن يجلب الكتب كما كان يكلف معاونيه وأصدقاءه بالسفر لشراء الكتب والمخطوطات ولم يكن يبخل على هذا الجانب بأى شيء. هذه المكتبة الشخصية هى التى خرج من بطنها "مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث" الذى أشرت إليه سابقاً. وهو بكل المعايير صرح ثقافى شامخ يحسب للرجل. وقد أسس هذا الصرح سنة ١٩٨٨.

ولأن التعليم لم يكن متاحاً للجميع فى بلده بسبب الظروف التى سبقت وعاصرت قيام الاتحاد السباعى (كان المفروض أن يكون تساعيا) فقد بادر الرجل سنة ١٩٨٣ بإنشاء "المدارس الأهلية الخيرية" لمراحل التعليم المختلفة من الابتدائية مرورا بالمتوسط وانتهاء بالمرحلة الثانوية يدرس فيها الآن (٢٠٠٥م) أكثر من ٤٥٠٠ طالب وطالبة. كما أمر الرجل بقبول أبناء الجاليات العربية والإسلامية للتعليم المجانى فيها متكفلا بكل النفقات. والمدارس الأهلية الخيرية تقوم فى بناء فخم أقيم خصيصا لها يضم إلى جانب قاعات الدرس كل مستلزمات الدراسة والأنشطة المدرسية من مكتبة ومختبرات ومسجد. وقد كفل لها الرجل هيئة تدريس عالية الكفاءة.

وفى سنة ١٩٨٦ / ١٩٨٧م أنشأ الرجل "كلية الدراسات الإسلامية والعربية" لتكون امتدادا فى العمق الدراسى للمدارس الأهلية الخيرية. وهذه الكلية هى الأخرى فى قسمين قسم للطلاب الذكور وقسم للطالبات الإناث. وتمنح الكلية بقسميها درجة الإجازة (لليسانس) فى الدراسات الإسلامية والعربية؛ كما تمنح درجة الماجستير فى أصول الدين والدعوة والشريعة الإسلامية واللغة العربية للجنسين؛ ويصل عدد الطلاب والطالبات الآن نحو ٢٠٠٠ طالب وطالبة.

والشهادات التى تمنحها تلك الكلية معترف بها من جامعة الأزهر ومعادلة لشهادات كلية دار العلوم بجامعة القاهرة. والكلية مخصصة للمواطنين من أبناء دولة الإمارات العربية المتحدة ودول مجلس التعاون، كما يقبل بها بعض أبناء الجاليات الإسلامية. والدراسة بها مجانية إلى جانب المعيشة الكاملة وتقدم معونات شهرية للطلبة المحتاجين. وتهدف هذه الكلية إلى تخريج الدعاة والفقهاء والخطباء والوعاظ ورجال القضاء الشرعى

والمدرسين. وتركز الكلية إلى جانب ذلك على تخريج المسلمة الواعية المتعمقة فى فهم دينها لبناء الأسرة والمجتمع بناء إسلاميا صحيحاً وإتاحة التعليم العالى لها فى وقت كانت محرومة منه بسبب الظروف الاجتماعية والاقتصادية.

وفى عام ١٩٨٩م أسس الرجل جمعية خيرية بالتعاون مع بعض الشخصيات العامة والتجار باسم "جمعية بيت الخير" لمساعدة الفقراء والمعوزين.

إلى جانب تلك الأنشطة التعليمية والاجتماعية والإنسانية داخل الإمارات يقدم الرجل الدعم المالى والمادى للكثير من المراكز الثقافية الإسلامية خارج الإمارات سواء كانت فى الدول العربية أو الإسلامية غير العربية أو فى أوروبا وأمريكا. كما يتوفر الرجل على تشجيع العلماء والباحثين والمحققين بنشر أعمالهم وطباعة كتبهم كما يدعم المكتبات فى العالم الإسلامى بتقديم الكتب الهدايا لها بصفة دورية وينتفع من هذه اهدايا أكثر من ٣٠٠ مكتبة فى أنحاء متفرقة فى العالم. كما توزع مجلة المركز مجانا على أكثر من ٣٠٠٠ جهة. وبلغت مطبوعات المركز غير الدورية نحو مائة كتاب توزع هى الأخرى بالمجان.

ولقد نظم الرجل عن طريق المركز والكلية العديد من الندوات والمؤتمرات وحلقات البحث التى تخدم الثقافة العربية والتراث العربى والتى من بينها:

- كتابات الرحالة فى منطقة الخليج العربى.
- تاريخ الطباعة العربية فى العالم.
- علم الكحالة عند العرب.
- تاريخ عرب الخليج.

هذا إلى جانب الكثير من المعارض العلمية والدورات التدريبية المتخصصة. كما يجرى التخطيط لإعداد ببليوجرافية الدوريات العربية وببليوجرافيات الأطروحات الجامعة فى العلوم الإنسانية وتعد العدة لتأسيس جمعية المخطوطات لدول مجلس التعاون الخليجى.

وكما ألمحت يقوم الرجل بإرسال الوفود الكثيرة للحصول على صور المخطوطات العربية فى كثير من الدول كمصر والمغرب والجزائر وتونس وطشقند وأذربيجان وروسيا. كما أنفق الرجل مبالغ كثيرة على تطوير جهاز لترميم المخطوطات فى دبى،وتم إهداؤه مع مواد الترميم النادرة لأكثر من خمس عشرة دولة عربية وإسلامية. وتدريب العاملين فى تلك الدول على الجهاز والترميم العلمى.

أما عن بعض الجوانب السياسية الاقتصادية فى حياة الرجل فمن الضرورى ذكر أن السيد/ جمعة الماجد كان من بين العناصر الفعالة فى تأسيس الاتحاد السباعى بين إمارات الساحل التى تعرف الآن باسم (الإمارات العربية المتحدة) ذلك الاتحاد الذى قام فى الثانى من ديسمبر سنة ١٩٧١ . وكان الرجل قد سار مع المرحوم الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم حاكم دبى آنذاك للعمل على توحيد الإمارات، وكذلك صاحبه إلى عدة بلدان ومثّل بلده فى الكثير من المناسبات. وقدم صورة مشرقة فى العالم عن العربى المسلم الخليجى. ولقد أسهم الرجل إسهاما مباشرا فى تأسيس البنك المركزى بدولة الإمارات، كما أسهم فى إنشاء المؤسسات المصرفية والبنوك الأخرى بعد أن كانت فى الستينيات من القرن العشرين حكرا على غير المسلمين. وهو يستثمر أساساً فى دبى ودول مجلس التعاون ويعتمد على العمالة العربية المسلمة.

أما عن بعض المآثر الدينية للرجل فيجب أن نذكر أن السيد/ جمعة الماجد قد أنشأ الكثير من المساجد فى العالم العربى والإسلامى تربو على العشرين مسجداً، بل وتوفر على إقامة بعض المساجد فى أوربا وأمريكا. وينفق الرجل جزءاً كبيراً من وقته وجهده وماله فى خدمة الإسلام والمسلمين.

الوظائف والمناصب التى شغلها ويشغلها جمعة الماجد.

- شغل الرجل رئاسة مجلس أمناء منطقة دبى التعليمية فترة طويلة وقد أرسل خلالها مجموعة من الطلاب لإتمام دراستهم فى الخارج وأقام الأنشطة والمعارض فى الكليات والمدارس الثانوية. كما نظم حملات محو الأمية وتعليم الكبار. وأنشأ العديد من المدارس فى بعض الدول الإسلامية الفقيرة.

أما المناصب التى يشغلها الرجل حاليا عند كتابة هذه الصفحات (٢٠٠٥م) فإن أبرزها:-

- مؤسس ورئيس مجموعة مؤسسات جمعة الماجد.
- نائب رئيس المصرف المركزى لدولة الإمارات العربية المتحدة.
- نائب رئيس بنك الإمارات الدولى.
- عضو مجلس إدارة غرفة تجارة وصناعة دبى.
- رئيس مجلس الآباء لمنطقة دبى التعليمية.

- رئيس مجلس أمناء كلية الدراسات الإسلامية والعربية التي أسسها كما ذكرت ٨٦/ ١٩٨٧م.
- رئيس مجلس إدارة المدارس الأهلية الخيرية التي أسسها كما ألمحت سنة ١٩٨٣.
- رئيس مجلس إدارة مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث الذي أسسه سنة ١٩٨٨.
- عضو المجلس الأعلى لجامعة الإمارات العربية المتحدة (جامعة العين).
- عضو اللجنة الاستشارية لمركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة هارفارد.
- عضو مجلس إدارة شركة النسر للطبع والنشر التي تصدر ضمن ما تصدر جريدة (جولف نيوز) أي أخبار الخليج بالإنجليزية.

الجوائز التي حازها السيد/ جمعة الماجد

يتعفف الرجل كثيرا ويتردد في قبول التكريم والجوائز حيث يحب العمل في صمت وبدون جلبة أو ضوضاء، كما لا يحب الأضواء ولو أنه فتح هذا الباب لانهالت عليه عمليات التكريم والجوائز من مختلف الأصعدة والمستويات محليا وإقليميا وعالمياً. ومع ذلك فقد يحدث ضغط على الرجل من هنا أو هناك لقبول جائزة أو تكريم؛ ومن بين الجوائز والتكريم التي حازها السيد/ جمعة الماجد نذكر:-

١- جائزة سلطان بن علي العويس الثقافية (شخصية العام الثقافية) سنة ١٩٩٢ وكان أول من منح هذه الجائزة.

٢- جائزة دبي للجودة (رجل الأعمال للعام) سنة ١٩٩٤. وكان أول من منح الجائزة.

٣- تكريم وجائزة وزارة التربية والتعليم عام ١٩٩٥ بمناسبة اليوم العربي لمحو الأمية وذلك لما قام به الرجل من جهد في حملات محو الأمية وتعليم الكبار.

إن حياة جمعة الماجد هي سلسلة من النجاحات الاقتصادية والتجارية لرجل عصامي،كرس جانبا كبيرا منها لخدمة العلم والعلماء وطلاب العلم وخدمة الثقافة والتراث والمكتبة العربية الإسلامية. ويجب أن تدرس سيرة الرجل دراسة مستقلة متعمقة.

المصدر:

معلومات مباشرة من "مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث". ومقابلة شخصية مع الرجل.

الجمعيات الببليوجرافية

Bibliographical Societies

الببليوجرافيات والعمل الببليوجرافى قديمة قدم الفكر الإنسانى نفسه تزدهر حينا وتخبو حينا آخر وكما هو الحال فى كافة المجالات والمهن يبدأ التطبيق والجانب العملى وبعد ذلك ربما بزمن طويل يأتى التنظير والتأطير؛ وهذا القانون ينطبق بطبيعة الحال على العمل الببليوجرافى الذى بدأ بالممارسة ولم يبدأ التنظير فيه إلا مع القرن السابع عشر وعلى استحياء ثم أخذ التنظير الحق مع القرن التاسع عشر.

فى القرن التاسع عشر بدأ الافراد والهيئات فى تنظير العمل الببليوجرافى ووضع القواعد المنظمة له. وظهرت الجمعيات الببليوجرافية بهدف ترويج وتنيمة البحوث الببليوجرافية وإصدار المطبوعات المتخصصة فى المجال. وكانت هذه الجميعات هى رد فعل طبيعى لانتشار الببليوجرافيات وزيادة الوعى بأهمية هذا العمل. وكان الشكل الأول الذى خرجت منه تلك الجمعيات هى جمعيات النشر ونوادى الكتب. ولقد بدأت الجمعية الملكية مثلا نشر "الوقائع الفلسفية" سنة ١٦٦٥م، و"علم الآثار" سنة ١٧٧٠م كانت من نشر جمعية الآثار القديمة. وكان هناك أيضا عدد من الجميعات الأدبية التى تهتم بالكتب ودراساتها من بينها نادى روكسبورجى الذى أسسه توماس فروجنال دبدن سنة ١٨١٢ وكان من بين النوادى الحديثة التى تضم نخبة من عشاق الكتب. وكان دبدن يعمل أمين مكتبة لورد إيرل سبنسر وكان يجوب كل مكتبة هامة فى أوربا ويحصر محتوياتها. وقد أسس دبدن هذا النادى (نادى روكسبورجي) لشراء مكتبة دوف روكسبورجى. وقد أسس المزيد من نوادى الكتب لتأمين الكتب المتخصصة لأعضاء النادى أو لإعادة طبع بعض الكتب التى يرغب فيها الناشرون.

ولقد خرجت الجمعيات الببليوجرافية من بطن جميعات النشر ونوادى الكتب بهدف تنمية الوعى الببليوجرافى العام والمتخصص وفى هذه الجمعيات يلتقى الأشخاص الذين

لهم ميول ببليوجرافية وأرضية مشتركة من حب الكتب. وتقوم فى سبيل ذلك بنشر أعمال ما كان للأفراد وحدهم أن ينشروها وما كان للناشر التقليدى أن ينشرها. وكانت هذه الجمعيات مسئولة حقيقة عن تقدم علم البيليوجرافيا فى جميع أنحاء العالم. ولتحقيق أهدافها تقوم تلك الجمعيات بعقد المؤتمرات واللقاءات والمناقشات الدورية إلى جانب نشر المطبوعات النوعية والبحوث المتميزة. وتقوم بعض تلك الجميعات بتنظيم معارض للكتب النادرة وأوائل المطبوعات؛ كما تقوم حتما بالقاء الضوء واسترعاء الاهتمام على جماعى الكتب العظام ومجموعات الكتب النادرة ومزادات الكتب الهامة والطابعين والناشرين من ذوى الحيثيات. وبعض تلك الجميعات لديه مكتبة متخصصة عظيمة فى الطباعة والنشر وفهارس الكتب القيمة.

ونقدم فيما يلى قائمة بأهم الجمعيات البيليوجرافية التى تركت بصماتها على تاريخ البيليوجرافيا واضحة جلية.

لقد كانت فرنسا هى الدولة الأسبق فى تأسيس الجمعيات الببليوجرافية كما أن لها تاريخًا ببليوجرافيا عريقاً. وكانت أول جمعية ببليوجرافية فى العالم قد نشأت بها سنة ١٨٦٨ وهى "الجمعية الببليوجرافية" وكانت تصدر مجلة شهرية باسم "بوليبيليون" بمعنى الكتاب الجامع المتعدد. وقد توقفت هذه الدورية سنة ١٩٢٠ . وتحت رعاية هذه الجمعية عقد المؤتمر الدولى البيليوجرافى فى دوراته الثلاث: ١٨٧٨، ١٨٨٨، ١٨٩٨.

وثمة جمعية فرنسية أخرى أسست سنة ١٩٠٦ تحت اسم (الجمعية الفرنسية للببليوجرافيا) وقد توفرت على نشر عدد من المطبوعات الهامة فى المجال. وفى فرنسا أيضا أسس "اتحاد الببليوجرافيا والتوثيق" سنة ١٩١١ ونشر مجلته (النشرية). وفى سنة ١٩٤٨ قامت فى فرنسا كذلك "الجمعية الدولية للببليوجرافيا الكلاسيكية" واتخذت مقرا لها فى باريس ونشرت دوريتها "حولية حب الكتب".

وفى هولندا قام فردريك موللر فوندز بنشر ست ببليوجرافيات تدور كلها حول هولندا وكان ذلك بين ١٨٨٤ – ١٨٩٤.

وفى بلجيكا أسست "الجمعية الببليوجرافية البلجيكية" سنة ١٨٨٦م ونشرت عددا كبيرا من المطبوعات الهامة فى المجال.

وفى المملكة المتحدة أنشئت أول جمعية ببليوجرافية ـ وإن لم تكن أهم ـ فى سكوتلندا تحت اسم (جمعية ادنبرة الببليوجرافية). وكما ذكرت فى بحث مستقل فى هذا المجال أسست "الجمعية الببليوجرافية (البريطانية)" بلندن سنة ١٨٩٢م. وقد كانت لها مطبوعاتها الدورية وغير الدورية الخالدة على نحو ما فصلته هناك. وفى سنة ١٩٠١م أنشئت (جمعية لانكشاير الببليوجرافية) لمدة عام واحد لنشر كتاب جوردون دف حول (الطباعة الإنجليزية) على رق. وفى سنة ١٩١٠ تأسست (جمعية الويلش الببليوجرافية) لنشر الببليوجرافيات المتعلقة بـ ويلز. وكان من بين مطبوعاتها الخالدة "ببليوجرافية الإنتاج الفكرى للكويكر والمتعلق بـ ويلز". وفى سنة ١٩٨١م قامت "جمعية أيرلندا الببليوجرافية" وعقدت أول اجتماع لها وبدأت نشر دوريتها (الوقائع) فى نفس ذلك العام. ومن بين الدراسات الجميلة التى نشرت فيها "بيانات الطبع المزورة فى الكتب المطبوعة فى أيرلندا". وفى عام ١٩٢٢ قامت (جمعية كامبردج الببليوجرافية) إلى سنة ١٩٤٩ وهى تنشر دوريتها (الوقائع والبحوث) فى نفس تلك السنة إلى جانب حوليتها الشهيرة (الببليوجرافيا فى بريطانيا) وقد تأخرت كامبردج فى تأسيس (جمعية كامبردج الببليوجرافية) إلى سنة ١٩٤٩ وهى تنشر دوريتها (الوقائع) وكتبها غير الدورية (المنفردات).

فى تشيلى أسست (جمعية سنتياجو الببليوجرافية) سنة ١٨٩٥م ومطبوعها الوحيد هو التاريخ الكنسى لولاية تشيلى.

وفى إيطاليا أنشئت (الجمعية الببليوجرافية الإيطالية) سنة ١٨٩٥م، وقد نشرت دوريتها (النشرية) لمدة عام واحد. وفى سنة ١٩٠٧م بدأت إصدار (متجر الكتب والمطبعة) والتى استمرت حتى بداية الحرب العالمية الأولى.

وفى الولايات المتحدة تأسست (جمعية شيكاغو الببليوجرافية) سنة ١٨٩٩م وكانت حافزا قويا لإنشاء (الجمعية الببليوجرافية الأمريكية) سنة ١٩٠٤م وهناك بحث فى هذه

الموسوعة عن هذه الجمعية الأخيرة فى نفس هذا المجلد. وقد أصبحت جمعية شيكاغو الببليوجرافية فرعا من الجمعية الببليوجرافيا الأمريكية. وفى سنة ١٩٣٠م أسس (الاتحاد الأمريكى الببليوجرافي) فى واشنطون. وفى سنة ١٩٣٤م غير اسمه ومكانه ليصبح (الاتحاد الأمريكى للببليوجرافيا والمكتبات فى جامعة فلوريدا. جينزفيل. فلوريدا). ومن بين مطبوعاته الأساسية مجلته الفصلية (أبواب إلى أمريكا اللاتينية)؛ (بحوث المؤتمرات)؛ (كشاف مرجعى لـ ١٢٠٠٠ مؤلف أمريكى أسبانى)؛ (المجلة الببليوجرافية للدول الأمريكية) ١٩٤١-١٩٤٤. وقد تأسست (الجمعية الببليوجرافية لجامعة فيرجينيا) سنة ١٩٤٧ وهى تنشر (دراسات فى الببليوجرافيا) كدورية حولية والنشرة الإخبارية ومطبوعات غير دورية ولها مدخل فى هذا المجلد من الموسوعة.

وفى سنة ١٩٠١م تأسست "جمعية جوتنبرج" فى ألمانيا وذلك لإجراء البحوث حول الطباعة منذ جوتنبرج حتى الآن ونشر تلك البحوث ونتائجها. ولها مجموعة من المطبوعات الدورية وغير الدورية أهمها "كتاب جوتنبرج السنوي".

وفى كندا تأسست (جمعية كندا الببليوجرافية) سنة ١٩٤٦، وبدأت سنة ١٩٤٩ نشر سلسلة من إعادة طبع الأعمال القديمة. وفى سنة ١٩٥٥م بدأت فى نشر حوليتها نصف السنوية.

وفى الفلبين أسست (الجمعية الببليوجرافية) بمساعدة من اليونسكو سنة ١٩٦٥.

فى العرض السابق لم أسع إلى حصر كل الجميعات الببليوجرافية فى العالم، وإنما فقط عينات منها وقد تناولت ثلاثا منها فى هذا المجلد تحت مداخلها على سبيل المثال والتمثيل وحسب.

المصادر:

1- Barwick, G.F. Bibliographical Societies and Bibliography.-**in**.- the Library, 4th Series; Vol. 11, 1931.

2- Copinger, W.A. On the Necessity for the Formation of a Bibliographical Society of the United Kingdom as to Its Operation. – **in**.- the Library, 1st Series.- Vol. 4, 1892.

3- Kirkpatrick, Percy C. The Bibliographical Society of Ireland. – **in** .- the Library, 4th Series; Vol. 2, 1922.

4- Library and Bibliographical Associations of the World. – **in.** – Library Association Yearbook, 1968.

5- Roxas, Savina A. Bibliographical Societies, Development of. – **in** – Encycloopedia of Library and Information Science. – NewYork: Marcel Dekker, 1969. Vol. 2.

جمعيات النشر ومحبى الكتب

Publishing and Bibliophile Societies

من المتفق عليه بين فقهاء النشر أن النشر التجارى يسعى إلى نشر الكتب التى تروج بين العامة أما الكتب عميقة التخصص فإنها حتما تسبب خسارة للناشر لأن سوقها محدودة، وإذا نشر الناشر كتابا متخصصا فإن عليه أن ينشر فى مقابله خمسة كتب على الأقل من الكتب العامة حتى يوازن قائمته. ولو أن الناشر التجارى لم يربح فى خمسة من الكتب فإنه ربما يخرج من السوق. من هذا المنطلق ومن عزوف الناشر التجارى عن نشر الكتب المتخصصة أو ذات الملامح الخاصة تكونت جمعيات النشر الخاص.

ومن الممكن أن نجد جذور جمعيات النشر الخاصة فى الأنماط الأولى من الأكاديميات والجمعيات العلمية على نحو ما نصادفه فى "الجمعية الأليزابثية للآثاريين" و"الجمعية الملكية" و"جمعية الآثاريين". وهناك فى حقيقة الأمر قواسم مشتركة بين جمعيات النشر والجمعيات العلمية العادية وإن كانت هناك على الجانب الآخر وجوه اختلاف عديدة. من بين تلك الفروق أن الجمعيات العلمية تسعى إلى ترقية المعرفة ونشرها فى مجال تخصصها وهو هدف تحققه من خلال عملها كجماعة ضغط ومن خلال المؤتمرات والمعارض والاجتماعات المنتظمة التى يقدم من خلالها أعضاء الجمعية بحوثا وآراء للمناقشة، والتى يشترك فيها بعض الحاضرين؛ ويتبادلون فيها وجهات النظر. وربما

تسعى الجمعيات العلمية إلى نشر بعض الكتب بها فى ذلك إعادة طبع الأعمال الهامة فى مجال تخصصها وربما تنشر دوريات متخصصة ووقائع أعمالها ونشرات إخبارية. ولكن يجب أن يفهم أن ذلك النشر ليس إلا جانبا فقط من أعمالها ونشاطها ولو توقف هذا النشر لن يتوقف نشاط الجمعية؛ وربما يكون هذا النشر عملا أو نشاطا هامشيا فكثير من الجميعات تزدهر وتتقدم بدون النشر.

وتؤكد المصادر الثقات أن جمعية النشر بالمعنى النقى الخالص لا مقار لها ولا اجتماعات ولا مؤتمرات ولا حوارات ولكن هدفها ونشاطها محصور فى نشر الكتب العلمية التى يعزف عن القيام بها الناشر التجارى وربما يكون ما تنشره جمعيات النشر عبارة عن إعادة طبع أو مخطوطات بدون تحقيق، والاشتراكات التى يدفعها الأعضاء تكرس كلها لتغطية نفقات النشر. ويرى الثقات أن "الكليات غير المنظورة" تنمو حول مثل تلك الجمعيات ولكن جودها أو غيابها ليس له علاقة بالعمل الأساسى للجمعية.

وربما كانت أول جمعية من هذا النوع ـ إذا استبعدنا نادى روكسبورجى الذى كان ناديا لمحبى الكتب كما سنرى بعد ـ هو نادى باناتاين الذى أسسه السير والترسكوت سنة ١٨٢٣. وقد قام هذا النادى بهدف نشر الكتب التى تصور تاريخ وآثار وآداب سكوتلندا. وكان عدد الأعضاء المؤسسين واحدا وثلاثين عضوا زادوا فيما بعد إلى مائة عضو. وخلال الثمانى والثلاثين سنة التى عاشها هذا النادى نشر ١٣٠ كتابا كلها إعادة طبع لكتب باكرة فى تخصص هذا النادي. وكان معظم تلك الكتب ينشر من حساب الاشتراكات التى يدفعها الأعضاء وإن بعضها قد نشر على حساب بعض الأفراد الخيرين مجاملة منهم للنادى وأعضاء النادي. ويلاحظ هنا فى هذه الحالة أن عدد النسخ التى كانت تطبع من كل كتاب لم يكن محدودا بقدر عدد أعضاء النادى بل كان هناك دائما عدد إضافى لمن يود الاقتناء من خارج الأعضاء.

وكان نجاح هذا النادى باناتاين حافزا لقيام العديد من جمعيات النشر أيضا فى سكوتلندا ومن بين تلك النوادى أو الجمعيات نصادف:-

١- نادى ميتلاند (١٨٢٨-١٨٥٩) وكان تركيزه على جنوب غربى سكوتلندا.

٢- نادى أبوتسفورد (١٨٣٨-١٨٦٦).

٣- نادى سبالدنج (١٨٣٩-١٨٧١).

٤- نادى سبالدنج الجديد (١٨٨٦-١٩١٥) وكان تركيزه على كل ما يتعلق بـ أبيردين وشمال شرقى اسكوتلندا.

وكانت هذه النماذج المشرفة قد مهدت الطريق لقيام جمعيات مماثلة فى إنجلترا من بينها:

أ- جميعة سرتيز. والتى كان تركيزها على نورثمبريا.

ب- جميعة تشيتها م. والتى كان تركيزها على لانكشاير وتشيشاير.

ج- جمعية دوجديل. والتى كان تركيزها على وارويكشاير ووسط الغرب.

وكانت هناك جمعيات تركز على نوع معين من المطبوعات مثل جمعية هارليان التى أسست سنة ١٨٦٩م التى تخصصت فى نشر مخطوطات الأنساب وتاريخ العائلات، وجمعية السجلات (الوثائق) البريطانية التى تخصصت فى نشر وثائق وسجلات الوصية وعقود الزواج.

وثمة جمعيات أخرى تخصصت فى نشر الأعمال المتعلقة بالجماعات العرقية أو الثقافية مثل جمعية الهوجونوت فى لندن التى تأسست سنة ١٨٨٥ وما تزال قائمة؛ والجمعية الأمريكية اليهودية فى نيويورك التى تأسست ١٨٩٢ وماتزال قائمة تمارس نشاطها. وكل منهما نشرت أعمالاً قيمة فى مجال نشاطها ولولاها لما نشرت تلك الأعمال أساساً.

وفوق كل تلك الجمعيات المتخصصة نجد جمعية كامدن (١٨٣٧-١٨٩٧) التى اندمجت مع الجمعية التاريخية الملكية والتى نشرت خلال حياتها المستقلة ما يزيد على ١٦٠ كتابا فى موضوعات تاريخية تتراوح ما بين كتابات سياسية قديمة، مذكرات، حوليات وسجلات أحداث، وما بين نصوص أدبية. كما نجد هناك أيضا جمعية هاكلويت التى أسست فى لندن سنة ١٨٤٦ وماتزال تعمل حتى اليوم والتى تخصصت فى طباعة

"الرحلات النادرة والقيمة والبعثات الاستكشافية وخاصة البحرية منها" وغير ذلك من الكتب الجغرافية. وفى خلال قرن ونصف من عمرها نشرت ما يربو على ٣٠٠ مجلد من المواد العلمية الرائعة ذات القيمة الخالدة.

تخصصت بعض الجمعيات فى نشر المخطوطات غير المحققة أو أوائل المطبوعات، من بين تلك الجمعيات: جمعية باركر، جمعية سيلدن، جمعية سايدنهام، جمعية نيوكومين التى تخصصت على التوالى فى تاريخ الكنيسة الإنجليزية، القانون، الطب، التكنولوجيا.

وإلى جانب تلك الجمعيات انتشرت الجمعيات التى تعنى بنشر كتب الأدب ومن بينها جمعيات تخصصت فى كاتب واحد مثل جمعية شكسبير (١٨٤٠-١٨٥٣)؛ جمعية شكسبير الجديدة (١٨٧٣-١٨٩٢)؛ جمعية براونتج (١٨٨١-١٨٩٦)، جمعية شيللى (١٨٨٦-١٨٩٢) وتمثل هذه الجمعيات الأربع كل مشكلات النشر المتخصص فى أديب معين: فقد انحلت جمعية شكسبير لأن عملها شابه تزوير وتزييف من جانب مدير الجمعية آنذاك (جون باين كوليير). أما جمعية شكسبير الجديدة فقد تورطت فى صراعات مع خصوم وانصرفت إلى الرد على هؤلاء الخصوم. أما جمعية براونتج التى أسست خلال حياة الشاعر فقد غدت موئلا للمهووسين وغريبى الأطوار بدلاً من الباحثين العباقرة. أما فيما يتعلق بجمعية شيللى فقد استغل مديرها (ت. ج. وايز) منصبه فيها لترويج مطبوعاته غير الشرعية المزورة.

ولكن على الجانب الآخر كانت الجمعيات النشرية الأدبية العامة قد حققت نجاحا أكبر من جمعيات المؤلفين ومن بين تلك الجمعيات جمعية مالون التى كانت تعمل فى مجال الدراما الإنجليزية القديمة، وجمعية اوجستان لإعادة الطبع التى تخصصت فى إعادة طبع أمهات الأدب الإنجليزى القديمة. ومن بين الجمعيات التى تخصصت أيضا فى نشر الكتب الأدبية الباكرة (جمعية النصوص الإنجليزية الباكرة) التى أسسها ف. ج. فورنيفال سنة ١٨٦٨ وما تزال تعمل بجد ونشاط؛ وكذلك (جمعية النصوص الاسكوتلندية) التى قامت سنة ١٨٨٢ وما تزال على قيد الحياة تمارس نشاطها المحمود فى نشر النصوص الإنجليزية والاسكوتلندية القديمة والتى جسدت نوادى الطباعة الباكرة فى سكوتلندا.

جمعيات محبى الكتب

الاهتمام بالكتب وجمعها واكتنازها قد يفوق لدى بعض الأفراد الاهتمام بالمال وجمعه واكتنازه لدرجة أن بعض جماعى الكتب قد يبيع ممتلكاته فى سبيل جمع الكتب واقتنائها وبعضهم قد يستدين ليشترى الكتب ثم يموت وتباع الكتب مرة ثانية لتسديد ديونه مثل ريتشارد دى برى جماع الكتب الإنجليزى الشهير. والمهتمون بالكتب يقعون فى ثلاث درجات: محبو الكتب وهؤلاء يجمعونها استهداء وتبادلاً وشراء فى حدود مقدراتهم المالية والاجتماعية والنفسية؛ عشاق الكتب وهم أعلى درجة فى ميلهم واهتمامهم بالكتب، إذ قد يبيعون بعض ممتلكاتهم لشراء الكتب؛ مجانين الكتب ويبلغون أقصى درجات الوله والهيام بالكتب إذ قد يستدينون لشراء الكتب وقد يسرقون الكتب إشباعا لذلك الميل.

ومن هذا المنطلق فإن هؤلاء الأشخاص قد يكونون فيما بينهم جمعية أو ناديا لإشباع هذا الميل المشترك، حيث يتبادل جماعو الكتب المعلومات والأفكار حول الكتب. وبعض تلك الجمعيات لا يقتصر على مجرد تبادل الأفكار والمعلومات بل يكون لها برنامج ثقافى محدد حيث تنظم المحاضرات العامة التى يتحدث فيها كبار المحاضرين كما قد تنظم معارض الكتب فى مقارها أو قاعات الفنون أو المكتبات. وبعض تلك الجمعيات أو النوادى قد يكون له برنامج نشر وإن لم يكن ذلك بالهدف الرئيسي. وبرنامج النشر بطبيعة الحال يتفاوت من جمعية إلى جمعية حسب رغبة أعضاء الجمعية وميولهم. وبعض تلك الجمعيات قد يكون لها دوريات خاصة به. ومن بين جمعيات محبى الكتب نذكر بشىء من التفصيل (**اتحاد المكتبات الخاصة**) الذى ينشر مجلة فصلية باسم (المكتبة الخاصة) ونصادف بها مقالات ممتلئة حماسا أكثر منها علماً.

ولكن هذا الاتحاد ينشر باقة من أجمل الكتب المعادة النادرة، كما ينشر عددا من الكتب الحديثة ذات القيمة الخاصة. ومن بين تلك الجمعيات أيضا (جمعية تاريخ الطباعة) ولها دورية باسمها وتنشر بها بحوث ودراسات عميقة حول تاريخ

الكتاب. كما تنشر هذه الجمعية كتبا هامة لأعضائها كلها تدور حول الكتب والطباعة والطابعين مثل كتاب فنسنت فيجنز (نماذج الأبناط) وكتاب وليام تود (دليل كتاب ألكوين) فى كولومبيا البريطانية والذى كان يهدف إلى نشر الكتب المتعلقة بغربى كندا، (نادى كاكستون) فى شيكاغو؛ (نادى روكسبورجي) فى إنجلترا والذى أشرت إليه مرارا من قبل والذى نشر لأعضائه سلسلة كبيرة من المخطوطات غير المحققة والموجودة فى حوزة الأعضاء.

"ومن المقطوع به أن هناك علاقات وثيقة بين" جمعيات النشر و"جميعات محبى الكتب "والجمعيات البيليوجرافية" حيث تعمل جميعا فى مجال الكتاب ولكن كل على شاكلتها فجمعيات النشر قامت أساساً لنشر كتب معينة لأعضائها لا يرغب فيها الناشر التجاري، والهدف الأساسى لها إذن هو النشر؛ أما جمعية محبى الكتب فالهدف الأساسى لها مساعدة أعضاء الجمعية فى تكوين المكتبات الشخصية بشتى طرق التكوين ومن بينها النشر وإن لم يكن إلا طريقة واحدة هامشية لأنه مهما كان عدد الكتب المنشورة عن طريق الجمعية فليس سوى كسرة من حجم المكتبة الشخصية لدى جماع الكتب. وعلى الطرف الثالث فإن الجمعية البيليوجرافية تهدف إلى تنمية البحوث والدراسات فى مجال علم البيليوجرافيا وإعداد البيليوجرافيات.

ومن الناحية التقليدية البحتة كانت مطبوعات جمعيات النشر وجميعات محبى الكتب محدودة العدد من حيث المفردات والنسخ على قدر عدد أعضاء الجمعية غالبا كما كان اختيار الكتب التى تطبع محكوما برغبات واهتمامات أعضاء كل جمعية. وكانت تلك المطبوعات على قدر كبير من الأهمية لأنها تخضع لذوق راقٍ وفكر عالٍ لأن أعضاء جمعيات النشر ومحبى الكتب كانوا عادة من غير الصفوة المثقفة العالمة. وإن كان البعض يرى فى تقييد عدد النسخ بعض السلبيات لأنه يحرم غير الأعضاء والمكتبات من اقتناء هذه المطبوعات الثمينة والإفادة منها على سبيل المثال فإن إهمال جمعية فيلوببليون المشار إليها سابقاً وعدم الاهتمام بها بل وعدم الشعور بها كان سببه الأساسى أن الكتب العظيمة

التى نشرتها بقيت مجهولة تقريبا بالنسبة لمن هم خارج الجمعية وعدم تمكنهم من معرفتها والانتفاع بها.

واعترافا بتلك المشكلة قامت بعض جمعيات النشر وجمعيات محبى الكتب بفتح باب العضوية أمام المؤسسات التى غدت العمود الفقرى لبعض الجمعيات مثل (جمعية النصوص الإنجليزية الباكرة)؛ والبعض الآخر الذى يقصر عضويته على الأفراد زاد من عدد نسخ المطبوع الواحد بحيث تتاح تلك المطبوعات ولو بأسعار أعلى لغير الأعضاء. وأكثر من هذا فإن الكتب التى نفدت وخاصة تلك العائدة إلى القرن التاسع عشر يجرى إعادة طبعها وإتاحتها فى السوق. وإذا كانت الجمعية على قيد الحياة فإنها تدخل فى مشروع مشترك مع إحدى دور نشر الطبعات المعادة للقيام بهذا العمل وتستخدم العائدات من وراء إعادة الطبع فى طبع كتب جديدة للجمعية. وفى بعض حالات قليلة قام ناشرون بإعادة طبع كتب الجمعيات التى سقطت فى الملك العام دون إرادة الجمعيات وبذلك حرموا الجمعيات من حقها فى تنقيح وتحرير وإعادة إصدار تلك الأعمال.

وعلى الجانب الآخر فإن الزيادة الواضحة فى عدد الناشرين التجاريين وتوسع اهتماماتهم الموضوعية وتحسن وسائل الطبع وخاصة النشر المكتبى قد جعل هؤلاء الناشرين يستردون دورهم فى نشر الكتب المتخصصة ذات النسخ القليلة وتوسيع سوقها مما قلل كثيرا من دور تلك الجمعيات فى نشر تلك الأنواع من الكتب. ونحن لا نقول بأن الظروف الجديدة سوف تقضى على تلك الجمعيات ولكن نقول بأن تلك الجمعيات حتما سوف تغير من مسارها ومن جلودها فى القرن الحادى والعشرين الذى دلفنا أبوابه.

المصادر:

1- Barker, Nicholas. The Pulbications of the Roxburghe Club: 1814-1962.-London: the Club, 1964.

2- Cave, Roderick. Monckton Milnes and the Philobiblion Society. – **in**.- Private Library, Series 2, Vol; 2, Summer, 1969.

3- Cave, Roderick. Publishing and Bibliophile Societies. – **in** – Encyclopedia of Library and Information Science.- New York: Marcel Dekker, 1978.- Vol. 25.
4- Hume, Abraham. The Learned Societies and Printing Clubs of the United Kingdom. – London, 1853.
5- Spiller, Robert E. the Philobiblion Club of Philadelphia: The First Eighty years. – Philadelphia: Philadelphia Club, 1978.
6- Whitehill, Walter Muir. The Club of Odd Volumes: Boston: 1887-1973. – Philadelphia: Philadelphia Club, 1973.
7- Williams, Harold: Book Clubs & Printing Societies in Great Britain and Ireland.-London: First Editions Club, 1929.

الجمعية الأمريكية لعلم المعلومات

American Society for Information Science

تمتد جذور الجمعية الأمريكية لعلم المعلومات فيما عرف قبل ذلك بالمعهد الأمريكى للتوثيق وكان ذلك المعهد قد أسس سنة ١٩٣٧ فى ظل القوانين المعمول بها فى ولاية دلاور. وكان نص ديباجة قانون إنشائه "اتحاد مهنى غير ربحى قام لتحقيق أهداف علمية وأدبية وتربوية، وقد كرس نفسه لإنتاج وتنظيم وبث وتطبيق المعرفة المتعلقة بالمعلومات ونقلها". ونفس هذا المعهد الأمريكى للتوثيق ترجع أصوله إلى الجهود التوثيقية التى كانت تقوم بها إدارة العلوم وإدارة الميكروفيلم بوزارة الزراعة منذ ١٩٢٦. وبمنحة من المؤسسة الكيمائية استطاعت إدارة العلوم سابقة الذكر من إقامة معهد التوثيق وذلك بهدف إصدار الببليوجرافيات العلمية وإنشاء معمل للمصغرات الفيلمية وغير من وسائل الاستنساخ وكذلك ابتداع أية آليات لتحسين طرق الإفادة من مصادر المعرفة.

وعندما قام ذلك المعهد سنة ١٩٣٧م كان مجلسه يتكون من ممثلين عن الجمعيات والمؤسسات ذات الصلة بالتوثيق وكان عددهم فى ذلك الوقت ٦٨ شخصاً. وفى سنواته

الأولى حقق المعهد إنجازات ضخمة فقد قام بتطوير رائيات المصغرات الفيلمية بل وأيضا كاميرات التصوير اللازمة لذلك وقامت إدارة المصغرات الفيلمية (ببليوفيلم) بتحميل الدوريات النادرة على ميكروفيلم وأسس المعهد إدارة العلوم الشرقية خلال الحرب العالمية الثانية لتأمين الحصول على الدوريات العلمية الآسيوية فى فترة الحرب وما بعدها. كذلك أنشأ المعهد إدارة المطبوعات المساعدة. وأنشأ المعهد علاقة وثيقة مع الاتحاد الدولى للتوثيق. وحاول المعهد أن يستخدم اللغة الدولية إنترلنجوا (سبرانتو) كى يوسع انتشارها كلغة اتصال عالمية. وتوفر على إصدار دوريته الشهيرة (التوثيق الأمريكي) اعتباراً من سنة ١٩٥٠.

وفى سنة ١٩٥٠ بات من الواضح أن المعهد لا يمكن أن يبقى معتمدا فقط على ممثلى الهيئات ذات الصلة. ولذلك قام لوثر إيفانز رئيس المعهد ومدير مكتبة الكونجرس آنذاك فى سنة ١٩٥٢ بتكوين مجلس أوصياء وتم تعديل اللائحة للسماح للأفراد بالانضمام إلى المعهد ومن ذلك الوقت أصبح المعهد هو الجمعية الوطنية المهنية لكل المهتمين بقضايا التوثيق.

وفى خلال خمسينات القرن العشرين ومع تطور نظم البطاقات المثقوبة والحاسبات وزيادة الوعى بالاستخدام الآلى فى استرجاع المعلومات بل والتكشيف الآلى، أصبح المعهد معنيا بتلك القضايا وأخذ نصيبه من البحث والتجريب فيها. ولقد زاد عدد الأعضاء ببطء ولكن بمعدل وخطى ثابتة واثقة. وفى خلال ثمانى سنوات ١٩٥٩-١٩٦٧ تضاعف عدد الأعضاء أربع مرات مع زيادة الوعى بانفجار المعلومات وزيادة الطلب عليها. وفى سنة ١٩٦٧م كان عدد الأعضاء قد بلغ ٢٢٠٠ منهم ٨٥٪ عضوية عادية ١٣٪ عضوية طلبة، ٢٪ عضوية مؤسسات. وقد أتى هؤلاء الأعضاء من مجالات مختلفة: تكنولوجيا الحاسب وعلومه، علم النفس، الرياضيات وعلم المنطق، اللغويات، علم المكتبات، تكنولوجيا الاتصالات. وكان الأعضاء يعملون فى مواقع ذات صلة مباشرة بأهداف المعهد مثل التصوير المصغر، التكشيف الآلى، تصميم

نظم الخط المباشر، تحليل نظم المكتبات والمعلومات، دراسات سلوك المستفيدين من المعلومات واحتياجاتهم فى العلوم البحتة والتطبيقية، لغويات التحسيب، تطوير نظم التصنيف والتكشيف المتخصصة. وعلى الرغم من التنوع الشديد فى اهتمامات وميول أعضاء المعهد إلا أنهم جميعا ركزوا نشاطهم فى حل مشكلات اختزان واسترجاع ونقل المعلومات.

ونظرا للتحول الواضح فى أنشطة المعهد ومواكبة لظروف الحقبة وخفوت ثم أفول نجم التوثيق وظهور علم جديد على أنقاضه هو علم المعلومات صوت الأعضاء سنة ١٩٦٧ على تغيير اسم المعهد إلى الاسم الحالى وهو (الجمعية الأمريكية لعلم المعلومات) وبدأ العمل بالاسم الجديد اعتباراً من الأول من يناير سنة ١٩٦٨.

وقد استتبع تغيير الاسم بالضرورة تغيير اللوائح والأهداف وذلك فى سبتمبر ١٩٦٧. وكان الهدف الجديد هو حشد طاقات الأعضاء وتهيئة الظروف المناسبة لمعالجة قضايا المعلومات ونقلها وكانت تلك القضايا قد حددت بأنها دورة المعلومات: التأليف والترجمة والتحرير، النشر، التنظيم والتحليل، الاختزان والاسترجاع، البث والنقل، الاستخدام. ولما كانت تلك القضايا تنطوى على مجموعة من المهارات المتخصصة المتنوعة والمصادر والأهداف الآنية فإنه كان على الجمعية أن تقوم بالبحوث والتطبيقات والتجارب المتعلقة بتلك العمليات. وربما كان الهدف الأساسى للجمعية هو عبور الفجوة بين البحث النظرى المجرد والتطبيق العملى الفعلى وخلق السياق الذى يمكن فيه اقتحام مشكلات نقل المعلومات وحلها.

ومن أجل تحقيق ذلك الهدف تقوم الجمعية بتحرير ونشر وتوزيع المطبوعات التى تنتج عن البحث والتطوير والتجريب والتطبيق، كما تعقد مؤتمرات سنوية تلقى فيها بحوث وأوراق عمل وتجرى فيها مناقشات، ويحدد فيها بيان سياسات. كما تقوم فروع الجمعية وجماعات الاهتمام الخاصة بعقد اجتماعات وحلقات بحث حول قضايا محددة وعقد

الدورات التدريبية للمهندسين وإخصائيي المعلومات؛ كما ترعى بحوث المعلومات ومشروعات التطوير.

ولقد بدأ تشكيل جماعات الاهتمام الخاصة من عام ١٩٦٦. وكل جماعة منها تتكون من مجموعة صغيرة من الأفراد يتمحورون حول قضية محددة ومن بين تلك الجماعات نذكر:

١- معالجة لغات الآلة

٢- تعليم علم المعلومات

٣- بحوث التصنيف

٤- ميكنة المكتبات والشبكات

٥- مراكز تحليل المعلومات

٦- نظم المعلومات الكيمائية والطبية الحيوية

٧- تكنولوجيا الاستنساخ

٨- توليد ونشر المعلومات

٩- قضايا المعلومات الدولية

١٠- القانون وتكنولوجيا المعلومات

١١- تكنولوجيا اختزان واسترجاع المعلومات

١٢- التكنولوجيا والمعلومات والمجتمع

١٣- مؤسسات علم المعلومات

١٤- تحليل وتقييم المعلومات

وثمة فروع للجمعية على مستوى الأقاليم والولايات من بينها:

١- أوهايو المركزية (كولومبوس).

٢- شيكاغو.
٣- وادى دلاور (فيلادلفيا ـ ويلمنجتون).
٤- لوس أنجلوس.
٥- منطقة نيويورك الحضرية.
٦- نيوانجلاند.
٧- شمالى أوهايو.
٨- بتسبرج.
٩- وادى بوتوماك (واشنطون).
١٠- سان فرانسسكو.
١١- جنوبى أوهايو (سنسناتى)
١٢- جنوبى تكساس (هيوستون).
١٣- شمالى ولاية نيويورك.

إلى جانب تلك الفروع هناك فروع طلابية فى كبرى مؤسسات تعليم علم المعلومات مثل: فرع طلاب منطقة الكابيتول (الجامعة الكاثوليكية، الجامعة الأمريكية، جامعة جورج واشنطون، جامعة ميريلاند)، جامعة كولومبيا، معهد دركسيل للتكنولوجيا، جامعة إنديانا، جامعة رتجرز، جامعة بتسبرج وغيرها.

ويدير الجمعية مجلس مكون من الرئيس والرئيس المنتخب وأمين الصندوق والسكرتير (هيئة المكتب) وهناك مدير تنفيذى وعدد من المعاونين. والمقر الآن فى العاصمة واشنطون.

وهناك لجان دائمة منبثقة عن المجلس هى اللجنة التنفيذية ولجنة الدستور واللوائح ولجنة الميزانية والتمويل ولجنة العلاقات العامة. أما اللجان النوعية فمن بينها لجنة العضوية، لجنة تعليم علم المعلومات، لجنة المطبوعات، لجنة التعيينات. والمجلس يجتمع فصليا على الأقل، وهناك مؤتمر سنوى علمى مهنى.

فى سنة ٢٠٠٥م كانت عضوية الجمعية قد بلغت ٢٠٠ مؤسسة، ٦٥٠٠ فرد من بينهم نحو ٦٠٠ طالب وكانت العضوية كما أسلفت تمثل تنوعا عظيما فى علم المعلومات. وهناك أربع فئات من العضوية فى الجمعية: أ ـ العضوية العادية لكل راغب ولا يشترط التخصص. ب ـ الطلاب. ويشترط فيهم أن يكونوا مقيدين للدراسة الجامعية فى مجال التوثيق أو علم المكتبات أو علم المعلومات. ج ـ المحالون للمعاش بشرط أن يكون عضوا بالاتحاد فى السنوات الأخيرة قبل التقاعد. د ـ المؤسسات سواء كانت ربحية أم غير ربحية.

أما عن وجوه النشاط التى تمارسها الجمعية فهى كثيرة نذكر من بينها:

١ - **المطبوعات**: للجمعية أنواع عديدة من المطبوعات منها ما هو دورى ومنها ما هو غير دورى كالبحوث والتقارير، وبحوث العمل الميدانى. أما المطبوعات الدورية فإنه يمثلها.

أ ـ مجلة (التوثيق الأمريكي) التى تصدر منذ ١٩٥٠م ورغم تغير اسم الجمعية إلا أن المجلة ما تزال تحتفظ باسمها. وهى تصدر فصلية وبطبيعة الحال تنشر بها مقالات ودراسات وبحوث فى مجال التوثيق وعلم المعلومات. ب ـ المجلة السنوية لعلم وتكنولوجيا المعلومات التى أخذت فى الصدور مع سنة ١٩٦٦ وهى مجلة نقدية تحليلية شاملة تعرض وتحلل التطورات التى حدثت فى المجال خلال العام. وكانت الأعداد الأولى من تلك الحولية مدعومة من قبل المؤسسة الوطنية للعلوم. ج ـ مستخلصات التوثيق. وكانت فى البداية بابا من أبواب مجلة التوثيق الأمريكى ولكنها خرجت من نطاق تلك المجلة اعتبارا من ١٩٦٦ مثل سابقتها وهى مجلة فصلية وتقدم مستخلصات جارية للإنتاج الفكرى فى مجال التوثيق وتنشر بالتعاون مع شعبة الإنتاج الفكرى الكيمائى فى الجمعية الكيميائية الأمريكية واتحاد المكتبات المتخصصة. د ـ وقائع المؤتمرات السنوية للجمعية. وحيث تجمع بحوث ومناقشات المؤتمرات السنوية وتنشر فى مجلدات سنوية وكذلك تحمل على قرص ليزر فى السنوات الأخيرة. وكان مجلد سنة ١٩٦٣م قد طبع من

تجميعة حروف مأخوذة من الحاسب الآلي مباشرة وكان أول مطبوع يصدر بهذا الأسلوب هو النشرة الإخبارية للجمعية وهي تنشر كل شهرين وتضم إعلانات وأخبارا عامة وأخبار الفروع وجماعات الاهتمام الخاصة وأخبار المهنة على وجه العموم.

يدخل هنا أيضا مطبوعات الندوات وحلقات البحث الخاصة التي تعقدها الجمعية من حين لآخر للتركيز وإلقاء الضوء على جانب معين ومن الأمثلة على ذلك (وقائع ندوة تعليم علم المعلومات) التي عقدت في مؤسسة إيرلي في وارنتون، فيرجينيا في سبتمبر ١٩٦٥.

٢- **المؤتمرات واللقاءات:** تعقد الجمعية مؤتمرها السنوي في الربع الأخير من السنة، كما تعقد لقاءات وندوات لمناقشة قضايا محددة كما أسلفت. ويعتبر المؤتمر السنوي فرصة للتجمع لمناقشة القضايا الجارية وعقب كل مؤتمر تجرى دراسة لتقييم فعالياته. كما تقوم الجمعية بمساعدة الفروع في تنظيم مؤتمراتها وندواتها المحلية.

٣- **الدراسات الميدانية والتجريبية.** تقوم الجمعية بإجراء دراسات ميدانية وتجريبية إلى جانب البحوث النظرية وتسعى من خلال تلك الدراسات والتجارب إلى إلقاء الضوء على مشكلة معينة تبحث عن حل وعادة ما تطرح نتائج تلك التجارب للتنفيذ.

٤- **العلاقات مع المؤسسات ذات الصلة.** الجمعية عضو في الإفلا والفيد ولها علاقات وثيقة مع أكثر من ٢٥ منظمة وطنية وعالمية تعمل في الحقل وهي عضو في الاتحاد الأمريكي لجمعيات معالجة المعلومات.

ونقدم فيما يلي بيانا بأول خمسة وثلاثين رئيس للجمعية منذ أن كانت معهدا للتوثيق:

١. واطسون ديفيز	١٩٣٧-١٩٤٣
٢. كيز ميتكالف	١٩٤٤
٣. والدو ليلاند	١٩٤٥
٤. واطسون ديفيز	١٩٤٦
٥. والدو ليلاند	١٩٤٧
٦. فيرنون د. تيت	١٩٤٨-١٩٤٩

٧. لوثر إيفانز	١٩٥٠-١٩٥٢
٨. يوجين ميللر	١٩٥٣
٩. ميلتون لي	١٩٥٤
١٠. سكوت آدامز	١٩٥٥
١١. جوزيف هيلسنراث	١٩٥٦
١٢. جيمس بيري	١٩٥٧
١٣. هيرمان هنكل	١٩٥٨
١٤. كارل هيومان	١٩٥٩
١٥. كلويد ديك جول	١٩٦٠
١٦. جيرالد ج. سوفار	١٩٦١
١٧. كلير شولتز	١٩٦٢
١٨. روبرت هيز	١٩٦٣
١٩. هانز بيتر لوهن	١٩٦٤
٢٠. لورانس هيلبرن	١٩٦٤-١٩٦٥
٢١. هارولد بوركو	١٩٦٦
٢٢. بيرنارد فراي	١٩٦٧
٢٣. روبرت تيلور	١٩٦٨
٢٤. جوزيف بيكرر	١٩٦٩
٢٥. تشارلز بورن	١٩٧٠
٢٦. بولين آثرتون	١٩٧١
٢٧. روبرت كايل	١٩٧٢
٢٨. جون شيرود	١٩٧٣
٢٩. هربرت هوايت	١٩٧٤
٣٠. ديل بيكر	١٩٧٥

٣١. ميلفن ديي ١٩٧٦
٣٢. مرجريت فيشر ١٩٧٧
٣٣. أودرى جروش ١٩٧٨
٣٤. جيمس كريستوس ١٩٧٩
٣٥. هربرت لاندوا ١٩٨٠

المصادر:

1- The American Society for Information Society. – Washington, D.C.: ASIS, 2000.
2- American Society for Information Science. American Society for Information Science Handbook and Directory: 2005-2006.- Washington: ASIS, 2005.
3- Redmond, Angela Dierking. American Society for Information Science.-in.- Encyclopedia of Library and Information Science.- New York: Marcel Dekker, 1985.- Vol. 38.
4- Taylor, Robert S. and Harold Borko. American Society for Information Science.-in.-Encyclopedia of Library and Information Science.- New York: Marcel Dekker, 1968.- Vol. 1.

الجمعية الببليوجرافية الأمريكية

Bibliographical Society of America

أسست الجمعية الببليوجرافية الأمريكية سنة ١٩٠٤. ومن الغريب أنها خرجت من بطن الجمعية الببليوجرافية فى شيكاغو تلك التى كانت قد أسست سنة ١٨٩٩. وكما أشرت فى هذا المجلد يعزى الفضل فى إنشائها إلى أكسيل ج جوزيفسون الذى رأس اللجنة التى كونت الجمعية الببليوجرافية فى شيكاغو والتى عقدت مجموعة اجتماعات لتأسيس الجمعية فى ربيع سنة ١٨٩٩م وفى الاجتماع التأسيسى الذى عقد فى أكتوبر ١٨٩٩ عبر المجتمعون عن أملهم فى أن يؤدى قيام جمعية شيكاغو الببليوجرافية إلى إنشاء

جمعية وطنية للببليوجرافيا. وكان جوزيفسون فى سنته الرابعة رئيسا لقسم الفهارس فى مكتبة جون كريرار. وقد عمل سكرتير الجمعية شيكاغو الببليوجرافية من ١٨٩٩ حتى ١٩٠٣ ثم رئيسا لها من ١٩٠٣ حتى ١٩٠٤م ولمدة ثلاثين عاما كان عضوا فى مجلس الجمعية الببليوجرافية الأمريكية وكانت إسهاماته فى بحوث الجمعية ومؤتمراتها عديدة ومتنوعة.

وكان أول رئيس لجمعية شيكاغو الببليوجرافية هو تشارلز هـ. هيستنجز ١٨٩٩-١٩٠١م و الذى كان يعمل فى مكتبة جامعة شيكاغو ثم بعد ذلك فى مكتبة الكونجرس. وقد خلفه فى رئاسة جمعية شيكاغو كاميللو فون كلينز الأستاذ فى الكلية الألمانية بجامعة شيكاغو (١٩٠١-١٩٠٣) ثم جاء بعده أكسيل جوزيفسون ١٩٠٣-١٩٠٤. ومن هنا لعب جوزيفسون دورا قياديا فى إنشاء جمعية شيكاغو الببليوجرافية وإنشاء الجمعية الببليوجرافية الأمريكية وربط الجمعيتين بحيث تصبح جمعية شيكاغو فرعا من الجمعية الأم.

وكانت اللجنة التأسيسية للجمعية الببليوجرافية الأمريكية التى اعتمدت مع تعديلات طفيفة اللائحة التى اقترحتها جماعة شيكاغو تتألف من:-

١- جون طومسون.

٢- ويلبرفورس إياميس.

٣- ويليام كوليدج لين.

وكان جون طومسون هو مدير المكتبة الحرة فى فيلادلفيا وأحد الببليوجرافيين المعدودين فى أمريكا. وكان حصر وإحصاء كتب القرن الخامس عشر فى المكتبات الأمريكية والذى بدأته الجمعية مع قيامها مباشرة، من اقتراحه ومبادرته وتحت إشرافه لحين وفاته سنة ١٩١٦. وكان ويلبرفورس إياميس واحدا من الببلوجرافيين البارزين فى أمريكا والذين أثروا الجمعية بجهودهم. وقد توفر على تحرير "معجم سابين للكتب المتعلقة بأمريكا" منذ ١٨٨٥ وقد استمر العمل بعد ذلك تحت إشراف د. فيل (١٩٣٠-

١٩٣٦). أما ويليام لين فقد كان مدير مكتبة كلية هارفارد من ١٩٨٩ وحتى وفاته سنة ١٩٢٩ ورأس الجمعية الببليوجرافية الأمريكية فى السنوات الخمس الأولى لقيامها.

وبعد تأسيس هذه الجمعية، وضعت الإدارة فى يد مجلس الإدارة حسب نصوص اللائحة الذى تكون من: رئيس المجلس، نائبان للرئيس، سكرتير، أمين صندوق، أمين مكتبة، الرئيس السابق وأربعة مستشاريين. وفى سنة ١٩١٦م حدث تعديل طفيف فى اللائحة حيث استبدلت كلمة أمين مكتبة بكلمة محرر. وإن عدل عن ذلك سنة ١٩٢٧ حيث تم الرجوع إلى مصطلح أمين مكتبة وأقرته الجمعية العمومية سنة ١٩٢٨. وبعد عقد من الزمان حذفت كلمة أمين مكتبة من الدستور أى اللائحة. وليس من المستغرب أن تكون أمور الجمعية فى السنوات الأولى غير منتظمة وخاصة ما يتعلق بالمسائل الإجرائية الروتينية وعلى سبيل المثال كانت الانتخابات تتم فى عجلة وفى بعض الأحيان يتم تجاوز الانتخابات وتنسى وقوائم أعضاء مجلس الإدارة التى تظهر فى مجلدات مطبوعات الجمعية قد لا تكون دقيقة.

وعضوية هذه الجمعية مفتوحة لكل راغب مهتم بالأعمال الببليوجرافية سواء من الأفراد أو المؤسسات. وفى سنة ١٩٧٠ كانت العضوية قد بلغت ١٤٦٢ عضوا أما الآن فى مطلع القرن الواحد والعشرين فقد تجاوزت الـ ١٧٠٠ عضو بقليل. وقد تغير تكوين المجلس اليوم تغييرا طفيفا: الرئيس، نائب الرئيس، النائب الثانى للرئيس، السكرتير، مساعد السكرتير، أمين صندوق. إلى جانب عشرة أعضاء والرؤساء السابقين للجمعية. وتعقد الجمعية مؤتمرا سنويا فى مدينة نيويورك فى يوم الجمعة الأخير من شهر يناير.

وتقوم الجمعية الببليوجرافية الأمريكية كل سنة بتعيين وفدها الممثل لها فى المجلس الأمريكى للجمعيات العلمية وكذلك وفدها إلى اللجنة المشتركة للقائمة الموحدة للدوريات وأيضا فى شعبة المعلومات بالاتحاد الأمريكى لتقدم العلوم.

وفى الاجتماع السنوى للجمعية الببليوجرافية الأمريكية يتم بعد الإجراءات الروتينية إلقاء سلسلة من البحوث والأحاديث يصير نشرها فى "بحوث" الجمعية. وإلى جانب

الاجتماع السنوى فى نيويورك، تكون هناك اجتماعات غير منتظمة للجماعات الإقليمية فى الربيع والخريف عادة. وربما تأتى تلك الاجتماعات الإقليمية مواكبة لبعض الأنشطة ذات الصلة مثل مؤتمرات شعبة الكتب النادرة باتحاد مكتبات الكليات والبحث باتحاد المكتبات الأمريكية.

وقد حددت لائحة الجمعية الببليوجرافية الأمريكية لسنة ١٩٠٤م وفى اللوائح المعدلة حدد الهدف من الجمعية على أنه "تنمية البحث الببليوجرافى ونشر المطبوعات الببليوجرافية". وتذكر المصادر أن الجمعية فعلا عبر قرن من الزمان قد حققت هذين الهدفين تماما واكتسبت أهمية كبرى باعتبارها واحدة من أكبر الجمعيات الببليوجرافية فى العالم وقد قدمت خدمات جليلة وإسهامات لا تجحد لمجالات الببليوجرافيا الواسعة والبحث العلمى على إطلاقه.

والحقيقة أنه منذ قيام هذه الجمعية حتى اليوم وبعد مرور قرن على تأسيسها تبنت الجمعية مفهوم الببليوجرافيا بمعناه الواسع أى النظرية الخاصة. وتدور البحوث التى نشرت فى المجلد الأول من مطبوع الجمعية (الوقائع والبحوث) ١٩٠٤-١٩٠٧ تدور حول "الحاجة إلى الببليوجرافيات فى التاريخ الفكرى "و" إضافات إلى نظرية وتاريخ الببليوجرافيا النباتية" و"مواد فى مكتبة الكونجرس لدراسة التاريخ البحرى للولايات المتحدة" و"المؤرخون الأوربيون للأتراك فى القرنين السادس عشر والسابع عشر" و"فهرس عالمى للإنتاج الفكرى الجارى فى العلوم الاجتماعية" إلى جانب ببليوجرافيات فى موضوعات متخصصة مثل: الاقتصاد والتجارة وعلم الاجتماع وعلم السياسة والحكومات البلدية وحكومات المستعمرات والقانون الدولى.

ونفس هذا المجلد تناول دراسات ومقالات عديدة مثل:

- فكرة لطريقة تشريحية فى الببليوجرافيا.
- بيليوجرافيا الموسيقى الأمريكية.
- طبعة ١٥٤٦ من كتاب جارسدن: وردة الملائكة (باللاتينية).

- حاجتنا إلى ببليوجرافية بجرائد الحقبة الاستيطانية فى أمريكا.
- خطط لفهرس موحد بقوانين الفترة الاستيطانية فى أمريكا.

هذا إلى جانب التقارير التى ترد حول أوائل المطبوعات الموجودة على الأرض الأمريكية والمواد الباكرة التى تدول حول أمريكا.

وليس هنا مجال عرض كافة مجلدات بحوث تلك الجمعية لأنها تشغل قرنا بأكمله. ولابد من التنوية أيضا إلى أنه فضلا عن المطبوع الدورى هذا هناك مجموعة من المطبوعات المتفرقة وهى أيضا ذات طابع ببليوجرافي. إلى جانب قائمة المشتركين أى أعضاء الجمعية التى تصدرها من حين لآخر والمطبوع الدورى (بحوث) يصدر فصليا وينشر منه ١٥٠٠ نسخة فى كل عدد. وهناك رئيس تحرير ومساعد للرئيس ومحرر الأخبار والملاحظات ومحرر عروض الكتب إلى جانب هيئة المستشارين وعددهم ٢٢ شخصا.

المصدر

1- Edelstein. J.M. Bibliographical Society of America-. **In**.- Encyclopedia of library and Information Science.. New York: Marcel Dekker. 1969.- Vol. 2.

الجمعية الببليوجرافية البريطانية

Bibliographical Society (London)

شهد يوم السادس عشر من يولية سنة ١٨٩٢م مولد الجمعية الببليوجرافية (البريطانية) فى اجتماع عقد فى مقر الجمعية الطبية والجراحية واتحاد المكتبات (البريطانية) فى المبنى رقم ٢٠ ميدان هانوفر، وقد ظل هذا مقرها لأربعين سنة تالية. وكان رئيس هذا الاجتماع المبدئى التأسيسى هو ر. كوبلى كريستي. وقد تم اختيار لوضع لائحة الجمعية لجنة مكونه من:

١- اللورد تشارلز بروس.
٢- ر. كوبلى كريستي.
٣- و. أ. كوبنجر.
٤- ر. س. فابر.
٥- ريتشارد جارنيت.
٦- ج. ث. جيلكريست.
٧- سيدنى لي.
٨- ج. ي. ماك ألستر.
٩- ج. هـ. سلاتر.
١٠- هـ. ب. هويتلي.
١١- تشارلز ويلش.

وقد وضعت هذه اللجنة مسودة اللائحة، وقائمة بأعضاء المجلس والمراقبين وبرنامجا لأول مؤتمر عام للجمعية.

وقد سبق إنشاء هذه الجمعية عدد من المحاولات والإرهاصات فقد طالب و. أ. أكسون أمين مكتبة وصحفى بريطانى سنة ١٨٦٥ فى مجلة (ملاحظات وتساؤلات) بإنشاء جمعية للببليوجرافيين البريطانيين ولكن مر عشرون عاما على هذا النداء ولم يفكر أحد فى ذلك الأمر. وخلال المؤتمر السنوى لاتحاد المكتبات البريطانية فى سبتمبر ١٨٩١م الذى عقد فى نوتنجهام ألقى و.ا. كوبنجر رقم ٣ فى القائمة السابقة بحثا بعنوان (حول الحاجة إلى تكوين جمعية ببليوجرافية للمملكة المتحدة واقتراحات لتنفيذها). وقد أشار فى بحثه إلى الحاجة الماسة إلى ببليوجرافية كاملة بالإنتاج الفكرى الإنجليزى وكيف يتطلب الأمر تضافر جهود تعاونية لتنفيذ المشروع؛ وقد أشار كوبنجر إلى ذلك المشروع إلى أنه مجرد هدف واحد من أهداف الجمعية المقترحة. كما أشار إلى أن الجمعية يمكن أن تنشر صورا طبق الأصل لمطبوعات القرن الخامس عشر مما يساعد على تحقيق الأعمال المجهلة ويلقى ضوءا علميا على الطباعة فى تلك الفترة وتطورها.

وقد أسفر بحث كوبنجر كما رأينا عن تأسيس الجمعية فى ١٦ من يوليو ١٨٩٢م واجتماع عام فى أكتوبر من نفس السنة وانتخاب مجلس الإدارة وإقرار اللائحة (الدستور) وبرنامج العمل الذى وضعته اللجنة المشار إليها. وكان أعضاء مجلس الإدارة والمراقبون فى ذلك الانتخاب هم:

١- و. أ. كوبنجر	رئيس مجلس الإدارة
٢- إيرل كروفورد بالكاريس	نائب رئيس مجلس الإدارة
٣- اللورد تشارلز ب بروس	نائب رئيس مجلس الإدارة
٤- ر. كوبلى كريتس	مساعد رئيس مجلس الإدارة
٥- ريتشارد جارنيت	أمين الصندوق
٦- ألفرد هـ. هو	السكرتير
٧- تالبوت ب. ريد	العضو
٨- هـ. س. آشبي	العضو
٩- فردريك بوس	العضو
١٠- ف. س. إلليس	العضو
١١- ريجنالد فابر	العضو
١٢- جون ت. جلبرت	العضو
١٣- كلير هدسون	العضو
١٤- م. ي. ماك ألستر	العضو
١٥- تشارلز ر. رفنجتون	العضو
١٦- ج. هـ. سلاتر	العضو
١٧- هنرى ر. تيدر	العضو
١٨- تشارلز ويلش	العضو
١٩- هنرى ب. هويتلي	العضو
٢٠- س. ت. جاكوبي	مدقق حسابات
٢١- أرنولد جرين	مدقق حسابات

وباستعراض لائحة الجمعية نجد أن أهدافها تسير على النحو الآتي:

١- جمع مصادر المعلومات المتعلقة بمجالات الببليوجرافيا.

٢- تنمية وتشجيع البحوث والدراسات الببليوجرافية.

٣- طبع ونشر الأعمال المتعلقة بالببليوجرافيا.

وقد تضمن برنامج ١٨٩٢م المشار إليه بحوثا تلقى فى المؤتمر العام للجمعية حول مختلف جوانب وقضايا الببليوجرافيا الإنجليزية وطبع تلك البحوث فى مجلد يرسل إلى جميع أعضاء الجمعية إلى جانب مطبوع الجمعية الدورى (كل سنتين) والمعنون (وقائع الجمعية الببليوجرافية). وقد شكلت لجان دائمة نوعية هي:

- الكتب المطبوعة الباكرة.
- الإنتاج الفكرى الجاري.
- الإنتاج الفكرى العام.
- الببليوجرافيات المتخصصة.
- إنتاج ونشر الكتب.

وكان عدد أعضاء الجمعية حين الاجتماع الشهرى الأول فى الحادى والعشرين من نوفمبر سنة ١٨٩٢م قد بلغ ١٦٠ عضوا. وكان قد تقرر عدم فرض رسوم عضوية إلا بعد أن يكتمل عدد الأعضاء ٢٠٠ عضو وقد طالب الرئيس كوبنجر فى خطابه أمام الأعضاء فى ذلك الاجتماع برفع معايير الببليوجرافيا واعتبارها علما كسائر العلوم الطبيعية (البحتة). وقد تمت الموافقة على ذلك بإجماع الحاضرين ومن أعماق قلوبهم.

وفى الاجتماع الشهرى الثانى يوم الاثنين التاسع عشر من ديسمبر قرأ هـ. ب. هويتلى عضو مجلس الإدارة بحثا بعنوان "الوضع الراهن للببليوجرافيا الإنجليزية واقتراحات للمستقبل".

وفى سنة ١٩٨٤م أقفل باب العضوية وكانت المادة ٦ من اللائحة تنص على أن

العضوية المجانية تغلق بعد انضمام ٢٠٠ عضو وما بعد ذلك يدفع العضو جنيها واحدا. ولكن تم تعديل تلك المادة لتقرأ "يحق للمجلس بعد وصول عدد الأعضاء إلى ٢١٠ عضوا أن يغلق ملف الانضمام وبعد ذلك لن يقبل أعضاء جدد إلا عند خلو أماكن". ومع ذلك فقط أغلقت العضوية رسميا عند رقم ٣٠٠. ومع ذلك فإنه فى سنة ١٩١٣م اقترح سكرتير الجمعية أ. و.بولارد إعادة فتح باب العضوية للراغبين مستقبلا وفعلا تم فتح باب العضوية ولم يغلق بعد ذلك أبداً.

وفى سنة ١٩٢١م أصبح عدد الأعضاء ٤٥٠ عضوا من بينهم ٣٠٢ بريطانيين، ١٠٨ أمريكيين، ٢٠ جنسيات أخرى؛ إلى جانب خمسة أعضاء فخريين.

وقد رأى كوبنجر أن يتم التوسع فى العضوية بحيث تضم الجمعية مفكرين وأدباء من أمثال دبدن وبرادشو ولا تكون ناديا للطعام وأيضا لا تقتصر على الطبع والنشر.

ومنذ بداية الجمعية وهي تقوم على انتخاب المجلس والمراقبين. واليوم يتألف المجلس من ١٢ عضوا إلى جانب هيئة المجلس وهي: الرئيس، عدد من نواب الرئيس، السكرتير، أمين الصندوق، أمين المكتبة وكانت الجمعية تجتمع شهريا من نوفمبر حتى يونية وذلك عبر السنوات ١٨٩٢-١٩٠٠ حين تغيرت المواعيد لتصبح من أكتوبر حتى مارس باستثناء سنوات الحرب التى كانت فيها الاجتماعات ثلاث مرات فى السنة فقط.

وفى التاسع عشر من مارس ١٩٦٨م كانت الجمعية تحتفل بعيدها الماسى فى قاعات الأكاديمية البريطانية التى كانت تجتمع فيها منذ ١٩٢٩. كما احتفلت سنة ١٩٩٢ بالعيد البلاتينى المئوي. وفى احتفالات العيد الماسى قدمت مجموعة ثرية من البحوث من بينها:

- فريدسون باورز. تنقيح الفكر الببليوجرافي.
- والتر أوكيشوت. علاقة مخطوطة مكتبة فورجان ٦١٩ بكتاب ونشستر المقدس: بحث ببليوجرافى لغوي.

وكانت الجمعية تنشر مجلتها (وقائع الجمعية الببليوجرافية) كل عامين فى الفترة

١٨٩٣-١٩٢٠ و(النشـرة الإخبـاريـة) ١٨٩٤-١٩٢٠. واعتباراً من ١٩٢٠م توقف نشر المطبوعات وبدأت الجمعية فى نشر مطبوعها الدورى الجديد (المكتبة) فى ذلك العام وهذا المطبوع أسسه السيرجون ي. ماك ألستر سابق الذكر والذى كان وقتها سكرتير اتحاد المكتبات البريطانية، ولأنه بعد الحرب العالمية الأولى لم يعد قادراً على الإنفاق على تلك المجلة فقد تركها للجمعية الببليوجرافية. وفى سنة ١٩١٩م وافق مجلس الجمعية على إدماج (المكتبة) فى (الوقائع) على أن يتم النشر فصليا. وقد انتهت السلسلة الأولى من الوقائع عند المجلد ٢٥. وبدأت السلسلة الثانية المدمجة مع المكتبة (مع السلسلة الرابعة من مجلة المكتبة) ونشرت لأول مرة فى يونية ١٩٢٠. ويظهر كلا العنوانين على صفحة عنوان كل مجلد وذلك على النحو الآتي:

"وقـائـع الجمعـية الببليـوجـرافـية، السلسـلة الثـانيـة: المكتبـة، مجلـس فصلـية فى الببليوجرافيا" وقد نشر ١٥ ملحقا للمجلة بعنوان (ملاحق وقائع الجمعية الببليوجرافية) وذلك لنشر أعمال لا تتحملها المجلة الأم فى أعدادها الفصلية وذلك فى الفترة بين ١٩٢١ و١٩٣٩.

واعتباراً من ١٨٩٤م كانت الجمعية تنشر كتبا مختلفة إلى جانب المجلة وكان أول مطبوع لها من هذا النوع هو كتاب ج. ر. ريدجريف المعنون "إيرهارد راتدولت وعمله فى فينسيا" وقد استقبل هذا الكتاب استقبالا حسنا وبدأت به سلسلة الكتب المصورة التى تنشرها الجمعية ولم تأت سنة ١٩٠٠م إلا وكانت الجمعية قد نشرت سبعة كتب من هذا النوع وكلها طبعت فى مطبعة شيزويك برس. وكانت معظم الكتب المصورة التى نشرت تدور حول أوائل المطبوعات فى دول غير بريطانيا. ومع ذلك فإنه بعد ١٩٠١م بدأ الاهتمام بنشر كتب تتعلق بأوائل المطبوعات.

ومن الواضح من تاريخ وإنجازات تلك الجمعية أنها قد أسهمت إسهاما كبيرا فى دفع عجلة الدراسات الببليوجرافية وألقت ضوءا ساطعاً على جوانب مجهولة فى هذا العلم بل وأفرزت الجمعية من خلال ذلك عدداً من الببليوجرافيين العظماء نذكر منهم:

١- والتر ويلسون جريج.

٢- هنرى بلومر.

٣- ج. ر. ريد جريف.

٤- أ. و. بولارد.

٥- و. أ. كوبنجر.

٦- و. س. سميث.

٧- إيرفين ماسون.

٨- د. ف. فوكسون.

٩- ف. ب. ويليامز.

١٠- أ. د. ستيفنسون.

وغير هؤلاء كثيرون لا تتسع العجالة لذكرهم جميعا ممن أثرتهم الجمعية فأثروا البيليوجرافيا على إطلاقها والبيليوجرافيا البريطانية على وجه الخصوص. ولقد كانت الكتب الستة الأولى فى مجموعة الكتب المصورة تدور حول موضوعات أجنبية أو من تأليف مؤلفين أجانب. وكانت الكتابات النظرية وحتى تلك التى تتناول جوانب عملية تتناول موضوعات عامة تهم العالم كله وذات صبغة دولية ويمثل ذلك الاتجاه بأناقة شديدة:

- و. و. جريج. ما هى البيليوجرافيا.
- و. و. جريج. الوضع الراهن للبيليوجرافيا.
- و. و. جريج. البيليوجرافيا: دفاعا عنها.

هذه الكتابات وسعت مجال التعريف بالبيليوجرافيا وعززت مكانتها فى المجتمع من جهة ومن جهة ثانية وسعت الدراسات البيليوجرافية إلى حد غير مسبوق فى تاريخ البيليوجرافيا.

وقد أرخ هـ. توماس لجهود الجمعية وإضافاتها إلى الببليوجرافيا العالمية فى كتابه: إسهام الجمعية الببليوجرافية فى الببليوجرافيا الأجنبية".

وكان تأثير هذه الجمعية على الجهود الببليوجرافية فى الدول الأخرى لا ينكر حقيقة ففى الولايات المتحدة كان تأثيرها جليا فى نشر "فهرس العنوان المختصر بالكتب الإنجليزية ١٦٤١-١٧٠٠" كما قامت الجمعية الأسبانية الأمريكية أيضا بنشر قائمة بالكتب الأسبانية المطبوعة فى أمريكا قبل ١٦٠١م. وتم توسيع تلك القائمة حتى سنة ١٧٠٠م مع قائمة بمراكز الطباعة والطابعين الأسبان منذ ١٤٦٨ وحتى ١٧٠٠م. ويرى الخبراء أن مثل هذه الأعمال فى الدول الأجنبية ما كان لها أن تنشر لولا تأثير الجمعية الببليوجرافية الأسبانية.

المصادر:

1- The Bibliographical Society: 1892-1942: Studies in Retrospect.- London: The Society, 1945.

2- Roxas, Savina A. Bibliographical Society (London).- in.- Encyclopedia of Library and Information Science.-New York: Marcel Dekker, 1969.- Vol. 2.

الجمعية الببليوجرافية لجامعة فيرجينيا

Bibliographical Society of the University of Virginia

أسست الجمعية الببليوجرافية لجامعة فيرجينيا سنة ١٩٧٤م وذلك "لنشر الوعى والاهتمام بالكتب والمخطوطات والخرائط والطباعة والببليوجرافيا" على نحو ما جاء فى لائحة الجمعية (الدستور) الذى وافقت عليه الجمعية فى أول اجتماع لها فى ٢٦ من فبراير من تلك السنة. ويدير الجمعية مجلس إدارة ومراقبون. ومنذ اللحظات الأولى لقيام الجمعية بدأت تنفيذ برنامجها الطموح من مؤتمرات ومطبوعات.

وكان أول مطبوع يحمل بيان الجمعية هو المجلد الأول من مجلة (بحوث) التى تنشرها الجمعية والتى كان يتوفر على تحريرها الببليوجرافى الألمعى فريدسون باورز وقد نشر هذا المجلد فى نهاية سنة ١٩٤٨. وقد ظل فريدسون باورز يحرر هذه (البحوث) حتى سنة ١٩٦٣ وبعدها انضم إليه المحرر المشارك ليستر بورلين. وقد أكتسبت تلك الدوريات مكانة علمية سامقة على المستوى الدولى وجلبت لهذه الجمعية شهرة كبيرة. ومع المجلد الثانى تغير اسم الدورية إلى: "دراسات فى الببليوجرافيا". وبسبب الدراسات القيمة التى تنشر فى هذه الدورية السنوية ونفاد أعدادها اضطرت الجمعية إلى إعادة طبع المجلدات الخمسة عشر الأولى، مع زيادة الكمية المطبوعة من النسخ فى المجلدات السنوية بعد سنة ١٩٧٠.

وإلى جانب هذه الحولية (دراسات فى الببليوجرافيا) تصدر الجمعية مطبوعات أخرى غير دورية. وكانت تلك المطبوعات تصدر مرقونة ومصورة بسبب عدم توافر الإمكانات المادية ولكن مع توافر الإمكانات المالية فى منتصف الخمسينات أصبحت المطبوعات غير الدورية تصدر فى طباعة أنيقة.

وكان سكرتير الجمعية ـ أمين الصندوق جون كوك ويلى (توفى ١٩٦٨) هو الذى يشرف على المطبوعات غير الدورية ويحررها ويراجع تجاربها حتى ١٩٦٣ ثم بعد ذلك التاريخ اتخذت الترتيبات مع مطبعة جامعة فيرجينيا على أن تتولى الأمر كله. وإلى جانب ذلك تنشر الجمعية(التقارير الفنية) وهى عبارة عن دراسات وبحوث مبدئية أو بحوث عميقة التخصص لا تناسب النشر فى الدورية أو المطبوعات غير الدورية.

والعضوية فى هذه الجمعية تقع فى فئتين: عضو مساهم ويدفع اشتراكا قدره خمسون دولاراً سنويا حسب اللائحة المعمول بها من أول يناير ١٩٦٩؛ وعضو مشترك ويدفع طبقا لنفس اللائحة ١٠ دولارات فى السنة. وأعضاء الفئتين يتلقون بالمجان الدورية (دراسات فى الببليوجرافيا)؛ بينما يتلقى الأعضاء المساهمون أى الفئة الأولى كافة مطبوعات الجمعية الأخرى أى غير الدولية والتقارير الفنية بالمجان.

ويتألف ختم الجمعية من حرفين: الباء الثقيلة أول حروف بتسبرج والباء الخفيفة أول حروف محب الكتب بالانجليزية. وقد توفر على تصميم هذا الختم تيودور بومان المهندس المعارى والخطاط فى جامعة بتسبرج.

المصادر:

1- Cave, Roderick. Publishing and Bibliophile Societies. – **in**. – Encyclopedia of Library and Information Science.. Newyork: Marcel Dekker, 1978. – Vol. 25.

2- Pears, Thomas. III. Pittsburgh Bibliophiles.. **in** .. Encyclopedia of Library and information Science.- Newyork: Marcel Dekker, 1977. Vol. 22.

الجمعية المصرية للمكتبات والمعلومات

Egyptian Library and Information Association

تعتبر الجمعيات العلمية المهنية لسان حال المهنة فهى المنفذ الذى يجمع أصحاب هذه المهنة وهى القناة الشرعية التى تصل بينهم. ومهنة المكتبات والمعلومات عرف عنها أنها مهنة العمل الجماعى الذى يتطلب التكاتف والانسجام الدائم بين أصحاب هذه المهنة.

ولقد بدأت جمعيات المكتبات والمعلومات فى الظهور منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر ومنذ ذلك الوقت وهى فى ازدياد مطرد ولم يقتصر الأمر على مجرد جمعيات وطنية بل انشطرت الجمعيات الوطنية بمرور الوقت إلى جمعيات محلية داخل الوطن الواحد أو بدأت كجمعيات محلية ثم انخرطت بعد ذلك فى جمعيات وطنية. وتسعى تلك الجمعيات إلى الارتقاء بمهنة المكتبات والمعلومات قدر المستطاع وأصبحت بينها جميعا رغم اختلاف الجنسيات والمواقع والمشارب والأهداف صلة رحم أقوى فى بعض الأحيان من صلات الجنس والعرق والسياسة.

ولكى تؤدى تلك الجمعيات والاتحادات رسالتها فإنها تقوم بالعديد من الأنشطة ويعتبر النشاط العلمى مجرد محور واحد من محاور تلك الأنشطة إلى جانب الأنشطة الاجتماعية الترفيهية والمهنية ولقد اهتمت مصر بالجمعيات المهنية للمكتبات والمعلومات فى وقت مبكر نسبيًا عن باقى الدول العربية إذ تكونت أول جمعية مهنية للمكتبات فى مصر سنة ١٩٤٤ تحت اسم الجمعية المصرية للمكتبات ويمكن أن نرصد فيما يلى تاريخ هذه الجمعية تحت المسميات المختلفة التى حملتها:

- ١٩٤٤ الجمعية المصرية للمكتبات.
- ١٩٤٨ جمعية مكتبات القاهرة.
- ١٩٥٨ الجمعية المصرية لعلوم والمكتبات والأرشيف.
- ١٩٨٥ الجمعية المصرية للمكتبات والمعلومات.

وفى عام ١٩٧٧ أنشئت جمعية المكتبات المدرسية، ١٩٧٩ أنشئت الجمعية المصرية لتكنولوجيا المعلومات.

ولكن تظل الجمعية المصرية للمكتبات والمعلومات هى الجمعية الوطنية الوحيدة فى مصر؛ وحيث تم اشهارها من جديد اعتبارًا من ٢٢ مارس ١٩٨٦.

نشأة الجمعية المصرية للمكتبات والمعلومات

فى ١٢ فبراير عام ١٩٨٥ اجتمع فى القاهرة ٣٠ شخصية من المشتغلين بالمكتبات والمعلومات فى مصر وقاموا بإرساء قواعد الجمعية المصرية للمكتبات والمعلومات.

وفى ٢٢ مارس ١٩٨٦ تم اشهار هذه الجمعية من قبل وزارة الشئون الاجتماعية تحت رقم ٨٠٨ جيزة وتم انتخاب مجلس الإدارة برئاسة الأستاذ الدكتور السيد محمود الشنيطى "عميد المكتبيين العرب" وقد شهدت الجمعية فى بداية فترات ١٩٨٥ صحوة وقبوه حتى أوشكت أن يكون مصيرها كغيرها من الجمعيات حتى جاء عام ١٩٩٥ الذى يعتبر ميلادًا جديدًا للجمعية، فكما ذكر الأستاذ الدكتور شعبان خليفة رئيس مجلس الإدارة الحالى أن الجمعية تقلبت بها الأحوال بين الكبو والازدهار ولكنها ظلت ثابتة ولم تخرج من حيز الوجود إلى أن قيض الله لها فى منتصف التسعينيات من القرن العشرين

مجموعة من خيرة أبناء المهنة لم يألوا جهدا ولم يدخروا وسعا للنهوض بها، حتى غدت فى سنوات محدودة واحدة من أرقى وأعظم جمعيات المكتبات والمعلومات فى العالم.

وقد طفرت الجمعية بأعضائها طفرة كبيرة فتضاعف عدد الأعضاء بها كما أخذت على عاتقها أن تنشئ نقابة المكتبيين المصريين، وكان من شروط إشهار النقابة أن يصل عدد أعضاء الجمعية إلى ٥٠٠٠ عضو وبفضل جهود الجمعية فى نشر الوعى المكتبى فى مصر وزيادة عدد أقسام المكتبات والمعلومات فى الجامعات المصرية وصل عدد أعضاء الجمعية الآن إلى حوالى ٨٥٠٠ عضو وبذلك يكون شرط النقابة قد تحقق، وفعلا بدأ يأخذ خطواته الجادة فى إنشاء النقابة فذكرت السيدة سوسن الحناوى رئيس قطاع المعلومات بمجلس الشعب بأنه تم عرض مقترح بمشروع إنشاء نقابة مهن المعلومات والمكتبات فى الجلسة الرابعة والخمسين المنعقدة فى ٢٣ أبريل ٢٠٠١ وقد تقدم بالمشروع السيد العضو الدكتور حمدى محمد محمد دسوقى إلى لجنة الاقتراحات والشكاوى بالمجلس حيث شكلت لجنة لدراسة هذا المشروع واختير السيد العضو ناجى عبد المنعم إبراهيم مقررًا أصليًا والسيد العضو محمود رضا تركيا مقررا احتياطيًا. وقد تمت الموافقة على هذا المشروع وأحيل إلى لجنة مشتركة من لجنة القوى العاملة ومكاتب لجان الشئون الدستورية والتشريعية والثقافة والإعلام والسياحة والتعليم والبحث العلمى والخطة والموازنة. ووافقت هذه اللجان على المشروع. والمشروع الآن أدرج للمناقشة فى الدورة التالية لمجلس الشعب والتى ستبدأ فى نوفمبر القادم بإذن الله. وأمل كل المكتبيين ودعواتهم فى عرض المشروع على هذه الدورة والموافقة عليه بإذن الله من أجل غد أكثر إشراقا لأمناء المكتبات ولاخصائيى المعلومات فى مصر ومن أجل فاعلية أكثر للمكتبة ولمركز المعلومات فى مصر ذلك البلد الذى نبتت على أرضه أولى مواد الكتابة وأدواتها وعاش على أرضه أول أمين وأول أمينة للمكتبة فى التاريخ منذ الألف الرابعة قبل الميلاد.

والجمعية المصرية للمكتبات والمعلومات منذ إنشائها تحاول أن تكون اللسان الصادق الأمين لأصحاب هذه المهنة العريقة، وأصبحت الجمعية الآن أكبر تجمع مهنى وأكبر بيت

خبرة متخصص فى العمل المكتبى. وتقوم الجمعية بدور رائد فى خدمة العمل المكتبى حيث تقوم بخدمات رائعة فى التعليم الأكاديمى فى مجال المكتبات والمعلومات.

أهداف الجمعية

١ - توثيق الروابط بين العاملين فى مجال المكتبات والمعلومات.

٢- إيجاد روابط علمية مع جميع جمعيات المكتبات المناظرة فى الدول الأخرى.

٣- وضع المعايير للعمل فى هذا المجال بهدف تطوير الأداء فيه على مستوى الدولة.

٤- نشر البحوث والدراسات المتخصصة فى مجال المكتبات والمعلومات.

٥- عقد لقاءات علمية لمناقشة قضايا المكتبات والمعلومات.

٦- تدعيم الأواصر الثقافية والمهنية بين الأعضاء.

٧- تقديم الاستشارات العلمية فى مجال تخصص الجمعية.

٨- إصدار مجلة علمية متخصصة باسم الجمعية.

٩- عقد دورات تدريبية لأعضاء الجمعية والعاملين بالمكتبات ومراكز المعلومات.

١٠- النهوض بخدمات المكتبات والمعلومات.

١١- العمل على نشر الوعى المكتبى بين المصريين.

١٢- إقامة حفلات ورحلات علمية وثقافية لأعضاء الجمعية وأسرهم.

أهم الانجازات التى قامت بها الجمعية.

١- عقد مسابقة فى الإبداع فى علوم المعلومات والمكتبات لشباب المكتبيين فى مختلفة جوانب المجال ومنح جوائز مالية وشهادات تقدير من الجمعية للفائزين.

٢- تسجيل الجمعية ضمن الجمعيات العلمية بوزارة البحث العلمى وذلك لدعم النشاط العلمى والبحث فى مجال المكتبات والمعلومات.

٣- توقيع اتفاقية تعاون علمى بين الجمعية ومركز المعلومات السورى.

٤- عقد اتفاقيات تعاون بين الجمعية والمراكز والجمعيات المشابهة لها فى الدول العربية.

٥- انضمام الجمعية كعضو فى الاتحاد العربى للمكتبات والمعلومات.

٦- تخصيص موقع للجمعية على الإنترنت وهو
http//www.mans.eun.eg/libr/esila/arabic.htm

٧- إنشاء جماعة اهتمام news groups على الإنترنت للاشتراك على طريق البريد الإلكترونى للجمعية.

٨- إنشاء أكبر توزيع أوعية للمكتبات وكذا الأدوات المكتبية وكل ما تحتاج إليه المكتبات وهى الجمعية التعاونية للخدمات الاجتماعية لرعاية الطلاب والخريجين وهيئة التدريس جامعة القاهرة المشهرة برقم ٢١ جيزة.

٩- العمل على إنشاء أكبر مركز تدريبى لعلوم المكتبات والمعلومات فى مصر والوطن العربى.

هذا إلى جانب الخدمات والأنشطة التالية.

مجال المؤتمرات

تؤمن الجمعية أن المؤتمرات المهنية هى الفرصة التى يتجمع فيها أصحاب المهنة الواحدة ليتعارفوا ويتدارسوا ويختلفوا ويتفقوا... على كل ما يتعلق بالمهنة من خلال جلسات علمية وعرض تجارب واقعية ومناقشة تقارير أعمال وتجميع آراء... الخ.

لذا فقد حرصت الجمعية على أن تعقد مؤتمرا سنويا يكون بمثابة عيد قومى سنوى للمكتبين فعقدت:

١- المؤتمر القومى الأول لأخصائيى المكتبات والمعلومات فى مصر يونيه ١٩٩٧ وسعدنا بأن يكون هذا المؤتمر الأول من نوعه لتجمع المكتبيين المصريين تحت رعاية السيدة الفاضلة سوزان مبارك وكان شعاره (المكتبة قيمة مصرية).

٢- المؤتمر القومى الثانى لاخصائيى المكتبات والمعلومات فى مصر يونيه ١٩٩٨ وعقد بالقاهرة أيضا تحت شعار (المكتبة أداة للتنمية الشاملة) واحتفل بمرور ٥٠ سنة على إنشاء الجمعيات المكتبية فى مصر.

٣- المؤتمر القومى الثالث لأخصائيى المكتبات والمعلومات فى مصر يونيه ١٩٩٩ تحت شعار (نحو استراتيجية وطنية للمعلومات فى مصر) وعقد بالإسكندرية بالتعاون مع قسم المكتبات بجامعة الإسكندرية ومكتبة فى مصر.

٤- المؤتمر القومى الرابع لأخصائى المكتبات والمعلومات فى مصر يونيه ٢٠٠٠ تحت شعار (القراءة والمعلومات للجميع) وعقد بالمنوفية بالتعاون مع جامعة المنوفية واحتفل بمرور ١٠ سنوات على مهرجان القراءة للجميع.

٥- المؤتمر القومى الخامس لأخصائى المكتبات والمعلومات فى مصر إبريل ٢٠٠١ باستضافة كريمة من جامعة أسيوط تحت شعار (مصر القارئة العالمة فى وجداننا).

وفى يونية ٢٠٠٧ وصلنا إلى المؤتمر الحادى عشر.

المؤتمرات الخارجية.

حرصت الجمعية على تنظيم الوفود المشاركة فى مؤتمر الاتحاد العربى للمكتبات والمعلومات والذى يعقد سنويا فى دولة عربية مختلفة فبعد استضافة الجمعية لهذا المؤتمر بالقاهرة ١٩٩٧ وكان المؤتمر العربى الثامن للاتحاد، نظمت الجمعية وفد مصر المشارك فى المؤتمر العربى التاسع والعاشر فى كل من سوريا وتونس فى سنوات ١٩٩٨، ١٩٩٩ على التوالى كما ساهمت فى تجميع وفد مصر فى المؤتمر الحادى عشر والتى استضافته جامعة الدول العربية بالقاهرة أغسطس ٢٠٠٠، والجمعية نظمت كذلك وفد مصر الذى شارك فى المؤتمر ال ١٢ للاتحاد والذى عقد بإذن الله فى الفترة من ٥ – ٨ نوفمبر ٢٠٠١ بمدينة الشارقة بالإمارات العربية.

ويرجع حرص الجمعية على تنظيم الوفد المصرى لسببين رئيسين الأول: تسهيلا على أعضائها عمليات التسجيل للمؤتمر والحجز للطيران وتأشيرات الدخول للبلاد العربية... ومالى إلى ذلك. السبب الثانى: حتى تضمن الجمعية المستوى المكتبى الذى سيمثل المتخصص المصرى فى المحافل الدولية والعربية فيكون التمثيل مشرفا للمكتبى المصرى.

مجال التدريب.

إيمانا من الجمعية بأهمية العنصر البشرى والقوة العاملة بالمكتبات والمعلومات فقط

دخلت مجال التدريب للمؤهلين فى المكتبات وكذا للعاملين من غير المؤهلين فتعقد دورات تدريبية إما بناء على طلب الهيئة أو بناء على طلبات فردية لأعضاء الجمعية وقد شملت هذه الدورات كافة التخصصات المكتبية من فهرسة وتصنيف وتكشيف واستخلاص وخدمات وإدارة.. الخ كما شملت كذلك النظم المكتبية الحديثة المبنية على الحاسب الآلى من فهرسة آلية وتكشيف آلى وخدمات مكتبات ومعلومات آلية وإنترنت... الخ.

وقد قامت الجمعية بالتدريب للمصريين وكذا لبعض الوفود العربية والأجنبية وتسعى الجمعية فى الوقت الحالى للتوسع فى هذا المجال حتى تصبح من أكبر مراكز التدريب فى الشرق الأوسط فى مجال المكتبات والمعلومات.

المواسم الثقافية وحلقات البحث

تحرص الجمعية على الاشتراك فى المواسم الثقافية الرسمية للدولة مثل مهرجان القراءة للجميع وكذا مواسم ثقافية خاصة بها تبدأ فى أكتوبر من كل عام ولمدة حوالى ٩ شهور تنظم خلال هذه الفترة بالتعاون مع المكتبات الكبرى مثل دار الكتب ومكتبة مبارك العامة ومكتبة القاهرة الكبرى والمكتبات الأجنبية فى مصر،حلقات بحث ومناقشة حول موضوع يهم المكتبات أو العاملين بها أو حول كتاب صدر حديثا فى مجال المكتبات والمعلومات حيث يتم التحاور مع مؤلفه ومناقشته...أو ما شابه ذلك.

اللقاءات الترفيهية والاجتماعية

تحاول الجمعية تنظيم لقاءات ترفيهية اجتماعية لأعضائها فى مناسبات عامة أو خاصة فتنظم سنويا إفطارًا فى شهر رمضان، كما نظمت لقاءا أسريا احتفالا بحصول الدكتور شعبان خليفة على جائزة المؤسسة الأمريكية (صالون الشهرة العالمية لرواد التعليم) مارس ٢٠٠٠.

كما تحرص الجمعية أيضًا على تنظيم رحلات ترفيهية الكثير منها يكون مصاحبا لمؤتمرها السنوى مثل الرحلات التى صاحبت المؤتمر السنوى بالمنوفية حيث نظمت رحلة إلى منزل الرئيس الراحل أنور السادات ومتحف دنشواى والقناطر الخيرية.

وقامت الجمعية برحلة إلى مكتبة الإسكندرية فى السابع من الشهر ولذلك للتعرف على أحدث المشروعات المكتبية وأكبر صرح مكتبى ذات الطابع والاهتمام الوطنى والعالمى الذى يقام على أرض مصر.

مجال الاستشارات

لأن مهنتنا – المكتبات والمعلومات – من المهن النادرة وخاصة فى المجتمع المصرى والعربى، لذا فإن بعض الهيئات تحتاج إلى استشارات مكتبية ومعلوماتية لعدم وجود متخصصين بها، وهى فى سبيلها لذلك تلجأ إلى الجمعية الراعى الرسمى لمهنة المكتبات والمعلومات حيث تتلقى الاستشارة باطمئنان كامل سواء كانت هذه الاستشارات فى المجالات التقليدية كالفهرسة والتصنيف والتأثيث والمقتنيات... الخ أو كانت فى المجالات الحديثة كالنظام المتكاملة للمكتبات أو خدمات المكتبات المعتمدة على الحاسب الآلى... الخ.

المطبوعات

تولى الجمعية المطبوعات اهتماما خاصًا سواء فى مجال إصدار الأدلة وأدوار العمل الأساسية للمكتبات أو النشرات والكتب الدورية، حيث تمثل هذه المطبوعات منافذ نشر يجد فيها كل عنصر من أعضاء الجمعية وسيلته للإلتقاء بزملائه ومعرفة أخبارهم أولا بأول ومن أهم إصدارات الجمعية:

١- دليل المكتبات الأجنبية فى مصر Directory of International Libraries in Egypt حيث يجمع بيانات ٦٧ مكتبة أجنبية تقدم خدماتها فى مصر.

٢- دليل الكفايات العلمية للعاملين بمرافق المعلومات فى مصر: حيث يشمل بيانات ٢٣٨ خبيرا مصريا فى مجال المكتبات والمعلومات.

٣- مطبوعات المؤتمرات: جميع أعمال المؤتمرات التى نظمتها الجمعية أو شاركت فيها يتم إصدار الكتاب الذى يشمل نصوص الأبحاث والأوراق التى قدمت ونوقشت أثناء المؤتمر وكان اخر هذه الإصدارات الكتاب الذى يشمل أعمال المؤتمر السنوى الرابع للجمعية والذى عقد فى المنوفية، يونيه ٢٠٠٠ وهو متوافر حاليا بالجمعية.

٤- النشرات الاخبارية: سواء المصاحبة للمؤتمرات السنوية أو التى تصدر كل فترة زمنية دورية فصدرت (المكتبيون المصريون) مصاحبة للمؤتمر السنوى الأول والثانى وصدرت (الهدهد) مصاحبة للمؤتمر السنوى الرابع وكذلك (سا أوت) لتصاحب المؤتمر السنوى الخامس، فى أسيوط وحالياً تصدر نشرة إخبارية (ملتقى المكتبيين) والتى تشتمل على أحدث الأخبار فى مجال المكتبات والمعلومات.

٥- الكتاب الدورى (عالم الكتب والمعلومات والنشر) والذى يصدر مرتين سنويا بالتعاون مع دار الشروق.

المساهمة فى إيجاد فرص عمل للأعضاء

الكثير من الهيئات تلجأ إلى الجمعية لترشيح كفايات للعمل بها سواء كان هؤلاء الأفراد المطلوبين ممن لهم خبرة فى مجال معين أو نظام بعينه من نظام المكتبات والمعلومات أو كانت هذه الأفراد من حديثى التخرج، لذا فقد حرصت الجمعية على بناء قاعدتين للبيانات الأولى: خاصة بكل أعضاء الجمعية والثانية: خاصة بالكفايات العلمية فى المجال.

ويتم تحديث بيانات الأعضاء فى هذه القواعد من العضو الراغب فى تحديث بياناته بالجمعية حتى يتم للجمعية الوقوف على أحدث تعديلات لهؤلاء الأفراد فيتم الاستعانة بهم سواء فى مجال الاستشارات التى تقدمها الجمعية أو فى مجال الترشيح للوظائف لدى المؤسسات التى تطلب ذلك من الجمعية.

مكتبة الجمعية

يتم حاليا تطوير مكتبة الجمعية حتى تكون المكتبة الأولى لعلوم المكتبات والمعلومات فى مصر والشرق الأوسط وهى فى سبيلها لهذا تتلقى تبرعات مالية أو عينية من الزملاء والهيئات والناشرين وخاصة الذين لهم إسهامات فى هذا المجال حتى يتم افتتاحها بشكل يليق بجمعية جميع أعضائها من المكتبين وحتى لا يصدق المثل الشعبى القائم (باب النجار مخلع).

حالة العضوية

تتزايد حالة العضوية بحمد الله وتوفيقه وقد بلغ عدد أعضاء الجمعية حوالى ٨٥٠٠ عضوا ولكن للأسف لم يحرص هؤلاء الأعضاء على تسديد الاشتراكات المتأخرة عليهم.

وينقسم الأعضاء إلى:

العضو العامل: وهو العضو الذى اشترك فى تأسيس الجمعية منذ إنشائها أو تقدم بطلب التحاق وقبل مجلس الإدارة عضويته وله الحق فى حضور الجمعية العمومية وحق الترشيح لعضوية مجلس الإدارة.

العضو المنتسب: وهو العضو الذى لا تتوافر فيه شروط العضوية الكاملة وهو يتمتع بنشاط الجمعية وليس له الحق فى حضور الجمعية العمومية أو الترشيح لعضوية الجمعية.

العضو الفخرى: هو العضو الذى يقدم خدمات جليلة للجمعية سواء أكانت مادية ومعنوية وليس له حق حضور الجمعية العمومية والترشيح لعضوية اشتراك هيئة.

الشعب الفرعية للجمعية: فى جامعة الإسكندرية، المنوفية، قناة السويس، المنصورة، أسيوط، جنوب الوادى، طنطا، بنها.

مجلس إدارة الجمعية.

تأليف من ١٥ عضوا. رئيس مجلس الإدارة أ. د. شعبان عبد العزيز خليفة، نائب رئيس مجلس. الإدارة أ. د. عايدة نصير، أمين الصندوق أ. د. حسناء محمود محجوب.

وقد وضع رئيس مجلس إدارة الجمعية قسمًا للمكتبيين المصريين يعتبر القانون الأخلاقى للمهنة ويقسمة المكتبون والخريجون فى تجمعاتهم ويسير نصه على النمو الآتى:

قسم تحوت

أقسم بالله العلى العظيم

ووفاء لتحوت وحتحور

أن أضع قلبى وراء الكتب والمعلومات،

وأن أضع إمكانياتى كلها لتحقيق التنمية

الوطنية الشاملة والبشرية العامة،

وتحقيق السلم والتفاهم بين طوائف البشر،

وألا أفرق فى الخدمة بين المستفيدين،

وأن أحافظ على أسرار العلماء والباحثين،

وأن أناهض الإرهاب الفكرى من جانب

الدولة أو الأفراد على السواء

والله على ما أقول شهيد

* * *

وقد سعت الجمعية إلى تكوين نقابة للمكتبيين المصريين وقد وافق عليها مجلس الشعب من حيث المبدأ ومرفق هنا للتاريخ والتأريخ والتوثيق نص مضبطة الجلسة الرابعة والخمسين (٢٢ من مايو سنة ٢٠٠١م) بخصوص هذه النقابة.

الجريدة الرسمية

جريدة رسمية لجمهورية مصر العربية (قسم مجلس الشعب)

اقتراح بمشروع قانون مقدم من السيد العضو الدكتور حمدى محمد محمد دسوقى، بشأن إنشاء نقابة مهن المعلومات والمكتبات.

أشير إلى الكتاب الآتى:

"الأستاذ الدكتور رئيس مجلس الشعب

تحية طيبة، وبعد فأتشرف بأن أقدم لسيادتكم، مع هذا، تقرير لجنة الاقتراحات والشكاوى، عن اقتراح بمشروع قانون مقدم من السيد العضو الدكتور حمدى محمد محمد دسوقى، بشأن إنشاء نقابة مهن المعلومات والمكتبات، رجاء التفضل بعرضه على المجلس الموقر.

وقد اختار مكتب اللجنة السيد ناجى عبد المنعم إبراهيم مقرراً أصلياً، والسيد العضو محمود رضا تركيا مقرراً احتياطياً، لها فيه أمام المجلس.

رئيس اللجنة

محمد محمد جولي"

٢٠٠١/٣/١١

رئيس المجلس:

وزع التقرير على حضراتكم، فهل لأحد ملاحظات عليه؟.

(لم تبد ملاحظات)

إذن، الموافق على ما انتهى إليه رأى اللجنة يتفضل برفع يده.

(موافقة)

ملحق ٥

تقرير لجنة الاقتراحات والشكاوى عن اقتراح بمشروع قانون مقدم من السيد العضو حمدى محمد حمد دسوقى، بشأن إنشاء نقابة مهن المعلومات والمكتبات.

أحال الأستاذ الدكتور رئيس المجلس، فى ١٠ من فبراير سنة ٢٠٠١، إلى اللجنة، اقتراحا بمشروع قانون مقدماً من السيد العضو حمدى محمد حمد دسوقى، بشأن إنشاء نقابة مهن المعلومات والمكتبات.

عقدت اللجنة اجتماعا لنظره فى ١١ من مارس سنة ٢٠٠١ حضره السادة أعضاء اللجنة والسيد العضو مقدم الاقتراح، كما حضر عن الحكومة السيدان:-

ـ الدكتور حامد الديب، رئيس الإدارة المركزية للخدمات التربوية بوزارة التربية والتعليم.

ـ محمد مكاوى، مدير عام المكتبات بوزارة التربية والتعليم.

نظرت اللجنة الاقتراح بمشروع قانون ومذكرته الإيضاحية، واستعادت نظر الدستور واللائحة الداخلية للمجلس واستمعت إلى وجهة نظر السيد العضو مقدم الاقتراح ورد السادة مندوبى الحكومة، فتبين لها:ـ

أولاً: ـ يهدف الاقتراح بمشروع قانون إلى:ـ

إنشاء نقابة لمهن المعلومات والمكتبات تباشر نشاطها فى إطار السياسة العامة للدولة وتنمية رصيدها من المعارف، والخبرات وأساليب العمل المتصلة اتصالا وثيقا باحتياجات المشتغلين بمهن المعلومات والمكتبات والعمل على حل المشاكل التى تواجه المهنة وأعضاءها.

وقد جاء الاقتراح بمشروع قانون فى سبعة أبواب على النحو التالى:ـ

الباب الأول:ـ

المادتان (١) و(٢) تتناول إنشاء النقابة وأهدافها وأن تكون لها الشخصية الاعتبارية ومقرها القاهرة وفروعها على مستوى المحافظات وتقديم المساعدات لأعضائها وأسرهم وصرف معاشات لهم بعد خروجهم إلى المعاش أو فى حالة العجز أو الوفاة.

الباب الثانى:ـ

المواد من (٣) إلى (٧) تناولت شروط العضوية والقيد فى جداول النقابة طبقاً للجدول المرفق بالاقتراح.

الباب الثالث:ـ

المواد من (٨) إلى (١١) تناولت واجبات الأعضاء ورسم القيد والاشتراك السنوى.

الباب الرابع:ـ

المواد من (١٢) إلى (٢١) تناولت صندوق المعاشات والإعانات الخاص بالسادة

أعضاء النقابة وكذلك تشكيل مجلس النقابة طبقا لأحكام اللائحة الداخلية كما تضمن الموارد المالية للنقابة وما يصرف من الصندوق للأعضاء أو الورثة.

الباب الخامس:-

المواد من (٢٢) إلى (٢٧) تناولت إدارة النقابة من خلال الجمعية العمومية ومجلس النقابة وتشكيل كل منها واختصاصاتها والنظام المالى للنقابة وإداراتها والميزانية العامة التى تحدد فى الحساب الختامى للسنة المالية المنتهية والإشراف عليها وإخضاعها لرقابة الجهاز المركزى للمحاسبات.

الباب السادس:

المواد من (٢٨) إلى (٤٢) تناولت التأديب للأعضاء الذى يخالفون أحكام هذا القانون أو اللائحة الداخلية للنقابة أو يرتكبون أموراً مخلة بواجبات المهنة أو ماسة بكرامتها، وكذلك العقوبات التأديبية المقررة وتشكيل لجنة التحقيق كما تضمن أيضا أن من حق العضو الذى يتم تقديمه للتأديب المعارضة وإعادة قيد اسمه فى الجداول بعد مضى سنتين على الأقل إذا رأى مجلس النقابة أن المدة التى مضت على إسقاط العضوية كانت كافية لإصلاح شأنه وإزالة أثر ما وقع منه.

الباب السابع:-

المواد من (٤٣) إلى (٤٩) تضمنت أحكاماً عامة ومنها تشكيل مجلس نقابة مؤقت لإدارة النقابة، ونشر قرارات الجمعية العمومية ومجالس إدارات النقابات الفرعية بمجلس النقابة وقيد أعضاء النقابة خلال سنة من تاريخ العمل بهذا القانون طبقا للشروط المنصوص عليها فى هذا القانون، كما تضمن أيضاً لمجلس النقابة أن يقرر تفرغ عدد من أعضائه لا يقل عن ثلاثة من بينهم الأمين العام ندبا من الحكومة أو الهيئات أو الشركات وذلك لمدة أربع سنوات على الأكثر بعد موافقة الجهات التى يعمل فيها المطلوب تفرغهم كما يجوز أن يقرر التفرغ لأمناء سر النقابات الفرعية للمحافظات وتتحمل النقابة مرتبات الأعضاء المتفرغين، كما تضمن أنه من حق الوزير المختص أن يصدر اللائحة الداخلية للنقابة بعد اقتراحها من مجلس النقابة والتصديق عليها من

الجمعية العمومية، كما يصدر قراراً أيضاً بإنشاء مكتب مؤقت يضم أعضاء من خريجي دراسات المكتبات والوثائق والمعلومات بالجامعات والجمعية المصرية لأخصائى المكتبات والمعلومات فى وضع اللائحة الداخلية للنقابة للتصديق عليها فى أول اجتماع تدعى إليه الجمعية العمومية ولتسجيل أعضاء النقابة وتوزيعهم على جداولها على أن تحدد مدة المكتب بسنة من تاريخ صدور هذا القانون كما تضمنت المادة الأخيرة فى هذا الباب نشر هذا القانون فى الجريدة الرسمية والعمل به اعتباراً من تاريخ نشره.

ثانياً: أوضح الدكتور رئيس الإدارة المركزية للخدمات التربوية بوزارة التربية والتعليم:

أن الوزارة ليس لديها مانع، حيث أن إنشاء هذه النقابة لها أهمية وفوائد لجميع العاملين فى هذا المجال.

ثالثا: أوضح السيد مدير عام المكتبات بوزارة التربية والتعليم:

أننا نوافق على هذا الاقتراح بمشروع القانون باعتباره خطوة بناءة لتنمية المهنة والقائمين عليها حيث يبلغ عدد العاملين بحقل المكتبات فى وزارتى التربية والتعليم والتعليم العالى والبحث العلمى حوالى ٧ آلاف عامل بالإضافة إلى العاملين فى المكتبات بالجهات الأخرى.

رابعاً: أوضحت السيدة رئيس الإدارة المركزية لموازنة الإيرادات بوزارة المالية:

أن الوزارة ليس لديها مانع لإنشاء النقابة وعندما يتم ذلك لابد من إخطار الوزارة لتحديد مبلغ الإعانة اللازمة للنقابة والواردة فى مشروع القانون المقترح.

خامساً: أوضح السيد العضو مقدم الاقتراح:-

أن زيادة أعداد العاملين بالمكتبات تضاعف إلى عشرات الآلاف فقد بدأت الحاجة الملحة إلى إنشاء نقابة لهم مثل جميع المهن الأخرى تقوم بدور فى تنظيم أمور العاملين بها من رعاية صحية واجتماعية إلى جانب الارتفاع بدخولهم بتنظيم صرف معاشات لهم من النقابة وإنشاء صندوق نهاية الخدمة وغيرها من الأعمال التى تقوم بها النقابات لخدمة أعضائها فضلا عن الارتفاع بالمستوى العلمى والكفاءة المهنية للأعضاء عن طريق تنظيم

برامج للتدريب وإصدار الكتب والدوريات والبحوث وعقد حلقات مناقشة لكل جديد ومستحدث فى مجال المعلومات والتكنولوجيا التى أصبحت تطلق على العصر الحديث وبالتالى يصبح إنشاء نقابة للعاملين فى مجال المعلومات والمكتبات أمراً ضرورياً وحتمياً لخدمتهم ورعايتهم أسوة بالمهن الأخرى.

ترى اللجنة أن الاقتراح بمشروع قانون مقبولا شكلا، وتوصى المجلس الموقر بإحالته إلى لجنة مشتركة من لجنة القوى العاملة ومكاتب لجان الشئون الدستورية والتشريعية، الثقافة والإعلام والسياحة، التعليم والبحث العلمى والخطة والموازنة.

واللجنة إذ تقدم تقريرها إلى المجلس الموقر، ترجو الموافقة على ما انتهت إليه.

رئيس اللجنة

محمد محمد جويلى

اقتراح بمشروع قانون مقدم من السيد العضو حمدى حمد دسوقى بإنشاء نقابة مهن المعلومات والمكتبات

إنشاء النقابة وأهدافها

مادة (١):

تنشأ نقابة للمهن المكتبية والمعلوماتية تكون لها الشخصية الاعتبارية وتباشر نشاطها فى إطار السياسة العامة للدولة ويكون مقرها القاهرة ولها فروع على مستوى المحافظات.

مادة (٢):

تستهدف النقابة تحقيق الأهداف التالية:ـ

- تنمية رصيد من المعارف والخبرات وأساليب العمل المتصلة اتصالا وثيق باحتياجات المهنة.
- توفير فرص التدريب المهنى المعترف به والمرتبط عادة معاهد التعليم العالى مع وضع برامج التأهيل والتدريب الموجهة لكل تخصص من تخصصات المعلومات على حده.
- التنسيق مع اتحاد أو جمعية للعمل على تنمية المهنة ووضع الضوابط الخاصة بها.

ـ العمل على نشر الاعتراف الجماهيرى بالطابع المهنى للنشاط المكتبى.

ـ تنظيم المؤتمرات واللقاءات والحلقات الدراسية والدورات التدريبية للعاملين فى المجال.

ـ تقديم الاستشارات والمشورة الفنية والمهنية فى المجال كخدمة من الخدمات الحديثة والدقيقة للأعضاء وغير الأعضاء.

ـ دعم وتشجيع الدراسات الداعية لما يطرأ على المهنة من تغيرات مع وضع معايير موحدة بالتعاون مع الهيئات الأخرى وكان إقرار هذه المعايير والالتزام بها.

ـ مسئولية القيادة فى اجتذاب واستقطاب العاملين الجدد.

ـ التعرف بالاستراتيجيات الجديدة والمواقف السائدة للنقابة من مختلف القضايا المطروحة فى المجتمع بما فيها المهنة.

ـ المطالبة برفع مرتبات المهنيين العاملين فى مجال المكتبات والوقوف والتصدى فى وجه التشريعات والتنظيمات الحكومية الغير مرغوب فيها.

ـ التعرف بالمشكلات التى تواجه المهنة وأعضاءها عند مناقشة الاستراتيجية وصياغتها مع اتخاذ الخطوات الإيجابية للارتفاع بمستوى المهنة.

ـ تحقيق الأهداف المتعلقة بالمكتبات ووحدات المعلومات على أن تبدأ بالتعرف على أهداف البيئة والمجتمع الذى تقوم على خدمته.

ـ عدم تعارض السياسة العامة للنقابة مع سياسة الدولة وقوانينها.

ـ اتفاق التشريعات الخاصة بالمكتبات ومسايرتها للتشريعات والقوانين الرسمية والعامة التى تنظم أوضاع العاملين بالدولة.

ـ تقديم الخدمات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والترويحية للأعضاء وهى :ـ

١ – تقديم المساعدات للأعضاء وأسرهم عند الحاجة.

٢ – تنظيم معاش الشيخوخة والعجز والوفاة.

الباب الثانى

شروط العضوية والقيد فى جداول النقابة

مادة (٣)

يشترط فيمن يكون عضوا فى النقابة ما يأتى:ـ

(أ) أن يكون حاصلاً على المؤهل الدراسى الجامعى (ليسانس مكتبات من إحدى الجامعات المصرية أو ما يعادلها أو دبلوم مكتبات وتوثيق أو الحصول على درجة الماجستير المصرية أو العربية أو الأمريكية أو الأوروبية أو درجة الدكتوراه.

(ب) أن يكون من رعايا جمهورية مصر العربية.

(ج) أن يكون محمود السيرة حسن السمعة وألا يكون قد صدرت ضده أحكام جنائية مخلة بالشرف.

(د) الحاصلين على مؤهلات عليا ويعملون بالمكتبات من كافة التخصصات.

(هـ) الحاصلين على المؤهلات المتوسطة الذين تنطبق عليهم شروط العضوية فى شعبة المهن المكتبية المساعدة وفق ما تبينه اللائحة الداخلية.

مادة (٤)

تنشأ بالنقابة الجداول الآتية:

جدول المجموعات المهنية ـ جدول المجموعات المساندة ـ جدول المجموعات الكتابية:

جدول المجموعة المهنية

١ – أمناء المكتبات.

٢– مديرو مراكز التوثيق والمعلومات.

٣– المؤهلون جامعيا لأداء الوظائف المهنية فى المكتبات.

٤- المفهرسون.

٥- المصنفون.

٦- أخصائيو المراجع والإرشاد فى مراكز التوثيق والمعلومات وهم:

محلل النظم ـ مخطط برامج ـ محلل بيانات ومعلومات ـ واضعى قواعد البيانات وأخصائى معلومات.

جدول المجموعات المساندة

١- الحاصلون على مؤهلات متوسطة وفوق المتوسط.

٢- مساعدو أمناء المكتبات الذين يكلفون بمهام تتعلق بالآتى:

البحث فى الفهارس ـ ترفيف الكتب ـ التجليد ـ التصوير ـ مشغلى الأجهزة ـ مدخلى البيانات كما فى مراكز التوثيق والمعلومات.

جدول المجموعات الكتابية

تشمل العاملين الذين يقومون بالأعمال الآتية:

النسخ ـ السكرتارية من حملة المؤهلات المتوسطة.

لجنة القيد بالنقابة

مادة (٥):ـ

ـ تشكل لجنة للقيد بجداول النقابة برئاسة.. وعلى اللجنة أن تصدر قراراها فى طلب القيد فى خلال... من تاريخ التقديم للعضوية.

ـ فى حالة الرفض يجب أن يكون قرارها مسببا.

ـ يخطر الطالب بقرار اللجنة خلال أسبوعين من صدوره، وذلك بخطاب مسجل مع علم الوصول وتقوم مقام الإخطار تسليم الطالب صورة من القرار بإيصال موقع عليه منه.

- من حق من رفض قيده فى النقابة أن يتظلم لمجلس النقابة خلال.... من تاريخ إخطاره بالقرار.

مادة (٦):-

عضوية النقابة إجبارية لمن يتوافر فيهم الشروط الواردة فى الفقرة (١) واختيارية بالنسبة للفئة (٢)، (٣) بشرط أن يكونوا مشتغلين فى أحد ميادين العمل.

تحديد المدة بخمس سنوات لمن يعمل فى المكتبات وحاصل على مؤهل عالى.

مادة (٧):-

فى حالة فقد العضو الفئة الأولى والثانية أو الثالثة شرطا من شروط القيد تقر النقابة شطب قيده وتسرى فى شأن القرار قواعد التظلم وإعادة القيد الواردة فى هذا القرار.

الباب الثالث

واجبات الأعضاء

مادة (٨):-

على العضو أن يحافظ على تقاليد المهنة ومقتضيات طبيعتها وأن يحلف أمام هيئة تشكل من ثلاثة أعضاء يختارهم المجلس اليمين التالية:

"أقسم بالله العظيم أن أؤدى أعمال مهنتى بالأمانة والشرف وأن أحافظ على كرامتها وأنفذ قوانينها وأن أحترم تقاليد المهنة وآدابها".

مادة (٩):-

لا يجوز لعضو النقابة أن يقوم بأى عمل يتنافى مع قوانين المهنة.

مادة (١٠):-

على كل عضو أن ينفذ قرارات مجلس النقابة والجمعية التأديبية والا تعرض للمحاكمة التأديبية.

مادة (١١):-

على كل عضو مشتغل بالمهنة أن يؤدى رسم قيد للنقابة قدره.. عند الالتحاق بالنقابة

واشتراك سنويا قدره... وتلتزم جهة العمل بناء على طلب من النقابة بسداد رسم القيد والاشتراك للنقابة خصما من مستحقات الأعضاء العاملين بهذه الجهات.

الباب الرابع

صندوق المعاشات والإعانات

مادة (١٢):ـ

ينشأ صندوق للمعاشات والإعانات خاص بالسادة أعضاء النقابة تحت إشراف مجلس النقابة طبقا لأحكام اللائحة الداخلية.

مادة (١٣):ـ

تجتمع لجنة الصندوق.....

الموارد المالية

مادة (١٤):ـ

تتكون إيرادات النقابة مما يلى:ـ

١ – رسم القيد فى جداول النقابة.

٢ – الاشتراكات السنوية للأعضاء وفوائد الاشتراكات المتأخرة.

٣– تودع أموالها فى البنك الذى يختاره مجلس النقابة تحت حساب رقم..........

٤ – عائد استثمار أموال النقابة.

٥ – الإعانات التى تمنحها الدولة للصندوق.

٦ – الهبات والوصايا التى تقرر لصالح الصندوق والتى يوافق مجلس النقابة على قبولها.

٧– استثمار أموال الصندوق فى:ـ

(أ) عمل معارض للسلع المعمرة لأعضاء النقابة.

(ب) أى موارد أخرى يقررها مجلس النقابة.

(ج) عمل حفلات سنوية يعود دخلها على النقابة.

مادة (١٥):ـ

يصرف من الصندوق معاشات وإعانات وأدوية لأعضاء النقابة والورثة وتصرف بحد أدنى...

مادة (١٦):ـ

يتحدد مقدار المعاش الشهرى المقرر لعضو النقابة طبقا للقواعد التى تنظمها لجنة صندوق المعاشات ويقرها مجلس النقابة.

مادة (١٧):ـ

للنقابة الحق فى إنشاء صندوق تأمين خاص بالنقابة.

مادة (١٨):ـ

يتولى مجلس النقابة إدارة أموالها وتحصيلها وحفظها ويقوم بإقرار وصرف النفقات التى تستلزمها إدارة النقابة فى حدود الاعتمادات المقررة فى الميزانية.

مادة (١٩):ـ

تودع أموال النقابة فى حساب خاص بأحد البنوك العامة يختاره مجلس النقابة ذلك فى أول جلسة انعقاد كما يحدد من لهم حق التوقيع والصرف والمراجعة.

مادة (٢٠):ـ

إذا توفى عضو قبل أو بعد استحقاقه للمعاش المقرر بمقتضى هذا القانون يؤول المعاش للمستحق من الورثة طبقاً للأنصبة الشرعية.

مادة (٢١):ـ

يكون صرف المعاشات والإعانات والقروض من الصندوق الخاص (بالمعاشات) والإعانات وفقا لميزانية سنوية للصندوق تعتمدها الجمعية العمومية وفقا للقواعد التى تحددها لائحة الصندوق.

الباب الخامس فى إدارة النقابة

الفصل الأول - الجمعية العمومية ومجلس النقابة

أولاً: الجمعية العمومية

مادة (٢٢):-

تؤلف الجمعية العمومية من الأعضاء المقيدين فى الجداول الذين سددوا الاشتراكات المستحقة عليهم حتى آخر السنة المالية المنتهية وتعقد الجمعية العمومية للنقابة اجتماعها العادى فى يوم   من شهر   من كل سنة.

ويجوز دعوة الجمعية العمومية إلى اجتماع غير عادى كلما رأى مجلس النقابة ضرورة لعقدها وتعقد اجتماعات الجمعية العمومية فى المقر الرئيسى للنقابة.

مادة (٢٣):-

تختص الجمعية العمومية بما يأتى:-

(١) النظر فى تقرير مجلس النقابة عن أعمال السنة المنتهية واعتماده.

(٢) اعتماد الحساب الختامى للسنة المالية المنتهية.

(٣) إقرار مشروع اللائحة الداخلية للنقابة وفروعها.

(٤) وضع نظام للمعاشات والإعانات.

(٥) تصدر قرارات الجمعية العمومية بالأغلبية المطلقة للأعضاء والحاضرين.

ثانيا: مجلس النقابة

مادة (٢٤):-

يشكل مجلس النقابة من النقيب رئيسا ويشترط فيمن يرشح لمنصب النقيب أو عضوية مجلس النقابة أن يكون.........

مادة (٢٥):-

الانتخاب إجبارى ولا يجوز التخلف عنه بغير عذر يقبله مجلس النقابة وإلا وقعت على العضو المتخلف غرامه قدرها..........

مادة (٢٦):ـ

مدة العضوية بمجلس النقابة كل ٤ سنوات باستثناء المجلس الأول من المدة.

مادة (٢٧):ـ

يختص مجلس النقابة بما يأتي:ـ

(١) العمل على تحقيق أغراض النقابة.

(٢) إعداد تقرير سنوى عن نشاط النقابة.

(٣) إعداد الحساب الختامى للسنة المالية المنتهية ومشروع الميزانية الجديدة.

(٤) إدارة أموال النقابة والإشراف على نظام حساباتها وتحصيل رسوم القيد والاشتراكات المستحقة على الأعضاء.

(٥) تنظيم الرعاية الاجتماعية والعملية للأعضاء وأسرهم.

(٦) قبول الهبات والتبرعات والإعانات.

(٧) ترتيب لقاءات دورية بين المجلس وبين المجالس النقابية.

(٨) يختص مجلس النقابة بتسوية المنازعات المهنية.

(٩) يجتمع مجلس النقابة............ كل شهر.

الباب السادس

التأديب

مادة (٢٨):ـ

يحاكم أمام الهيئة التأديبية للنقابة الأعضاء الذين يخالفون أحكام هذا القانون أو اللائحة الداخلية للنقابة أو يرتكبون أمورا مخلة بواجبات المهنة أو ماسة بكرامتها.

مادة (٢٩):ـ

العقوبات التأديبية هى:ـ

(أ) التنبيه.

(ب) الإنذار.

(ج) الغرامة.

(د) شطب الاسم من جدول النقابة.

هذا مع عدم الإخلال بإقامة الدعوى العمومية أو التأديبية إن كان لها محل.

مادة (٣٠):ـ

تقوم بالتحقيق لجنة تشكيل من:ـ

مادة (٣١):ـ

ترفع الدعوى أمام هيئة التأديب بناء على قرار مجلس إدارة النقابة، ويتولى أعضاء لجنة التحقيق الاتهام أمام الهيئة.

مادة (٣٢):ـ

يعلن العضو المقدم للتأديب بالحضور أمام الهيئة التأديبية بخطاب موصى عليه مصحوب بعلم الوصول قبل تاريخ الجلسة بخمسة عشر يوما على الأقل.

ويبين فى هذا الخطاب موعد انعقاد الهيئة ومكانه وموضوع الاتهام المنسوب إليه.

مادة (٣٣):ـ

للعضو المقدم للتأديب أن يحضر بنفسه أو يوكل من يشأ من أعضاء النقابة أو من المحامين للدفاع عنه ولهيئة التأديب أن تأمر بحضور العضو شخصياً أمامها.

مادة (٣٤):ـ

لكل من العضو المقدم للتأديب ولجنة التحقيق وهيئة التأديب أن يكفل بالحضور على يد محضر الشهود الذين يرى سماع شهادتهم فإذا تخلف أحد من هؤلاء الشهود عن الحضور بغير عذر مقبول أو حضر وامتنع عن أداء الشهادة أو شهد زورا أمام هيئة التأديب يحال إلى النيابة العامة.

مادة (٣٥):ـ

تجوز المعارضة فى قرار هيئة التأديب الصادر فى غيبة العضو المقدم للتأديب وذلك خلال ثلاثين يوما من تاريخ إعلانه بالقرار على يد محضر.

وتكون المعارضة بتقرير يدون فى سجل يعد لذلك.

مادة (٣٦):ـ

لمن صدر القرار ضده ولمجلس إدارة النقابة بناء على طلب لجنة التحقيق أن يستأنف القرار أمام هيئة التأديب الاستئنافية خلال ثلاثين يوما من تاريخ إعلان القرار إلى العضو المقدم للتأديب إذا كان حضوريا أو من تاريخ انتهاء ميعاد المعارضة إذا كان غيابيا.

مادة (٣٧):ـ

جلسات هيئة التأديب سرية ويصدر القرار مسببا فى جلسة علنية ولا تكون القرارات الصادرة بالوقف عن مزاولة المهنة أو بإسقاط العضوية ذات أثر إلا بعد أن يصير القرار نهائيا وتبلغ القرارات التأديبية النهائية إلى مجلس إدارة النقابة والى الجهات التى يعمل بها العضو وتسجل فى سجلات تعد لذلك.

مادة (٣٨):ـ

يعلن قرار هيئة التأديب إلى العضو على يد محضر خلال عشرة أيام من تاريخ صدوره ويقوم مقام الإعلان تسليم صورة القرار إليه بإيصال موقع عليه منه.

مادة (٣٩):ـ

لمن صدر قرار تأديبى بإسقاط عضويته أن يطلب بعد مضى سنتين على الأقل من مجلس إدارة النقابة إعادة قيد اسمه فى الجدول فإذا رأى المجلس أن المدة التى مضت على إسقاط العضوية كانت كافية لإصلاح شأنه وإزالة أثر ما وقع منه، جاز للمجلس أن يقرر إعادة العضوية إليه، وفى هذه الحالة تحسب أقدميته من تاريخ هذا القرار، يؤدى العضو رسم قيد قدره عشرة جنيهات لصندوق النقابة. فإذا رفض المجلس طلبه جاز له تجديده بعد سنة من تاريخ الرفض مع عدم الإخلال بحقه فى الطعن أمام الجهات القضائية المختصة.

مادة (٤٠):ـ

لا تحول محاكمة العضوية جنائيا، وتأديبيا أمام هيئات التأديب المختصة بالجهة التى يعمل بها، دون محاكمته تأديبيا طبقاً لأحكام هذا القانون.

مادة (٤١):ـ

إذا حصل من أسقطت عضويته أوقف عن مزاولة المهنة على أدلة جديدة تثبت براءته جاز له بعد موافقة مجلس إدارة النقابة أن يطعن فى القرار الصادر ضده بطريق التماس إعادة النظر أمام الهيئة التأديب الاستئنافية، فإذا رفض طلبه جاز له تجديده بعد مضى سنة، بشرط أن يقوم أدلة غير الأدلة السابق تقديمها.

مادة (٤٢):ـ

إذا اتهم عضو من أعضاء النقابة فى جناية أو جنحة متصلة بمهنته وجب على النيابة إخطار النقابة قبل بدء التحقيق، وللنقيب أو رئيس مجلس إدارة النقابة الفرعية أو من يندبه أيهما من أعضاء مجلس إدارة النقابة العامة أو الفرعية الحضور ما لم تقرر سريته، وإذا رأت النيابة أن التهمة المسندة لعضو النقابة لم يستوجب المحاكمة الجنائية أبلغت نتيجة التحقيق.

الباب السابع

أحكام عامة

مادة (٤٣):ـ

(أ) يشكل مجلس نقابة مؤقت لإدارة النقابة.

(ب) مدة مجلس النقابة الأول والمجالس الفرعية بالمحافظات انتخابهم الأول لمدة ونصف.

مادة (٤٤):ـ

تنشر قرارات الجمعية العمومية ومجالس إدارات النقابات الفرعية بمجلس النقابة.

مادة (٤٥):ـ

يستمر قيد أعضاء النقابة خلال سنة من تاريخ العمل بهذا القانون، وعلى كل من يتعين انضمامه للنقابة أو يرغب فى الانضمام إليها أن يطلب قيد اسمه فى احد جداولها طبقا للشروط المنصوص عليها فى هذا القانون، ويجب أن يتضمن البيانات الآتية:

اسم الطالب ولقبه، تاريخ ميلاده، وجنسيته ومحل إقامته ومؤهلاته العلمية وتاريخ الحصول عليها وتاريخ مزاولته المهنة. فإذا قدم الطلب بعد مضى الموعد المحدد ضوعف رسم القيد، وعلى العضو أن يقيد اسمه فى سجلات النقابة الفرعية التى يزاول المهنة فى دائرتها فى ظرف شهرين من بدء مزاولته لها مع مداومته لها على تسديد الاشتراك السنوى. وتبحث النقابة الفرعية الطلب ثم ترسله إلى مجلس إدارة النقابة العامة لاعتماد القيد وإثباته فى جدول النقابة.

وفى جميع الأحوال السابقة على العضو عند تغيير مقر مزاولته المهنة أن يخطر النقابة الفرعية التى سيزاول المهنة فى نطاقها وذلك فى ظرف شهر من تاريخ تغيير مكان مزاولته المهنة، وعلى كل من النقابتين الفرعيتين إخطار النقابة العامة بذلك.

مادة (٤٦):ـ

لمجلس النقابة أن يقرر تفرغ عدد من أعضائه لا يقل عن ثلاثة من بينهم الأمين العام ندبا من الحكومة أو المؤسسات أو الهيئات أو الشركات وذلك لمدة أربع سنوات على الأكثر وبعد موافقة الجهات التى يعمل فيها المطلوب تفرغهم.

كما يجوز أن يقرر أن التفرغ بالنسبة لأمناء سر النقابات الفرعية للمحافظات وتتحمل النقابة مرتبات الأعضاء المفرغين.

مادة (٤٧):ـ

تصدر اللائحة الداخلية للنقابة بقرار من الوزير المختص بعد اقتراحها من مجلس النقابة والتصديق عليها من الجمعية العمومية.

مادة (٤٨):ــ

ينشأ بقرار من الوزير المختص مكتب مؤقت يضم أعضاء من رابطة خريجى الدراسات والمكتبات بالجامعات والمعلومات والجمعية المصرية لأخصائيين المكتبات والمعلومات فى وضع مشروع اللائحة الداخلية للنقابة للتصديق عليها فى أول اجتماع تدعى إليه الجمعية العمومية، ولتسجيل أعضاء النقابة وتوزيعهم على جداولها على أن تحدد مدة المكتب بسنة من تاريخ صدور هذا القانون (١) (٢).

مادة (٤٩):ــ

ينشر هذا القانون فى الجريدة الرسمية، ويعمل به من تاريخ نشره.

يبصم هذا القانون بخاتم الدولة، وينفذ كقانون من قوانينها.

المذكرة الإيضاحية

للاقتراح بمشروع قانون بإنشاء نقابة مهن المعلومات والمكتبات

قبل قيام ثورة يوليو لم تكن أعداد العاملين فى مجال المعلومات والمكتبات تزيد عن العشرات أو المئات على مستوى مصر كلها لأنه لم تكن قد أنشئت بعد المكتبات المدرسية النموذجية الحديثة وبذلك لم تكن وظيفة أخصائى أو أمين المكتبة قد أضيفت إلى وظائف التربية والتعليم.

كما أن المكتبات العامة فى ذلك الوقت لم تكن تزيد عن مكتبة واحدة بعاصمة كل محافظة (مكتبة البلدية) وكذلك لم تكن هناك معاهد أو كليات لإعداد أخصائى المكتبات.. وبعد الثورة أنشئت أقسام الوثائق والمكتبات والمعلومات بجامعة القاهرة ثم تبعتها الجامعات الأخرى وتخرج منها أخصائيو المكتبات الذين اشتغلوا فى المكتبات المدرسية النموذجية الحديثة والتى توسعت فى إنشائها وزارة التربية والتعليم بجميع المدارس كما اشتغلوا بالمكتبات العامة التى تضاعفت أعدادها ومكتبات الكليات

والجامعات ومراكز البحوث وبدأت النهضة المكتبية والوعى بأهمية المكتبات فى جميع المجالات فانتشرت المكتبات فى الوزارات وفروعها والهيئات والشركات والأندية ومراكز الشباب وقصور وبيوت الثقافة ومراكز الإعلام وغيرها.

وبذلك فقد تضاعفت أعداد العاملين بالمكتبات من العشرات أو المئات إلى ما يزيد عن خمسين ألفا ومع بداية زيادة أعدادهم انشأوا لأنفسهم رابطة ثم جمعية اقتصر عملها على الجانب المهنى والعلمى.

ولم تكن هذه الرابطة أو الجمعية تقوم بدور آخر فى الرعاية الاجتماعية والمادية للأعضاء.

ومع زيادة أعداد العاملين بالمكتبات إلى عشرات الآلاف، فقد بدأت الحاجة الملحة إلى إنشاء نقابة لهم مثل جميع المهن الأخرى تقوم بدور فى تنظيم أمور العاملين من رعاية صحية واجتماعية إلى جانب الارتفاع بدخولهم وبتنظيم صرف معاشات لهم من النقابة وإنشاء صندوق نهاية الخدمة وغيره من الأعمال التى تقوم بها النقابات لخدمة أعضائها.

فضلا عن الارتفاع بالمستوى العلمى والكفاءة المهنية للأعضاء عن طريق تنظيم برامج للتدريب وإصدار الكتب والدوريات والبحوث وعقد حلقات مناقشة لكل جديد ومستحدث فى مجال المعلومات وتكنولوجيا المعلومات والتى أصبحت تطلق على العصر الحديث وأصبح عصر المعلومات بعد أن كان عصر الصناعة.

ومن هنا يصبح إنشاء نقابة للعاملين فى مجال المعلومات والمكتبات أمراً ضرورياً وحتمياً لخدمتهم ورعايتهم أسوة بالمهن الأخرى.

مقدم الاقتراح

حمدى محمد حمد دسوقى

عضو مجلس الشعب

جنكنسون، سير هيلارى ١٨٨٢-١٩٦١

Jenkinson, Sir Hilary 1882-1961

يعرف تشارلز هيلارى جنكنسون بأنه رائد مؤسسة مهنة العمل الأرشيفى فى بريطانيا وقد ولد تشارلز هيلارى فى مدينة لندن فى الثانى من نوفمبر سنة ١٨٨٢م وقد تعلم فى كلية دولويتش وكلية بمبروك فى كمبردج، وكان باحثا ودارسا فى كلتا الكليتين. وفى جامعة كمبردج كان ضمن الفئة الأولى فى قائمة الشرف الكلاسيكية (قائمة المتفوقين أو ما يعرف باسم قائمة تريبو). وفى سنة ١٩٠٥ نجح فى امتحان القبول (الخدمة المدنية الوطنية) وتم تعيينه فى (مكتب السجلات العامة) أى دار الوثائق البريطانية.

وفى خلال سنوات عمله الأولى فى مكتب السجلات العامة اشتغل على وثائق العصور الوسطى فقط وخاصة وثائق دخول خزينة الدولة. وقد نظم تلك الوثائق بعد فوضى شديدة كانت عليها ونمى مجموعاتها بعد فقر كانت عليه. وقد خرج من دراسته للمجموعة وتنظيمه لها بسلسلة من الأسس والمبادئ الأرشيفية طبقها على وثائق العصور الوسطى والحديثة على السواء إلا أنه فى الفترة بين ١٩١٦ و١٩٢٠ خدم فى الجيش كضابط مدفعية وفى شئون الأفراد وبعدها عاد ليقوم بإدارة وتنظيم (قاعة البحث الأدبى) فى مكتب السجلات العامة والتى عرفت باسم الحجرة المستديرة التى كان يعمل بها منذ ١٩١٢ واستمر يعمل فيها حتى ١٩٢٩.

فى سنة ١٩٢٢م أخذ مسئولية ترميم وتجليد وثائق وسجلات الحجرة المستديرة ثم ترك العمل بها سنة ١٩٢٩ حيث تولى مسئولية المستودع العام للوثائق. وفى هذه المجالات المتصلة من العمل الأرشيفى كانت إبداعات الرجل الهامة عندما أصبح مساعد حافظ الوثائق. إذ إنه تحت إشرافه وتوجيهاته كان الاهتمام بالناحية المادية الفيزيقية للوثائق ليست فقط من حيث الترميم والحفظ الواعى الماهر ولكن أيضاً من حيث الوقاية والتحكم فى ظروف الحفظ والصيانة، لقد أدت تعليماته إلى تطوير العمل بداية إلى حرفة

وصنعة ثم إلى دراسة وعلم، وأصبح القسمان مركزا علميا للبحث والتجريب والتعليم.

وفى سنة ١٩٣٨م أصبح جنكنسون سكرتيرا عاما لمكتب السجلات العامة وباعتباره الرئيس الإدارى وضع الرجل وأشرف على تنفيذ برنامج زمن الحرب (احتياطات الغارات الجوية) حيث نقل الوثائق والموظفين إلى مستودعات آمنة موزعة على طول البلاد وعرضها كما أشرف على عودة الوثائق والموظفين بعد سنة ١٩٤٥م. وفى سنة ١٩٤٧ م عين قائما بأعمال مدير (حافظا) المكتب.ورغم مشكلات وإحباطات فترة ما بعد الحرب لكثيرمن خططه استطاع إنشاء (المستودع الوسيط) فى هيز ليضع بذلك أسس (قسم إدارة السجلات) وهو أهم إنجاز حققه مكتب السجلات العامة فى فترة ما بعد الحرب.

ورغم أن عمله المهنى كان متميزا، إلا أن عمله الأكاديمى هو الذى أعطاه المكانة والتقدير الجدير بهما. ففى الفترة بين ١٩١١ وحتى ١٩٣٥ وكذلك فى سنة ١٩٣٨ وسنة ١٩٤٨ كان محاضرًا فى جامعة كمبردج. ومنذ ١٩٢٠ كان محاضراً وبين ١٩٢٤ و١٩٤٧ كان مساعد أستاذ فى الدبلوماتيقا والأرشيف الإنجليزى فى جامعة لندن، وفى نفس تلك الفترة نشر بالاشتراك مع تشارلز جونسون (وثائق البلاط الإنجليزى الخطية) سنة ١٩١٥، ونشر بمفرده (علم الكتابة وكتابة وثائق البلاط) أيضاً سنة ١٩١٥ ثم (وثائق البلاط الإنجليزى الخطية) سنة ١٩٢٧.وكانت محاضراته وكتاباته قد جعلت منه حجة فى علم الكتابة والدبلوماتيقا (علم الوثائق). وكان الرجل قد عمل مع جمعية الوثائق فى سوربى التى كانت تعتنق مبدأ أن دراسة التاريخ الإدارى هى مفتاح العمل الأرشيفى والوثائقي.

وبفضل جهود جنكنسون ووضعه الأكاديمى والمهنى المتميز تم إنشاء (اتحاد الوثائق البريطاني) سنة ١٩٣٢. لقد كان الرجل أهم مؤسس لذلك الاتحاد، كما ظل السكرتير الفخرى له طوال خمسة عشر عاما ثم بعد ذلك رئيسا لقسم صيانة الوثائق فيه. ومن خلال هذه السلطات كتب الرجل أهم تقارير ومذكرات الاتحاد، وقاد الحملات ـ ضمن

إنجازات أخرى ـ التى أدت إلى السجل الوطنى للوثائق ثم إلى إنشاء شبكة من مكاتب الوثائق المحلية فى عموم بريطانيا، كل ذلك إلى جانب الجهود التى بذلها لحماية وثائق لا حصر لها من التلف والدمار.

ومما يحمد للرجل أنه كان من أقوى المدافعين والداعين إلى تأسيس دبلوم عالى فى الدراسات الأرشيفية فى الكلية الجامعية فى لندن، وهو ما تحقق بعد ذلك فعلا (كلية لندن الجامعية للمكتبات والأرشيف والمعلومات) التى كانت قد أسست ١٩١٩ ككلية للمكتبات فقط ثم أضيفت دراسات الأرشيف ثم دراسات المعلومات مؤخراً. وكان الرجل قد عين سنة ١٩٤٣ خلال الحرب العالمية الثانية مستشاراً أرشيفيا لـ "مكتب الحرب" والذى من خلاله خطط وأدار عملية إنقاذ وحفظ الوثائق فى مناطق الحرب فى إيطاليا وألمانيا، وتذكر المصادر أن برنامجه فى إيطاليا نجح نجاحا كبيرا بينما كان فى ألمانيا أقل نجاحا رغم أن مشروعه فى ألمانيا كان أوسع نطاقا وأكثر دقة، وفى كلا البلدين كان عمله خلال الحرب هو الأساس الذى قامت عليه عملية إعادة البناء بعد الحرب. فى كلتا الحالتين حقق الرجل سمعة ومكانة دولية مرموقة.

ومن حيث الإنتاج الفكرى كان الرجل خصبا عميقا رغم قلة عدد ما نشر له على هيئة كتب ولعل الكتاب الذى حقق له السمعة والمكانة العلمية كان (دليل إدارة الأرشيف) الذى نشر لأول مرة فى سنة ١٩٢٧. وكان هذا البحث هو أول وأحدث عمل يبنى على الخبرة والممارسة الأرشيفية الإنجليزية والذى سرعان ما أصبح الحجة فى العمل الأرشيفى فى بريطانيا والدليل الذى يعتمد عليه الأرشيفيون البريطانيون. وقد جرى تنقيحه وإعادة نشره عدة مرات ولم يستطع أى كتاب آخر أن يحل محله، وما زال هذا الكتاب هو عمدة الأرشيفيين فى كل مكان. وقد اعترف الرجل فى كتابه هذا بفضل بعض الذين سبقوه فى الكتابة فى هذا العلم ومن بينهم تشارلز جونسون فى كتابه (صيانة الوثائق) والذى نشر قبل كتاب جنكنسون بثلاث سنوات أى فى سنة ١٩١٩م وأيضاً س.ج. كرومب صاحب الدراسة الرائعة فى دائرة المعارف البريطانية الطبعة الحادية عشرة سنة ١٩١١م. هذان الرجلان إلى جانب م.إس. جيوسبى كانوا مستشارى الرجل وخلصاءه فى كتابته لهذا

الكتاب. ولقد كان جنكنسون أصغر وألمع من استخلصوا وحددوا أسس إدارة الأرشيف فى إنجلترا. لقد جعل مهمته أن يفحص تلك الأسس وأن يطورها ويطوعها ويضعها موضع التنفيذ من خلال يد خبير. والرجل كان أسبق زملاءه إلى تطويع النظريات التى جاء بها كل من موللر، فيث، فروين الألمان والتى لم تكن متاحة إلا من خلال الترجمة الفرنسية، طوعها لتلائم العمل فى الأرشيفات البريطانية.

لقد كانت لدى الرجل طاقة عقلية وبدنية هائلة ساعدته على الإبداع فى الاتجاهين. ولم يفهم شخصيته المتقلبة كل معاصريه بشكل واحد فبالنسبة لمعارضيه كان جنكنسون رجلا عنيفًا، غير معقول، ومراوغا، أما بالنسبة لخصاله فقد كان جنكنسون رجلا شجاعا، ثريا، قائدا ملهما وقادرا على الاستحواذ على حب الناس الدائم العميق، وبعد وفاته سنة ١٩٦١ م ظل الجدل والخلاف حوله قائما محتدما بين أنصاره وخصومه.

لقد حصل الرجل على لقب (بطل الإمبراطورية البريطانية) سنة ١٩٤٣م وحصل على لقب فارس وغدا السير هيلارى سنة ١٩٤٧. وكان الزميل الفخرى لكلية لندن الجامعية وحصل على الدكتوراه كما كان نائب رئيس اتحاد الوثائق البريطاني، وعضوا فخريا فى جمعية الأرشيفيين الأمريكيين. ومنذ ١٩٤٧ وحتى وفاته سنة ١٩٦١ كان عضوا فى اللجنة الملكية للمخطوطات التاريخية.

ولقد توفى السير تشارلز هيلارى جنكنسون فى (منزل آرون) بمدينة هورشام من أعمال سسكس فى الخامس عشر من مارس ١٩٦١.

المصادر

1- Ellis. Roger. Jenkinson, Sir Hilary.-**in.**- World EncycLopedia of Library and Information Services.- Chicago: A.L.A,1993

2- Ellis, Roger. Recollections of Sir Hillary Jenkinson.- **in**.- Journal of the Society of Archivists.-1971.

3- Ellis, Roger **and** William Kellaway. A Bibliography of Jenkinson,s Writings: 1909-1956.-**in**.- Studies Presented to Sir Hilary Jenkinson/ Edited by J.Conway Davies.-1957.

جنوب إفريقيا، المكتبات فى

South Africa, Libraries in

جمهورية جنوب إفريقيا هى قعر قارة إفريقيا وتمتد من المحيط الأطلنطى إلى المحيط الهادى ويحدها من الشمال ناميبيا، بوتسوانا، زيمبابوي. ويحدها من الشرق موزمبيق، سوازيلاند. وهى تحيط بدولة ليسوتو. وقد بلغ عدد السكان سنة ٢٠٠٥م ٤٢.٧١٨.٥٣٠ نسمة والمساحة الكلية للجمهورية هى ١.٢١٩.٩١٢ كيلومترًا مربعًا. والتركيبة السكانية ٧٥٪ سود، ١٤٪ بيض، ٨٪ حتافصة (خليط)، ٣٪ هنود. وفيها عدة لغات أهمها الأفريكانز والإنجليزية. والديانة المسيحية هى الغالبة بنسبة ٦٨٪. التعليم إجبارى ٧-١٥ سنة. الأمية ١٣.٦٪ فقط.

والصناعات الغالبة هناك هى صناعة التعدين وخاصة البلاتين والذهب والكروم وتجميع السيارات والأشغال المعدنية والمعدات والأقمشة والمنسوجات والصناعات الكيماوية والمخصبات والمواد الغذائية. والمحاصيل الرئيسية هى القمح والذرة وقصب السكر والفواكه والخضراوات. أما المصادر الطبيعية فهى الذهب والكروم والأنتيمون والفحم وخام الحديد والمنجنيز والنيكل والفوسفات والصفيح واليورانيوم والماس والبلاتين والنحاس والغاز الطبيعي.

أما عن وسائل الإعلام الجماهيرية فمن حيث أجهزة التليفزيون فهى ١٣٨ جهازًا لكل ألف نسمة ومن حيث أجهزة الراديو فهى ٣٥٥ لكل ألف نسمة. ويبلغ عدد خطوط التليفون هناك ٥٠٠.٠٠٠ خط. وتداول الصحف بمعدل ٣٢ نسخة فى الألف. والمستفيدون من الإنترنت ٣.٥ مليون شخص.

وتتعدد عواصم جمهورية جنوب إفريقيا: مدينة الكاب (عاصمة تشريعية) وتعداد سكانها ٢٠٠٥م نحو ٣ مليون نسمة؛ بريتوريا (عاصمة إدارية) وتعداد سكانها فى نفس سنة ٢٠٠٥م ١.٢٥٠.٠٠ نسمة؛ بلومفنتين (عاصمة قضائية) وتعداد سكانها ٤٠٠.٠٠٠

نسمة. ومن المدن الهامة هناك ديوبان وتعداد السكان بها ٢.٤٠٠.٠٠٠ نسمة وجوهانسبرج وتعداد السكان بها ٢.٧٥٠.٠٠٠ نسمة.

ومن المتفق عليه تاريخيًا أن هذه المنطقة كانت تسكنها قبائل من العصر الحجرى هى قبائل البوشمان والهوتنتوت والبانتوس وهى التى تفرع عنها قبائل الزولو والهوسا والسوازى والسوثو، وقد استمرت تلك القبائل تسكن المنطقة وتسيطر عليها دون منازع حتى القرن السابع عشر. وقد ثبت للمؤرخين أن بارتولميو دياز الرحالة البرتغالى هو أول رجل أبيض يطأ أرض جنوب إفريقيا هذه فى المنطقة التى عرفت أولاً برأس العواصف ثم بعد ذلك برأس الرجاء الصالح. وكان ذلك فى الشهور الأولى من سنة ١٤٨٨. وإن كان هناك من المصادر ما يؤكد أيضًا أن أحد البحارة الفينيقيين فى العصور القديمة قبل المسيحية أبحر إلى هناك وشاهد سلسلة الجبال هناك وقمتي: قمة الشيطان وقمة رأس الأسد.

وكان السكان الأصليون يطلق عليهم اسمًا جامعًا هو (الخوسان) وكانوا عبارة عن قبائل رحَّل يرتحلون وراء الغذاء ويجوبون المنطقة من السواحل القاحلة إلى المناطق الداخلية الخصبة.

وتذكر المصادر أن القائد الهولندى جان فان ريبيك جاء إلى خليج تيبل وذلك لزراعة حديقة فواكه وخضروات لتغذية بحارته المنهكين المرهقين الذين يعملون فى شركة الهند الشرقية والهولندية وهم فى طريقهم إلى الهند وأندونيسيا. وقد لاحظ فان ريبيك وحاشيته أن قبائل الهوتنتوث المتسكعة على الشواطئ أكثر تجانسًا من قبائل البوشمان التى تميل إلى الهرب من الغزاة الأجانب وترتد إلى الداخل إلى الصحراء وخاصة صحراء كلهارى فى الرأس الشمالى الغربي.

ومن طرائف المصادر أن أول زواج حدث طبقًا للقانون الرومانى الهولندى حدث بين امرأة من الهوتنتوت من الرأس ورجل أبيض من شركة الهند الشرقية الهولندية. وكان هذا الزواج فاتحة لموجات قادمة من الزواج بل وفاتحة لنشأة جنس خليط أطلق عليه اسم "الملون". وفتح الباب أيضًا لقدوم الرجل الأبيض من أوربا إلى جنوب إفريقيا ولم يقتصر

الأمر على الهولنديين وحدهم وإنما تعدى ذلك إلى الألمان والفرنسيين والبريطانيين. وبدأ المهاجرون البيض يدخلون جنوب إفريقيا من الجنوب الغربى وتوسعت مستوطناتهم جهة الشرق وغطت الشاطئ الجنوبى كله. وكانت الموجات الأولى من المهاجرين هولنديين وظلوا لمدة قرن على الأقل منعزلين عن السكان الأصليين لم يحتفلوا بهم إلا قليلاً نادرًا. وفى ١٧٧٠م بدأ الهولنديون فى التوسع على امتداد ٣٠٠ كيلو متر شرقًا على ما يعرف اليوم بميناء إليزابث وهو المكان الذى أخذ البريطانيون اعتبارًا من ١٨٢٠م ينطلقون منه بأعداد كبيرة. وكان هذا التوسع المستمر بداية النزاعات والصدامات بين السود والبيض. وأخذ الموقف يزداد تعقيدًا وتوسعت النزاعات بين البيض والبيض: البيض الهولنديون والبيض الناطقين بالإنجليزية من جهة وبين البيض فى مجموعهم والسود فى مجموعهم. وكانت عمليات التوسع تتم أساسًا على الشريط الساحلي.

ومع بداية القرن التاسع عشر أخذ البيض الهولنديون فى التوسع والتوغل إلى الداخل هؤلاء الهولنديون الذين عرفوا فى ذلك القرن باسم البوير أى الفلاحون. هذا التوسع الداخلى فى جنوب إفريقيا كان عبارة عن احتلال هادئ دون عنف من جانب الهولنديين وقد تميز بمجموعة من الخصائص التى سردتها المصادر على النحو الآتي:

١ - لقد اعتبر البيض – كتقليد أوربى – أى أرض يضعون أيديهم عليها هى ملكية شخصية. ولذلك استمر احتلال الأرض هادئًا وئيدًا حتى تم الاستيلاء على ٨٧٪ مما يعتبر اليوم جنوب إفريقيا. وهذه المساحة توزعت بين ١٠٠.٠٠٠ مزرعة خاصة كبيرة و٦٥٠٠٠ ملكية صغيرة. إلى جانب عدة مئات من الآلاف من القطع داخل المدن والحواضر. وباستثناء بعض الأراضي المملوكة للدولة مثل المحميات الطبيعية والحدائق العامة والتى من بينها حديقة كروجر الوطنية، باستثناء ذلك كان بقية الأراضى ملكية خاصة فى حوزة الأفراد.

٢- قام البيض بتنمية وتصنيع المصادر الطبيعية فى الدولة وقاموا بتشييد بنية أساسية وتحتية قوية من الطرق والسكك الحديدية وخطوط القوى الكهربائية ونظم الاتصالات البعيدة.

٣- قام البيض بتطوير بنيات سياسية على شاكلة الديموقراطيات الغربية ظلت تنمو خطوة خطوة حتى أصبحت كيانات عظيمة لها شأنها وعلى سبيل المثال فإن أول جمهوريتين قامتا فى جنوب إفريقيا جاءتا فى أعقاب الثورة الفرنسية. وبعد هاتين الجمهوريتين قامت عشر جمهوريات أخرى والعديد من المستعمرات المستقلة، وقد قامت تلك بالوحدة سنة ١٩١٠م. وفى سنة ١٩٦١ أعلن عن قيام جمهورية جنوب إفريقيا والتى قطعت كل صلاتها التقليدية بالكومنولث البريطانى وحلت محل اتحاد جنوب إفريقيا السابق. وقد تميزت فترة الـ ٦٩ سنة من الحكم الديمقراطى الأبيض بالاستقرار والرخاء والأمن. ومنذ الاتحاد سنة ١٩١٠ وخلال تلك السنوات كلها حكمت البلاد بواسطة ثمانية رؤساء وزارات فقط يمثلون حزبين فقط (الحزب الوطني، حزب جنوب إفريقيا). ومن المؤكد أن هذا الاستقرار قد أدى إلى تهيئة مناخ ملائم للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. والحفاظ على الأمن والنظام وعلى تطبيق القانون والعدل.

٤- فى ظل حكم الرجل الأبيض والتفرقة العنصرية لم تكن هناك مشاركة سياسية موحدة وحيث قسم السكان إلى أربع فئات لكل فئة تمثيلها النيابى الخاص فكان الربلمان ينتخب انتخابا مطلقا من جانب **البيض** ممن هم فى سن الثامنة عشرة فما فوق. أما **الملونون** (خليط) فكان يمثلهم المجلس النيابى الملون؛ **والآسيويون** فكان يمثلهم المجلس الهندى النيابى المنتخب؛ **والسود** وهم الأغلبية الساحقة وهم يكونون تسع جماعات عرقية فكانت تمثلهم الحكومات المحلية.

٥- كانت انتفاضات السود ضد التفرقة العنصرية قد بدأت على استحياء مع ستينات القرن العشرين إلى أن تعاظمت وتوجت فى نهاية الثمانينات وبداية التسعينات بالانتصار وخروج نيلسون مانديلا من السجن.

وعلى الجانب الآخر كان احتلال السود لمناطق جنوب إفريقيا الحالية مختلفًا عن احتلال البيض لها فقد دخلوا إليها فى موجات متعاقبة من الشمال وعلى مدى قرون. وللأسف لم يخلف هؤلاء السود أى اثر مكتوب يدل على تاريخهم. ولكن الشيء الذى لا

خلاف عليه هو أن تيار هجرة قبائل نجونى جاء من وراء التلال الخصبة المعشبة والوديان من مناطق الشمال الشرقى للبلاد. وكانت قبائل نجونى هى أول قبائل تحيط من الشمال والشرق بطلائع المستوطنين البيض. وعلى العكس من ذلك قامت قبائل سوثو بالتحرك إلى مناطق السافانا العليا وسلسلة الجبال الموجودة فى جنوب إفريقيا المعروفة باسم (دراكنزبيرج). ومن الثابت تاريخيًا أن قبائل سوثو قد استقرت فى تلك المناطق المحيطة اليوم بما يعرف بـ ليسوثو فى الوقت الذى جاء فيه فان ريبيك إلى الرأس.

ومن المؤكد أن العادات والتقاليد الاجتماعية والاقتصادية للسود كانت وما تزال مختلفة عن عادات وتقاليد البيض. وعلى سبيل المثال كانت ملكية الأراضى ملكية جماعية عامة للقبيلة وليست للأفراد. ولم يكن من عادات السود إقامة اقتصاد متكامل وبدلاً من ذلك أقاموا اقتصاديات صغيرة مشتتة لمجرد العيش وسد الرمق داخل نظام قبلى عشوائي. وفى ظل ذلك لم يستطع السود إقامة بنية أساسية لمجتمع متطور فاعل أو بالأحرى إقامة دولة ذات مرافق. ومن ثم استمروا فى وحدات مفتتة متناحرة لأتفه الأسباب. نعم لقد كانت هناك استثناءات من تلك الظاهرة على نحو ما نصادفه فى زعيم الزولو تشاكا الحاكم العسكرى الذى كون إمبراطورية ضمت كل ما يعرف اليوم الناتال ولكن هذه الإمبراطورية لم تدم لأكثر من عشر سنوات تحللت بعدها بسبب الصراعات الداخلية وهجرات البيض إلى المنطقة.

هذه التناقضات بين مجتمع السود ومجتمع البيض فى العادات والتقاليد ومستوى التفكير كان لابد وأن يقود بالضرورة إلى صدامات ونزاعات بين السود والبيض فالبيض تدفعهم رغبة حقيقية فى تحقيق الذات ورغبة حقيقية فى التربح من الأرض وأحكام السيطرة عليها، ولحبهم الشديد للحياة وإثرائها، طبقوا واستخدموا كل المهارات التى ورثوها عن الثقافة الأوربية فى إخضاع السود وتطويعهم. وكان السود فى بادئ الأمر مشوشين مضطربين جهلاء غير فاهمين ولذلك تحملوا من البيض كل المعاملات السيئة وقبلوا الفتات الذى يلقونه إليهم.

ومن الملامح الأساسية فى مجتمع جنوب إفريقيا والذى ظل سائدًا حتى الآن هو

"التعايش غير المصحوب بالتكامل الاجتماعى بين الأجناس الموجودة هناك". وقد أدى هذا الوضع إلى وجود تيارين من المستعمرين. وقد ساعد على تلك المعادلة العجيبة الهشة أن البيض كانوا فى موضع قوة وفتحوا للسود أبوابًا للرزق والعمل ساعدت فى كثير من الأحيان على تحسين أحوال السود المعيشية. وقد جاءت فرص العمل والرزق هذه أولاً من عمل السود فى المزارع التى يملكها البيض، ثم بعد ذلك تشغيل البيض لهم فى المشروعات التجارية والصناعية والوظائف الإدارية فى المدن والحواضر التى أنشأها البيض. وقد فضل أغلبية السود البقاء فى مناطق قبائلهم الأصلية التى تطورت فيما بعد إلى محميات ثم إلى مناطق حكم شبه ذاتى وبعد ذلك إلى ولايات مستقلة.

ومع كل ذلك فإنه حتى اليوم فى نهاية القرن العشرين ومطالع القرن الواحد والعشرين ما تزال هناك قبائل وجماعات تعيش فى نفس المناطق وبنفس الأسلوب التى استقرت فيها منذ قرنين. وكان من الطبيعى أن تتناقص مساحات المناطق التى تحتلها القبائل التقليدية نتيجة لزحف الرجل الأبيض على تلك المناطق وتعميرها. وعند قيام اتحاد جنوب إفريقيا فى مطلع القرن العشرين ١٩١٠ كان هناك ٥٠٠ منطقة قبائلية فى جنوب إفريقيا. وفى سنة ١٩٧٦ بعد إدماجات متعددة كان هناك ما تزال ٦٦ منطقة قبائلية منعزلة للسود إلى جانب ٨٣٨ بقعة قبائلية صغيرة و١٦ بقعة كبيرة.

ومن جهة ثانية اجتذبت حياة المدينة أعدادًا كبيرة من المهاجرين من المناطق الريفية من البيض والسود على السواء. ومن المعروف أن قبائل السود فى جنوب إفريقيا مثل كل القبائل السوداء جنوب الصحراء لم تكن تميل إلى بناء مدن كبيرة فى ذلك الوقت. ولكن مع نزوح السود إلى المدن التى بناها البيض، قام السود ببناء تجمعات لهم على أطراف مدن البيض وكانت النتيجة الحتمية أن تطورت المناطق الحضرية هناك إلى مدن مزدوجة (توأم) واحدة للبيض وواحدة للسود. وقد قاد هذا الوضع إلى مزيد من نزوح السود إلى المدن إما إلى مدن السود المكتظة أو إلى أحياء الخدم السود فى مدن البيض بناء على عقد مؤقت. ولم يكن يسمح للسود بالدخول إلى مناطق البيض وعندما شرع للسود أن يتملكوا مناطق سكنية كان ذلك بشرط أن يكون التملك على أطراف مدن البيض فقط.

والحقيقة أن تركيبة المجتمع فى جنوب إفريقيا إنما تشكل قطعة فسيفساء متعددة الألوان والأشكال والأحجام. ونستطيع أن نتميز هناك أربعة أجناس أو جماعات عرقية تؤثر بشكل مباشر على المكتبات والعمل المكتبى بسبب تعدد اللغات ومستويات التعليم واتجاهات الثقافة والفكر. وسوف نعرض سريعًا لخصائص كل جماعة لأنهم الخلفية التى تعمل فيها المكتبات ونظم المعلومات هناك:

أولاً: الملونون. أو ما نطلق عليه المصطلح الدارج الخنافصة وهم الذين نتجوا من زواج مختلط: أبيض من سوداء أو أسود من بيضاء. وهؤلاء للأسف ليسوا متجانسين فى خلقتهم وهيئتهم الجسمانية. وداخل هذا المجتمع نجد جماعتين متفرعتين الأولى يطلق عليها اسم (جريكاس) والثانية تسمى (كيب مالاياس). وجماعة جريكاس هم من أصل هوتنتوت – أوربى ويسكنون الشمال الغربى والشمال الشرقى من ولاية الكاب. وقد كونوا لأنفسهم ثقافة خاصة بهم تتميز بلغة مزيج من الهولندية والأفريكانية وهى لغة بهيجة غنية التعابير، وغالبيتهم تدين بالمسيحية. أما جماعة كيب مالاياس فهم من سلالة المسلمين الأوائل الذين جاءوا إلى منطقة الكاب عن طريق شركة الهند الشرقية الهولندية، أساسًا من إندونيسيا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر وهم اليوم لا يتعدون ٢٠٠.٠٠٠ نسمة أى نحو ١٠٪ من الملونين وغالبيتهم يعيشون فى الحاضرة كيب تاون ورغم الظروف المحيطة بهم فإنهم يتمسكون بعقيدتهم الإسلامية تمسكًا شديدًا. ونرى صدق ذلك فى أدائهم لفرائض الصلاة والصيام والزكاة والحج والتمسك بالعادات الإسلامية فى الزواج والطلاق والأعياد والجنازة والدفن.. ويعيشون فى أسر متماسكة وسلوكهم سلوك اجتماعى راقٍ؛ وملابسهم زاهية الألوان ومتميزة وخلاصة القول أن جماعة كيب مالاياس هم مزيج راقى من العرب والهنود والسنهاليين والصينيين والمالاجاش وقد وحد بينهم الإسلام. وكان عملهم الأصلى هو الحرف والصناعات التى أبدعوا فيها ومهروا ولكن دخول التكنولوجيا الحديثة إلى جنوب إفريقيا اضطرتهم إلى ترك هذه الحرف واللجوء إلى العمل فى المصانع والمكاتب والإدارات الحكومية.

وهناك خطوط عامة عريضة تميز ثقافة الملونين هؤلاء نابعة من الدين واللغة والعادات

العامة وهى أنها شبيهة بثقافة البيض وهى ثقافة غربية وإن كانت هناك اختلافات فهى طفيفة نابعة من عوامل بيئية واقتصادية واجتماعية وتعليمية كما هو الحال فى كافة المجتمعات، وكما ألمحت هناك ٩٠٪ من الملونين المسيحيين إلى جانب ١٠٪ منهم مسلمون. ولذلك فإن المسيحيين الملونين هؤلاء يمثلون أكبر نسبة مسيحيين غير بيض فى جنوب إفريقيا بل ربما فى كل إفريقيا وكشفت الإحصاءات الأخيرة عن أن لغة الغالبية العظمى من الملونين هى الأفريكانية حيث يتكلمها ٩٠٪ منهم والإنجليزية هى اللغة الثانية ويستخدمها ١٠٪ منهم. وقد تكون لهم مجلس نيابى فى ١٩٦٨.

ثانيًا: الآسيويون. هناك اليوم فى مطلع القرن الواحد والعشرين نحو مليون آسيوى غالبيتهم الساحقة من الهنود. ومن اللافت للنظر تعدد اللغات التى يتحدثها الآسيويون: الإنجليزية، التاميل، الهندية، جوجاراتي، الأوردو، التيليجو، الصينية. ولا يتحدث اللغة الأفريكانية إلا نسبة ضئيلة منهم. ويتميز هذا المجتمع وحيث يغلب عليه الطابع الهندى: أن الزواج ما يزال يتم عن طريق الوالدين أو الأقارب؛ العيش فى البيت الكبير حيث يعيش عدة أجيال معًا فى البيت الواحد وربما أكثر من أسرة فى نفس البيت؛ ندرة الحياة المنفردة حيث لا يوجد إلا أقل القليل من الرجال أو النساء الذين يعيشون بمفردهم؛ صلة الدم قوية للغاية؛ كرم الضيافة وحسن الجوار. المسلمون بين هذه الجماعة متمسكون بدينهم وعباداتهم وخاصة صلاة الجماعة وصلاة الجمعة وأداء الفرائض جميعًا. ورغم أن الجيل القديم من النساء يلبس الملابس الشرعية إلا أن الأجيال الجديدة تميل إلى الملابس الغربية. وهذه الجماعة تميل للعيش فى المدن وخاصة حول مدينة ديربان فى الناتال. وهم يعملون أساسًا فى المصانع وخاصة مصانع النسيج والأثاث كما يعملون بالتجارة وصناعة البناء وقلة منهم تعمل بالزراعة. وفى سنة ١٩٦٤ تكون للهنود (مجلس هنود جنوب إفريقيا) وفى ١٩٦٧ أصبح له وضع دستورى وفى سنة ١٩٧٣م رفع إلى نفس مستوى (مجلس الملونين النيابى).

ثالثًا: البيض. كما ذكرت فى بداية هذا البحث يمثل البيض ١٥٪ من حجم مجتمع جنوب إفريقيا. وهم يتحدثون اللغتين الرسميتين: الإنجليزية والأفريكانية عندما حلت

اللغة الأفريكانية محل اللغة الهولندية كلغة رسمية منذ ١٩٢٥. وهذه اللغة اشتقت من الهولندية على النحو الذى يتحدث به الجزء الجنوبى من الأراضى الواطئة فى القرن السابع عشر على أيام فان ريبيك عندما جاء إلى جنوب إفريقيا. ومن المؤكد أنه قد دخلت إلى اللغة الأفريكانية عناصر من اللغات الأخرى: الإنجليزية، الألمانية، الفرنسية، البرتغالية، الهندية الشرقية، واللغات المحلية مثل لغة الهوتنتوت والبوشهان والسوثو. وهذه اللغة هى اللغة الأساسية الأولى لنحو ٥٠٪ من السكان البيض. وتذكر المصادر أن ٥٪ من السكان البيض يتكلمون لغة أخرى أولى غير اللغة الأفريكانية، وغير الإنجليزية من بينها: الألمانية، والبرتغالية، الهولندية، اليونانية، الإيطالية، الفرنسية، البيدية، البولندية. واليوم يعيش أكثر من ٩٠٪ من البيض فى المدن والحواضر، بينما كانت النسبة بعد انتهاء حرب البوير مع الإنجليز سنة ١٩٠٢ لا تزيد عن ٥٠٪. وأكثر المناطق الحضرية اكتظاظًا بالبيض هي:

١- جوهانسبرج.
٢- مدينة الكاب.
٣- ديربان.
٤- بريتوريا.
٥- بورت إليزابث.
٦- مثلث فال.
٧- فيرننجن.
٨- بلومفونتين.
٩- بييترمارتيزبرج.
١٠- لندن الشرقية.
١١- كمبرلي.
١٢- ويلكوم.
١٣- كرونستاد.

ولأسباب تاريخية وسياسية معقدة نشأت بعد توقيع معاهدة السلام بين الإنجليز والبوير ١٩٠٢م نشأت للبلاد ثلاث عواصم على نحو ما قدمت فى بداية هذا البحث هي: العاصمة التشريعية مدينة الكاب؛ العاصمة الإدارية بريتوريا، العاصمة القضائية بلومفونتين. ويلاحظ أن ازدواجية اللغة عند البيض عالية حتى أعلى من بعض دول العالم الجديد ولذلك نجد المدارس الحكومية تدرس اللغتين للتلاميذ والطلاب.

رابعًا: **السود**. وهم كما قدمت يمثلون ٧٥٪ من السكان فى جنوب إفريقيا وهم يتمون أساسًا إلى قبائل هوتنتوت وبوشمان وكانت هذه القبائل موجودة فى المنطقة قبل القرن السابع عشر وهذه القبائل لها بطون وعشائر منها: زولو، هوسا، سوازي، سوثو. وقد سبق القول أنهم حاليًا يعيشون على أطراف مدن البيض رغم أنه ما تزال هناك مناطق معزولة يعيشون فيها. وما يزالون رغم وصولهم إلى السلطة يعيشون على حساب البيض.

بعد هذا العرض العام لواقع جمهورية جنوب إفريقيا نتطرق سريعًا إلى الأحداث التاريخية السياسية فى حياة هذا البلد.

أشرت فيما سبق إلى أن الهولنديين كانوا أسبق فى استيطان رأس الرجاء الصالح فى مطلع القرن السابع عشر، وجاء الإنجليز ليحتلوا هذا الرأس سنة ١٨٠٦م ولذلك ترك كثير من الهولنديين الرأس وكونوا جمهوريتين فى الشمال. جمهورية الترانسفال وجمهورية أورانج الحرة. وقد تم اكتشاف الماس بكميات ضخمة سنة ١٨٦٧ والذهب سنة ١٨٨٦. وقد رفض الهولنديون (البوير) الوجود الإنجليزى وغيره ولذلك قامت حرب البوير - الإنجليز ١٨٩٩ - ١٩٠٢ وقد كسب الإنجليز الحرب وبالتالى تم الصلح ومن ثم قام اتحاد جنوب إفريقيا فى ٣١ من مايو ١٩١٠م؛ بين المستوطنتين البريطانيتين (الكاب والناتال) والجمهوريتين الهولنديتين (الترانسفال وأورانج الحرة). وبعد حركات إصلاحية عديدة عبر نصف قرن تم تأسيس جمهورية جنوب إفريقيا على أنقاض اتحاد جنوب إفريقيا وذلك فى ٣١ من مايو ١٩٦١ وانسحبت الجمهورية من الكومنولث.

ومع انتخاب دانييل مالان من الحزب الوطنى رئيسًا فى سنة ١٩٤٨م أصبحت التفرقة العنصرية بين الأجناس رسمية بعد أن كانت تمارس على أرض الواقع بطريقة غير رسمية

وكانت جنوب إفريقيا هى أسوأ دولة فى ممارسة التفرقة. وفى ظل هذه التفرقة كان السود ممنوعين من العمل إلا فى أعمال محددة لهم؛ وكانت أجورهم أقل كثيرًا من نظرائهم البيض فى نفس تلك الأعمال. وكان البيض وحدهم هم الذين لهم حق الانتخاب والتصويت وهم الذين لهم الحق فى تولى الوظائف الحكومية. أما الآسيويون والملونون فلم تكن لهم إلا حقوق سياسية محدودة. وفى سنة ١٩٥٩ وافقت الحكومة على بعض القوانين التى تسمح للبانتو بإقامة وطن (مجتمع).

وقد اندلعت الاحتجاجات والاضطراب ضد التفرقة العنصرية فى ستينات القرن العشرين ولكنها كانت تقهر بكل وحشية ففى شاربفيل قتل تسعة وستون أسود من المتظاهرين ضد التفرقة فى ٢١ مايو ١٩٦٠ بواسطة القوات الحكومية. وفى اضطرابات واحتجاجات ١٩٧٦م قتل على الأقل ٦٠٠ من البانتو. وفى ١٩٨١م قامت حكومة جنوب إفريقيا بشن غارات وحملات عسكرية ضد أنجولا وموزمبيق وذلك لقتل جماعات المقاومة.

وفى سنة ١٩٨٣م تمت الموافقة الشعبية على دستور جديد جرى الاستفتاء فى شهر نوفمبر من ذلك العام وبمقتضاه تم مد الامتيازات البريطانية إلى الملونين والآسيويين دون السود. كما تم إلغاء القوانين التى كانت تحظر العلاقات الجنسية والزواج بين البيض والأجناس الأخرى.

وفى سنة ١٩٨٦م دعا الفائز بجائزة نوبل للسلام الأسقف دزموند توتو الدول الغربية إلى فرض عقوبات ومقاطعة جنوب إفريقيا حتى توقف التفرقة العنصرية. وفى أبريل من تلك السنة أعلن رئيس جنوب إفريقيا ب. و. بوثا عن إنهاء التفرقة العنصرية ومنح السود دورًا استشاريًا فى الحكومة. وفى ١٩ مايو من نفس سنة ١٩٨٦م قامت قوات جنوب إفريقيا بمهاجمة ثلاث دول مجاورة هى زيمبابوى وبوتسوانا وزامبيا وذلك فى محاولة للقضاء على قوات المقاومة التى تنطلق من تلك الدول ومنع انعقاد المؤتمر الوطنى الإفريقى الذى ينظمه الوطنيون السود من جنوب إفريقيا هناك. وفرضت حالة الطوارئ

القصوى فى جنوب إفريقيا فى ١٢ يونية ١٩٨٦ وأعطيت صلاحيات بلا حدود لقوات الأمن.

سنة ١٩٨٨ قام أكثر من مليونى عامل أسود بإضراب جماعى شامل ٦-٨ يونية من ذلك العام. وقد اضطر رئيس الدولة بوثا إلى تقديم استقالته فى ١٤ من أغسطس ١٩٨٩ (وكان يرأس الحكومة من ١٩٧٨) وجاء بعده ف.و. دى كليرك. وفى سنة ١٩٩٠م اضطرت الحكومة إلى رفع الحظر عن نشاط المؤتمر الوطنى الإفريقي. وأطلق سراح المناضل الوطنى القائد نيلسون مانديلا من السجن فى ١١ فبراير ١٩٩٠ بعد أكثر من ٢٧ سنة قضاها فى السجن. وفى فبراير ١٩٩١ م أعلن الرئيس دى كليرك عن خطط جديدة لإلغاء كل قوانين التفرقة العنصرية.

وفى سنة ١٩٩٣م جرت المفاوضات لإعداد دستور ديمقراطى جديد. وتم إلغاء مناطق الحكم الذاتى الجزئى الخاصة بالسود وأدمجت فى النظام الإدارى العام للدولة الذى يتألف من ٩ ولايات. وفى انتخابات ٢٦-٢٩ من أبريل ١٩٩٤ فاز المؤتمر الوطنى الإفريقى الذى يرأسه مانديلا بنسبة ٢٠.٤٪ فقط، وفى نفس الوقت فاز حزب إنكاثا بـ ١٠.٥٪ ولم يمثل فى البرلمان إلا عن ولاية زولو. ومن ذلك التاريخ اشتعلت الحرب بين إنكاثا (المدعوم خلال فترة التمييز العنصرى بقوات حكومية) والمؤتمر الوطنى الإفريقى والتى قتل فيها ما لا يقل عن ١٤٠٠٠ شخص فى منطقة الزولو منذ منتصف الثمانينات.

وفى ١٩٩٥ قام نيلسون مانديلا بتشكيل لجنة لتقصى الحقائق برئاسة دزموند توتو المشار إليه سابقًا وذلك لتوثيق عمليات خرق حقوق الإنسان خلال فترة التفرقة العنصرية. وقد تم تعديل الدستور ليواكب فترة ما بعد التفرقة العنصرية واعتراضات المحكمة الدستورية، وقد بدأ العمل بالدستور الجديد اعتبارًا من العاشر من ديسمبر سنة ١٩٩٦.

وقد حقق المؤتمر الوطنى الإفريقى نصرًا كبيرًا فى انتخابات الثانى من يونية ١٩٩٩م ونتيجة لذلك أصبح ثابو مبيكى رئيسًا منتخبًا للبلاد بعد مانديلا.

وقد أعلنت الأمم المتحدة مؤخرًا أن أكثر من ٥ مليون مواطن فى جنوب إفريقيا (بما فى ذلك ٢١.٥٪ من الكبار) مصابون بمرض الإيدز. وكان المؤتمر الدولى للإيدز قد انعقد فى جنوب إفريقيا فى يولية سنة ٢٠٠٠م.

وفى انتخابات ١٤ من أبريل ٢٠٠٤م فاز المؤتمر الوطنى الإفريقى بنسبة ٧٠٪. وفى العاشر من مايو سنة ٢٠٠٤م ألقى نيلسون مانديلا خطاب وداع أمام البرلمان واعتزل الحياة العامة والعمل العام وكان ساعتها قد بلغ سن الخامسة والثمانين.

التعليم فى جنوب إفريقيا

لاحظ الخبراء أن جمهورية جنوب إفريقيا لا هى دولة متقدمة ولا هى دولة نامية إنما هى شيء بين الاثنين. ومن الناحية الفكرية هناك صفوة من المثقفين بين البيض والملونين والآسيويين بل وبين السود كذلك ولكن من جهة ثانية فإن الغالبية العظمى من السكان تخطوا فقط حدود الأمية. والحقيقة أن مصطلح التعليم هو مصطلح واسع وإن كان حده الأدنى هو القدرة على القراءة والكتابة وحده الأقصى هو القدرة على البحث العلمى وكتابة التقارير العلمية. وبين الاثنين درجات واسعة من التعلم. ويقسم الخبراء التعلم إلى نوعين: تعلم وظيفى (سالب) وتعلم خلاق مبدع (موجب) وداخل كل نوع هناك ثلاث درجات: ابتدائى – متوسط – متقدم. وعليه فإن السلم التعليمى الذى ينقسم إليه المتعلمون يمكن أن يسير على النحو الآتي:

تعلم وظيفى ابتدائي

تعلم وظيفى متوسط

تعلم وظيفى متقدم

تعلم إبداعى ابتدائي

تعلم إبداعى متوسط

تعلم إبداعى متقدم

ويجب التنبيه إلى أنه ليس هناك ارتباط بين هذا النموذج وبين التعليم الرسمى فقد

يتخرج المرء من الجامعة ويصنف فى درجة التعلم الوظيفى الإبتدائي؛ وقد يكون هناك شخص مثل العقاد مثلاً ولم ينل إلا قسطًا صغيرًا من التعليم الرسمى ويصنف فى هذا السلم فى درجة التعلم الإبداعى المتقدم.

ومن الجدير بالذكر أن جنوب إفريقيا قد احتذت المثل الأوربية الغربية فى التعليم منذ وطأ الهولنديون الأول أرض رأس الرجاء الصالح سنة ١٦٥٢م. وقد تأثر نمط التعليم هناك فى البداية بالنمط الأوربى ولكن بعد ذلك تأثر بنمط التعليم فى بريطانيا والولايات المتحدة. وقد افتتحت أول مدرسة ابتدائية هناك سنة ١٦٥٨ للأطفال العبيد الذين جلبتهم إلى الرأس من أندونيسيا شركة الهند الشرقية الهولندية. كما سمح لأطفال موظفى شركة الهند الشرقية الهولندية أن يلتحقوا بالمدارس التى أسست لأطفال الملونين فى الرأس. ومع ذلك صدر فى ١٧٦٧ قرار بمنع التحاق أطفال البيض بتلك المدارس. وبصرف النظر عن تنفيذ أو عدم تنفيذ القرار فقد أشار بطريقة صريحة إلى إنشاء مدارس على التوازى لأبناء البيض وغير البيض وهو تفرقة عنصرية واضحة وصريحة فى التعليم الابتدائي؛ وهو ما استمر إلى نهاية القرن العشرين. وبعد سنة ١٨٧٣م كانت السياسة الرسمية تقضى بإنشاء مدارس متوازية للأطفال البيض والأطفال الملونين فى مستعمرة الكاب (الرأس). وفى سنة ١٩١١م أصدر مجلس ولاية رأس الرجاء الصالح قانونًا بالفصل بين مدارس البيض ومدارس الملونين أى أن التقاليد غدت مقننة. وفى سنة ١٩٠٣م قامت ولاية الترانسفال (التى كانت مستقلة بين ١٩٠٢-١٩١٠ وذات حكم ذاتي) بإصدار تشريع مماثل. وفى مستعمرة ناتال البريطانية آنذاك صدر تشريع مماثل سنة ١٩٠٠. وفى جمهورية أورانج الحرة صدر مثل هذا التشريع منذ ١٨٥٤.

ومنذ البداية كان تعليم الأطفال البيض فى الكاب (الرأس) يتم عن طريق الكنيسة الهولندية المطورة التى كان معظم المستوطنين الأوائل يتبعونها وكانت الكنيسة تمول التعليم بها فى ذلك المبانى والمرافق والمعلمين من ميزانياتها الخاصة. وفى ١٨٠٦م استولى البريطانيون على رأس الرجال الصالح ومن ثم أنشئت أول مدرسة علمانية تحت إشراف الدولة سنة ١٨٢٠ وعلى يد حاكم الولاية اللورد تشارلز سومرست. وفى سنة ١٨٣٩ تم

تعيين أول مشرف عام على التعليم فى الكاب وذلك لإدارة وتنسيق المدارس الممولة من الحكومة. وقد غدا ذلك هو النموذج الذى احتذته مستعمرة ناتال وجمهوريتا البوير فى الترانسفال وأورانج بعد ١٨٤٠م.

وبالتدريج بسطت الحكومة سيطرتها على كل مدارس البيض فى الولايات الأربع التى كانت قائمة هناك فى جنوب إفريقيا، ولم يعد فى يد الكنيسة إلا حفنة قليلة من المدارس والتى مازالت فى يدها حتى اليوم.

أما تعليم غير البيض فقد ترك حتى نهاية القرن التاسع فى يد البعثات التبشيرية والكنيسة. بيد أن الحكومة قامت إلى حد ما بدعم المدارس التى تديرها الكنائس ومحطات التبشير وفى مقابل ذلك كان هناك نوع من الإشراف على تنفيذ المعايير والامتحانات. وقد بدأت بذلك الإجراء ولاية الكاب وناتال ولكن بعد الاتحاد سنة ١٩١٠م خضع التعليم فى جميع الولايات ولجميع السكان لإشراف الدولة.

وعندما أصبحت هناك حاجة ماسة إلى التعليم الرسمى بعد الحرب العالمية الثانية صدرت التشريعات المناسبة ووضع تعليم كل جماعة من الجماعات الأربعة التقليدية فى المجتمع فى يد الوزارة المختصة فوضع تعليم البيض فى يد وزارة التعليم الوطنية والتى تفوض سلطاتها للإدارات التعليمية فى الولايات الأربع التقليدية مع استثناء تعليم المعوقين والفنيين. أما تعليم السود فقد وضع فى يد وزارة تعليم البانتو. ووضع تعليم الملونين فى يد وزارة شئون الملونين، وتعليم الآسيويين وضع فى يد وزارة شئون الهنود.

أما المهاجرون المتعاقد معهم للعمل والذين استقروا فى المناطق الساحلية للناتال فى خمسينات القرن التاسع عشر فقد رأوا أن التعليم هو وظيفة الأسرة ولذلك تعلم الأطفال والشباب لغتهم فى البيت كذلك تعلموا الدين على أيدى أحسن الفقهاء فى مجتمعهم. وفى سنة ١٨٦٧م أنشئت أول مدرسة خاصة هناك لينخرط فيها ثلاثون طالبًا هنديًا؛ وفى خلال خمس سنوات من ذلك التاريخ انتشرت المدارس الهندية الخاصة وكان عدد طلابها

٩٣٠ طالبًا تتراوح أعمارهم ٦-١٨ سنة. ومن الجدير بالذكر أن التعليم الإلزامى طبق على الآسيويين كالبيض سنة ١٩٧٩.

ومن الواضح أن التعليم والالتحاق بالمدارس قد تحسن تحسنًا ملحوظًا من حيث الكم والنوع لكل جماعات المجتمع فى جنوب إفريقيا فى سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية. والتعليم الآن فى جنوب إفريقيا: ابتدائى – ثانوى – جامعي. وهناك اليوم سنة ٢٠٠٤/ ٢٠٠٥ تم نحو عشرة ملايين طالب فى المدارس الابتدائية والثانوية فى جنوب إفريقيا يقوم بالتدريس لهم ٢٠٠.٠٠٠ مدرس فى ٢٥.٠٠٠ مدرسة، أى أن نسبة المدرسين إلى الطلاب هى ١:١٠٠ وهى نسبة عامة ولكن إذا قسناها على أساس الجماعات العرقية سنجد أنها تنخفض كثيرًا بالنسبة للبيض ثم يتلوهم الملونون ثم الآسيويون والنسبة أكبر من ذلك بكثير للسود.

كان العرض السابق خلفية ضرورية ومدخلاً أساسيًا إلى دراسة المكتبات والحركة المكتبية فى جنوب إفريقيا؛ تلك الجمهورية ذات التركيبة السكانية المعقدة والتاريخ المعقد. وقبل الدخول فى تفاصيل المكتبات والحركة المكتبية فى الوقت الحاضر قد يكون ضروريًا أن نبدأ بتاريخ المكتبات فى تلك الجمهورية.

تاريخ المكتبات فى جنوب إفريقيا

النظرة الفوقية الطائرة على تاريخ المكتبات فى جنوب إفريقيا تكشف عن إن إنشاء المكتبات والاهتمام بها كان على الدوام مبادرات بيضاء أى تأتى من جانب جماعة البيض هناك إذ اهتموا بإقامة جميع أنواع المكتبات وجاءت على النمط الأوربى وأقيمت فى الأعم الأغلب لاستخدام البيض. وعلى الرغم من عدم وجود تفرقة عنصرية تمنع الملونين والسود من استخدام المكتبات العامة فى الكاب (الرأس)، إلا أن درجة التعلم نفسها حالت دون ذلك، حتى بين البيض لم يكن يطلب إقامة المكتبات ويستخدمها حتى أربعينات القرن العشرين سوى الصفوة المثقفة.

لم يصبح إنشاء المكتبات فى جنوب إفريقيا ظاهرة إلا فى القرن العشرين. هذا التأخر فى

إنشاء المكتبات وتطويرها هناك له أسبابه: إذ إن المرء لا يمكنه فصل تاريخ المكتبات عن التاريخ العام والظروف الخاصة بجنوب إفريقيا ذلك أن هذا البلد كان على الدوام يتألف من جماعات متفرقة مبعثرة على مساحة كبيرة من الأرض. ولم تفرض ضريبة دعم المكتبات هناك للمناطق الريفية إلا فى أربعينات القرن العشرين. كذلك فإن انقسام البيض أنفسهم إلى جماعتين لغويتين لكل منهما احتياجاتها وثقافتها الخاصة ووجود أغلبية سوداء جاهلة قد عوق تطور المكتبات هناك.

وكما أسلفت فإن جنوب إفريقيا فى سنة ١٩١٠ كانت تتألف من أربع مستوطنات منفصلة؛ اثنتان منها (الترانسفال وأورانج) كانتا جمهوريتين مستقلتين حتى هزيمة بريطانيا لهما فى حرب البوير - انجلترا ١٨٩٩-١٩٠٢. وكانت المستوطنتان الأخريان تابعتين لبريطانيا. ومن المؤكد أن هذا الانقسام الإدارى منع التنسيق والتمويل وخلق صعوبات لا حد لها فى إنشاء وتطوير المكتبات طوال القرن التاسع عشر وتسببت فى وجود أربعة نظم إقليمية منفصلة حتى اليوم. ومن المعروف أن المكتبات لا تنشأ ولا تتبلور إلا بناء على احتياجات الناس. وهكذا فإنه مع تقدم الاستيطان والتعمير فى جنوب إفريقيا كلما ازداد عدد المكتبات. وتذكر المصادر أن تاريخ المكتبات فى جنوب إفريقيا فى القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر هو تاريخ المكتبات العامة. أما المكتبات المتخصصة والمكتبات الجامعية والمكتبات المدرسية والمكتبات الوطنية فهى نبات القرن العشرين.

ولتسهيل تناول تاريخ المكتبات فى جنوب إفريقيا فإنه يمكن تقسيمها إلى أربع مراحل: المرحلة الأولى ١٧٦١-١٩٢٧؛ المرحلة الثانية ١٩٢٨-١٩٣٧؛ المرحلة الثالثة ١٩٣٨-١٩٦١؛ المرحلة الرابعة ١٩٦٢ حتى اليوم مطالع القرن الواحد والعشرين (٢٠٠٦م).

فى القرن الأول لاستقرار البيض فى رأس الرجاء الصالح لم تكن هناك مجموعات من الكتب يمكن أن تتكون منها مكتبات اللهم إلا مكتبات شخصية محدودة العدد أتت بها بعض الأسر من أوربا، وليست هناك أية قرائن أو أدلة على وجود

مكتبات ذات أهمية قبل ١٧٦١ حيث يقال إن شخصاً يدعى يواقيم نيقولاس فون ديسين كانت لديه مكتبة شخصية جيدة كانت الأساس والنواة لأول مكتبة فى جنوب إفريقيا. وكان فون ديسين قد ولد فى ماكلينبورج وهى ولاية سابقة فى شرقى ألمانيا وقد ارتحل إلى رأس الرجاء الصالح سنة ١٧٢٧م كموظف رسمى فى شركة الهند الشرقية الهولندية.

وكان فون ديسين رجلاً مثقفًا واسع الاطلاع وترقى بسرعة حتى أصبح كاتب حسابات الشركة وأصبح كذلك سكرتير دار أيتام الرأس. وكان حبه للاستثمار قد حقق له ثروة كبيرة مكنته من تحقيق هوايته فى جمع الكتب؛ وقد بلغت مكتبته الشخصية فى ذلك الوقت أكثر من ٤٠٠٠ كتاب عند وفاته سنة ١٧٦١م اشترى معظمها من الخارج وبعضها من الداخل من مزادات بيع ممتلكات المتوفين أو المفلسين من أصحاب العزب. وقد أوصى فون ديسين بمكتبته هذه إلى كنيسة جروت كيرك الكنيسة الرئيسية هناك بين الكنائس الهولندية المطورة فى مدينة الكاب فى ذلك الوقت، مع التعبير عن رغبته فى أن تصبح تلك المجموعة نواة لإنشاء "مكتبة عامة تخدم المجتمع" ومع بعد نظره ترك مبلغًا من المال وقفًا لتسيير وصيانة المكتبة المقترحة. وقد وضعت الكتب مبدئيًا فى بيت ملحق بكنيسة جروت كيرك المذكورة؛ وعلى الرغم من أنه لم يكن هناك إقبال على استخدام هذه المكتبة من جانب سكان المدينة إلا أنها اعتبرت من بين المعالم الثقافية لأول مدينة قامت فى جنوب إفريقيا على نحو ما شهد به الرحالة الذين زاروا المدينة فى كتاباتهم.

فى سنة ١٨١٨م قام اللور تشارلز سومرست الحاكم الإنجليزى للكاب فى تلك الفترة والذى ألمحت إليه بإصدار مرسوم خاص بالمكتبات، هذا المرسوم ينص على فرض ضرائب على معايرة النبيذ على أن تستخدم الحصيلة فى "بناء مكتبة عامة سوف تفتح للجمهور وتكون أساسًا لشبكة تضع أدوات المعرفة بين يدى شباب هذا الركن القاصى من الكرة الأرضية، وتضع بين أيديهم أفصح ما كتبه الكتاب الأقدمون مما يعتبر إحدى بركات الحياة أى التعليم المنزلى".

وفى سنة ١٨٢٠م نقلت مكتبة فون ديسين إلى مبنى جديد خاص بها "مكتبة جنوب

إفريقيا العامة" وبذلك تحققت أمنية الرجل التى تمناها من ستين عامًا سبقت. وكذلك أيضًا تكون هذه المكتبة هى أول مكتبة فى العالم تدعم عن طريق الضرائب. ولكن فرض الضريبة لصالح المكتبة توقف بعد فترة وتحولت "مكتبة جنوب إفريقيا العامة" إلى مكتبة اشتراكات بعد سنة ١٨٢٩م. وفى أعقاب هذه المكتبة أسس عدد من مكتبات الاشتراكات فى المدن التى أسسها المستوطنون إلى الشرق والشمال الشرقى من مدينة الكاب وبعد ذلك فى الكاب الشمالى الغربى وناتال وأورانج وجمهورية إفريقيا الجنوبية أى الترانسفال. وفى خلال القرن الأول من تنفيذ وصية فون ديسين كانت هناك ٢١ مكتبة اشتراكات قد أسست فى مستعمرة الكاب وبالإضافة إلى (مكتبة جنوب إفريقيا العامة) فى مدينة الكاب كانت هناك المكتبات الآتية: -

-	جلين لايندن	١٨٢٨	-	خليج موسيل	١٨٥٦
-	سولينندام	١٨٣٨	-	موريبورج	١٨٥٧
-	جورج	١٨٤٠	-	نهر كويلز	١٨٥٧
-	ويتنهاج	١٨٤٠	-	بوفروت ويست	١٨٥٩
-	جراهامزتاون	١٨٤٢	-	كيدز بيتش	١٨٥٩
-	جراف راينت	١٨٤٧	-	ستلينبوش	١٨٥٩
-	بورت إليزابث	١٨٤٨	-	أليوال نورث	١٨٦٠
-	كرادوك	١٨٥٠	-	كوليزبيرج	١٨٦٠
-	ريتشموند	١٨٥٢	-	كنج ويليامز تاون	١٨٦١
-	ووركستر	١٨٥٤	-	كمبرلى (قلب الماس)	١٨٨٦
-	كوينزتاون	١٨٥٥			

وفى خلال نفس الفترة الزمنية أسست ست مكتبات اشتراكات فى مستعمرة ناتال البريطانية وهى مكتبات:

-	بيترماريتزبيرج	١٨٥١	-	ريتشموند (ناتال)	١٨٦٥
-	ديربان	١٨٥٣	-	جريتاون	١٨٧٥
-	باينتاون	١٨٦٢	-	هوويك	١٨٣٣

وفى جمهورية أوارنج الحرة أسست أربع مكتبات اشتراكات قبل حرب البوير - الإنجليزية ١٨٩٩-١٩٠٢ وهى:

-	بلومفونتين	١٨٧٥	-	فيكسبورج	١٨٩٢
-	سنيكال	١٨٨٤	-	هاريسميث	١٨٩٧

وفى الترانسفال (جمهورية إفريقيا الجنوبية آنذاك) كانت هناك أيضًا فى نفس الفترة أربع مكتبات اشتراكات هى:

-	بريتوريا	١٨٧٨	-	جوهانسبرج	١٨٨٩
-	ليختنبورج	١٨٨٤	-	كليركسدورب	١٨٩٣

وقبل نهاية القرن التاسع عشر كان عدد مكتبات الاشتراكات فى جنوب إفريقيا قد تضاعف ووصل إلى ٧١ مكتبة اشتراكات منها ٥٨ مكتبة فى مستعمرة الكاب وحدها.

وقد شهد القرن التاسع عشر ثمانى مكتبات أسلاف للواحد والعشرين مكتبة جامعية الموجودة الآن فى جنوب إفريقيا: كلية جنوب إفريقيا (جامعة مدينة الكاب فيما بعد) أسست سنة ١٨٢٩؛ كلية جريى فى بلومفونتين (ما تزال هذه الكلية موجودة وهى نواة جامع ولاية أورانج الحرة)؛ كلية سانت أندروز فى جراهامزتاون (نواة جامعة رودس الباكرة) وكلا الكليتين أسستا سنة ١٨٥٥م؛ المعهد اللاهوتى فى بيرجرز دورب شمال شرقى الكاب وهى سلف "جامعة التربية المسيحية العليا" فى الترانسفال وقد أسس

المعهـد ١٨٦٩؛ كلية ستلينبوش التى أصبحت فيما بعد كلية فيكتوريا وحاليًا جامعة ستلينبـوش، وقـد أسست الكلية سنة ١٨٦٦؛ أما جامعة جنوب إفريقيا الموجودة حاليًا فى بريتوريا والتى خرجت من بطن الجامعة السابقة (جامعة رأس الرجاء الصالح) فكانت قد أسست سنة ١٨٧٣؛ وجامعة الناتال الحالية بفرعيها فى بييترمارتزبورج وديربان (والتى خرجت من رحم كلية مارتزبورج القديمة ومعهد ديربان الفني) فإنها ترجع إلى ثمانينات القرن التاسع عشر؛ وأخيرًا جامعة ويتووترز راند فى جوهانسبرج فقد تطورت عن "مدرسة جنوب إفريقيا للتعدين" والتى كانت قد أسست فى كمبرلى سنة ١٨٩٦.

وهناك بعض الكليات الجامعية التى لها وضع الجامعة ولكنها لا تنتمى إلى جامعة اثنتان أسستا فى القرن التاسع عشر وهما كلية جيل التى أسست فى سومرست الشرقية وكلية جربى فى بورت إليزابث. وفى مطلع القرن العشرين ١٩٠٨م أسست الكلية الجامعية كلية هوجينوت فى ويلينجتون والتى كانت معهدًا لإعداد المعلمين ثم تحولت إلى كلية جامعية حتى سنة ١٩٥٠، وهى الآن كلية للتربية وقد ضمت إلى جامعة جنوب إفريقيا سنة ١٩٧٦.

وهناك عدد غير محدد من المكتبات المدرسية أسس فى القرن التاسع عشر على غرار المكتبات المدرسية فى بريطانيا. وكانت الغالبية العظمى من المكتبات المدرسية فى الكاب.

والتأريخ للمكتبات المتخصصة فى جنوب إفريقيا يلقى عبئًا ثقيلاً على مؤرخ المكتبات حيث إن عددًا كبيرًا منها قد نشأ بالضرورة كجزء متكامل من المشروعات الصناعية التى قامت فى القرن التاسع عشر والمراكز البحثية هناك. وتذكر المصادر أنه من بين المكتبات المتخصصة الموجودة الآن فى جنوب إفريقيا نستطيع أن نؤكد أن ستا منها على الأقل أسست فى القرن التاسع عشر وهي:

١ – مكتبة برلمان الكاب فى مدينة الكاب ١٨٥٤

٢– مكتبة متحف جنوب إفريقيا فى مدينة الكاب ١٨٥٥

٣- مكتبة وزارة التعليم فى مدينة الكاب	١٨٥٩
٤- مكتبة سكك حديد جنوب إفريقيا فى جوهانسبرج	١٨٧٥ (وكانت بداية فى مدينة الكاب)
٥- مكتبة متحف الترانسفال فى بريتوريا	١٨٩٢
٦- مكتبة وزارة التعليم بالترانسفال فى بريتوريا	١٨٩٥
٧- مكتبة المحكمة العليا فى مدينة الكاب	نهاية ق١٨
٨- مكتبة المحكمة العليا فى كمبرلى	١٨٧١
٩- مكتبة المحكمة العليا فى بلومفونتين	١٨٧٥
١٠- مكتبة مصلحة المساحة الجيولوجية فى بريتوريا	١٨٥٩
١١- مكتبة المكتب الفنى لمهندس التعدين الحكومى	١٨٧٥
١٢- مكتبة مصلحة المساحة المركزية	ق١٩

وفى سنة ١٨٧٣م أصبحت مكتبة جنوب إفريقيا العامة تتمتع بالإيداع القانونى وكانت قد أنشئت كما أسلفت سنة ١٨١٨م ومن هذا الموقع الجديد أصبحت ينظر إليها على أنها واحدة من المكتبات الوطنية فى البلاد وخاصة فيما بعد الاتحاد (١٩١٠). ومنذ ١٩٦٧م كما سنرى عند حديثنا عن المكتبات الوطنية أصبح يطلق عليها (مكتبة جنوب إفريقيا) على غرار المكتبة البريطانية. كذلك فإن مكتبة الدولة فى بريتوريا التى أنشأها الرئيس بول كروجر سنة ١٨٨٧، تمتعت هى الأخرى بالإيداع القانونى ونظر إليها بعد الاتحاد أيضًا على أنها مكتبة وطنية. كما أنشئت فى البلاد مكتبة للمكفوفين تعتمد على كتب برايل سنة ١٩١٩م وبعد خمسين سنة اتخذت أيضًا وضع المكتبة الوطنية.

ومن القرارات الهامة المتعلقة بالمكتبات فى جنوب إفريقيا فى القرن التاسع عشر ذلك القرار الذى أصدره سكرتير عام مستعمرة الكاب ج.سي. مولتينو رقم ٤٤٢ لسنة ١٨٧٤ بتقديم معونة مالية لمكتبات المدن الصغيرة والمدارس فى مستعمرة الكاب وربما دفعه على

ذلك أنه كان يعمل مساعدًا فى مكتبة جنوب إفريقيا العامة مما نمَّى لديه الوعى بأهمية المكتبات وقراره ينص على تقديم معونة بحد أقصى ١٠٠ جنيه استرلينى وبحد أدنى ٢٥ جنيه استرلينى للمكتبات فى المدن الصغيرة والمدارس فى مستعمرة الكاب وذلك بناء على حجم الاشتراك فى تلك المكتبات فى السنوات الثلاث السابقة على بدء المعونة. ورغم تذبذب المعونة من سنة إلى سنة إلا أنها ظلت أساسًا راسخًا فى تنمية مكتبات الاشتراكات. وقد انتشرت هذه الفكرة إلى المستعمرات الأخرى مما ساعد معظم القرى والمدن فى جنوب إفريقيا على إقامة مكتبات الاشتراكات.

لقد امتد مبدأ الدعم الحكومى للمكتبات ليشمل المكتبات المدرسية أيضًا فى مستعمرة الكاب ومنها إلى المستعمرات الأخرى. وقد تطور مفهوم (جنيه مقابل جنيه) بالتدريج ليعم البلاد كلها وينطلق من المدن إلى الريف، وأدى أكثر من ذلك إلى قيام مكتبات الولايات التى تشرف على الخدمات المكتبية العامة فى كل الولاية: الترانسفال ١٩٤٢، الكاب ١٩٤٥، جمهورية أوارنج الحرة ١٩٤٨، الناتال ١٩٠٢. ومن الجدير بالذكر أن هذا النظام مازال موجودًا بطريقة أو بأخرى حتى يومنا هذا فى بعض الولايات والمناطق.

لقد وضع قانون جنوب إفريقيا لسنة ١٩٠٩م الأساس الدستورى لقيام اتحاد جنوب إفريقيا سنة ١٩١٠م وقيام جمهورية جنوب إفريقيا التى خلفت الاتحاد سنة ١٩٦١م. هذا القانون يحدد مدى السلطات الممنوحة للحكومة المركزية وحكومات الولايات. ومن هذا المنطلق فإن قانون العلاقات المالية رقم ١٠ لسنة ١٩١٣ له علاقة مباشرة بالمكتبات العامة فى المناطق الريفية والحضرية على السواء فى عموم جنوب إفريقيا. وحيث حدد القانون أن بسط المكتبات العامة وتوسيع نطاقها هى مسئولية حكومات الولايات. بينما المكتبات الوطنية هى مسئولية الحكومة المركزية. ورغم أن قانون ١٩١٣ قد حل محله قانون ٣٨ لسنة ١٩٤٥م إلا أن الجوهر لم يمس، وقد عدل بالقانون ٨ لسنة ١٩٤٩.

لقد جاء التطور الحقيقى للمكتبات العامة الحديثة بدعم من مؤسسة كارنيجى اعتبارًا من ١٩٢٨. ففى تلك السنة زار جنوب إفريقيا اثنان من المكتبيين لدراسة الوضع المكتبى ورفع التقرير إلى المؤسسة لتقديم الدعم المناسب. كان أحدهما هو الأمريكى ميلتون ج.

فيرجسون (مكتبة ولاية كاليفورنيا) وثانيهما هو البريطانى بريتون س. بت (مدير مكتبة جلاسجو العامة) وقد درس الخبيران الوضع المكتبى فى جنوب إفريقيا بدقة وقررا عقد مؤتمر وطنى للمكتبات. وقد عقد مؤتمر سنة ١٩٢٨ فى مدينة بلومفنتين المركزية وحضره نحو ثمانين شخصًا من المكتبيين وممثلى الحكومة والجامعات وقادة الفكر فى المجتمع. وكانت التوصيات السبع الهامة من بين توصيات المؤتمر هي:

١- إنشاء شبكة مكتبات عامة مجانية لخدمة جميع أرجاء جنوب إفريقيا.

٢- تطوير المكتبات المدرسية على أسس مهنية.

٣- إعطاء اهتمام خاص لتقديم كافة أنواع الخدمات المكتبية للجماعات العرقية غير البيضاء كلٍ على حدة.

٤- إعادة تنظيم المكتبات الجامعية على أسس علمية ومهنية سليمة.

٥- تأسيس اتحاد لأمناء المكتبات فى جنوب إفريقيا.

٦- تأسيس برنامج لتعليم علم المكتبات.

٧- تكوين مجلس لإدارة المكتبة الوطنية.

وبناء على ذلك قدمت مؤسسة كارنيجى منحة سخية قدرها ٠٠٠و١٥٠راند للبدء فى تنفيذ أهم التوصيات. وكانت أولى الثمرات قد جاءت سنة ١٩٣٠ بتكوين اتحاد مكتبات جنوب إفريقيا وكانت خطوة أولى موفقة. وكانت الخطوة الثانية هى تشكيل لجنة بينية (بين الوزارات) من قبل الحكومة المركزية حول المكتبات فى اتحاد جنوب إفريقيا سنة ١٩٣٦. وكانت مهمة هذه اللجنة كما جاء فى قرار تشكيلها:

"بحث ورفع التقارير عن الحالة العامة والتنظيم الذى عليه المكتبات فى الاتحاد وخاصة فيما يتعلق بـ:

أ- الخدمات التى تقدم حاليًا للجمهور العام.

ب- تمويل وضبط ميزانيات المكتبات.

ج- القوى العاملة فى المكتبات وإعدادهم المهني.

" ورفع التوصيات بالخطوات التى يمكن اتخاذها لتحسين الأوضاع فيما يتعلق بالبنود السابقة أ، ب، ج؛ وذلك لتحقيق أقصى استفادة من المكتبات كأدوات تعليمية وتربوية".

وقد تضمن تقرير ١٩٣٧م ١٥ توصية اعتبرت أساسًا لتطوير المكتبات لسنوات طويلة قادمة؛ وكانت هناك استجابة حقيقية لتلك التوصيات من كافة الأطراف إلا أن اندلاع الحرب العالمية الثانية وجه اهتمام الدولة إلى جوانب أخرى.

وقد عقد مؤتمر وطنى ثانٍ للمكتبات سنة ١٩٦٢ فى بريتوريا وكان تركيزه حول التعاون الوطنى المكتبى ولكن مع احتفاظ كل مكتبة بذاتيتها داخل الشبكة. وقد تبنى المؤتمر موضوع: "برنامج تنمية المكتبات فى جمهورية جنوب إفريقيا" وكان من نتائج المؤتمر المباشرة تأسيس (المجلس الوطنى الاستشارى للمكتبات) وهو هيئة شبه رسمية تتبع وزارة التعليم الوطنية. وكان وضع المكتبات فى جنوب إفريقيا فى سنة ١٩٧٠ على النحو الذى يصدره الجدول المرفق:

المكتبات الوطنية فى جمهورية جنوب إفريقيا

كما ألمحت لماما من قبل استثنى القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١٣م بعض المكتبات من المسئولية الإقليمية الولائية وجعلها مسئولية الحكومية المركزية ومعنى هذا أنه أضفى عليها صفة الوطنية وكانت هناك وقت صدور ذلك القانون مكتبتان بهذه الصفة هما: مكتبة جنوب إفريقيا فى مدينة الكاب ومكتبة الدولة فى بريتوريا. وفى سنة ١٩٦٩م انسحبت صفة الوطنية على مكتبة جنوب إفريقيا للمكفوفين وكانت هذه المكتبة قد أسست سنة ١٩١٩. ومن هذا المنطلق يكون هناك فى جنوب إفريقيا ثلاث مكتبات وطنية. وهذه المكتبات الثلاث تقع تحت إشراف وزارة التعليم الوطنية. وكل منها تدار بواسطة مجلس إدارة يعين بعض أعضائه من قبل الوزير والبعض الآخر يرشح من قبل السلطات المحلية والجامعات. وكما أسلفت تتمتع المكتبتان الأوليان بالإيداع القانونى طبقًا لقانون حق المؤلف الصادر سنة ١٩١٦ والقوانين المعدلة والمكملة له مع العلم بأن "مكتبة جنوب إفريقيا" كانت تتمتع بالإيداع منذ سنة ١٨٧٣ بالنسبة للكتب الصادرة فى مستعمرة الكاب.

جدول يلخص الصورة الإجمالية

لوضع المكتبات فى جنوب إفريقيا (١٩٧٠)

نوع المكتبات	عدد المكتبات	وحدات الخدمة	مقتنيات الكتب ومجلدات الدوريات	الدوريات	العاملون	المؤهلون منهم
الوطنية	٣	٣	١.٥٠٨.٩٧١	٩٢٤٠	١٨٨	٥٦
الأكاديمية						
جامعية	١٦	٨٣	٥.٠٥٠.٣٠٣	٦٠.٠٩٦	١٠٩٦	٣٨٠
كليات	٥٤	٥٤	١.٥٠٠.٠٠٠	٢٣١٩	١٠٣	٥٩
العامة						
الريف	٥	١٨٦٣	١٣.٢٧٦.٣٥٧	١٥.٠٠٠	١٧٢٩	٢٧٥
الحضر	١٣	٤٨٥	٥.٨٦٢.٦٩٦	١٩٧٥٢	١٩٠٥	٣٣٠
المدرسية	٧	١٦.١١٨	١٢.٥٠٠.٠٠٠	٢٠.٠٠٠	١٠٣٥	٧٥٦
المتخصصة	٢١٨	٢٣٠	١.٨٢٠.٤٦٦	٣٨.٥٧٥	٦٩١	٢٠١
حكومية						
وزارية	٦٥	١١٢	٢.٤٥١.١٣٥	١١٨٥٢	١١٨٦	٤٣٦
المجموع	٣٨١	١٨٩٤٨	٤٣.٩٦٩.٩٢٨	١٧٦.٨٣٤	٧٥٣٧	٢٤٩٣

● المقصود بعدد المكتبات هنا المكتبات الرئيسية أو الشبكات. أما وحدات الخدمة فهى المكتبات الفرعية التابعة للمكتبات الرئيسية. وهذا الجدول تم استقاؤه من إحصاءات الكتاب السنوى لليونسكو والتقسيم الموجود فى الجدول هو تقسيم الكتاب السنوى عن سنة ١٩٧٠. ومن ثم فإن الجدول يعطى صورة تركيمية لما كانت عليه المكتبات فى جنوب إفريقيا حتى سنة ١٩٧٠.

مكتبات الولايات فى جنوب إفريقيا

سنة ١٩٧٠

الولاية	سنة التأسيس	مجموع السكان	السكان حسب العرق (بالألف)				العضوية	المقتنيات	العاملون		نقاط الخدمة	
			ض	م	آ	س			ج	م	مكتبات	مستودعات
الكاب	١٩٤٥	٤.٢٣٥.٥١٥	١.١٠٠	١.٧٣٥	٢٢	١.٣٦٠	٥٠٠.٥٥٤	٥.٣٦٤.٢٩٠	٢١٠	٣٧	٢٦٠	٢٥٩
الناتال	١٩٥٢	٢.١٤٠.١٦٦	٢٤٢	٦٧	٥١٥	١.١١٦	١٤٧.٥٥٩	١.٤٣٤.٦٤٣	١٢٥	٤١	٧٥	٢٤٤
أورانج	١٩٤٨	١.٦٤٩.٣٠٦	٢٩٨	٣٦	—	١.٣١٧	٩٤.٩٨١	٢.٣٧٠.١٩٠	٦٠	٣٠	٧٨	٣٤١
الترانسفال	١٩٤٢	٦.٣٨٨.٨٧٠	١.٨٩٠	١٥١	٨١	٤.٢٦٧	٦٠٣.١١٤	٤.١٠٧.٢٣٤	١٢٦٤	٣٨	١٩٩	٣٩٢
المجموع	—	١٤.٤١٣.٨٥٧	٣.٧٣٠	١.٩٨٩	٦١٨	٨٠٦٠	١.٣٤٦.٢٠٨	١٣.٢٧٦.٣٥٧	١٦٥٩	١٤٦	٦١٢	١٢٤٦

مفاتيح الاختصارات

* السكان حسب العرق:
  - ض = البيض
  - م = الملونون
  - آ = الآسيويون
  - س = السود

* العاملون:
  - ج = الجميع
  - م = المؤهلون

وتتعاون المكتبات الوطنية فيما بينها وتنسق أعمالها لمنع أية تداخلات وتعارضات فيما تقوم به من وظائف. وباختصار تركز "مكتبة جنوب إفريقيا" حول وظائف الخدمة المرجعية وحفظ الذخائر والتراث والعمل الببليوجرافي. أما مكتبة الدولة فى بريتوريا فإنها النقطة المحورية فى الإعارة البينية وإعداد الفهرس الموحد أو ما يسمى هناك بالفهرس المشترك وتنشر الببليوجرافية الوطنية لجنوب إفريقيا. أما مكتبة جنوب إفريقيا للمكفوفين فإنها مسئولة عن الخدمة المكتبية للمكفوفين وضعاف البصر فى جميع أنحاء البلاد بالتعاون مع جميع الهيئات المعنية.

مكتبة جنوب إفريقيا

أسست هذه المكتبة سنة ١٨١٨ وهى أقدم المكتبات طرًا فى جنوب إفريقيا وبقيت الوحيدة لفترة من الزمن هناك. سابقًا ظلت "مكتبة جنوب إفريقيا العامة" مجانية إلى سنة ١٩٢٩ عندما تحولت إلى مكتبة اشتراكات كما ألمحت. وفى سنة ١٨٥٤م قام حاكم مستعمرة الكاب بتخصيص معونة حكومية للمكتبة وإقامة مبنى جديد لها افتتح سنة ١٨٦٠. وعندما انتقل هذا الحاكم (جورج جريي) إلى نيوزيلندا توفر على إهداء هذه المكتبة جزءًا من كتبه الثمينة ومخطوطاته الرائعة وقد تضمنت هذه الهدية مائة مخطوطة مذهبة ترجع للعصور الوسطى ومائة مهادية من أوائل المطبوعات والطبعات الأولى والثانية من كتب شكسبير وكتب أخرى كثيرة منشورة فى إفريقيا وبولينيزيا واستراليشيا، مما رفع كثيرًا من قيمة هذه المكتبة بين قريناتها فى العالم.

وقد أضيفت إلى المكتبة هدايا أخرى قيمة من حين لآخر مما جعلها تمتلك مجموعات لا تبارى وخاصة المطبوعات والدوريات الأولى فى جنوب إفريقيا. وقد أضيف للمبنى الأصلى أجنحة جديدة سنوات ١٩٢٢، ١٩٢٦، ١٩٥٩. وأهديت إليها مجموعة فيربريدج القيمة فى الأدب الإنجليزى سنة ١٩٢٦م كما شكلت لها جماعة أصدقاء مكتبة جنوب إفريقيا سنة ١٩٥٥.

ولأكثر من قرن كانت هذه المكتبة تقوم بدور مزدوج (١٨٢٩-١٩٥٤) دور المكتبة الوطنية ودور المكتبة العامة التى تعير مقتنياتها خارجيًا. ولكن اعتبارًا من ١٩٥٥م

وعندما أخذت المكتبات العامة فى الانتشار اقتصرت مكتبة جنوب إفريقيا على دور المكتبة الوطنية فقط وتوقفت عن الإعارة الخارجية.

ومجموعات المكتبة ثرية فى المطبوعات النادرة والمخطوطات المذهبية ومجالات العلوم الاجتماعية والإنسانيات والعلوم البيولوجية. ومن بين المجموعات الخاصة إلى جانب مجموعات فون ديسين ومجموعات فيربريدج التى أتينا عليها من قبل نذكر المجموعات الآتية:

١- المجموعة الإفريقية. تاريخ ورحلات وأعمال عامة عن إفريقيا وخاصة إفريقيا الجنوبية.

٢- مجموعة موير فى الرياضيات.

٣- مجموعة مخطوطات جنوب إفريقيا.

٤- خرائط الكاب القديمة.

وكانت المجموعات سنة ١٩٨٠ تضم: ٤٠٨,٧٧ مجلد كتب، ١١٥٠٠٠ مجلد دوريات، ١٩٦٠٠ مجلد جرائد، ١٧٠٠٠ خريطة، ٢٤٢٠ مصغر فيلمي، ٣٢٠٠ دورية جارية ٣٨٠ جريدة جارية ومجموعات كبيرة من المخطوطات والصور المطبوعة والرسومات واللوحات الزيتية. وكان عدد العاملين ٦٥ شخصًا من بينهم ٢٥ يحملون مؤهلات مهنية. وفى سنة ١٩٩٠ بلغت مقتنيات المكتبة ٠٠٠ و ٥٢٠ مجلد كتب وفى سنة ٢٠٠٥ بلغت المقتنيات نحو ٠٠٠ و ٧٠٠ مجلد. وارتفع عدد العاملين فى مطلع القرن الواحد والعشرين إلى ١٠٠ شخص من بينهم ٤٠ من المؤهلين. ولدى المكتبة برنامج نشرى واسع النطاق. بقى أن نذكر بأن هذه المكتبة تقع فى مدينة الكاب.

مكتبة الدولة فى بريتوريا

افتتحت هذه المكتبة سنة ١٨٨٧م على يد رئيس جمهورية إفريقيا الجنوبية بول كروجر (ولاية الترانسفال الآن). وكان إنشاء هذه المكتبة نتيجة مباشرة لهدية الكتب التى قدمها "اتحاد أدباء هولندا". وقامت المكتبة منذ البداية بدور مكتبة الإعارة ومكتبة الاستشارة

فى آن واحد. وفى سنة ١٨٩٢م أدمجت مع مكتبة بريتوريا العامة وكانت مكتبة اشتراكات أقيمت هناك سنة ١٨٧٨م واستمرت مكتبة إعارة حتى ١٩٦٤. وعندما قام اتحاد جنوب إفريقيا سنة ١٩١٠م أضيفت على المكتبة صفة الوطنية وتغير اسمها إلى الاسم الحالى وتمتعت بالإيداع القانونى الصادر سنة ١٩١٦ شأنها شأن مكتبة جنوب إفريقيا. وفى سنة ١٩٣٣ قدمت مؤسسة كارنيجى فى نيويورك منحة سخية للمكتبة قدرها ٠٠٠ و ١١٠ رائد. وكان الهدف هو جعل هذه المكتبة مركز الإعارة البينية فى كل البلاد وكذلك المساهمة فى إقامة شبكة مكتبات عامة ريفية مركزها هذه المكتبة وإنشاء الفهرس الموحد وإصدار الببليوجرافية الوطنية. وتلقت المكتبة دعمًا ماليًا كبيرًا كذلك من مجلس مدينة بريتوريا لتمكينها من تقديم خدمات الإعارة الخارجية للمواطنين. ومع قيام المكتبات الإقليمية تخلت هذه المكتبة عن مسئوليتها أمام الجمهور والمناطق الريفية واقتصرت على خدمة مدينة بريتوريا فقط حتى ١٩٦٤ حيث تفرغت للعمل كمكتبة وطنية فقط.

وقد بدأت هذه المكتبة فى إعداد الفهرس الموحد (أو حرفيًا المشترك) بالكتب سنة ١٩٤١م وهو يهدف إلى حصر الكتب الموجودة فى المكتبات فى جنوب إفريقيا وذلك لتسهيل عمليات الإعارة البينية. وقد بدأت المكتبة فى ميكنة هذا الفهرس اعتبارًا من ١٩٧٢.

وفى سنة ١٩٨٠ كانت مجموعات المكتبة، تدور حول ٥١٨٠٠٠ مجلد كتب، ٨٩,٠٠٠ مجلد دوريات، ١٧,٤٤٠ مجلد صحف، ١٠,٠٠٠ خريطة، ٦٨٨٦ مصغر فيلمي، ٥٩٩٧ دورية جارية و٢٨٨ جريدة جارية. وفى سنة ٢٠٠٥م وصل عدد الكتب بها إلى ٧٠٠,٠٠٠ مجلد كتب. عدد العاملين الآن ١٢٠ موظفًا.

وتصدر هذه المكتبة الببليوجرافية الوطنية لجنوب إفريقيا. كما تصدر سلسلة كتب فى علم المكتبات وقائمة بالدوريات الصادرة فى جنوب إفريقيا، وقائمة أخرى بالجرائد وسلسلة إعادة الطبع وسلسلة المصغرات. وقد بدأت الببليوجرافية الوطنية سنة ١٩٥٩م كما أخذت هذه الببليوجرافية فى الرجوع للخلف مع سنة ١٩٦٥. واعتبارًا من ١٩٦٨ بدأ إصدار الببليوجرافية الوطنية بالاستعانة بالحاسب.

مكتبة جنوب إفريقيا للمكفوفين. أسسها القطاع الخاص سنة ١٩١٩م وكانت تديرها الآنسة جوزفين وود من منزلها فى مدينة جراهامزتاون فى شرقى الكاب وكانت تعتمد بداية على معونات أهل الخير وإعانة بسيطة من جانب حكومة ولاية الكاب ووقف ساعد على إنشاء المبنى الحالى للمكتبة. وقد قدمت مؤسسة كارينجى منحة سخية للمكتبة بشرط أن تكون مقرًا لكل أنشطة العمل مع المكفوفين وضعاف البصر. وربما من هذا المنطلق عوملت المكتبة كمكتبة وطنية وتعامل معاملة المكتبتين الأخريين. ومن المؤكد أن مقتنيات المكتبة تختلف عن المكتبات الأخرى، وهى ليست أكبر منتجى الشرائط الصوتية للمكفوفين هناك حيث توجد مؤسستان أخريان أكبر منها فى هذا الصدد وهما: مدرسة المكفوفين فى ووركستر فى الكاب الغربى والجمعية الخيرية (الشرائط المساعدة للمكفوفين) فى كل من ديربان وجوهانسبرج. ومن بين أنشطة هذه المكتبة إصدار وتجميع الببليوجرافيات المتعلقة بالإنتاج الفكرى للمكفوفين. وأول تلك الببليوجرافيات صدر سنة ١٩٧٢ بعنوان "فهرس كتب برايل بالأفريكانية" وبعده "فهرس كتب برايل بالإنجليزية" فى جزأين الأول خاص بكتب غير القصص والثانى خاص بكتب القصص. ومن الببليوجرافيات الهامة أيضًا (مارك ٥ بكتب الكاسيتات باللغة الإنجليزية). ومن الأعمال الهامة كذلك الفهرس الموحد بالإنتاج الفكرى للمعوقين بصريًا".

وفى مطلع الثمانينات من القرن العشرين كان المبنى الذى تحتله المكتبة قد ضاق ولذلك توسعت المكتبة فى مبنى مجاور لها. وتصل مقتنيات المكتبة اليوم (٢٠٠٥م) ٣٥٫٥٠٠ كتاب برايل اساسًا باللغتين الإنجليزية والأفريكانية و٦٤٠٠ كتاب مطبوع بالبنط الكبير (مون تايب) لضعاف البصر. ٢٠٫٥٠٠ شريط صوتى (كاسيت)؛ وعدد العاملين بالمكتبة ٣١ شخصًا منهم خمسة مؤهلون مكتبيًا.

المكتبات الأكاديمية فى جمهورية جنوب إفريقيا.

تكشف آخر الإحصاءات التى لدينا (٢٠٠٥م) عن وجود ٢٢ جامعة و٩ أكاديميات تكنولوجية (تكنيكون) فى جنوب إفريقيا. ومن الطبيعى أن تختلف المكتبات الجامعية فيما

بينها اختلافًا كبيرًا من حيث الحجم والنوع وذلك بسبب تاريخ التأسيس أى بين القديم والجديد وبسبب العرق أى بين جامعات تخدم البيض وجامعات تخدم السود رغم إلغاء التفرقة العنصرية ١٩٨٦م.

ويرى الخبراء أن هذا العدد من الجامعات والكليات ربما يكون أكثر من احتياجات البلد بكثير ولكن يعزى ذلك إلى أربعة عوامل رئيسية:

١- التخلخل السكانى حيث يتناثر السكان ويتبعثرون على مساحات واسعة فقد قدرت الكثافة السكانية هناك ٢٠٠٥م عامة ٣٥ نسمة فى الكيلومتر المربع.

٢- العادة المتأصلة بين البيض خاصة وهى ضرورة مواصلة التعليم العالى وعدم الاكتفاء بالتعليم المتوسط لدرجة أن البيض يمثلون اليوم نسبة ٨٥٪ من مجموع الطلاب فى الجامعات.

٣- أن من حق البيض أن يختاروا لغتهم الأولى كلغة للتعليم ومن ثم لابد من الازدواجية فى المقرر الواحد باللغتين.

٤- القرار الذى طبق مع الخمسينات من القرن العشرين بضرورة إنشاء مؤسسات تعليم عالى عرقية – منفصلة عن البيضاء – لتعليم الملونين والآسيويين والسود فى مختلف فروع العلم والتعليم المهني.

ولهذه الأسباب وأسباب أخرى زاد عدد الجامعات وبالتالى عدد المكتبات الأكاديمية الموجودة هناك. ويلاحظ أن واحدة من الجامعات هناك تعتمد على التعليم المفتوح عن بعد وهى (جامعة جنوب إفريقيا) وهى تدرس باللغتين الإنجليزية والأفريكانية وهى تدرس للجميع حتى لمن هم خارج جنوب إفريقيا. والإقبال عليها أربع أضعاف منافستها جامعة بريتوريا وتضم ٣٠٪ من مجموع طلاب الجامعات فى جنوب إفريقيا. وهناك اليوم ما لا يقل عن ١٣ جامعة يقتصر القبول فيها على البيض وحدهم وأهم تلك الجامعات:

١- جامعة بريتوريا فى بريتوريا

٢- جامعة ستيلنبوش فى بلومفونتين

٣- جامع أورانج الحرة فى بلومفونتين

٤- جامعة راند أفريكانز فى جوهانسبرج

٥- جامعة بوتشيفستروم للتعليم العالى المسيحي

وهذه الجامعات الخمس تستخدم اللغة الأفريكانية فى التدريس ولا تستخدم سواها.

٦- جامعة كيب تاون فى مدينة الكاب

٧- جامعة ويتووترز راند فى جوهانسبرج

٨- جامعة الناتال بفرعيها فى ديربان وبيترمارتزبورج

٩- جامعة رودس فى جراهامز تاون

هذه الجامعات الأربع تدرس بالإنجليزية فقط.

١٠- جامعة بورت إليزابث فى بورت إليزابث

وهذه الجامعة النظامية الوحيدة التى تدرس باللغتين الأنجليزية والأفريكانية أى أن المقرر الواحد يدرس مرة بالإنجليزية للطلاب الناطقين بالإنجليزية ومرة ثانية باللغة الأفريكانية للطلاب الناطقين بها.

من بين الجامعات هناك ثلاث جامعات للسود أنشئت بين ١٩١٦ و١٩٥٩ هى جامعات: جامعة فورت هاري، جامعة الشمال، جامعة زولولاند. وتقوم فورت هارى بقبول الطلاب الناطقين بلغة الهوسا أساسًا وإلى حد ما الطلاب الناطقين بلغة سوثو الجنوبية. أما جامعة الشمال فإنها تقع فى منطقة ليبوا حيث أغلبية الطلاب ناطقون بلغة سبيدى وإن كانت تدرس أيضًا لطلاب منطقة جازا نكولو الناطقين تسونجا، وكذلك لطلاب منطقة بوفوثا تسوانا الناطقين بلغة سيشوانا وأيضًا منطقة فندا الناطقين بلغة فندا. وتقع جامعة زولولاند فى قلب كوازولوا وتدرس أساسًا للطلاب الناطقين بلغة زولو.

ورغم كل ذلك فإن لغة التعليم فى هذه الجامعات الثلاث هى الإنجليزية. ولقد أنشئت جامعة طبية للسود فى جارانكووا بالقرب من بريتوريا سنة ١٩٧٧ وإن كان طلاب الطب السود ما يزالون يتعلمون الطب فى جامعة الناتال فرع ديربان وفى نفس سنة ١٩٧٧ قامت ولاية ترانسكاى بإنشاء جامعتها فى العاصمة أومتاتا.

أما جامعة الكاب الغربى (ويسترن كيب) فى بلفيل بالقرب من مدينة الكاب فقد أسست سنة ١٩٦٠ للطلاب الملونين سنة ١٩٦٠؛ وفى ١٩٧١ أصبحت جامعة مستقلة. وفى سنة ١٩٦١ أنشئت فى وربان - ويستفيل جامعة للطلاب الآسيويين؛ وقد استقلت هى الأخرى سنة ١٩٧١. والتدريس فى جامعة الملونين (ويسترن كيب) باللغتين، أما فى جامعة الآسيويين فهى بالإنجليزية فقط.

والجامعات الثمانية التى ترجع جذورها إلى القرن التاسع عشر والتى عرضنا لها فى النبذة التاريخية هى حسب جذورها التاريخية:

١- جامعة كيب تاون	١٨٢٩
٢- جامعة أورانج الحرة	١٨٥٥
٣- جامعة رودس	١٨٥٥
٤- جامعة ستلينبوش	١٨٦٦
٥- جامعة بوتشيفستروم	١٨٦٩
٦- جامعة جنوب إفريقيا	١٨٧٣
٧- جامعة الناتال	١٨٨٥
٨- جامعة ويتووترز ساند	١٨٩٦

وهى جميعًا كانت بالضرورة للبيض حيث لم تنشأ فى ذلك القرن جامعات للأجناس الأخرى. أما الجامعات التى نشأت فى القرن العشرين للبيض وحدهم فمن بينها جامعة بريتوريا (١٩٠٧)، جامعة بورت إليزابث (١٩٦٥)؛ جامعة راند أفريكانز (١٩٦٨).

ومن الملامح المميزة لمكتبات جامعة كيب تاون العدد الكبير من المجموعات الخاصة وخاصة فى الإنسانيات كما تمتاز الجامعة بمكتباتها الفرعية الموضوعية: فى الطب (أسست ١٩٢٨)، الموسيقى (١٩٤٣)، العمارة (١٩٥١)، القانون (١٩٦٢)، التربية (١٩٦٩)، صحة الطفل (١٩٧٤). ورغم أن نواة جامعة كيب تاون قامت سنة ١٨٢٩م إلا أن المكتبة المركزية لم تقم إلا فى سنة ١٩٠٥. وقد بلغت مجموعاتها الآن ٢٠٠٥م نحو مليون وحدة.

أما مكتبة جامعة ستلينبوش الواقعة فى ثانى أقدم مدن جنوب إفريقيا على بعد ٥٠ كيلومترًا شمال شرق كيب تاون وترجع بدايتها إلى سنة ١٩٠٠ عندما كانت هذه الجامعة ما تزال تعرف باسم كلية فيكتوريا. وهى تمتاز مثل جامعة كيب تاون بمجموعاتها الخاصة الغنية فى مجالات عدة: الإنسانيات، القانونى الرومانى – الهولندي، الشئون الإفريقية، الموسيقى، المكتبات الشخصية.. وتبلغ مجموعاتها نحو ٧٥٠،٠٠٠ قطعة.

أما جامعة جنوب إفريقيا والتى ترجع أصولها إلى سنة ١٨٧٣ فقد توسعت مكتبتها توسعًا عظيمًا إذ تقتنى بمعدل ٢٥٠٠٠ قطعة فى السنة مما جعل مبناها يضيق بالمجموعات والمستفيدين والعاملين فانتقلت إلى مبنى جديد سنة ١٩٧٢ فى حرم جامعى جديد على حافة أحد التلال جنوب وسط مدينة بريتوريا. وكذلك نجد أن مكتبة جامعة بوتشيفستروم تضاعفت مجموعاتها أربع مرات فى فترة وجيزة وتمثل هى الأخرى مبنى جميلاً فسيحًا بنى لها خصيصًا سنة ١٩٧٥. وبالمثل فإن مكتبة جامعة بريتوريا عانت طويلاً من ضيق الحيز ولكنها أيضًا فى منتصف السبعينات انتقلت إلى مبنى جميل فسيح. وجامعة ويتووترز هى الأخرى عانت مكتبتها طوال حياتها حتى نهاية السبعينات من ضيق الحيز ولكنها فى مطلع الثمانينات توسعت فى مبنى جديد ملحق بالمبنى القديم وهكذا فى سائر مبانى المكتبات الجامعية فى جنوب إفريقيا.

ومن الجدير بالذكر أن مساحات المكتبات الجامعية المخصصة للبيض كافية ومريحة عمومًا بالنسبة لعدد المستفيدين والأمثلة التالية تدل على ذلك:

- جامعة راند أفريكانز ٣م٢ لكل مستفيد
- جامعة بورت إليزابث ٨و٢م٢ لكل مستفيد
- جامعة ويتووترز ٢م٢ لكل مستفيد
- جامعة بوتشيفستروم ٨و١م٢ لكل مستفيد
- جامعة ستلينبوش ١٦و١م لكل مستفيد

كذلك فإن عدد العاملين وخاصة المؤهلين منهم يبدو كافيًا فى جامعات جنوب إفريقيا.

من جهة ثانية فإن مكتبات الكليات الجامعية فى جنوب إفريقيا تبدو جيدة وخاصة فى كليات التربية. ومن المعروف أن كثيرًا من كليات التربية والكليات التكنولوجية كانت فى البداية معاهد أو كليات متوسطة ثم رفعت بمقتضى قانون التعليم الفنى المتقدم رقم ٤٠ لسنة ١٩٦٧م إلى وضع الكليات الجامعية. وتذكر المصادر أن وضع مكتبات كليات التربية للبيض فى الولايات الأربع الأساسية وهي: الترانسفال وعدد كلياتها ٤، ولاية الكاب وعدد كلياتها سبعة، ولاية ناتال وعدد كلياتها ثلاثة، ولاية أورانج الحرة وفيها كلية واحدة. وضع مكتبات هذه الكليات مرضى إلى حد كبير وتتراوح المجموعات فيها بين ٠٠٠و٥٠ كحد أدنى و٠٠٠و٢٠٠ كحد أقصى سنة ٢٠٠٥م.

وهناك خمس كليات جامعية زراعية، تذكر المصادر أن مكتباتها ما تزال فقيرة فى مجموعاتها وتنظيمها وخدماتها وتعتمد أساسًا على مكتبة وزارة الزراعة فى بريتوريا. وهذه الكليات هي:

١- كلية زراعة سيدارا فى ناتال.

وضع أهم المكتبات الجامعية
فى جمهورية جنوب إفريقيا (٢٠٠٤)

الجامعة	سنة التأسيس	المجموعات	الدوريات الجارية	عدد العاملين	
				إجمالي	مؤهلون
جنوب إفريقيا	(١٨٧٣) ١٩٥١	٨٥٠.٠٠٠	٧٥٠٠	٢٥٠	٨٠
بريتوريا	(١٩٠٧) ١٩٣٠	٧٥٠.٠٠٠	٦٠٠٠	١٥١	٧٥
ويتووترز ساند	(١٨٩٦) ١٩٢٢	٩٥٠.٠٠٠	٧٠٠٠	٢٧٠	٩٠
ستلينبوش	(١٨٦٦) ١٩١٨	٩٠٠.٠٠٠	٨١٠٠	١٥٥	٧٤
ـ كيب تاون	(١٨٢٩) ١٩١٨	١.١٠٠.٠٠٠	١١٠٠٠	٢١٠	٨٥
ـ الناتال	(١٨٨٥) ١٩٤٩	٦٥٠.٥٠٠	٧٥٠٠	١٤٥	٤٤
ـ أورانج الحرة	(١٨٥٥) ١٩٥٠	٤٥٥.٠٠٠	٣٥٠٠	٩٩	٣٠
ـ بوتشيفستروم	(١٨٦٩) ١٩٥٠	٦٦٨.٠٠٠	٥٤٦٩	١٣٤	٤٥
ـ راند أفريكانز	١٩٦٨	٤٣٠.٥٠٠	٤٤٠٠	٤٥	١٠
ـ ديربان فيستنيل	(١٩٦١) ١٩٧١	٢١٠.٥٠٠	٢٠٠٠	٥١	١٥
ـ بورت إليزابث	١٩٦٥	٢٥٠.٧٠٠	١٢٥٠	٤٢	٢٣
ـ رودس	١٨٥٥ ١٩٥١	٤١٥.٨٠٠	٣٢٠٠	١١	٢١

ملحوظة:
التاريخ الموجود بين قوسين هو تاريخ تأسيس نواة الجامعة والتاريخ الموضوع أسفله هو تاريخ تحويل النواة إلى جامعة.

٢- كلية زراعة جلين فى أورانج الحرة.

٣- كلية زراعة جروتفونتين فى الكاب.

٤- كلية زراعة ستلينبوش – إلزنبورج فى الكاب.

٥- كلية زراعة بوتشيفستروم فى الترانسفال.

ومن الجدير بالذكر أن الكليات المذكورة سابقًا هى للبيض، وهناك كليات مماثلة للجماعات العرقية الأخرى فى جنوب إفريقيا.

المكتبات العامة فى جمهورية جنوب إفريقيا.

استعرضنا فى النبذة التاريخية تطور المكتبات العامة فى جنوب إفريقيا وقلنا إن قرون ما قبل العشرين هى قرون المكتبة العامة هناك. وعندما زار كيز د. ميتكالف (مدير مكتبات جامعة هارفارد السابق) جنوب إفريقيا سنة ١٩٥٩ بهر بالمستوى الراقى الذى عليه المكتبات العامة هناك. وعلى العكس وجد أن المكتبات الوطنية والمكتبات الجامعية قد تخلفت كثيرًا عن نظيراتها فى الولايات المتحدة وكندا ودور أخرى ناطقة بالإنجليزية. وقد أشار الرجل إلى أن المكتبات العامة والخدمات المكتبية العامة للمناطق الريفية تقف على قدم المساواة مع نظيراتها فى الولايات المتحدة. وبعد حوالى نصف قرن من زيارة ميتكالف تزداد صورة المكتبات العامة فى جنوب إفريقيا تألقًا وازدهارًا فقد شهدت فترة الستينات وما بعدها اهتمامًا بالخدمة المكتبية للعرقيات الثلاثة غير البيضاء: الملونون، الآسيويون، السود.

لقد قام البيض فى الترانسفال والناتال وأوارنج الحرة بإنشاء المكتبات أساسًا لاستخدام البيض. وكان الوضع مختلفًا نسبيًا فى ولاية الكاب حيث شارك الملونون البيض فى استخدام المكتبات العامة على الأقل فى العقود والأولى للحركة المكتبية العامة هناك.

وتكشف أرقام ١٩٣٧ عن وجود ٢٤٩ مكتبة عامة ثلثاها فى ولاية الكاب وحدها

وكان المشتركون فى المكتبات العامة فى تلك السنة ٧١٠٩٥ فردًا قاموا باستعارة ٨ و٤ مليون كتاب من تلك المكتبات والتى قدر رصيدها بنحو ٢ مليون مجلد، وقد ارتفع عدد المكتبات العامة لسنة ١٩٧٧ إلى ٦١٢ مكتبة فى الولايات الأربع الكبرى: ٢٦٠ مكتبة فى الكاب، ١٩٩ فى الترانسفال، ٧٨ فى أورانج الحرة، ٧٥ فى الناتال. وكان عدد مستودعات الكتب أو نقاط الخدمة قد بلغ فى نفس تلك السنة ١٢٤٦ نقطة إلى جانب ١٣ مكتبة مدينة مستقلة بلغ عدد فروعها مجتمعة ١٤٤ فرعًا. وقد قفز رصيد المكتبات العامة من ٢ مليون فى ١٩٣٧ إلى أكثر من ١٩ مليون مجلد سنة ١٩٧٧و١٣ مليونًا منها فى المكتبات الإقليمية وفروعها بينما مكتبات المدن المستقلة وفروعها كان بها ٦ ملايين كتاب.

وبينما زاد عدد المستعيرين المسجلين فى المكتبات العامة ٢٣ مرة بين ١٩٣٧ و١٩٧٧م إلا أن عدد الكتب المستعارة لم يزد إلا ١٣ مرة فقط.

وفى مطلع القرن الواحد والعشرين كان عدد المكتبات العامة قد تجاوز ٢٥٠٠ مكتبة ونقصد بها هنا نقاط الخدمة؛ وهى منظمة فى شبكات. وتمثل كل ولاية بتدرجاتها المختلفة شبكة قائمة بذاتها تبدأ من المكتبة الإقليمية فى عاصمة الولاية. ونستعرض هنا أهم المكتبات الإقليمية.

الترانسفال. قامت أول مكتبة إقليمية (ولائية) فى ولاية الترانسفال فى مدينة بريتوريا سنة ١٩٤٢. وكانت ولاية الترانسفال قد قسمت إلى ثمانى مناطق هي: بريتوريا، ويتبانك، إبرميلو، كليركزدورب، ليختنبورج، بيترزبرج، باربرتون، جيرمستون. وفى سنة ١٩٤٩ زاد عدد المناطق ١٣ منطقة أخرى ليصبح مجموع المناطق ٢١ منطقة وهذه الزيادة تضمنت مناطق للعرقيات غير البيضاء. وقد تضمنت كل منطقة عددًا من المكتبات التابعة للمكتبة الإقليمية، كما كانت كل مكتبة فرعية مسئولة عن عدد من نقاط الخدمة. وفى سنة ٢٠٠٤م كان مجموع المقتنيات فى شبكة الترانسفال قد تجاوز ٨ مليون قطعة ما بين مطبوعات ومواد سمعية بصرية. وبلغ عدد الاستعارات فى نفس السنة أكثر من ٢٠ مليون قطعة.

الكاب. لأسباب عديدة كان تطور المكتبات العامة فى ولاية الكاب بطيئًا ولعل السبب الرئيسى هو المساحة الشاسعة لهذه الولاية ٧٢١,٠٤٤ كيلومترًا مربعًا أى ٥٩٪ من مساحة جنوب إفريقيا كلها، وكان السكان مبعثرين متناثرين فى هذه المساحة الكبيرة مع تركيز الإدارة كلها فى مدينة الكاب العاصمة. وترجع جذور المكتبة الإقليمية وفروعها فى هذه الولاية إلى (جمعية توزيع الكتاب) سنة ١٩٣٩م التى كونها المكتبيون فى الولاية لحمل الكتب إلى ٣٨ مركزًا فى المناطق الريفية. وقد صدر قرار إنشاء مكتبة الولاية سنة ١٩٤٩. وهذه الولاية مقسمة إلى ١٨ منطقة، وكما هو الحال فى الولايات الأخرى تقوم على رأس شبكة المكتبات هناك المكتبة الإقليمية وفى كل منطقة عدة مكتبات تتبعها نقاط خدمة. وقد بلغ حجم المقتنيات فى المكتبات ونقاط الخدمة هنا نحو ١١ مليون قطعة (٢٠٠٤م) ما بين مطبوع ومادة سمعية بصرية تقتنيها ٣٠٠ مكتبة و٣٥٠ نقطة خدمة وقد بلغ عدد الاستعارات فى تلك السنة نحو ٣٠ مليون استعارة بمعدل ٣٠ كتاب لكل مستعير فى السنة. ومن الظواهر الطيبة هنا أن النسبة بين الكبار والأطفال هى ٣:٧. وكما قلت سابقًا فإن المكتبات هنا تخدم البيض والملونين فى نفس الوقت.

الناتال. هى إحدى الولايتين الصغيرتين فى جنوب إفريقيا وقد بدأت شبكة المكتبات الإقليمية بها سنة ١٩٥٢. ولا يوجد فى الناتال إلا أربع مناطق فقط هى منطقة الوسط، منطقة الشمال، الساحل الشمالى، الساحل الجنوبى. والمكتبة الإقليمية محور الشبكة موجودة فى مدينة بيترماريتزبرج وقد بلغ عدد المكتبات بها ١٠٠ مكتبة وعدد نقاط الخدمة ٢٦٠ نقطة. ورصيد الكتب بها ٣ مليون وحدة ما بين مطبوعات ومواد سمعية بصرية، وبلغ عدد الاستعارات ٦ مليون استعارة بمتوسط ٣٠ قطعة لكل مستعير سنة ٢٠٠٤م. والنسبة بين الكبار والأطفال ٤:١.

أورانج الحرة. بدأت شبكة المكتبات الإقليمية بها على استحياء سنة ١٩٤١ بمبادرة من اتحاد النساء الزراعى وبمساعدة من مكتبة بلومفونتين. وتتميز الشبكة هنا بأنها تدمج بين المكتبات العامة والمكتبات المدرسية معًا داخل الشبكة. وتتكون الشبكة من ٩٣ مكتبة

و٤٠٠ نقطة خدمة معظم هذه الأخيرة فى المدارس. وتذكر المصادر أن من مميزات هذه الولاية أنه لا يوجد بها مكتبات عامة مستقلة بل الكل داخل الشبكة، على عكس الولايات الثلاث سابقة الذكر حيث يوجد بكل منها عدد من المكتبات العامة المستقلة.

ومن الجدير بالذكر أن مكتبة بلومفونتين العامة التى أسست سنة ١٨٧٥ كمكتبة اشتراكات قد تطورت سريعًا وازدادت أهميتها بحيث أصبحت فى سنة ١٩١٦م واحدة من المكتبات الخمس فى جنوب إفريقيا المتمتعة بالإيداع.

وقد بلغ رصيد شبكة أورانج الحرة نحو ٥ مليون قطعة سنة ٢٠٠٤م من بينها نحو ٢ مليون قطعة إعارة دائمة للمدارس الابتدائية والثانوية هناك فى جميع عموم الولاية.

المكتبات العامة المستقلة ذات الإدارة الذاتية

هناك فى الوقت الحاضر تسع مكتبات عامة كبيرة فى المراكز الحضرية فى جنوب إفريقيا مستقلة عن شبكات المكتبات الإقليمية العامة فى الولايات الأربع. وقد بلغ رصيد هذه المكتبات التسع فى سنة ٢٠٠٤م نحو عشرة ملايين قطعة وهى تخدم نحو مليون ونصف المليون من المشتركين، وفى نفس السنة قامت المكتبات التسع بإصدار ٥٠ مليون إعارة. والمكتبات التسع حسب حجم المجموعات والمجتمع الذى خدمه هي:

- جوهانسبرج
- مدينة الكاب
- ديربان
- بريتوريا
- بورت إليزابث
- جيرمستون
- روديبورت
- بيترماريتزبرج
- لندن الشرق (إيست لندن)

وبين هذه المكتبات تقف مكتبة جوهانسبرج كأفخم وأحسن مكتبة عامة فى جميع أنحاء الجمهورية سواء من حيث الكم أو الكيف. وقد أسست سنة ١٨٨٩م أى بعد ثلاث سنوات فقط من اكتشاف الذهب فى ويتووترزساند وتأسيس المدينة. وقد ظلت مكتبة اشتراكات حتى سنة ١٩٢٤م حين أشرف عليها مجلس مدينة جوهانسبرج وفتحت بالمجان أمام مواطنى جوهانسبرج. وفى سنة ١٩٣٥ نقلت إلى مبنى فخم خاص بها فى ميدان السوق وهو الموجودة فيه الآن. وللمكتبة ٢٥ فرعًا فى الضواحى المحيطة بها و١١ فرعًا لخدمة الآسيويين والملونين. وفى سنة ١٩٧٣م قرر مجلس مدينة جوهانسبرج فتح المكتبة أمام كل أفراد المجتمع بصرف النظر عن عرقياتهم. وهذه المكتبة تقدم خدماتها لبيوت المسنين ومحطات المطافئ والملازمين البيوت والنوادي. ويتبع هذه المكتبة (أو لنقل الشبكة المستقلة) مكتبة مركزية للأطفال إلى جانب أركان الأطفال فى كل مكتبة فرعية. وقد خصصت المكتبة (قاعة المشروعات) لاستخدام تلاميذ مدارس جوهانسبرج منذ سنة ١٩٧٢. وهناك أيضًا مكتبة للموسيقى أنشأتها مكتبة جوهانسبرج فى أحد أحياء المدينة.

مكتبات مدينة الكاب

يمكننا تتبع مكتبات مدينة الكاب فى قسم الإعارة بمكتبة جنوب إفريقيا سابقة الذكر، وايضًا فى مكتبات الاشتراكات التى انتشرت فى المدينة وخرجت منها إلى المناطق الأخرى. وفى سنة ١٩٥٢م أصبحت مكتبة عامة مجانية مدعومة من قبل مجلس المدينة. واليوم نجد فى مدينة الكاب مكتبة مركزية للاطلاع الداخلى والخدمة المرجعية يتبعها ٣٧ مكتبة فرعية للبيض والملونين، ثلاث مكتبات متنقلة (مسافرة) وخدمات توصيل للملازمين بيوتهم وبيوت العجزة وكبار السن. وتتميز هذه المكتبة وفروعها بخدماتها للأطفال مثل مكتبة جوهانسبرج. فى سنة ٢٠٠٤م كان عدد المسجلين للاستعارة الخارجية نحو ٣٠٠،٠٠٠ فرد قاموا بنحو ٨ مليون استعارة.

المكتبات المدرسية فى جمهورية جنوب إفريقيا

فى سنة ١٨٩٦ كتب السير توماس موير المشرف العام على التعليم فى مستعمرة الكاب

فى تقريره السنوى "إن الحد الأدنى من النموذج الذى ننشده هو "لا مدرسة بدون مكتبة مناسبة". وقد أدى ذلك إلى تطبيق نظام "جنيه فى مقابل جنيه" أى أن الحكومة تدفع دعمًا للمكتبة المدرسية يساوى المبلغ الذى تنفقه المدرسة على المكتبة من مصادرها الخاصة. وكما ذكرت فى النبذة التاريخية تركت شئون المكتبات جميعًا ماعدا المكتبات الوطنية للولايات. وشكلت سنة ١٩٣٧ لجنة ما بين الوزارات لتنسيق أعمال تطوير المكتبات فى الولايات المتحدة. وقد قررت تلك اللجنة ضرورة إنشاء شبكة للمكتبات المدرسية فى كل ولاية. وبسبب ظروف الحرب العالمية الثانية تأخرت عملية تطوير المكتبات المدرسية.

كانت ولاية الترانسفال هى أول ولاية تعين (منسق المكتبات المدرسية) سنة ١٩٤٧ وبدأت منذ ذلك التاريخ إنشاء شبكة المكتبات المدرسية. وقد بلغ عدد المدارس الابتدائية والثانوية فى نهاية القرن العشرين بها نحو ١٠١٢ مدرسة بها جميعًا مكتبات كبرت أم صغرت، وقد بلغ حجم المقتنيات فى تلك الفترة نحو ٧ مليون قطعة وأية مدرسة ابتدائية أو ثانوية بها أكثر من ٤٠٠ طالب لابد أن تنشأ بها مكتبة مركزية ويعين لها أمين مكتبة مؤهل. وتقوم الإدارة التعليمية فى الولاية بتقديم إعانة سخية لكل مدرسة جديدة لإقامة المكتبة المدرسية إلى جانب التمويل السنوى للتزويد والإحلال. وتقوم الإدارة التعليمية بإعداد (دليل الكتاب) وهو عبارة عن قائمة معيارية بالكتب المناسبة للمكتبات المدرسية. وهناك مرشدو المكتبات واحد لكل منطقة، يقومون بزيارة مناطقهم وتقديم النصح والإرشاد وتفقد الأوضاع فى المكتبات المدرسية بالمنطقة. وهناك مكتبة مدرسية نموذجية فى مقر الإدارة التعليمية فى بريتوريا. هذه المكتبة النموذجية وصلت مجموعاتها فى نهاية القرن العشرين إلى نحو ٥٠,٠٠٠ مجلد صالحة للمكتبات المدرسية الابتدائية والثانوية. وهناك إلى جانب تلك المكتبة النموذجية مكتبة متخصصة فى التربية وصلت مجموعاتها إلى نحو ٢٠٠,٠٠٠ مجلد كتب و١٢٠٠دورية جارية وهى فى خدمة الباحثين والمدرسين والعاملين فى الإدارة. وإلى جانب اهتمام الإدارة التعليمية بالمكتبات المدرسية هناك التزام خاص من جانبها بكليات التربية الأربع الموجودة فى الولاية. وقد بلغ طلاب تلك الكليات فى نهاية القرن نحو عشرة آلاف طالب ويبلغ رصيد المكتبات فى الكليات الأربع

٤٥٠,٠٠٠ مجلد. ويتلقى أمناء المكتبات المدرسية تعليمهم المكتبى فى أقسام علم المكتبات بالجامعات. وهناك مقرر دراسى فى المدارس حول (التربية المكتبية).

أما ولاية الناتال فلم تعين (منسق المكتبات المدرسية) إلا سنة ١٩٥٤م. وكما سبق أن ذكرت فإن هذه الولاية واحدة من أصغر ولايتين فى جنوب إفريقيا ولذلك فإن قسم المكتبات بالإدارة التعليمية لا يزيد عدد العاملين فيه عن ١٢ منهم سبعة مؤهلون فى المكتبات المدرسية. وهناك ثلاثة مرشدين واحد لكل منطقة ينطلقون من مراكز مصادر التعليم النموذجية فى بيترماريتزبرج وديربان ودندى ويقومون بزيارات منتظمة ومنظمة لحوالى ٣٠٠ مدرسة ابتدائية وثانوية للبيض فى ناتال. وقد بلغ رصيد تلك المكتبات مختلفة فى نهاية القرن العشرين ٢/١ ١ مليون قطعة. وجميع المدارس الثانوية بها أمناء مكتبات مؤهلون ومتفرغون؛ وإذا كانت المدرسة الثانوية بها أكثر من ٦٠٠ طالب فإن من حق المكتبة تعيين مكتبى ثانٍ مؤهل. وفى ناتال نجد ثلاث كليات للتربية يبلغ عدد طلابها نحو ٢٠٠٠ طالب وقع مسئولية تطوير مكتبات تلك الكليات على الإدارة التعليمية. وكان عدد الكتب فى تلك الكليات فى نهاية القرن العشرين نحو ٧٥٠٠٠ مجلد. وهناك كذلك مكتبة متخصصة فى التربية تتبع الإدارة التعليمية تقترب مجموعاتها من خمسين ألف مجلد.

وفى ولاية الكاب التى نبعت منها فكرة تمويل المكتبات المدرسية من جانب الحكومة كان تعيين (منسق المكتبات المدرسية) سنة ١٩٥٦ وبالتالى فإنها تكون ثالث ولاية فى هذا الصدد بل وأكثر من هذا فقد تأخر تطوير المكتبات المدرسية فى هذه الولاية عقدًا كاملاً بعد تعيين المنسق لأسباب مختلفة. وعلى أية حال فإن جميع المدارس الثانوية هناك لها مكتباتها المركزية والأمناء المؤهلون. وكل مدرسة بها أكثر من ٥٠٠ طالب فى المرحلة الابتدائية لها الحق فى أمين مكتبة مؤهل متفرغ. وكانت هناك مكتبة تربوية قد أسست فى ولاية الكاب منذ ١٨٥٩م ولكنها لم تضم إلى الإدارة التعليمية بالولاية إلا سنة ١٩٦٥ وقد بلغت مجموعاتها نحو ١٥٠,٠٠٠ مجلد فى نهاية القرن العشرين، إلى جانب ٤٥٠ دورية جارية متخصصة. وهناك مكتبة نموذج فى الإدارة تضم الآن نحو ٢٥٠٠٠ مجلد.

وتقع على عاتق الإدارة التعليمية هنا أيضًا تطوير مكتبات كليات التربية السبع فى الولاية، وهذه الكليات صغيرة نسبيًا وعدد طلابها مجتمعة لا يزيدون عن ٤٠٠٠ طالب فى السنة.

وفيولاية **أورانج الحرة**. تختلف أوضاع المكتبات المدرسية عن الترتيبات الموجودة فى الولايات الثلاث الأخرى حيث تم الربط بين المكتبات العامة والمكتبات المدرسية فى شبكة واحدة كما قلت من قبل ذلك أن الـ ٣٠٠ مدرسة الموجودة فى هذه الولاية قد تم تقديم نحو مليون كتاب لها على سبيل الإعارة الدائمة من قبل شبكة المكتبات هناك كما تقدم الشبكة إلى كل مدرسة ابتدائية أو ثانوية يزيد عدد طلابها عن ٤٠٠ طالب أمين مكتبة متفرغ. وهناك فى كل مدرسة مكتبة مركزية مع حجرة مخصصة للمواد السمعية البصرية والإنترنت. وليس هناك منسق مكتبات مدرسية على نحو ما نجده فى الولايات الأخرى بل إن الولاية كلها ليس فيها إلا مرشد مكتبات واحد يقوم بالزيارات وتقديم النصح والإرشادات المطلوبة. وليس فى الولاية إلا كلية تربية واحدة تقع فى العاصمة بلومفونتين تبلغ مجموعات مكتبتها نحو ٦٥,٠٠٠ مجلد تغطى احتياجات الألف طالب بها.

لقد سبق وأن ألمحت إلى وجود إدارات خاصة لشئون تعليم العرقيات غير البيضاء وهى أساسًا الملونون، والآسيويون، والسود. وبالتالى فإن مدارسهم ومكتباتهم المدرسية لا تخضع للإدارات التعليمية الخاصة بالبيض فى الولايات الأربع سابقة الذكر حيث يكون لكل عرق الإدارة الخاصة به.

المكتبات المدرسية فى **مدارس الملونين** تخضع لإدارة التعليم المنبثقة عن إدارة شئون الملونين التى تتخذ مقرًا لها فى مدينة الكاب. تلك الإدارة أسست سنة ١٩٦٦ وتدير شئون المكتبات فى نحو ٢٠٠٠ مدرسة للملونين فى عموم جنوب إفريقيا إذ ليس لها فروع فى الولايات. ويتبع هذه الإدارة ستة من مرشدى المكتبات الذين يديرون عملهم من المناطق التى يتركز فيها الملونون. وتبلغ أرصدة مكتبات الألفى مدرسة للملونين نحو ٢,٢ مليون مجلد؛ وهناك أمين مكتبة متفرغ ومؤهل فى كل مدرسة يربو عدد طلابها عن

٦٠٠ طالب. وتمويل مكتبات الملونين يسير على نفس النمط الموجود فى مكتبات البيض فى الترانسفال والكاب ولكن المعونة هنا هى ٢:٣ راند. وليس للملونين مكتبة متخصصة فى التربية وليس لهم مكتبة مدرسية نموذجية. ولكن يجب التنويه إلى أن هناك ١٤ كلية تربية للملونين فى عموم جنوب إفريقيا تربو مقتنيات مكتباتها على ربع مليون قطعة. وتقع مسئولية إعداد أمناء المكتبات المدرسية على عاتق جامعة الكاب الغربية التى أدخلت مفردات خاصة بالمكتبات المدرسية إلى قسم علم المكتبات بها. كذلك هناك مقررات عن المكتبات المدرسية فى جامعة جنوب إفريقيا وتتمتع هذه المقررات بإقبال كبير من جانب الملونين.

أما فيما يتعلق بإدارة خدمات المكتبات المدرسية للآسيويين فإنها مشتتة بين الولايات الأربع حيث يفترض أن إدارات التعليم فى الولايات هى التى تتولى هذا الأمر كل فى ولايته. ولما كان الاهتمام منصبًا أساسًا على المكتبات المدرسية للبيض فإن المكتبات المدرسية للهنود وسائر الآسيويين تتفاوت نوعيتها من مدرسة إلى مدرسة. وقبل ١٩٦٦ لم تكن هناك مكتبات مدرسية فى المدارس الابتدائية الخاصة بالهنود والآسيويين الآخرين وكانت قلة من المدارس الثانوية هى التى بها مكتبات مركزية. وأكثر من هذا فإن ولاية الناتال وحدها هى التى خصصت ميزانية سنوية للمدارس الثانوية لشراء الكتب والدوريات والجرائد؛ بينما فى ولاية الترانسفال تعطى المدارس منحة مالية سنوية لهذا الغرض. أما ولايتا الكاب وأورانج فإنهما لا تعيران مكتبات المدارس الآسيوية هذا الاهتمام. ويقوم المدرسون ومديرو المدارس بجمع التبرعات لتمويل المكتبات المدرسية حسب مقتضيات الأمور.

ومن الجدير بالذكر أن شئون تعليم الهنود وضعت فى أيدى شعبة التعليم التابعة لإدارة شئون الهنود فى أبريل ١٩٦٦. ولذلك وضعت أمور المكتبات المدرسية فى أيدى مفتش المواد. وفى سنة ١٩٧٤ بدأ تحويل المكتبات فى المدارس الهندية إلى "مراكز المصادر" تضم كل الوسائل التعليمية. وقد عين فى هذه المراكز أمناء مكتبات إما لديهم مؤهلات مزدوجة فى المكتبات والتربية، أو تلقوا تعليمهم فى مدارس علم المكتبات التى تعنى إلى جانب ما تعنى بمصادر التعليم.

بين ١٩٧١ و١٩٧٧م اهتم برنامج المبانى المدرسية بضرورة وجود مكان لمكتبة مركزية فى المدرسة مساحتها فى المدارس الثانوية ٨٩ مترًا مربعًا وفى المدارس الابتدائية ٢٨ مترًا مربعًا. وفى سنة ١٩٧٧ بسبب تحويل المكتبات إلى مراكز مصادر زيدت المساحة إلى ١٩٤ مترًا مربعًا و١٢٤ مترًا مربعًا على التوالى فى المدارس الثانوية والمدارس الابتدائية. والمراكز التى أنشئت فى عقد الثمانينات والتسعينات تقسم إلى حجرات: المواد السمعية البصرية، المطبوعات، مخازن قاعة سيمنار، قاعة عرض، قاعة مصغرات واستنساخ. وهذه المراكز مجهزة تجهيزًا جيدًا من حيث الستائر والبُسط ومقطرات الدراسة الفردية.

لقد استخدمت المكتبات المدرسية الهندية ككل المكتبات المدرسية البيضاء تصنيف ديوى العشرى الطبعة الموجزة فى تصنيف المواد. والفهارس تتبع النظام الإنجليزى حيث الفهرس الأساسى مصنف مع مدخل إضافية بالمؤلف والعنوان والموضوع.

ويقوم مفتشو المواد بزيارة المكتبات المدرسية كل فى منطقة لتفقد أحوالها وتقديم النصح والإرشاد والمعونة الواجبة. وفى نهاية القرن العشرين كانت هناك ٤٢٥ مدرسة تخدم ٣٠٠,٠٠٠ طالب هندى وآسيوى معظمها بها مكتبات ومراكز مصادر بلغ مجموع ما بها من قطع فى نفس الفترة ١,٢ مليون قطعة.

وهناك مكتبة تربوية متخصصة فى شعبة التعليم بإدارة شئون الهنود كانت قد أسست سنة ١٩٦٦ وتقتنى كتبًا ودوريات ورسائل جامعية وتقارير، وبلغت مجموعاتها فى نهاية القرن العشرين نحو سبعة آلاف قطعة؛ و١٥٠ دورية جارية.

وفيما يتعلق بمكتبات مدارس السود فإنه لم يبدأ الاهتمام بها إلا اعتبارًا من ١٩٧٤ بعد التوصيات التى وضعتها اللجنة البينية لتقصى شئون مكتبات السود والتى أنشأت بمقتضاها لجنة التنسيق الدائمة لمكتبات السود فى تلك السنة ١٩٧٤. وهذه اللجنة الأخيرة تعقد اجتماعًا سنويًا وفى أول اجتماع لها وضعت أسس تطوير المكتبات المدرسية للطلاب السود الملتحقين بالمدارس الحكومية أو المدارس الخاصة فى جميع أنحاء جمهورية جنوب إفريقيا.

ورغم أن كل موطن للسود فيه إدارة تعليمية خاصة به إلا أن جميع الأطراف اتفقت على أن تكون هناك إدارة مركزية واحدة لكل المكتبات المدرسية فى عموم مواطن السود. هذه الإدارة تتخذ مقرًا لها فى (إدارة تعليم وتدريب السود) التى عرفت من قبل باسم (إدارة تعليم البانتو) وهى موجودة فى بريتوريا. وهذه الإدارة يرأسها مفتش عام المدارس ويساعده مفتش المواد المشرف على المكتبات المدرسية. وقد وضعت لجنة التنسيق الدائمة لمكتبات السود أسس إنشاء وتطوير مكتبات مدارس السود على نفس الخطوط العامة الموجودة فى مدارس البيض؛ وخاصة تلك المعايير المتقدمة الموجودة فى مدارس ولاية الترانسفال.

ومن بين الملامح الخاصة فى تطوير مكتبات مدارس السود التكامل بين المكتبات العامة والمكتبات المدرسية. والحد الأدنى لمجموعات المكتبة المدرسية هى ٣٠٠٠ قطعة لكل مدرسة يتراوح عدد طلابها بين ٢٠٠ و ٣٠٠ طالب وتزيد بمعدل ١٠٠٠ مجلد لكل مائة طالب زيادة. وطالما أن المكتبات فى مدارس السود تقوم بدور المكتبة العامة والمكتبة المدرسية فى وقت واحد فقد وضعت مواصفات خاصة للمساحة والأقسام والطاقة الاستيعابية لكل مكتبة.

وقد تم إنشاء مكتبة مركزية فى مقر إدارة التعليم والتدريب للسود وصلت مقتنياتها فى نهاية القرن العشرين إلى نحو ٢٠,٠٠٠ مجلد و١٠٠ دورية جارية.

المكتبات المتخصصة فى جمهورية جنوب إفريقيا

اتخذ إنشاء المكتبات المتخصصة فى جنوب إفريقيا شكل الظاهرة بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة، على الرغم من أن البلاد لم تعدم وجود مكتبات متخصصة منذ منتصف القرن السابع عشر مع زيادة وئيدة فى أعدادها حتى النصف الأول من القرن العشرين. ولكن الانتشار الحقيقى لها ونشأة مراكز التوثيق والمعلومات واستخدام التكنولوجيا لم يحدث إلا فى النصف الثانى من القرن. والنظرة الفوقية الطائرة إلى تبعيات المكتبات المتخصصة ومراكز المعلومات تجدها على النحو الآتى:

١- مراكز ومؤسسات البحوث الكبرى الحكومية.
٢- إدارة وأجهزة الحكومة المركزية.
٣- الإدارات والأجهزة الموجودة فى الولايات.
٤- المتاحف.
٥- المؤسسات الصناعية شبه الحكومية.
٦- المؤسسات والشركات الصناعية الخاصة.
٧- مراكز البحوث المهنية والخاصة.
٨- الجمعيات العلمية والاتحادات المهنية.

ويمكننا القول مطمئنين بأن هناك ما لا يقل عن ١١٠٠ مكتبة متخصصة ومركز معلومات كبيرة موزعة على الفئات الثمانى سابقة الذكر سوف نحاول إلقاء الضوء على بعضها.

تذكر المصادر الثقات أن الوثائق الأرشيفية الخاصة بـ (مجلس سياسة شركة الهند الشرقية الهولندية) تؤكد وجود مكتبات متخصصة فى الكاب بين ١٦٥٢ و١٧٩٥ وقد وصلتنا قائمة جرد لمكتبة قانونية ترجع إلى سنة ١٧٢٩م كانت موجودة فى خدمة شركة الهند الشرقية الهولندية. وهذه المكتبة وضعت فى مقر مجلس العدل فى الكاب. ومن المؤكد أن تلك المكتبة كانت صغيرة وتحتوى على مجموعة من المراجع القانونية من تأليف أساطين القانون الرومانى - الهولندى ويكشف جرد سنة ١٧٣٩م وهو آخر عهدنا بتلك المكتبة عن وجود عشرة كتب مطبوعة إلى جانب عدد غير محدد من المخطوطات.

ومن المكتبات المتخصصة الباكرة فى جنوب إفريقيا وتعزى إلى البريطانيين الذين احتلوا الكاب سنة ١٧٩٥ تلك المكتبة التى ألحقت بمؤسسة (التبادل التجاري) التى أنشئت فى مدينة الكاب سنة ١٨١٤ والتى ازدهرت فيها تذكر المصادر مع ١٨١٩. وإذا كانت تلك المكتبات قد ازهرت فى أحضان مؤسسات معينة تخدم العاملين فيها، فى مجال نشاط المؤسسة فإن هناك مكتبات متخصصة موضوعية يمكن اقتفاء أثرها أيضًا مع مطلع القرن التاسع عشر ربما كان أقدمها مكتبة (المرصد الملكى فى مدينة الكاب) الذى أسس

سنة ١٨٢٦. وما تبقى من مجموعات هذه المكتبة ضم إلى مكتبة (مركز المعلومات العلمية والتكنولوجية فى مجلس جنوب إفريقيا للبحث العلمى والصناعي) الذى يتخذ مقرًا له مدينة بريتوريا. وقد حلت مكتبة مرصد جنوب إفريقيا الفلكى سنة ١٩٧١ محل مكتبة المرصد الملكى سابقة الذكر، وما تزال موجودة فى مدينة الكاب على الرغم من أن المرصد نفسه قد تم نقله إلى المرتفعات المحيطة بمدينة كارُّو فى سوذرلاند فى الكاب الغربى على بعد ٤٠٠ كيلومتر شمال شرقى مدينة الكاب.

ومن المكتبات المتخصصة فى جنوب إفريقيا فى القرن التاسع عشر مكتبة المعهد العلمى التعليمى فى جنوب إفريقيا الذى أسس سنة ١٨٣٢ عن طريق إدماج الجمعية التعليمية فى جنوب إفريقيا (التى كانت قد أسست سنة ١٨٢٤) ومعهد جنوب إفريقيا (الذى كان قد أسس سنة ١٨٢٩) وبالتالى أدمجت المكتبتان فى واحدة. وكانت تلك المكتبة تغطى دائرة واسعة فى مجالات الإنسانيات والعلوم الطبيعية. وقد أغلق هذا المعهد أبوابه سنة ١٨٥٧ وقد آلت مكتبته إلى جمعية جنوب إفريقيا الفلسفية سنة ١٧٨٨ وتغير اسمها سنة ١٩٠٨م إلى (الجمعية الملكية لجنوب إفريقيا).

والمجموعة الهامة الثانية من المكتبات المتخصصة فى جنوب إفريقيا والتى أسست فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر تضم مكتبة متحف جنوب إفريقيا فى مدينة الكاب (١٨٥٥)؛ مكتبة متحف أولبانى فى مدينة جراهامزتاون (١٨٥٧)؛ متحف كافريريان فى مدينة كنج ويليامز (١٨٥٩).

ويمكننا تتبع أصول مكتبة البرلمان فى مدينة الكاب فى رافدين أولهما مجموعات مكتبة حكومة النواب سنة ١٨٥٤ وحيث كان لكل من المجلس التشريعى والجمعية التشريعية مكتبة خاصة به ولأن كلاً منهما كان يشغل مبنى خاصًا به بعيدًا عن الآخر. وثانيهما مجموعات مجلس البرلمان وقد تم إدماج كل هذه المكتبات معًا سنة ١٨٨٥.

وقد نشأت مكتبة إدارة التعليم فى الكاب سنة ١٨٥٩، ومكتبة سكك حديد جنوب إفريقيا سنة ١٨٧٥ والتى نقلت بعد ذلك إلى جوهانسبرج. وفى ختام القرن التاسع عشر أسس المزيد من المكتبات المتخصصة فى الكاب ربما من أهمها مكتبة نادى الجبل فى جنوب

إفريقيا (١٨١٩) والشركة الصناعية المعروفة آنذاك باسم (المفرقعات الإفريقية) التى أسست فى سومرست ويست ١٨٩٦ باقتراح من سيسيل روديس.

وربما كان الدافع إلى قيام المكتبات المتخصصة فى منطقة الترانسفال هو اكتشاف الذهب وصناعة التعدين سنة ١٨٨٦م وانتشار التجارات والصناعات العامة التى أعقبت ذلك. ولقد أسست (مكتبة حقول ذهب جنوب إفريقيا) سنة ١٨٨٧ فى جوهانسبرج. ومن بين المكتبات المتخصصة الأخرى الهامة فى ترانسفال القرن التاسع عشر مكتبة متحف الترانسفال سنة ١٨٩٢م ومكتبة إدارة التعليم فى الترانسفال سنة ١٨٩٥ وكلتاهما فى بريتوريا.

وفى ولاية أورانج الحرة نجد مكتبة غرفة المناجم التى أسست سنة ١٨٩٠. ومكتبة المحطة النباتية فى ديربان فى الناتال هما المكتبتان ذات القيمة اللتان أنشئتا فى الولايتين خلال القرن التاسع عشر.

ومن الناحية التاريخية البحتة قادت ولاية الكاب حركة إنشاء المكتبات المتخصصة حتى نهاية القرن التاسع عشر ولكنها بعد ذلك أسلمت القيادة فى هذا الشأن إلى ولاية الترانسفال التى غدا لها نصيب الأسد فى هذه الحركة بنسبة ٦٠٪ مخلفة وراءها ولاية الكاب بنسبة ١٦٪ فقط والولايتان الأخريان ناتال وأورانج تقتسمان النسبة الباقية.

وفى النصف الأول من القرن العشرين أسس عدد أكبر من المكتبات المتخصصة مع التوسع الكبير فى الجهاز الحكومى ومراكز البحوث وانتشار التصنيع والتوسع التجارى والاستثمارى. ومن بين مكتبات تلك الفترة مكتبة هيئة الكهرباء (١٩٢٣)؛ مكتبة معهد علاقات الأجناس فى جنوب إفريقيا (١٩٢٩)؛ مكتبة المعهد الوطنى للتعدين (١٩٣٤) وهى جميعًا فى قلب منطقة صناعة تعدين الذهب أى جوهانسبرج. وقد أقامت شركة الحديد والصلب فى جنوب إفريقيا أولى مكتباتها المتخصصة سنة ١٩٣٤ فى بريتوريا. وفى سنة ١٩٣٩م أسست مكتبة معهد جنوب إفريقيا للبحوث الطبية فى جوهانسبرج.

وفى ختام النصف الأول من القرن العشرين بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أسس

عدد من المكتبات المتخصصة الهامة ففى سنة ١٩٤٥م أسست مكتبة مركز البحوث العلمية، وفى سنة ١٩٤٦ مكتبة مكتب جنوب إفريقيا للمعايير وكلاهما فى بريتوريا. وفى سنة ١٩٤٧م أسست مكتبة مؤسسة الصناعات الكيمائية والمفرقعات الإفريقية ومكتبة الشركة الأنجلو أمريكية فى مودرفونتين وجوهانسبرج على التوالى. أما مكتبة المؤسسة الوطنية للتنمية والإدارة فقد خرجت إلى الوجود سنة ١٩٤٨ فى جوهانسبرج.

وقد شهدت عقود النصف الثانى من القرن العشرين تطورات هامة فى مجال المكتبات المتخصصة وظهور مراكز المعلومات والميكنة. على صعيد المكتبات نجد مكتبات مشروع اكتشاف الفحم والزيت والغاز فى جنوب إفريقيا (بريتوريا ١٩٦٠)، مكتبة شركة اكتشاف بترول الجنوب، (جوهانسبرج ١٩٦٥)، مكتبة مجلس بحوث العلوم الإنسانية (بريتوريا ١٩٦٩)، مكتبة مجلس الشئون العسكرية (بريتوريا ١٩٧٠)...

وفى نهاية القرن العشرين نجد أن ٨٠٪ من المكتبات المتخصصة الهامة فى جنوب إفريقيا تتركز فى مثلث: بريتوريا - ويتووترزساند - فال فى وسط شمال الترانسفال الذى هو عصب الصناعة فى جنوب إفريقيا الحديثة. أما الـ ٢٠٪ الباقية من المكتبات المتخصصة ومراكز المعلومات فإنها موزعة على المراكز الصناعية الأخرى فى حاضرة مدينة الكاب، ديربان، بورت إليزابث، لندن الشرق وأنحاء أخرى متفرقة من البلاد.

وعلى الرغم من أن مقتنيات المكتبات المتخصصة يغلب عليها طابع المطبوعات إلا أنها فى نهاية القرن بدأت تقتنى المصغرات الفيلمية وبراءات الاختراع والتقارير وأقراص الليزر وبدأت شبكات متخصصة من المعلومات ودخلها الإنترنت من أوسع أبوابها بحيث لم يطلع عليها القرن الواحد والعشرون إلا وأصبحت مكتبات عصرية بكل ما فى الكلمة من معانى.

ومن الظواهر الجيدة فى مجال مراكز المعلومات تلك المراكز التابعة لمجلس البحوث العلمية والصناعية ومن بينها بطبيعة الحال (مركز المعلومات العلمية والتكنولوجية) الذى حل محل (خدمات المعلومات والبحوث) سنة ١٩٧٥. هذا المركز به أقوى مكتبة متخصصة فى العلوم والتكنولوجيا فى كل جنوب إفريقيا. وينقسم هذا المركز الموجود فى

بريتوريا إلى ست إدارات أساسية هي: المكتبة، إدارة المعلومات التكنولوجية، إدارة البث الانتقائى للمعلومات حول جنوب إفريقيا، إدارة معلومات المياه فى جنوب إفريقيا، إدارة اللغات الأجنبية، إدارة تطوير نظم التوثيق. ويقوم هذا المركز بعمليات ضبط ببليوجرافى وتكشيف واسع النطاق مستخدمًا فى ذلك أحسن ما فى العصر من تكنولوجيا فهو يعد بالتعاون مع جامعة جنوب إفريقيا الفهرس الموحد لـ (الدوريات فى مكتبات جنوب إفريقيا) وقد بلغ عدد الدوريات التى حصرها وسجلها بالحاسب الآلى وحملها على أقراص مليزرة نحو ١٧٧ ألف عنوان من بينها ٧٠ ألف دورية فى مكتبات الجامعات. وقد قام المركز سنة ١٩٧٧ بإعداد قوالب مارك للإنتاج الفكرى الصادر فى جنوب إفريقيا بناه على مارك الدولى.

فى سنة ١٩٨٣م أسست الشبكة الوطنية للمعلومات الببليوجرافية المعروفة اختصارًا باسم (سابينت). وقد قام الكثير من المكتبات المتخصصة والجامعية بطرح فهارسها على الخط المباشر مع منتصف السبعينات. وفى سنة ١٩٨٨ بدأ دخول أقراص الليزر إلى المكتبات المتخصصة والجامعية.

وتمثل مكتبات أجهزة وإدارات الحكومة المركزية جانبًا كبيرًا من قطاع المكتبات المتخصصة حيث ربت فى نهاية القرن العشرين على ٣٠٠ مكتبة. هذه المكتبات الحكومية يتم التنسيق بينها عن طريق قسم الخدمات المكتبية بوزارة التعليم الوطنية. وجل تلك المكتبات الحكومية يقع فى منطقة بريتوريا – ويتووترزساند، وهناك عدد قليل منها مبعثر فى مناطق مختلفة من الدولة وخاصة فى الكاب الغربى وحاضرة ناتال. وكل المكتبات الحكومية المركزية يشرف عليها ويربطها قسم الخدمات المكتبية المشار إليه فيما عدا مكتبات وزارة العدل ووزارة الدفاع. وتقع مكتبات الأجهزة الحكومية المركزية التى يشرف عليها ذلك القسم فى الفئات الآتية حسب التقسيمات الرسمية:

١ - مكتبات بها أمين واحد أو أكثر متفرغ لإدارتها.

٢ - مكتبات ليس بها أمناء مكتبات وتدار مباشرة عن طريق القسم.

٣- مكتبات تربوية وتعليمية موجودة فى المؤسسات التعليمية مثل مكتبات الكليات التكنولوجية وكلية الفنون فى جوهانسبرج.

وقبل سنة ١٩٢٨ لم تكن هناك مكتبات تذكر فى الأجهزة والإدارات الحكومية المركزية اللهم إلا مكتبة البرلمان ومكتبة وزارة الزراعة فى بريتوريا. وتعتبر مكتبة وزارة الزراعة هى أكبر المكتبات الحكومية وأقدمها وتعرف باسم المكتبة الزراعية المركزية وتضم مجموعاتها حاليًا ١٧٠.٤٦٣ كتابًا و٤٠.٠٨٤ مجلد دوريات ١٠٠,٤٩٩ كتيبًا و١٠٥,٩٦٣ مطبوعًا حكوميًا و١٠٠٠ رسالة جامعية. أما عدد الدوريات الجارية فقد وصل إلى ١٨٢٤. ولهذه المكتبة ٢٠ فرعًا منتشرة فى عموم الجمهورية بما فى ذلك مكتبات كليات الزراعة الخمس.

التجمع المهنى لأمناء المكتبات فى جمهورية جنوب إفريقيا

بسبب التفرقة العنصرية الموجودة فى جنوب إفريقيا رغم أنها ألغيت رسميًا ورغم أن الظروف قد تغيرت، بسبب تلك التفرقة تعددت حتى نهاية القرن العشرين اتحادات وجمعيات المكتبات هناك. فقد أسس (اتحاد مكتبات جنوب إفريقيا) فى الخامس عشر من يولية سنة ١٩٣٠ وكان عدد أعضائه فى ذلك الوقت ٨٩ عضوًا؛ وبعد ذلك فتحت العضوية أمام كل الأشخاص الذين يهتمون بتطوير المكتبات ومراكز المعلومات فى البلاد ولم يكن المؤهل المهنى شرطًا للانضمام. وبعد حوالى نصف قرن فى سنة ١٩٨٠م كان عدد أعضائه ١٦١١ عضوًا وله سبعة فروع فى أنحاء متفرقة من البلاد، ويلاحظ أن ١٠٪ من العضوية هى عضوية مؤسسات. والفروع السبعة موزعة على مناطق: الكاب الشرقي، الناتال، الترانسفال الشمالي، أورانج، الترانسفال الجنوبي، الكاب الغربي، الترانسفال الغربي. ويعقد الاتحاد مؤتمرًا سنويًا غالبًا ومن حق كل فرع أن يستضيف المؤتمر مرة كل سبع سنوات على الأكثر. وقد تقرر فى مؤتمر ١٩٧٧ فى بورت إليزابث أن يعقد المؤتمر مرة كل عامين حتى تتحسن الأوضاع الاقتصادية. والمؤتمر العام أى الجمعية العمومية هى السلطة العليا وهى التى لها وحدها حق تعديل لوائح الاتحاد ومن حقها حل مجلس

الإدارة. ومجلس الإدارة المنتخب هو الذى يدير الاتحاد. وينبثق عن مجلس الإدارة (اللجنة التنفيذية) التى تدير العمل اليومى الروتينى للاتحاد. وقد خرج من بطن المجلس عدة لجان فنية مثل لجنة التعليم والبحث ولجنة الضبط الببليوجرافى ولجنة جائزة كتاب الطفل ولجنة العلاقات العامة ولجنة المعايير الفنية.

ومن الجدير بالذكر أنه فى سنة ١٩٦٠ خصص اتحاد مكتبات جنوب إفريقيا جائزة سنوية لأحسن كتب الأطفال المصورة باللغة الأفريكانية وذلك للسن ٧-١٢ سنة والجائزة تعرف باسم (جائزة سى بى هو جنهوت).

ومن المعروف أنه لم يسمح لغير البيض بالانضمام إلى هذا الاتحاد مما حدا بمدير مكتبة الكاب الإقليمية إلى اقتراح قيام كيان مهنى للمكتبيين الملونين وهو ما قام فعلاً سنة ١٩٥٩ تحت اسم (اتحاد مكتبات الكاب). وكان هذا الاتحاد يحصل على منحة سنوية من مكتبة الكاب الإقليمية قدرها ٧٥٠ راند سنويًا. وفى سنة ١٩٧٠ تحول هذا الاتحاد إلى اتحاد وطنى وسمى (رابطة مكتبات جنوب إفريقيا).

وقد أدى قصر عضوية اتحاد مكتبات جنوب إفريقيا على البيض إلى قيام (اتحاد المكتبات الإفريقى فى جنوب إفريقيا) سنة ١٩٦٤ (للسود)، (اتحاد المكتبات الهندى فى جنوب إفريقيا) سنة ١٩٦٧ (للهنود).

وفى اجتماع ١٩٧٦م لاتحاد مكتبات جنوب إفريقيا طرح اقتراح فتح باب العضوية أمام كل العضويات وعدم قصر العضوية على البيض وحدهم ولكن الاقتراح رفض بالأغلبية المطلقة. ولم يكن هناك محيص عن دعم الثلاثة اتحادات الأخرى. ومن هنا أصبح فى جنوب إفريقيا أربعة اتحادات مكتبية تتنافس فيما بينها وكله لصالح المهنة هناك.

ومن الطريف أنه تكونت مظلة للاتحادات الأربعة حتى يتم التنسيق بين جهودها ورئاسة المظلة دورية بين الاتحادات الأربعة وإن لم يكن هناك نشاط حقيقى لتلك المظلة.

وإلى جانب تلك الاتحادات الأربعة المهنية العامة قام اتحادان نوعيان هما اتحاد "المكتبات المدرسية فى الترانسفال" و"اتحاد المكتبات القانونية فى جنوب إفريقيا". وقد قام

اتحاد المكتبات المدرسية فى الترانسفال سنة ١٩٥٨ بهدف "تأسيس العمل المكتبى المدرسى فى الترانسفال على أسس علمية تربوية تتواكب مع سياسة وروح الإدارة التعليمية فى الترانسفال". ويعقد الاتحاد اجتماعات دورية. وهو ينشر مجلة نصف سنوية تحت عنوان (المكتبة المدرسية) وقد صدر عددها الأول فى يناير ١٩٦٩. أما "اتحاد المكتبات القانونية فى جنوب إفريقيا" فقد أسس فى الخامس عشر من سبتمبر ١٩٧٨م وهو يعمل تحت مظلة اتحاد مكتبات جنوب إفريقيا.

وفى سنة ١٩٧٩م أسس (معهد جنوب إفريقيا للمكتبات ولعلم المعلومات) كاتحاد مهنى مفتوح العضوية أمام جميع أمناء المكتبات وإخصائيى المعلومات المؤهلين دون تميز عرقي. وفى سنة ١٩٩٠ فتحت عضويته أمام جميع العاملين فى المكتبات ومراكز المعلومات بصرف النظر عن مؤهلاتهم وقد حل الاتحاد الجديد محل اتحاد مكتبات جنوب إفريقيا الذى أشرت إليه والذى أسس سنة ١٩٣٠م والذى قام على أساس عرقى على نحو ما أشرت وإن كانت الاتحادات الثلاثة العرقية الأخرى ما تزال قائمة. والمعهد أو الاتحاد ينشر حاليًا مجلة فصلية بعنوان (مجلة جنوب إفريقيا لعلم المكتبات والمعلومات).

الإعداد المهنى لأمناء المكتبات فى جنوب إفريقيا.

يوجد الآن فى جمهورية جنوب إفريقيا ١٨ مدرسة لتعليم علوم المكتبات والمعلومات منها ١٤ مدرسة تنتمى إلى الجامعات وأربعة مدارس فى المعاهد التكنولوجية (تكنيكون). وقد بدأ الإعداد المهنى المنظم لأمناء المكتبات فى جنوب إفريقيا على يد اتحاد مكتبات جنوب إفريقيا سابق الذكر سنة ١٩٣٣ أى بعد ثلاث سنوات من قيام هذا الاتحاد وقد بنى نظام التدريب والتعليم على غرار نظام اتحاد المكتبات البريطانية الذى يعرف بنظام الترخيص بمعنى أن يقوم الاتحاد بوضع المنهج والمقررات ويحدد الكتب الدراسية وما على الشخص الذى يريد التأهيل إلا أن يدرس المناهج والمقررات من واقع الكتب الدراسية وغيرها بطريقته الخاصة ثم يتقدم إلى الامتحانات التى يعقدها الاتحاد حيث الاتحاد هو الذى ينظم الامتحانات ويضع الأسئلة ويصحح ويمنح الشهادة وإذا اجتاز الشخص الامتحانات منح شهادة (دبلومًا) لمزاولة المهنة ويصبح أمين مكتبة مرخصًا أى

مؤهلاً. وفى جنوب إفريقيا ظل الاتحاد يمارس التدريب والترخيص حتى سنة ١٩٦٢. وفى سنة ١٩٣٨ بدأت بعض الجامعات فى تعليم علم المكتبات ولكنها لا تمنح شهادة إنما الذى يمنحها هو الاتحاد بمعنى أن الاتحاد هو الذى يحدد المناهج والمقررات والكتب الدراسية والجامعة تعلم فقط وتدرب فقط ثم يقوم الطالب بأداء الامتحان أمام لجان ينظمها الاتحاد، والاتحاد هو الذى يمنح الدبلوم. وقد بطل هذا النظام فى بريطانيا بدءًا من الستينات وبطل فى اتحاد جنوب إفريقيا أيضًا فى نفس الوقت (١٩٦٢) وإن استمر فى استراليا ونيوزيلندا حتى منتصف تسعينات القرن العشرين.

اعتبارًا من ١٩٦٣ بدأ علم المكتبات يدرس فى الجامعات على أساس أن الجامعة هى التى تتولى كل شيء وانقطعت صلة اتحاد المكتبات به. فى نهاية ١٩٦٣ كانت هناك برامج قد بدأت لتدريس علم المكتبات فى سبع جامعات هى حسب تاريخ بدء تلك البرامج المؤهلة لامتحانات الاتحاد:

١- جامعة كيب تاون ١٩٣٩

٢- جامعة بريتوريا ١٩٤٨

٣- جامعة جنوب إفريقيا ١٩٥٥

٤- جامعة بوتشيفستروم ١٩٥٦

٥- جامعة ستلينبوش ١٩٥٨

٦- جامعة ويتووترزساند ١٩٥٨

٧- جامعة الكاب الغربى ١٩٦٠

وفى سنة ١٩٦٣ شكل الاتحاد لجنة ضمت فيها ضمت رؤساء أقسام المكتبات السبعة وذلك لوضع معايير تقييم الدراسة بتلك الأقسام وفك الارتباط بينها وبين الاتحاد.

ويلاحظ أن الجامعات المتأثرة بالنظام الألمانى والهولندى أى الجامعات الإفريكانية فى جنوب إفريقيا تفضل جعل تعليم علم المكتبات والمعلومات على مرحلة البكالوريوس ولمدة أربع سنوات، بينما الجامعات المتأثرة بالنظام البريطانى وهى هنا الجامعات التى تدرس بالإنجليزية تفضل تعليم علم المكتبات على مستوى الدراسات العليا. وقد تم

اعتماد برامج الدراسة فى الجامعات بجنوب إفريقيا سنة ١٩٨٥ لأول مرة. وفى سنة ١٩٨٤ بدأت المعاهد الفنية كما أسلفت فى تقديم برامج شبه تأهيلية للمؤهلات المتوسطة (سنتان بعد الثانوية). ويقدم الجدول الآتى أهم أقسام علم المكتبات والمعلومات:

الجامعة	سنة تأسيس الدراسة	الدرجة التى تمنحها
كيب تاون	١٩٣٩	الدبلوم العالى فى المكتبات والمعلومات
		الدبلوم المتوسط فى علم المكتبات والمعلومات
بريتوريا	١٩٤٨	الدبلوم العالي
		بكالوريوس المكتبات والمعلومات
		البكالوريوس الممتازة
		ماجستير المكتبات والمعلومات
		دكتوراه علم المكتبات والمعلومات
		الدبلوم المتوسط فى علم المكتبات والمعلومات
جنوب إفريقيا	١٩٥٥	الدبلوم العالي
		بكالوريوس علم المكتبات والمعلومات
		البكالوريوس الممتازة
		ماجستير المكتبات والمعلومات
		دكتوراه المكتبات والمعلومات
		الدبلوم المتوسط
		بكالوريوس المكتبات المدرسية
بوتشيفستروم	١٩٥٦	الدبلوم العالي
		بكالوريوس المكتبات والمعلومات
		البكالوريوس الممتازة
		ماجستير المكتبات والمعلومات
		دكتوراه المكتبات والمعلومات
		الدبلوم المتوسط
		بكالوريوس المكتبات المدرسية

ستلينبوش	١٩٥٨	الدبلوم العالي
		بكالوريوس المكتبات والمعلومات
		البكالوريوس الممتازة
		ماجستير المكتبات والمعلومات
		دكتوراه المكتبات والمعلومات
		الدبلوم المتوسط
		بكالوريوس المكتبات المدرسية
الكاب الغربي	١٩٦٠	بكالوريوس المكتبات والمعلومات
		البكالوريوس الممتازة
		ماجستير المكتبات والمعلومات
فورت هارى	١٩٦٤	الدبلوم العالي
		بكالوريوس المكتبات والمعلومات
		البكالوريوس الممتازة
		الدبلوم
أورانج الحرة	١٩٦٤	الدبلوم العالي
		بكالوريوس المكتبات والمعلومات
		البكالوريوس الممتازة
		دكتوراه المكتبات والمعلومات
		الدبلوم المتوسط
		بكالوريوس المكتبات المدرسية
رودس	١٩٦٦	الدبلوم العالي
		الدبلوم المتوسط
ديربان	١٩٦٧	الدبلوم العالي
ويستفيل		بكالوريوس المكتبات والمعلومات
		الدبلوم المتوسط
		بكالوريوس المكتبات المدرسية

زولولاند	١٩٦٨	بكالوريوس المكتبات والمعلومات
		البكالوريوس الممتازة
		الدبلوم المتوسط
		بكالوريوس المكتبات المدرسية
راند أفريكانز	١٩٦٩	الدبلوم العالي
		بكالوريوس المكتبات والمعلومات
		البكالوريوس الممتازة
		ماجستير المكتبات والمعلومات
		دكتوراه المكتبات والمعلومات
		بكالوريوس المكتبات المدرسية
الناتال	١٩٧٣	بكالوريوس المكتبات والمعلومات
الشمال	١٩٧٦	الدبلوم العالي
		البكالوريوس الممتازة

ومن الجدير بالذكر أن جامعة ويتووترزساند كانت قد بدأت دراسة المكتبات بها سنة ١٩٥٨م إلا أنها توقفت سنة ١٩٧٥. وكان القسم بها هو (قسم المكتبات والطباعة).

المصادر

١- شعبان عبدالعزيز خليفة. الكتب والمكتبات في العصور الحديثة. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠١.

2- Books And Readers in South Afreica: 1652-1952.- Morija: Morija Printing Works, 1952.

3- Freer, P. The South African Library Position.- **in**.- Library Review.- Vol. 1, 1928.

4- Freer, P. and M. M. Sterling. The Library Movement in South Africa.- **in**.- South African Libraries.- Vol. 1, No. 1, 1933.

5- Kesting, Jean G. South Africa, Libraries in.- in.- Encyclopedia of Library and Information Science.- New York: Marcle Dekker, 1980. Vol. 28.

6- Kritzinger, S. J. Historical Survey of the More Important Libraries in the Union of South Africa.- **in**.- South African Libraries.- Vol.- 13, 14, 15 ,16.- 1946. 1949.

7- Manaka, Seth. South Africa.- **in**.- World Encyclopedia of Library and Information Service.- Chicago: A. L. A., 1993.

8- Musiker, Reuben. Companion to South African Libraries.- 1986.

9- Pitt, S. A. and M. J. Ferguson. Memorandum: Libraries in the Union of South Africa, Rhodesia and Kenya Colony.- Newyork: Carnegie Corporation, 1929.

10- Shillinglaw, N. The Public Library in South Africa Today and Tomorrow.- **in**.- Papers Presented at the Conference of SALA.- Johannesburg: South Africa Library Association,1978.

11- Van der Riet, F. G. Public Library Service to Blind Readers.- **in**.- South African Libraries.- Vol. 38. No. 3, December 1970.

12- Vermeulen, C. H. The Natal Provincial Library Service After Five Years.- **in**.- South African Libraries.- Vol. 24, January 1957.

13- Walker, Clare M. South Africa.- **in**.- Encyclopedia of Library History.- NewYork and London: Garland Publishing, 1994.

14- Zaaiman, R. B. Special Libraries in South Africa.- **in**.- Library World.- Vol. 64, No. 755, May 1963.

15- Zaaiman R. B. and P. J. Roux and J. H. Rykheer. The Use of Libraries for the Development of South Africa: Final Report on An Investigation for the South African Institute for Librarianship and Information Science, 1988.

16- World Almanac and Book of Facts.- New York: World Almanac Books, 2006.

جنوب المحيط الهادى، المكتبات فى

South Pacific, Libraries in

يقسم الثقات مجموعة الجزر الموجودة فى جنوبى المحيط الهادى (الباسيفيك) إلى ثلاث كتل ثقافية هى: ميلانيزيا، بولينيزيا، ميكرونيزيا. وقد خضع تطور المكتبات فى تلك الجزر لمؤثرات أمريكية وإنجليزية وأسبانية وألمانية وفرنسية. وقد أدخلت البعثات التبشيرية منذ القرن التاسع عشر التعليم الغربى إلى تلك الجزر وشكلت نمط التعليم الموجود الآن. ومن الطبيعى أن يرتبط الدين والتعليم فى مثل هذه الأحوال بصرف النظر عن وضع الكتل الثقافية المذكورة. وتذكر المصادر أن مكتبات المدارس الثانوية ومؤسسات التعليم العالى ظهرت فى تلك الجزر مباشرة بعد الحرب العالمية الثانية. والحقيقة التى لامراء فيها أن الدافع الأكبر نحو إنشاء وتطوير المكتبات قد جاء من إدراك أهل تلك الجزر أهمية ومردود الاستثمار فى التعليم والمكتبات وأمناء المكتبات. وعلى الرغم من أن دعم المكتبات وتطويرها لم يكن متساويًا وبنفس القدر فى الكتل الثقافية الثلاث: ميلانيزيا وبوليتيزيا وميكروتيزيا بسبب ندرة مصادر التمويل، إلا أنه كانت هناك جيوب من التقدم والتطور المكتبى هنا وهناك.

ومن الجدير بالملاحظة أن مهنة المكتبات فى ميلانيزيا هى مهنة حديثة جدًا. ففى سنة ١٩٦٧ أسست "جامعة جنوب المحيط الهادي" فى سوفا (فيجي) كجامعة إقليمية ذات التزام بخدمة عشر جزر دول ومحميات. وفى تلك السنة عندما فتحت الجامعة أبوابها كانت مجموعات مكتبتها تقل عن عشرين ألف من المجلدات. وفى سنة ١٩٧٢م نقلت المكتبة إلى مبنى جديد بنى خصيصا لها وخطط له أن يستوعب ٢٧٠ قارئا و١٠٠,٠٠٠ مجلد. وفى سنة ١٩٩٠م توسع برنامج الجامعة فأنشأت فروعًا للمكتبة فى المراكز الإقليمية فى ساموا الغربية وكريباتى، وجزر سلومون، وجزر كوك وتونجا ونورو وتوكيلاو وتوفالو وفانوتو ونيو. ولما ضاق مبنى المكتبة القديم تم بناء مبنى آخر جديد افتتح سنة ١٩٨٧ وهو يتسع لـ ٦٠٠ قارئ و٣٢٥,٠٠٠ مجلد. وقد لاحظ المراقبون زيادة الإقبال

على استخدام المكتبة وخدماتها منذ افتتاح المبنى الجديد هذا؛ وعلى سبيل المثال ارتفعت الأسئلة المرجعية من أقل من ١٠٠ سؤال شهريًا فى أوائل السبعينات من القرن العشرين إلى نحو ٣٠٠ سؤال فى ١٩٨٩.

وفى ستينات القرن العشرين أنشأت حكومة ميلانيزيا (إدارة مكتبات فيجي) تابعة لوزارة الشئون الاجتماعية. ومن البديهى أن تكون هذه الإدارة مسئولة عن تطوير الخدمات المكتبية العامة وبسطها فى جميع ربوع البلاد. وفى سنة ١٩٧٧ قدمت الحكومة البريطانية سيارتى كتب هدية لاستخدامها مكتبات متنقلة فى المناطق الريفية أساسًا. ولعدة سنوات طويلة منذ مطلع السبعينات من القرن العشرين قدمت هيئة السلام بالولايات المتحدة وغيرها من الهيئات والوكالات فى الدول الأخرى أمناء المكتبات اللازمين لإدارة المكتبات العامة فى فيجى وغيرها من المكتبات.

وفى سنة ١٩٥٣م أسس الأرشيف الوطنى فى فيجى كجزء من الإدارة البريطانية للمستعمرة ومنذ تأسيسه كان هذا الأرشيف مصدرًا خصبًا للمعلومات والبحث حول المنطقة. وكانت هناك مكتبات أخرى قد أسست فى كلية نازينو للمعلمين؛ كلية الباسيفيك للاهوت؛ ومدرسة فيجى للطب وكلية الزراعة.

وفى سنة ١٩٨٢م أسس مركز معلومات الباسيفيك داخل جامعة جنوب الباسيفيك وتحت إشراف وإدارة مكتبة الجامعة. ومنذ إنشاء هذا المركز وهو يقدم خدمات معلومات جليلة حول المنطقة بما ينشره من مطبوعات وما يقوم به من تحليل وتوثيق للمعلومات وأيضًا من خلال البرامج التدريبية التى ينظمها. ومن بين المطبوعات والأدوات التى ينشرها:

١- سجل البحوث فى جنوب الباسيفيك.

٢- ببليوجرافية جنوب الباسيفيك.

٣- كشاف دوريات جنوب الباسيفيك.

٤- النشرة الإخبارية لمركز معلومات الباسيفيك (ربع سنوية).

والمجالات التى يقوم مركز معلومات الباسيفيك بتوثيق وبث المعلومات فيها هى الزراعة، الصحة، التعليم، البيئة، التكنولوجيا، العلوم الاجتماعية، الثقافية.

وتذكر المصادر الثقات أن أقدم مكتبة فى جنوب الباسيفيك هى تلك التى أفتتحت فى وميا سنة ١٩٠٥م وذلك لتقديم الخدمات المكتبية لـ (مجتمع الفرانكوفيل). وقد عرفت هذه المكتبة باسم مكتبة بيرنهايم. وقد جمعت تلك المكتبة مجموعات قوية من تاريخ وثقافة فاليدوينا الجديدة وغيرها من المجتمعات الفرنسية فى تلك المنطقة.

وفى بولينيزيا سار تطور المكتبات فى نفس الخطوط التى سارت فيها فى ميلانيزيا وإن كانت هناك اختلافات فهى بسيطة وليست جوهرية. فقد أنشئت المكتبات العامة فى جزر ساموا الغربية سنة ١٩٥٦ وذلك خدمة للمغتربين المقيمين فى أبيا. وفى سنة ١٩٦٠م أسست مكتبة نيلسون التذكارية الجديدة على أساس الاشتراكات. أما الخدمة المكتبية للمناطق الريفية والمدارس فقد قامت بها سيارتا كتب هدية من الولايات المتحدة بمناسبة الاستقلال سنة ١٩٦٢. واعتبارًا من سنة ١٩٧٥م أصبحت كلية الزراعة فى ألافوا نواة فرع جامعة جنوب الباسيفيك فى ساموا وكانت مكتبة فرع جامعة جنوب الباسيفيك فى ساموا قد بدأ بطاقة استيعابية قدرها تسعون مقعدًا ومجموعة كتب تصل إلى ٢٥٠٠٠ مجلد. وعلى بعد أقل من ١٠٠ ميل من ساموا الغربية تقع ساموا الأمريكية. وفى ساموا الأمريكية خطت الحركة المكتبية خطوات واسعة بسبب الدعم الكبير الذى تقدمه إدارة التربية والتعليم هناك منذ سنة ١٩٦٢ من خلال (مكتب الخدمات المكتبية) الذى يدير هناك برنامجًا عظيمًا ربط فيه بين المكتبات العامة والمكتبات المدرسية عن طريق ما عرف باسم (مراكز القراءة). وقد أرسل هذا المكتب عددًا من الأفراد ليتلقوا تدريبًا مكتبيًا فى الخارج وهم الآن يعملون فى قطاعات مختلفة من المكتبات فى ساموا الأمريكية. هذا ولقد أسست مكتبة كلية المجتمع فى ساموا الأمريكية سنة ١٩٧٠م. وفى سنة ١٩٨٥ كانت مجموعات هذه المكتبة قد بلغت ١٧٠٠٠ مجلد ارتفعت سنة ١٩٩٠م إلى ٢٥٠٠٠ مجلد وفى سنتنا هذه (٢٠٠٥م) بلغ الرصيد ٤٠،٠٠٠ مجلد إلى جانب مجموعة كبيرة من الميكروفيش والمواد السمعية البصرية. وباعتبار ساموا محمية أمريكية فإنها تتلقى معونات فيدرالية للمكتبات وأمناء المكتبات منذ ١٩٦٢ تطبيقا لقانون خدمات ومبانى المكتبات. كما تتلقى معونات من وكالات فيدرالية أخرى.

وفى بولينيزيا الفرنسية سار تطور المكتبات فى طريق مختلفة حيث ارتبط تاريخ المكتبات هناك بإنشاء مكتبات خدمة المغتربين الفرنسيين. وفى سنة ١٩٨٨م أنشئت "جامعة الباسيفيك الفرنسية" فى بابيت وأنشأت لها فرعًا فى نومبيا فى نفس الوقت. وكلا الفرعين بدأ بمكتبة متواضعة قوام مجموعاتها أقل من عشرين ألفًا تخدم طلاب المرحلة الجامعية الأولى.

وأخيرًا نأتى إلى المكتبات فى ميكرونيزيا وحيث يمكن تتبع تاريخها مع منتصف القرن العشرين فقد أسست مكتبة جون ف. كنيدى فى جامعة جوام سنة ١٩٥٢ وبدأت ببضعة آلاف قليلة من الكتب ولكن فى سنة ١٩٩٠م بلغت المجموعات نحو ٣٠٠,٠٠٠ مجلد، وفى سنتنا هذه (٢٠٠٦م) ربت المجموعات على ٤٥٠,٠٠٠ مجلد ويعمل بها مجموعة مؤهلة من المكتبيين. وقد أسس داخل جامعة جوام (مركز بحوث منطقة ميكرونيزيا) سنة ١٩٦٧م. وقد تطور تطورًا عظيمًا منذ ذلك الوقت ليصبح أشهر مركز فى مجال بحوث جنوبى الباسيفيك وحيث تضم مكتبته مجموعات نادرة ترجع إلى الفترة الاستعمارية وهذه المجموعات ترجع إلى عهد الإدارة الأسبانية والألمانية واليابانية لمنطقة ميكرونيزيا. وقد أسست مكتبة نيفيسم. فلوريس العامة فى جوام سنة ١٩٤٩م. وفى سنة ١٩٧٨م نقلت إلى مبنى جديد، والذى يعتبر نقطة محورية فى شبكة المكتبات العامة هناك.

ومع سنة ١٩٩٠ بدأ إنشاء مكتبات فرعية فى المستشفيات والسجون والإدارات الحكومية. ومن المكتبات الأخرى فى ميكرونيزيا والتى تمثل بعض الأهمية: مكتبة كلية المجتمع فى جوام؛ مكتبة كلية مارياناس الشمالية؛ مكتبة كلية المجتمع الميكرونيزية فى جمهورية مارشالز. وجميع مكتبات هذه الكليات الثلاث تم إنشاؤها بعد ١٩٧٠.

وبعد مؤتمر اتحاد جمعيات المكتبات ومؤسساتها (إفلا) فى مانيلا الفلبين سنة ١٩٧٩م تم اقتراح إنشاء مدرسة مكتبات إقليمية فى جزر جنوب الباسيفيك. وبسبب المساحة الكبيرة التى تغطيها جزر جنوب الباسيفيك والتباعد الكبير فيما بينها كان من الصعوبة بمكان إنشاء مدرسة واحدة لتغطى كل الجزر وتسد احتياجاتها من إخصائيى المكتبات والمعلومات. وقبل هذا الاقتراح كانت هناك برامج لإعداد الأمناء المساعدين. وهذه البرامج عرفت باسم (شهادة فيجي).

وقد بدأت برامج (شهادة فيجى فى المكتبات) سنة ١٩٧٢ فى جامعة جنوب الباسيفيك، كبرامج تدريبية تنتهى بشهادة رسمية للعاملين غير المؤهلين فى المكتبات المحيطة بمنطقة الجامعة. وشهادة فيجى هذه قصد بها تأهيل المساعدين تأهيلاً عمليًا. هؤلاء المساعدون الذين يديرون بأنفسهم وحدهم مكتبات صغيرة إلى جانب هؤلاء المساعدين الذين يعملون تحت إشراف أمناء مؤهلين. وفى سنة ١٩٨١ بدأت الجامعة برنامجًا آخر سمى هذه المرة باسمها (شهادة جامعة جنوب الباسيفيك) وقد أتيح تدريس هذا البرنامج من خلال التعليم عن بعد. وقد تخرج فى البرنامج الجديد أول دفعة سنة ١٩٨٢، أى بعد عام واحد هو مدة البرنامج ومع نهاية سنة ١٩٨٩ كان قد تخرج فيه نحو ٢٠٠ فرد حملوا شهادة مكتبات جامعة جنوب الباسيفيك. وإلى جانب ذلك البرنامج للمساعدين بدأ فى سنة ١٩٨٩م برنامج لمدة ثلاث سنوات ينتهى بدرجة البكالوريوس (الدبلوم) وكانت المقررات فيه متقدمة: خدمات المعلومات، تصميم وإنشاء قواعد البيانات، المشابكة، اختزان واسترجاع المعلومات، إدارة المعلومات. وفى بابوا نيوغينيا بدأت كلية العلوم الإدارية برنامجًا لتعليم علم المكتبات سنة ١٩٧١م ولكنه يتطلب التفرغ لأنه كان نظاميًا لا يسمح بالانتساب أو التعليم عن بعد، وكان برنامج شهادة أيضًا مثل شهادة فيجى. وفى سنة ١٩٧٧م افتتح برنامج مشترك بين كلية العلوم الإدارية سابقة الذكر وجامعة بابوا نيوغينيا. وكان البرنامج للدرجة الجامعية الأولى المتوسطة. وفى سنة ١٩٨٨م بدأت جامعة بابوا نيوغينيا برنامج بكالوريوس الآداب فى علم المكتبات والمعلومات.

المصادر

1- Baker, Leigh R. Development of University Libraries in Papua New Guinea. - 1981.

2- Jackson, Miles. The Pacific Islands. – **in**. – International Handbook of Contemporary Development in Librarianship.-1981.

3- Jackson, Miles. South Pacific. – **in**. – Encyclopedia of Library History. – New York and London: Garland Publishing, 1994.

الجنيزا

Genizah

الجنيزا أو الجنيزة، ظاهرة من ظواهر الشعائر الدينية عند اليهود والتى لها نظيرتها عند المسلمين. ذلك أن نسخ التوارة أى الكتاب المقدس اليهودى التى تتلف أو تتهرأ من كثرة الاستخدام أو تحدث بها أخطاء فى النسخ أو أصبحت حروفها مطموسة وبالتالى لا يعتمد عليها فى إقامة الشعائر، هذه النسخ لم تكن أبدا يتم التخلص منها برميها فى المخلفات أو إهمالها بل كانت فقط تخبأ فى مكان أمين بعيد أو تحرق إذا كانت قابلة للحرق. وممارسة عادة الدفن أو التخبئة هذه كانت تتم أيضاً مع أية أوراق أخرى فيها اسم الله سواء كانت كتب عبادة أو سجلات محاكم الربابنة أو حتى وثائق تجارية أو خطابات شخصية. وقد أطلق اسم " جنيزا" أو "جنيزة" على المكان الذى يعد لتخبئة أو دفن تلك الأوراق المقدسة والمعنى الحرفى لكلمة جنيزا هو " بيت الكنوز أو الذخائر". وقد تكون الخبيئة داخل جدار أو تحت الأرض وغالبا ما توضع الوثائق فى تابوب أو صندوق ويحكم غلقه ثم يدفن فى الحائط أو تحت الثرى.

ولقد تم اكتشاف إحدى تلك الذخائر فى معبد ابن عزرا اليهودى فى الفسطاط (مصر القديمة) وهى المتعلقة بجماعة عزرا اليهودية. وهذه الجنيزة تكتسب أهمية خاصة لأنها تضم نحو ٢٠٠ ألف قطعة ما بين أدبية، تلمودية، كتاب مقدس، موسيقية، قانونية، سجلات شخصية، مراسلات وخطابات.. مكتوبة ما بين القرن التاسع إلى منتصف القرن التاسع عشر الميلاد. وقد تم اكتشافها كما سنرى فيها بعد على يد بعض الباحثين الغربيين. وكل الباحثين يؤكدون على أن جنيزة الفسطاط ليست آخر الخبيئات فى مصر.

ولقد توزعت مواد هذه الجنيزة بين مكتبة جامعة كمبردج، ومكتبات عديدة فى لندن ونيويورك ولننجراد ودار الكتب المصرية ، ومكتبات شخصية ومكتبات عامة فى أنحاء متفرقة من العالم، ومعظم قطع تلك الجنيزة المكتشفة فى الفسطاط مكتوبة على الورق

وباللغة العربية ولكن بالحروف العبرية. وقد قام كثير من الباحثين وعلى رأسهم المرحوم شلومو دوف بدراسة طبيعة الحياة اليومية فى حوض البحر الأبيض المتوسط من واقع تلك الأوراق وخاصة فى القرون من العاشر إلى الثالث عشر للميلادي.

ويرى الباحثون أن مصر تسبح فوق بحر من الجنيزات، بل يرون أن مصر جنيزا عملاقة ما تزال تحمل أسراراً أكبر لم نكتشفها بعد، ربما يجود بها المستقبل، ولأننا نستقى معلوماتنا عن تاريخ اليهود فى الشرق الأدنى غالبا من الجنيزا فنحن نعلق أمالاً كبيرة على اكتشاف المزيد منها فى مصر.

ومن المعروف أنه كانت لليهود المصريين مراكز يتجمعون فيها منذ العصور القديمة وعلى رأسها الإسكندرية الهللينية وفى مصر الرومانية. وقد مزج هؤلاء اليهود بين الثقاة العبرية والثقات اليونانية، وكانت لهم إسهاماتهم فى تطوير الأدب اليهودى والمسيحى على السواء. ومن المؤكد أن اليهود واليهودية قد أخذوا فى الانهيار فى القرون الأولى للمسيحية ولم تتح لهم فرصة ذات بال فى ظل الدولة البيزنطية رغم كل المحاولات التى قاموا بها لقلب الأوضاع لمصلحتهم. ولقد بقيت هناك فى مصر جالية يهودية شهدت الفتح الإسلامية ٦٣٩-٦٤١م وقد تقربوا للمسلمين الفاتحين وساروا فى ركابهم وتدفق اليهود من أنحاء متفرقة فى العالم ليسكنوا المناطق التى خضعت لحكم المسلمين وكان من بين الجاليات والمجتمعات اليهودية فى مصر تلك الجالية التى عاشت فى مدينة الفسطاط التى كانت أول مدينة يشيدها المسلمون فى مصر والتى اتخذها الحكام المسلمون عاصمة لهم ويذكر الثقاة أن موقع مدينة الفسطاط على الضفة الشرقية للنيل على رأس الدلتا كان موقعا استراتيجيا. وكان هناك فى نفس ذلك المكان فى فترة ما قبل المسيحية حصن وحامية عرف بحصن بابيلون، ربما بسبب وجود جماعات من البابليين وجدوا فى هذا المكان وربما بسبب أحد المصريين الذين كان هذا هو اسمه وانشق على الرومان وكون حكما خاصا به، ومن الثابت تاريخيا أنه كان هناك فى القرنين الثالث والرابع للميلاد قلعة رومانية ذات أسوار عالية وأبراج رائعة سابقة فى هذا المكان. وهذه القلعة هى التى سلمها البيزنطيون المسيحيون للعرب الفاتحين فى يوم عيد الفصح الاثنين من سنة ٦٤١م.

ولقد اتخذ المسلمون من الفسطاط التى أنشأوها سنة ٦٤٣م عاصمة لهم وقد تطورت

مدينة الفسطاط لتصبح المركز الاقتصادى والسياسى المصرى الذى لا يبارى ولا ينافس، وهو الوضع الذى دام أكثر من ثلاثة قرون بعدها أسلمت الحياة الاقتصادية والسياسية للقاهرة التى بنيت على بعد أربعة كيلو مترات منها على يد الفاطميين. ولم يأت اضمحلال الفسطاط مرة واحدة بعد قيام العاصمة الإدارية الجديدة، وإنما كان هذا الاضمحلال تدريجيا حتى اختفت الفسطاط من الصورة فى القرن الخامس عشر الميلادي، وفى خلال تلك الفترة كانت الفسطاط ما تزال مركزا دينيا وتجاريا هاما، وفى أيام ازدهار الفسطاط كانت واحدة من أغنى المدن فى العالم الإسلامى ذات مبانٍ عالية وكان تغص بالمسلمين مع أقليات مسيحية ويهودية.

ومن الجدير بالذكر أن معلوماتنا عن الجالية اليهودية فى الفسطاط قبل العصر الفاطمى ٩٦٩م شحيحة وقليلة ومشوشة، وهو الوقت الذى بدأت فيه المدينة تضمحل، ومع ذلك فإن بعض المعلومات المتناثرة تساعدنا على تكوين صورة تقريبية عن التاريخ الباكر للمدينة. وما لا شك فيه أن هذه المدينة كانت موئلا لأهم جالية يهودية فى كل مصر. وقد استغلت هذه الجالية نظام الاتصال واسع النطاق فى الإمبراطورية الإسلامية للحفاظ على صلاتها بالجاليات اليهودية الأخرى فى شمال إفريقيا والأراضى المقدسة والعراق. ومن المقبول أن تلك الجالية كانت لها إسهاماتها العلمية. ولقد كان الازدهار الاقتصادى بالدرجة الأولى هو الذى اجتذب اليهود إلى الفسطاط من أنحاء متفرقة من العالم الإسلامي، ومن خلال التسامح الإسلامى أقام اليهود هناك معابدهم التى مارسوا فيها طقوسهم وعباداتهم بحرية كاملة.

وليس من قبيل الصدفة أن الفسطاط بلغت أوج عظمتها فى العصر الفاطمى (٩٦٩-١١٧١م) من حيث الازدهار التجارى والاقتصادي، وهى نفس الفترة التى وصلتنا فيها مصادر ثرية ومعلومات وفيرة عن التاريخ اليهودى فى مصر. فى هذه الفترة أيضاً جاء إلى الفسطاط مهاجرون جدد من الأماكن المقدسة ومن شمال إفريقيا وخاصة تونس. ولقد استغل اليهود النظام الإدارى غير المسبوق فى كفاءته واستغلوا الازدهار التجارى والتوسع الاقتصادى والتسامح الدينى السائد فى ظل الدولة الفاطمية وبنوا مجتمعا يهوديا

مؤسسيا وحياة دينية خصبة ولهم زعيمهم الخاص وأنظمتهم وسلطتهم وقوانينهم الخاصة بهم. وفى ظل كل تلك الظروف كان للكلمة المكتوبة الأهمية القصوى وفى توثيق المعاملات أو فى نشر العقيدة وممارستها أو فى الفكر العلمانى. وعن طريق ظروف مركبة شديد التعقيد تم حفظ كميات كبيرة من الوثائق والنصوص اليهودية والتى وصلت إلينا بحالة جيدة مما مكننا من الكشف عن دقائق الحياة اليهودية فى العصور الوسطى وردحا من العصور الحديث.

وكما أسلفت فقد كانت الشريعة اليهودية وشعائرها تقضى بأن كل مجتمع يهودى عليه أن يخصص مكانا مهيئا للجنيزة توضع فيه نسخ التوراة المستهلكة وكل النصوص اليهودية وعن اليهودية والوثائق والمراسلات التى تحمل اسم الله، والتى توقف تداولها وغدت غير صالحة للاستعمال ولا يجوز التخلص منها بطريقة تسيء إليها وإلى اسم الله. وترجع أصول هذه الشعيرة إلى أحد تفاسير الوصية الثالثة من الوصايا العشر التى تحرم محو اسم الله، ويبدو أنه قد تم توسيع هذه الشعيرة لتشمل أية وثائق أو نصوص تحمل نوعا من القداسة. ولما كان نشاط اليهود الفكرى قد أمن مجالات عديدة إلى جانب الكتابات الدينية. وقد اشتملت تلك الكتابات على اسم الله، فقد تم توسيع دائرة مواد الجنيزة وبالتالى زادت مشكلة التخلص من كثير من تلك الكتابات عند توقفها عن التداول، وربما شهد القرن الثامن الميلاد بدايات هذا الانفجار الفكرى لدى اليهود.

وبسبب التطبيق الواسع لهذه الشعيرة التى كانت ملمحا هاما من ملامح السلوك اليهودى الشرقى على الأقل فى مرحلة ما بعد التلمود والعصور الوسطى الباكرة فقد تكونت جنيزات ضخمة ثمينة فى كثير من المناطق التى عاشت فيها مجتمعات يهودية. وبسبب الطبيعة الأرشيفية لتلك المواد فقد حرص اليهود على دفنها فى الأرض أو الجدران أو المقابر أو الكهوف فى صناديق أو توابيت مناسبة وذلك حتى تتحلل تحللا طبيعيا.

وقد تضافرت عوامل عديدة لتحفظ لنا واحدة من أكبر جينزات العالم وأكثرها أهمية هى جنيزة مصر القديمة، أو الفسطاط، ومن بين تلك العوامل المناخ الجاف، الأهمية المحورية لمدينة الفسطاط، التاريخ الطويل لليهود فى تلك المنطقة والذى امتد لقرون

عديدة، تطبيق شعيرة تحريم محو اسم الله تطبيقا صارما. كل هذه العوامل وغيرها مما لم يذكر. حفظت الجنيزات ويبدو أن الأجيال اليهودية المتعاقبة قد نظمت عملية جمع مواد الجنيزة المختلفة من البيوت والمؤسسات اليهودية المختلفة وتم الحفاظ عليها فى معبد ابن عزرا. ولحسن الحظ أن جنيزة الفسطاط لم تكن قاصرة على النصوص الدينية المقدسة فقط، ويرى بعض الباحثين أن المجتمع اليهودى فى الفسطاط أراد أن يتميز فى جنيزاته عن سائر المجتمعات فلم يقصر مجموعاته على الكتابات الدينية وإنما وسع تلك المواد لتشمل كافة الكتابات. ومن هذا المنطلق تجمعت مواد تعكس الحياة اليومية للناس العاديين إلى جانب أنشطة الربانية والمفكرين. وكانت قمة هذا النشاط الأرشيفى قد وقعت خلال العصر الفاطمى وهو العصر الذى وصل فيه المجتمع المصرى إلى ذروة النشاط والإنجازات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية الفكرية.

ويمكننا القول مطمئنين أنه تكون أرشيف ضخم بتلك المواد فى معبد عزرا فى الفسطاط مع التأكيد على أن ذلك المعبد قد تضاءلت قيمته وأهميته الدينية بين القرن الخامس عشر والتاسع عشر الميلادى وغدا مزارا أكثر منه مكانا للعبادة وممارسة الطقوس اليهودية. ولقد وجهت السلطات الإسلامية فى سنة ١٤٤٢م اتهامات لليهود بالإساءة إلى الإسلام فى معبد عزرا وقامت بتدمير أجزاء داخلية من المعبد وعذبت بعض أعضاء المجمع اليهودى فيه مما ادى إلى تحول بعض اليهود إلى الدين الإسلامى وارتدادهم عن يهوديتهم ومن لم يتحول منهم فرضت عليه غرامة ضخمة. وكانت نتيجة هذا كله الإهمال التام للمعبد وقد توج هذا الإهمال باشتعال الحريق فيه سنة ١٤٧٣ مما أثر أيضاً فى معبد يهودى آخر قريب منه هو معبد بابلنيان. وفى سنة ١٤٨١م زار الرحالة التاجر ميشولام من فولتيرا وأشار إلى المعبد المهمل وقال عن منطقة مصر القديمة (العتيقة)" مجرد حطام كامل" وإن قلة من الناس هى التى تعيش هناك. وفى سنة ١٤٨٨ م قام الباحث أو بادياه (عبيدة) من بيد بيرتينيرو بزيارة المنطقة ووضع تقريرا عن زيارته وذكر فيه أنه تمت إعادة بناء المعبد حيث قدم اليهود التماسا إلى السلطات الإسلامية وجمعوا التبرعات لهذا الغرض.

وفى القرن الثامن عشر تشير المصادر الثقات أن الزائرين من اليهود وغير اليهود تدفقوا لزيارة المعبد وجاءوا من أنحاء متفرقة من العالم: من المغرب، إيطاليا، بريطانيا. وقد أشاروا جميعا إلى أن المعبد كان أساساً للزيارة فقط ولم يقم فيه يهود القاهرة الصلوات إلا نادرا وكانت فى الأعم الأغلب تقتصر على صلاة (القمر الجديد: روش هوديش). وقد أشار هؤلاء الزوار أيضاً إلى أن هذا المعبد ضم بعض الوثائق والمخطوطات والنقوش القديمة ومن بين المخطوطات مخطوطة (لفافة) عزرا. وكان هناك رحالة يهودى ألمانى يدعى سيمون فان جيلدرن يجوب العالم للحصول على الكتب والوثائق العبرية التى لم تعد مستعملة وقادته مغامراته إلى الفسطاط وحصل بالضرور على كمية من تلك الكتابات.

وفى القرن التاسع عشر قام العديد من الباحثين بزيارة المنطقة وأكدوا على شهرة المعبد وارتياد الناس له للزيارة. وفى الفترة بين ١٨٥٩-١٨٧٢م أجريت إصلاحات وتجديدات على المعبد ولاحظ الزائرون تضخم كمية الوثائق المحفوظة هناك فى الجنيزة والتى تراكمت عبر السنين وقد أكد على هذا المعنى اليهودى الاشكنازى التلمودى جاكوب سافير الذى جاء من أورشليم القدس لزيارة المنطقة سنة ١٨٥٩م و١٨٦٤م ولاحظ وجود مخطوطة عزرا فى زيارته الأولى وفى زيارته الثانية طلب الدخول إلى مكان الجنيزة رغم أن الحرس حذروه من وجود ثعبان ضخم يحمى مدخل المكان. وفى سنة ١٨٦٤-١٨٦٥م ظهر على المسرح جامع مخطوطات يهودى آخر من بولندا هو إبراهام فيركوفيتش الذى حصل على مجموعات كبيرة من مخطوطات جنيزة الفسطاط والتى استقرت فى سانت بطرسبورج.

ولقد قامت الكنسية الأورثوذكسية الروسية بإنشاء مركز لأنشطتها الواسعة فى أورشليم القدس فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر. وكان من بين كبار العاملين فى هذا المركز أنطونين.(أدريا إيفانوفيتش) كابوستين فى الفترة من ١٨٦٥م حتى وفاته سنة ١٨٩٤م. وكان خلال تلك الفترة يقوم برحلات منتظمة بين أورشليم القدس والقاهرة

.فى إحدى رحلاته اشترى كميات من وثائق الجنيزا تلك يقال إنها وصلت إلى ألف وثيقة وكان مصيرها هى الأخرى إلى سانت بطرسبورج مثل مجموعة فيركوفيتش.

ومن جهة أخرى قام الإكليرى الإنجليزى جريفيل شستر بزيارات إلى منطقة مصر القديمة ونشر كتابا عن رحلاته سنة ١٨٧٢م ووصف معبد بن عزرا بتفاصيل دقيقة. وكان هناك مرة أخرى سنة ١٨٨٩م عندما تم هدم المعبد واستطاع الحصول على كثير من وثائق الجنيزا التى وصفها بأنها ثمينة وأحضرها معه إلى اكسفورد وكمبردج.

وفى خلال العشرين عاما التى تلت وخاصة فى فترة إعادة بناء المعبد بين ١٨٨٩ و١٨٩٢م تسرب قسم كبير من وثائق الجنيزة ذات الأهمية القصوى والتى وصفت بأنها مثيرة للغاية إلى مراكز العلم المختلفة خارج مصر. ولقد لعب الدور الأكبر فى تسريب تلك الوثائق خارج مصر إلكان ناثان أدلر. شقيق الربانى البريطانى الأكبر هيرمان أدلر. والربانى الأورشليمى جماع الكتب سولومون أرون فيرتهايمر. وقد تمكن هذان الباحثان من نشر عدد من تلك الوثائق واكتسبا مكانة علمية مرموقة من وراء هذا النشر الذى سلط ضوءا عظيما على جنيزة الفسطاط وأكثر من هذا تم بيع مجموعة فيرتهايمر إلى العديد من المراكزالعلمية وخاصة مكتبة بودلى فى جامعة أكسفورد والتى كانت قد حصلت على مجموعة أخرى من نفس الجنيزة عن طريق الباحث فى الأشوريات الرحالة أرشيبالد هنرى سايس. كما قام فيرتهايمر ببيع جزء من مجموعته إلى مكتبة جامعة كمبردج. أما أولر فقد باع مجموعته سنة ١٩٢٢م إلى المعهد اللاهوتى اليهودى الأمريكى فى نيويورك. وكان المستشرق اليهودى الأمريكى سايروس أدلر قد اشترى بعض قطع الجنيزة بلغت خمسين قطعة من تاجر آثار فى القاهرة سنة ١٨٩١. وقد استقرت تلك القطع فى مكتبة كلية دروبسى فى فيلادلفيا (الآن مركز الدراسات اليهودية فى جامعة بنسلفانيا) ولقد نجحت مكتبة جامعة كمبردج فى الحصول على القسم الأكبر من وثائق جنيزة الفسطاط، وقد بلغ هذا النصيب نحو ١٤٠,٠٠٠ قطعة. وتذكر المصادر بأن الشخص الذى جلب تلك الوثائق إلى كمبردج هو سولومون شيشتر الذى قام ببعثة هامة إلى منطقة الفسطاط مع نهاية ١٨٩٦م وحصل على تلك الكميات من الوثائق وأحضرها إلى مدينة كمبردج سنة

١٨٩٧م وقام هو وزميله تشارلز تايلور بإهداء المجموعة الفذة إلى جامعة كمبردج سنة ١٨٩٨م.

ورغم الكميات الكبيرة من وثائق الجنيزة التى حصل عليها سولومون شيشتر إلا أنه لم يفرغ الفسطاط وما حولها من كل الجنيزات بها، فقد استطاع باحثون أمريكيون ومجريون وفرنسيون بالحصول على كميات من الجنيزات المصرية إلى جانب مؤسسات عديدة أخرى فى انجلترا مثل مكتبة المتحف البريطانى (المكتبة البريطانية)، ومكتبة جون ريلاندز (مكتبة جامعة جون ريلاندز فى مانشستر) وكلا المكتبتين حصلتا على مجموعاتها من الوثائق امن خلال مكتبة شخصية ليهودى اسمه موسى جاستر. كذلك تسربت مجموعة إلى كليات سيلى أوك فى برمنجهم.

وفى دترويت بالولايات المتحدة قام تشارلز فرير بشراء مجموعات كبيرة سنة ١٩٠٨ (وقد آلت اليوم إلى معهد سميثونيان فى واشنطون). وهنا مجموعات أخرى قام بشرائها اليهودى القاهرى جاك موسيرى سنة ١٩١٣ وما تزال هذه المجموعة فى حوزة أسرته فى باريس حتى كتابة هذه السطور. وتذكر المصادر أن مجموعة موسيرى هى أكبر مجموعة جنيزة فى مكتبة شخصية. وهناك مجموعات صغيرة فى الرابطة الإسرائيلية العالمية فى باريس، وكذلك فى ستراسبورج، بودابست، فيينا. ولقد امتدت عملية بيع وثائق الجنيزا على مدى عدة عقود من النصف الأول من القرن العشرين.

تذكر المصادر الثقات أنه بين ١٨٩٠م تاريخ إعادة بناء معبد ابن عزرا وبين الحرب العالمية الثانية كان هناك انتعاش واضح وازدهار للمجتمع اليهودى فى القاهرة، ولقد قام أثرياء اليهود فى القاهرة فى تلك الفترة من أمثال عائلات قطاوي، موسيري، رومانو وغيرها بترميم وتجديد معبد ابن عزرا كما أقاموا حوله بيوت ضيافة للفقراءة المحتاجين، واستضافوا العديد من الزوار من جميع أنحاء العالم وخاصة من الشخصيات المؤثرة فى القرار السياسى فى أوربا، وفى خلال الحربين الأولى والثانية قام يهود مصر بتكريم واستضافة ومساعدة الجنود والإداريين اليهود فى الجيوش المتحاربة على الأرض المصرية. وقد بلغ عدد اليهود المقيمين فى مصر نحو ٧٥٠٠٠ يهودى عند بدء الحرب العالمية الثانية،

بيد أنه بسبب قيام الثورة والحرب الفلسطينية وقيام دولة إسرائيل تقلص عدد اليهود المصريين إلى بضع مئات فقط ودخل معبد ابن عزرا مع سنة ١٩٧٠م فى دائرة الإهمال والخراب والنسيان وسوء الاستعمال ولما رأى رجل الخير والبر الكندى إدجار برونفمان رئيس المؤتمر اليهودى العالمى ما آل إليه حال المعبد، قام هو وأخته بجمع التبرعات لترميم وإصلاح وتجديد المعبد وقد استغرقت هذه العملية أكثر من عشر سنوات ١٩٨٧١-١٩٩١م. وقد نشر المهندس المعمارى فيليس لامبرت الذى توفر على هذا العمل على نشر كتاب عظيم فخم حول المعبد والجنيزة والزوار تحت عنوان " الحصون والمعبد: حصن بابليون ومعبد ابن عزرا فى القاهرة". ويقدم هذا العمل ثروة من المعلومات المفصلة عن تاريخ القاهرة والفسطاط بصفة عامة ومعبد انب عزرا والجنيزة بصفة خاصة. وإلى جانب هذا الكتاب الذى نشر فى لندن سنة ١٩٩٤ هناك العشرات من الدراسات التى أجريت حول هذا الموضوع عبر قرن كامل من الزمان، لعل أهمها وأشملها الكتاب الصغير الذى نشره مناحم شميلزر والموسوم "مائة عام على اكتشاف ودراسة الجنيزة: النصيب الأمريكي" وقد نشر هذا العمل فى نيويورك سنة ١٩٩٨ ويكمل الصورة العمل المستفيض الذى نشره استيفان ريف فى بريطانيا سنة ٢٠٠٠م تحت عنوان "أرشيف يهودى من مصر العتيقة: تاريخ مجموعات الجنيزة فى جامعة كمبردج". وقدم مركز الدراسات الشرقية فى جامعة القاهرة دراسة وقائمة ببليوجرافية بما أسماونه الجنيزا الجديدة تحت عنوان "دليل وثائق وأورق الجنيزا الجديدة" سنة ١٩٩٣م.

وكما أسلفت تبعثرت مجموعات الجنيزا المكتشفة فى مصر بين العديد من مكتبات العالم الرسمية والشخصية وأهمها:

١- مجموعة فيركوفيتش الموجودة الآن فى مكتبة سانت بطرسبورج فى روسيا وتنسب هذه المجموعة إلى العالم الروسى اليهودى أبراهام فيركوفيتش (١٧٨٦-١٨٧٤م).
٢- مجموعة المعهد اللاهوتى اليهودي. والتى قدمها إليها إلكان ناثان أدلر الذى زار المعبد مرتين فى عام ١٨٨٨م و١٨٩٦ وحصل على كميات كبيرة من تلك الوثائق على ما أسلفت.

٣- مجموعة أنطونين كابوستين، والذى عاش فى القدس كما ذكرت بين ١٨٦٥ - ١٨٩٤م وكان دائم الزيارة للقاهرة وحصل على كثير من وثائق الجنيزة وقد استقرت هذه المجموعة هى الأخرى فى مكتبة سانت بطرسبورج.

٤- مجموعة مكتبة جامعة كمبردج التى جلبها كما أسلفت سولومون شيشتر من القاهرة خلال زيارته لها سنة ١٨٩٦ وتعتبر كما أشرت أكبر مجموعة وتصل إلى ١٤٠,٠٠٠ قطعة.

ومن الجدير بالذكر أن مكتبات عديدة قامت بإعداد فهارس بمواد هذه الجنيزة من بينها فهرس مكتبة جامعة اكسفورد (١٩٠٦)، فهرس مجموعة مكتبة جامعة كمبردج (١٩٠٩، ١٩٨٩) فهرس المخطوطات العبرية بمجموعة المعهد اللاهوتى اليهودى فى نيويورك (١٩٢١)، فهرس مجموعة كلية دروبسى فى فيلادلفيا (١٩٢٤)، فهرس مجموعة فرير فى نيويورك (١٩٢٧)، فهرس مجموعة جنيزا متحف جامعة بنلسلفانيا (١٩٥٨)، فهرس مجموعة جاستر فى المكتبة البريطانية (١٩٦٠)، دليل وثائق وأوراق الجنيزا الجديدة (١٩٩٣).

ومن المقطوع به أن الجنيزا تعتبر حلقة هامة فى حلقات تاريخ الكتب والمكتبات عند اليهود إلى جانب أنها خدمت المجالات الدراسية المختلفة سواء التاريخية أو الاقتصادية أو التعليمية أو التربوية أو الاجتماعية أو الثقافية وألقت الضوء على كثير من الجوانب التى لا نجد لها مصادر أخرى. وكلما نشر المزيد من تلك الوثائق وصلنا إلى معلومات وحقائق لم تكن معروفة من قبل ليس فقط عن حياة اليهود وعلاقاتهم مع الأمميين حسب تعبيرهم وإنما عن العالم الإسلامى فى العصور الوسطى وردحا طويلا من العصور الحديثة.

المصادر

١- جامعة القاهرة- مركز الدراسات الشرقية. دليل وثائق وأوراق الجنيزا الجديدة- القاهرة: المركز، ١٩٩٣.

٢- شعبان عبد العزيز خليفة. الكتب والمكتبات فى العصور القديمة.- القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٦.

3- Kahle. Paul. The Cairo Geniza.-2nd ed.- Oxford: the University Press, 1959.
4- Reif, Stefan C. A Guide to the Taylor Schechter Genizah Collection. 2nd ed. Cambridge: the University Press, 1979.
5- Reif, Stefan C. A Jewish Archive From Old Cairo: the History of Cambridge University's Genizah Collection.- Richmond: Curzon Press, 2000
6- Schmelzer, Menahem. One Hundred Years of Genizah Discovery and Rearch: the American Share.-New York: National Foundation for Jewish Culture,1998.

جواتيمالا، المكتبات فى

Guatemala, Libraries in

تقع جمهورية جواتيمالا فى أمريكا الوسطى تحدها المكسيك من الشمال والغرب وتحدها السلفادور من الجنوب وتحدها هندرواس وبليز من الشرق. وتبلغ المساحة الكلية للجمهورية ١٠٨،٨٩٠ كليومترا مربعا وقد وصل تعداد السكان هناك إلى ١٤،٢٨٠،٥٩٦ نسمة سنة ٢٠٠٥م والكثافة السكانية هى ١٣٢ نسمة فى الكليومتر المربع. والجماعات العرقية هناك يغلب عليها اثنتان هما ميستيزو بنسبة ٥٥٪ والهنود الحمر الأمريكان بنسبة ٤٣٪. واللغات واسعة الانتشار هى الأسبانية (اللغة الرسمية) وهناك مالا يقل عن ٢٠ لغة هندية حمراء من بينها: كويش، كاكشيكال، كيكشي، مام، جاريفونا.. وتغلب الديانة المسيحية على المذهب الكاثوليكى الرومانى مع نسبة قليلة من البروتستانت إلى جانب ديانات المايا المحلية، والعاصمة هى مدينة جواتيمالا (٩١٥٠٠٠ نسمة سنة ٢٠٠٥م).

وأهم الصناعات هناك هى: السكر، المنسوجات، الأثاث، الملابس، الزيت، المعادن، المطاط، السياحة. والمحاصيل الرئيسية هي: قصب السكر، القمح، الموز، البن، البقوليات. والمصادر الطبيعية هي: الزيت، النيكل، الأخشاب النادرة، الأسماك.

والتعليم هناك إجبارى من ٥-١٥ سنة نسبة الأمية ٣٠٪ أى أن نسبة المتعلمين ٧٠٪ فى سنة ٢٠٠٥م. أما عن وسائل الاتصال الجماهيرى فقد بلغت ملكية أجهزة التليفزيون ٦١ جهازا لكل ألف نسمة، وأجهزة الراديو ٧٩ فى الألف، وعدد خطوط التليفون ٨٦٠.٠٠٠ خط وتداول الصحف ٣٣ نسخة فى الألف، وعدد مستخدمى الإنترنت ٥٠٠،٠٠٠ مستخدم.

ومن الثابت تاريخيا أن جواتيمالا كانت موطنا لحضارة المايا الهندية الحمراء القديمة والتى استمرت نحو ألف عام قبل مجيء الأسبان إلى المنطقة. وقد غدت جواتيمالا مستوطنة أسبانية بين ١٥٢٤-١٨٢١، وجزءا من المكسيك لفترة محدودة ثم جزءا من الولايات المتحدة فى أمريكا الوسطى، ثم استقلت عن الجميع وتأسست الجمهورية ١٨٣٩.

ومنذ ١٩٤٥ تم انتخاب حكومة حرة ليبرالية كى تحل محل حكومة الدكتاتور جورج أوبيكو، وشهدت البلاد سلسلة من الحكومات العسكرية والمدنية المتنوعة، كما شهدت فترات من حروب أهلية، وفى ٢٣ مارس ١٩٨٢م استولى على السلطة طغمة من العسكريين الذين ادعوا تزوير الانتخابات ووعدوا بتحقيق الديمقراطية. وقد تسببت القلاقل فى نزوح أعداد كبيرة من الجواتيماليين إلى المكسيك، وبعد عام ونصف حدث انقلاب عسكرى آخر فى ٨ من أكتوبر ١٩٨٣ وأعيدت البلاد إلى الحكم المدنى ١٩٨٦. وفى الأول من يونية سنة ١٩٩٣م أطاح انقلاب عسكرى بالرئيس جورج سيرانو إلياس، واحتل الرئاسة راميرو دى ليون كاربيو عن طريق انتخاب الكونجرس له فى السادس من يونية فى نفس سنة ١٩٩٣. وفى السابع من يونية ١٩٩٦ فاز بالرئاسة رجل الأعمال المحافظ ألفارو آرزو إيريجوين. وفى التاسع عشر من سبتمبر وقع اتفاق سلام بين الحكومة واليساريين وتم إقرار السلام نهائيا فى ٢٩ من ديسمبر ١٩٩٦. وفى خلال ٣٥ سنة من الاضطرابات والقلاقل والحروب الأهلية قتل واختفى نحو ٢٠٠،٠٠٠ من أهل جواتيمالا ومن اختفى اعتبر فى عداد الأموات.

ومن أعمال العنف التى حدثت فى ١٩٩٨م الهجوم على أتوبيس مملوء بطلاب أمريكيين (الولايات المتحدة) فى ١٦ يناير من تلك السنة ونتج عن الهجوم اغتصاب ست بنات؛ وقتل الأسقف خوان خوزيه جيراردى وهو من الشخصيات اللامعة المدافعة عن حقوق الإنسان فى ٢٦ من إبريل تلك السنة. وفى ١٠ من مارس سنة ١٩٩٩ زار الرئيس الأمريكى بيل كلينتون جواتيمالا وتأسف لأن المساعدات الأمريكية قد وضعت فى يد جماعات متورطة فى أعمال العنف والقهر. وفى ٧ من نوفمبر ١٩٩٩م استطاعت الجبهة الشعبية (الجناح الأيمن فى الحزب الجمهورى الجواتيمالي) السيطرة على الكونجرس وكسب الرئاسة فى ٢٦ من ديسمبر من نفس السنة.

وقد تسبب القحط والمجاعة وعدم القدرة على التصدير ٢٠٠١-٢٠٠٢ فى الإضرار بالطبقات الفقيرة التى تمثل ٨٠٪ من السكان هناك. وفى ٢٨ من ديسمبر ٢٠٠٣م نجح رجل الأعمال المحافظ عمدة مدينة جواتيمالا السابق أوسكار بيوجر بيودومو فى الوصول إلى الرئاسة.

ويلاحظ على تضاريس جواتيمالا أنها جبلية مما جعل الاتصالات الداخلية صعبة إلى حد ما، كما جعل المواصلات أشد صعوبة وحيث بذلت جهود كبيرة خلال الثلاثينات والأربعينات من القرن العشرين لشق الطرق فى تلك الجبال لتسهيل عملية النقل والانتقال.

ومن الناحية الإدارية تنقسم جواتيمالا إلى ٢٢ ولاية تدار مركزيا من العاصمة مدينة جواتيمالا. والتعليم هناك يدار أيضا مركزيا عن طريق وزارة التعليم وليس هناك تدخل يذكر من جانب السلطات المحلية. وكما أسلفت فإن التعليم الابتدائى هناك إجبارى ومجانى والتعليم الثانوى مجانى ولكن ليس إجباريا. كذلك فإن التعليم العالى مجانى وإن كانت هناك رسوم بسيطة تدفع فقط للالتحاق بالتعليم العالى. وتنتشر المدارس الابتدائية فى عموم الجمهورية ولكن بسبب الفقر والظروف الاقتصادية فالمبانى والتجهيزات غير كافية وغير ملائمة. والمدارس الثانوية لا توجد إلا فى أجزاء محدودة من الدولة بسبب

التخلخل السكانى وحتى تلك المدارس لا يمكنها استيعاب كل الطلاب الذين أنهوا المرحلة الابتدائية والذين يرغبون فى الالتحاق بالتعليم الثانوى. والتعليم الجامعى ليس واسع الانتشار وليس عليه إقبال كبير. ومع مطلع الثمانينات جرت محاولات جادة لتطوير التعليم الجامعى هناك، وهناك اليوم فى مطلع القرن الواحد والعشرين خمس جامعات إحداها حكومية والأربع الأخرى جامعات خاصة. والجامعة الحكومية (الوطنية) تتلقى دعما حكوميا وإن كان لها الاستقلال الذاتى فى تصريف أمورها. وفى الجامعة الحكومية (الوطنية) نصادف كليات: القانون والعلوم الاجتماعية؛ الطب؛ الهندسة والعمارة؛ الكيمياء والصيدلة؛ الاقتصاد؛ طب الاسنان؛ الانسانيات؛ الزراعة والعلوم البيطرية. أما الجامعات الخاصة فإنها تضم كليات: القانون؛ الإنسانيات؛ الاقتصاد؛ العلوم الاجتماعية؛ وجميع فروع الهندسة بما فى ذلك هندسة الحاسبات والمعلومات.

أما فيما يتعلق بتاريخ المكتبات فى جواتيمالا فإنه على الرغم من الثراء الفكرى لحضارة المايا هناك إلا أنها لم تخلف أية قرائن تدل على وجود المكتبات هناك. ومن أسف أن الكتب التى وصلتنا من تلك الحضارة وعرفت باسم كوديكس (أى الكراريس) قد درست من ناحية قيمتها التاريخية وما احتوته من معلومات ولم تدرس من حيث إنها كانت مقتنيات مكتبات أو جزءا من مجموعة، ومن الأسف أيضا أنها مبعثرة مشتتة الآن فى أنحاء متفرقة من العالم ومواضعها المتاحف وليس المكتبات.

ويمكننا تتبع المكتبات اعتباراً من الحقبة الاستيطانية فى الأديرة التى أنشأتها البعثات التبشيرية المختلفة التى جاءت مع المستوطنين الأسبان. وكان من أهم الأديرة التى اشتملت على مكتبات تصادف:

١- دير سانتو توماس دى اكينو (توما الأكويني).

٢- دير سان لوكاس (القديس لوقا).

٣- دير سان فرانسيسكو بورجا (جمعية المسيح عيسى).

٤- دير (نساء) سانتو دومنجو.

٥- دير (نساء) سان فرانسسكو دى جواتيمالا.

٦- دير (نساء) نسترا سنيورا دى لاميرسين (دير سيدة نسترا).

وكان فى كل من هذه الأديرة مجموعة من الكتب لخدمة الرهبان أساساً وكان قوامها الكتاب المقدس وأعمال الرسل والآباء والشروح.

وقد أنشئت أولى المدارس فى جواتيمالا فى القرن السادس عشر على يد الإكليريكى فرانسسكو ماروكوين. ومنذ ذلك التاريخ وصاعدا أسس عدد آخر من المدارس توفرت عليه الطوائف الدينية هناك وقامت طائفة (بيت لحم) بإنشاء أول مدرسة للأطفال الفقراء. وفى نهاية القرن الثامن عشر قام الاكليرى كيتانو فرانكوس مونروى بقيادة حركة واسعة للتعليم حيث قاد إنشاء مدرستى سان خوزيه دى كالاسانز وسان كاسيانو. وفى نفس ذلك الوقت كان تأثير الفلاسفة البريطانيين يشق طريقه فى العالم الجديد وكانت الطرق الجديدة فى التدريس التى آتى بها جان جاك روسو قد أحدثت هى الأخرى آثاراً عميقة فى التربية. وقد قام كيتانو فرانكوس مونورى باقتراح عدد من الكتب لمؤلفين محددين لتدريسها فى المدارس طبقا للاتجاهات التربوية الجديدة آنذاك منها كتاب إميل أو التربية من تأليف جان جاك روسو وإلى جانب هذا الكتاب قد يكون من المفيد أن نقدم الطائفة الآتية من الكتب التى اقترحها الرجل:

١- قواعد اللغة الأسبانية الكاستلية وإملاؤها من وضع الأكاديمية الاسبانية.

٢- معجم اللغة الأسبانية الكاستلية.

٣- التعاليم التاريخية لمؤلفه أباد فليرى.

٤- موجز تاريخ الدين لمؤلفه جوزيف بنتون.

٥- فن الكتابة لمؤلفه فرانشسكو خافيير دى بالوماريس.

٦- طريقة الكتابة لمؤلفه بدرو دياز مورانت.

٧- فن الكتابة عن طريق القواعد وبدون نماذج (مجهول المؤلف).

٨- نبذات قصيرة بكل القواعد الرئيسية للحساب العملى لمؤلفه خوان جوزيف دى باديللا.

كانت تلك صورة التعليم حتى سنة ١٨٧١ عندما قاد جوستو روفينو باريوس ثورة تحررية حقيقية فى البلاد. وفى عهده تطور التعليم والمدارس وارتدت المدارس القديمة سابقة الذكر إلى الخلف إلى مرتبة تالية. وفى تلك الفترة تكونت الجمعيات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية وازدهرت الثقافة على وجه العموم.

وينظر الثقات إلى إنشاء جامعة سان كارلوس فى ٣١ يناير ١٦٧٦ بموافقة الملك كارلوس الثانى على أنها خطوة هامة وعلامة فارقة فى تاريخ المكتبات هناك فى جواتيمالا لأن قيام كليات أو مدارس فى تخصصات مختلفة تطلب بالضرورة وجود مجموعات من الكتب فى تلك الكليات وفى تلك التخصصات وضعت على الأقل فى خدمة العلماء والباحثين. ورغم صدور قرار الجامعة فى ٣١ يناير ١٦٧٦م إلا أن النشاط الحقيقى لم يبدأ إلا فى نوفمبر من سنة ١٦٧٧ ولم تبدأ عملية استقبال الطلاب وإلقاء الدروس إلا فى سنة ١٦٨١م أى بعد خمس سنوات من قرار إنشاء الجامعة. وقد تضمنت الجامعة التخصصات (المدارس) الآتية: اللاهوت، الفلسفة، لغة كاشيكال وآدابها (لغة المايا الأساسية المحلية)؛ الشريعة (المسيحية)، القانون، الطب.

ولابد وأن ننظر إلى دخول الطباعة إلى جواتيمالا على أنها هى الأخرى دفعة حاسمة وقوية فى تطوير المكتبات هناك؛ وتذكر المصادر أن الطباعة دخلت إلى جواتيمالا بين ١٦٥٩ و١٦٦٠ وقد جلبها إلى هناك فرابايو إنريكيز دى ريبيرا. وكان أول طابع هناك هو خوزيه دى بنيدا إيبارا وكان أول كتاب طبع هناك هو كتاب اللاهوت سنة ١٦٦٣م. ومن الطبيعى أن يكون العدد الأكبر من الكتب المطبوعة فى الحقبة الأولى لدخول الطباعة هى كتب دينية. وكانت أول قائمة ببليوجرافية بالمهاديات فى جواتيمالا قد توفر على إعدادها الببلوجرافى الألمعى خوزيه تريبو ميدينا سنة ١٩١٠م تحت عنوان: "المطبعة فى جواتيمالا ١٦٦٠-١٨٢١" ونشرته فى سنتياجو تشيلى على نفقة الرجل وعدد صفحات الكتاب ٦٩٦ صفحة.

وبعد الاستقلال الذى تحقق سنة ١٨٢١ بذلت جهود حثيثة لإنشاء مكتبات عامة ولكن للأسف حالات الأمية العالية دون تحقيق الهدف. وفى سنة ١٨٧١ بعد انتهاء الثورة التحررية جاء إلى السلطة قادة جدد متحررون متشبعين بمبادئ التحرر الفكرى الأوربى والنظم الحاكمة الجديدة هناك جعلوا التعليم فى البلاد إجباريا مجانيا وعلمانيا. ومن هذه النقطة أصبحت حاجة الناس إلى التعليم ملحة وحاجتهم إلى مراكز القراءة الحرة ضرورة. ونتيجة لذلك ومواكبة لحركة التحرر قررت الحكومة إنشاء المكتبة الوطنية التى فتحت أبوابها فى الثامن عشر من اكتوبر ١٨٧٩ كما سنرى فيما بعد.

المكتبة الوطنية والأرشيف الوطنى فى جواتيمالا

أسست المكتبة الوطنية فى جواتيمالا إذن فى الثامن عشر من اكتوبر ١٨٧٩ وقد جاء فى ديباجة قرار إنشائها:

"القصر الوطنى، جواتيمالا، اكتوبر ١٨، ١٨٧٩. نظراً لأن من أهم وسائل بث كل أنواع المعرفة النافعة إنشاء المكتبات العامة ورغم ذلك فإن هذه العاصمة مع مكانتها وأهميتها تفتقر إلى هذه المؤسسة الاجتماعية التى يستطيع الناس أن يدخلوها لطلب العلم الذى ينشدونه عن طريق قراءة المواد المختارة. ولقد قامت السلطات المعنية بوضع المعايير المحددة لاختيار أهم الأعمال وإحضارها من أوربا فى مختلف موضوعات المعرفة البشرية، وعليه فإن الرئيس يوافق على:

١- إنشاء مكتبة عامة فى هذه العاصمة باستخدام أكبر قاعة فى مبنى الجمعية الاقتصادية.

٢- تزويدها بالكتب والمواد الموجودة بالفعل لدى الجمعية وتلك الكتب الموجودة فى المكتبات الخاصة بالجامعة والأكاديمية العسكرية، مدرسة الفنون والصنائع وتلك الموجودة فى الأديرة المصادرة.

٣- وضع القواعد والتعليمات التى تحدد تنظيم وخدمة الجمهور العام خدمة مكتبية مريحة.

وليعمل به. توقيع الرئيس"

ويتضح من ذلك القرار بما لا يدع مجالا للشك أنه كانت هناك مكتبات قائمة بالفعل من بينها: مكتبات الجامعة، مكتبات الأديرة الدينية التى تم إغلاقها ومصادرة مجموعاتها، مكتبة مدرسة الفنون والصنائع، مكتبة المعهد الدينى، مكتبة الجمعية الاقتصادية.

وبناء على هذا القرار أيضا وضعت أول لائحة للمكتبة الوطنية فى ٢٧ من أكتوبر من نفس سنة ١٨٧٩م. وقد نصت تلك اللائحة على أن المكتبة الوطنية جزء من وزارة التعليم وأنه لابد من تعيين أمين للمكتبة والمساعدين اللازمين له. وأن تقسم مجموعات المكتبة إلى خمسة أقسام موضوعية: القانون، الطب، الفيزياء والرياضيات، الإنسانيات، متفرقات. وآخر قواعد تلك اللائحة تنص على إنشاء فهرسين: أحدهما عام بالموضوعات والثانى هجائى بالعناوين. وقد حددت اللائحة إلى جانب ذلك واجبات ومسئوليات أمين المكتبة، كما تشير إلى التزامات العاملين الآخرين فى المكتبة وإلى كيفية ترتيب مجموعات المكتبة. كما تضمنت هذه اللائحة نصا يحتم على كل طابع أو ناشر أن يرسل إلى المكتبة نسختين من كل مطبوع ينشروه.

وفى قرار لاحق فى ٢٩ من أكتوبر من نفس سنة ١٨٧٩م أى بعد عشرة أيام فقط من قرار الإنشاء يظهر اسم (المكتبة الوطنية) للنص على هذه المكتبة، بينما فى القرار السابق أشير إليها فقط باسم (المكتبة). وفى قرار ٢٩ من أكتوبر تم النص على حق المؤلف والإيداع القانونى:-

"مادة ٢٦. الأمة هى صاحبة الحق فى الوثائق الأرشيفية المخطوطة العامة، وبالتبعية فإنه لا يجوز لأحد أن ينشرها بدون إذن من الحكومة.

"مادة ٢٩. من كل كتاب مطبوع يقدم المؤلف أربع نسخ، إحداها تودع فى المكتبة الوطنية، وإحداها تودع فى الأرشيف الوطنى والباقيتان تودعان فى وزارة التعليم العالى. ونفس الإيداع يتم لأى طبعة جديدة أو ترجمة من الكتاب."

وفى سنة ١٨٨٠م أصبح للمكتبة الوطنية قاعة مطالعة مفتوحة أمام الجميع فى مقابل رسم سنوى بسيط وأعفى من هذا الرسم الأعضاء الشرفيون وجماعة الباحثين.

وقد بدأت المكتبة بمجموعة من الكتب قوامها ١٥٠٠٠ مجلد تم جمعها كما سلف القول من الجمعية الاقتصادية، ومن الجامعة، ومن الأكاديمية العسكرية، ومن مدرسة الفنون والصنائع ومن الأديرة والجمعيات الدينية. وكانت المسألة تحتاج إلى وقت لتنظيم وترتيب المجموعات وتجهيز المكتبة للاستعمال ولذلك تأخر الافتتاح إلى ٢٤ من يونية ١٨٨٠م على الرغم من إعداد قائمة المطالعة واستخدامها قبل ذلك التاريخ. ولأن المكتبة قد اتخذت مقرها فى البداية داخل مبنى الجمعية الاقتصادية وهى أصلا جمعية للمفكرين والمثقفين فلم تُقبل الطبقة المتوسطة أو الطبقة الدنيا على ارتياد المكتبة. وقد أدى ذلك ضمن أسباب أخرى إلى نقل المكتبة إلى مكان آخر أوسع وأرحب. وتكشف أرقام ١٨٩٢م عن زيادة مقتنيات المكتبة فى تلك السنة إلى ٤٠٠ و١٩ مجلد.

ويذكر الثقات أن المكتبة الوطنية فى جواتيمالا فى معظم تاريخها كان يترأسها مديرون لا يعرفون شيئا عن مهنة المكتبات أو أسس إدارة المكتبات. ولكن اعتبارًا من ١٩٤٤ حتى اليوم مطلع القرن الواحد والعشرين تغير الوضع جذريا وغدا مديرو المكتبة من المتخصصين فى أمور المكتبات. وفى سنة ١٩٦٧ صدر قرار غريب من قبل الحكومة رقم ٥٥ فى أبريل ١٩٦٧ يقضى بفصل قسم الدوريات عن المكتبة الوطنية وجعله وحدة مستقلة تماما عن المكتبة رغم بقائه فى مبنى المكتبة. وهو الآن مكتبة بذاتها لا يضم إلا الدوريات الصادرة فى جواتيمالا ودول أمريكا الوسطى الأخرى.

وتلعب المكتبة دوراً مزدوجا: المكتبة الوطنية التى تتمتع بالإيداع، وتعد أدوات الضبط الببليوجرافى، والمكتبة العامة التى تفتح أبوابها لجميع فئات الشعب وتعير مقتنياتها خارج الدار. وهذه المكتبة تنشر من حين لآخر مطبوعات ذات قيمة وطنية. وقد بلغ عدد مجلداتها سنة ٢٠٠٥م نحو نصف مليون قطعة، ووصل عدد من تخدمهم سنويا إلى ١٥٠,٠٠٠ مستفيد، مع تقديم خدمات خاصة للأطفال.

أما الأرشيف الوطنى واسمه الرسمى (الأرشيف العام لأمريكا الوسطى فى مدينة جواتيمالا) فإنه يضم مجموعة من الوثائق الهامة التى بلغت فى سنتنا هذه (٢٠٠٥م) نحو ٢٠٠,٠٠٠ وثيقة تتعلق بدول: جواتيمالا، كوستاريكا، إلسلفادور، هندوراس،

نيكاراجوا، تشيابا (إحدى ولايات المكسيك). وهناك أيضا مجلدات دوريات تعود للحقبة الاستيطانية والاستقلال وكمية من الميكروفيلم. وقد سبق أن ألمحت أن الأرشيف الوطنى يتمتع بالإيداع حيث تقدم له نسخة من كل كتاب ينشر فى الجمهورية.

المكتبات العامة فى جواتيمالا

تشير آخر الإحصاءات إلى وجود ١٠٥ مكتبات عامة منتشرة فى أنحاء متفرقة من الدولة من بينها ٦٤ مكتبة تابعة للمكتبة الوطنية إشرافًا وتزويدا وتمويلا. وهناك ١٥ مكتبة مدعومة من جانب هيئة المعونة الأمريكية. وبقية المكتبات العامة يديرها ويمولها بنـك جواتيمالا. وقد بلغ مجموع مقتنيات المكتبات العامة هناك فى سنة ٢٠٠٥م نحو ١٧٠,٠٠٠ مجلد وتخدم ربع مليون مستفيد.

والحقيقة أن المكتبات العامة هناك صغيرة وفقيرة ولا تفى بمتطلبات احتياجات الجماهير ويندر وجود أمناء مكتبات مؤهلين بين العاملين فيها.

المكتبات المدرسية فى جواتيمالا

هناك اهتمام واضح بالمكتبات المدرسية فى جواتيمالا وخاصة فى المدارس الثانوية وإن لم تعدم المدارس الابتدائية وجود مكتبات جيدة بها مع الأخذ فى الاعتبار أن ٥٠٪ من المدارس الابتدائية ليس بها مكتبات إلى جانب أن ٣٠٪ من المدارس الثانوية ليس بها مقتنيات. وحسب آخر الإحصائيات كان عدد المكتبات فى المدارس فى جواتيمالا يسير على النحو الآتى:-

المدارس الابتدائية الحكومية الحضرية	٢٠٤
المدارس الابتدائية الحكومية الريفية	١٥٠
المدارس الابتدائية الخاصة الحضرية	٣٥
المدارس الابتدائية الخاصة الريفية	٢٠
المدارس الثانوية الحكومية الحضرية	٢٥
المدارس الثانوية الحكومية الريفية	٧
المدارس الثانوية الخاصة الحضرية	٤٥

ومن الجدير بالذكر أن مجموعات تلك المكتبات صغيرة نسبيا تدور حول ٢٠٠٠ كتاب فى المرحلة الابتدائية و٣٠٠٠ كتاب فى المرحلة الثانوية. وأنه ليس هناك أمناء مكتبات مؤهلون إلا فى قلة من المكتبات فى المرحلة الثانوية وفى الأعم الأغلب يوجد المدرس المكتبى. وفى المرحلة الابتدائية تكون المكتبة عهدة أحد المدرسين. وليس هناك عادة تنظيم للمجموعات أو فهارس إلا فى ١٠٪ فقط من تلك المكتبات وربما ساعد على هذا الوضع المتردى أنه ليس هناك نص قانونى أو لوائحى فى لوائح وزارة التعليم يلزم المدارس بإنشاء مكتبات على ما هو معمول به فى كثير من دول العالم ودول المنطقة.

المكتبات الأكاديمية فى جواتيمالا

كما أسلفت هناك جامعة وطنية (حكومية) هى جامعة سان كارلوس وهى مدعومة من الحكومة ولكنها ذات إدارة مستقلة. وإلى جانبها هناك أربع جامعات خاصة على نحو ما ألمعت. وفى الجامعة الوطنية هناك مكتبة مركزية ومكتبات كليات وبعض مكتبات الأقسام. وتعتبر المكتبة المركزية فى هذه الجامعة هى أكبر المكتبات الأكاديمية فى الدولة وقد تخطت مجموعاتها اليوم حاجز الربع مليون قطعة. وعندما انتقلت الجامعة إلى موقع جديد (مدينة الجامعة) سنة ١٩٦٦ وانتقل معها عدد كبير من الكليات التى كانت مبعثرة فى أنحاء متفرقة من مدينة جواتيمالا بدأ إدماج معظم مكتبات الكليات فى المكتبة المركزية اعتباراً من ١٩٧٤. ومنذ ذلك الوقت أيضا بدأ إعداد الفهرس الموحد الذى يعتبر نواة للفهرس الموحد الوطنى والذى يساهم فى تمويله بنك جواتيمالا.

وبصفة عامة فإن لكل كلية داخل الجامعة مكتبتها الخاصة بها - فيما عدا تلك التى أدمجت فى المكتبة الرئيسية - التى تدار إدارة مستقلة فنيا وعمليا وماليا.

أما الجامعات الخاصة فإنها تميل إلى وجود مكتبة مركزية واحدة لكل جامعة. جامعة رافاييل للانديفار التى أسست سنة ١٩٦٣ وصلت مجموعاتها اليوم إلى نحو ٤٠ ألف مجلد كتب ودوريات إلى جانب ١٠٠ دورية جارية وتخدم نحو ٣٠،٠٠٠ مستفيد. أما جامعة ماريانو جالفيزا التى أنشئت سنة ١٩٦٦ فإن مجموعة المكتبة بها صغيرة ولا تتجاوز ١٥٠٠٠ مجلد وتخدم مجتمعا من ٥٠٠٠ مستفيد. وجامعة خوزيه سيسليو ديل فالى التى

أسست كذلك سنة ١٩٦٦ فإن مكتبتها بها اليوم ٢٢٠٠٠ مجلد كتب إلى جانب ٣٧٠ دورية جارية. وجامعة فرانسسكو ماروكين التى قامت سنة ١٩٧٢ فإن مكتبها تضم اليوم نحو ٢٥٠٠٠ مجلد رغم أنها تخدم مجتمعا من الطلاب يربو على ٣٥ ألف طالب.

ومن الجدير بالذكر أن الجامعات الخمس ومكتباتها تتركز جميعا فى مدينة جواتيمالا.

المكتبات المتخصصة فى جواتيمالا

فى تقدير لخبير اليونسكو روبرتو جواروز وضعه سنة ١٩٦٨ عن أوضاع المكتبات فى جواتيمالا وقدم فيه بعض الإحصاءات ذكر الرجل أنه كان فى جواتيمالا فى تلك السنة ٥٤ مكتبة متخصصة. وقد ذكر دليل مكتبات جواتيمالا الصادر سنة ٢٠٠٣م نحو ١١٠ مكتبة متخصصة.

ومن أهم المكتبات المتخصصة مكتبة بنك جواتيمالا التى أسست سنة ١٩٤٦ وهى متخصصة فى الاقتصاد والمال والصيرفة وتبلغ مجموعاتها اليوم أكثر من ٧٥٠٠ مجلد و٥٠٠ دورية جارية ويستخدمها أكثر من ٦٠٠٠٠ مستفيد كل سنة من عاملين فى البنك إلى باحثين وطلاب علم وجمهور عام يتبع هذه المكتبة أكثر من خمس وعشرين مكتبة فرعية منتشرة فى عموم البلاد وهى مكتبات عامة على نحو ما أسلفت. ومن الطريف أن العمليات الفنية للمكتبات الفرعية تتم داخل المكتبة المركزية فى البنك وحيث يوجد فهرس موحد لكل تلك المكتبات. ومن المكتبات المتخصصة الهامة (مكتبة معهد التغذية فى أمريكا الوسطى وبنما) الذى أسس سنة ١٩٤٩ وهى متخصصة فى التغذية والموضوعات الصحية ذات الصلة. والمكتبة تساعد المعهد على أداء رسالته فى البحث والتدريس وتقديم المساعدات الفنية لدول المنطقة فى مجاله. وهذه المكتبة تفتح أبوابها كذلك للجمهور العام. وتبلغ مجموعاتها اليوم نحو ٨٥٠٠٠ مجلد. وقد دمر حريق نشب فيها إثر زلزال فبراير ١٩٧٦ ما يقرب من نصف مقتنيات المكتبة ولكن تم تعويضها.

وهناك مكتبة ومركز توثيق معهد البحوث والمعلومات التكنولوجية والصناعية الذى أسس سنة ١٩٥٦ وهو متخصص فى جميع فروع التكنولوجيا والصناعات إلى جانب

إدارة الأعمال. وهذه المكتبة ومركز التوثيق بها تقوم بدور المنسق الإقليمى لبرنامج المعلومات والمعونة الفنية فى إدارة الأعمال فى أمريكا الوسطى والكاريبى. وينظم دورات تدريبية على أعمال التوثيق. وقد بلغت المجموعات سنة ٢٠٠٥م نحو ٢٥٠٠٠ مجلد كتب إلى جانب ٣٠٠ دورية ويتلقى هذا المركز مطبوعات الأمم المتحدة المتعلقة بالإنتاج والكيمياء والصناعة. وكان أمين مكتبة هذه المكتبة فى منتصف السبعينات متخصص فى علم الأحياء مع إعداد مهنى مكتبى.

وهناك عدد آخر من المكتبات المتخصصة فى الأجهزة الحكومية المختلفة مثل إدارة البحوث الزراعية التى تقتنى مكتبتها كمية كبيرة من الكتب والتقارير المتخصصة فى الزراعة. وكذلك مكتبة معهد الأمن الاجتماعي؛ ومكتبة المركز الوطنى لتنمية الصادرات، ومكتبة السكرتارية الدائمة العامة للتكامل الاقتصادى والتجارى بين دول أمريكا الوسطى. ومكتبة المعهد الفنى للكفاية الانتاجية.

مهنة المكتبات والمعلومات فى جواتيمالا

لا يوجد فى جواتيمالا حتى سنة ٢٠٠٥م أى تجمع مهنى لأمناء المكتبات وإخصائيى المعلومات بيد أنه يوجد إعداد مهنى وتدريب لأمناء المكتبات وإخصائيى المعلومات فى مدرسة المكتبات بقسم العلوم الإنسانية بجامعة سان كارلوس والمكتبات الموجودة يغلب عليها العناصر غير المؤهلة والمدربة والعدد القليل المؤهل من أمناء المكتبات تعلم فى الخارج أو تلقى دورات تدريبية طويلة أيضا فى الجامعة. وكل ما يمكن قوله عن مهنة المكتبات فى جواتيمالا إنه قد بدأت تظهر عليها بعض بوادر التحسن مع نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين وذلك عن طريق:

١- صدور قانون يحتم على كل طالب فى كلية المعلمين (التربية) يتخرج ويحصل على الشهادة أن يمحو أمية ستة أشخاص من الأميين الكبار بما يعنى توسيع رقعة القادرين على القراءة من الكبار ويعنى أيضا إنشاء المزيد من المكتبات العامة لمواجهة احتياجات هذه الفئة الجديدة من القراء وحتى لا يرتدوا إلى الأمية.

٢- الزيادة الواضحة فى أعداد العلماء والباحثين والإخصائيين وزيادة طلباتهم من المعلومات وخاصة المعلومات العلمية والتكنولوجية.

٣- الاعتراف المتزايد بالعمل المكتبى كمهنة ومن ثم الحاجة إلى اخصائيين مهنيين وخاصة لإدارة مراكز المعلومات التى أخذت فى التزايد هناك فى الفترة الأخيرة.

ويرى الثقات أن المشكلة الأساسية فى مهنة المكتبات والمعلومات فى جواتيمالا أن كل شيء موضوع فى يد الدولة والأجهزة الحكومية، وفى بعض الأحيان فى يد المنظمات والمعاهد الدولية وليست هناك مبادرات أو مشروعات مكتبية من جانب القطاع الخاص.

ولقد بدأت فى نهاية القرن العشرين وبدايات القرن الواحد والعشرين حركة نشطة للاهتمام بكتب ومكتبات الأطفال وربما كانت مبادرة المكتبة الوطنية منذ سبعينات القرن العشرين إنشاء قسم للأطفال بها يقدم فيه إلى جانب الكتب ساعة القصة، الأفلام والمسرحيات وبرامج التوجيه القرائى للأطفال؛ هى البداية وتتلوها مبادرات أخرى مما يساعد على خلق أجيال متعاقبة مؤمنة بالمكتبات والقراءة:

ومن الجدير بالذكر أن خطط التنمية التى بدأت تعدها الجمهورية مع نهاية الستينات تتضمن من حين لآخر مشروعات موجهة لتنمية المكتبات. وعلى سبيل المثال الخطة الرباعية ١٩٦٩-١٩٧٢ والتى تضمنت المشروع رقم ٧ والمخصص لتنمية المكتبات والذى جاء فيه:

١- الاهتمام بزيادة عدد المكتبات العامة والاستعانة بسيارات الكتب لإمداد المناطق التى ليست بها خدمة مكتبية عامة ثابتة.

٢- الاهتمام بإدخال المواد السمعية البصرية وزيادة مقتنيات المكتبات من المطبوعات.

٣- الاهتمام ببرامج التدريب أثناء الخدمة للعاملين فى المكتبات العامة خاصة.

٤- إنشاء نادى أصدقاء المكتبة فى كل مكتبة.

٥- إنشاء المكتبة الصغيرة فى المناطق الريفية المحرومة من الخدمة المكتبية.

٦- الاهتمام بإنشاء بيوت الثقافة وإنشاء أقسام للأطفال فى المكتبات العامة.

وفيما يتعلق بالمكتبات المدرسية تضمن المشروع:

أ- إنشاء عشرة مكتبات نموذجية كل سنة.

ب- إنشاء مكتبة مدرسية نموذجية لطلاب المدارس الثانوية فى مدينة جواتيمالا قوامها ٢٠٠٠ مجلد وتتسع لـ ٢٥٠ طالب فى وقت واحد.

ج- إنشاء إحدى وعشرين مكتبة مدرسية فى المرحلة المتوسطة، قوام كل منها ١٠٠٠ كتاب وتتسع لاثنين وسبعين قارئا فى وقت واحد.

د- إنشاء مكتبة تربوية متخصصة داخل وزارة التعليم بمجموعة أساسية قوامها ١٥٠٠ كتاب وتتسع لاثنين وسبعين قارئاً.

هـ- إنشاء عشر مكتبات تربوية متخصصة فى ولايات جواتيمالا المختلفة بمجموعة أساسية فى كل منها قوامها ٢٠٠ مجلد.

و- مجموعة كتب أساسية كوديعة فترات طويلة فى المدارس الابتدائية التى لا يوجد بها مكتبات دائمة.

ز- إنشاء عشرين مكتبة فى المدارس الابتدائية.

إلى جانب ذلك تم تخصيص عشرين وظيفة أمين مكتبة مدرسية وعشرين منحة دراسية كل سنة لامناء المكتبات المدرسية اعتباراً من عام ١٩٦٩.

وقد تضمن المشروع كذلك تنظيم دورات تدريبية لأمناء المكتبات العامة والمدرسية أساساً لمدة ستة أشهر فى مدرسة المكتبات بقسم العلوم الإنسانية فى جامعة كارلوس سابقة الذكر؛ إلى جانب دورات تدريبية فى المكتبة الوطنية لمدة أربعة أسابيع وتخصيص ٣ منح دراسية فى كل سنة للدراسة بالخارج.

كذلك انطوى المشروع على مسودة قانون التطوير المكتبات على المستوى الوطنى وفكرة إنشاء صندوق لدعم تطوير المكتبات على المستوى الوطنى إلى جانب الدعم الذى يجئ من الحكومة المحلية.

ويبدو أن المشروع كان طموحا أكثر من اللازم بحيث لم ينفذ منه إلا أقل القليل مما ورد فيه.

فى نهاية السبعينات وبداية الثمانينات كانت هناك جهود ترمى إلى إنشاء مركز توثيق تربوى بهدف:

١- تركيز كل أنشطة وجهود التوثيق التربوى فى مكان واحد بما يتضمن جمع:

أ- القوانين والقرارات والتعليمات المتعلقة بالتربية والتعليم.

ب- التقارير المسحية.

ج- الإحصاءات.

د- الرسائل الجامعية.

هـ- أعمال المؤتمرات وحلقات البحث...

٢- تنظيم وخزن واسترجاع المعلوات التربوية طبقا لأحدث الأساليب.

٣- تحليل وتفسير وبث المعلومات التربوية.

٤- جمع وإصدار الببليوجرافيات التربوية.

٥- التنسيق بين كل الانشطة والمصادر التربوية الموجودة فى كل أنحاء الدولة.

٦- تنشيط تبادل المعلومات التربوية على المستويين الإقليمى والدولى من خلال نظام فعال.

٧- إنشاء ـ فى مرحلة تالية ـ شبكة وطنية للمعلومت التربوية توصل المعلومات إلى جميع أرجاء الدولة.

ولكن حتى الآن لم يتم إلا أقل القليل فى هذا الصدد بسبب ضعف التمويل والاضطراب السياسى المتلاحق فى البلاد.

المصادر:

1- Flores, Raquel and Rosaria Domingues and Eva De Sugastume. Guatemala, Libraries in.. in .. Encyclopedia of Library and Information Science.. NewYork: Marcel Dekker, 1973.-Vol. 10.

2- Palma, Guillermo R. Guatemala. – in.. World Encyclopedia of Information Services...Chicago. A.L.A., 1993.
3- World Almanac and Book of Facts.. NewYork: World Almanac Books, 2005.

الجوائز الأدبية

Literary Awards

كلمة "أدبية" هنا لا يقصد بها الأدب وحده إنما يقصد بها الفكرية، أى تلك الجوائز التى تمنح عن عمل فكرى أو مجموع الأعمال الفكرية لمؤلف. وقد غلب مصطلح "أدبية" لأن بداية تلك الجوائز كانت عن أعمال فى الأدب: القصة، الشعر، المسرحية، الملحمة...

والحقيقة أن منح الجوائز عن الأعمال المتميزة فى الأدب ليست فكرة جديدة.. وتذكر المصادر الثقات أن فكرة منح الجوائز للمبدعين تمتد جذورها فى بلاد اليونان القديمة وحيث كان كتاب الدراما يتسابقون ويمنح الفائز منهم "ماعزاً" جائزة له. ويقال إنه فى سنة ٤٦٨ ق.م. نال سوفوكليس فى أثينا أول جائزة عن الدراما وهو فى سن السابعة والعشرين وهزم منافسه أسخيلوس. وقد استمر سوفوكليس يكسب الجائزة الأولى أو الثانية لأكثر من ثلاثة عقود تالية. وفى سنة ١٣٤١م تلقى بترارك إكليلاً من الغار وشهادة تقدير ومواطنة روما من مجلس الشيوخ الرومانى بعد إلقاء محاضرة بليغة حول الشعر أمام حشد كبير من المستمعين فى قصر من قصور المجلس فوق تل الكابيتول. وكانت الأكاديمية الفرنسية التى أسسها الكاردينال ريشيليو سنة ١٦٣٥م تمنح جوائزها الأدبية منذ ١٦٧٠م وما تزال الأكاديمية الحالية مستمرة فى هذا التقليد حيث تمنح ١٣٥ جائزة أدبية كل سنة وقد حذت حذوها أكاديميات أوربية أخرى من بينها أكاديمية فروختبرنجنده الألمانية التى أسست سنة ١٦١٧ م والأكاديمية الملكية الأسبانية التى أسست سنة ١٧١٤م وبعد ذلك انتشرت فكرة الجوائز فى دول العالم المختلفة لتكريم المؤلفين إما عن عمل معين أو عن مجموع أعمالهم. وفى كل عام تظهر جوائز جديدة وتختفى جوائز قديمة ربما بسبب أنتهاء الوقف أو إغلاق ملف المجال لأسباب مختلفة.

ونحن لا نستطيع فى هذه الدراسة أن نتتبع تاريخ كل الجوائز الأدبية ولذلك سوف نقدم الخطوط العريضة فقط. والجوائز قد تكون منحا دراسية أو تكون مكافأة عينية. والمنح الدراسية غالبا ما تقدم للشباب للدراسة أو التفرغ للكتابة. أما المكافآت العينية فغالبا ما تمنح عن أعمال تمت بالفعل.

وتغص بلد مثل الولايات المتحدة بمنح التفرغ وعلى سبيل المثال أكاديمية الشعراء الأمريكيين تقدم منحة تفرغ سنوية قدرها عشرة آلاف دولار؛ وصندوق كارنيجى للمؤلفين يقدم منحة تفرغ سنوية أيضا للمؤلفين. كما يقدم كثير من الناشرين منحا للمؤلفين الشبان. وقد تربط تلك المنح أيضا بالدراسة فى جامعة معينة أو مجال معين. وناشر مثل هوجتون ميفلين يقدم منحة مقدارها عشرة آلاف دولار أيضا عن مخطوطة فى النثر الإنجليزى لم تكتمل بعد. ومؤسسة جون سايمون جوجنهايم التذكارية تقدم أيضا عددا من المنح السنوية والتى تختلف قيمتها حسب ظروف كل ممنوح. وتمنح للتفرغ لكتابة عمل أدبى أو القيام ببحث أو دراسة أو إنتاج عمل فنى بصرف النظر عن جنسية أو نوع أو أصل الممنوح ومركزه المالى. كذلك يقوم المعهد الوطنى للفنون والآداب بتقديم عشر منح سنويا للتفرغ للأعمال الإبداعية.

وفى أمريكا أيضا يقوم الوقف الوطنى لمنح الفنون والذى تأسس سنة ١٩٦٥ بتقديم منح سنوية بملايين الدولارات لتنمية المصادر الثقافية الوطنية عن طريق التفرغ للإنتاج. وكذلك يقوم "صندوق وقف مؤتمر كتاب رغيف الخبز" بتقديم العديد من منح التفرغ. والمنح المقدمة من هذا الصندوق تعرف بأسماء مقدميها ومن بينها:

١- منحة جون أثرتون وقدمت لأول مرة سنة ١٩٦٦.

٢- منحة ألان كولنز فى النثر ومنحت لأول مرة سنة ١٩٦٩

٣- منحة برنارد دى فوتو فى النثر وقدمت لأول مرة سنة ١٩٥٦ (وتقدمها دار نشر هوجتون ميلفين تخليدا لذكرى دى فوتو.

٤- منحة فلتشر برات فى النثر ومنحت لأول مرة سنة ١٩٥٧.

٥- منحة ويليام رانى فى النثر ومنحت لأول مرة سنة ١٩٦٧.
٦- منحة روبرت فروست فى الشعر وقدمت لأول مرة سنة ١٩٥٦. وتقدم قيمتها دار نشر هولت و رينيهارت و ونستون تخليدا لذكرى الشاعر فروست.

أما فيما يتعلق بالجوائز الدولية فربما تبرز جائزة نوبل فى الآداب كأعظم تلك الجوائز. وهى إحدى الجوائز الخمس التى حددتها وصية ألفرد برنارد نوبل. وقد منحت الجائزة لأول مرة سنة ١٩٠١م وتتألف الجائزة من ميدالية ذهبية وشهادة (براءة) ومبلغ من المال يتزايد مع مرور الوقت. وتمنحها الأكاديمية السويدية فى ستوكهولم وتقدم فى العاشر من ديسمبر من كل سنة فى ذكرى وفاة ألفرد نوبل وتمنح عن مجموع إنتاج الأديب ولا تمنح لعمل واحد.

ومن الجوائز الدولية أيضا جائزة كاموس التى تأسست سنة ١٩٣٧م والتى تقدمها وزارة الإعلام والسياحة فى لشبونة ـ البرتغال وتمنح لكاتب غير برتغالى يصور الحياة البرتغالية والثقافة البرتغالية فى أعماله. وتمنح كل سنتين.

وتقدم إسرائيل (جائزة المعرض الدولى للكتاب المقدس) مرة كل سنتين مع انعقاد المعرض وقد منحت لأول مرة سنة ١٩٦٣، وتمنح للمؤلف الذى يقدم أعمالا تساعد على تحقيق التفاهم العالمى فى مجال "حرية الفرد فى المجتمع".

وتقدم اليونسكو كل سنة "جائزة كالنجا" عن الكتابة العلمية التى تبسط العلوم للعامة ولتوثيق العلاقة العلمية والثقافية بين الهند وسائر دول العالم. وقد أسست هذه الجائزة سنة ١٩٥٢ ويقدمها صندوق مؤسسة كالنجا.

وهناك مجموعة ناشرين دوليين مكونة من ١٤ ناشراً تقدم جائزتين "جائزة فورمنتور" و "الجائزة الدولية فى الآداب" وقد بدأ تقديم كلتا الجائزتين سنة ١٩٦١م وتمنحان عن أعمال قصصية. وكانت قيمة كل جائزة ١٠،٠٠٠ دولار بيد أنهما توقفتا بعد عقد واحد من الزمان.

ويقدم الاتحاد العالمى لاتحادات بيرجين ـ بلسين سنويا جائزة لمؤلف أى عمل جيد

مستوحى من محارق النازيين والذى يقدم صورة حقيقة لجيلنا الحالى والأجيال القادمة. وقد أطلق على تلك الجائزة اسم (جائزة التذكير). وقد منحت لأول مرة سنة ١٩٦٥.

وعلى المستوى الوطنى والإقليمى هناك مئات من الجوائز. التى قد تقدم عن عمل واحد أو مجموع الأعمال ففى مصر يقدم المجلس الأعلى للثقافة جائزة مبارك، جائزة الدولة التقديرية، جائزة التفوق، جائزة الدولة التشجيعية. وهذه الأخيرة تمنح عن عمل واحد. أما سائر الجوائز فتمنح عن مجموع الأعمال والأنشطة. كما تقوم بعض الجامعات بتقديم جوائز كبيرة عن مجموع الأعمال. وعلى المستوى الإقليمى هناك جوائز مركز الملك فيصل الإسلامى، وهناك جائزة البابطين وجائزة شوقى الفنجرى وجائزة عبد الحميد شومان وغيرها.

وفى الولايات المتحدة نصادف زخماً من الجوائز الوطنية والولائية سوف نختار من بينها بعضًا منها كعينات ممثلة لمختلف الفئات.

يأتى على رأس الجوائز الأمريكية وأهمها على الإطلاق جوائز بولتزر فى الآداب. تلك الجوائز التى تأسست ١٩١٧ طبقا لوصية جوزيف بولتزر. وتقدم الجوائز فى شهر يونية من كل سنة عن طريق مجلس جامعة كولومبيا بناء على اقتراح من المجلس الاستشارى لجوائز بولتزر. والجوائز ست تقع فى الفئات الآتية:

١- قصة منشورة فى شكل كتاب خلال سنة المنح لكاتب أمريكى ويفضل أن تدول حول الحياة الأمريكية.

٢- مسرحية متميزة لكاتب أمريكى وتكون قد كتبت أصلا كمسرحية ويفضل أن تعالج الحياة الأمريكية.

٣- كتاب تاريخ يتعلق بالتاريخ الأمريكى ويكون منشورا فى نفس سنة المنح.

٤- كتاب تراجم أو ترجمة ذاتية لمؤلف أمريكى منشور فى نفس سنة المنح ويفضل أن يدور حول شخصية أمريكية فى الحالة الأولى.

٥- ديوان شعر متميز منشور فى نفس سنة المنح لشاعر أمريكى.

٦- أحسن كتب العام لمؤلف أمريكى فى أى مجال خارج المجالات الخمس السابقة.

هناك أيضا على المستوى الوطنى فى الولايات المتحدة "جوائز الكتاب الوطني" التى تمنحها (لجنة الكتاب الوطني). وإن كان هناك جدل كبير حول كيفية اختيار الفائزين. ويمول هذه الجائزة اتحاد ناشرى الكتاب الأمريكى واتحاد باعة الكتب الأمريكية ومعهد صناع الكتاب وقد منحت الجائزة لأول مرة سنة ١٩٦٠. وتقدم الجوائز عن عشر فئات من الكتب هى:

١- الفنون والآداب	٦- التاريخ
٢- التراجم	٧- الفلسفة والدين.
٣- كتب الأطفال	٨- الشعر
٤- شئون الساعة	٩- العلوم
٥- القصص	١٠- الترجمة

ويتم اختيار الكتب الفائزة عن طريق مجلس من ثلاثة محكمين من كل فئة. وللمحكمين أن يمنحوا الجائزة بالاقتسام بين اثنين أو ثلاثة. وفى السنوات الأخيرة دأب المحكمون غالبا على تقسيم الجائزة مما أثار جدلاً كبيرا.

كذلك تقدم لجنة الكتاب الوطنى جائزة الميدالية الوطنية فى الآداب والتى تأسست سنة ١٩٦٤ وتتألف هذه الجائزة من مبلغ مالى يتغير مع مرور الوقت إلى جانب الميدالية البرونزية. وهذه الجائزة تمنح لتخليد ذكرى هارولد ك. جوينزبورج مؤسس لجنة الكتاب الوطنى والأسبوع الوطنى للمكتبة. وتمنح الجائزة لأحد المؤلفين الأمريكيين الأحياء عن إضافة يكون قدمها فى الأدب.

ويقدم الاتحاد التاريخى الأمريكى عشر جوائز لتشجيع الدارسين الذين لم ينشروا كثيرا من الأعمال وأيضا هؤلاء الذين حققوا مكانة كبيرة فى المجال. وهذه الجوائز تتفاوت فى قيمتها المادية من جائزة لأخرى وقد سميت بأسماء مؤرخين أو مانحين وهى:

١- جائزة هربرت باكستر أدامز وتمنح سنويا عن أحسن كتاب فى التاريخ الأوربى كتبه أمريكى وقد بدأ منح الجائزة سنة ١٩٣٨.

٢- جائزة جورج لويس بير وتمنح سنويا لأحسن كتاب لباحث أمريكى شاب فى التاريخ الدولى الأوربى منذ ١٨٩٥. وقد بدأ منح الجائزة لأول مرة سنة ١٩٣٠.

٣- جائزة ألبرت ج. بفردج وكانت منذ بدايتها سنة ١٩٣٩ وحتى ١٩٤٥ تمنح كل سنتين ولكنها تمنح الآن كل سنة عن أحسن كتاب بالإنجليزية حول التاريخ الأمريكى من ١٤٩٢ وحتى الآن.

٤- جائزة ألبرت ب. كورى عن العلاقات الكندية ـ الأمريكية وقد منحت لأول مرة سنة ١٩٦٧ وتمنح فى السنوات الفردية بالاشتراك بين الاتحاد التاريخى الأمريكى والاتحاد التاريخى الكندى وتعطى الجائزة لأحسن كتاب فى العلاقات الكندية الأمريكية أو عن كتاب فى تاريخ البلدين.

٥- جائزة جون هـ. دوننج وتمنح كل سنتين من السنة الزوجية لأحسن كتاب منشور فى التاريخ الأمريكى. وقد منحت لأول مرة سنة ١٩٢٩.

٦- جائزة جون فيربانك عن تاريخ شرق آسيا. ومنحت لأول مرة سنة ١٩٦٩م وتمنح كل سنتين فى السنوات الفردية وتمنح عن أى كتاب متميز فى تاريخ الصين، فيتنام، آسيا الوسطى الصينية، منغوليا، منشوريا، كوريا، اليابان منذ ١٨٠٠م.

٧- جائزة كليرنس هـ. هيرنج وتمنح كل خمس سنوات لأحسن كتاب لمؤلف أمريكى فى تاريخ أمريكا اللاتينية نشر فى خلال السنوات الخمس قبل سنة المنح.

٨- جائزة هوارد مرارو. وتمنح كل سنة لأحسن كتاب أو بحث فى التاريخ الإيطالى بعامة أو التاريخ الثقافى الإيطالى أو العلاقات الإيطالية الأمريكية. وقد منحت لأول مرة سنة ١٩٧٣، ويقتصر المنح على المؤلفين الأمريكيين أو الكنديين.

٩- جائزة روبرت ليفنجستون شويلر. وقد أسستها سنة ١٩٥١ مؤسسة تاراكنات داس. وتمنح كل خمس سنوات لأحسن كتاب منشور فى مجال التاريخ البريطانى، أو الاستعمار البريطانى أو الكومنولث البريطانى من تأليف مواطن أمريكى.

١٠- جائزة واتومول. وتمنح كل سنتين عن أحسن كتاب فى تاريخ الهند منشور داخل الولايات المتحدة. وقد منحت لأول مرة سنة ١٩٤٥.

من جهة ثانية تقوم جمعية المؤرخين الأمريكيين بتقديم جائزتين: جائزة آلان نيفنز وجائزة فرانسيس باركمان. وقد تأسست جائزة نيفنز سنة ١٩٦١م وتمنح لأحسن رسالة دكتوراه فى التاريخ الأمريكى. وجائزة باركمان تمنح سنويا لأحسن كتاب فى التاريخ الأمريكى أو التراجم الأمريكية.

وتغطى جوائز بانكروفت التى تأسست سنة ١٩٤٨ بناء على وصية فردريك بانركروفت أيضا مجال التاريخ.

وميدالية إيمرسون - ثورو التى تمنحها أكاديمية الفنون والعلوم وتتكون من مبلغ مالى وميدالية لأحسن كتاب فى الأدب وقد بدأ منحها سنة ١٩٥٦.

وجائزة ر. ت. فرنش تمنح لأحسن كتاب فى الطهى وتمنح سنويا وقد بدأ منحها سنة ١٩٦٧.

وجائزة هنرى فيلبس التى تقدمها الجمعية الفلسفية الأمريكية لأحسن مقال أو كتاب فى فلسفة وعلم التشريع؛ ومنحت لأول مرة سنة ١٨٩٥م وتتكون من مبلغ مالى وشهادة.

وهناك عشرات من الجوائز فى الولايات المتحدة تمنح لكتب الأطفال. ويأتى على قمة تلك الجوائز: ميدالية جون نيوبرى وميدالية كالدكوت وتمنحان سنويا عن طريق اتحاد المكتبات الأمريكية ـ قسم خدمات الأطفال. وميدالية نيوبرى سميث باسم جون نيوبرى بائع الكتب الشهير فى لندن فى القرن الثامن عشر وقد تبرع بها فردريك ميلشر. وقد منحت لأول مرة سنة ١٩٢٢ وتمنح لأحسن كتاب أطفال موجه للأطفال الأمريكيين. وكذلك قدم فردريك ميلشر جائزة كالديكوت التى منحت لأول مرة سنة ١٩٣٨ وتمنح لأحسن رسام لكتاب أطفال وقد سميت باسم رسام الكتب الإنجليزى الشهير رالف كالديكوت فى القرن التاسع عشر.

وهناك كذلك جائزة هانز كريستيان أندرسن الدولية لكتب الأطفال وهى تمنح كل سنتين لمؤلفين ورسامين أحياء ممن قدموا إسهامات متميزة فى كتب الأطفال العالمية. وقد منحت لأول مرة سنة ١٩٥٦.

وقامت أكاديمية نيويورك للعلوم بتخصيص جائزة كتاب الطفل العلمى اعتباراً من سنة ١٩٧١م لتشجيع الكتابة العلمية للأطفال.

وعلى الجانب الآخر هناك مجموعة جوائز كبيرة للشعر من بينها جائزة تشارلز ليفيتون التى أسست سنة ١٩٣٦. وتمنح جمعية الشعر فى أمريكا ١٣ جائزة سنويا فى شهر يناير وقد أسست تلك الجوائز فى سنة ١٩١٦.

وكذلك تمنح جائزة جون مانسفيلد سنويا عن الشعر الروائى الإنجليزى وبدأ تخصيصها سنة ١٩٦٩.

وجائزة وليام ماريون ريدى التذكارية أسست سنة ١٩٥٦ وتمنح للشعر الحر.

وتمنح جائزة جيمس جويس عن القصائد من القالب الفرنسى (بالاد، روندل ونحوها). ومنحت لأول مرة سنة ١٩٦٥.

المصادر:

1- Clapp, Jane. International Dictionary of Literary Awards. – New York: Scarecrow Press, 1963.

2- Henderson, Jeanne J. Literary Awards.-in. Encyclopedia of Library and Information Science. – New York: Marcel Dekker, 1975.

3- Henderson, Jeanne J. and Brenda G. Piggins (Edt.) Literary and Library Prizes.. New York: Bowker, 1970.

4- Smith, Irene. A history of the Newbery and Caldecott Medals. – New York: Viking, 1957.

5- Wasserman, Paul (Edt.). Awards, Honors and Prizes.. 2nd ed. Detroit: Gale, 1972.

جوائز المكتبات المدرسية
School Library Awards

تقوم دائرة المعارف البريطانية فى الولايات المتحدة سنويا منذ ١٩٦٣ بمنح جوائز مالية لثلاث من شبكات المكتبات المدرسية المتميزة يتم اختيارها بناء على مصادرها والخدمات المكتبية التى تقدمها لعملائها. وخاصة على مستوى المدارس الابتدائية وذلك فى الولايات المتحدة وكذا فى كندا. بدأ منح تلك الجوائز عن طريق دائرة المعارف البريطانية فى كندا منذ ١٩٦٦. وكان الهدف من تلك الجوائز هو حفز الاهتمام بالمكتبات المدرسية فى المرحلة الابتدائية خاصة.

والتقديم للجوائز يتم فى شهر سبتمبر من كل عام عن طريق الناشر المحدد فى شيكاغو أو عن طريق المديرية التعليمية فى المقاطعات والولايات. وأى شبكة أو مكتبة مدرسية: حكومية، خاصة، كنسية يمكنها التقدم لنيل الجائزة.

وتقرر المصادر أن الهدف من الجائزة رباعى:

١- لفت اهتمام الرأى العام إلى أهمية المكتبات المدرسية.

٢- إبراز أهمية دور المكتبات المدرسية فى المرحلة الابتدائية فى العملية التربوية التعليمية.

٣- تشجيع دور المواطن فى تنمية وتطوير المكتبات المدرسية.

٤- تشجيع المكتبات المدرسية المتميزة المتقدمة والتى تكون نموذجا للأخريات.

وتمنح الجوائز فى الولايات خلال الأسبوع الوطنى للمكتبات وتقوم لجنة استشارية بين اتحاد المكتبات المدرسية فرع اتحاد المكتبات الأمريكية وفرع الاتحاد الوطنى التربوى، باختيار المكتبات الفائزة. هذه اللجنة الاستشارية تقوم بفرز

الطلبات وحيث كل ولاية لا يزيد عدد المكتبات المتقدمة منها عن أربعة فى السنة الواحدة، وترشح بحد أقصى عشر مكتبات لكل الولايات المتحدة وتقوم هيئة التحكيم التابعة لدائرة المعارف البريطانية باختيار المكتبات الثلاثة الفائزة وتمنح المكتبات مبالغ مالية ترفع قيمتها مع مرور السنين وبحيث تستخدم تلك المبالغ فى تنمية مقتنيات المكتبة. وقدر ربا عدد المكتبات الفائزة فى الولايات المتحدة حتى الآن على ١٢٠ مكتبة تبدأ من مكتبات مدرسية كبيرة فى مدينة نيويورك وحتى أصغر مكتبة مدرسية موجودة فى قرية جنادو تكساس ثم اختيارها من بين بضعة آلاف من المكتبات المرشحة.

وقد قامت "جمعية العلاقات العامة الأمريكية" باعتبار جوائز دائرة المعارف البريطانية للمكتبات المدرسية هى أفضل حافز لتطوير المكتبات المدرسية فى المرحلة الابتدائية فى الولايات المتحدة.

وقد أشادت ميرى جيفر أستاذة علم المكتبات فى جامعة رتجرز، ورئيس اتحاد المكتبات الأمريكية ١٩٦٦-١٩٦٧ (انظر ترجمتها فى هذا المجلد تحت اسمها جيفر، ميري) فى كتابها (أنماط تطوير المكتبات المدرسية الابتدائية) بهذه الجوائز واعتبرتها من أفضل الحوافز لتطوير تلك المكتبات.

وتم إعداد فيلم مدته عشرون دقيقة، ١٦مم بعنوان (المكتبات ـ مراكز التعليم: ماذا يحدث؟) عن التطور الذى حدث فى المكتبات المدرسية وخاصة بعد تقديم تلك الجوائز. وقد تم إنتاج هذا الفيلم سنة ١٩٧٠.

المصدر:

Krueger, Fred A. Encyclopedia Britannica School Library Awards. – in- Encyclopedia of Library and Information Science.- New York: Marcel Dekker, 1972. Vol. 8.

جوائز المكتبات والمعلومات

Awards in Library and Information Science

تسعى الجمعيات والاتحادات والمعاهد والمؤسسات المهنية فى تخصص المكتبات والمعلومات أن تكرم هؤلاء الذين قدموا خدمات جليلة متميزة للمكتبات ومراكز المعلومات ولمهنة المكتبات والعمل المعلوماتى وعادة ما يكون هذا التكريم من خلال الجوائز والمنح وشهادات التقدير.

تلك الجوائز والمنح والشهادات التقديرية تمنح للأفراد مقابل إنجازات قاموا بها فى مجال المكتبات والمعلومات ككل أو فى جانب محدد من الجوانب فى هذا التخصص؛ أو عن جهد قام به الشخص لدفع مهنة المكتبات والقراءة أو عن مؤلف أو مجموع المؤلفات المبتكرة الخلاقة والنظريات والتطبيقات والتجارب العلمية التى يكون الفرد عساه قد أضافها إلى الإنتاج الفكرى المتخصص. كما تمنح تلك الجوائز لمن قاموا بتطوير أساليب اختزان واسترجاع المعلومات وأعمال ميكنة المكتبات. والجوائز والشهادات قد تمنح للمكتبات ومراكز المعلومات نفسها لنفس الأسباب التى تمنح بها للأفراد.

والجوائز قد تكون ثابتة دائمة وقد تكون عرضية فى مناسبة من المناسبات وسوف يكون تركيزنا فى هذا البحث حول الجوائز الثابتة لأن العرضية لا حصر لها ولا يتم إدراجها عادة فى أدلة الجوائز المرجعية. والجوائز الدائمة الثابتة قد تكون سنوية أو كل سنتين وربما كل ثلاث سنوات أو كل خمس سنوات. وفى الأعم الأغلب تقوم جمعيات واتحادات المكتبات والمعلومات الوطنية بتنظيم برامج جوائز وتكريم وشهادات واسعة النطاق على نحو ما نجده فى برامج الجمعية المصرية للمكتبات والمعلومات واتحاد المكتبات الأمريكية واتحاد المكتبات البريطانية واتحاد المكتبات المتخصصة والجمعية الأمريكية لعلم المعلومات وغيرها كثير. كما تقوم المجالس القومية المتخصصة بمنح جوائز أيضا لها صفة الثبات والديمومة على نحو ما تقوم به لجنة الكتاب والنشر فى المجلس الأعلى للثقافة فى مصر.

والحقيقة أن اتحاد المكتبات الأمريكية وهو أقدم الاتحادات الوطنية المهنية فى العالم له تجربة ثرية فى هذا المجال مما يدخل فى باب النموذج الذى يحتذى. وسوف نبدأ فى هذا البحث بتجربة هذا الاتحاد ثم نعرج على تجارب أخرى.

ومن المعروف أن لدى اتحاد المكتبات الأمريكية برنامجا يعرف باسم (برنامج الجوائز) تديره لجنة الجوائز المنبثقة عن المجلس التنفيذى للاتحاد. وكانت اللجنة الأولى للجوائز فى الاتحاد قد شكلت سنة ١٩٣٦م بهدف التخطيط لبرنامج الجوائز وتقديم الاقتراحات المتعلقة به وكذلك وضع أسلوب ومعايير منح الجوائز، ولمدة عشر سنوات عملت هذه اللجنة كلجنة لاختيار الفائزين فى الجوائز الموجودة بالفعل. وفى سنة ١٩٤٦م قام المجلس العام لاتحاد المكتبات الأمريكية بتشكيل اللجنة رسميا لتصبح من اللجان الدائمة وذلك بهدف دراسة وتقييم كافة الجوائز الموجودة فى المجال وكتابة تقرير عنها ومحاولة التنسيق ومنع التكرار عموما. وفى سنة ١٩٥٤م تغير وضع اللجنة ليصبح اسمها (مجلس الجوائز) ويتألف هذا المجلس من خمسة أعضاء يختارون لمدة خمس سنوات إلى جانب عضو سادس يتغير سنويا؛ ويقوم أعضاء هذا المجلس بانتخاب الرئيس فى بداية كل دورة. وقد أصبح المجلس الجديد هو الهيئة التى تضع السياسة العامة لبرنامج الجوائز والتى تنسق بين كافة الجوائز التى يرعاها الاتحاد ويضع عينه أيضاً على الجوائز الموجودة فى المجال خارج نطاق الاتحاد. وإلى جانب تلك المهام كان أعضاء المجلس يقومون بدور التحكيم لبعض الجوائز فقط حيث يختارون الفائزين بها. وبعد عامين اثنين من قيام هذا المجلس مجلس الجوائز قرر المجلس العام للاتحاد فكه واستبداله مرة ثانية بلجنة الجوائز. وكانت مهمة اللجنة هى نفس مهمة المجلس المنحل أى وضع السياسات العامة والتوصيات والتخطيط والتنسيق بين الجوائز التى يقدمها الاتحاد أو التى يرعاها الاتحاد. وهذه اللجنة تقوم من حين لأخر بتقييم مدى ملاءمة الجوائز الموجودة وتقوم باقتراح جوائز جديدة أو تعديل جوائز قائمة بالفعل أو وقف جوائز. ومن الأدوار التى تقوم بها التنسيق بين لجان التحكيم التى تختار الفائزين، كما تنظم إجراءات واحتفالات منح وتسليم الجوائز. وتتألف اللجنة فى أحدث تشكيل لها من سبعة أعضاء ومدة اللجنة سنتان ويقوم رئيس

اتحاد المكتبات الأمريكية نفسه باختيار أعضاء تلك اللجنة. وطبقا للوائح الاتحاد فإنه يجوز إعادة اختيار نفس عضو اللجنة ولكن بحد أقصى ثلاث دورات متعاقبة. ولم تعد اللجنة تختار رئيسها وإنما يقوم رئيس الاتحاد بتحديد الرئيس.

وفيما يتعلق بالمحكمين فإنه يتم اختيارهم سنويا أولا بأول. وهذه اللجنة هى المسئولة عن اختيار محكمى الجوائز العامة التى يقدمها الاتحاد. أما الجوائز التى تقدمها الأقسام المتخصصة فى الاتحاد فإن كل قسم هو الذى يحدد المحكمين. ومن المقطوع به أن الفائزين بالجوائز يتم اختيارهم طبقا للمعايير والمواصفات المنصوص عليها فى شروط الجائزة. ولا يتم اختيار أو استبعاد أى شخص لأى جائزة بسبب منصبه أو وضعه المهنى. ومن حسنات جوائز اتحاد المكتبات الأمريكية أنها تمنح للأحياء فقط ولا تمنح بعد الوفاة، إلا فى حالة الوفاة بعد التقدم للجائزة. وتسرى الجوائز أيضا على أمناء المكتبات المحالين إلى المعاش طالما انطبقت عليهم الشروط شأنهم فى ذلك شأن الأمناء العاملين. ومن المتفق عليه أنه لا يجوز اختيار نفس الشخص لجائزة واحدة أكثر من مرة، إلا إذا قدم إنجازا جديدا يستحق عليه جائزة جديدة. ومن المألوف ألا يتم اختيار الشخص الواحد لأكثر من جائزة فى نفس السنة وإذا تصادف وحدث ذلك فإن الأمر يكون استثناء وليس القاعدة. ومع ذلك فإنه يجوز للشخص الواحد أن ينال أكثر من جائزة على مدى عدة سنوات. وليست هناك قيود يضعها اتحاد المكتبات الأمريكية على عدد الجوائز التى تقدم ولكن بصفة عامة يحرص الاتحاد على أن يظل عدد الجوائز صغيرا حتى يحتفظ برنامج الجوائز بقيمته وأهميته. كما يحرص الاتحاد على أن تمثل الجوائز كل جوانب المهنة وفى نفس الوقت يحاول الاتحاد تجنب التداخل والتكرار فى الجوائز.

ويقدم الاتحاد عددا من الجوائز العامة وعدداً آخر من الجوائز النوعية. هذه الجوائز قد تكون من تمويل الاتحاد أو من تمويل جهات أخرى خارج الاتحاد ولكن الاتحاد يرعى تقديمها. وسوف نحاول فى عجالة إلقاء الضوء على أهم تلك الجوائز:

١ - جائزة كليرنس دبى. وهى جائزة مالية بدأ منحها سنة ١٩٥٩م وتمنح لأحد أمناء المكتبات أو لأحد الأفراد من خارج المهنة يكون قد قدم عملا متميزا يشجع على حب

الكتب والقراءة. وهذا العمل قد يكون كتابا أو مقالة أو سلسلة من المحاضرات المنشورة فى خلال خمس سنوات تسبق المنح. وتمنح سنوياً.

٢- **ميدالية ملفيل ديوى.** وتمنح سنويا لفرد أو مجموعة أفراد يكونون قد حققوا إنجازا كبيرا إبداعيا وخاصة فى المجالات التى كان ملفيل ديوى يميل إليها ويعمل فيها: إدارة المكتبات، تعليم علم المكتبات، الفهرسة والتصنيف، أدوات وأساليب العمل المكتبى.

٣- **جائزة إ. بى. دوتون ـ جون ماكراى.** وتمنح لأى أمين مكتبة عن دراسة رسمية أو غير رسمية فى مجال الخدمة المكتبية للأطفال أو الشباب فى المكتبات المدرسية أو العامة. وقد تأسست هذه الجائزة سنة ١٩٣٠ بداية تحت اسم "منحة إ. بى. دوتون عن العمل مع الأطفال" وقد قدمت لسنوات ثلاث متعاقبة ثم توقفت. وقد أعيد تأسيسها مرة ثانية سنة ١٩٥٢ تحت اسم مزدوج هو: "جائزة دوتون ـ ماكراي" وتمنح سنويا منذ ذلك التاريخ وهى جائزة مالية.

٤- جائزة جروليير. وهى أيضا جائزة مالية فى مجال الخدمة المكتبية للأطفال تم استحداثها سنة ١٩٥٣ وتمنح سنويا لأحد أمناء المكتبات العامة أو المدرسية الذين قدموا إسهاما غير عادى وغير تقليدى فى حفز الأطفال نحو القراءة.

٥- **جائزة هاموند المكتبية. أسست** هذه الجائزة سنة ١٩٦٢ وهى جائزة متخصصة فى مجال الخرائط وتقدمها مؤسسة هاموند. وهى عبارة عن مبلغ مالى وشهادة تقدير تمنح سنويا لأحد أمناء المكتبات العامة أو المدرسية كما قد تمنح للمكتبة نفسها عن جهد غير عادى بذل لتشجيع استخدام الخرائط والأطالس والكرات الأرضية من جانب الأطفال والشباب فى سن الدراسة الإعدادية والثانوية.

٦- **جائزة جوزيف ليبنكوت.** وهى جائزة مالية تمنح عن كتابة أو نشاط متميز من جانب أحد أمناء المكتبات بما فى ذلك النشاط المهنى فى اتحادات المكتبات وجمعياتها والكتابة المهنية من كتب ومقالات ودراسات والدفاع عن أهداف المهنة. والجائزة تتألف من مبلغ مالى وميدالية وشهادة تقدير.

٧- جائزة مطبعة سكيركرو فى أدب المكتبات. وهى جائزة يقدمها ناشر ينشر فى مجال المكتبات والمعلومات وتتألف من مبلغ مالى وشهادة تقدير تمنح لأحد أمناء المكتبات الأمريكيين عن إنتاج فكرى متميز فى مجال المكتبات بشرط أن يكون منشوراً فى السنة التقويمية السابقة على التقدم للجائزة. وإذا لم يكن هناك إنتاج فكرى يستحق فإن الجائزة تحجب. وقد بدأ منح الجائزة لأول مرة سنة ١٩٥٩م ومنذ ذلك التاريخ لم تحجب الجائزة.

٨- جائزة شركة ويلسون لدوريات المكتبات. تمنح هذه الجائزة للدوريات المتميزة المتخصصة فى المكتبات والمعلومات والتى تنشرها المكتبات المحلية أو الولائية أو الإقليمية أو تنشرها اتحادات المكتبات أو الجماعات المكتبية فى الولايات وكندا بشرط أن تكون الدورية إضافة حقيقية إلى المهنة وتخضع كل أعداد الدورية فى السنة السابقة على المنح للتحكيم على هدى من المحتويات والشكل المادى والإخراج إلى جانب الهدف العام للدورية وحجم الإنفاق عليها. وتتألف الجائزة من مبلغ مالى وشهادة تقدير.

٩- جائزة هولسى ويلسون لتطوير المكتبات. بدأت هذه الجائزة سنة ١٩٦٥ وقد خصصتها أيضا شركة ويلسون لتمنح سنويا لأى اتحاد مكتبات أو مدرسة مكتبات أو أية جماعة مكتبية تعمل على تطوير مهنة المكتبات والمعلومات سواء كانت محلية أو ولائية أو إقليمية. ولكى يدخل الاتحاد المحلى أو الولائى أو الإقليمى المسابقة فلابد أن يكون فرعا من اتحاد المكتبات الأمريكية وتمنح الجائزة على أساس مجموع النشاط المتواصل وليس على أساس نشاط سنة واحدة أو فترة بذاتها. والمعايير الداخلة هنا تبنى على أساس الأهداف التى تسعى المجموعة إلى تحقيقها ومدى ملاءمة تلك الأهداف لطبيعة مهنة المكتبات فى المنطقة التى تعمل فيها المجموعة وعدد الأفراد المنتمين إلى الجماعة وغير ذلك من المعايير الخاصة. والجائزة عبارة عن مبلغ من المال يساعد الجماعة فى الاستمرار فى تحقيق أهدافها.

إلى جانب الجوائز العامة فى اتحاد المكتبات الأمريكية التى تمنحها لجنة الجوائز باسم الاتحاد، هناك العديد من الجوائز والشهادات والمنح الدراسية التى تقدمها الشعب والأقسام والموائد المستديرة فى الاتحاد. ويمكننا القول مطمئنين بأن تلك الجوائز هى جوائز نوعية تقدم عن جانب معين عادة ما يقع فى نشاط الشعبة أو القسم أو المائدة المستديرة: تعليم علم المكتبات، إضافة إلى الإنتاج الفكرى، تصميم مبانى المكتبات،

إنجاز فردى لمكتبة معينة أو أمين مكتبة بذاته. وسوف نتناول هنا قسطا من تلك الجوائز النوعية لبيان تنوعها وأهميتها.

١١- **جائزة بيتا ـ فى ـ مو.** هذه الجائزة مخصصة لمجال تعليم علم المكتبات وتدير هذه الجائزة شعبة تعليم علم المكتبات باتحاد المكتبات الأمريكية. وهذه الجائزة مالية مع شهادة تقدير وتمنح سنويا لأحد أعضاء هيئة التدريس فى مدارس علم المكتبات ممن لهم إنجاز متميز فى تعليم علم المكتبات. ومن المعروف أن منظمة بيتا ـ فى ـ مو هى جمعية دولية علمية شرفية فى علم المكتبات وتمنح أيضا "جائزة التدريس الجيد" لأحد أعضاء هيئة التدريس فى مدارس المكتبات والمعلومات المعتمدة عن تميزه فى التدريس داخل حجرات الدراسة.

١٢- **المنح الدراسية جروليير ـ الأمريكية.** وهى أيضا تمنح فى مجال تعلم علم المكتبات وتقدم سنويا لاثنتين من مدارس علم المكتبات. إحداهما للدراسات العليا فى مجال المكتبات والمعلومات والثانية لمدرسة تقدم العلم على مستوى المرحلة الأولى. وذلك للإنفاق على طالب دراسات عليا وطالب مرحلة أولى. ويتم الاختيار من بين الطلبات التى يتقدم بها عمداء تلك المدارس. والمدرستان اللتان يقع عليهما الاختيار، تقوم كل منهما باختيار الطالب الذى تقدم له المنحة.

١٣- **منحة معهد التجليد المكتبى الدراسية.** يقدم معهد التجليد للمكتبات منحة مالية سنوية لأحد الطلاب المتميزين فى مجال المكتبات والمعلومات لاستكمال دراسته. وهى تقدم لأحد الطلاب المقيمين فى الولايات المتحدة بصرف النظر عن جنسيته أو عرقه أو لونه أو أصله أو المنطقة الجغرافية التى جاء منها.

١٤- **منحة فردريك ميلشر الدراسية.** منحة مالية سنوية تقدمها شعبة خدمات الأطفال باتحاد المكتبات الأمريكية لأحد أمناء المكتبات الذين يدرسون الخدمات المكتبية للأطفال سواء فى المكتبات العامة أو المدرسية وذلك لتشجيع اقتحام هذا المجال على أسس علمية.

١٥- **جوائز أدب الأطفال.** يقدم اتحاد المكتبات الأمريكية ثلاث جوائز عن أدب الأطفال وهى عبارة عن ميداليات فقط ولا توجد أية مبالغ مالية فيها. أول تلك الجوائز، ميدالية راندولف ج. كالديكوث وتمنح سنويا لرسام كتب الأطفال المتميزة المنشورة فى

الولايات المتحدة بشرط أن يكون الكتاب منشوراً فى السنة السابقة على المنح. ويجب أن يكون الفائز مواطنا أمريكيا أو مقيما بالولايات المتحدة والجائزة الثانية هى ميدالية جون نيوبرى وتمنح سنويا لأحد المؤلفين عن كتاب من كتب الأطفال المتميزة المنشورة فى السنة السابقة على المنح وبشرط أن يكون الكتاب أمريكيا. والجائزة الثالثة هى ميدالية لورا إنجولز ويلدر، وتمنح لأحد المؤلفين أو الرسامين عن مجموع الإنتاج المتميز فى مجال أدب الطفل الأمريكى ويكون منشورا على أرض الولايات المتحدة.

١٦- **جوائز أمناء مكتبات القوات المسلحة.** وهذه الجوائز عبارة عن شهادات تقدير تمنح لأمناء المكتبات العسكرية الذين يؤدون خدمات جليلة متميزة لأفراد القوات المسلحة والذين يشجعونهم على القراءة والاطلاع واستخدام المكتبات.

١٧- **جوائز اتحاد مكتبات المستشفيات ومؤسسات العلاج للخدمة المكتبية المتميزة.** وهى عبارة عن شهادات تقدير تمنح لأمناء المكتبات المتميزين فى مجال الخدمات المكتبية فى المكتبات المنضمة لاتحاد مكتبات المستشفيات ومؤسسات العلاج المختلفة بما فى ذلك مستشفيات كليات الطب ومدارس التمريض.

١٨- **جائزة فرانسيس جوزيف كامبيل.** وهى عبارة عن ميدالية وشهادة تمنح لأمين المكتبة الذى يقدم خدمات متميزة للمكفوفين. والخدمة قد تكون برنامجا فعالاً لخدمة المكفوفين فى مكتبة بذاتها أيا كان موقعها أو دوراً فعالاً حيويا فى البرنامج الوطنى لخدمة المكفوفين وقد تكون الخدمة اشتراكا حيويا فى اتحاد المكتبات يتعلق بالمكفوفين، وقد يكون دوراً فعالاً لخدمة المكفوفين فى إحدى منظمات العمل من أجل المكفوفين بصفة مطلقة. وقد يكون الأمر نشر كتاب أو بحث فى المجال أو أسلوباً جديدا فى الإدارة المكتبية للمكفوفين أو الخدمة المرجعية أو الإعارة أو التزويد أو حتى الإعداد الفنى لمواد المكفوفين أو أى نشاط آخر له أهميته.

١٩- **جائزة جون كوتون دانا.** هذه الجائزة عبارة عن شهادة تقدير تمنح لأى مكتبة من أى نوع ومن أى حجم أو أية جمعية أو اتحاد يقوم بأفضل برنامج علاقات عامة ودعوة مكتبية لاجتذاب الجمهور وتنمية عادة القراءة بينهم. وتمنح سنويا عن جهد بذل فى هذا الصدد خلال السنة السابقة على المنح.

٢٠- **جائزة المائدة المستديرة حول المعارض.** وهى جائزة مالية تمنح سنويا لفرد أو جماعة من الأفراد قاموا بأحسن أداء فى مجال تحسين تنظيم المعارض المكتبية ودورها فى تنمية المهنة.

٢١- **جائزة مارجريت مان.** وهى عبارة عن شهادة تقدير تمنح لأحسن إنتاج فكرى نشره أمين مكتبة فى مجال الفهرسة والتصنيف أو عن أحسن بحث قدم لمؤتمر متخصص فى الفهرسة والتصنيف أو عن أحسن ممارسة مهنية عملية فى مجال الإعداد الفنى للمواد المكتبية.

٢٢- **جائزة إيزادور جلبرت مدج.** وهى عبارة عن شهادة تقدير تمنح سنويا لأمين المكتبة الذى يحقق إنجازاً هاما فى مجال الخدمة المرجعية سواء كان هذا الإنجاز برنامجاً مبتكراً للخدمات المرجعية فى مكتبة بعينها أو نشر كتاب ممتاز عن الخدمات المرجعية أو سلسلة مقالات هامة فى المجال وأيضا عن الأداء المتميز فى تدريس الخدمة المرجعية.

٢٣- **جائزة ايونيس روكويل أوبيرلى التذكارية.** وهى جائزة مالية وشهادة تقدير تمنح كل سنتين وتقدمها مؤسسة أوبيرلي؛ هذه الجائزة تمنح لأحد المواطنين الأمريكيين الذين يقومون بإعداد أحسن قائمة ببليوجرافية فى مجال الزراعة والعلوم ذات الصلة فى خلال فترة السنتين السابقتين على المنح.

ويجرى تقييم الببليوجرافيات على أساس الدقة والمجال والاستخدام والشروح والمقدمات والكشافات.

٢٤- **جائزة هربرت بوتنام الشرفية.** وهى جائزة مالية تقدم على فترات غير محددة لأحد أمناء المكتبات الأمريكية من ذوى القدرات المتميزة لمساعدته على السفر أو التأليف أو أى إنجاز آخر يعود بالنفع على مهنة المكتبات والمجتمع.

٢٥- **جائزة الخدمة المكتبية المتميزة لمديرى المدارس.** تمنح هذه الجائزة كما يبدو من اسمها لمديرى المدارس الذين يسعون فى تنمية الخدمة المكتبية فى مدارسهم ويحققون إنجازاً ملموساً فى هذا الصدد. وقد تأسست هذه الجائزة سنة ١٩٦٨ وهى عبارة عن شهادات تمنح سنوياً على مستوى المدارس الابتدائية والسنوية على السواء.

٢٦- **جوائز مجالس الأوصياء.** يقدم اتحاد المكتبات الأمريكية سنويا جائزتين لمجالس

إدارة المكتبات العامة صغيرها وكبيرها. وتمنح كل جائزة لمجلس إدارة متميز يكون قد أدى خدمات جليلة لتطوير الخدمات المكتبية العامة فى المكتبة أو شبكة المكتبات التى يتوفر على إدارتها.

٢٧- **جوائز عمارة المكتبات.** وتمنح سنويًا عن أحسن تصميم وتخطيط مبنى مكتبة يقوم به مهندس معمارى أمريكى. والجائزة هنا عبارة عن شهادة تقدير تمنح للمهندس المعمارى نفسه ولوحة تقدير توضع فى واجهة المكتبة الفائزة. وتمنح الجائزة للمكتبات المدرسية؛ والمكتبات الجامعية والكليات؛ والمكتبات العامة على مستوى الولايات والمحليات.

٢٨- **جوائز الأسبوع الوطنى للمكتبة.** تقوم لجنة اتحاد المكتبات الأمريكية للأسبوع الوطنى للمكتبة بتقديم جائزة جروليير للأسبوع الوطنى للمكتبة. وهذه الجائزة عبارة عن مبلغ مالى تتبرع به مؤسسة جروليير وتمنح لأحسن اتحاد مكتبات على مستوى الولايات فى تنظيم وإدارة الأسبوع الوطنى للمكتبة فى الولاية. وهى جائزة سنوية بطبيعة الحال.

٣٩- **جوائز اتحاد المكتبات المتخصصة.** يقدم اتحاد المكتبات المتخصصة المنبثق عن اتحاد المكتبات الأمريكية مجموعة من الجوائز تغطى جوانب مختلفة من العمل المكتبى المتخصص. ومن بينها على سبيل المثال لا الحصر جائزة جاك بيرنيس والتى تمنح لأحسن مكتبة صحفية وهى جائزة مالية يقدمها صندوق جاك بيرنيس التذكارى وتنظم منح هذه الجائزة شعبة المكتبات الصحيفة باتحاد المكتبات المتخصصة. ومن بين تلك الجوائز: جائزة الجغرافيا والخرائط التى ترعاها شعبة الجغرافيا والخرائط. وهى عبارة عن شهادة ملفوفة وتمنح لأحسن مكتبة أو إنجاز مكتبى متخصص فى الجغرافيا والخرائط. ويمنح اتحاد المكتبات المتخصصة جائزة عامة تعرف باسم "الجائزة المهنية" وتمنح لأى إنجاز متميز فى مضمار المكتبات المتخصصة وهى عبارة عن هدية تقدم للمكتبة أو أمين المكتبة وتختلف الهدية من سنة لأخرى.

إلى جانب الجوائز السابقة التى يقدمها اتحاد المكتبات الأمريكية وما ينبثق عنه من

اتحادات وشعب وأقسام وموائد مستديرة هناك هيئات أخرى تقدم جوائز ومنحاً دراسية من بين تلك الهيئات: نوادى الكتب، اتحادات وجمعيات الكتب. نعرض لعينات منها على سبيل المثال والتمثيل:

١- **جائزة آمى لفهان الوطنية.** وهى جائزة مالية تمنح لأحسن مكتبة شخصية يكون صاحبها طالبًا فى المرحلة الجامعية الأولى فى إحدى كليات السنوات الأربع بالولايات المتحدة. ويقدم هذه الجائزة اتحاد المرأة للكتاب الوطنى ونادى كتاب الشهر ومجلة يوم السبت.

٢- **جائزة مارسيا نويس.** وهى جائزة يمنحها اتحاد المكتبات الطبية لأحسن إنجاز مكتبى فى مجال المكتبات الطبية وهى عبارة عن صينية من فضة ينقش عليها الإهداء. وتقدم للأفراد والمكتبات والمنظمات على السواء.

٣- **جائزة ميدالية ريجينا.** ويمنحها اتحاد المكتبة الكاثوليكية وهى عبارة عن ميدالية تمنح عن مجموع النشاط فى مجال أدب الأطفال.

٤- **جوائز دائرة المعارف البريطانية.** وقد عرضنا لها فى مدخل مستقل وهى جوائز مالية يختلف عددها من حين لآخر تتراوح ما بين ٣-٥ جوائز سنويا تمنح لعدد من نظم المكتبات المدرسية فى الولايات المتحدة وكندا ويشرف على منح الجائزة اتحاد أمناء المكتبات المدرسية.

ولقد حظى مجال علم المعلومات بعدد آخر من الجوائز يقدمه المعهد الأمريكى للتوثيق الذى تطور إلى الجمعية الأمريكية لعلم المعلومات من بينها **"جائزة الاستحقاق"** التى تقدم إلى أحد الأعضاء المتميزين الذين قدموا إضافة لها قيمتها فى مجال العمل المعلوماتى وقد تكون تلك الإضافة أفكاراً جديدة أو أجهزة ومعدات مبتكرة أو أساليب عمل جديدة أو خدمة جليلة لعلم المعلومات. والجائزة عبارة عن شهادة تقدير محفورة موقعة من رئيس الجمعية ومع الشهادة تقدم هدية تذكارية تختلف من سنة إلى سنة. ومن استعراض أسماء بعض من نالوا هذه الجائزة نجد من بينهم من قدم إسهاما مبتكرا فى مجال

اختزان واسترجاع المعلومات. وإلى جانب تلك الجائزة هناك جوائز موسمية تمنح بين حين وآخر فى مناسبات معينة.

وإلى جانب الجوائز والمنح والشهادات هناك المنح الدراسية والزمالات وغيرها من وسائل الدعم المالى لدراسة علم المكتبات والمعلومات تقدمها الاتحادات والهيئات والمؤسسات المعنية ونجد حصرا وتوصيفا لتلك المنح الدراسية والزمالات فى دليل "الزمالات والمنح الدراسية ومنح المساعدات وغيرها من الإعانات المالية لتعلم علم المكتبات" الذى تصدره شعبة تعليم المكتبات باتحاد المكتبات الأمريكية. والمعلومات فى هذا الدليل مستفيضة وهو مرتب هجائيا باسم الولاية ثم اسم المنحة أو الزمالة أو المساعدة أو القرض ومن له الحق فيها وموعد التقدم ومكان التقدم.. وليس هذا هو الدليل الوحيد إلى تلك المنح والزمالات بل هناك عدد كبير من الأدلة التى تساعد فى هذا الصدد من بينها: "الدليل المقارن إلى الكليات الأمريكية" الذى تصدره دار نشر هاربر & رو، "دليل لفجوى للمنح الدراسية فى الكليات والمدارس التأهيلية" الذى تصدره مؤسسة سيمون وشوستر.

ومن الجدير بالذكر أيضا أن الجوائز والمنح التى تقدمها اتحادات المكتبات يعلن عنها بالضرورة فى مجالات ونشرات تلك الاتحادات وهى أسرع بطبيعة الحال وفى الفترة الأخيرة أصبحت تلك الجوائز والمنح نطرح على الإنترنت حيث نصادف عن كل جائزة أو منحة الشروط الكاملة وموعد التقدم ومن له حق الترشيح وغير ذلك.

المصادر:

1- Howard, Ruth Sheahan. Awards in Library and Information Science..**in**.. Encyclopedia of Library and Information Science.. New York: Marcel Dekker, 1969. Vol. 2.

2- Krueger, Fred A. Encyclopedia Britannica School Library Awards. – **in** .- Encyclopedia of Library and Information Science. New York: Marcel Dekker, 1972. Vol. 8.

جوتنبرج – يوحنا ١٤٠٠ـ١٤٦٨

Gutenberg, Johann 1400 - 1468

جذور يوحنا جوتنبرج: المولد وسنواته الأولى:

فنون الكتابة والكتاب قبل يوحنا جوتنبرج:

شهد القرنان الرابع عشر والخامس عشر تحولات ثورية لم يكن للبشرية عهد بها من قبل كما لو كان العالم قد خرج على قوانين الحياة والطبيعة؛ ونظر الفلاسفة ورجال الدين إلى ما يحدث حولهم كأنها تجليات من الله وتقدير مخطط مسبق أو من تجسيد النجوم. كانت هناك تكنولوجيات جديدة يتم اكتشافها أو تقتبس من بلاد بعيدة: عجلات الماء التى تدير مطارق كير الحداد؛ طواحين الدقيق؛ المناشير الميكانيكية؛ الروافع الميكانيكية؛ مسجاح الخشب؛ ساعة الثقل المنتظم؛ الموجه الميكانيكى للمراكب؛ البوصلة؛ بارود البندقية؛ صناعة الورق... وقد عاد الصليبيون والتجار من الشرق ومعهم كتب لم يسمع بها من قبل فى الفلك والجغرافيا والطب والرياضيات والفلسفة التى اشتروها من بلاد الإسلام. وقد تمت ترجمة تلك الأعمال بشوق غريب وانتسخت بأعداد كبيرة من النسخ فى أوساط الإنسيين. وكانت الخطاطة والنسخ والكتب المخطوطة هى القيم والحافظ ووسائط حمل هذه المعرفة المتنامية أبدًا. وفى هذه الوسائط كان هناك تحول واسع وتغيير شامل.

لقد كانت فنون الكتب فى العصور الوسطى رهناً بالأديرة لا تكاد تغادرها إلى خارجها، تلك الأديرة التى كانت مراكز لحفظ الثقافة والفكر منذ سقوط الإمبراطورية الرومانية. لقد كان سانت بندكت من نورسيا هو أول من أدخل نسخ النصوص الكنسية كوظيفة من وظائف الدير الذى أسسه سنة ٥٢٩م فى مونت كاسينو ووصف هذا العمل بأنه عمل مقدس مطلوب. وعندما أمر شارلمان (٧٢٤ ـ ٨١٤م) باعتناق هذه القاعدة البندكتية فى جميع المؤسسات الديرية فى عموم إمبراطوريته انتشرت المناسخ فى جميع الأديرة الجديدة فى أوربا الوسطى والغربية. ولم تقتصر عملية النسخ فيها على المخطوطات

الدينية فقط وإنها تعدى ذلك إلى الكلاسيكيات اليونانية والرومانية التى أمكن الوصول إليها والحصول عليها.

لقد كانت أشكال الخطوط نفسها تعبيرًا واضحًا عن الاتجاه الدينى أو العقيدة الدينية الداخلية. مما دفع شارلمان إلى إصدار أوامره بإصلاح الكتابة اليدوية، ذلك الإصلاح الذى قام به رجل اللاهوت الإنجليزى الأشهر ألكوين من يورك والذى نتج عنه طراز جديد من الخط هو **الكارولنجى الصغير**، والذى انتشر كخط معيارى فى جميع أنحاء الإمبراطورية الكاثوليكية. وقد عاش هذا الخط عبر القرون؛ وما يزال الأساس فى خط الطباعة الصغير حتى الآن. وفى خلال القرنين الحادى عشر والثانى عشر أصبح هذا الخط أضيق وتقاربت حروفه من بعضها أكثر واعتبارًا من القرن الثالث عشر أصبحت عراقات الحروف مزواة أكثر؛ وعلى الجانب الآخر غدت عراقات الحروف أقصر. وأطلق على الشكل الجديد للخط اسم "الطراز الغوطى" وقد انتشر أول ما انتشر على العمارة فى شمال فرنسا. وسواء كانت الخطاطة قد تأثرت بالعمارة أو أثرت فيها أو حدث التأثير المتبادل فى وقت واحد ـــ وحيث لم تصل الدراسات إلى قول فصل ــ فقد انتشر هذا الطراز من الخط وظهر كخط جديد منفصل، معبرا أكثر ومجددا أكثر: فيه حلت الزوايا الحادة محل التضليعات والمنحنيات؛ وأصبحت الحروف الصغيرة أكثر التصاقًا وتقاربًا ولذلك غدت الصفحة المكتوبة أكثر سوادًا وإظلاما عن ذى قبل، وكانت هناك فى الكتابة الغوطية نوع من الروحانية والكثافة على نحو ما نجده فى العمارة الغوطية.. كذلك قلصت المسافة بين السطور والفقرات. ومن ثم ظهرت مساحة النص فى الصفحة كما لو كانت قطعة سجاد منسوجة. ولذلك ظهر مصطلح.. النصى: "تكستورا" لوصف خط اليد الجديد الغوطى الذى استخدم أول ما استخدم فى كتب الشعائر الدينية. باللاتينية مثل: كتب القداس، المزامير، الكتب المقدسة، الأناجيل، كتب الفصول... ومن المعروف أن جوتنبرج قد استخدم خط تكستورا هذا فى طبع كتابه المقدس ذى الاثنين والأربعين سطرًا.

لقد دخلت مناسخ الأديرة ـ التى كان فيها تقسيم واضح للعمل منذ فترة مبكرة بين الناسخين والمحمرين والمزخرفين ـ فى تلك الفترة فى منافسة شديدة مع تجارة الكتب

العلمانية ومع ورش الخطاطة فى الجامعات. لقد احتاجت الجامعات التى أوقفها الأمراء والمدن بتصريح من البابا إلى كتب دراسية لدراسة اللغة اللاتينية والأعمال اللاهوتية والفلسفية والطبية والقانونية: ومن هذا المنطلق قام الأساتذة المدرسون والطلاب الدارسون بنسخ كثير من الكتب الكبيرة العزيزة المنال لاستخدامهم الشخصى. وفى هذا الصدد قامت كل جامعة بإنشاء دار وراقة أو ورشة خطاطة تنسخ فيها الكتب التى يوافق عليها رئيس الجامعة وتجلد وتطرح للبيع. وربما كانت الجامعة تستعين فى هذا العمل بالوراقين والنساخين والمجلدين حتى يمكن تنظيم العمل وتقنينه.

وفى مقابل دور الوراقة الجامعية والمناسخ الديرية، انتشرت ورش الخطاطة التجارية فى المدن الكبيرة خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر. وربما كان الواحد منها يعمل فيه عديد من الناسخين فى وقت واحد. وكانت تلك الورش تعمل فى الأعم الأغلب طبقًا لسياسة التكليف من جانب الأشخاص ذوى الحيثيات، كما كانت أحيانًا تعمل على أساس الطلبيات. وإلى جانب ورش الخطاطة تلك، كانت هناك مناسخ تجارية لإنتاج الجملة فى كل من إيطاليا، هولندا، فرنسا، ألمانيا وكانت تلك المناسخ تنتج لحسابها الكتب بأعداد كبيرة من النسخ شأنها فى ذلك شأن كل السلع وتخزن ويتم بيعها عن طريق دلالى الكتب وموزعيها. وتذكر المصادر أن بعض ورش الخطاطة الإيطالية التى تنتج الكتب بالجملة تطورت فيما بعد لتصبح مؤسسات كبرى. وكان المحمرون بعد تمام عملية النسخ يقومون بإدراج الرؤوس والحروف الأولى باللون الأحمر فى المواضع المناسبة من النص؛ بينما كان المزخرفون يقومون بزخرفة المجلدات الغالية والثمينة وكانت الزخارف على الجلود أو أطر الصفحات أو المنمنمات هنا وهناك. وربما كان جانب من هذه الأعمال يتم خارج ورشة الخطاطة من حين لآخر وتدفع الأجرة المناسبة مقابل ذلك. وتذكر المصادر الثقات أنه فى نهاية القرن الخامس عشر كان الوراق الفلورنى الشهير فسباسيانو دا بستيسى يعمل لديه نحو ٢٠٠ خطاط ومزخرف. وكان ينتج الكتب على رقوق و ورق بنسخ كثيرة وكان توزيع كتبه يتم على نطاق واسع فيما وراء جبال الألب وكان من بين زبائنه المشهورين ماتياس كورفينوس ملك المجر التى اشترى أكثر من مائة كتاب منه.

وربما كان حكام فرنسا يفضلون الكتب التى ينتجها الناسخون والمزخرفون الفلمنيكون والبرابانتين الذين كانت زخارفهم ومنمنماتهم أكثر دقة وتفصيلاً ووضوحًا من نظيراتها الإيطالية.

ويلاحظ الببليوجرافيون أن خط تكستورا لم يكن مناسبًا لكتب الإنسيين بسبب طبيعته الدينية وكذلك لكل الكتب العلمانية على إطلاقها وأكثر من ذلك لم يكن ليصلح لتسجيل تعاملات التجار وكذلك وقائع المحاكم. ولذا لجأت كل دولة إلى اشتقاق خط أسرع وأكثر عملية للاستخدامات اليومية من خط تكستورا. ومن تلك الحاجة نشأ الخط الغوطى النغل والخط الغوطى المضلع؛ وكان الغوطى النغل (الهجين) هو الأجمل والأرق واستخدم فى كتابة الكتب باللغات المحلية واستخدم أيضًا فى المناسبات الهامة، بينما الغوطى الجارى أو المضلع يستخدم فى كتابة الأغراض اليومية التى يقوم بها الموثقون الشرعيون والتجار. ومن نوافل القول أن كلا الخطين كان معرضًا لتحريفات واختلافات إقليمية وفردية.

فى إيطاليا التى لم يشعر الخط الغوطى أبدًا أنها وطن له، نشأ خط مختلف أو معدل تمامًا أطلق عليه الغوطى المدور (روتندا) استخدم أصلاً للكتب المقدسة والأدب اللاتينى وكان النموذج الذى بنى عليه الطابعون الإيطاليون والألمان الأوائل نماذجهم. ومع ذلك فقد أدان الإنسيون منذ بترارك فصاعدًا تلك الخطوط جميعًا ووسموها بأنها صعبة القراءة بل و بربرية.

ومن خلال دراسة الأعمال الكلاسيكية الرومانية واليونانية التى وصلت منها نسخ من العصر الكارولنجى؛ جرى تقليد الخط الكارولنجى الصغير كما جرى تنقيحه واستخدامه. ونتيجة لذلك الاستخدام أصبح الحرف الإنسى الصغير المشتق من الكارولنجى هو نقطة الإنطلاق المكتوبة باتجاه الأنماط الرومانية المتداولة حتى اليوم. ومن الطبيعى جدًا أنه فى سياق تطور الحرف الإنسى الصغير أو حرف عصر النهضة أن تدخل عليه اختلافات عديدة كان أبرزها الخط الغوطى الرومانى والذى لم ينظر إليه

الخبراء على أنه خط جديد رومانى إنسى لأنه كان ما يزال يحتفظ بالعناصر الغوطية الأساسية. ولقد اتخذ هذا الخط الغوطى الرومانى سبيله من إيطاليا إلى ألمانيا من خلال الطلاب الألمان الذين كانوا يدرسون فى إيطاليا وهو نفس الخط الذى تبناه يوحنا جوتنبرج فى طباعة صكوك الغفران البابوية وغيرها من الأعمال الطباعية الصغيرة إلى جانب معجم لاتينى كبير.

وهكذا فإنه مع عصر جوتنبرج كما بسطنا آنفًا كان هناك حشد من الخطوط كل منها استخدم فى خطاطة أنواع معينة من الإنتاج الفكرى أو تأدية مهام محددة. هذا التنوع فى الخطوط حمل بين طياته فى نفس الوقت انعكاسات اتجاهات اجتماعية معينة، أو بمعنى آخر الصبغات الذاتية الخطية المعبرة عن عالم الخطاط أو راعيه. وأكثر من هذا فإن اختلاف الخطوط إنما يعبر بوضوح عن اضطراب الأحوال الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية التى سادت فترة الانتقال والخروج من العصور الوسطى إلى عصر النهضة.

ومن المتفق عليه أنه كانت للكتابة أهمية خاصة فى المدن؛ ذلك أن الموثقين كانوا قد دأبوا على تسجيل الصراعات بين المدن وكذلك النزاعات المسلحة وغير المسلحة التى كانت تنشب بينها، والخلافات بين الحكام ورجال الدين. وفى الأعم الأغلب كانت الوقائع الحربية تتوج بوقائع ورقية مكتوبة وحيث كانت الأطراف المتنازعة تدفع إلى المعركة بمحامين متخرجين فى الجامعة ومسلحين ليس فقط بالقانون اللاتينى ولكن أيضًا بالقانون الكنسى والقانون الرومانى وللمرة الثانية كانت إيطاليا فى دول المواجهة فقد كان آباء المدينة الجديدة على درجة عالية من التعليم وكانت أعمالهم تقرأ ويستمع لها أكثر من أرستقراطية الأرض والعبيد. وكانت المعلومات المستمدة والمستقاة من المصادر الكلاسيكية والعربية تمثل حجر الزاوية للتقدم الواسع الذى حققه القرن الخامس عشر فى مجالات التكنولوجيا، الفلك، الطب، الجغرافيا. ولقد أصبح الكتاب مصدر الطاقة الإنتاجية لجيل جديد من التجار ورجال الأعمال ولقد عبرت تلك المعلومات جبال الألب وخلقت حاجة ملحة إلى الكتب فى المدن الألمانية الكبرى.

من جهة أخرى قامت الطوائف الدينية التى كانت قد تشكلت حديثًا بدور تعليمى وتربوى هام فى المدن ومن أمثال تلك الطوائف: الفرنسسكان؛ الدومنيكان، الأوغسطيون، إخوان الحياة العامة. وكان نشاط تلك الطوائف مركزاً أساسًا فى المناطق الحضرية. وكان القساوسة يحتاجون على الأقل إلى كتاب القداس وفى بعض الأحيان يحتاجون إلى كتب الخدمة. مثل هذه الكتب كانت تنسخ فى الأعم الأغلب على يد رهبان كل طائفة. وكانت مناسخ البندكتيين تقاتل فى سبيل إنتاج كتب ذات قيمة فنية عالية. وسوف نبسط فيها بعد الدور الخاص الذى قام به إخوان الحياة العامة فى خطاطة وطباعة الكتب.

ومن الطبيعى أن يؤثر الطلب المتزايد على الكتب على طرق إنتاج تلك الكتب؛ وكان الورق ما يزال يستورد من إيطاليا وأسبانيا إلى سائر دول قارة أوربا خلال القرن الرابع عشر. ولم تكن مصانع الورق قد أنشئت فى ألمانيا إلا فى نهاية القرن الرابع عشر حيث بدأت مصانع أولمان سترومر بالقرب من نورمبرج فى إنتاج الورق سنة ١٣٩٠م. وتبعت تلك المصانع، مصانع أخرى فى رافنزبورج، لوبيك، بازل وحول المدن ذات الجامعة وحيث كان الورق يستخدم بديلاً من حين لآخر عن الرقوق غالية السعر.

لقد عرفت الطباعة بالكتل الخشبية فى أوربا من خلال الاحتكاك بالعرب الذين استخدموا تلك الكتل للطباعة على القماش. ولابد من التذكير بأنه منذ العقود الأول للقرن الخامس عشر فى ألمانيا كان ورق اللعب (الكوتشينة) وبعض الصور المقدسة تطبع عن طريق الكتل الخشبية ثم تلون باليد بعد الطبع. ولعل أول صورة مأخوذة عن كتل خشبية ومؤرخة هى صورة "مادونا" ذات الصفحة الواحدة المعروفة باسم مطبوعة بروكسل والتى تحمل تاريخ ١٤١٨م. وكانت هناك بعض المواد المأخوذة عن كتل خشبية أو سلسلة من الصور المتعاقبة المأخوذة أيضًا عن كتل خشبية والتى ربما كان منبعها هولندا وحيث كانت كل ورقة تحمل لوحتين ملتصقتين من الظهر. وكان ذلك الإجراء ضروريًا لأن عملية طبع كل فرخ على حدة كانت تتطلب حك وجه الفرخ بشدة من أجل الحصول على صورة واضحة مما يترك أثرًا كبيرًا على الظهر لا يصلح معه لأخذ صورة أخرى عليه.

وكان من المألوف حياكة عدد من تلك الأوراق الملصقة ظهراً لظهر وتجمع فى كتاب واحد وتلون باليد.

ومن الطبيعى أن تكون عملية إنتاج الكتب من الكتل الخشبية عملية معقدة ولا تصلح إلا للنصوص القصيرة جدًا. وكان الخطاط يلجأ أولاً إلى كتابة النص على لوح نم خشب الليمون مقلوبًا ثم يقطع الأجزاء غير المكتوبة بسكين أو نحوها حتى يبقى النص نفسه بارزًا وبعد ذلك يحبر الجزء البارز هذا بالحبر ثم يضغط الورق ضغطًا خفيفًا دقيقًا على السطح البارز بأداة من خشب تشبه الملعقة وعن طريق هذه العملية يمكن الحصول على مئات من النسخ المطبوعة. وقد اشتقت كتب الكتل اسمها من الكتب الخشبية التى تؤخذ عنها.

وعلى التوازى مع الكتل الخشبية جاءت عملية الحفر التى تم إتقانها خلال النصف الأول من القرن الخامس عشر حيث كان يستخدم لوح معدنى ويحفر عليه النص مقلوبًا أيضًا ويحبر وتؤخذ عنه النسخ المطبوعة. ولكن يلاحظ أن حفر النصوص على الألواح المعدنية كان أبطأ كثيرًا من الكتل الخشبية ولكن الحروف هنا كانت أحدَّ وكان من السهل الحصول على أعداد أكبر من النسخ من تلك التى يمكن الحصول عليها من الكتل الخشبية.

وعندما نأتى إلى السؤال المهم وهو متى ظهرت أقدم كتب الكتل تلك فى أوربا فلسوف نجد تفاوتًا بينًا بين خبراء الفن فى هذا الصدد وكل ما لدينا الآن من أقدم كتب الكتل المؤرخة تلك التى ترجع إلى سنة ١٤٧٠م أى ما بعد اختراع الطباعة بالحروف المتحركة. وهناك عدد كبير من كتب الكتل تم إنتاجه بعد طبع عدد محدود من الكتب بالحروف المتحركة. وثمة باحثون وإن كان عددهم محدوداً يعتقدون أن كل كتب الكتل إنما جاءت بعد اختراع يوحنا جوتنبرج. ولكن الباحث الألمانى الفذ ألبرت كابر يعتقد أن أقدم مجموعة من كتب الكتل والتى ينتمى إليها "سفر الرؤيا" الذى وجد فى هارلم إنها ترجع إلى العقد ١٤٣٠ ــ ١٤٤٠م. وقد تعرض الكتاب المقدس المسمى بـ"كتاب الفقراء المقدس" الذى يشتمل على حوادث من العهد الجديد لقصص شبيهة مأخوذة من العهد

القديم الذى ظهر فى هولندا وجنوبى ألمانيا. وكانت تلك القصص عبارة عن كتيبات رقيقة مصورة بغزارة وملونة يدويًا ولا تكاد توجد فروق بينها. وقد انتشرت تلك القصص انتشارًا واسعًا بين الجماهير العريضة بسبب أنها مأخوذه عن كل خشبية وبسبب انخفاض أسعارها. ونحن للأسف لا نعرف شيئًا عمن عساه يكون قد مول إنتاج هذه الكتيبات أو أفاد منها. وربما تكون الكنيسة الرومانية وراء ذلك العمل لرغبتها فى نشر الكتاب المقدس بين العامة؛ وربما تكون هناك منظمات هرطقة أو مذاهب دينية وراء نشر بعض تلك العناوين.

ولم تكن الصور البدائية المطبوعة لتقوى على المنافسة أبدًا مع الكتب المخطوطة الثمينة ولذلك استمرت قبضة المخطوطات على السوق وإن كانت هناك مناوشات بين حين وآخر من جانب كتب وصور الكتل الخشبية تلك.

ماينز حول ١٤٠٠م

من الثابت تاريخيًّا أن ماينز، ستراسبورج، إلتفيل كانت المناطق التى مارس فيها يوحنا جوتنبرج مجمل نشاطاته؛ وكانت هذه المدن الثلاث جميعاً تقع على نهر الراين ومن المعروف أن ولد فى ماينز وهى المدينة التى انتشر منها اختراع الطباعة إلى جميع أنحاء العالم؛ وفى نفس هذه المدينة دفن جثمانه. وفى مدينة ماينز تكشف المقومات الأساسية لشخصيته عن نفسها فقد تلقى تعليمه الأولى هنا، ووضع لبنات بحثه واكتشافه هنا فى ماينز على الضفة اليسرى من نهر الراين وعند نقطة التقاء طرق المسافات البعيدة؛ وفى مواجهة مصب نهر الماين كانت هناك مستوطنة عظيمة الشأن نمت وتطورت فى العهد السلتى (الكلتى) وفى العهد الرومانى ـ الجرمانى. وبعد فترة من فوضى الهجرات القبلية غدت ماينز قلب الإمبراطورية الفرانكية ذات القوة المتعاظمة. وفى ظل بونيفاس أصبحت ماينز سنة ٧٤٦م مقر كبير الأساقفة؛ ويبدأ بناء كنيسة الدوقية المعروفة بكنيسة سانت مارتين فى الساحة الرومانية آنذاك وحيث تقوم اليوم كاتدرائية المدينة الحالية. وكانت هذه المدينة شديدة التحصين المكان المفضل الذى يقف به الإمبراطور الألمانى. كما غدت هذه المدينة القوة التى تقف إلى جانب القوة المركزية ضد هجمات حكام الأقاليم.

وقد تلقى كبير الأساقفة ويليجيس (٩٧٥ ــ ١٠١١) من بابا روما حق تنصيب الملوك الألمان وترأس جميع المجال الألمانية والفرنسية. وقد حصل على امتيازات خاصة لمنطقة راينجاو أو الأراضى الموجودة على الضفة اليمنى لنهر الراين حول إلتفيل. أما كبير الأساقفة جيرهارد الثانى فون إينشتاين (١٢٨٨ ــ ١٣٠٥م) فقد ربح إيتشفيلد العليا إلى جانب مقاطعات أخرى بالقرب من إيرفورت وحصل لنفسه ولخلفائه لقب رئيس ديوان الإمبراطورية مع حق عقد الجمعيات العمومية الإمبراطورية.

ولقد تطورت مدينة ماينز لتصبح واحدة من أغنى وأهم مدن أراضى الراين. وفى هذه المدينة ازدهرت صناعة وتجارة الأقمشة ونشأت فيها نقابة صاغة الذهب، مستفيدة فى ذلك من الطوائف المختلفة التى تقاطرت على مركز الأرشيدوقية من كل الأماكن البعيدة. وكما هو الحال فى كل المدن الألمانية تأسست نقابات للحرف المختلفة كانت قادرة على الوقوف فى وجه النبلاء أصحاب الامتيازات. وفى قرن يوحنا جوتنبرج أدى ذلك الوضع إلى خصومة حادة بين النبلاء الأشراف والنقابات وقاد إلى تعارض واضح بين مصالح المدينة وكبير الأساقفة.

وكان كبير الأساقفة مثل الإمبراطور والأمراء وغيره من الأساقفة، محاطًا بموظفيه الرسميين وبطانته وخدمه الذين تقلدوا أعلى المناصب والتى فى بعض الأحيان كانوا يورثونها لذويهم. وفى خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر كان وضع كل من هؤلاء الأشخاص يتوقف على مركز سيده وراعيه وحيث كانوا يشاركون أسيادهم طيب المحتد وصنفوا ضمن النبلاء. وعندما أصبحت القلعة فى إلتفيل سكنًا لكبير الأساقفة استمر يدير واجبات الأسقفية من مدينة ماينز نفسها؛ وكان موظفوه لهم بيوتهم فى إلتفيل وماينز على السواء. وفى رأيى أن باحثى جوتنبرج ودارسيه لم يعطوا تلك النقطة حقها من الإلتفات والانتباه خاصة وأن أسلاف يوحنا جوتنبرج مخترع الطباعة كانوا فى معظمهم ينتمون إلى تلك الطائفة من الموظفين.

ومن الجدير بالذكر أنه كان على رأس إدارة الأسقفية رئيس الديوان (الأمين العام) والذى كان من مهامه الرئيسية ضبط حسابات تجارات وبضائع ودخول كبير الأساقفة

والاشراف على التشريعات والقوانين وعلى الضرائب والرسوم وسك العملة وكذلك مراقبة الحرفيين الذين يعملون فى خدمته. وفى مدينة ماينز كان رئيس الديوان هو فى نفس الوقت حاكم المدينة ويمثله عمدة المدينة فى كل الشئون البلدية وكان يعمل تحت إمرة عمدة المدينة (والبود) الذى يشرف على الأسواق ويضبط المخالفات فيها و (مونيتا ريوس) الذى يشرف على دار سك النقود و (إندكس) المسئول عن النظام القانونى والتشريعى ثم (أوفيسياتوس) المشرف العام على الإدارة والتنظيم. وعلى الرغم من أن خدمة كبير الأساقفة هؤلاء جميعًا كان يمكن طردهم من الخدمة فى أى وقت، إلا أن هذه المناصب غالبًا ما كانت تبقى داخل الأسرة الواحدة ردحا طويلاً من الزمن وكان شاغلوها يمارسون نوعًا من السطوة الأسرية التى لا حدود لها ومع مرور الوقت أصبحوا من الأشراف النبلاء وهو امتياز أعطى لهم فى المدينة أو كما كان يطلق عليهم فى ماينز "الأقدمون". ولقد كون هؤلاء شبكة تجارية سيطرت على المدينة من خلال روابطها العديدة. لقد غدا هؤلاء الأشراف (أو الأقدمون) هم الصفوة الاجتماعية يتزاوجون فيما بينهم ويتقاربون.

والمشكلة الكبرى التى تواجهنا عند البحث فى جوتنبرج هى أنه لم تكن هناك فى ألمانيا فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر أسماء عائلات يتم تداولها من الجد إلى الأب إلى الابن إلى الحفيد على نحو ما هو موجود لدينا فى العالم العربى والإسلامى حيث يحمل كل منا اسم عائلته حتى سابع جد. لقد كان أشراف (أقدمو) مدينة ماينز يسمون أنفسهم بأسماء البيوت التى يعملون فى خدمتها ومن هنا نجد: زور لادن؛ زوم كريم؛ زوم سيلزبيرج؛ زوم رافيت؛ زوم هومبيرت؛ زوم جينزفلايش أو زوم جوتنبرج. وأى شخص يعمل فى خدمة بيتين أو ثلاثة يجد تحت أمره اسمين أو ثلاثة يحملها جميعًا؛ وأى شخص منهم لا يعمل فى خدمة بيت من البيوتات يمكنه أن يتخذ اسم البيت الذى يحمله أبوه أو أى اسم رسمى. وعندما ما يرحل أبناء الأشراف هؤلاء إلى أماكن بعيدة فإنهم كانوا يعرفون أنفسهم باسم المدينة التى جاءوا منها أى النسبة إلى مكان أو حتى القرية التى تحدروا منها على نحو ما تطالعنا به سجلات الجامعات الألمانية فى تلك الفترة.

والطبقة الاجتماعية الثانية الهامة فى المدن الألمانية كانت تمثلها نقابات المهن والحرف المختلفة وحيث كونت المدن والمناطق الحضرية ثرواتها من خلال مهاراتهم ونصب وكد صبيانهم، ومع ذلك بقوا بعيدين عن تصريف شئون مدينتهم. وقد أدى ذلك بالضرورة إلى توتر العلاقات بل وإلى معارك حامية الوطيس أحيانًا لاشتراك النقابات فى الحكومة المحلية. ولقد كتب على حياة جوتنبرج العملية أن تعيش فى ظل تلك الصراعات.

لقد أغتصبت مدينة ماينز سنة ١٢٤٤م بعض حقوق الحكم الذاتى من كبير الأساقفة. ولقد لعب الأشراف دروا هامًا وإيجابيًا فى هذا الصدد لصالح مدينة ماينز؛ على نحو ما قاموا به أيضًا من حماية المدينة من مكوس البارونات اللصوص على سفنهم فى نهر الراين الذين كانوا يفرضون عليها رسومًا ومكوسًا عالية أكثر من أميال النهر نفسه. وبعد قيام الاتحاد الكونفدرالى فى حوض الراين سنة ١٢٥٤م انتعشت التجارة، وطبقت مدينة ماينز ومدينة كولون حق "المدينة المصدر" والذى يعنى أن كل السفن العابرة للنهر من الشمال أو الجنوب عليها أن تفرغ حمولتها من البضائع وتعرضها للبيع فى كل مدينة لعدة أيام. وكلما ازدادت طبقة الشرفاء (الأقدمون) غنى وثراء استمرت فى ترسيخ الامتيازات التى حصلت عليها وتوسيع رقعتها تلك الامتيازات التى تحصل عليها من كبير الأساقفة. وقد أتاحت لهم قوانين الإقطاع أن يدفعوا ضرائب أقل بل وأحيانًا لا يدفعون ضرائب على الإطلاق وأحد تلك الامتيازات كانت حق احتكار كل تجارة الأقمشة (جادنريخت) وامتياز آخر خول لهم الحق المطلق فى تجارة المعادن الثمينة والتفتيش على دار سك العملة. بل وأكثر من هذا استخدم هؤلاء الشرفاء نفوذهم فى مجلس المدينة ليضمنوا لأنفسهم سناهيات مدى الحياة بقدر محدود من الفائدة. ولأننا سوف نتعرض من حين لآخر لهذه السناهيات فى حياة يوحنا جوتنبرج فسوف نتوقف قليلاً أمام تلك السناهيات.

كانت الطبقة البارزة من أشراف ماينز يميلون ناحية إغراء رأس المال المحمل بالفوائد (الربا) وقد أصبحوا فى حقيقة الأمر مسلفين ومستلفين فى نفس الوقت. ومن أجل الحصول على الفائدة التى كانت الكنيسة تحرمها حتى ذلك الحين فقد ابتدعوا نظام المعاش المريح، بحيث يستطيع أى شريف ثرى مقابل دفع مبلغ مالى محدد أن يشترى معاشًا أو

سناهية مدى الحياة لأولاده أو لأقاربه الصغار. ولقد نجح الأشراف الموجودون فى مجلس المدينة أن يحصلوا لأنفسهم على شروط ميسرة وأفضل من غيرهم وبحيث تكون قيمة السناهيات التى يحصلون عليها أعلى كثيرًا من المبلغ الذى يدفعونه. وكانت القروض الجديدة التى يتلقاها مجلس المدينة من بيع المعاشات تسجل ويعطى بها إيصالات فى السجلات كدخل عقارى حقيقى وبهذه الطريقة تراكم كم هائل من الديون. وكان من العادى أن يتم دفع ٥٪ من قيمة الأرصدة سنويًا على شكل معاشات. ولو أن صاحب المعاش توفى قبل مضى عشرين سنة فإن مجلس المدينة يستفيد من المعاش المنقضى هذا؛ ولو عاش الشخص أطول من عشرين سنة فلابد من تدبير مبالغ إضافية ضخمة من خارج الرصيد. ولقد اعترض المواطنون العاديون على الأشراف مطالبين بأن يقوم ممثلون عن النقابة بالإشراف على كل مبيعات المعاشات هذه.

وقد يكون من غير المألوف التنقيب فى دفاتر الحسابات المتراكمة فى ماينتز للبحث عن دفتر أو سجل حسابات حول جوتنبرج؛ ولكن البحث فى جوتنبرج يبرر هذا العناء ذلك أن تلك الدفاتر منذ سنة ١٤٠٠م (ميلاد جوتنبرج) تكشف عن أن المدينة واجهت انهيارًا ماليًا وتحملت ديونًا داخلية وخارجية فى نفس الوقت؛ على الرغم من أن ماينز بالنسبة للمراقب الخارجى كانت تبدو مزدهرة منتعشة كعادتها: مدينة للكنائس والتجارة، ومركزًا للحياة الروحية للأمة الألمانية. حقًا كانت هناك مدن أكثف منها سكانًا: فيينا و كولون كل منهما ٣٥.٠٠٠ نسمة، لوبيك ٣٠.٠٠٠ نسمة، ستراسبورج ٢٥.٠٠٠ نسمة، نورمبرج و إيرفورت كل منهما ٢٠.٠٠٠ نسمة، إلا أن ماينز بسكانها البالغين ٦٠٠٠ نسمة فقط لم تكن تقل عنها جميعًا فى الأهمية السياسية على الأقل.

مولد يوحنا جوتنبرج وأبواه

ولد يوحنا يوم عيد يوحنا المعمدان (٢٤ يونية) سنة ١٤٠٠م لأبيه فرايل جينز فلايش وأمه إلزه وذلك فى بيت آل جوتنبرج (Hof Zum Gutenberg) فى ماينز أو هكذا قال لنا الطابعون فى جميع أنحاء العالم منذ قرون. ولكن يذكر الثقات أن ذلك ليس حقيقة مؤكدة ولكنها مجرد أسطورة. ويستطرد الثقات فيقولون إن اسم جوهان، أو جوهانز كان الاسم

الأكثر انتشارًا وتفضيلاً لدى أهلماينز وقد اتخذ هذا الاسم أشكالاً عدة منها حنا (هنه)، هنجن، هنشن. ومن المؤكد أن هنشن الصغير (يوحنا جوتنبرج) لم يسم باسم يوحنا المعمدان فى عيده يوم مولده ولكن ببساطة لأن أبويه سارا على تقليد شاع هناك فى مدينة ماينز.

وكان أخو يوحنا جوتنبرج الأكبر قد سمى باسم أبيه فراييل وهو تصغير أو اختصار لاسم فردريتش وربما أيضًا جاء الاسم من فرايلنج أى المولود حرًا على نحو ما يمكن تتبعه حتى جده الذى كان اسمه أيضًا فراييل ــ وبدقة شديدة فراييل جينز فلايش الذى اشتهر باسم زوم إيزيلزفيك زوم لادن ــ وتمدنا الوثائق باسم جده الأكبر (فراييل رافيت زوم جينزفلايش). ومن جهة ثانية كانت أخته الكبرى تسمى إلزه بنفس اسم أمها.

وتشير الوثائق إلى أن والدى يوحنا جوتنبرج قد تزوجا سنة ١٣٨٦م، وربما يكون أخو يوحنا الأكبر المدعو فراييل قد ولد سنة ١٣٨٧م. وقد تزوجت أخته إلزه من الشريف كلاوس فيتزهوم فى سن مبكرة سنة ١٤١٤م مما يرجح أنها ولدت فى سنة ما بين ١٣٩٠ و ١٣٩٧م وكانت الدراسات السابقة ترجح أن يكون مخترعنا فى المستقبل قد ولد بين ١٣٩٤ و١٤٠٠م؛ طالما أنه ظهر بدون حراسة فى عزبة أبيه سنة ١٤٢٠م ولابد أن يكون قد بلغ السن التى تجعله يمشى بدون حارس آنذاك. وقد كشفت الدراسات التى أجريت حديثًا أن سن البلوغ القانونية كانت أقل مما كان يظن سابقًا، وهى سن الخامسة عشرة. وإذا أخذنا فى الاعتبار كافة الظروف والملابسات ــ وليس لدينا وثائق رسمية ــ فإنه يمكن القول بأن الرجل قد ولد ما بين ١٣٩٤ و١٤٠٤م ويرجح الثقات أن يوحنا ولد فى ماينز سنة ١٤٠٠م أو بعدها مباشرة.

لقد ولد والد يوحنا المدعو فراييل جينزفلايش زور لادن حوالى سنة ١٣٥٠م وتردد ذكره كمواطن اعتبارًا من ١٣٧٢ فصاعدًا؛ وله من زواج سابق لا نعرف عنه شيئًا كثيرًا ابنة اسمها باتزه ويقال إن هذه الابنة تزوجت فى الوقت الذى ولد فيه يوحنا لأن زوجها بيتر زوم يونجين زوم بلاشوف عمدة ماينز توفى فى ٢٤ من فبراير ١٤٠٣م وقد أتى أبوها بزوجته الثانية إلزه فيريتش سنة ١٣٨٦م. وكان فراييل تاجرًا أو صاحب شركة تجارة

أقمشة على وجه الاحتمال وبالإضافة إلى ذلك كان عضوًا فى جمعية أصدقاء دار سك العملة وحيث لا نعرف ما إذا كان ذلك هو سبب اشتغاله بأعمال تلك الدار أم كان سبب اشتغاله بتجارة المعادن الثمينة؛ هذا الأمر غير واضح بالنسبة لنا. وبنفس الطريقة فإننا لا نعرف هل كان انتخابه سنة ١٤١١م أحد كبار المحاسبين لمدينة ماينز سببًا فى أن يكون مسئولاً عن ميزانيتها أم لا. والحقيقة التى لامراء فيها والثابتة تاريخيًّا أن والد يوحنا لم يسم نفسه أبدًا "فرايل زوم جوتنبرج" على الرغم من أنه بعد وفاته سجل فى سنة ١٤١٩م باسم فرايل زوم جوتنبرج؛ وربما كان ذلك راجعًا إلى أنه كان مقيمًا فى بيت آل جوتنبرج وإن كان ذلك لا يثبت أنه كان المالك الوحيد لذلك العقار.

ونستطيع أن نؤكد أن جد هنشن لأبيه: فرايل جينزفلايش زوم إيزلزفيك زور لادن الذين أتينا من قبل على ذكرهم قد تملكوا ليس فقط العقارات التى استمد منها يوحنا اسمه ولكن أيضًا تملك ذلك الجزء من عقارات زوم جوتنبرج الذى ورثه ابنه إلى جانب عزبة فى كلاين ــ فنترنهايم. لقد استثمر الأشراف أموالهم بوفرة فى شراء العزب فى المناطق الريفية المجاورة ومن تلك المناطق أيضًا حققوا أرباحًا إضافية من استيراد القمح بدون جمارك أو رسوم وكذلك النبيذ وبيعه فى سوق ماينز.

أما جد يوحنا الأكبر (جد أبيه) المدعو: بيترمان زوم جينزفلايش فقد كان تاجر قماش ثرى إلى جانب أنه كان قاضيًا علمانيًا فى المحكمة ومقيم أصول مدنية. ومن هنا فقد قام هو وزوج أخته بالاستثمار فى جزيرة الراين بالقرب من جينزهايم. لقد كان أسلاف مخترعنا العظيم لأبيه ينتمون إلى الأشراف الأغنياء تجار القماش وتجار المسافات البعيدة. وقد شارك أقارب يوحنا جميعًا فى فوائد ثلث قرض إجماله ٧٨٨٠٠ جولدن أخذته مدينة ماينز دينا عليها من مدينة فيتزلار سنة ١٣٨٢م. وكان هؤلاء الأشراف على قدم المساواة من حيث الطبقة الاجتماعية مع درجة النبالة الدنيا وقد يفوقونهم من ناحية الثراء.

أما أم يوحنا المدعوة إلزه فقد كانت ابنة بقال يدعى فيرنر فيريتش زوم شتاينن كرين (صاحب المحل المبنى بالحجر) وكان بدوره ابنا لبقال وعائلته كانت تعمل فى البقالة وكان

ينتمى إلى نقابة التجار. أما جدتها لأبيها فكانت ابنة ليو أوتينى صاحب محل صرافة من لومبارديا وعاش فى بنجن. وهكذا نجد أن أم يوحنا قد انحدرت من بيئة إجتماعية مختلفة عن بيئة أبيه وهو الأمر الذى منع يوحنا الصغير منذ البداية من أن يكون عضوًا فى جماعة دار السكة فيما بعد. ومن هنا أيضًا كانت الصراعات الاجتماعية والتناقضات بين الأشراف والنقابات حادة فى تاريخ ماينز فى القرن الخامس عشر وكان لها أثرها فى شخصية يوحنا المخترع من خلال تسلسله العائلى وتلقى إلينا ببعض المفاتيح لفهم جوانب محددة فى شخصيته وسلوكه.

وتذكر المصادر الثقة أن جدة يوحنا لأمه إينيشن زوم فوريستنبرج قد توفيت قبل ميلاده بفترة طويلة. وكانت أرملة عن زواجها الذى سبق موتها وكان زوجها هذا أحد النبلاء الشباب ويدعى جيكيل رود زوم فوريستنبرج وكان قريبًا لسلسلة من الرسميين الوزراء الأغنياء الذين كانت لهم عزب وأطيان فى إلتفيل أيضًا. وكان واحدًا من أسلاف زوم فوريستنبرج قد اشترى دير آستهايم المهدم سنة ١٣٤٦م من عزبة نبيل آخر من طبقة النبلاء الدنيا واسمه ديتريتش فون جودنبرج. وفى سياق دراسة نسب وشجرة عائلة يوحنا لا يملك المرء إلا أن يعجب من الوضع الاجتماعى لجده لأبيه فيريتش: كيف يتأتى ــ فى زمن كانت التمسك بالطبقة الاجتماعية صارمًا للغاية ــ أن تتزوج أرملة رجل نبيل غنى من بقال، وكيف يتأتى أن يتزوج رجل من الأشراف فى وضع والد يوحنا ابنة نفس هذا البقال؟ فى حقيقة الأمر لقد كان جد البقال فيرز فيريتش زوم شتاين كريم (والجد الأكبر لـ إلزة فيرتيش) المدعو بورجريف فيريتش حاكمًا لقلعة ماينز حتى أعلن أنه خارج عن القانون سنة ١٣٣٢م.

وبعد وفاة كبير الأساقفة ماتياس سنة ١٣٢٨م فتح الباب على مصراعيه بين الخليفة الذى اختاره أعضاء الكاتدرائية الفرع بالدوين فون تريير والمرشح البابوى هنريتش فون فيرنبورج. وقد وقف مجلس المدينة بجوار هذا الأخير أى المرشح من قبل البابا. ولما هدد بالدوين بحصار المدينة حاول المواطنون وحاكم القلعة الحامية فيريتش حرمانه من نقاطه الحصينة القوية فى جنوبى المدينة وقاموا بتدمير الكنيسة وبرج الساعة فى سانت أولبان و

سانت فيكتور و سانت جاكوب وذلك فى سياق عمليات نهب وسلب واسعة النطاق. وكعقاب صارم قام الإمبراطور لويس البافارى بفرض حصار إمبراطورى على المدينة وعلى عدد من قادة الحامية زعماء الثورة ومن بينهم فيريتش بورجريف ذلك الوقت. وإضافة إلى ذلك كان على المدينة أن تجمع مبلغًا كبيرًا من المال لترميم ما هدمته الجموع الغاضبة، مما أدى بدوره إلى ثورة النقابات ضد الأشراف الذين اعتبرتهم مسئولين عن ذلك التخريب. وقد جاء السقوط الاجتماعى لبيت فيريتش بعد فرض الحصار وما تبع ذلك من زواج البورجريف المخلوع من ابنة صراف لومبارديا المدعو أوتينى من بنجن سالف الذكر.

إننا لو نظرنا إلى شبكة قرابة يوحنا جوتنبرج المعقدة لاتضح لنا بجلاء أن أسلافه من ثلاثة جوانب كانوا من الشرفاء ولكن ربما كانت رابطته الاجتماعية من جانب جده البقال وارتباطاته بالنقابة التى أبعدت يوحنا عن خطوطه المستقبلية بالشرفاء هى التى هيأت له الفرص التى قادته إلى "المغامرة والغنى".

بيت آل جوتنبرج Hof Zum Gutenberg

كان المبنى المهدم لفترة طويلة القائم على ناصية شارعى شوستر و كريستوف ينقسم إلى قسمين. القسم (البلوك) الأمامى على الناصية كان مكانًا للعيش فيه بينما القسم (البلوك) الخلفى كان مهجورًا ولذلك شهد إقامة أول مطبعة فى ماينز. وكان المبنى كله من الطراز الغوطى الجميل، وكان كل من جناحى المبنى يضم طابقين علويين فوق الطابق الأرضى. وكانت نوافذ الطابق الأرضى صغيرة وضيقة ذلك أن بيوت معظم الأشراف فى ماينز كانت تبنى على هيئة حصون وقلاع لأغراض دفاعية بحتة وكانت غرف هذا الطابق تستخدم كمخازن ومستودعات. أما الطابقان الأول والثانى فوق الأرضى فكانا يستخدمان لمعيشة عدة أسر؛ وأغلب الظن أن الجزء الخلفى من الطابق الأول قد استخدم كغرفة للتنضيد.

هذا المنزل بالمدينة كان ملكًا لأمينى الصندوق عند كبير الأساقفة: فيليب

وإيبرهارد دى جودنبرج بالقرب من نهاية القرن الثالث عشر؛ وقد باعاه مع ممتلكات أخرى حوالى سنة ١٣٠٠م وبعد ذلك بفترة قصيرة تقاعدا فى منطقتهما الريفية بالقرب من كريزناخ. وقام أحد أسلاف يوحنا ويدعى بيدرمان زوم يونجن زوم إلزفيك بشراء البيت المذكور وأعطاه لابنته نيسا وزوجها بيترمان زوم جينزفلايش؛ وعن طريق سلسلة من التوارث آل البيت إلى جد يوحنا جوتنبرج ثم إلى أبيه، رغم أن جزءًا من المبنى فيما يبدو قد آل إلى آخرين عن طريق تقسيم الإرث.

ومن الغريب حقيقة أن ثلاثة أجيال من ملاك هذا المنزل (هوف زوم جوتنبرج) لم يستمدوا اسمهم منه؛ وقد يكون السبب فى ذلك أن ملكية جد يوحنا وأبيه لهذا المنزل كانت ملكية جزئية. ولم تثبت السناهية للأخوين فرايبل و يوحنا جوتنبرج إلا سنة: ١٤٢٧/ ١٤٢٨م وكان أبوهما المتوفى كما ألمحنا من قبل هو أول من سمى بهذا الاسم بعد الوفاة: فرايبل جوتنبرج. ويبدو أن أرملته قد ورثت البيت كله بمفردها قبل تاريخ تقرير سناهية الأخوين بقليل. ولما كان يوحنا المخترع غير مقيم فى مدينة ماينز اعتبارًا من ١٤٢٨ فصاعدًا فقد أقامت فيه أمه وأسرة أخيه الأكبر فرايبل وأسرة أخته الكبرى إلزه وزوجها كلاوس فيتزثوم. ولم يعد يوحنا إلى مسقط رأسه إلا بعد عودته من ستراسبورج سنة ١٤٤٨م أو ١٤٤٩م؛ أى أنه مكث نحو عشرين عامًا عددًا بعيدًا عن ماينز؛ وهى سنى شبابه الشارخ.

وفى نفس الوقت انتشرت خرافة ــ اعترض عليها بشدة ــ مؤداها أن بيت جوتنبرج جاءت به أمه عند زواجها. ومن الممكن أن تكون إلزه فيريتش قد تلقت مهرًا كبيرًا (دوطة) حيث كان أبوها يمتلك عدة بيوت. وكان بيت هوف زوم جوتنبرج مملوكًا جزئيًا على الأقل لعدة أجيال من أجداد جينزفلايش؛ ورغم ذلك فقد كانت أم يوحنا هى الوحيدة التى تملكت البيت بأكمله مما مكن يوحنا من أن يستمد اسمه من اسم البيت الذى ولد فيه.

ومن المشكلات التى تعترض أفكارنا فى هذا السياق: أن أول ملاك هذا المبنى المعروفين لنا هما أمينا الصندوق لدى كبير الأساقفة فيليب و إيبرهارد وقد أطلقا على

نفسيهما دى جودنبرج فلماذا لم يحتفظ البيت بهذا الاسم بعد انتقال ملكيته إلى الآخرين؟. ومن الطبيعى أن يوحنا جوتنبرج الذى ولد بعد ذلك التاريخ بفترة طويلة فى نفس هذا البيت لم يكن يمت بأية صلة قرابة إلى هؤلاء الفرسان القدامى. لقد كان من عادة أشراف ماينز أن يتخذوا أسماء البيوتات التى يتملكونها، وقد أثار تلك المشكلة أن يوحنا لم يتخذ اسم أبيه ولكنه اتخذ اسم مالك قديم لذلك البيت الذى ولد فيه إنها مشكلة لم نصل فيها بعد إلى حل.

وهناك قضية أخرى يجب أن نتوقف أمامها فى هذا السياق: هل من الممكن أن يكون بيت زوم جوتنبرج مملوكًا ذات يوم فى فترات مبكرة ليهود؟ فقد حدثت مذابح منظمة مروعة لليهود فى ماينز ١٠٩٦م و ١١٤٦م و ١٢٨٢م. وكان أمناء الصندوق فى المدينة هم المسئولون عن أموال وممتلكات وبضائع اليهود الذين ذبحوا؛ وبعد مذبحة ١٢٨٢م نشب نزاع حاد بين مجلس المدينة وكبير الأساقفة حول "الإرث اليهودى" لم تتم تسويته إلا سنة ١٢٩٥م. وفى إحدى حوليات ماينز تم تسجيل ٥٤ منزلاً باعتبارها "الإرث اليهودى" ومن بينها واحد على ناصية شارع شوستر: الجرن المواجه لباحة جوتنبرج على الرغم من أن بيت زوم جوتنبرج نفسه لم يذكر فى تلك الحولية مع أنه بالقرب منه مباشرة كان يقوم المعبد اليهودى (الكنيس) وكذلك المخبز اليهودى. وتأسيسًا على ذلك فإن من المقبول أن يكون المبنى طالما أنه لم يذكر ضمن أملاك اليهود قد آل إلى حوزة آل دى جودنبرج قبل تسوية ١٢٩٥م ووصف تحت اسمهم وبالتالى أمكن التصرف فيه بالبيع.

ومرة أخرى فى سنة ١٣٤٩ حدث موت كبير فى ماينز أعتقد أنه مذبحة جديدة لليهود ولكنه كان الموت الأسود (الطاعون الدبِّلى) القادم من آسيا الذى انتشر انتشارًا كبيرًا. وفى يوم عيد سانت بارتولوميو (٢٤ من أغسطس) قامت كنيسة سانت كويتين بإحراق عدة مئات من اليهود فى ميدان عام بالمدينة. وهل كان بسبب هذا الفعل الوحشى وأشياء أخرى مؤسفة بالنسبة لسكان مدينة ماينز أن أصبح هذا الموقع ملطخًا سيئ السمعة مما جعل ساكنيه ينأون بأنفسهم عن التسمى باسم بيت زوم جوتنبرج طالما بقيت تلك

الأحداث المؤسفة حية فى الذاكرة؟ ونحن لا نملك فى هذا الصدد إلا إثارة الأسئلة التى ربما تجيب عنها فى المستقبل بحوث عميقة حول التاريخ المحلى لمدينة ماينز.

شعار النبالة لدى آل جوتنبرج

كانت أسماء العائلات ما تزال فى طور التكون والتشكل فى نهاية العصور الوسطى وكان أشراف ماينز يغيرون أسماءهم من حين لآخر طبقًا للبيوتات أو الوظائف التى ينتمون لها. ومن هذا المنطلق يمكننا تتبع نسب آل جنزفلايش من خلال شعارات النبالة والدروع التى اتخذوها والتى لم تكن لتتغير؛ وربما لهذا السبب كان الباحثون فى يوحنا جوتنبرج يركزون أساسًا على شعارات النبالة التى اتخذتها عائلة جنزفلايش.

وطبقًا للبحوث الكثيرة العميقة التى أجريت فى هذا الصدد فإن أقدم من حمل شعار النبالة فى هذه العائلة هو "فريلو رافيت" الذى ابتاع منزل زوم رافيت على ناصية شارعى دومنيكان و فوست سنة ١٢٩٨ وكذلك ابتاع فى وقت ما قبل ١٣٣٠م منزل زوم جنزفلايش فى شارع "إيمران: عمران". وفى سنة ١٣٣٠م أصبح رئيسًا لمجلس المدينة وغدا اسمه وخاتمه يحملان شعار نبالته الذى أصبحت تختم به الوثائق المدنية ذات الأهمية بصفة متكررة؛ إضافة إلى ذلك يقال إنه قاد الأشراف فى معركتهم ضد النقابات. هذا السلف الأول للمخترع تزوج مرتين وأنجب ثلاثة أبناء من زوجته الأولى جريده والتى تحدر منها الخط الرئيس لعائلة جنزفلايش. وكان زواجه الثانى فيما بعد من أرملة من عائلة فون أوبنهايم، أنجبت له سورجنلوخ الذى تحدر منه ثلاثة أطفال مثلوا خط سورجنلوخ فى هذه الأسرة؛ وهذا الفرع من العائلة ينسب إلى سورجنلوخ وهى قرية تبعد عشرة أميال جنوب غربى ماينز. وكانت كلا السلالتين تستخدمان نفس شعار النبالة ونفس الخاتم مع تغييرات طفيفة. والشعار يقوم على شخص يمشى على قدميه متشحًا بلباس سفر فضفاض يتكئ على عصا فى يده اليسرى ويده اليمنى تمد طاسة؛ ويرتدى على رأسه قلنسوة البرنس التى تغطى الرأس والعنق معًا ويحمل على ظهره زكيبة أو شوالاً ممتلئًا عن آخره يغطيه اللباس الفضفاض.

ولعدة قرون والباحثون يختلفون حول معنى هذا الشعار ومن خلال المصادر المتعددة نستطيع أن نخرج بستة تفسيرات مختلفة:

١ ــ هناك من يرى أن الشكل يكشف عن حاجٍ. ولكنه فى هذه الحالة يحتاج إلى عكاز طويل وقبعة عريضة الأطراف.

٢ ــ والفريق الثانى يرى أنه شحاذ يمد يده بتلك الطاسة يستجدى الطعام أو الإحسان ولكنى أعتقد أن صورة الشحاذ أبعد ما تكون عن آل جنزفلايش الفرع واسع الثراء من العائلة (لحم الإوزة) وإن كان يمكن أن تنطبق على فرع سورجنلوخ (ثقب السهم).

٣ ــ والفريق الثالث يرى أن قلنسوة البرنس هى طرطور المهرج ولذلك يحتمل أن يكون الشعار لمهرج، ويرون أن هذا الطرطور ما يزال أهل ماينز يلبسونه فى المهرجانات؛ ولكن الزكيبة التى على ظهره والطاسة الممدودة ليست من أدوات ومعدات المهرج.

٤ ــ والفريق الرابع يرون فى هذه الصورة الراهب المتسول الذى اعتادت عليه العصور الوسطى.

٥ ــ يرى فريق خامس أن الصورة إنها تمثل البائع المتجول الذى يحمل بضائعه على ظهره فى الزكيبة ومن ثم فإن الصورة تنطبق على حامل الشعار وهو تاجر قمّاش يجوب المسافات الطويلة ليعرض بضاعته. ولكن السؤال الطبيعى هنا: ماذا عساه التاجر الجوال أن يبيع فى طاسته الممدودة تلك؟، ربما أشياء صغيرة مثل الإسوارات أو عقود الخرز الصغيرة. إلا أن المنظر العام للشعار يكشف الحاجة وليس العطاء.

٦ ــ التفسير السادس معقد نسبيًا ولكننا سنعرضه بشىء من التفصيل حتى نصل إلى مضمونه الحقيقى حيث كان أسلاف يوحنا الأوائل يهودًا سفراديم هربوا من أسبانيا فى حوالى ١٣٠٠م وتحولوا إلى المسيحية فى ماينز، وغطاء الرأس فى صورة الشعار تشبه إلى حد كبير القبعة اليهودية، ومع اسم رافيت ذى الأصول العربية (حصان الحرب) والصلبان الثمانية الموجودة فى أرضية الدرع ترمز إلى عدد اليهود الذى

تنصروا مع فريلو رافيت وهم على وجه التحديد الوالدان وأطفالهما الستة. ويستمر التفسير ليقول إن اليهودى الذى انتقل إلى العالم المسيحى لا يمكن بحال من الأحوال أن يصبح بين الشرفاء أو أن يكون زعيمًا لهم ــ إن لهذا الشعار دلالة دينية ــ أيديولوجية شديدة الأهمية. هذا الشعار يكشف عن أحد الرهبان الجائلين الإيرلنديين أو الاسكتلنديين الذين منذ تأسيس ما سمى بـ"الأديرة الاسكتلندية" دأبوا على التطواف من مكان إلى مكان آخذين معهم الزاد والعطايا التى تقدم لهم. إن صورة الحاج الشحاذ إنما تمثل وترمز إلى الصورة العامة لعالم العصور الوسطى "الهائم على وجهه والذى لا يصل أبدًا إلى غايته" صورة المسيحى المتجول حتى الموت، والتى وصلتنا فى القرن الخامس عشر فى شكل منقح نسبيًّا وهو شكل الرهبان الجائلين الذين لا يستقرون فى مكان وخاصة الرهبان من طائفة الفرنسسكان.

هذا التفسير هو أحدث ما وصلنا من تفسيرات وهو أقربها إلى المنطق وحيث لم يكن جملة هذا الشعار كلهم وممن يحملون مواطنةماينز وكان من بينهم رهبان وراهبات مثل ابن فريلو رافيت الأكبر، وكذلك فريلو جنزفلايش الذى أصبح كاهنًا من كنيسة سانت بيتر سنة ١٣٣٣، وابنته من زواجه الثانى كلارا جنزفلايش التى أصبحت راهبة فى أحد أديرة دالين.

طفولة يوحنا جوتنبرج ودراسته

معظم الدراسات التى كتبت عن يوحنا جوتنبرج تتجاوز هذه الفترة من حياة المخترع العظيم وتعتذر عن عدم وجود بيانات وحقائق عن طفولته ودراسته. والحقيقة أنه بالفعل لا نجد فى سجلات ماينز شيئًا البتة عن "هنشن الصغير"؛ وبدلاً من ذلك نقرأ الصفحات الطوال عن مباريات الفرسان فى المدينة سنة ١٤٠٦م التى اشترك فيها دوق النمسا وكونتات بيرج، فيرتمبرج، كليف، مويرز، ناساو كاتزنيلنبوجن، لانتجن، فيلدنز. وربما كان هنشن الصغير هناك يتفرج بين المتفرجين. كيف مرت حياة صغير سوف يصبح مخترعًا فى يوم من الأيام خلال شيخوخته؟ وما هى المصادر التى أمدته بقوة إبداع هذا

الإنجاز والاختراع الذى استمر على مدى عدة قرون بلا منازع؟ ويبدو أن هناك كثيرًا من الناس يولدون بمواهب شبيهة بموهبة يوحنا ولكنهم يحرمون منذ طفولتهم الباكرة من ومضات الخيال والتركيب والقدرة على الاختراع والإبداع، التى استطاع يوحنا جمعها فى وصفه مركزة.

ويبدو لى أن الباحثين فى جوتنبرج لم يعطوا دور أم يوحنا الالتفات والتنقيب الواجب؛ فقد كانت إلزجن فيريتش أصغر فى السن كثيرًا من زوجها فراييل الذى كان فى سن الخمسين عندما أنجب أول أولاده؛ وكان هنشن ما يزال فى مهده عندما تزوجت أخته باتزه. وفى مثل هذه الظروف لابد وأن تكون أم الطفل هى التى شكلت بنيته العاطفية.

وقد يكون خبطا فى الظلام أن نحاول إعادة بناء أو وضع تصور لما كانت عليه حياة هنشن فى المدرسة؛ ولكننا بصفة عامة نستطيع أن نكون فكرة واضحة عن التعليم فى مدن حوض الراين فى مطلع القرن الخامس عشر. ويبدو لنا أن والده كتاجر قد أدرك أهمية الحساب والتعليم. وكزوجة لبقال وكأم تنتمى لعائلة فورستنبرج الشهيرة؛ لابد وأن تكون أم هنشن قادرة على القراءة والكتابة بطلاقة وهو الأمر الذى يجب أن نتوقعه لا محالة من كل مواطنى مدينة ماينز فى ذلك الوقت. ومن هذا المنطلق لابد وأن يكون من المعقول أن الصبى قد تعلم القراءة والكتابة والحساب ونال قدرًا منها فى المنزل.

ولا ينبغى لنا أن نتوقع أن يكون الصبى قد بدأ تعلم اللغة اللاتينية فى المنزل، رغم أن معرفة مبادئ تلك اللغة كانت ضرورية للالتحاق بالجامعة ومعاهد التعليم العالى عمومًا. ومن الجدير بالذكر أن معظم عائلات الأشراف فى ماينز كانوا يدفعون بأصغر أبنائهم إلى التعليم الدينى والحياة العملية الدينية والتى تضمن وظيفة ثابتة ومستقبلاً مستقرًا طوال الحياة ودخلاً عاليًا فى مدينة ماينز والمناطق المحيطة بها.

وبهذه الخلفية فى ذهنى والد و والدة هنشن ربما يكونان قد ألحقاه بإحدى مدارس المدينة ذات المكانة المرموقة فى ذلك الوقت والتى كان المعلمون الخصوصيون يعلمون فيها الصبية مبادئ الكتابة والقراءة والحساب. تلك المدارس كانت تعلم الحساب بالأرقام

العربية الجديدة التى قاومتها الكنائس والأديرة مقاومة شرسة ليس لمجرد أنها جاءت من الكفرة [المسلمين] ولكن أيضًا وبنفس القدر بسبب استخدام الصفر الذى يعنى العدم، يعنى لا شيء والذى إذا وضع أمام أى رقم ضاعف قيمة الرقم عشر مرات. وكانت المدارس الخاصة فى مدينة ماينز فى ذلك الوقت يلتحق بها فى الأعم الأغلب أبناء أعضاء النقابات الحرفية. أما الأشراف المحافظون للغاية فقد دأبوا على إرسال أولادهم إلى مدارس الأديرة. ومن المعروف أنه فى العصور الوسطى كان أهم طريق للتعليم يمر أساسًا من خلال مدرسة الدير. وكانت لعائلة جنزفلايش صلات طيبته بالمؤسسات الدينية الموجودة فى ماينز، وقد أوقف عدد كبير من أعضاء هذه الأسرة أوقافًا ذات بال على الكنائس والأديرة؛ وبعض أفراد العائلة كما أشرت غدوا قساوسة وكهنة؛ وفى مقابل ذلك دعمت الكنيسة والدير امتيازات ومكاسب الأشراف.

ولقد كانت ماينز فى ذلك الوقت تغص بمدارس النهار التى أقيمت فى كنائس: (سيدتنا)؛ سانت كريستوف ــ التى كانت تنتمى إليها أبرشية بيت جوتنبرج ــ؛ سانت كوينتين، سانت جوهان الكرملتيان؛ سانت فيكتور وغيرها كثير. وهناك من الظواهر ما يدعونا إلى افتراض أن يوحنا قد التحق بمدرسة دير سانت فيكتور. تلك المدرسة كان ناظرها بين ١٤٣١ و ١٤٣٩م شخص يدعى جاكوب جنزفلايش وينادى بنسبته "سورجنلوخ" والذى كان راهبًا فى الدير مدفوع الراتب منذ ١٤٢٢م. وقضية هل كان هذا الـ جاكوب (يعقوب) الراهب قريبًا من بعيد لـ يوحنا أم لا وكان راهبًا عاديًا خلال فترة وجود يوحنا فى مدرسة الدير، تلك القضية ما تزال محل جدل شديد لأنها تؤسس صلة وثيقة بين مخترع المستقبل وذلك الدير، ذلك أن يوحنا جوتنبرج فى سن متقدمة أصبح عضوًا فى "إخوان سانت فيكتور" وهى منظمة علمانية مرتبطة بالدير وكانت لأعضائها فى الأعم الأغلب أقرباء مباشرين فى داخل الدير. وطالما أننا لا نعرف قريبًا مباشرًا لـ يوحنا كراهب أو قسيس فى ذلك الدير، فإن ذلك يزيد من يقيننا بأن صلته الوثيقة بالدير إنما جاءت من أنه كان تلميذًا قديمًا فى مدرسة هذا الدير. لقد كان دير سانت فيكتور مقامًا على تل جنوب مدينة ماينز بالقرب من قرية فايسناو؛ ومن المحتمل جدًا أن

يكون هنشن قد قضى بعض سنوات طفولته فى داخل الدير على الرغم من أنه من غير المعقول أن يصبح تلميذاً داخليًا ـــ لأن المسافة بين منزل جوتنبرج عبر سودتور لم تكن لتزيد عن ثلاثة أميال على الأقدام ـــ كى يتعلم اللاتينية من رهبان دير سانت فيكتور. وربما كان تفسير إقامته فى داخلية الدير أنه كان يرغب فى قضاء بعض الأيام فى صحبة أولاد عمه فرايبل و رولمان (أو أولمان فى مصادر أخرى)، وكذلك أولاد عمه أورتليب الذين سبقوه فى الدراسة بمدرسة الدير بنحو سنة أو أكثر قبله.

ومهما يكن من أمر فإننا نعلم يقينا أنه فى ١٥ من أغسطس سنة ١٤١١م أضطر فرايبل أبو يوحنا إلى مغادرة وطنه المدينة. ولئن نقف على الوضع فى ذلك الوقت فإن ذلك يساعدنا على معرفة تاريخ الصراع السياسى داخل مدينة ماينتز فقد انفجر الخلاف مجددًا فى الثانى من فبراير تلك السنة بين المواطنين (أو القدامى) كما كان يطلق عليهم والقوى (الشابة) المتمثلة فى النقابات وذلك حين اختار الكبار فى السن جوهان سفالباخ عمدة جديدًا للمدينة بينما اعترضت النقابات على هذه التعيين وذلك لأنه محافظ جدًا؛ وقام ستة عشر من أسطوات النقابات بمواجهة القدامى بمطالبهم وتأزمت الأمور لدرجة تهديد القدامى بأن بعضهم يجب أن تقطع رأسه. ومن هنا قام كثير من الأشراف مثل أجدادهم وأجداد أجدادهم من قبلهم سنة ١٣٣٢ بالهروب من المدينة خوفًا من التهديد بفرض الضرائب والعقوبات عليهم.

على رأس قائمة وصلتنا عن الذين غادروا مدينة ماينز سنة ١٤١١م نجد اسم: حنا جيلثوس الذى ذهب إلى أوبنهايم القريبة هو وزوجته وابنه؛ هيرمان فوريستنبورج الذى هرب إلى راينجاو مع زوجته وأطفاله. وكذلك نجد فى هذه القائمة أسماء كل من فرايبل زور لادن (الذى يحتمل أن يكون والد يوحنا المخترع العظيم فيما بعد) و أورتليب زور لادن و بيترمان زور لادن (ربما كانا عميه). ولم نعرف على وجه اليقين هل غادروا المدينة مع أسرهم وإلى أين ذهبوا ولكن من المحتمل أنهم مثل الأسماء المذكورة فى رأس القائمة قد اصطحبوا معهم زوجاتهم وأبناءهم الصغار؛ ومن المفترض أن الـ ١١٧ شريفًا الذين خرجوا من المدينة هذا الخروج الجماعى كانت لهم منازلهم وعقاراتهم وممتلكاتهم فى

المناطق المجاورة ومن ثم كانوا قادرين على الإفلات من دفع الضرائب بالعيش خارج المدينة لفترة من الزمن.

ولو أن والد يوحنا كان قد قرر اصطحاب ولده معه مع بقية أفراد العائلة وهذا أمر وارد محتمل فإن تلك التجربة لابد وأن يكون لها أثرها السيئ على شعور الطفل ولابد وأن يكون لها أثرها على نظرته واتجاهاته السياسية. وعلى أية حال فإن تلك الأحداث قد ربطت بينه وبين المنفيين واتجاهاتهم شديدة الرقى.

تذكر المصادر أن من المحتمل جدًا أن تكون عائلة يوحنا قد لجأت إلى مدينة إلتفيل الصغيرة على الراين وحيث ورثت أم جوتنبرج ممتلكات هناك ربما عن أمها المدعوة إينيشن فون فوريستنبرج؛ وكانت تلك الممتلكات هي ذلك المنزل الكائن فوق أسوار المدينة مجاورًا لمنزل جريتجن سوولباخ، ولسوف نسمع عن نفس هذا المنزل مرارًا فيما بعد، ومن الواضح أنه كانت لأسرة يوحنا أقارب آخرون وحلفاء سياسيون فى إلتفيل كانوا يتوقعون منهم المساعدة والدعم. وهنا فى هذا المكان كان لكبير الأساقفة قلعة بجانب النهر، وهنا أيضًا كان يعيش موظفو إدارته الذين كانوا يتعاونون مع المواطنين والأشراف.

وفى خريف سنة ١٤١١م كانت الأطراف المتصارعة قد وصلت إلى اتفاق من خلال وساطة كبير الأساقفة؛ ومن ثم أصبحت أسرة يوحنا قادرة على العودة إلى منزلها بيت جوتنبرج وليس ثمة شك فى أن يكون هنشن قد عاد إلى المدرسة وإن كانت التوترات السياسية ما تزال قائمة تحت السطح بدون حلول جذرية. وفى شتاء ١٤١٢/ ١٤١٣م حدثت اضطرابات المجاعة وأصرت النقابات على أن الشرفاء الذين تركوا ماينز مؤقتًا لابد وأن يدفعوا الضرائب وأن ينضموا كأعضاء فى النقابة ويدفعوا لها الضرائب المقررة فى هذا الشأن، وأكثر من هذا طالبوا بأن يستشار ممثلو النقابة فى كل ما يتعلق ببيع السناهيات مستقبلاً. وأخيرًا أعلنوا أن على مجلس المدينة ألا يتفاوض مباشرة مع كل نقابة فردية على حدة ولكن فقط من خلال لجنة الاعتراض المؤلفة من ١٢ عضوًا نقابيًا.

وفى يناير ١٤١٣م كان على فرايبل والد يوحنا أن يغادر المدينة مرة ثانية ويبدو أيضًا أنه صحب معه هذه المرة زوجته وأطفاله الصغار. ورغم توقيع خطاب تحالف بين الطرفين المتنازعين وذلك فى الأول من فبراير ١٤١٣م إلا أن الشجار كان يثور بين حين وآخر لعدة سنين بعد ذلك التاريخ. فقد كان هناك انفجارات دامية سنة ١٤١٥ و ١٤١٦م تدخل فيها الملك سيجسموند شخصيًا. ويرى الثقات أن هينشن ربما يكون قد استمر يعيش فى إلتفيل مع أقاربه هناك والتحق بمدرسة المجتمع التى كانت تنعقد فى منزل القسيس فى كنيسة سانت بيتر المحلية. ومن المعروف أن أسرة فوريستنبرج كانت تقدم تبرعات وأوقافًا ذات بال لكنيسة سانت بيتر وخاصة فى تلك السنوات اعتبارًا من ١٤١١ فصاعدًا ولابد أن يكون زوج عمة هنشن المدعو حنا ليهمير ـ باعتباره من رجال بلاط كبير الأساقفة ـ قد كفل ابن أخيه ورعاه ودعمه.

لقد كان التعليم فى منطقة راينجاو فى ذلك الوقت أكثر تقدمًا من سائر أنحاء ألمانيا، وحتى مدارس القرى القريبة من إلتفيل كانت تدرس اللاتينية لتشجيع الاشتراك فى الأناشيد الجريجورية خلال الخدمة بالكنيسة (ما يزال هناك حتى اليوم قرية واحدة تمارس فيها أناشيد جريجورى: وهى قرية كيدريتش على بعد ثلاثة أميال من إلتفيل). وقد حفظت لنا السجلات الباكرة بعض تفاصيل المواد التى كانت تدرس لتلاميذ إلتفيل والرسوم التى كانوا يدفعونها وأجور المدرسين ودخولهم. وتكشف تلك السجلات عن أن التلميذ كان يدفع فى كل سنة ثمانية ألبيات (المفرد ألبى) أى ما قيمته ثمانية بنسات فضة بالنسبة لهؤلاء الذين كانوا يتعلمون مبادئ الكتابة (الأبجدية) و ١٢ ألبى لهؤلاء الطلاب الذين يدرسون اللغة اللاتينية (على قواعد دوناتوس مؤلف ذلك الكتاب)؛ ونفس هذا المبلغ لمن يدرسون فيرجيل و تيرنس وغيرهما من المؤلفين اللاتين. وسوف نفصل الأسباب التى تدعونا إلى الاعتقاد بأن يوحنا قضى فترة دراسة فى إلتفيل فيما بعد.

هل درس يوحنا فى جامعة إيرفورت؟

يذكر الثقات أنه ليس من الضرورى دائمًا أن تعتمد الحقائق والمعلومات البيوجرافية

المتعلقة بسير الأشخاص على الوثائق المكتوبة ففى حالة يوحنا جوتنبرج يمكننا أن نحصل على نتائج مهمة من خلال تحليل شخصية الرجل وخصائص أعماله. والكتاب المقدس ذو الاثنين والأربعين سطرًا هو العمل الوحيد الذى لا خلاف فى نسبته إليه وهو يكشف يقينا عن الجسارة والقوة والمهارة والحس الفنى والموهبة الكامنة بل والفكر الخلاق لدى مبدع هذا العمل؛ وأكثر من هذا فإن التحليل الدقيق للعمل يقودنا حتمًا إلى القول بأن طابعه لابد وأن تكون لديه معرفة وسيطرة دقيقة على اللغة اللاتينية فلم يكن يكفى الحصول على مخطوطة لاتينية محررة ومراجعة بعناية للطباعة عنها أو اتخاذ مصحح بروفات جيد على ألفة باللغة اللاتينية يراجع كل صفحة ويصحح أخطاءها بل لابد وأن يكون المنضدون كذلك يعرفون اللاتينية كما أن الأسطى الطابع نفسه ولابد وأن يكون ممتازًا فى تلك اللغة عليمًا بكل الصعوبات التى تظهر فى تلك اللغة؛ وعلى سبيل المثال فإنه يحتاج إلى فهم وتوقع كافة التعليقات والحروف المزدوجة فى الكتابة اللاتينية والتى تقود إلى توحيد المسافات بين الكلمات فى عموم الصفحة وأن يجد حلولاً لتصميمها وتوزيعها المستعرض. وهذا الأمر يؤكد على أن مخترع المستقبل للطباعة لابد وأن يكون قد تعلم اللغة اللاتينية فى شبابه.

وهناك من القرائن ما يكشف عن أن الطابعين الأوائل كانوا دارسين وباحثين ومن الثابت تاريخيًا أن شريك يوحنا جوتنبرج المدعو بيتر شوفر كان منخرطًا فى جامعة إيرفورت وعرف عنه أنه كان نساخًا نشيطًا فى جامعة السوربون فى باريس. ومن المعروف كذلك أن طابع كولون الأول أولرخ زيل درس هو الآخر فى جامعة إيرفورت سنة ١٤٥٢م، وهناك معلومات شبيهة عن كل من منتلين و إيجشتاين فى ستراسبورج و أميرباخ فى بازل.

ويفترض من نفس هذا المنطلق أن يوحنا جوتنبرج لابد وأن يكون قد درس فى مكان ما ذلك أننا نجد فى الإنتاج الفكرى الباكر عن يوحنا جوتنبرج ما يشير إلى أن شخصًا اسمه يوحنا (جوهانز) من ألتا فيلا (إلتفيل) كان يدرس فى جامعة إيرفورت مما ينطبق على شخصية يوحنا جوتنبرج. ومن الجدير بالذكر أن جامعة إيرفورت كانت هى خامس

جامعة تنشأ فى ألمانيا بعد جامعات: براغ، فيينا، هيدلبرج، كولون. وكانت فى تلك الأيام الجامعة الأم لأرشيدوقية ماينز. وكانت الجامعات ولعدة قرون تحتفظ بسجلات كاملة مفصلة بأسماء الطلاب. وفى عهد رئيس الجامعة جوهان شوبنج نجد فى سجلات الجامعة أنه فى فصل الصيف سنة ١٤١٨م الذى يبدأ عادة فى الأول أو الثانى من شهر مايو تم تسجيل المدعو جوهانز من ألتا فيلا للانخراط فى الدراسة مقابل رسوم قدرها ١٥ قرشا.

وهناك ورقة فى ذلك السجل ترجع إلى السنة قبل التحاق جوهانز دى ألتا فيلا وظهور اسمه فى السجل، ورد بها اسما إبنى عم يوحنا جوتنبرج وهما فريلو و رولماندوس زوم دير لادن. وفى سنة ١٤٢١ قبل بجامعة إيرفورت "كونراد همفرى" الذى أصبح فيما بعد راعيًا لـ يوحنا جوتنبرج؛ وعرف عنه أنه بعد ذلك ذهب للدراسة فى كولون و بولونيا. وفى سنة ١٤٤٤م و ١٤٤٨م نجد اسم بتروس جنشايم فى سجلات الجامعة وليس هناك شك فى أنه هو نفسه بيتر شوفر من جنشايم شريك يوحنا فى المستقبل. ويظهر اسم ديتو فون إيزنبورج كبير أساقفة ماينز فيما بعد كطالب ومدير للجامعة فى نفس الوقت سنة ١٤٣٤ م. ومن الجدير بالذكر أن كونراد سوينهايم من شوانهايم بالقرب من فرانكفورت درس هو الآخر ١٤٥٥م فى جامعة إيرفورت وهو الذى أصبح فيما بعد طابعًا لامعًا هو و آرنولد بنارتز فى إيطاليا بل أول طابعين فى كل إيطاليا عندما نشرت طبعتهما من كتاب لاكتانتيوس من سوبياكو بالقرب من روما سنة ١٤٦٥م.

وعلى الرغم من أن هناك أسماء أخرى كثيرة موجودة فى سجلات جامعة إيرفورت لها علاقة بـ يوحنا جوتنبرج إلا أن ذلك القدر المذكور يكفى لإلقاء الضوء على حياة الرجل فى جامعة إيرفورت؛ ولكن يبقى السؤال لماذا لم يسجل الطالب جوهانز باسم جوهانز جوتنبرج أو جوهانز جنزفلايش أو حتى جوهانز دى موجانشيا (ماينز)؟ ولعل أول ما نلاحظه أنه فى سنة ١٤١٨م وسنة ١٤١٩/ ١٤٢٠م لم يكن يوحنا قد حمل اسم جوتنبرج على نحو ما كشفنا جانبًا منه فيما سبق ولا حتى أبوه وربما كان مرد ذلك كما شرحنا فى حينه أن البيت لم يكن مملوكًا بالكامل لهم وقد استمر الأب يعرف باسم فراييل زوم لادن مثل أسلافه. وربما يكون حنا الصغير قد كون عداوة وكراهية فطرية تجاه المدينة التى ولد

فيها تلك الكراهية ربما تكون قد نبعت من العلاقة المتوترة مع أبيه وحملته على أن يسجل نفسه فى جامعة إيرفورت تحت اسم جوهانز من ألتا فيلا.. وكان من الطبيعى والمألوف آنذاك أن يقوم معظم الطلبة فى إيرفورت بتسجيل أنفسهم بالأماكن التى جاءوا منها وهذا يؤكد مرة أخرى الفرضية القائلة بأن أصغر أبناء فرايل جنزفلايش زور لادن ربما كان يعيش فى إلتفيل وليس فى ماينز سنوات ما قبل التحاقه بالجامعة.

وربما يثار السؤال الحائر أليس من الجائز أن يكون هناك طالب آخر غير يوحنا جوتنبرج هو الذى أشير إليه فى السجلات باسم جوهانز دى ألتا فيلا؟ إن الاستقصاءات التى قام بها المرحوم ألبرت كابر فى إلتفيل بهذا الخصوص أدت به فعلاً إلى الكشف عن وجود طالب آخر باسم جوهانز من ألتا فيلا. ذلك أنه طبقًا لما ورد فى سجلات كهنة وقساوسة مؤسسة سانت بيتر الدينية فى ماينز ظهر اسم شخص يدعى جوهانز من إيلتفيلت سنة ١٤٠٥ من فرع المؤسسة فى إلتفيل. ولكى يصبح الرجل كاهنا فلابد أن يكون سنه على الأقل عشرين سنة وقد توفى الرجل بالفعل سنة ١٤٢٨م ولابد أن يكون قد ولد قبل ١٤٩٠م ومن ثم لا يمكن أن يختلط مع يوحنا جوتنبرج الطالب فى إيرفورت تحت اسم (جوهانز من إلتفيل). وليست هناك قرينة أخرى على وجود شخص ثالث باسم جوهانز من إلتفيل يكون درس فى إيرفورت فى ذلك الوقت.

وثمة قرائن أخرى ذات ثقل ووزن تدل على أن يوحنا جوتنبرج قد درس فى جامعة إيرفورت: لقد كانت لمخترع المستقبل صلات وثيقة بمدينة إلتفيل على نحو ما أكدته كل المصادر إذن كيف يمكن تفسير أن مدينة صغيرة مثل إلتفيل ليس لها وزن اقتصادى أن تصنف بين المراكز الأولى للطباعة مثل ماينز، ستراسبورج، بازل، بامبرج، كولون، روما؛ فينسيا إذا لم يكن جوتنبرج عندما كبر قد وضع لمساته الأخيرة على اختراعه الطباعى هناك؟ وماذا كانت طبيعة الخدمة "العظيمة والصادقة" التى قدمها عزيزنا الموثوق به يوحنا جوتنبرج لنا ولفرع المؤسسة التى يشير إليها كبير الأساقفة أدولف الثانى من ناساو فى خطاب تعيينه ضمن رجال البلاط إذا لم تكن تلك الخدمة سوى المساعدة فى إنشاء دار طباعة فى محيط بلاطه المباشر فى إلتفيل.

فى الوقت الذى كان فيه جوهانز دى ألتا فيلا يدرس هناك فى جامعة إيرفورت، كانت هناك حركة تمرد على مجلس كونستانس وإصلاح للكنيسة؛ وقد وجد العديد من الأساتذة المطرودين من جامعة براغ على يد الهوسايت قاعدة أساسية لهم فى جامعة إيرفورت وحيث تضمنت مناهج كلية الآداب مقررات عديدة لهم. وبعد انقضاء ثلاثة فصول دراسية يمثل الطالب أمام اختبار البكالوريوس والتى كانت تتطلب إثبات الحضور فى محاضرات القراءات المتنوعة النصوص: فى اللغة نصوص من بريسكيانوس الصغير و ألكسندر جـ٢؛ فى المنطق ملخص المنطق الذى وضعه بتروس هسبانوس؛ فن الجدل والجزء الأول والثانى من الأناليطقا والسوفسطيقا لأرسطو؛ وفى الفلسفة الطبيعية ــ كتاب الطبيعة وكتاب النفس لأرسطو، وكذلك فى الفلك الكونى. وكانت هناك تمارين محددة فى موضوعات: المنطق القديم والحديث؛ الطبيعة وعلم النفس. وأكثر من هذا كان لابد من حضور المحاضرات العامة التى يلقيها أعضاء هيئة التدريس.

وكانت قاعة المحاضرات مجردة من الأثاث اللهم إلا القمطرات (البنشات) وكان المحاضر يقف أو يجلس على شيء يشبه المنبر؛ وكل طالب مستمع يمسك فى يده كراسة يدون فيها الملاحظات أثناء القراءة ولم يكن يسمح بالمقاطعة أو الأسئلة أثناء القراءة إذ كان ينظر إليها على أنها علامة تشكيك وعدم ثقة فى نظام التعليم الراسخ رسوخ العقيدة وحيث التعاليم الأخلاقية التى يقدمها آباء الكنيسة والفلاسفة الإغريق غير قابلة للنقاش أو الجدل.

وللحصول على الماجستير كان يلزم الطالب قضاء ثلاث سنوات دراسية أخرى؛ وفى تلك الفترة كان الطالب يدرس فن الجدل والمنطق الجدلى دراسة عالية وكانت المناظرات تعقد فى هذا الصدد وكان الطالب لكى يتخرج عليه أن يمثل أمام نصف دستة من الممتحنين لعدة ساعات من الأسئلة والاستجواب قبل أن يضع رئيس الجامعة روب الماجستير على كتفى الطالب فى احتفال رسمى يقام لهذا الغرض.

وكـان معظم الطلبة يعيشون معًا فى المدينة الجامعية أو دار الضيافة الجامعية كما كانت

تسمى. وكانت أهم دار ضيافة فى إيرفورت هى تلك التى قامت فى باحة الطلبة بالقرب من المكتبة العلمية الحالية. وكانت بعض المحاضرات تعقد فى كنيسة سانت مايكل الغوطية الصغيرة القريبة من ذلك المكان؛ وبجوار ذلك المكان مباشرة يمكن للمرء أن يتمتع بمنظر بيت المدينة فى شارع أليرهيلجين الخاص بـ جوهان فنكه والذى كان لفترة طويلة مديرًا لدار سك النقود والذى أصبح طالبًا دارسًا فى جامعة إيرفورت بعد ذلك بسنوات. وثمة اسم آخر سجل فى السجلات فى أسفل العمود الأول بنفس الصفحة التى فيها اسم جوهانز دى ألتا فيلا هو اسم نيقولاوس فنجكه وربما كان والد أو الأخ الأكبر للمدعو جوهان فنكه سابق الذكر الذى أصبح فيها بعد أول طابع فى إيرفورت. وحقيقة أن جوهان فنكه كان واحدًا من أسرة سك النقود وكذلك كان يوحنا جوتنبرج وابنا عمومته فريلو و رولماندوس روز لادن كانوا أبناء أصدقاء (جماعة) دار السكة فى ماينز، هذه الحقيقة تعطينا سندًا قويًا للقول بأن والدى الأسرتين كانا على معرفة وثيقة بكل منهما الآخر. وهناك احتمال أن يكون الطلاب الثلاثة من ماينز والذى وصف أحدهم نفسه بأنه منحدر من إلتفيل قد أقاموا جميعًا فى بيت المدينة ألبرهيلجين سابق الذكر.

لقد كانت المعيشة فى دور الضيافة خشنة وكان الطلاب الكبار الذين يصنفون أنفسهم على أنهم "باخوسيون: كهنة باخوس" يعيشون ويدرسون تحت كفالة النظام وكانوا يضطرون الطلاب الصغار إلى العمل فى خدمتهم ويرتبون ويدبرون لهم معيشتهم فيغسلون لهم ملابسهم ويمسحون البلاط بل ويدفعونهم إلى الشوارع للتسول لحسابهم. وكان كثير من الطلاب يضطرون إلى العمل حتى يدبروا نفقات الدراسة وكان كثير منهم أيضًا يكسب عيشه من عملية النسخ وحيث كانت هناك حاجة ماسة إلى الكتب الدراسية مثل كتب دوناتوس (فى قواعد اللغة اللاتينية) وكذلك كتب دوراندوس.

ولدينا يقين بأن مخترع المستقبل فى مرحلة ما من مراحله فى الجامعة قد تعلم فن نسخ الكتب وكل ما يتعلق به وربما كان ذلك فى إيرفورت نفسها حيث كان هناك واحد من أشهر المناسخ البندكتية على بيترسبيرج؛ ذلك أن بنط الكتاب المقدس ذى الاثنين

والأربعين سطرًا وتنظيمه على عمودين فى الصفحة يشبه فى عدد من الخصائص نسخ الكتاب المقدس التى كتبت فى دير سانت بيتر فى إيرفورت.

وعندما نسلم بأن يوحنا جوتنبرج قد درس فعلاً فى جامعة إيرفورت فلابد وأن يكون قد تأثر كثيرًا بالمحاضرات التى تلقاها هناك، وأن تكون تلك المحاضرات قد تدخلت فى تشكيل نظرته الدينية والأيديولوجية. فقد تعرف على العلوم الدينية وخاصة اللاهوت كما خبر الفكر الإنسى الجديد الذى اجتاح ألمانيا قادمًا من إيطاليا؛ كما أحاط الرجل بالتطورات السياسية الواسعة. لقد ركز الفرنسسكان الألمان على الحقوق الفردية الخاصة للأمة الألمانية وحصنوا أنفسهم ضد تأثير البابا وتدخلاته الواسعة فى الشئون الداخلية لألمانيا؛ بيد أنهم بسطوا القضايا اللاهوتية وقلصوها إلى مجرد الاعتراض الصارم على الحياة المعاصرة واحتقار أى صلة بالواقع. فى حين جذب البندكتيون يوحنا جوتنبرج بمعاييرهم العلمية والتربوية العالية الراقية؛ وكانوا يتحدثون ويكتبون بأجمل لغة لاتينية على الرغم من تأييدهم المطلق لبابا روما فى كل شىء.

لقد كان هناك فى جامعة إيرفورت صوت قوى مؤثر هو صوت الأوغسطيين وهم طائفة اتخذت لنفسها رمزًا هو القلب المحترق أو القلب المصاب بسهم مقرونًا بكتاب وصليب؛ وكان الأوغسطيون يشعرون برباط خاص مع الكتاب. وفى نفس الوقت كان الدومنيكان وخاصة زعيمهم جين جيرسون أحد قادة اللاهوتيين فى مجلس كونستانس، يدمغون ويدينون قراءة العامة للكتاب المقدس؛ ولكن على الجانب الآخر كان الأوغسطيون وإخوان الحياة العامة تواقين إلى ترويج وتوسيع نطاق قراء الكتاب المقدس والنصوص الدينية الأخرى. وحتى فى ذلك الوقت المبكر كانت إرهاصات حركة الإصلاح قد بدأت تعلن عن نفسها ولو على استحياء فى جامعة إيرفورت، وهى التى ألهمت فيما بعد ذلك الراهب الأوغسطينى الهرمتى مارتن لوثر ما قام به. وأنا أشك حقيقة فى أن يكون الشاب "جوهانز من ألتا فيلا" قد أدرك الحاجة إلى إصلاح الكنيسة من القاع إلى القمة ولكنه بصفة عامة هو وزملاؤه الطلاب استطاعوا أن يحسوا بالقهر الذى تعانيه ألمانيا فى ظل الرباط المقدس: هولى سى، وأنهم على الأقل سمعوا عن تعاليم الهرطقى

جون وايكليف و جان هوس وأحسوا بمثالب التعليم الناقص غير الكافى لدوائر واسعة من الأميين الذين يمثلون السواد الأعظم من الشعب. لقد استطاع يوحنا جوتنبرج أن يوسع مجال رؤيته بالتعرف على أساتذة وطلاب من دول أخرى واشترك معهم فى مناقشات حول الأوضاع السياسية الراهنة وفوق كل ذلك كل ما كان يجرى داخل مجلس كونستانس.

نحن نعلم أن والد يوحنا قد توفى فى خريف ١٤١٩م. وكان فرايل وأخوه أورتليب قد وقعا فى الأول من يولية فى ذلك العام على تلقى سناهية ولكن فى ٢٧ ديسمبر قام أورتليب مفردًا بسحب تلك السناهية لنفسه. ومن المفترض أن يكون حنا قد عاد إلى ماينز لمساعدة أمه فى هذه المشكلة لبعض الوقت. وفى فصل الشتاء ١٤١٩/ ١٤٢٠ الذى بدأ فى ١٨ من أكتوبر حصل جوهانز من ألتا فيلا على درجة البكالوريوس التى قدمها له مدير الجامعة هنرى دى موال والتى كلفته بوهيميين وقرشين. وبعد ذلك مباشرة طفق الرجل عائدًا إلى ماينز عن طريق إيزيناخ وفرانكفورت أم ماين إذا كان ذلك الرجل هو حقًا الشخص الذى نعرفه باسم يوحنا جوتنبرج.

عندما رجع الرجل إلى مسقط رأسه مدينة ماينز فإن هنشن يكون قد كبر وأصبح حنا أو هنجن (حنين) أو يوحنا. لقد أصبح شابًا أرستقراطيًا فى كل شىء إلا الاسم. وكما أشرنا من قبل كان جانب واحد من أجداده الأربعة هو الذى حرمه من أن يكون نبيلاً من الطبقة الدنيا مما أثر على سلوكه وتصرفاته فى ذلك الوقت كما سنوضح فيما بعد.

لقد كان للفرسان ونواب البرلمان قيم ومثل مختلفة متباينة لكل طائفة منهما يقدمانها للأشراف الشبان فالشجاعة والشرف كانتا فضائل أصيلة للفارس وحتى مطلع القرن الخامس عشر كانت مثل الفروسية منوطة بالصليبى. وكان على الفارس أن يقوم بأعمال بطولية عظيمة للسيدة التى يحبها وكان أنبل واجب يقوم به هو الدفاع عن الكنيسة المقدسة ضد الكفرة. ومن خلال المصادر المعاصرة التى صورت النبلاء فإن العمل كان عبئًا تقوم به الطبقات غير النبيلة وطبقًا لتلك المصادر فإنه الله قد خلق الفلاحين حتى يوجههم السادة للعمل فى الحقول وخلق التجار لتصريف وتبادل إنتاجهم. وكانت

الكنيسة هناك لترى البشرية السبيل التى توجه نفوسها من خلاله إلى الجنة ولذلك فإن النظام الذى وضعه الله على الأرض يجب ألا يتزعزع.

لقد كان الاجتهاد، الاحترام، تنمية الاقتصاد وتركيم الأرباح، هى القيم السائدة بين أفراد الطبقة المتوسطة فى العصور الوسطى. وفى هذا الفجر الجديد للتجارة والرأسمالية الباكرة كان أصحاب المشاريع يناضلون ويحاربون من أجل الاستثمار وجنى الأرباح السريعة عن طريق زيادة الإنتاجية باستخدام العلم لإدخال طرق إنتاج جديدة وتوسيع رقعة السوق بإيجاد روابط تجارية جديدة. هذه الطبقة المتوسطة الحضرية الفنية التى حققت ذاتها كانت تواقة وبشدة إلى وضع الأرستقراطية. وعلى الرغم من أن الفرسان و نواب البرلمان كانت بينهم حزازات وضغائن إلا أن القطاع السفلى من النبلاء قد أصبح من نصيب المواطنين الشرفاء أكثر من وصلوا بدون مقاومة إلى قاع النبالة عن طريق حقائبهم المترعة بالمال.

هذه المثل جميعًا تجمعت فى حنا: ذلك أنه وهو صغير كان مشدودًا أكثر إلى الفرسان؛ ولكن ربما بسبب المواجهات الحادة فى ماينز تولدت بداخله روح صاحب المشاريع المعتمد على نفسه والذى لم يستنكف يومًا تعفير يديه بعمل الحرفى.

فى سنة ١٤٢٠م ظهر اسمه لأول مرة فى وثيقة رسمية "١٤٢٠ بعد الميلاد" وهى دعوى رفعت بسبب بعض النزاعات والأخطاء القانونية التى طالت فرايبل زور لادن وأخاه هنشن وزوج أخته كلاوس فيتزثوم كطرف أول وباتزه أرملة بيتر بلاشوف كطرف ثانٍ. ولسوء الحظ أن تلك الوثيقة لم تستمر ولكننا نستطيع أن نستنتج باطمئنان أنها كانت تتعلق بنزاع على ميراث تركه والد يوحنا بين فرايبل و إلزه ممثلة فى زوجها كلاوس فيتزثوم و حنا وزجة أخيهم باتزه.

فى الشهور والسنوات التى تلت وفاة والد يوحنا لابد وأن يكون يوحنا قلقًا على مستقبله الشخصى؛ وأى دور يمكن أن يلعبه فى تلك الأوقات العصيبة؟ وكان لابد أن يأخذ النموذج ممن حوله؛ من أقاربه، من معاصريه ممن هم فى وضعه. لقد قام بعض أقرانه

السابقين بتولى مناصب وأعمال مربحة لدى كبير الأساقفة أو فى مجلس المدينة؛ والبعض الآخر عمل إكليريا فى الأديرة والكنائس وكلهم تقريبًا تمتعوا بنوع أو آخر من المعاشات التى اشتراها لهم أهلوهم أو أقاربهم الآخرون؛ وكل ما كان عليهم أن يلبسوا قناع المظاهر فى اليوم المناسب من كل سنة ليذهبوا إلى قاعة المدينة أو المكان المحدد لصرف السناهية. ولكن ربما كان أهم دعامة اقتصادية لآل جنزفلايش هو ارتباطهم الدائم بجمعية دار سك النقود.

فى ذلك الوقت أصبح واضحًا تمامًا أمام حنا أنه ـ بسبب جده البقال ـ لن يستطيع الالتحاق بذلك النادى المحظوظ. ومن الطبيعى أن يشعر الشاب بالاحباط عندما يجد نفسه محاصرًا بالقيد الذى اعتقد أنه ميزة له. لقد كان صاحب موهبة أو على الأقل مجتهدًا مثل أبناء الأشراف فريلو و رولماندوس زور لادن ابنى عمومته وكان تواقًا أيضًا ليبدى اعتراضاته ويقف فى وجه النقابات مثلهما.

لقد خطا حنا خطوتين هامتين فى التعليم فقد تعلم اللاتينية وحصل على درجة البكالوريوس. لقد جعلته التطورات والاتجاهات الاجتماعية والعالمية يقرر ألا يواصل الدراسات العليا أو يلتحق بوظيفة فى الكنيسة. يعتقد البعض أن يوحنا وهو فى العشرينات من عمره رأى أنماينز كانت وطنًا له لمدة طويلة ويكفيها ذلك وأن عليه أن يرتحل إلى أماكن مجاورة وأخرى بعيدة وخاصة فرانكفورت ـ أم ـ ماين وربما أيضًا على طول نهر الراين إلى مدينة كولون و مدينة ستراسبورج كذلك.

ومرة أخرى تعوزنا الوثائق، ذلك أن والدة يوحنا المدعوة إلزه يبدو أنها تنازلت عن منزل "على الدرجات المرتفعة قليلاً" فى مقابل ذلك المنزل الذى سكنته من قبل عائلة كونتز فرانكنشتاين و جورج فيرتهايمر وربما كانت مقايضة هذين المنزلين سنة ١٤٢٥م بسبب زواج أخيه الأكبر فراييل الذى كان يعيش فى بيت جوتنبرج مع زوجته إلزه نييه هرتز ليس بعد ١٤٢٦م. ومنذ ذلك التاريخ فصاعدًا أصبح الأخ الأكبر يسمى نفسه فراييل زوم جودنبرج وكان اسمه كذلك عندما أصبح عضوًا فى مجلس المدينة سنة ١٤٣٠ م. أما أخته الكبرى إلزه فقد تزوجت كما أشرنا من قبل سنة ١٤١٤م من كلاوس

فيتزثوم. وهناك ما يدعونا إلى الاعتقاد بأن العلاقة بين يوحنا وزوج أخته كلاوس فيتزثوم كانت طيبة للغاية؛ ولكن التوترات كانت بينه وبين أخيه الشقيق حيث كانت لكل من الأخوين توجهات سياسية متباينة فى الصراع مع النقابات. ومن الصعب علينا أن نفسر لماذا انتقل حنا ليعيش مع أمه فى البيت الذى أخذته بالمقايضة من كونتز فرانكنشتاين؛ فى الوقت الذى كانت فيه غرف كثيرة لكلا الأخوين فى بيت جوتنبرج.

وطبقًا لمصدر آخر فإننا نجد أنه فى فترة شباب حنا كان هناك إلى جانب أعضاء أسرته أصدقاء آخرون أى أعضاء آخرون فى دار سك النقود وهم على وجه التحديد كوموف و رايس ويعيشون بالفعل فى بيت جوتنبرج. وربما كان هذا العضوان من ضاربى العملة المهنيين النشطاء. وبالتأكيد كانت العملة نفسها تسك من المعدن فى بيت يسمى "دار السكة القديمة" وحيث كانت العملات الفضية تضرب بناء على أوامر الإمبراطور سيجسموند سنة ١٤١٩ فى ماينز. ولكن من المحتمل أن الأعمال التجهيزية مثل حفر قوالب سك العملة كانت تتم فى بيت جوتنبرج.

وبهذه الطريقة يمكننا القول بأن يوحنا جوتنبرج قد تعلم ما مارسه بعد ذلك من نقش الحجارة وصنع قوالب الحروف إلى جانب تشكيل المعادن وإجراءات صب الحروف من كوموف و رايس فى هذا المكان وفى ذاك الوقت. ومن هنا أيضًا تعلم فن صياغة الذهب دون حاجة للانضمام إلى نقابة الصاغة. وربما كان ترك كوموف ورايس لبيت جوتنبرج حتى مكان الإقامة والعمل فيه إلى البيت الثانى منزل كونتز فرانكنشتاين، هو الذى جعل الأخوين هنجن و فرايل يطلقان على نفسيهما من الآن فصاعدًا زوم جوتنبرج. لقد تسمى هنجن جوتنبرج فى نفس الوقت مع هينز رايس سابق الذكر فى "صلح ماينز" عن سنة ١٤٣٠ فى واقعة قانونية أصدرها كبير الأساقفة كونراد الثالث. وهذا الأمر يثير عدة تساؤلات: هل استمر يوحنا جوتنبرج فى التعاون مع رايس بعد مغادرته ماينز؟ وهل تضمن عملهما زخرفة الجلود الفاخرة للمخطوطات المكتوبة بخط اليد بالمعادن الثمينة: مشابك الفضة واللؤلؤ المشطوف؟. إن من المفيد لتاريخ وبحث جوتنبرج اقتفاء أثر هاينز

رايس هذا والأنشطة التى قام بها. وربما كان هنجن يحاول اختبار مهارات ضارب السكة لإنجاز شيء خاص جدًا.

ومن المحتمل أن يكون يوحنا جوتنبرج قد حاول إشهار نفسه بإقحامها فى العمل السياسى. ومن المعروف أن الناشطين السياسيين فى المنشأة كانوا يلتقون فى حجرة البار؛ بينما كان أصحاب الميول السياسية التقدمية يلتقون فى صالة النبيذ (مونبيزيلييه) وهذا الاسم لم تعرف له المصادر معنى إلا أن يكون جاء من الفرنسية "من دواعى سرورى" أو يشير إلى اسم يهودى سابق تملك المكان وكان قد تحدر من مونبلييه فى فرنسا أيضًا. ومهما يكن من أمر فقد كان هنجن يلتقى أصدقاءه فى حجرة البار (زوم تيرجارتن) عندما كان يرغب فى قضاء أمسية فى حوار ومناقشة أثناء تعاطى بعض كئوس الخمر أو السيدر. وكان ما يزال مرتبطًا بآراء وطريقة حياة الأرستقراطية وكان بكل تأكيد يشاركهم حلقاتهم الاجتماعية ووطن نفسه على أنه نبيل شاب. وكان كارنفال ماينز الشهير منتظم فى مواعيده فى تلك الأيام ويزداد قوة وازدهارًا وتذكر المصادر أن يوحنا كان يشارك فيه ويلقى خطبا براميلية كوميدية وكان مغرمًا بالبنات إلى حد كبير. وكانت أمه تراجع وراءه متى يخسر صغيرها نصف جولدن فى بيت اللعب فى سوق الكتان أو عندما يذهب أيام السبت مع أصدقائه الأرستقراطيين إلى الحمام العمومى فى ميل جيت (بوابة المصنع) حيث تقوم نساء الحمام بتغريس أجسامهم وتصبينها وكان عمال المياومة من أعضاء النقابات يستخدمون حمامًا آخر غير حمام هؤلاء الأرستقراطيين وخاصة ذلك الحمام الموجود خلف حظيرة الخنازير حتى يغسلوا عرقهم.

ولكى نفهم أفكار وأفعال الناس فى العصور الوسطى فإن على المرء أن ينظر فى النقوش والعمارة ويستمع إلى الموسيقى والأغانى التى سادت فى القرن الخامس عشر. وفى رأى العالم الذى عاش ذلك القرن فإنه كان عصر الاقتراب من تحقيق ما جاء فى سفر الرؤيا وبالنسبة للكثيرين كان زمنًا بائسًا تعيسًا: الحرب، الجوع، الطاعون، وغيره من الأمراض وكان القمل والبراغيث تعذب الناس. وقد رأى الناس ثلاث طرق للخلاص

وتحسين الحياة؛ أولها: وأضمن طريقة هى هجر العالم وترك الدنيا والعيش فى الأديرة والزهد فى الدنيا ولكن هذه الطريقة ليست درعًا واقيًا طالما أن أعداء المسيح يقومون بتصفية الأديرة بل ويهددون البابوية نفسها؛ وثانيها: محاولة تحسين الحياة فى هذه الدنيا بإصرار، وقد قام الكاثاريون و أتباع والدين، والهوسايت وغيرهم من الطوائف العديدة والجماعات بمحاولات مستميتة لتجديد الكنيسة والمجتمع وأخذوا حياة أتباع المسيح فى العدل والمساواة كنموذج لهم فى توزيع الأعباء الاجتماعية بالتساوى من خلال الإصلاح؛ وثالثها: هى الطريقة التى عمد إليها الكثيرون وهى تحقيق السعادة فى الحياة الحالية عن طريق الانغماس فى ملذات الأكل والشرب والجنس وأحلام اليقظة. وقد ساعدت الفنون والآداب على اكتشاف هذا الجمال الأرضى الدنيوى، رغم أن الآداب الدينية رفضت هذا تمامًا ولعنت تلك الرغبات. ولعل أحسن تصوير لحياة تلك الفترة ما نجده فى مخطوطة ترجع إلى ذلك الوقت بعنوان "مرآة الغرور" تحت بعض المنمنمات الممتعة من مقطعين شعريين على لسان ملكين أحدهما طيب والثانى شرير.

[يقول الملك الشرير]

"بعين مبتهجة تصور تلك المرآة

تلك المرأة الجميلة جدًا وذلك الرجل النبيل

لاحظى كم هى رائعة مقاييس جسمك

التفت إلى وليس إلى تشويهات القساوسة

ضع جسمك فى أفخر الثياب

حتى تؤثر نظراتك فى الناس

خذ من هذا الزمن الفرح والمتعة

فالدنيا تتخلى عنك فى شرخ الشباب

ناضل وكافح من أجل المؤن والشرف يوميًا

حتى تستطيع أن تحيا طويلاً طويلاً

فكر مليا لأن الموت سيحيلك إلى عدم
لا تتردد فالمسألة لا تحتاج إلى تفكير
[الملاك الطيب يرد هكذا]
أيها الرجل فكر عندما ينقضى بك العمر
وتستحيل إلى مجرد هيكل عظمى
إنك إذا فكرت ستجد أنها كانت لهوا
وبعده يأتى الموت ليمصك عن آخرك
إن الذى ينظر فى تلك المرآة
سوف يتجنب الإثم ويكشف حقيقة الحياة
وسوف يدرك فكره يوما حقيقة الله
أيها الرجل إن روحك سوف تطرب
فلا تكن أسيرًا للزهد والخيلاء
واجعل نفسك مستعدة للقاء الله
وساعتها سوف يمتلئ قلبك بالفرح
ويمنحك الله تاج جنته

إن البشر هم مادة المسرحية الكبرى بين الله والشيطان وأن المواكب الدينية والعلمانية إنما تمثل جوقة تلك الكوميديا الإلهية. إن الشخصيات التى تمر فى تبختر وزهو متثاقلة فى خيلاء أمام الناظر إنما تمثل بالفعل النظرة السابقة إلى الحياة.

لقد صورت كثير من الكتب والأوصاف "رقصة الموت" التى انتشرت آنذاك وخاصة فى عصر يوحنا جوتنبرج فى كل دولة أوربية تقريبًا؛ وفى الأعم الأغلب كانت رقصات القبور تلك ترتبط بالمهرجانات الصاخبة المتوحشة. ولقد حاولت الكنيسة جاهدة أن تعطى تلك الممارسات الوثنية القديمة محتوى ومضمونًا جديدًا وتحولها إلى تأملات فى الحياة والموت واليوم الآخر. وكانت هناك فى ماينز والمدن الأخرى على طول نهر الراين

تقام مواكب مهرجانات وكارنفالات متنوعة عديدة وفى بعض الأحيان كان المهرج أو الشيطان يرقص أو يمثل فى مقدمة الموكب ويتبعه إلى المقابر ثنائيات ثنائيات من لابسى الأقنعة. وكانت جميع أنواع الأغانى تغنى على طول الطريق والتى لم يكن لها علاقة بما سيأتى بعد فى ساحة القبور:

إن بوفو يمر من خلال الغابة الموحشة المورقة

ويقود معه كونيجوند الجميل الغر...

وإذا توقف الموكب والغناء يغنى الكل القرار (الجملة المكررة): لماذا ننتظر هنا، لماذا لا ننصرف ثم يأخذ كلُّ شريكه إلى الرقص.

ويتم إجلاس مجموعة من الموسيقيين فى منتصف ساحة القبور وبينهم آدم الذى يفرد اللفافة التى سيلقى منها حديثه ويعلن بصوت عالٍ:

"كلكم أطفالى. لقد جئتم جميعًا عرايا إلى هذا العالم. من منكم الفلاح ومن منكم الفارس؟ إننى أرى البؤس والعظمة مجتمعين. لماذا جئتم إلى هنا؟ لقد خلقنى الله من الأرض وأنتم أيضًا جئتم من الأرض؛ وإلى الأرض سوف تعودون. فكروا فى هذا إذا فعلتم الخطيئة. إن الموت يمسك بالصولجان فى يده".

وبعد ذلك يخرج عدد كبير من الراقصين الذين يرتدون ملابس هياكل عظمية، من بيت المقبرة ويمتزجون مع المعربدين داخل ساحة القبور. وبانحناءات البلاط البابوى يدعون الرجل المقنع اللابس لباس البابا ثم هؤلاء الذين يلعبون دور الملك والملكة والكاردينال وكل رجالات الدولة الآخرين، يدعونهم إلى الرقص، ويتردد هؤلاء فى البداية ولكنهم يقادون أو يدفعون إلى الرقص فى وسط القبور ويزودون بآلات موسيقية ويلتحقون بالجوقة العازفة ويهيأون بعد ذلك للموت. وهكذا فإن الكاهن ورجل المدينة والوثنى غير المتحضر والفلاح كلهم يغشاهم الموت. وعندما يدخل حلبة الرقص شخص يلبس لباس الهيكل العظمى فإن الموسيقى تقرع من جديد، وبعده تنحنى بقية الهياكل العظمية إلى اليسار وإلى اليمين وتخطو إلى الأمام خطوتين فى وقت محدد ويستمر الرقص

بعد ذلك. وأخيرًا يخطو قسيس إلى الأمام ويأمر كل واحد راقد على الأرض أن ينهض حيث أن المسيح قد انتصر على الموت والكل يجب أن يستيقظ يوم الحساب. وبعدئذ وعن طريق مختلف عن الذى سلكوه عند القدوم ــ لأن سلوك نفس الطريق مرة أخرى يجلب النحس ــ يعود الراقصون إلى بيوتهم وبمعنى أدق إلى احتفال صاخب فى الحانات.

وكان من المفترض أن تحدث رقصة الموت المعجزات ضد الموت وضد الوباء وخاصة الطاعون. والذين لا يشتركون فى هذه الرقصات معرضون للإصابة بالدمامل والأمراض عن طريق الأرواح الشريرة على حين أن هؤلاء الذين يشتركون فيها يتمتعون بالحصانة ضد كل هذه الأمراض؛ ولا عجب أن هؤلاء المعربدين العائدين إلى بيوتهم يبدون سعداء مرحين فى صحة جيدة؛ بعضهم يلبس البنطلون القصير بالمقلوب والبعض الآخر يعلق جرس البقرة بين فخذيه. وبعض الرؤوس القليلة نجدها مغطاة بالأكياس ويثقبون ثقبين فيها أمام العينين على نحو ما يفعل بعض الرهبان؛ ويقرعون بعض أوانى الطهى على أنها طبول.

كان ذلك جزء من الحياة التى تدور حول الشاب يوحنا جوتنبرج؛ جزءاً من مناظر ذلك المسرح الذى لا نعرف عن ممثله الرئيسى إلا أقل القليل من المعلومات إلا إذا عثر أحد الباحثين على تقرير مجهول غامض فى سجلات إدارة أعمال السناهيات فى ماينز يسد لنا الثغرات القائمة بعد وصف عادات الكرنفالات فى العصور الوسطى.

فى مجموعة من الأوراق القضائية فى ماينز والعائدة إلى سنة ١٤٢٧/ ١٤٢٨م نجد نسخة من وثيقة خطية تتعلق بسناهية طول الحياة للأخوين فرايبل و هنجن جوتنبرج نقتبس منها النقاط الأساسية الآتية:

"كل شخص يجب أن يعرف أن هانز جوتلختر قد حضر أمام جوهان مولزبرج القاضى المدنى فى ماينز ليقر بأن سناهية شخصين يدعيان الأخوين فرايبل وهنجن ابنى المرحوم فرايبل جودنبرج مضمونة لهما بمقدار ٢٠ جولدن سنويًا طوال الحياة، وبعد مماتهم تنتقل إلى جوهان إنجراس و ورثته. والـ ٢٠ جولدن المذكورة سوف تدفع إلى جوهان [إنجراس] مناصفة: النصف فى عيد اليوم الثانى عشر [أى عيد الغطاس أو

الظهور] والنصف الثانى فى يوم عيد سانت مارجريت. لقد أودع هانزجوتلختر كرهن لـ جوهان إمجراس طوق قرن محلى بالفضة وثلاثة كئوس قيمتها جميعًا ٣٦ مارك. وعلى هذا الأساس كتب هذا العقد.

ولم يستطع أى باحث حتى اليوم أن يفسر لنا كيف ظهر هذا الـ هانز جوتلختر ليحصل على سناهية العمر الخاصة بالأخوين جوتنبرج بعد وفاتها. وما أهمية عبارة "إبنى المرحوم فرايل زور جودنبرج" ومن هو ذلك الشخص الموجه له الكلام. ويبدو أن الأخوين اضطرا مرة أخرى إلى النضال للحصول على دعم مادى. وهذه الوثيقة تكشف للمرة الثانية كيف أن مصير الشاب جودنبرج كان رهنًا بتلك المعاشات مع الظروف الاقتصادية الصعبة فى مدينة ماينز وتداعياتها الاجتماعية.

الصراعات المدنية فى ماينز

كانت ماينز فى تلك الفترة ما تزال مشحونة مليئة بالثروة. ومن كايستريتش ــ المعسكر الرومانى الذى يتخذ منه الحى الذى يحد المدينة القديمة اسمه ــ ومنحدرات كروم النبيذ وحتى الجنوب ونهر الراين ارتفعت أبراج ما يربو على أربعين كنيسة إلى عنان السماء. وفى تلك الآونة غدت المدينة تمارس حق مصدر السلع بحيث أن جميع السلع التى تحملها السفن والبواخر فى نهر الراين سواء المتجهة إلى الشمال أو المتجهة إلى الجنوب يجب أن تفرغ من السفن وتعرض للبيع عن طريق المناقصة فى مخازن التجار على "البراند"؛ طالما أن تلك السفن لم تكن لتعبر الجسرين ماينز و كاستيل، هذا الجسر نفسه كان معدًا من سفن صغيرة. وكان هناك رافعتان (ونشان) عملاقتان تحملان البضائع من السفن إلى الشاطئ وكانتا مثبتتين بهلب على شاطىء النهر؛ وكان هناك حمالون وأصحاب عربات اليد ينتظرون لتفريغ الزكائب والبراميل ويحملونها عبر حامية مولب إلى المخازن، وكانت إيزنتورم، مولبفورت، فيشتور هى نقاط الوصول إلى النهر. وبالقرب من نقطة إيزنتور كانت هناك سوق يعرض فيها الصاغة وصناع المعادن بضائعهم. أما الفشتور فقد كان يقود كما هو واضح من اسمه إلى سوق السمك الطازج المستخرج من النهر لبيعه فى أيام

السوق. بينما كانت نقطة مولبفورت قد اتخذت اسمها من سفن طحن الحبوب التى كانت ترسو وتهلب على الراين والتى كانت تطحن الحبوب بأسعار أرخص وبطريقة أفضل من طواحين الهواء. وفى سوق فلاخز بالقرب من بناية جوتنبرج فى وسط المدينة كان الفلاحون يعرضون للبيع الكتان الذى ينسجونه، كما يقوم تجار مراكب البَّرج (مركب ضخمة تحمل البضائع عبر الأنهار والبحار) بعرض الأقمشة التى جلبوها من هولندا وبرابانت و بيرجانديا عبر النهر للبيع؛ وذلك عندما لا ترغب الأسر القديمة فى ممارسة حق "المدينة المصدر" وتشترى تلك البضائع قبل الآخرين. وكان فى مدينة ماينز إلى جانب الأسواق المذكورة أسواق أخرى ازدهرت فيها تجارات عديدة، وكانت هناك ورش عديدة: الحدادة، الخياطة، النقاشة، الخبازة، النسج والغزل. وكانت ماينز فى حقيقة الأمر مدينة سياحة مزدهرة تجذب المسافرين والرحالة مدينة تستحق اسم ماينز الذهبية "أوريا موجونتيا" والتى كانت بحق تنافس روما الذهبية "أوريا روما" نفسها.

ولكن بالنسبة للعالمين ببواطن الأمور وصلت مالياتها إلى حالة ميئوس منها. وعندما اضطر هنشن أن يغادر ماينز فى أول فرصة مع أبيه كما قلنا سنة ١٤١١م كانت الفوائد على الديون المدنية تأكل ٤٠٪ من الدخل؛ وحتى عندما ملكت النقابات زمام الأمور فى المدينة فإنها عجزت عن تحسين الوضع المالى للمدينة لأن الأسر القديمة لم تكن تدفع ضرائب على الإطلاق أو تدفع قدراً يسيرًا منها، ولأن القساوسة كانوا مستمرين فى بيع حصصهم من النبيذ دون دفع الرسوم المقررة طبقًا للامتيازات المكتوبة الممنوحة لهم. وقد أصدر مجلس مدينة ماينز قرارًا فى ١٤ من يونية سنة ١٤٢٢م بزيادة الضرائب. وكانت أية مفاوضات مع الأشراف الذين آثروا الهرب إلى عزبهم الريفية لا تلبث أن تنهار وتتوقف؛ ولم يكن هناك من يجرؤ على مصادرة بضائعهم باعتبارها الطريقة الوحيدة لإجبارهم على دفع ما عليهم من ضرائب. وفى نفس تلك السنة وجدت المدينة نفسها عاجزة عن سداد فوائد الديون عندما حل موعد دفعها. ولذلك تم إبرام عقد مع كبير الأساقفة كونراد الثالث مؤرخ فى ١٩ من أكتوبر ١٤٢٢

باقتراض ٨٠٠٠ جولدن لسداد ديون المجلس الأكثر إلحاحًا فى مقابل التنازل عن بعض الامتيازات التقليدية للمدينة.

ولقد هدد الإفلاس المدينة مجددًا صيف ١٤٢٨م؛ ولذلك قامت النقابات بانتخاب عشرة ممثلين لوضع خطة عمل تدرأ الخطر عن المدينة. وقد طالب هؤلاء العشرة بالاعتراف بهم كسلطة مدنية عليا حاكمة للمدينة، وعندما تحقق ذلك قامت الأسر القديمة بالانسحاب مرة ثانية من المدينة إلى الريف ومعهم بكل الاحتمالات هنجن جوتنبرج.

وفى الأول من أكتوبر ١٤٢٨م قرر المعتدلون من الأشراف بأن ينصاعوا لنظام الضرائب الجديد؛ وانحاز شقيق هنشن الأكبر إلى جانب هذا القرار. وتضمن القرار أيضًا ملاحقة الأشراف الهاربين حتى يعودوا أو يعتبروا أنفسهم معزولين بصفة دائمة. ولما أعلنت نتائج انتخابات المجلس الجديد فى الأول من فبراير سنة ١٤٢٩م كان هناك سبعة فقط من بين ٣٥ عضوًا من الأشراف ولم يفوزوا إلا بمنصب واحد من الأربعة مناصب التى استحدثت فى ذلك الوقت: عُمُدُ المدينة. وقد نفذ قرار المجلس الجديد اعتبارًا من ١٥ فبراير سنة ١٤٢٩م ولكن فى ١٨ مارس سنة ١٤٣٠م تم تجميده بقرار من كبير الأساقفة سمى قرار التسوية.

وطبقًا لهذا التجميد فإن "هنشن زور جودنبرج" وآخرين ممن كانوا خارج المدينة سمح لهم بالعودة إلى منازلهم بالمدينة. وكان من بين هؤلاء حنا فورستنبرج ــ رغم أنه كان قد عاد بالفعل إلى المدينة ــ؛ حنا هيريز، بيتر جنزفلايش؛ هاينز رايس. بيد أن شخصًا يدعى جورج جنزفلايش أعلن عن حرمانه من الانتفاع بهذا الاتفاق الذى سمى اتفاق الاستعطاف والتجميد وربما كان ذلك لأنه كان خصمًا عنيدًا للنقابات. وكان الأشراف بعد ذلك قد قسموا إلى مجموعتين إحداهما تلك التى مثلها هؤلاء الذين بقوا فى المدينة ووجدوا أن أهون الضررين أن يتعايشوا مع المستويات الجديدة من الضرائب وأعلنوا عن استعدادهم للتعاون مع النقابات. وكان شقيق حنا مخترعنا المدعو فرايبل ينتمى إلى هذه

المجموعة وربما كان ذلك بسبب أن المنفى لا يليق بأب أسرة شابة. أما المجموعة الثانية فقد تألفت من "الخارجين" وهم أعضاء الأسر القديمة الذين رفضوا دفع ما عليهم من ضرائب وفضلوا العيش فى عزبهم الريفية فى منطقة راينجاو والمناطق الشبيهة القريبة ريثما يتم تدمير النقابات ماليًا. وكان مخترع المستقبل من بين تلك المجموعة كما كان زميله فى جمعية دار السكة و حنا الجار السابق فى بناية جوتنبرج المدعو هاينز رايس.

ويمكننا أن نلمس التحول الاجتماعى الذى حاق فى نفس الوقت بمدينة ماينز من لهجة ورنة السطور الافتتاحية فى قرار التسوية الذى أصدره كبير الأساقفة كونراد الثالث:

"نحن كونراد بعون الله كبير أساقفة هولى سى فى ماينز كبير أمناء الإمبراطورية الرومانية المقدسة فى الأراضى الألمانية أعلن وأشهر من خلال هذه الوثيقة أننا قد درسنا طويلاً الاضطرابات والنزاعات التى أصبحت لسوء الحظ ظاهرة عامة فى عموم الأراضى الألمانية وعلى وجه الخصوص ذلك الشقاق الذى حدث واستقر بين أعضاء الأشراف من الأسر القديمة من جهة وعُمُد مدينة ماينز والمجلس والبلدية وعموم المواطنين فيها من جهة ثانية..."

وكان اتفاق التسوية هذا قد تناول التفاصيل الدقيقة لما تم التوصل إليه بحضور ممثلين عن وورمز، سباير، فرانكفورت لمنع أى تدهور جديد فى الموقف ويمكن الاقتباس منه على النحو الآتى:

"من الآن فصاعدًا سوف يتألف مجلس ماينز من ٣٦ عضوًا من بينهم ١٢ من الأسر القديمة و٢٤ من المجتمع [أى من النقابات]. وإذا خلت عضوية بسبب الموت أو الاستقالة يتم شغلها عن طريق انتخاب عضو جديد من طبقة الأشراف أو المجتمع حسب مقتضيات الأمور. وسيكون هناك فى المستقبل ثلاثة عمد وثلاث أمناء صندوق أحدهم من الأسر القديمة واثنان من المجتمع على التوالى. وسوف يحمل كل واحد من أمناء الصندوق مفتاحًا من المفاتيح الثلاثة الخاصة بالخزانة التى يحتفظ فيها بالسجل والأموال الخاصة بالمدينة وهكذا فإن الثلاثة مجتمعين يفتحون باب الخزانة. وبالمثل فإن

المفاتيح الثلاثـة لدى العمد الثلاثة تلزم لإخراج ختم المدينة من علبته. وتم الاتفاق أيضًا على أن المواطنين من الأسر القديمة هم وورثتهم لن يجدوا فى أى وقت من الأوقات على الانضمام إلى عضوية النقابات إلا إذا رغبوا فى ذلك بمحض إرادتهم الحرة. ولسوف تحتفظ الأسر القديمة بحقوقهم فى سك العملة وامتيازاتهم التجارية والتعهدات التى قطعت لهم من قبل. ويبقى الباب مفتوحًا أمام هؤلاء الذين أطلق عليهم "الغائبون" للعودة إلى المدينة بمجرد تنفيذ هذه التسوية.

وثمة وثيقة معاصرة لتلك الأحداث تكشف عن اقتسام ونقل معاش آخر من معاشات جوتنبرج يمكن أن يكـون لـها صـلة بتـلك الأحـداث والحالـة الماليـة المتأزمة فى المدينـة. وترجـع تـلك الوثيقة إلى ١٦ من يناير ١٤٣٠م نقتبس منهـا السـطور الآتية:

"بند: حيث أن كاترين كريمة كونتز شوارتز من ديلكنهايم قد جاءت منذ فترة من أجل سناهية مدى الحياة الخاصة بـ حنا ابن المرحوم فرايبل جنزفلايش والبالغة قيمتها ١٣ جولدن تدفع على أقساط أسبوعية، والآن قد تم الاتفاق مع إلزه جوتنبرج والدته بأنها سوف تعطى من الآن فصاعدًا طالما بقى حنا حيا ما لا يزيد عن ٦.٥ جولدن موزعة كل أسبوعين ٦ شلنات والـ ٦.٥ جولدن الباقية تبقى له دون مساس حتى بعد وفاة حنًا ولدها".

ولم يتوصل الباحثون حتى اليوم إلى من عساها تكون كاترين شوارتز من ديلكنهايم (قرية على بعد ثلاثة أميال من فسبادن) ولماذا منحت أو بمعنى أدق أوقف عليها نصف سناهية حياة كانت أصلاً كلها لـ حنا. وربما يكون يوحنا جوتنبرج فى ذلك الوقت غير مقيم فى ماينز وأرادت أمه أن تضمن تلك السناهية باسمها عندما نقلت النصف إلى السيدة المذكورة حتى تجمع الدخل من مجلس المدينة.

لقد تمت مفاوضات جديدة فى أوبنهايم فى نهاية ١٤٣٠م ومع ذلك لم يبعث الأشراف بممثليهم حتى الأول من مايو ١٤٣١م. وفى الوقت نفسه لم تستطع المدينة أن تسدد إلا ثلثى القرض إلى دائنيها فى فرانكفورت. وفى سنة ١٤٣٣م قررت اللجنة الحاكمة المكونة

من عشرة أعضاء نقابيين على نحو ما سلف فى فرض ضرائب على القساوسة. وقد اعترض القساوسة على ذلك وانسحبوا من المدينة ووضعوا الأمر برمته أمام مجلس بازل. وكانت الضربة القاضية أن استرد الأكليريون الحق فى بيع النبيذ دون ضرائب والأنكى من ذلك أنهم أعلنوا تمسكهم بحقوقهم وامتيازاتهم من فوق منبر الوعظ بالكنائس. ومن هنا بدأ دخل المدينة يتدهور سنة بعد سنة وبلغت فوائد الديون المتراكمة كالجبل وحدها سنة ١٤٣٩م ٧٦٪ من أصول الديون. ولم تستطع المدينة أن تستأجر إلا من ستة إلى عشرة جنود مرتزقة. وقد أسهمت فرانكفورت مركز الأسواق التجارية الكثيفة فى الأزمة الاقتصادية ولو بجزء صغير عندما سحبت تجارتها من ماينز.

وفى سنة ١٤٣٧م لم يعد ممكنا إخفاء عدم قدرة مدينة ماينز على الوفاء بسداد ديونها أو حتى فوائد تلك الديون. وطلب إلى ممثلين عن المدن المجاورة التى هى فى نفس الوقت صاحبة الديون على ماينز أن يفتشوا على دفاتر حسابات المدينة ويراجعوها. وتم الاتفاق بعد رضاء الدائنين على تخفيض فوائد الديون والسناهيات إلى النصف: ولكن كما حدث سنة ١٤٣٠م أضير يوحنا جوتنبرج من وراء ذلك الإجراء.

وقد تشجعت الأسر القديمة من وراء ذلك الإجراء واعتبرت إفلاس المدينة إفلاسًا لحزب النقابات؛ واستمر المنفيون فى ممارسة حقهم فى استيراد وإدخال سلعهم دون جمارك أو رسوم إلى داخل المدينة وكانت تلك السلع هى أساسًا النبيذ والحبوب والتبن والتى كانوا ينتجونها فى عزبهم الريفية، ويبيعونها فى ماينز دون أية ضرائب أو مكوس. ومن أسف استرد هؤلاء المنفيون كافة الامتيازات التى كانت ممنوحة لهم سابقًا وانصاع قادة النقابات التنفيذيون الذين كانوا متصلبين من قبل لهذا الوضع بل وكفلوا للأسر القديمة الحصول على تلك الحقوق. وفى الوثائق الأصلية المتعلقة بتلك الكفالات نجد توقيعات أو أختام ممثلى كافة النقابات: الجنائية، منتجو الملح؛ تجار الأقمشة؛ منتجو النبيذ؛ صانعو الصديريات؛ الفحامون؛ الدباغون؛ أصحاب العبارات؛ نجاروالسفن، الإسكافيون؛ تجار السمك؛ صيادو السنارة؛ الحمَّالون؛ صانعو الحبال؛ الحدادون؛الفراؤون؛ الجزارون؛ النقاشون؛ السروجية، نساجو التيل، صانعو الصفيح؛ عصارو النبيذ؛ البقالون؛ صانعو

الحديد، رعاة الغنم؛ أصحاب الحمامات العمومية؛ الخبازون؛ الترزية؛ قاطعو الحجارة؛ مديرو الدفة فى السفن. ومن الواضح أن الأسر القديمة قد حققت نصراً كاسحًا، ولكن هل كان نصرًا حقًا والمجتمع فى المدينة يقترب من هاوية الانهيار.

سنوات التدريب والترحال: ١٤٢٩ ـ ١٤٣٤

خمس سنوات غير مرصودة

تؤكد المصادر الثقات أن يوحنا جوتنبرج لم يبق فى ماينز بعد سنة ١٤٣٠م وحيث لا نجد أية وثائق أو معلومات عنه بين ١٤٢٩ و ١٤٣٤م وتتساءل تلك المصادر أين عساه يكون الرجل؟ هل استقر فى منطقة راينجاو مرة ثانية أم فى إحدى المدن الكبرى مثل فرانكفورت، نورمبيرج، إيرفورت، كولون، أمستردام، غنت، باريس، أفجنون. لقد كان من الصعب على يوحنا فى تلك المدن كأجنبى وكأرستقراطى أن يعمل كصائغ لأن النقابات فى تلك الأماكن لم تكن لتسمح له بذلك؛ أو تمنحه تصريح عمل. كانت علاقاته الاجتماعية واسعة تسمح له بالتنقل، وقادته إلى مغامرات جريئة ولكن لا ينبغى أن نستنتج كما ذهب البعض إلى أن جوتنبرج قد التحق بورشة كتب كتلك التى نعرفها فى هاجيناو أو أى منطقة أخرى فى الإلزاس أو فى أى مكان استقر به ليكون خبرة عن أساليب أشغال المعادن استعدادًا لعمله التجريبى الكبير فى ستراسبورج. ومشكلتنا الكبرى مع جوتنبرج هى أن البحوث عادة ما تقفز فوق هذه الفترة. ولكن لأغراض بحثنا هذا فسوف نسعى جاهدين إلى وضع بعض الفروض ثم نختبرها لعلنا نصل إلى سد هذه الثغرة. ولكى نبحث فى الظروف المحيطة بالمخترع يوحنا العظيم فإن من الضرورى أن نزيل عددًا من الطبقات التاريخية المتراكمة قبل الحفر عما عساه يكون مدفونًا فى أعماق القرن الخامس عشر. لقد كانت بازل فى تلك السنوات هى محور الحياة السياسية والدينية فى كل أوربا. لقد اجتمعت هنا أروع العقول فى وقتها على هيئة مجلس ليتناظروا وينظروا فى إصلاح الكنيسة والقضاء على الهرطقة وإعادة التوحيد مع عناصر الكنيسة التى مرقت بعيدًا.

لقد شهدت السنوات التى أدت إلى "مجلس بازل" قوة غير عادية فى السلطة البابوية؛ ولم يكن ذلك الأمر بالعملية السهلة أو الدائمة فقد كان هناك صراع مع الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وكانت هناك أزمات فى تنصيب البابا كما كان هناك "الانشقاق الكبير" نفسه. ورغم ذلك فقد سارت عملية تقوية مركز القوة الدينية على قدم وساق؛ فكان البابا يتدخل أكثر من ذى قبل وبإصرار فى السياسة الدولية. وكان كل رئيس دير أو أسقف أو كبير أساقفة ينتخب عن طريق فرع البابوية عليه أن يدفع إلى البابا "إتاوة" أو بألفاظ مهذبة ضريبة خاصة تقدر بنصف دخله فى السنة الأولى من تلك الوظيفة. وهو مبلغ ضخم بكل المقاييس. ومن هذا المنطلق وغيره تدفق على البابا تيار عريض لا ينقطع من "الأعشار" ورسوم الترشيح والتعيين وأثمان صكوك الغفران التى تصدر من روما مما جعل الكنيسة تصبح أكبر مؤسسة مالية على ظهر الأرض.

لقد قام "مجلس كونستانس" الذى انعقد بين ١٤١٤ و ١٤١٨م إلى إنهاء "الانشقاق الكبير" تلك الفتنة الكبرى التى كان فيها هناك بابوان أحدهما فى روما والثانى فى أفجنون كل منهما مقطوع الصلة بالآخر. بيد أن الفتنة غير المشهورة التى قام بها جان هوس أدت إلى قيام اضطرابات عامة شعبية فى بوهيميا وأدت أيضًا إلى وضع التابوريتيين فى السلطة. وقام آباء "مجلس كونستانس" بانتخاب مارتين الخامس بابا ولكنه للأسف خيب الآمال وكل التوقعات. وظلت الكنيسة فى حاجة إلى إصلاح فى "الرأس والأعضاء". واتفق فى كونستانس على تشكيل مجالس تنعقد كل سبع سنوات لمعالجة أوضاع الكنيسة. وكانت الاجتماعات التى عقدت فى الأوقات المحددة فى كل من بافيا و سيينا محدودة السلطة مقيدة من قبل بابا غير موثوق فيه أخشى ما يخشاه أن تحد المجالس الكاملة من سلطاته ونفوذه وامتيازاته. وقد انتهز الفرنسيون فرصة ضعف الكنيسة خلال فترة الانشقاق الكبير وأصدروا بيان ١٤ مايو ١٤٠٨م الشهير باسم "الحريات الجاليقية" الذى حررهم من دفع الإتاوات والضرائب والأعشار إلى البابا فى روما. وتطلع الأمراء الألمان والمدن الألمانية إلى منع تلك الأموال من الذهاب إلى روما وإبقائها داخل الأراضى الألمانية ولتحقيق تلك الغاية قام الأمراء الألمان بتقوية أوضاعهم ضد الإمبراطور، وسعوا إلى منع

التدخل الأجنبى فى الشئون الداخلية ووقف تدفق الممتلكات والأموال إلى الكنيسة الرومانية والحد من نفوذها وسلطانها.

وكان القساوسة والمواطنون من ذوى الحيثيات فىماينز وأسقفيتها يضغطون لتكوين مجلس جديد يمكنه الموافقة على مزيد من الإصلاحات ولكنهم جميعًا كانوا على يقين من أن البابا مارتين الخامس لا يعير أذنا صاغية إذا ما جاء ذكر لمثل ذلك المجلس. وكان الإمبراطور سيجسموند دائمًا يمارس ضغوطه ونفوذه من أجل انعقاد المجلس فى كونستانس ولكن الملك الألمانى فى ذاك الوقت غدا طاعنا فى السن وخلد معظم الوقت للراحة فى مدينة أوفن المجرية التى حصل عليها من خلال زواجه. ولقد حاربت جيوشه التابوريتيين فى بوهيميا ولكن الأتباع غير المخلصين للمدعو جان هوس أبوا أن يهزموا فى المعركة، وقد سببت غاراتهم الانتقامية النهبية فى ساكسونيا وبافاريا وثورنجيا إرباكًا شديداً لمكانة الملك. ولقد أمل أهل ماينز فى إلتئام السلام ووقف تدهور الأوضاع فى الأديرة، تلك الأوضاع وصلت إلى حال يدعو للأسى والحزن. وقد هدد الأمراء الألمان بالفعل بإقامة مجلس وطنى ألمانى إذا لم يتم الاتفاق على عقد مجلس عالمى. ومع منتصف سنة ١٤٢٩م أى فى نفس الوقت تقريبًا الذى وصلت فيه الصراعات الداخلية أقصاها كانت الطلائع الأولى للمجلس الجديد فى ماينز تنعقد فى بازل.

لقد تطلع أهل ماينز صوب تلك المدينة على الراين فى الجنوب بحسد وغبطة شديدين حيث حققت المدينة درجة عالية من الثراء لازدهار التجارة مع الأمراء العديدين الذين يفدون إلى المجلس؛ وتوقع العديد من الكنائس والبيوتات فى بازل نوعًا من تجميل الوجه وأنه ستكون هناك حاجة ماسة إلى النقاشين والفنانين والحرفيين ونساجى السجاد والصاغة والنساخين... والسؤال الذى يطرح نفسه بشدة ألم تكن هناك فرصة عمل للمخترع يوحنا جوتنبرج فى بازل فى ظل تلك الظروف وهو الذى انتوى ترك ماينز على أية حال بعد أن قررت النقابات فرض الضرائب على المؤسسة مرة أخرى؟ ومن المؤكد أنه سمع مبكرًا من خلال دار السكة فى ماينز أن الإمبراطور وأمين الصندوق لديه (كونراد فون فاينزبرج) قرر إنشاء دار لسك النقود فى بازل لتوفير النقود اللازمة للمجلس.

ولسوء الحظ لم تكلل جهود الباحثين الذين حاولوا الحصول على دليل واحد لوجود يوحنا جوتنبرج وزميله هانز رايس فى بازل بأى نجاح. ومن ثم قطعوا بأنه لا يمكن أن يكون قد عمل فى دار السكة الإمبراطورية فى بازل ولكن من المحتمل أن يكون قد التحق بـ "نقابة السماء" التى كانت عبارة عن اتحاد للنقاشين والصناع المهرة والتى قبلت أن يعمل أعضاؤها منفردين أو بالتعاون معها. وكان أشهر عضو فى" نقابة السماء" هذه هو كونراد فيتز وهو نقاش من سوابيا والذى تعبر رسوماته ولوحاته كأحسن ما يكون التعبير عن روح المجلس، وبأفضل مما تشى به أكوام الوثائق التى خرجت عن ذلك المجلس. ولم يعد هدفه الفنى رسم العلامات والشعارات التكريسية الدينية ولكن ــ تحت تأثير الحركة الانسية ــ رسم وتصوير الواقع والحقيقة وما يمكن معرفته ولمسه: وكانت الخلفيات المذهبة للأيقونات الغوطية الباكرة تعطى فكرة واقعية عن العالم المنظور. ولقد استمرت عقيدة أن الله ــ سبحانه وتعالى ــ كلى القدرة وأنه موجود فى كل شىء مهيمنة مسيطرة ولكن طبيعة هذه العقيدة فى الله هى التى تغيرت. وإذا غمرت رسومات وصور الأشخاص الموجودة فى اللوحات الباكرة بالضوء فإن صور كونراد فيتز وزملائه فى القرن الخامس عشر تستجيب لمصادر الضوء الطبيعى كأنها حقيقية. لقد درس من الطبيعة ومن الفكر الذاتى التمثيل الدقيق للمكان والشخص كما أفاد فائدة كبيرة من دراسة الألوان وضوح الشكل وكثافة التعبير الروحى.

وتتساءل المصادر عما إذا كانت هناك علاقة بين نقش مذبح الكنيسة (مرآة الخلاص) فى بازل الذى رسمه كونراد فيتز فى ذلك الوقت ليصور به بعض الموضوعات الواردة فى مخطوطة (مرآة الخلاص الإنسانى) وهو أحد المخطوطات الفنية جدًا بالصور والرسوم الخاصة بالتكريس فى الكنائس وأفضلها على الإطلاق فى ذلك العصر، وبين كتاب المرايا الذى أنتجه جوتنبرج فيما بعد فى استراسبورج. ولكن ليس من مصدر يؤكد تلك الصلة أو حتى ينفيها ولكن نوع الاتحاد الذى أسسه جوتنبرج فى ستراسبورج فيما بعد والطريقة التى نظم بها ذلك الاتحاد يكشف عن بعض وجوه الشبه مع "نقابة السماء" مما يثير الافتراض بأن جوتنبرج ربما يكون قد زار بازل خلال السنوات الأولى للمجلس.

ومن اللافت للنظر أن الباحثين فى جوتنبرج لا يعيرون انتباها إلى دوافع جوتنبرج. إن من المتفق عليه بين الباحثين أنه كانت هناك حاجة ماسة إلى الكتب خلال القرن الخامس عشر، جاءت نتيجة لدخول الصناعة وازدياد التجارة مع الشرق والرغبة المتأججة فى العلم والتعليم وربما تفسر لنا تلك الظاهرة دافع يوحنا جوتنبرج إلى اختراع وسيلة جديدة تسد حاجة الناس إلى أعداد كبيرة من الكتب؛ وقد ينظر البعض إلى هذا الدافع على أنه ساذج طالما أن المناسخ كانت تستطيع مواكبة تلك الحاجة وتمد الناس باحتياجاتهم من المخطوطات بالأعداد التى يريدونها. وخاصة أن الطلب على نسخ من النصوص المحققة القياسية يمكن إنجازه فى زمن يسير ولنتذكر أن مستوى التعليم والثقافة فى العصور القديمة اليونانية والرومانية كان أعلى بكثير مما كان عليه فى ألمانيا القرن الخامس عشر. وقد يقول قائل بأنه فى ظل روما القديمة كانت الأيدى الناسخة من العبيد رخيصة ولذلك كثرت الكتب وازداد الطلب عليها فى ذلك الوقت وكان الرومان القدماء يفتقرون إلى بعض المتطلبات التكنولوجية مثل معرفة صناعة الورق. ومع ذلك يعتقد البعض أن الرومان كانوا يحتاجون إلى دفعة من اتجاه آخر حتى يخترعوا الطباعة ويكتشفوا الكتاب المطبوع.

ولكى ندلل على ذلك لابد من الرجوع إلى الخلف للتعرف على الجذور التاريخية للطباعة فى الشرق الأقصى، ذلك أنه منذ أكثر من ٢٠٠٠ سنة فى بلاد الصين كانت نصوص من كتابات كونفوشيوس تنقش على ألواح عظيمة من الرخام وتقام فى الميادين العامة أو ساحات المعابد. وكان من الممكن أخذ طبعات من تلك النقوش الثابتة عن طريق الحك فى أى وقت من الأوقات ومن هذه الألواح الحجرية جاءت فكرة الطبع عن طريق الكتل الخشبية فى الشرق الأقصى حتى لقد ذكر أنه مع سنة ٧٧٠م كانت هناك مليون نسخة قد طبعت من "تعويذة دارانى" ووزعت على المعابد (الباجودا) بناء على أمر من الإمبراطورة اليابانية شوتوكو؛ وهذا الكم الكبير من النسخ جاء نتيجة للدعاية الدينية البوذية. وكان تشجيع الدولة فى كوريا هو المحرك الأول لاختراع الطباعة بحروف متحركة فى أوائل القرن الخامس عشر وكان القصد منه أيضًا هو طباعة نسخ عديدة طبق

الأصل من النصوص المقدسة الكونفوشية لاستخدامها للدفاع ضد البوذية. ومن هذا التفسير ربما يكون الدافع إلى اختراع الطباعة فى أوربا بالحروف المتحركة دافعًا دينيًا.

عندما بدأ مجلس بازل (١٤٣١ ــ ١٤٤٨) برز فيه نيقولاس كيوس (كوسانوس) ــ الكاردينال فيما بعد ــ كواحد من أهم قادة حركة الإصلاح. وفى كتاب له مهدى إلى رئيس وأعضاء المجلس فى (هولى سى) وهو كتاب المعجم المتعدد De Con Cordontia Catholica عدد الرجل أسباب تفسخ الكنيسة، وغطرسة كثير من القساوسة والترف الزائد فى بعض الأديرة والتى كانت مجرد أدوات فى يد النبلاء: وقال الرجل فى كتابه أنه يجب على القساوسة أن يتحلوا بالتواضع والعلم والاستقامة. وذهب الرجل إلى أبعد من ذلك فقدم إجراءً معياريًا لصلاة الجماعة وإصلاحًا شبيهًا لكتب القداس التى اعترتها أخطاء الكتابة وتعديلات وتشويهات متعمدة تبعدها عن النص الأصلى وذلك كله بسبب النسخ وإعادة النسخ إلى ما لا نهاية والتى يمكن تجنبها واقتلاعها من خلال تحرير واستنساخ نسخ سليمة من نص جديد معيارى. ونحن لا نعرف على وجه اليقين كيف استقبلت هذه الأفكار التى قدمها كوسانوس من قبل الأعضاء الآخرين فى المجلس لأنه كان من بين طلباته الأخرى التفتيش على الأديرة والتى لم تكن استثناءً فى حركة الإصلاح. ومهما يكن من أمر فقد تركت تلك الأفكار أثرًا عميقًا ودائمًا على رجل واحد على الأقل وهو يوحنا جوتنبرج الذى سعى سعيًا حثيثًا فيما بعد إلى إنتاج كتاب قداس معيارى فى نسخ كثيرة متطابقة. ولقد قاد ذلك الأمر إلى القول بأن هذه الأفكار المشتركة تجعلنا نعتقد بأن يوحنا جوتنبرج و نيقولاس كيوس كان كل منهما يعرف الآخر.

ويرى بعض الثقات أن الاثنين ربما يكونان قد التقيا فى ماينز فى وقت سابق وترشح سنة ١٤٢٤م لذلك اللقاء وحيث كان نيقولاس كيوس يمارس عمله القانونى بعد حصوله على الدكتوراه فى القانون الكنسى من جامعة بادوا التى درس فيها. ويجب أن نأخذ فى الحسبان أن نيقولاس كرجل قانون شاب متعلم هو ومعاصره الشاب المتعلم جوتنبرج باعتبارهما من سكان مدينة صغيرة (٥٧٠٠ نسمة فقط) لابد وأن يكونا قد وطدا علاقتهما هناك.

فى خلال إقامة يوحنا جوتنبرج فى ستراسبورج ـ وهنا يجب أن نتطلع إلى الأمام قليلاً ـ كان من السهل عليه أن يجدد أية علاقة قديمة وأن يتحدث عن أمور مثل عمل نسخ منقحة متطابقة من كتاب القداس. وفى ذلك الوقت كان كاردينال المستقبل ـ نيقولاس ـ يتوقف بالضرورة ليقضى الليل فى ستراسبورج خلال رحلاته المتكررة بين روما وألمانيا. وبالتالى كانت هناك فرصة كبيرة للحوار بعد ذلك الذى تم فىماينز عندما رجع جوتنبرج إلى مسقط رأسه سنة ١٤٤٨م أو ١٤٤٩م. ومن المهم أن نعرف أن الشريف "جوهان جولدنشاف" الذى أقام نيقولاس كيوس (كوسانوس) فى منزله مؤقتًا عندما كان فى ماينز قد أقام فيها بعد مكتبًا للطبع فى كولون.

لقد كانت ماينز واحدة من القواعد الأساسية التى توقف فيها كوسانوس خلال رحلاته العديدة فى ألمانيا مبعوثًا للبابا للقيام بإصلاحات ديرية وكنسية هناك. لقد اجتمع هنا فى ماينز سبعون من رؤساء الأديرة البندكتية من دوقيات ماينز وبامبرج فى شهر مايو ١٤٥١م وأقسموا القسم فى حضوره على أن يقوموا بالإصلاحات المطلوبة فى أديرتهم وكنائسهم. وفى الفترة من ١٣ من أكتوبر وحتى ٧ من نوفمبر من نفس سنة ١٤٥١م اشترك نيقولاس كوسانوس مرة أخرى فى اجتماعات المجلس الإقليمى فى ماينز. وكجزء من تلك الإصلاحات الديرية كان لابد من النظر فى حال المكتبات ومجموعات الكتب بها لضمان أنه فى كل الأحوال أن يكون بكل دير نسخة صحيحة محررة جيدًا من الكتاب المقدس. ونعتقد أنه ليس من قبيل الصدفة أبدًا أن تتخذ فى تلك الآونة الاستعدادات لطباعة الكتاب المقدس ذى الاثنين والأربعين سطرًا، خاصة وأن الأبحاث الحديثة قد كشفت عن أن المقتنين الأول لعدة نسخ من هذا الكتاب المقدس الذى عرف باسم جوتنبرج كانت هى الأديرة التى دخلها الإصلاح وحل بها. ولذلك يرى ثقات الباحثين أن كوسانوس هو المحرك الأول وراء طبع الكتاب المقدس بلا منازع.

وأكثر من هذا فإنه خلال اجتماعات مجلس بازل أرسل كوسانوس من قبل البابا يوجينيوس الرابع سنة ١٤٣٧م إلى القسطنطينية للدعوة إلى تشكيل وفد رفيع المستوى يمثل الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية يضم الإمبراطور والبطريرك و٢٨ من كبيرى

الأساقفة لحضور ما أصبح "مجلس فلورنسا". وكان من بين هؤلاء الانسى اللامع جماع الكتب كبير الأساقفة بيزاريون النيقى (من نيقيا) الذى ارتبط معه كوسانوس بصداقة عميقة. لقد كان لزاما على أن أشير إلى تلك الرحلة الشرقية التى قام بها كوسانوس لأننى أود أن استنتج أن كوسانوس ربما يكون قد سمع أخبارًا عن اختراع الطباعة بالحروف المعدنية الذى حدث فى كوريا وقدم تلك المعلومات إلى صديقه يوحنا جوتنبرج وهو الأمر بطبيعة الحال الذى لم يتضمن أية تفاصيل فنية أو بيانات مباشرة عن كيفية إجراء هذه العملية ولكن لمجرد التأكيد على أن هذا الفن الجديد قد وجد فى مكان ما وكان له أثره الحافز على مخترع المستقبل فى هذا السياق وبعد أن أصبح كوسانوس أسقفًا لـ بريكسين جدد الرجل مجهوداته ومقترحاته لإصدار نسخة محررة ومصححة جيدًا من كتاب القداس، وذلك أمام الاجتماعات الدينية التى عقدت فى ١٤٥٣ و ١٤٥٥ و ١٤٥٧ م، وقد حمل ذلك الأمر الباحثين إلى الاعتقاد بأنه كان يحاط أولاً بأول علمًا بالتقدم الذى يحرزه جوتنبرج فى ماينز بهذا الخصوص.

ومن المحتمل أن يكون كوسانوس قد اقترح أشياء أخرى كى يقوم يوحنا جوتنبرج بطباعتها فيما بعد. ولعل انغماس الكاردينال الكبير فى سياسة الكنيسة جعلته الرجل الذى يقوم بعمل الدعاية اللازمة للحرب ضد الأتراك الذين قاموا سنة ١٤٥٣م بالاستيلاء على القسطنطينية. ونحن نعلم يقينًا أن يوحنا جوتنبرج هو الذى طبع المنشورات التى عرفت باسم "التقويم التركى"؛ "أمر بابوى ضد الأتراك" وكذلك صكوك الغفران المعروفة بعنوان "صكوك غفران لقبرص" لنفس تلك الغاية. ويرى البعض أنه حتى طباعة الكاثوليكون ــ وهو معجم لاتينى كبير مع قواعد نحو اللغة اللاتينية من إعداد جوهان بالبوس سنة ١٢٨٦م ــ كانت من اقتراح نيقولاس كيوس. وبالمناسبة فإن الكاردينال كان يقتنى نسخة من هذا المعجم ويمكن مشاهدتها الآن مع بقية كتبه فى بيرنكاسيل ــ كيوس على نهر الموسيل. وربما يكون قد حصل على ذلك الكتاب مباشرة من ماينز فقد عبر عن دهشته لرؤية فن الطباعة الجديد يدخل إلى إيطاليا.

ونصادف فى طبعة سوينهايم و بنارتز من كتاب سانت جيروم الذى ظهر سنة ١٤٧٠م

فى روما مقدمة كتبها جيوفانى أندريا دى بوسّى موجهة إلى البابا ويربط فيها بين كوسانوس ودخول الطباعة إلى إيطاليا وأنه هو الذى نقلها من ألمانيا وزرعها فى إيطاليا ننقل منها بضع جمل:

"فى عهدك ومن بين آيات الله الكريم الأخرى تلك النفحة من السعادة للعالم المسيحى، إنه بمال قليل جدًا يستطيع حتى الفقير أن يقتنى مكتبة. إنه من أمجاد قداستك أن تلك المجلدات التى كانت تباع فى الأزمنة السابقة بشق النفس بمائة قطعة ذهبية تتاح اليوم فى نسخ سليمة خالية من الأخطاء بعشرين فقط. وبسبب ذلك فإن المواهب فى الأزمنة السابقة وبسبب أيضًا الأسعار الباهظة للنساخين كانت تظل مدفونة فى التراب والدود. ولكن فى ظل سلطانكم تفجرت تلك المواهب من ينابيع غزيرة وبدأت تسقى الكوكب كله. إن ذلك العمل الفنى هو نتاج طابعينا ومصممى الحروف لدينا بحيث لا يستطيع المرء أن يسجل اختراعًا أهم للبشرية منه سواء فى الزمن القديم أو الحديث. إنه تم بفضل الهمة العالية والشرف العظيم للكاردينال نيقولاس من كيوس، كاردينال سانت بيتر فى فينكوليس. هذا الفنى المقدس الذى بدت آثاره واضحة فى ألمانيا نقله الكاردينال وزرعه فى التربة الرومانية".

ومن هذا النص ندرك بوضوح لا لبس فيه أن كوسانوس عرف أصول الطباعة فى ألمانيا ونقلها منها إلى إيطاليا لابد أيضًا وبشيء من اليقين أن يكون قد عرف مخترع الطباعة الألمانى ويقودنا ذلك إلى افتراض أن جوتنبرج لم يكن مدفوعًا إلى هذا الاختراع بمجرد طموح شخصى ورغبة فى الربح وإنما ــ بعد أن تقدم فى السن ــ بدوافع دينية أخلاقية بنفس القدر أو أكثر والتزام نحو التربية والعلم، وحسبنا أن نعرف أن نشر العلم والمعرفة لم يكن بعيدًا عن رغبة هولى سى ذلك أن الكنيسة قد أسست وجودها على التوسط بين كلمة الله المسيح والمؤمنين. وكانت هناك طوائف مسيحية مثل الأوغسطيين الهرامتة و إخوان الحياة العامة تؤمن بنشر التعليم والعلم كواجب دينى.

ويبقى فرضًا لم يتحقق حتى اليوم أن يوحنا جوتنبرج كان يعمل فى بازل فى السنوات الغامضة من حياته ١٤٢٩ ــ ١٤٣٤م ولكن الثقات يؤكدون على وجود علاقة حميمة بين

نيقولاس كيوس ويوحنا جوتنبرج. ومن السهل علينا أن نصف تلك السنين بأنها سنوات التجوال والتعلم من جانب المخترع ليوسع آفاقه وخوض غمار تجارب جديدة. ومن الصعب الاعتقاد بأن الرجل قد خلد إلى الراحة فى تلك الفترة وعاش على السناهيات التى كانت هى نفسها غير مضمونة فى تلك السنوات فى ماينز، ونعتقد أنه كان منغمسًا فى تكنولوجيا أشغال المعادن وحصَّل خبرة واسعة عميقة فى هذا المضمار على نحو ما يمكن استنتاجه مما حدث بعد ذلك فى ستراسبورج.

جوتنبرج فى ستراسبورج

الصراع حول السناهيات

وصلنا أخيرًا إلى نهاية فترة من فترات حياة جوتنبرج تعوزنا فيها الوثائق والمستندات وتشح فيها المعلومات واضطررنا فيها إلى الاعتماد على التخمينات والفروض والاحتمالات بل والإغراق فى التأملات والاستنتاجات لسد الفجوات القائمة فى بعض السنين أو حتى العقود، ومن حسن حظنا أنه وقعت لدينا ثمانى عشرة وثيقة للإحدى عشرة سنة التى قضاها جوتنبرج فى ستراسبورج ومن بين تلك الوثائق دعوى قضائية مفصلة. ورغم أن وثائق ستراسبورج تتعلق بالضرائب والحياة اليومية للرجل إلا أنها مع ذلك ممتعة وشيقة وبها الكثير من الأسرار.

ولكن لماذا اختار يوحنا جوتنبرج مدينة ستراسبورج بالذات كى يتخذ منها مركزًا لنشاطاته؟ لقد كانت هذه المدينة مركزًا هامًا ومدينة من مدن النشاط العظيم فى منتصف القرن الخامس عشر؛ وكانت بسكانها البالغين نحو ٢٥٠٠٠ نسمة أكبر خامس مدينة فى المملكة الألمانية بعد كولون و فيينا و نورمبرج و لوبيك. وقد كتب إنيا سيلفيو بتشولومينى (البابا بيوس الثانى فيما بعد) صديق نيقولاس كيوس بعد زيارة لهذه المدينة فى ثلاثينات القرن الخامس عشر "تشبه ستراسبورج بقنواتها الكثيرة مدينة فينسيا (البندقية) فيما عدا أن مياهها الجارية أكثر روعة من مياه فينسيا المالحة الضحلة كريهة الرائحة الراكدة. وتزخر المدينة بقصور للعظماء والقساوسة تصلح لسكنى الأمراء".

ولم تكن ستراسبورج تقع على نهر الراين مباشرة فى ذلك الوقت: وعلى الرغم من أن حدودها كانت تقترب من الذراع الغربى للنهر إلا أنها فى حقيقة الأمر كانت معزولة عن سهل الراين بجزيرة شكلها فرعا نهر إل. وفى قلب هذا الشكل البيضاوى الذى صنعه النهر على أيام جوتنبرج ارتفعت الكاتدرائية إلى عنان السماء. تلك الكنيسة الضخمة بطرقاتها التى ترتفع بارتفاع قاعة الصلاة الرئيسية ظلت تحت الإنشاء لعدة قرون حيث بدأ بناء تلك الكاتدرائية سنة ١٢٧٦م بالواجهة الغربية على يد بيت الخبرة إيروين فون شتاينباخ؛ وهو إلى الوقت الذى وصل فيه جوتنبرج إلى ستراسبورج كان البرجان الشماليان قد تم الانتهاء منهما بارتفاع ٤٦٥ قدمًا تحت إشراف رئيس البنائين المدعو هانز هولتز من كولون.

لقد كان مقر كبير البنائين أو المهندس المعمارى بمعنى أدق فى "بيت سيدتنا للأشغال" على نهر دومبلاتز ــ هنا وفى ساحة واسعة جدًا تصلح لنحت التماثيل، تم نحتها للكاتدرائية على يد النحاتين ومشكلى الحجارة. وكانت الورش التى تعمل لصالح الكاتدرائية فى ستراسبورج هى الأكبر والأكثر عددًا فى بابها فى كل جنوب غربى ألمانيا ويمكن تلمس أثرها حتى الآن فى بعض المدن الأخرى: لقد تم هنا فى هذا المكان قطع الرخام الذى كسيت به أقواس ومقرنصات الكاتدرائية الموجودة فى المدخل الرئيسى وكذلك شباك "وردة الغرب" ذلك الرمز الفنى العائد إلى عقيدة العصور الوسطى ما يزال حتى اليوم يشدنا إليه.

ولقد مرت ستراسبورج بأحداث عنف حديثة مثل تلك التى شهدتها مدينة ماينز. وبعد ثورة داخلية ضد الأشراف حصلت النقابات على حق الاشتراك فى مجلس المدينة سنة ١٣٣٢م ثم السيطرة عليه بعد فترة قصيرة، وإن بقيت إدارة الدوقية والمناصب الرسمية فى أيدى الأرستقراطية. هذا ولقد أغلقت الأديرة على الطبقات الوسطى الدنيا. وعلى العكس من ماينز التى كانت الأديرة خارج سور المدينة. وحالما استطاعت المدينة استرداد منصب الأسقف ــ بعد أن تمت تسوية أوضاع المدينة كمدينة إمبراطورية حرة ــ حرم آباء الكنائس فى المدينة بناء الأديرة فى المناطق الحضرية. وفى سنة ١٣٩٠ وضعت

المدينة تحت الحماية الإمبراطورية بعدما نجحت فى صد الحصار الذى فرضه عليها الملك الألماني وحيث تحالف الأسقف وجميع أشراف المدينة ضد الأعداء واتفقوا جميعًا على أن يؤسسوا مدينة جمهورية صغيرة ذات استقلال وكبرياء قادرة على استيعاب وامتصاص القرى المحيطة بها تحت سلطانها، واستطاعت أن تقوى تجارتها مع المنطقة حتى يمين الراين. ولأنها اتحدت مع رابطة سوابيا فقد تمكنت ستراسبورج من تكوين مجتمع مستقر غنى تعايشت فيه كل الطبقات الاجتماعية جنبًا إلى جنب وغدت مكانًا يستحق أن يعاش فيه بهدوء واطمئنان. وغدا الكرم والمطبخ وحسن الضيافة والأنبذه الإلزاسية ذات شهرة عالمية.

والحقيقة أنه ليست لدينا أسباب أو دوافع مباشرة تجعل يوحنا جوتنبرج يختار العيش فى ستراسبورج منذ ١٤٣٤ فصاعدًا؛ ويتصور بعض باحثى جوتنبرج أنه ربما يكون له أقارب هناك من جهة أمه. وكان أخوه فى تلك الفترة ما يزال يسحب سناهية هناك فى ستراسبورج حسب وثائق سنة ١٤٣٣م. وفى نفس هذه السنة توفيت أمهم فى ماينز؛ وإحدى وثائق ماينز فى تلك السنة عبارة عن مذكرة بتقسيم عزبتها: "سنة ١٤٣٣ بعد الميلاد فى يوم الأحد عيد فنكولابترى [٢ أغسطس] قام كلاوس فيتزثوم و إلزه، زوجته بتقاسم مع الأخوين فرايل وحنا جنزفلايش كل الممتلكات التى خلفتها المرحومة زوجة أبيهم وأمهم إلزه". وقد شهد على الوصية جوهان ليهيماير (قاضى البلدية وزوج عمة جوتنبرج) و رودلف همبريخت و راينهارد وايدنهوف و بيتر جيلثوس. ومن غير المحتمل أن يكون يوحنا قد ارتحل إلى ماينز لحضور جنازة أمه أو حضور جلسة اقتسام عزبتها؛ ولو كان الرجل فى تلك السنة فى بازل أو ستراسبورج لوصلته فى الوقت المناسب رسالة تحمل تلك الأنباء الحزينة.

لقد حدا نصيبه من إرث أمه بأخيه الأكبر فرايل أن يترك منصبه باعتباره أحد العمد الثلاثة فى ماينز وينسحب إلى إلتفيل، ومن السهل علينا بناء على ذلك أن نفترض أن العزبة كلها على نهر رنجاور قد آلت إليه طالما أن أختهما إلزه وزوجها كلاوس فيتزثوم قد تنازلا عن نصيبهما لآل جوتنبرج؛ وربما يكون حنا باعتباره شريكًا مساويًا لأخيه قد

حصل على حقه على شكل سناهيات. وربما يكون قد أخذ سناهية فرايبل المذكورة سابقًا والتى قيمتها ٢٦ دينار ستراسبورجى كتعويض عادل عن نصيبه فى العزبة وربما تكون تلك السناهية هى السبب القوى التى سهلت له الإقامة فى ستراسبورج.

وأول وثيقة تقدم لنا معلومات عن يوحنا جوتنبرج فى ستراسبورج وثيقة شخصية وتعلن بوضوح وصراحة عن وجوده فى ستراسبورج يسير نصها على النحو الآتى:

"أنا يوحنا جنزفلايش الأصغر المدعو جوتنبرج أعلن بواسطة هذه الوثيقة: طالما أن العمد الشرفاء الحكماء والمجلس الموقر فى مدينة ماينز تفضلوا مشكورين بمنحى سنويًا بعض الفوائد والسناهيات الثابتة طبقًا لما نصت عليه الوثائق المختومة التى صدرت لى منهم مع الأخذ فى الاعتبار أننى يمكن أن أقاضيهم وأسجنهم وأصادر ممتلكاتهم إذا لم يدفعوا لى... ولهذا فإننى وبسبب الحاجة الملحة أرفع الأمر القضائى على نيكلاوس فورستادت كاتب مدينة ماينز الذى أقسم أن يدفع ٣١٠ جولدن راينى مستحقة لى ولابن عمى أوت جيلثوس فى بيته "زوم لامبارتن" فى أوبنهايم المجاور لـ ينتكوست. وأنا أعلن أيضًا من خلال هذه الوثيقة أن العمدة ومجلس مدينة ستراسبورج قد حثونى من أجل خاطرهم أن أطلق سراح نيكلاوس المذكور كاتب المدينة من القبض عليه وسجنه وأن أعفيه من المسئولية الشخصية عن الـ ٣١٠ جولدن التى وعد بها بالكيفية السابقة. تحررت فى يوم الأحد الأول يوم عيد سانت جريجورى [١٤ مارس] ١٤٣٤ بعد الميلاد".

وتشير الأحداث إلى أن جوتنبرج دافع عن نفسه جيدًا وبقوة وكسب حقوقه ونتج عن ذلك أيضًا أن قذف فى سجن الدائنين بكاتب ماينز المدنى. وبدهاء شديد ودبلوماسية تجنب جوتنبرج دفع الأمور إلى أبعد الحدود وأطلق سراح السجين مرة ثانية بناء على طلب سلطات ستراسبورج وبعض أصدقائه بمجرد أن أقسم السجين على أن يفى بالدين إلى جوتنبرج. وعلى أية حال فقد كان نيكلاوس فون فورستادت قائدًا هامًا فى جانب النقابات؛ ومن هنا يكون جوتنبرج قد ضرب أحد خصومه السياسيين وظهر أمام الجميع

أنه غصن زيتون. وتؤكد مصادر ماينز أن السناهيات المستحقة وكذلك الفوائد المتراكمة عليها قد دفعت إليه بالكامل ومن ثم فقد تمكن جوتنبرج من الحصول على رأسمال بمبلغ محترم. ومن المدهش أنه بعد هذا كله ظل على علاقة طيبة مع سلطات ستراسبورج؛ ولما كان ثلثا أعضاء مجلس ستراسبورج يمثلون النقابات ومن ثم كانوا حلفاء سياسيين للمدعو نيكلاوس فون فورستادت، فلابد أن يكون جوتنبرج قد غدا معروفًا مشهورًا فى ستراسبورج مع ربيع ١٤٣٤م مما يشى بأنه قد عاش هناك فترة معقولة من الوقت أو أنه كانت له علاقات طيبة مع مجتمع ستراسبورج من خلال أقاربه أو أصدقائه.

وبعد عدة أسابيع من تلك الواقعة حررت مذكرة أخرى فى ماينز تتعلق كذلك بوثائق مالية نقتطف منها:

"بند: تم التوصل إلى اتفاق مع هنجن جوتنبرج ابن المرحوم فرايبل جنزفلايش بخصوص الـ ١٤ جولدن المسجلة لأخيه فرايبل المقيم فى إلتفيل والتى أصبحت من نصيب المذكور بعاليه هنجن. وهكذا فإنه من الآن فصاعدًا سوف يمنح هذا الـ هنجن جوتنبرج كل سنة مادام حيا ١٢ جولدن يدفع نصفها فى يوم عيد سانت كاترين، ونصفها يوم عيد سانت أوربان. أُرِّخ فى [٣٠ مايو] ١٤٣٤ بعد الميلاد".

وفيما يبدو كانت هناك سناهية أخرى حصل عليها هنجن من أخيه ربما لمعادلة إرثهما وربما كان الفرق بين الـ ١٤ جولدن التى كانت تدفع للأخ الأكبر والـ ١٢ جولدن التى تدفع للأخ الأصغر عائدًا للفرق فى السن وتوقعات العمر الذى سيعيشه كل منهما.

ويؤكد السجل التالى الموجود فى أرشيف مدينة ماينز بأن الحجز المؤقت لكاتب المدينة نيكلاوس فون فورستادت أثبت فاعليته وتم دفع السناهيات والفوائد بصورة منتظمة إلى يوحنا جوتنبرج:

"بند: حصل هنجن جوتنبرج [أثناء انعقاد] سوق فرانكفورت فى عيد الفصح الماضى على كل السناهيات المستحقة له وقدرها ٣٥ جولدن ذهب. وقد تسلمها عنه كلاوس فيتزثوم الذى حرر وصلاً بذلك ـــ ١٤٣٦ بعد الميلاد".

وفى مدخل آخر فى سجلات حسابات مدينة ماينز نجد أن يوحنا جوتنبرج كان يحصل على مبلغ ١٦ شلنا كل ١٤ يومًا ناتجة عن سناهية قدمها له زوج عمته ليهيماير.

هل كان يوحنا جوتنبرج متزوجًا؟

طلع علينا ج. د. شو بلفلين مؤرخ وباحث ستراسبورج فى القرن الثامن عشر بمذكرة توضيحية تؤكد أن دعوى قضائية رفعت ضد يوحنا جوتنبرج لأنه نقض وعدا بالزواج من فتاة وعدها به. وقد رفعت الدعوى أمام محكمة كنسية أقامتها عليه المدعوة إلوييبل زور يسيرين تور وابنتها المدعوة إنيلين. وتكشف الوثائق أنه فعلاً كانت هناك فتاة بهذا الاسم إنيلين وبهذه الصفة وكان بيت أسلافها هو المنزل رقم ٢٤ فى ستاديلجاس. وهناك وثيقة ما تزال محفوظة فى أرشيف مدينة ستراسبورج تقول: "بند: إلوييبل زور يسيرين تور وإنيل إبنتها من فاينهارك" تؤكد أنهما كانا من بين المساهمين فى ميزانية الدفاع ضد غزو الأرماناك. وهناك سجل آخر بتبرعين قدمتها إنيلين زور يسيرين تور للمساهمة فى ميزانية بناء كاتدرائية.

ويرى بعض الباحثين أنه باستثناء الوثيقة الوحيدة التى تتضمن الدعوى المذكورة فليس لدينا نصوص أو وقائع تؤكد ما تضمنته تلك الوثيقة اليتيمة أوتتابع ما جاء فيها وإن أثبتت وثائق أخرى وجود المدعوة إنيلين زور يسيرين تور موضوع الوثيقة الوحيدة.

ولكننا نصادف معلومة يسيرة تفجر قنبلة؛ هذه المعلومة وردت فى سجل ضرائب "هيلبلنج" [هيلبلنج تعنى نصف فينج قية الضريبة المفروضة على معيار معين من النبيذ]. فى هذا السجل نجد قائمة بأسماء أعضاء فروع الطوائف الدينية والأديرة النسائية عن سنة ١٤٤٢م ويظهر من بين تلك الأسماء: "إيبى: الذى يخدم بمفرده [أى لا ينتمى لطائفة دينية من أى نوع] إنيل جوتنبرج" فهل هذا الاسم هو نفسه إنيلين زور يسيرين تور التى قامت أمها برفع دعوى ضد جوتنبرج؟ وهل أصبحت زوجة شرعية له فى ذلك الوقت ومن ثم حملت اسمه وبعد ذلك انفصلت عنه وعاشت بعيدة عنه؟ ولماذا ظهر اسمها فى ملف خاص بالأديرة والكونفتات فى نفس الوقت الذى كانت تتبرع فيه لمناهضة الغزو

الذى قام به الأرماناك؟ هل كان الأمر مجرد تشابه فى الأسماء وأنها كانت شخصية أخرى مختلفة عن تلك التى وعدها بالزواج وأخلف.. إن كل شىء محتمل على نحو ما تشى به بعض المصادر حيث ذكرت أن إنيل جوتنبرج كانت "بجوين" أى عضوة فى جماعة رهبنة وضعية لا تنتمى لطائفة معينة وكانت تضطهدها الكنيسة بين حين وآخر بتهمة الهرطقة.

لقد نسج إنتاج فكرى أدبى غزير حول هذه العلاقة المزعومة بين جوتنبرج و إنيلين واشتهر كثير من تلك القطع الأدبية بسبب ما اعتراها من جموح الخيال والعاطفة أكثر مما اعتراها من حبكة وقيمة أدبية.

معظم الباحثين فى جوتنبرج يعتقدون أن الدعوى التى رفعت أمام المحكمة الكنسية ربما تكون قد رفضت؛ ويرون أن تعمق جوتنبرج معرفة إنيلين جعله يكتشف سببًا له وزنه منعه من إتمام زفافه إلى تلك الشابة الجميلة من ستراسبورج. وهناك من الباحثين من ستراسبورج من لا يوافق على أن جوتنبرج رفض إتمام الزواج من إنيلين. أمام المحكمة الكنسية تقدم صانع الأحذية (الشاهد) كلاوس شوت وأعطى قرينة على الوعد الذى قطعه جوتنبرج للفتاة ولكن جوتنبرج رفضه ونقضه وقال إن هذا الشاهد مجهول نكرة بائس حقير يعيش على قول الزور والغش والكذب. ولم يغفر كلاوس شوت الذى كان معروفًا بين مواطنيه أيضًا باسم شوتين لوويل لـ جوتنبرج تلك اللهجة الاستنكارية التى تحط من قدره ومكانته واتخذ إجراءات رسمية ضد جوتنبرج أمام مجلس مدينة ستراسبورج ولكن مجلس المدينة قرر إحالة هذه الشكوى إلى محكمة الكنيسة التى رفعت أمامها الدعوى الرسمية الأصلية (الخلف فى الوعد). وأخيرًا وبعد تأخير طويل مكلف وضعت القضية أمام قاضى مدنى حكم على جوتنبرج بأن يدفع تعويضًا إلى شوتين قدره ١٥ جولدن رينية حتى يفصل فى القضية الرئيسية المعلقة فى المحكمة الكنسية بين جوتنبرج و إلوييل.

وللأسف الشديد لم تصلنا حتى اليوم أية معلومات عن الأحكام التى صدرت فى قضية شوتين ضد جوتنبرج أو إلوييل ضد جوتنبرج بخلاف الـ ١٥ جولدن التى دفعها جوتنبرج إلى شوتين كتعويض عن القذف والسب؛ ولم نسمع أى شىء عن زواج

جوتنبرج من إنيلين. ولم يلق اختصام شوتين وجوتنبرج أى ضوء جديد على العلاقة بين جوتنبرج وإنيلين.

ويمكننا مطمئنين القول بأن جوتنبرج لم يكن كارها لإقامته فى ستراسبورج ولم يكن يعزف عن كأس نبيذ طيبة فى أيامه فى تلك المدينة. والنص الآتى من سجل الـ "هلبلنج" الخاص بالضرائب على الأنبذة سابق الذكر قبل تدميره للأسف الشديد:

"بند: جوتنبرج فودر ونصف فودر وستة أوهمات عن نبيذ مخزون بالمخازن".

"بند: تمت تسوية حساباته يوم الخميس قبل يوم عيد سانت مارجريت [٩ يولية] سنة ١٤٣٩. وما يزال مدينا بـ ١٢ فنيج وعندما يسددها يكون قد دفع حتى يوم عيد سانت جون [٢٤ يونية ١٤٣٩] أخيرًا سولتيس".

"بند: سدد فى نفس اليوم ١٢ فنيج [أى يوم ٩ يولية ١٤٣٩م]".

وإنه ليمس قلوبنا ويثير شجننا أن يوحنا جوتنبرج كان يعوزه المال الذى يسدد به ضرائب النبيذ وأنه اضطر إلى العودة إلى المنزل لكى يحضر أو يستدين المبلغ الذى يكمل به ما عليه من ضرائب فى نفس ذلك اليوم حتى تتم تسوية ضرائبه وعلى الرغم من أن مثل تلك التفاصيل قد تكون قليلة الأهمية فى بحث علمى مثل هذا البحث الذى بين أيدينا الذى يتطلب التركيز على الوقائع الأساسية ولكن عندما نعلم أن جوتنبرج فى ضاحية آرجوباست كانت لديه ٢٠٠٠ لتر من النبيذ موضوعة فى مخازنه سنة ١٤٣٩م وأن الضرائب كانت تفرض فقط على النبيذ المعتق المخزون وليس الجارى رهن التعاطى فإن من السهل استنتاج أن جوتنبرج كان كثير الترفيه والترويح ويقيم الحفلات وأن ضيوفه لابد وأن تكون روحهم المعنوية مرتفعة عالية.

المرايا المقدسة لحجاج آخن

ماذا كان يعمل جوتنبرج خلال إقامته فى ستراسبورج فمن خلال المصادر نعلم أنه كان له عنوان فى تلك المدينة فى ضاحية سانت آرجوباست، ربما كان منزلاً صغيرًا مؤجرًا

عاش فيه جوتنبرج مع خادمه لورنز بيلديك وزوجته فراو بيلديك التى كانت تدبر المنزل وتطبخ للرجلين.

وتشير المصادر أنه منذ ١٤٣٧م فصاعدًا كان يعلِّم المواطن الثرى أندرياس دريتزن فن قطع وصقل وتلميع الأحجار الكريمة، كما مارس هو العمل بنفسه من أجل الحصول على المال. ويكشف هذا الأمر عن أنه كانت لديه معرفة بأمور يرغب الآخرون فى تعلمها منه. وفى بداية سنة ١٤٣٨م دخل جوتنبرج فى مشروع استثمارى مع هانز ريف حاكم محمية ستراسبورج فى ليختناو على الصفة اليمنى من نهر الراين. وبعد فترة دخل معهما فى المشروع مواطنا ستراسبورج المتميزين اندرياس دريتزن سابق الذكر و أندرياس هيلمان. وكان ذلك المشروع يهدف إلى تصنيع مرايا لبيعها للحجاج الذين يحجون إلى آخن لمشاهدة الآثار المقدسة ومتعلقات القديسين فى مدينة آخن التى تتاح للحجاج فقط كل سبع سنوات. ولم تكن تلك المرايا يقصد بها أن تكون هدايا تذكارية لزوار الآثار المقدسة وقدس الأقداس؛ ولكن لإقناع الحجاج بأن تلك المرايا تحتفظ بقوة المعجزات الموجودة فى تلك الآثار والمتعلقات المقدسة وتجلب لهم الحظ ويأخذون تلك القوة معهم عندما يرجعون إلى ديارهم. وكان تلك المرايا المحدبة تثبت فى إطار معدنى بحيث تحمل وتوجه نحو الأثر المقدسى حتى تمتص أشعته المفيدة. وكان من الاعتقادات السائدة بين الحجاج أن تلك المرايا إذا ما عرضت نحو الأثر المقدس وامتصت أشعته فإنها يجب أن تغطى فى رحلة العودة ولا تعرى إلا إذا كانت هناك حاجة إليها فى تطبيب مريض حبيب عزيز أو علاج بقرة متوعكة. وتكشف المخطوطات المصورة الباكرة وصور الكتل الخشبية الخاصة بالحج إلى آخن عن أسقف يعرض الملابس المقدسة للسيدة مريم العذراء المباركة. والتى عادة ما تكون آخر العروض المقدسة وتختمها فى آخن ـ وذلك من شرفة (بلكونة) الكنيسة على الجموع المحتشدة تحت الشرفة والتى ترفع ـ عشرات الآلاف من المرايا عاليًا حتى تمتص أشعة تلك الملابس المقدسة وتستقطب عناصرها العلاجية.

وعندما يذكر أن تلك الملابس تخص أم السيد المسيح فإن الناس يكونون على استعداد لفعل أى شىء لامتصاص بركتها. وبعد عرض ملابس السيدة العذراء يتم عرض

ملابس قماط المسيح وهو طفل ثم ملابس الأسد المسيح المصلوب وبعدها القماش الذى لف فيه رأس يوحنا المعمدان المقطوع. وهؤلاء المحظوظون الذين يمكنهم التقاط نظرة إلى تلك الآثار والمتعلقات المقدسة يكتسبون مناعة دائمة ضد كثير من الأمراض.

وتؤكد المصادر على أن ضغط الجموع الحاشدة أثناء عرض تلك المتعلقات كان شديدًا لدرجة أنه يتم إغلاق أبواب المدينة لعدة أيام. وكان من الضرورى عرض تلك الآثار والمتعلقات على مساحة طويلة ومدى واسع ولذلك كان أساقفة الكاتدرائية وكهنتها يقفون على منصة عرض طويلة بين أبراج الكاتدرائية ويمسكون بالملابس عاليا حتى تتمكن الجموع من مشاهدتها. وكان هنالك منادٍ أو معلق يعلن بصوت عالٍ عن قيمة كل أثر وأهميته. وكان الناس يتدافعون فى الحارات والشوارع أو يتدلون من النوافذ أو يتسلقون التلال الخفيضة المحيطة بالمدينة وتطل عليها. وكان كل منهم تقريبًا يحمل مرآته التى يوجهها صوب أبراج الكاتدرائية علها تلتقط كمية كافية من الإشعاعات المقدسة.

لقد كان إنتاج تلك المرايا عملاً مربحًا بكل المعايير للصاغة الموجودين فى آخن ولكنهم وحدهم لم يكونوا قادرين على سد الاحتياجات العملاقة لدى الحجاج. وربما لهذا السبب كان الامتيازات التقليدية لنقابات آخن تعلق بين عيد الفصح وعيد سانت رميجيوس (الأول من أكتوبر) فى السنوات التى كانت تعرض فيها الآثار والمتعلقات المقدسة على الحجاج. ولذلك يرى بعض المؤرخين أنها كانت مغامرة أو مخاطرة من جانب يوحنا جوتنبرج وأصدقائه فى ستراسبورج أن يقوموا بإنتاج المرايا المقدسة بتلك الكميات الضخمة. ورغم عشرات الآلاف من المرايا المقدسة فإنه لم تصلنا منها مرآة واحدة وربما كان ذلك لأنها ممتلكات شخصية مقدسة لا يمكن التفريط فيها وكانت الأجيال تتوارثها ولكن يعزينا عن ذلك بعض القطع الفنية والصور وكتل الخشب التى وصلتنا وتكشف لنا عما كانت عليه تلك المرايا.

كان حجم المرآة المقدسة حوالى أربع بوصات طولاً فى بوصتين ونصف عرضًا وتوضع فى إطار من الرصاص والصفيح وكان تصميم تلك المرايا عبارة عن ثلاث حلقات تثبت

معًا. الحلقة السفلى كانت عبارة عن صبة تمثل صورة مادونا (السيدة مريم العذراء) والطفل؛ وعلى جانبى الرسم البارز هذا تظهر صور إكليرى وبين الاثنين تظهر فى خلفية الشخصين الرئيسيين (مادونا و الطفل) صورة أثر من الآثار. وفى الحلقة العليا متوسطة الحجم يظهر وجه المسيح المصلوب من خلال هالة. وبين الحلقة السفلى الكبيرة والحلقة العليا المتوسطة نجد إطارًا مستديرًا قطره نحو ثلاثة أرباع البوصة وحوله تمتد ألسن معدنية تنحنى إلى الأمام قليلاً لتثبت مرآة محدبة فى هذا الإطار. هذه الصبات الشبكية الهشة لم تعش إلا من خلال عادة لحمها فوق نواقيس الكنائس.

لقد كان هذا المشروع المشترك غير العادى ذا أهداف إنتاجية بحتة أقيم تحت قيادة يوحنا جوتنبرج فى ستراسبورج، ذلك أن هانز ريف الذى قدم الجزء الأكبر من رأس مال المشروع لم يشارك مشاركة عملية فيه، فى الوقت الذى قدم كل من أندرياس دريتزن و أندرياس هيلمان جهدًا عمليًا إلى جانب رأس المال. وكانت العائدات من المشروع تقسم على أساس أن يحصل جوتنبرج باعتباره صاحب الفكرة وتكنولوجيا العمل على النصف، فى حين يتقاضى هانز ريف الربع ويتقاضى كل أندرياس الثمن أى أنهما معا يحصلان على الربع. وتشير المصادر إلى أن كلاً منهم أصبح ثريا فى بحر عام واحد من العمل لأن المرآة الواحدة كانت تباع بنصف جولدن؛ وبما أن عدد المرايا التى أنتجت قدر بنحو ٣٢٠٠٠ مرآة قيمتها ١٦٠٠٠ جولدن توزع على أساس ٢٠٠٠ جولدن لكل أندرياس و ٤٠٠٠ للمدعو هانز ريف و ٨٠٠٠ للمخترع المبدع يوحنا جوتنبرج وكان هؤلاء الأربعة فى حالة نشوة بسبب توقعاتهم المفرطة فى التفاؤل.

لقد سبق الرجال الأربعة موسم الحج بعام كامل وكان عليهم أن يخزنوا المرايا لمدة عام كامل ١٤٤٠م حتى يتقاطر الحجاج وربما تكون المرايا قد خزنت فى بيت أنطون شقيق أندرياس هيلمان (وكان شماسا فى كنيسة سانت بيتر الجديدة أو فى بيت هانز ريف فى المدينة، وربما فى بيت جوتنبرج نفسه فى آرجو باست). ويرى البعض أنهم قسموا المرايا بينهم على حسب أنصبتهم فى الأرباح ومن هنا يكون رأس المال قد عطل والأرباح قد أجلت لمدة عام كامل أى حتى سنة ١٤٤٠م. وماذا فعل الشركاء فى تلك السنة هل بدأوا مشروعًا آخر يدر عليهم ربحًا؟

ترى بعض المصادر أن يوحنا جوتنبرج قد بدأ مشروعًا آخر جديدًا فرض عليه نوعًا من السرية وما يزال سرًا حتى الآن. وكان كل أندرياس تواقًا لكى يتعلم من يوحنا تلك الفنون السرية وكانا على استعداد لأن يدفعا مبالغ من المال لتعلم تلك الفنون إلى جانب تقديم المساعدة العملية فى هذا الصدد. لقد بنى صانع الصديريات ساسباخ طابعة. وكلف الصائغ هانز دون بحفر القوالب وتم شراء المعدن بكميات كبيرة. ولقد احتاج جوتنبرج إلى المال اللازم لكل ذلك وكان بالضرورة يترقب سنة ١٤٤٠م، حالما ينتهى موسم الحج من آخن وتمتلئ خزانته بالمال من جديد ساعتها سوف يكلل مشروعة الجديد "المغامرة والفن" بالنجاح.

ولكن حدث شىء لم يكن متوقعًا على الإطلاق ألا وهو حدوث "الموت الأسود" ذلك الوباء الذى اجتاح العالم المسيحى من القسطنطينية التى انطلق منها حتى فينسيا ووادى الراين الأعلى وفى اليوم الثانى من الكريسماس (فى يوم عيد سانت ستيفن) سنة ١٤٣٨م توفى اندرياس دريتزن. وقد اقترح أخوه جورج دريتزن أن يحل هو وأخوه الثانى كلاوس محله فى المشروع ولأن جوتنبرج كان شديد الحرص على سرية العمل فقد رفض اقتراح جورج دريتزن؛ ومن هنا لجأ جورج ورفع قضية مدنية ضد جوتنبرج فى محكمة ستراسبورج.

وثائق قضية ستراسبورج

يحتفظ لنا أحد بروتوكولات المجلس الكبير لـ ستراسبورج بقضية جورج دريتزن شقيق أندرياس ضد يوحنا جوتنبرج. وكان أندرياس دريتزن شريكًا لـ جوتنبرج وتوفى فى وباء الطاعون وأراد جورج أن يحل محله ولكن يوحنا رفض لأسباب سرية العمل. ولعل ما يهمنا هنا فى المقام الأول قبل الدخول فى تفاصيل المحاكمة ومدى حقوق جورج دريتزن التفاصيل المقصودة بعبارة "المغامرة والفن" و "الشغل" أساس تلك القضية لأن الإجابة على تلك التساؤلات تقودنا مباشرة إلى ما إذا كان يوحنا جوتنبرج قد بدأ اختراعه بالفعل فى ستراسبورج وأخذ فى تجريبه هناك وبالتالى تحتاج النظرية التى تقول بأن جوتنبرج قد اخترع الطباعة فى ماينز إلى إعادة نظر ومراجعة. ولكى أضع القارئ فى قلب

الصورة التى وقعت خلال المحاكمة فسوف أحاول جاهدًا نقل كل القرائن التى وصلتنا هنا فى هذا البحث؛ ولم أحذف منها إلا الفقرات التى تخرج عن صلب القضية المحورية ولقد حاولت جاهدًا تبسيط اللهجة الألمانية التى تكلمها أهل الألزاس فى العصور الوسطى مع الحفاظ قدر الإمكان على ألوانها وخصائصها.

تبدأ المخطوطة بقرينة شهود الادعاء وبعدها تأتى قرينة شهود الدفاع. وبعد ذلك كله فى الختام يأتى حكم المجلس الكبير. وللمساعدة على تتبع الوقائع بسهولة تم ترقيم الشهود:

الشاهد رقم ١: بند ــ باربيل فون زابيون قالت أنها ذات ليلة تناقشت مع أندرياس دريتزن وسألته "ألن تذهب إلى الفراش اليوم؟" فأجابها "أريد أن أنهى هذا اليوم" فقالت الشاهدة ساعتئذٍ "ولكن فليساعدنى الله، كم من المال تنفق؟ لابد أن تكون قد صرفت عشرة جولدن حتى الآن". وأجابها مرة ثانية وقال "إنك غبية إذا اعتقدت أنها كلفتنى عشرة جولدن فقط، اسمعى لو حصلت على هذا الشىء الذى كلفنى ما يربو على ٣٠ جولدن نقدًا فسوف تحصلين على ما يكفيك بقية حياتك؛ ولو كلفتنى ما يقل عن٥٠٠ جولدن فهو مبلغ غير قليل قد يضطرنى إلى رهن ممتلكاتى وميراثى ولكن الشاهدة أجابت "بالله عليك إذا لم ينجح ما تقوم به فماذا تفعل ساعتها" فأجابها "لا يمكن أن يفشل أى شىء وقبل مرور سنة نكون قد استرددنا رأسمالنا وسوف نسعد جميعًا".

الشاهد رقم ٢: بند ــ السيدة إنيل، زوجة هانز شولثيس تاجر الخشب، قالت إنه ذات مرة جاء لورنز بيلديك إلى منزلها لمقابلة ابن عمها كلاوس دريتزن وقال له "عزيزى كلاوس دريتزن إن اسطاى يوحنا جوتنبرج طلب إلى أن أبلغك أن المرحوم أندرياس قد ترك أربع قطع راقدة فى الطابعة وهو يطلب منك أن تخرج هذه من الطابعة وتبعدها بعيدًا ومن ثم لا يعرف أحد ما هى لأنه لا يريد لأحد أن يراها قط.

الشاهد رقم ٣: بند ــ هانز سايدنجر شهد بأن المرحوم أندرياس قال له إنه يحتاج إلى مبلغ كبير من المال ينفقه فى العمل المشترك.

الشاهد رقم ٤: بند ــ هانز شولثيس قال أن لورنز بيلديك حضر إلى منزله ذات يوم ليقابل كلاوس دريتزن بعد وفاة شقيق هذا الأخير وطلب إليه نيابة عن يوحنا جوتنبرج إخراج ما فى الطابعة ويبعدها بعيدًا؛ وطبقًا لذلك ذهب كلاوس دريتزن إلى الطابعة ويحث عن القطع ولكنه لم يجد شيئًا. ونفس هذا الشاهد قد سمع أندرياس دريتزن يقول أن العمل كلفه أكثر من ٣٠٠ جولدن.

الشاهد رقم ٥: بند ــ كونراد ساسباخ قال أنه ذات مرة جاءه أندرياس هيلمان فى كريمرجاسه وقال له " عزيزى كونراد لقد عملت الطابعة وتعرف كل شىء، ومن ثم اذهب إلى هناك وأخرج القطع من الطابعة وأفصلها وبالتالى لا يستطيع أحد أن يعرف ما هى. وعندما ذهب الشاهد مع هيلمان للبحث ــ وكان ذلك فى اليوم الأخير لعيد سانت ستيفن ــ كان كل شىء قد ذهب. وأكد الشاهد أن المرحوم أندرياس قد اقترض منه مالاً من أجل العمل.

الشاهد رقم ٦: بند ــ فيرنر سمالريم قرر أنه باع لهم ثلاث أو أربع مرات. ومن بينها صفقة بـ ١١٣ جولدن وكان على أندرياس دريتزن أن يسدد له المال كله. وكان المال فى منزل أنطون هيلمان. وقد توفر فرايديل فون سيكنجن على دفع الميزانية.

الشاهد رقم ٧: بند ــ ميدهارد ستوكر قال: وقع المرحوم أندرياس دريتزن مريضًا فى يوم عيد سانت جون فى الكريسماس وقد وضع على فراش فى غرفة لهذا الشاهد الذى ذهب إليه وسأله "كيف حالك يا أندرياس؟" فأجابه "أنا أعرف حقيقة أننى مريض مرضًا قاتلاً، ولو كنت أعرف أننى سأموت ما كنت التحقت بتلك الجمعية أبدًا لأننى أعرف أن أخوتى لن يصلوا إلى اتفاق مع جوتنبرج على الإطلاق" وسأله الشاهد عن المدة التى انقضت على هذه الشراكة حيث أنه كان يعلم أن أندرياس هيلمان و هانز ريف و جوتنبرج وهو قد دخلوا فى شركة حيث دفع أندرياس هيلمان و هو (أندرياس دريتزن) قد دفع كل منهما ٨٠ جولدن. وبعد فترة ذهب أندرياس هيلمان معه هو إلى جوتنبرج فى سانت آرجوباس حيث علموا أن جوتنبرج كان يخفى فنًا آخر عنهما. ومن هنا كونوا

شراكة جديدة وافق كل من هيلمان و دريتزن على دفع مبالغ إضافية على الـ ٨٠ جولدن الأولى بحيث يصل مساهمتهما إلى ٥٠٠ جولدن وبنفس الطريقة كان على جوتنبرج و هانز ريف أن يدفع كل منهما على حدة مبلغًا يساوى ما دفعه الاثنان الآخران. وتم التوقيع على اتفاق بهذا الخصوص ويقضى بأنه فى حالة وفاة أى من الشركاء، يقوم باقى الشركاء الأحياء برد مبلغ ١٠٠ جولدن إلى ورثته ويبقى بقية نصيبه فى الجمعية.

الشاهد رقم ٨: بند ـ بيتر إيكارت، قسيس مدنى فى سانت مارتين قال بأن المرحوم أندرياس دريتزن أرسل إليه وقت الكريسماس لسماع اعترافه وعندما تم الاعتراف بحرية تامة سأل الشاهد الرجل الذى يموت عما إذا كان عليه دين أو أقرض أى شخص فأجاب أندرياس بأنه مساهم بمبلغ من ٢٠٠ إلى ٣٠٠ جولدن فى شراكة مع أندرياس هيلمان وآخرين ولم يترك بنسًا واحدًا وراءه.

الشاهد رقم ٩: بند ـ توماس شتاينباخ شهد بأن هيس السمسار أتى إليه ذات مرة وسأله ما إذا كان يعرف شخصًا يمكن إقراضه بعض المال مع انعدام فرصة الخسارة ثم بعد ذلك ذكر اسم يوحنا جوتنبرج، أندرياس دريتزن وشخص اسمه هيلمان كانوا فى حاجة إلى المال لعمل يقومون به.

الشاهد رقم ١٠: بند ـ لورنز بيلديك استطرد يقول بأن يوحنا جوتنبرج أرسله إلى كلاوس دريتزن بعد وفاة أخيه أندرياس بفترة قصيرة ليقول له بألا يطلع أحدًا على الطابعة التى كانت فى حوزته وأكثر من هذا أن يفك القلاووظ حتى تتساقط القطع الراقدة ثم يضع تلك القطع المنفصلة فوق الطابعة وبالتالى لا يستطيع أحد تخمين أو يرى ما كانت عليه تلك القطع. وبعد انتهاء الجنازة عليه أن يذهب لمقابلة جوتنبرج لأن لديه شيئًا يريد أن يحادثه فيه. وكان الشاهد بيلديك يعلم تمامًا أن يوحنا جوتنبرج لا يدين بشىء للمتوفى ولكن على العكس كان أندرياس مديناً إلى جوتنبرج ولم يره أبدًا يدفع بنسًا واحدًا مقابل أى شىء.

الشاهد رقم ١١: بند ـ رايمبولت فون إيهينهايم قال إنه عندما ذهب ليعوده قبل

الكريسماس سأل أندرياس عما كان يفعل مع المشكلات المربكة التى حلت به فقال له المرحوم أندرياس أن المشروع قد كلفه ما يربو على ٥٠٠ جولدن ولكن عندما يتم كل شىء فإن المال الناتج عنه سوف يغطى كل احتياجاته ويسدد كل ديونه. وقال نفس هذا الشاهد إنه أقرض أندرياس ثمانية جولدن فى ذلك الوقت لأنه كان يجب أن يكون لديه مال؛ وكان أندرياس قد أحضر له خاتمًا ذهبيًا يساوى ٣٠ جولدن قام الشاهد برهنه لدى اليهود فى إيهينهايم مقابل خمسة جولدن. واستطرد الشاهد يقول إنه فى وقت الحصاد قام المتوفى أندرياس بإعداد وحدتين من نبيذ البراندى كل منهما نصف أوم فى برميلين وقد أهدى إحدى الوحدتين إلى جوتنبرج والثانية إلى ميدهارت؛ وإلى جانب ذلك أعطى جوتنبرج كمية من الكمثرى. ولقد توسل أندرياس إلى الشاهد أن يشترى نصفى فودر [١٠٠ لتر فى مجموعهما]. من النبيذ لنفسه. ومن تلك المؤونة قدم أندرياس هيلمان و أندرياس دريتزن معًا إلى جوتنبرج نصف فودر.

الشاهد رقم ١٢: بند ــ هانز يتجر من بيشوفسهايم قال إن أندرياس جاء يقول له إنه فى حاجة إلى المال لأن تحت يده مشروع يريد إتمامه ولا يستطيع جمع المال من أجله، وعندما سأله الشاهد عن ذلك العمل قال له إنه صنع المرايا، ولذلك فإن ذلك الشاهد عندما درس الحنطة أخذ حنطته وباعها فى مولشايم وإيهنيهايم ودفع المال إلى أندرياس؛ وذكر أيضًا أن أندرياس و رايمبولت اشتريا منه نصفى فودر من النبيذ أخذهما ــ أى الشاهد ــ فى عربته (مع نبيذ البراندى والكمثرى) إلى سانت آرجوباست حيث قام أندرياس المرحوم وأندرياس هيلمان بإهداء أحد نصفى الفودر النبيذ إلى جوتنبرج.

الشاهد رقم ١٣: بند ــ فرايديل فون سيجنجن قال إن جوتنبرج قام بصفقة شراء وطلب إليه أن يضمنه فى هذه العملية ولكن بعد ذلك عندما تكرر شراء نفس الشىء تم الدفع للصفقتين. وبعد ذلك لاحقه كل من جوتنبرج و أندرياس هيلمان وأندرياس دريتزن أن يضمنهم فى ١٠١ جولدن مقدمة من زوج ابنة بيتر ستولتز. وقد قام جوتنبرج بسداد كل هذه الأموال خلال سوق عيد الفصح الأخير. ولم يكن هذا الشاهد على علم بالشراكة القائمة بين الثلاثة ولم يدع أبدًا ولم يحضر أيا من اجتماعاتهم.

تـلك الشـهادات الثلاث عشرة تكشـف عـن قرائـن الادعـاء. وسـوف نـورد فيمـا يلى القرائـن التـى قدمها شـهود جوتنـبرج وعـددهم ثلاثـة وسـوف يسـتمر الترقيـم:ــ

الشاهد رقم ١٤: بند ــ أنطون هيلمان قال: عندما وجد جوتنبرج راغبًا فى السماح لـ أندرياس دريتزن بثلث الأسهم فى إنتاج المرايا لحجاج آخن، توسل إليه بإلحاح أن يسمح لأخيه أندرياس هو الآخر بنصيب فى هذه العملية لو أنه أراد أن يسدى معروفًا إليه. وبعد ذلك تم توقيع إتفاق يقضى بأن يدفع كل من أندرياس دريتزن و أندرياس هيلمان مبلغ ٨٠ جولدن إلى جوتنبرج من أجل تعليمهم الفن الجديد. وبدأ الشركاء العمل على اعتقاد منهم أن الحج التالى لرؤية عروض الآثار المقدسة سيكون فى سنة ١٤٣٩م ولكن فى حقيقة الأمر لم يكن الحج الكبير ليقع إلا فى سنة ١٤٤٠م. وفى نفس الوقت علموا أن جوتنبرج يعرف فنونًا أخرى إلى جانب هذا الفن وطلبوا منه أن يعلمهم تلك الفنون الأخرى. وبعد ممانعة مبدئية وقع معهما عقدًا جديدًا بمقتضاه يدفعان إليه مبلغًا آخر ٢٥٠ جولدن على مرحلتين: مبلغ فورى ٥٠ جولدن لكل منهما دفعها هيلمان بالكامل ولكن أندرياس دريتزن دفع ٤٠ جولدن فقط. ووعدا جوتنبرج بدفع الـ ١٥٠ جولدن الباقية على ثلاثة أقساط فى فترات محددة.

وكانت مدة العقد الجديد خمسة سنوات وإذا مات أحد الشركاء فى خلال مدة العقد تؤول جميع الأشياء المنتهية وغير المنتهية وكل القوالب وكل المعدات والمواد إلى الشركاء الأحياء ويستحق ورثة المتوفى استرداد ١٠٠ جولدن فى نهاية المشروع. وقد أخبر أندرياس و أندرياس الشاهد فى كيرشنرجاس أنهما وصلاً إلى اتفاق مع جوتنبرج حول ذلك العقد.

وقد أقر هذا الشاهد أيضًا أنه علم جيدًا أن جوتنبرج قبل الكريسماس بوقت قصير قد أرسل خادمه إلى أندرياس و أندرياس لإحضار كل القوالب لإذابتها وبالتالى لم يرها أحد رغم أنه شعر بالندم على بعض القوالب. وبعد وفاة أندرياس خاف جوتنبرج أن يرى أحد الأشياء الموجودة فى الطابعة ويتعرف عليها؛ ولذلك أرسل خادمه مرة أخرى ليأخذها بعيدًا. وأكثر من هذا قرر الشاهد أن أندرياس هيلمان وأندرياس دريتزن أعطيا جوتنبرج نصف فودر من النبيذ ونصف أوم من نبيذ البراندى و ١٠٠٠ كمثرى مقابل ما

أكلاه وشرباه فى سانت آرجوباست. وقال الشاهد أيضًا إنه سأل أخاه متى يبدان التعلم وأخبر بأن جوتنبرج كان ينتظر العشرة جولدن التى تأخر أندرياس فى دفعها.

الشاهد رقم ١٥: بند ــ هانز رون، الصائغ أقر بأنه ربح خلال السنوات الثلاث السابقة من جوتنبرج حوالى ١٠٠ جولدن: فى مقابل مواد تخص تشغيل طابعة.

الشاهد رقم ١٦: [طبق الأصل مع الشاهد رقم ٧ فى الادعاء] بند ــ ميدهارت ستوكر قال أن أندرياس قد استدان مالاً وأعطاه لأخيه كلاوس. وقد سمع أيضًا أندرياس يقول لعل الله يهيئ للمنتج النهائى للجمعية من يشتريه ومن ثم آمل واعتقد أن أتحرر من كل ضوائقى.

* * *

ولسوء الحظ فإن كل أصول وثائق ستراسبورج قد دمرت خلال الحروب النابليونية والحرب الفرنسية ــ البروسية ١٨٧٠/ ١٨٧١م. ورغم ذلك فإن كل النصوص والاقتباسات السابقة واللاحقة قد بنيت واعتمدت على نسخ صحيحة موثقة وصور طبق الأصل. والحقيقة أن عدد الشهود كانوا أكثر مما ذكرت بكثير ــ ١٤ شاهد دفاع عن جوتنبرج و٢٢ شاهد ادعاء ضد جوتنبرج أى لصالح جورج دريتزن. ولكن بقية الوثائق والشهادات لا تمدنا بقرائن تفيدنا فى قضيتنا هذه. ولقد تم استقاء حكم مجلس ستراسبورج الكبير فى هذه القضية بتاريخ ١٢ ديسمبر ١٤٣٩م من بروتوكول غرفة العقود:

نحن كنواب العمدة، ومجلس ستراسبورج نعلن أنه قد مثل أمامنا جورج دريتزن بالأصالة عن نفسه وباسمه وبالنيابة عن أخيه كلاوس دريتزن وطلب مثول هانز جنزفلايش منماينز المدعو جوتنبرج المقيم فى ستراسبورج مثوله أمام المحكمة وقال: إن أندرياس دريتزن شقيقه قد رهن ميراثه من أبويه ودفع أمواله فى جمعية وشراكة نظمها جوتنبرج ومارسوا جميعًا حرفتهم. وقام دريتزن فى مناسبات عديدة بضمان وأيضًا دفع ثمن رصاص وأشياء أخرى لزمتهم فى عملهم ولما كان أندرياس قد مات ورغب أخوه كلاوس أن يحل فى الشراكة محل أخيه المرحوم.

وقد دفع هانز جوتنبرج بأنه يعتبر تلك المطالب غير عادلة لأن الادعاء يجب أن يعرف من الكتابات العديدة والوثائق كيف كان هو [جوتنبرج] وأندرياس دريتزن شريكين. ذلك أن أندرياس دريتزن قد التحق به منذ عدة سنوات مضت وأخذ يتعلم ويسيطر على بعض الفن منه. ومن ثم فقد تعلم منه بناء على طلبه كيف يشطف ويلمع الأحجار.

وبعد ذلك بفترة طويلة قام هانز ريف، حاكم ليختناو بتعلم أحد الفنون التى تستخدم فى موسم الحج إلى آخن وقد اتفقوا جميعًا على أن يحصل جوتنبرج على ثلثى الربح ويحصل هانز ريف على الثلث. وكان هذا الاتفاق معلومًا لـ أندرياس دريتزن الذى توسل كى يتعلم وعرض أن يكون مدينًا لـ جوتنبرج على أى نحو يشاء. وفى نفس الوقت توسط أنطون هيلمان لأخيه أندرياس حتى يسمح له بالإنضمام؛ وقد وافق جوتنبرج ووعد بأن يعلمهما ويدربهما ثم يشركهما فى المشروع وفى هذا الفن وبحيث يتملكان معا الربع؛ وهانز ريف ربعًا ثانيًا ويتملك جوتنبرج النصف الباقى. ومن أجل ذلك كان على الاثنين أن يعطياه ١٦٠ جولدن؛ وقد حصل بالفعل من كل منهما ٨٠ جولدن فى ذلك الوقت. وكانوا جميعًا يعتقدون أن موسم الحج سيكون فى نفس تلك السنة [١٤٣٩م] التى استعدوا لها وجهزوا كل ما يلزم فنهم.

ولأن الحج تأخر عامًا كاملاً فقد توسل أندرياس و أندرياس إلى جوتنبرج أن يعلمهما كل الفنون والمشروعات التى يعرفها وأى شىء يكتشفه ويعرفه بعد ذلك وألا يخفى أى شىء عن كليهما فوافق بشرط أن يدفعا معًا مبلغًا إضافيا ٢٥٠ جولدن إلى المبلغ السابق بحيث يكون الإجمالى ٤١٠ جولدن على أن يدفعا فورًا ١٠٠ جولدن نقدًا. وبالفعل تلقى ٥٠ جولدن من هيلمان و٤٠ جولدن فقط من دريتزن. أما الباقى وقدره ٧٥ جولدن من كل منهما فتدفع على ثلاثة أقساط محددة. وفى نفس الوقت توفى أندرياس دريتزن وكان الدين الذى عليه ما يزال قائمًا. وكان مخططًا للعمل فى هذا الفن والمغامرة أن يستمر خمس سنوات كاملة وإذا مات أحد الشركاء الأربعة فى خلال السنوات الخمس فإن كل مكونات الفن ومنتجاته المصنعة تستمر فى يد الأحياء من الشركاء الذين يدفعون بعد السنوات الخمس ١٠٠ جولدن لورثة المتوفى. وقد تم تحرير عقد مختوم بهذا الخصوص.

وقد قام هانز جوتنبرج فى الواقع بتعليمهم وتدريبهم كل ما يتعلق بـ "المغامرة والفن" على نحو ما وصفه به أندرياس دريتزن على فراش موته. ولذلك فإنه بناء على العقد المتعلق بهذه المسألة والذى وجد بين وثائق أندرياس فقد طلب جوتنبرج من جورج دريتزن وأخيه كلاوس أن يخصما الـ ٨٥ جولدن المستحقة على أخيهما المتوفى والتى لم يسددها أبدًا من الـ ١٠٠ جولدن وسوف يكمل لهما الـ ١٥ جولدن المتبقية لتسوية المسألة رغم أنه بقيت عدة سنوات على تنفيذ العقد واستحقاق المبلغ.. وأما ما قيل عن أن أندرياس دريتزن قد رهن أو باع فإن ذلك ليس من شأن جوتنبرج فهو لم يتلق شيئًا منه أكثر مما أعلن عنه؛ إلا فيما يتعلق بنصف أولم من نبيذ البراندى وسلة من الكمثرى، وفى إحدى المناسبات أهداه أندرياس و أندرياس نصف فودر من النبيذ وأكثر من هذا فإن أندرياس دريتزن لم يضمنه أبدًا لا فى الرصاص ولا فى أى شىء آخر. اللهم إلا مرة واحدة أمام فرايديل سيكنجين والتى حرره جوتنبرج وأعفاه منها بعد وفاته. وبهذا ختم جوتنبرج مرافعته ودفاعه وقرينته.

ولهذه الأسباب نحن عمد ومجلس ستراسبورج بعد أن استمعنا إلى الشكوى سابقة الذكر والرد عليها والادعاء والادعاء المضاد، وكذلك إلى الشهادة والقرينة التى قدمها كل من الجانبين وخاصة محتويات العقد الذى تمت مناقشته أمامنا؛ قد اتفقنا على حكم عادل نعلنه الآن طبقًا للقانون. طالما أن هناك وثيقة تكشف عن شروط الاتفاق التى سجلت ويجب أن تنفذ فالمطلوب الآن هو أن يقسم كل من هانز ريف و أندرياس هيلمان و هانز جوتنبرج قسمًا مقدسًا أن كل الأمور قد سارت طبقًا لما ورد فى الوثيقة المذكورة وأنه قد خطط لها لتحويل هذه الوثيقة إلى عقد مختوم لو أن أندرياس دريتزن بقى على قيد الحياة؛ وأن على هانز جوتنبرج أن يقسم أيضًا أنه لم يتقاضى الـ ٨٥ جولدن المذكورة ضمن الـ ١٠٠جولدن، وأنه سوف يدفع ١٥ جولدن الباقية إلى جورج وكلاوس دريتزن وبهذا تكون الـ ١٠٠ جولدن قد سددت طبقًا للعقد؛ وأن جوتنبرج لن تكون عليه أية التزامات فى المستقبل تنبع من عمله وشراكته مع أندرياس دريتزن. وقام هانز ريف و أندرياس هيلمان و هانز جوتنبرج بالحلف على ذلك بيننا وبالتالى أمرنا بتنفيذ الحكم.

والحقيقة أننا لم نحذف من حكم مجلس ستراسبورج إلا بعض أشياء جانبية غير ضرورية إلى جانب أننا ترجمناه بلغة حديثة عصرية طالما أنه أشمل تقرير وصلنا ويكشف عن أن المخترع كان منذ ١٤٣٦م منخمسًا فى بعض الفنون الغامضة السرية. ولكننا حتى هذه اللحظة لا نعرف المقصود ببعض المصطلحات التى وردت فى حكم المحكمة وفى شهادة الشهود مثل "الفن والمغامرة" أو "الفن والاختراع" أو "المشروع" وحيث تركنا جوتنبرج وشركاؤه تتخبط فى الظلام وحيث لم يذكروا أمام محكمة ستراسبورج إلا ما كان ضروريًا لهم لكسب قضيتهم. وربما كان الممول فرايديل فون سيكنجين راغبًا ميالاً للمشروع حيث بدأ مربحًا بالنسبة له وحيث إنه ركز أمام المحكمة على أنه لم يكن يعرف ما يدور حوله. وكل المساهمين فى المشروع مع جوتنبرج كانت عندهم ثقة كبيرة فى مشروعه؛ ولابد أنه بدا لإخوة أندرياس دريتزن أن الأمر مربح لهم لو أنهم تركوا فيه وحلوا محل أخيهم.

بقيت وثيقة أخرى قد يكون مفيدًا عرضها فى هذا السياق؛ هذه الوثيقة عبارة عن شكوى وجدت فى كتاب البروتوكول الخاص بالمجلس الكبير عن نهاية سنة ١٤٣٩م مقدمة من لورنز بيلديك خادم جوتنبرج ضد جورج دريتزن:

"أنا لورنز بيلديك أشكو إليكم أيها اللوردات وسادة النقابات من جورج دريتزن؛ حيث إنه استدعانى للمثول أمامكم كى أقول الحق سادتى اللوردات المتعلمون وسادة النقابات وأعضاء المجلس وقد قلت بعد القسم الذى أقسمته ما عرفت عن هذا الأمر. وفيما بعد جاء المذكور جورج دريتزن مرة ثانية أمامكم وأرسل إلى رسولاً يطلب منى أن أشهد شهادة لصالحه ومن ثم يتهمنى بأننى لم أقل الحق من قبل. وبالإضافة إلى ذلك صرخ فىّ أمام الجمهور قائلاً: "أسمع أيها الدجال يجب أن تقول الحق لى حتى لو كان علىّ أن أصعد سلم المشنقة معك" وهكذا اتهمنى بكل الحقد ووصمنى بأننى نذل يقسم يمينًا كاذبة. لقد ظلمنى أمام رحمة الله وهو بكل تأكيد اتهام خطير وشرير".

وللأسف تلك هى الفقرة الوحيدة التى وصلتنا من هذه الشكوى.

إن هدفنا من وراء دراسة قرائن وأدلة هذه الشهادات وهذا الحكم دراسة مفصلة هو الكشف عن الأعمال اليومية التى كان يقوم بها رجال ونساء ستراسبورج هؤلاء، لأن تلك الأعمال خطيرة فى ذلك الزمان على ضوء كميات المبالغ المرصودة لذاك الهدف وعلى ضوء المشاعر المستثارة والسلوك الخاص بهؤلاء الداخلين فى المشروع؛ والشكوى المقدمة من لورنز بيلديك هى قرينة إضافية على ذلك.

ماذا عساه يكون "المغامرة والفن":

من الواضح من السياق السابق أن مشروع ستراسبورج كان يدور حول ثلاثة أنشطة مختلفة يجمل بنا أن نعالج كلاً منها على حدة. وقد وصف جوتنبرج أول تلك النشاطات فى دعواه القضائية على نحو ما جاء فى حكم المحكمة، فقد كان يعلم أندرياس دريتزن قطع وصقل المجوهرات والأحجار شبه الكريمة ونستنتج من ذلك أن جوتنبرج كان صائغًا ذا خبرة وحنكة كما كانت لديه مهارات لا نظير لها فى ستراسبورج وكانت له أستاذية فيها مما شعر معه أندرياس دريتزن أن من المفيد له أن يتعلمها منه هو وربما آخرون أيضًا وكان عليه أن يدفع ثمن التعلم.

أما النشاط الثانى فقد وصفه يوحنا جوتنبرج وجمعيته بأنه مغامرة وفن ولكنه لم يكن ذلك الفن الخطير الهام الذى أراد أن يبقيه سرًا مهما كان الثمن؛ هذا النشاط الثانى هو صناعة المرايا المقدسة لموسم الحج فى آخن. وقد دخل جوتنبرج فى شراكة لهذا الغرض مع هانز ريف حاكم ليختناو. وقد قام هانز ريف وحده بتقديم رأس المال اللازم لهذا النشاط والذى كان سيحصل من ورائه على ثلث العائد فى الوقت الذى يحصل فيه جوتنبرج على ثلثى العائد. وفيما بعد ذلك طلب اثنان آخران وبإلحاح الدخول معهما فى هذا النشاط وهما أندرياس هيلمان و أندرياس دريتزن وبالتالى تمت إعادة توزيع أنصبة العائد بحيث تكون الثمن لكل واحد من هذين الأخيرين أى هما معا الربع؛ والربع إلى هانز ريف؛ والنصف إلى جوتنبرج. واللافت للنظر هنا هى درجة ثقة هؤلاء المواطنين المهمين من ستراسبورج العالية فى هذا الوافد من ماينز. ويعلل الثقات ذلك بأن جوتنبرج ربما يكون قد بهرهم بما عرض عليهم من مهارات عملية.

إن معرفتنا بالخلفية الدراسية لـ يوحنا جوتنبرج تجعلنا نؤكد أن هذا النشاط الثانى الذى قام به هو الإنتاج الفعلى الفيزيقى للمرايا المحدبة لأنه قد ساد الاعتقاد من قبل بأن المرايا فى هذا المشروع هو كتب مطبوعة وليست مرايا فعلية بالمعنى الحرفى لتلك الكلمة وانصرف الذهن إلى: نسخ من كتاب "مرآة الخلاص الإنسانى" وهو كتاب باللاتينية كان واسع الانتشار بنسخ كثيرة فى النصف الأول من القرن الخامس عشر وفيما بعد ذلك كان الكتاب المفضل لدى منتجى كتب الكتل الخشبية ثم بعد ذلك مجالاً لطبعات عديدة بالحروف المتحركة. ونجد صدق ما نقول من أن جوتنبرج كان ينتج مرايا فعلية للحجاج فى شهادة الشاهد رقم ١٤ سابق الذكر أنطون هيلمان وكذلك فى شهادة الشاهد رقم ١٢ هانز نيجر. ولكن السؤال المحير هو ما علاقة تلك المرايا وإنتاجها بالاختراع التالى لـ يوحنا جوتنبرج؟

يعتقد بعض الثقات أن صناعة المرايا كانت خطوة تمهيدية أو خطوة ملهمة فى اتجاه اختراع الطباعة بالحروف المتحركة؛ طالما أن تلك المرايا كانت نتاجًا لصبة معدنية أو طريقة ما لضغط المعدن. وكما عرضنا من قبل كانت براويز المرايا تصب فى أشابة من الصفيح والرصاص مع حجر صابونى أو خلطة رمل. ومن غير المحتمل أن يكون جوتنبرج قد اشتغل بخلطات من هذا النوع لأنه كانت لديه خلفية عن أسلوب سك العملة ومن ثم يكون الأقرب إلى المنطق أن يكون جوتنبرج قد حفر قوالب فى معادن أصلب يمكن عن طريقها أخذ صبات من معدن رخو وتستخرج حتى تجف وتبرد. كذلك كان البصم عن طريق طابعة/ ضاغطة العملة أمرًا واردًا وهكذا يمكن الحصول على آلاف البراويز طبق الأصل للمرايا بهذه الطريقة ولا يحتاج العاملون فى الشركة بعد ذلك إلا أن يثبتوا المرايا المستديرة داخل الحلقة على النحو الذى شرحناه سابقًا؛ وربما كانت تلك الطريقة الجديدة فى صب القوالب هى الجديد الذى دخل إلى ستراسبورج مع يوحنا جوتنبرج مقارنة بالطريقة القديمة التى كانت تعتمد على قوالب حجر الصابون أو الرمل.

وثمة ملمح آخر بارز فى ذلك المشروع ألا وهو الطابع المؤسسى فيه أى أنه لم يقم على فرد واحد بل على مؤسسة من مجموعة أفراد على نحو ما نصادفه بعد ذلك فى ظل فوست

الذى كون هو الآخر جمعية أو جماعة عمل، وهو الطابع الذى قامت على أساسه دار الطباعة الأصلية فى مايتز فى بناية جوتنبرج. هذا النموذج التنظيمى الذى أخذ شكل جمعية تعاونية لها رأس مال وقوة منتجة وأفكار خلاقة كانت شيئًا جديدًا نسبيًا على ألمانيا فى ذلك الوقت. وربما تكون إيطاليا حيث خطوط الصناعة المتسلسلة وتكوين رصيد من السلع قد سبقت إلى مثل هذه الجمعيات التعاونية. إن وقائع محكمة ستراسبورج تكشف عن أن جوتنبرج كان رجلاً ذا إلمام بالمسائل المالية والقانونية المحلية فى ذلك الوقت، ورجل أعمال محنكٍ ذو خبرة مفوها وقادرًا على حماية نفسه والاحتياط للأمور.

أما النشاط الثالث الذى انغمس فيه يوحنا جوتنبرج وشركاه فقد كان ذا طبيعة مختلفة تمامًا وكان الرجل يشتغل به على الأقل منذ صيف ١٤٣٨م ربما على التوازى مع مشروع المرايا سابق الذكر وقد أحاطه بسرية مطلقة. هذا النشاط كان يشير إليه باستمرار باسم "المغامرة والفن" بينما كان أندرياس دريتزن يشير إليه بمصطلح عام هو "العمل أو الشغل". وهذه الأوصاف كان من الممكن أن تحمل معانى كثيرة. إن الأسماء لا يمكننا أن تقودنا إلى أى شىء فى أية قضية وحتى الأوصاف المعماة المغطاة لا يمكن أن نخرج منها بقاعدة محددة ومن الأفضل أن نسأل أنفسنا عما إذا كانت التفاصيل والجزئيات العرضية إذا جمعت معا تؤدى إلى معنى. لقد سمعنا الشهود يتحدثون عن طابعة وضعت فى منزل أندرياس دريتزن وتوفر على صنعها صانع الصناديق والخزانات كونراد ساسباخ فى كريمرجاس. ونعلم أكثر أن جوتنبرج قد أرسل خادمه بيلديك إلى منزل أندرياس دريتزن بُعيد وفاته ليفك اثنين من القلاووظ ومن ثم تسقط القطع الأربع الراقدة فى الطابعة وتنفصل. وهناك حديث حول "بكّارة وعمل تم" و"شىء أنجز وشىء لم ينجز"، "قوالب وعدد كثيرة"، "رصاص وشىء من هذا القبيل، لنصنع منها" قد تم شراؤه. وقبيل الكريسماس سنة ١٤٣٩م طلب جوتنبرج من زملائه أن يحضروا ويذيبوا القوالب. ولقد ذكر الصائغ هانز دون بوضوح تام أنه كسب من وراء جوتنبرج ١٠٠ جولدن مقابل أشياء "تختص فقط باستخدام طابعة.. ولكى نكون أكثر دقة فإن هذه العبارة ترجع إلى سنة ١٤٣٦م أى قبل قيام الشراكة للنشاط الثانى والثالث بفترة طويلة، مما قد يوحى

باحتمال قيام جوتنبرج بنشاطه الثالث فى وقت مبكر فى تلك السنة أو قبلها بمفرده وعلى نطاق ضيق، وكان ينظر إلى مشروع المرايا كوسيلة لجمع رأس المال اللازم لمشروعه الأهم "المغامرة والفن".

وفى جميع الأحداث التى مرت كان جوتنبرج يحرص أشد الحرص على بقاء الشىء الموجود بالطابعة سرًا مطلقًا؛ ولكن عندما ذهب لورنز بيلديك و كلاوس دريتزن لأخذ هذا الشىء بعيدًا وجداه فعلاً قد اختفى، وربما تكون أيدى غير أمينة قد عبثت به قبلهما. كما أن كونراد ساسباخ صانع الطابعة عندما ذهب لتفكيكها فى منزل المتوفى، بصحبة أندرياس هيلمان لم يجدها فماذا كانت طبيعة ووظيفة تلك القطعة التى تفكك بعد تفكيك اثنين من القلاووظ وفى مواضع أخرى من شهادات الشهود ذكرت على أنها أدوات ومعدة. وقد ظهرت كلمة أدوات، آلات فى مصادر أخرى مستخدمة بما يعنى حروفًا وأبناطًا. كما أن كلمة قوالب قد استخدمت مرارًا لتدل على أمهات الحروف فى تلك المصادر وهى الكلمة التى وردت فى شهادات الشهود كما سنصادفها فيما بعد فى وثائق أفجنون اللاتينية.

ويبدو أن جورج دريتزن الذى أصبح فيما بعد عمدة ستراسبورج كان رجل مشاكل يبحث عن نفسه وطبقًا لما ورد فى السجلات فقد اتخذ إجراءً قانونيًا ضد شخص اسمه: إيجنس ستوسر يدعى فيه أنه سرق أموالاً نقدية وممتلكات من بيت أخيه أندرياس دريتزن بعد وفاته. كذلك أدخل فى الاتهام بالسرقة المدعو رايمبولت من إيهنيهايم الذى كان شاهدًا (رقم ١١) فى القضية ضد جوتنبرج. وإلى جانب هذا ثمة وثيقة عائدة إلى سنة ١٤٤٦ فى أرشيف ستراسبورج يشير جانب منها إلى وقائع ديسمبر ١٤٣٨م، هاك نصه:

"بند: جورج دريتزن يطلب بأنه الآن يستحق أن يتلقى نصف نصيب أو تعويض مالى عنه مما أخذه أخوه كلاوس بعد وفاة شقيقهما أندرياس من أشياء لم تقسم بعد وهى أساسًا: ٣٠.٥ رطل من عملات فينج وكذلك المجوهرات وكتب كبيرة وأخرى صغيرة خلفها أندرياس وأيضًا ١٠٠ رطل فينجات أعطاه إياها هانز رينر".

"بند: كلاوس دريتزن يطلب من أخيه جورج أن يعطيه نصف ما حصل عليه ــ أى جورج ــ من ممتلكات أخيهما المرحوم أندرياس والتى لم يتم تقسيمها بينهما بعد وهى أساسًا: ثلاث أساور ذهبية، زر واحد فضة، "سنتزيل جينزوج"، **الطابعة** وأشياء أخرى".

ولابد للمرء من أن يخمن أنه كان من بين الكتب المذكورة فى تلك الممتلكات مخطوطات ومذكرات وربما كان من بين الكتب الصغيرة محاولات محدودة للطباعة. ومن عبارة "ستنزيل جيزوج" نستشف أنها آلات قطع وربما حروف متفرقة؛ كما كان من بينها طابعة. ومن الواضح تمامًا أن تلك الأشياء لم تأخذ سبيلها مرة ثانية إلى جوتنبرج وتبعًا لذلك يمكننا القول أن جورج دريتزن وجد نفسه المالك العاجز لأول مطبعة فى ستراسبورج.

لقد وجد المحللون أنفسهم أمام عدة نظريات لتفسير "المغامرة والفن" أى المشروع الثالث من مشروعات جوتنبرج وشركاه فى العمل التى بدأها فى ستراسبورج. أحد تلك التفسيرات هو أن جوتنبرج صنع قوالب معدنية من قضيب صلب لاستخراج حروف يستخدمها المجلدون فى البصم على جلود الكتب. وربما لم تكن الطابعة المذكورة مرارًا من قبل طابعة كتب على الإطلاق وإنما مجرد طابعة أختام والاثنان قلاووظ المذكوران اللذان إذ فتحا سوف يؤديان إلى تفكيك الطابعة كلها إلى أربعة أجزاء؛ ربما يكونان مجرد مِلْزم يضم بين فكيه قضيبًا معدنيًا لم يخرم بعد، وقد يكون الملزم نفسه قد وضع فى قفص خشبى أو إطار خشبى. وقد يكون هذا الفرض مقبولاً من الناحية التكنولوجية إلا أن الجانب الإبداعى فى المِلْزم أقل من أن يثير هذا الغضب العارم غير المنطقى ويؤدى إلى رفعه أمام محكمة ستراسبورج.

وأنا اعتقد فى أن يكون الاثنان قلاووظ يحكمان الخناق على الطوق الحديدى الذى يضم فورمة الأبناط لطبع أربع صفحات صغيرة ــ ربما كتيب الأبجدية ــ وفك القلاووظ سوف يؤدى بالقطع إلى انفراط الحروف وسقوطها وتطايرها. ومن هذا المنطلق

ستكون الطابعة هى طابعة كتب وليست أختام؛ وكانت فورمة الحروف فى وضعها السليم تمهيدًا للطبع أو انتهاء منه. ورغم أن اعتقادى هذا هو السائد بين باحثى جوتنبرج ودارسيه إلا أنه ما يزال حتى اليوم فرضًا لم يتم تحقيقه بعد.

ولو كان الطبع فعلاً جاريًا آنذاك فإن من المنطقى أن يكون هنا توزيع للعمل بطريقة أو بأخرى وطالما أن الطابعة كانت فى منزل أندرياس دريتزن فإن من المعقول أنه كان قد اختص بعملية الطبع نفسها فى الوقت الذى يقوم فيه لورنز بيلديك و كونراد ساسباخ بمد يد المساعدة من حين لآخر. وفى بيت أندرياس هيلمان أو ربما فى بيت أخيه أنطون القسيس والشماس فى كنيسة سانت بيتر الجديدة ربما تكون قد خصصت غرفة لتنضيد الحروف يدلنا على ذلك ما ورد فى شهادة الشهود من أنه قبيل وفاة أندرياس دريتزن مباشرة طلب جوتنبرج إحضار القوالب وأمر بإذابتها أمام عينيه حتى يبقى المغامرة والفن سرًا لا يعرفه أحد. وهناك من الشواهد ما يدل على أن أنطون هيلمان كان مشتركًا فى هذا النشاط اشتراكًا فعليًا لأنه فى مناسبات مختلفة كان الممولون يأتون إلى بيته ليقدموا مبالغ المال التى كانت تطلب منهم. ويرى بعض المؤلفين أن أنطون كان يقوم بإعداد الأصل للطبع ويصحح البروفات. ومن جهة أخرى لابد وأن يكون مسبك الحروف قد أسس فى منزل يوحنا جوتنبرج وحيث كان الأسطى الكبير يقوم بصب الحروف بينما كان هانز دون يقوم بحفر القوالب. ومن هذا المنطلق التخيلى يكون كل ما يلزم لطباعة الكتب جاهزًا معدًا فى ستراسبورج: سبك الحروف؛ تنضيد الحروف، الطابعة. وربما كان الناقص هنا ورشة التجليد وحيث كانت الكتب المطبوعة تجلد افتراضيًا بنفس طريقة تجليد المخطوطات. وفى تصورى أنهم لم يلجأوا إلى الورش الكثيرة المنتشرة هنا وهناك حفاظًا على السرية المطلقة لأنه حتى ولو كان كل طرف من الأطراف الثلاثة يلعب دورًا مختلفًا فإن المجلد يمكن أن يدرك أهمية المنتج النهائى الذى يقوم بتجليده.

إن قضية ستراسبورج تمثل بلاشك منعطفًا خطيرًا وعلامة بارزة فى حياة جوتنبرج ولكن لا أشك لحظة فى أن يكون العمل الذى بدأوه قبل القضية قد استمر بعدها. وعقد الشراكة الجديد الذى وقع سنة ١٤٣٩م كان نافذ المفعول لمدة خمس سنوات أى حتى سنة

١٤٤٤م بما يتوافق تمامًا مع نهاية إقامة جوتنبرج فى ستراسبورج. ومن المحتمل أن الأحداث التى ترتبت على وفاة أندرياس دريتزن الفجائية قد أحدثت تغيرات بعيدة المدى فى شخصية جوتنبرج. ومن المؤكد أن أنشطته السياسية فى ماينز و سجن نيكلاوس فون فورستادت أو تشويه سمعة شوتين لوويل كل ذلك مقرونا باستهلاكه كميات كبيرة من النبيذ، كلها تشير إلى شاب متحمس مندفع ولكن منذ الآن ــ وقت القضية ــ فصاعدًا فقد أصبح الرجل جوتنبرج الناضج المنغمس إلى أقصى حد فى عمله والذى يحيطه بأقصى درجات السرية.

لقد وصلنا عدد من الوثائق المتعلقة بـ جوتنبرج تعود إلى السنوات اللاحقة على سنة قضية المحكمة مباشرة؛ ولكن ليس من بينها ما يتعلق بالاختراع أو بمدى التقدم الذى حققه نشاط "المغامرة والفن". والوثيقة التالية فى السياق الزمنى عبارة عن نسخة وليست أصلاً لوثيقة لإجراء قانونى اتخذه فارس يدعى جوهان كارل الذى اقترض مبلغ ١٠٠ جولدن بفائدة سنوية خمسة فى المائة وذلك من فرع سانت توماس فى ستراسبورج فى ٢٥ من مارس ١٤٤١م وأن كلاً من جوهان المسمى جنزفلايش المعروف بـ جوتنبرج و لوثولد دى رامشتاين، الجندى شريكان ضامنان له. وبطبيعة الحال فإن هذا الفارس كارل إذا لم يف بالدين وفوائده فى الموعد المحدد فإن جوتنبرج و لوثولـد الجندى يجب أن يسددا بدلاً منه وإلا أخذا كرهائن حتى يسدد.

ويرى المحللون أن هذه الوثيقة لها قيمة تاريخية إذ تكشف عن أن جوتنبرج كان موضع ثقة فرع سانت توماس فى ستراسبورج كضامن ائتمان؛ وأن علاقاته قد امتدت أبعد من مجرد علاقاته بزملائه فى العمل نحو الأرستقراطية. وربما تشى تلك الوثيقة بأن مشروع مرايا آخن قد أدر ربحًا وفيرًا بعد أن تم بيعها سنة ١٤٤٠م وأصبح رجلاً ذا حيثيات. ولكن فى حالة التعاقد فى مشروع المغامرة والفن كان لابد من إنشاء ورشة طباعة جديدة لأنه كما رأينا من قبل قام جورج دريتزن بالاستيلاء على الطابعة التى كانت فى حوزة أخيه المرحوم. وعلى أية حال فإن الرجل آنذاك قد حصل خبرة أوسع وتجربة كافية تساعده على بناء طابعة أكبر وأكثر تطورًا. وأصبح هناك مال إضافى لشراء كميات أكبر من الورق

والرقوق تقص وتستخدم، وكميات أكبر من الرصاص والصفيح والأنتيمون لصب حروف جديدة.

وتخبرنا وثيقة ١٧ من نوفمبر سنة ١٤٤٢م أن جوتنبرج نفسه قد اقترض ٨٠ دينارًا من فرع سانت توماس. وللمرة الثانية تفرض فائدة قدرها خمسة بالمائة بطريقة مؤسفة تدعو للغثيان. ومن جهة ثانية رهن جوتنبرج السناهية البالغة عشرة جولدن راينية التى خصصها له زوج عمته جوهان ليهمير، ومن هنا تجمع لديه مبلغ أكبر من فائدة القرض. وتفسير الحالة المالية لـ جوتنبرج يرجع إلى الموقف المالى المتدهور فىماينز والذى يوحى بأن رفع المعاشات والسناهيات لم يكن منتظمًا أو لم يكن كاملاً. ومن الجدير بالذكر أن مارتين بريختر قد وقف بجانب جوتنبرج فى هذا الصدد، وربما يكون قد اشترك معهم فى المشروع التعاونى بعد وفاة أندرياس دريتزن. وحسبما جاء فى سجل الحسابات فإن جوتنبرج كان مواظبًا على تسديد فوائد القرض لعدة سنوات متتالية؛ ولم تكن هناك أية تعليقات حول اسمه فى السجل كما جرت العادة أمام أسماء الذين لا يسددون ما عليهم بانتظام. وطبقًا لما ورد فى ذلك السجل من معلومات حول التسديد فإن جوتنبرج كان يعيش فى أبرشية سانت توماس لأن عملية التسديد تمت تحت مدخل كنيسة تلك الجهة. وربما يفترض ذلك أنه انتقل إلى تلك الجهة من ضاحية سانت آرجوباست التى عاش فيها قبل القضية، وقد يكون أمام المطبعة الجديدة فى تلك الأبرشية. وقد يشى ذلك أيضًا بأن عملية التسديد تمت فى تلك الأبرشية لأن مارتين بريختر باعتباره من سكان أبرشية سانت توماس كان هو الذى يسدد الفوائد باسم جوتنبرج نيابة عنه وباعتباره شريكًا فى المشروع.

إننا نستطيع عن طريق بعض القرائن أن نخمن أن جوتنبرج قد وسع دائرة مجتمع العاملين معه عن طريق السماح لمزيد من الأشخاص بالاشتراك فى المشروع. وفيما بعد فى ماينز نلحظ اسم أحد الصاغة كمساعد لـ جوتنبرج وهو جوتز من شيلتستادت (الآن سليستات على بعد ٢٦ ميلاً من ستراسبورج). كما نلمح اسم جوهان منتلين وهو الآخر من شيلتستادت والذى أصبح فيما بعد الطابع الأول فى ستراسبورج، وإن كنت أميل إلى الاحتفاظ بهذا التميز لـ جوتنبرج باعتباره أول طابع هناك. وكان مكتب الطباعة الخاص

بـ جوهان منتلين يقع بالقرب من فرونهوف بينها كان يعيش فى منزل "زوم دورن" فى دورنتجاجسه بالقرب من سانت توماس. ويرى الباحثون فى جوتنبرج أن دار الطبع الأصلية فى ستراسبورج كانت تقع فى نفس تلك المنطقة.

هناك من المصادر ما يشير إلى صداقة أو تعاون القسيس حامل ختم الأسقفية هنريتش إيجيشتاين الذى كان يدير مطبعة فى ستراسبورج بالتعاون مع منتلين سنة ١٤٥٨م و ١٤٥٩م. ولقد تـرك إيجيشتاين منصبه وعمله مع كبير الأساقفة سنة ١٤٥٥م وربما يكون قد ذهب إلى ماينز ليحصل من جوتنبرج على تفاصيل ما وصل إليه الحال فيما يتعلق بطباعة الكتاب المقدس؛ بل وذهب إلى ما هو أبعد من ذلك فأعلن حقه فى منصب عمدة ستراسبورج مؤقتًا سنة ١٤٥٧م ثم أعاد ذلك الإعلان سنة ١٤٥٩م.

يبقى السؤال الهام مفتوحًا وهو هل طبع يوحنا جوتنبرج أى شىء فى ستراسبورج فى السنوات ما بين ١٤٤٠ ــ ١٤٤٤م. يجيب بعض الثقات بكل الاطمئنان أن مشروع "المغامرة والفن" طبع أشياء لها قيمة فى مدينة ستراسبورج ويبررون ذلك بأن جوتنبرج فى تلك السنين حاز ثقة عمد المدينة وسادتها المتميزين طوال تلك السنين وكان ذلك بالضرورة عن طريق المطبوعات التى طبعها هناك. ويقوى تلك الفرضية قيام كل من منتلين و إيجيشتاين بالطبع فى ستراسبورج فى فترة مبكرة ١٤٥٨ ــ ١٤٥٩م. كما يدعونا إلى الاعتقاد فى ذلك أيضًا إقامة مطبعة ماينز فى فترة قصيرة نسبيًا لأن المطبعة التى أقامها جوتنبرج فى ستراسبورج على نطاق صغير لابد وأنها مهدت الطريق إلى المطبعة عالية الجودة فى ماينز. والدليل القاطع على ذلك يأتينا من أوراق بعض النسخ القديمة من الـ ١٢ طبعة من كتاب دوناتوس ذى الـ ٢٧ سطرًا والتى أمكن استردادها من جلود كتب ستراسبورج. ونستنتج من ذلك بالضرورة أن كتاب آيليوس دوناتوس فى النحو اللاتينى وهو كتاب دراسى صغير يستخدم باستمرار فى تدريس النحو،أن هذا الكتاب كان مادة خصبة للطبع فى ستراسبورج على يد جوتنبرج. وقبل جوتنبرج كان هذا الكتاب ينسخ فى مخطوطات لا حصر لأنه كأى كتب دراسى كان معرضا للتمزق والتلف وبالتالى كان النسخ اليدوى هو التعويض الطبيعى عن النسخ التالفة. وكان البنط المستخدم فى طباعة

هذا الكتاب الصغير يسمى "دوناتوس والتقويم" (أو د. ك) وهو أول أبناط جوتنبرج وهو حرف أسود ثقيل (تسكتورا) وسوف نعالجه بشيء من التفصيل فيما بعد. وربما يكون قد سبق طبعات دوناتوس كأول شيء طبع على الإطلاق، فروخ فردية: فروخ عريضة من "صلاة سيدنا" والتى رغب كاردينال المستقبل كوسانوس فى أن يراها معلقة فى الكنائس على سبيل المثال، وربما أيضًا يكون قد سبق طبعات دوناتوس، كتاب الأبجدية على غرار تلك الكتب التى عرفت فى هولندا. ولكن للأسف لا يمكننا التأكد من ذلك لأنه لم يصلنا منها أى نسخة كما لا يمكن عزو أى من تلك التى وصلتنا إلى ستراسبورج بأى قدر من الثقة فى تلك السنوات.

ولنعد إلى الوثائق: فى سجل ضرائب هيدلبرج نجد مدخلاً مختصرًا بتاريخ ١٢ من مارس ١٤٤٤م يكشف عن أن هانز جوتنبرج دفع جولدن واحدًا كضريبة على نبيذ لشخصين. وقد تعسف بعض المؤرخين فى استنتاج أن جوتنبرج لابد وأن يكون قد تزوج من إنيلين بعد كل ما صار وأن الشخص الثانى الداخل فى ضريبة النبيذ لابد وأن تكون زوجته، إلا أن الدراسات المتأنية حول تلك الفترة قد كشفت عن أن الزوجة لم يكن عليها ضرائب نبيذ وبالتالى يكون الاستنتاج خاطئًا من أساسه. والتفسير المعقول لذلك هو أن يكون جوتنبرج قد احتفظ بخادمه بيلديك وكان يعيش معه تحت سقف واحد وأنه قد أصبح سكرتيره الذى لا يفارقه. وكانت ضريبة النبيذ على كل فرد بالغ عضو فى البيت الواحد ثمانية شلنات فى السنة.

ويظهر اسم جوتنبرج مرة أخرى فى قائمة الأشخاص المطلوب منهم أن يقدموا بالضرورة إلى المدينة عددًا من الأحصنة أى الخيول للدفاع ضد جحافل الآرماناك. وعلى الرغم من أن تلك الوثيقة غير مؤرخة إلا أنها طبقًا للوقائع تعود إلى ١٤٤٣م أو ١٤٤٤م. وهذا الأمر يعنى أن جوتنبرج الذى كان يعمل كونستابل مدنيا يمكن أن يستدعى إلى الحرب فى زمرة الأشراف والنبلاء، وكان عليه أن يدفع قيمة نصف ثمن حصان لهذا الغرض.

والتعليمات الواردة فى ذلك الصدد تلقى نظرة فوقية على الحالة المالية لـ جوتنبرج فى

ذلك الوقت وحيث تقضى التعليمات بأن: "هؤلاء الذين تبلغ ثروتهم ٤٠٠ جولدن يقدم للمدينة قيمة نصف حصان أى أن شخصين معا يقدمان قيمة حصان واحد وهى ٢٠ جولدن والشخص الذى تبلغ ثروته ٨٠٠ جولدن يقدم قيمة حصان كامل. أما هؤلاء الذين لديهم بضائع وسلع تصل قيمتها إلى ٢٠٠٠ جولدن فإن عليهم أن يقدموا فحلاً أى حصانًا غير مخصى". وطبقًا لتلك التعليمات فإن جوتنبرج لم يكن قد أصبح ثريًا بعد من وراء مشروع "المغامرة والفن" بل كان يحسب على الفئة الدنيا.

ويظهر اسم جوتنبرج مرة أخرى فى قائمة خاصة بالجندية المسلحة الذين يمكن استخدامهم فى المعركة ضد الآرماناك ضمن الصاغة والنقاشين والسروجية وصانعى اللجام:ـــ

"بند: المقيدة اسماؤهم هنا هم أعضاء منتسبون وليست لهم عضوية كاملة دائمة فى النقابة: بند: هانز جوتنبرج، بند: أندرياس هيلمان، بند: جوهان روابيل، إكليرى. بند: جوهان سلمبيكر، إكليرى..." .

كذلك وجدت أسماء الطابعين الأوائل فى المدن الألمانية مقيدة فى قوائم نقابات: الصاغة، النقاشين، الإكليريين. وعلى غير العادة هذه القائمة مؤرخة بتاريخ ٢٤ يناير ١٤٤٤م.

وعلى الرغم من أن اسم جوتنبرج يظهر دائمًا مع اسم اندرياس هيلمان فإننا يجب أن نتذكر أن سنة ١٤٤٤م هى السنة التى ينتهى فيها عقد الشراكة. ونحن لم نعرف بالضبط متى استدعى المخترع ليحمل السلاح؛ وحيث لا تذكر التقارير التى وصلتنا بخصوص الدفاع عن المدينة إلا أسماء أندرياس هيلمان و الإخوة دريتزن و مارتين بريختر وغيرهم ممن كانوا فى دائرة معارفه بيد أن اسم جوتنبرج نفسه لا يظهر معهم أبدًا.

وكان آخر عهدنا بـ جوتنبرج فى ستراسبورج هو ذلك البند الموجود فى سجل ضرائب هيدلبرج المؤرخ فى ١٢ مارس ١٤٤٤م الذى ذكر سابقًا. وتنقطع بنا الوثائق التى يذكر فيها جوتنبرج حتى ١٧ من أكتوبر ١٤٤٨م والتى تكشف عن عودته إلى مسقط رأسه

ماينز. وبالتالى فليست لدينا إجابات محددة عن متى غادر جوتنبرج ستراسبورج بالفعل، وما هى الأسباب التى حدت به إلى المغادرة؟ وهل كانت هناك خلافات بينه وبين شركائه فى المشروع؟ أم أن السبب الحقيقى هو تقدم الآرماناك فى منطقة الالزاس ونهبهم وسلبهم كل شىء فى طريقهم؟

الفقراء الأغبياء:

أطلق هذا المصطلح أو هذه الصفة على قوات الآرماناك لأنهم كانوا مغفلين ومذنبين إلى جانب أنهم مرتزقة ومجرمون يساقون كالبهائم ويستأجرون لكى يكسبوا قوتهم اليومى من العنف. ومن النوادر التى تحكى عن هؤلاء المرتزقة أن أحد الرهبان حاول تحية واحد من هؤلاء المرتزقة بقوله (السلام عليكم) فكان رد التحية لماذا السلام؟ إن الحرب تجلب إلى الرواتب والخبز. هل تريد لى أن أتضور جوعًا؟

ويجب علينا أن نبحث فى التاريخ الفرنسى المعاصر كى نفهم ظهور هؤلاء المرتزقة الآرماناك. ذلك أنه عبر العقود نشبت صراعات طويلة بين آل أورليانز التى احتلت العرش وآل بيرجانديا الذين أصبحوا أغنياء بفضل المقاطعات الواسعة التى تملكوها فى الأراضى الواطئة والزواج الذى وقع ١٤١٠ بين تشارلز ابن لويس ـ ذلك الدوق الذى اغتاله البرجانديون ــ مو ابنة كونت الآرماناك. من هذا المنطلق حدث تحالف طويل الأمد بين آل أورليانز و آل آرماناك. تلك القلاقل المدنية الفرنسية أتاح للإنجليز أن يهبطوا ــ أرض السين إيستوارى. وقد ارتبطت مغامرات الآرماناك القتالية خلال الحرب الأنجلو الفرنسية بشخص جان دارك التى قادت الجيوش الفرنسية حتى الرايمز وحيث دهن الدوفين (الابن البكر للملك الفرنسى) كـ تشارلز الثانى ملك فرنسا. ونسوق هنا حكاية عذراء أورليانز المعروفة وذلك لرد الأحداث التاريخية الموازية فى ترتيبها السليم وحسب. فقد قام البرجانديون بسجن جال دارك فى كومبين سنة ١٤٣٠م ثم سلموها للإنجليز الذين أحرقوها فى ساحة السوق فى رووين فى الثلاثين من مايو ١٤٣١م. وقام الفلاحون النورمان بالثورة ضد الإحتلال الإنجليزى سنة ١٤٣٤م وفى سنة ١٤٣٥م، ثم انتصر فيليب دوق بيرجانديا على الملك الفرنسى. وفى ١٤٣٦م تمكنت جيوش الملك

تدعمها انتفاضة مدنية من اقتحام باريس والسيطرة عليها وانتزاعها من الاحتلال الإنجليزى مما قوى وضع الملك وفى عام ١٤٤٤م أصبح الملك فى وضع يسمح له بتوقيع الهدنة مع الإنجليز.

وهكذا أصبح الآرماناك عاطلين بلا عمل، ولذلك اهتاجوا وعربدوا فى جميع أنحاء فرنسا. وانتشرت عصابات اللصوص من الأسبان واللومبارد فى طول البلاد وعرضها، مما أدى بالملك الألمانى فردريك الثالث والبابا يوجنيوس الرابع إلى وضع خطة لوقف تلك الجحافل غير المنظمة واستخدامها لتحقيق أغراضها السياسية الخاصة. ومن هنا سعى فردريك الثالث لدى تشارلز السابع كى يوجه الآرماناك فى حملة ضد الثوار السويسريين كما تمنى بل خطط يوجنيوس الرابع أن يعمل الآرماناك على تبديد مجلس بازل. وقد انتهز الملك الفرنسى تلك الفرصة لنقل تلك الحجافل المنحلة الفوضوية إلى الأراضى الألمانية وأن يبسط نفوذه بعيدًا إلى الراين.

فى ظل هذه الظروف تجمع نحو ٢٠.٠٠٠ من الآرماناك خارج بازل، وقامت الكانتونات السويسرية بإرسال قوة صغيرة قوامها ١٦٥٠ رجلاً لمساعدة المواطنين هناك. وفى ٢٦ من أغسطس سنة ١٤٤٤م قام الآرماناك بقيادة مارشال دامارتين بمهاجمة القوات المتحالفة السويسرية بقيادة: أنطون روس؛ هنريتش ماتر؛ هيرمان سيفوجيل. ولقد قاتل السويسريون بشجاعة نادرة ضد قوات العدو الفائقة عددًا وعدة وقتلوا منهم الكثير واضطروهم للتقهقر إلى نهر بيرز، وتعقبهم السويسريون غير مدركين أن الدوفين (الابن البكر للملك الفرنسى) قد أعد لهم كمينا مهلكًا على الجانب الآخر من النهر. ورغم أن حماة بازل قد شاهدوا الخطر من أبراج المراقبة إلا أنهم عجزوا عن تقديم المساعدة وفى الوقت نفسه انطلق الأعداء فى كل حدب وصوب باتجاه الضواحى ينهبون ويسلبون الفيلات الغنية فى تلك الأصقاع. وتحت نيران مدافع الفرنسيين وهجوم ٦٠٠ فارس ألمانى تفسخت خطوط المعركة السويسرية واضطروا إلى التبعثر فى المراعى الواسعة الواقعة بين مياه نهر نيرز ولم تقم لهم قائمة. ومع كل هذا فإن الآرماناك والدوفين لم يرغبوا فى معركة أخرى بهذا الحجم من الخسائر التى ربط المؤرخون بينها وبين معركة

ثيرموبيلاى. لقد أنقذت المعركة التى وقعت فى سانت جاكوب على نهر بيرز السويسريين ومدينة بازل من أى هجوم آخر.

وعند العودة قام الآرماناك بسلب ونهب مناطق سوندجاو و بريسجاو و الألزاس وخاصة المناطق المحيطة بـ ستراسبورج. وقد وصفهم المعاصرون لهم بأنهم جماعات شبه عراة من البرابرة الجائعين ليس لديهم أى قدر من الإنسانية، نهمون للأسلاب والغنائم وشهيتهم مثل شهية الحيوانات. وبعد أن أدرك فردريك الثالث خطأه فى إدخال هؤلاء الآرماناك إلى الأراضى الألمانية قام الآن يدعو عبثًا المجلس التشريعى فى نورمبرج لإرسال جيش يقف ضدهم. وقد ضغطت ستراسبورج من أجل توحيد هؤلاء الآرماناك مع السويسريين. وقد حدا هذا الموقف بـ فردريك إلى عقد اتفاق سلام إنسهايم مع السويسريين الذى تحقق بمقتضاه استقلال الكانتونات الحرة.

ومن جهتها حققت ستراسبورج انتصارًا على الآرماناك فيما عرف بالمعركة الصغيرة إلى أن تمت تسوية ١٣ فبراير ١٤٤٥م التى طالبت الجيوش الفرنسية بالرحيل عن الأراضى الألمانية الإمبراطورية. لقد أزهقت أكثر من ٢٠.٠٠٠ روح بسبب حروب الآرماناك وعمليات السلب والنهب التى قاموا بها. واستمرت موجات السخط والكراهية ضد فردريك الثالث فى الألزاس، وقد استطاع الفرسان الألمان الذين حاربوا أيضًا كمرتزقة من أجل مدينة ستراسبورج رد جحافل الغزاة ولكن كثيرًا من القرى المحيطة بها كانت قد دمرت.

ماذا عساه يكون جوتنبرج قد طبع فى ستراسبورج؟

أثارت حملة الآرماناك على ستراسبورج، كما أثار خروج جوتنبرج منها كذلك أثار كتاب صغير صدر بالروسية عن جوتنبرج فى موسكو سنة ١٩٨٠م بعنوان "يوحنا جوتنبرج وبداية الطباعة فى أوربا" للمؤلفة ناتاليا فاسيليفنا فارابانيك، قضية غاية فى الأهمية وهى هل طبع يوحنا جوتنبرج أحد الكتب فى ستراسبورج سنة ١٤٤٤م ــ لقد بحثت ناتاليا عن الدافع الذى دفع جوتنبرج إلى اختراع الطباعة وخلصت إلى أنه الطموح

والبحث عن الربح. وربما لهذا السبب حفل كتابها بالحديث عن الأماكن التى عاش فيها جوتنبرج ومنها ستراسبورج بطبيعة الحال.

لقد ذهبت ناتاليا إلى أبعد مما ذهب إليه كُتّاب كثيرون وإلى ما لم أجده إلا لديها، فزعمت أن جوتنبرج ربما يكون قد انضم إلى إحدى طوائف الهرطقة الكثيرة التى كانت منتشرة هناك آنذاك وربما تكون تلك الطائفة هى (الكاثاريون أو الوالدنيون) اللتان أشعلتا عصر التنوير الدينى والانفصال عن الإدارة البابوية الرومانية. ولقد دعمت ناتاليا بحثها هذا بأعمال مختلفة واتجاهات متباينة لدى جوتنبرج تؤيد بها زعمها هذا، وإن كانت تلك الأعمال والاتجاهات فى حد ذاتها لها قيمة لها أو ذات قيمة محدودة ولكنها فى مجموعها رسمت صورة أخاذة ومؤثرة. هذه التفاصيل تتراوح ما بين إخفاء الذات وحيث لم يظهر اسمه على أى شىء طبعه إلى رفض الزواج من إنيلين زور يسيرن تور والحدث الغريب الشاذ مع فوست حول وقائع الائتمان الخاصة بدار الطباعة فى ماينز والذى رفع أمره أمام محكمة دينية وليست محكمة مدنية. وهناك الكثير مما سوف نسرده فيما بعد حول هذه الواقعة. وقد قدمت ناتاليا أهم قرينة مستقاة من أول شىء طبعه جوتنبرج والذى تعتقد اعتقادًا جازمًا أنه جرى طبعه فى ستراسبورج. وقد ربطت تلك المؤلفة بين أول قطعة طبعت على الإطلاق وهى "كسرة محاكمة العالم" أو "نبوءات سبلين" بانتخاب فردريك الثالث كملك ألمانى. تلك المشكلة الجذابة والمهملة فى نفس الوقت فى كل الدراسات والبحوث التى أجريت حول جوتنبرج يجب أن تطرح الآن بشىء من التفصيل.

لقد تم اكتشاف قطعة صغيرة مستطيلة من الورق مساحتها ٥×٣.٥ بوصة ومطبوعة من الناحيتين أى الوجه والظهر فى أحد عشر سطرًا بأبناط جوتنبرج الباكرة وذلك سنة ١٨٩٢ فى داخل بطانة جلدة تغلف سجل حسابات يخص جامعة ماينز. وقد تم التعرف عليها فى الحال على اعتبارها أول شىء طبع على الإطلاق. لقد كان البنط بدائيا على نحو ما يتضح من عدم استواء الكلمات والسطور وانعدام انتظام النص. وقد قادت الدراسات والبحوث التى أجريت آنذاك الباحثين إلى قبول تلك القطعة على أنها أقدم مطبوع

بالحروف المتحركة وصلنا حتى اليوم وقد اعتنق ألويز روبيل هذا الرأى فى ترجمته الرائعة لـ جوتنبرج سنة ١٩٦٧م. وقد كشفت الدراسات عن أن صعوبات قد واجهت المخترع عند صب ذلك البنط لأن ارتفاع الأبناط بالنسبة للورق تفاوت ولذلك نجد حروفًا واضحة وأخرى باهتة، كما كشفت عن أن الحرف الواحد ظهر بأشكال مختلفة مما يدل على أنه كان هناك إعادة لصب الحروف نفسها من نفس التصميم عدة مرات. ويجمع الثقاة بكل اطمئنان على أن تلك القطعة هى من طباعة جوتنبرج لأنه وحتى سنة ١٤٥٧م لم يستخدم إلا هذا البنط رغم دخوله فى مراحل مختلفة من التحسين والمراجعة.

ولقد واجهت الباحثين بعض الصعوبات فى تحديد المصدر الذى أخذت عنه تلك القطعة النصية. هذا النص عبارة عن قصيدة باللغة الألمانية العليا فى موضوع المحاكمة فى اليوم الآخر وعلى هذا الأساس أطلق على هذا المطبوع "كسرة محاكمة العالم". وبعد دراسات كثيرة اكتشف أخيرصاً أن القصيدة مأخوذة من صياغة ثورنجى لرائعة (نبوءات سبلين) التى تضم ٧٥٠ بيتًا من الشعر. وإن كان جوتنبرج لم ينضد كلمات القصيدة كشعر وإنما رتبها كسطور عادية على أساس أنها لو طبعت جميعًا لجاءت فى ٥٧٠ سطرًا، فى كل صفحة ٢١ سطرًا على أن يكون القطع ٨.٥× ٦.٥ بوصة وبالتالى فإن النص كله يشغل ٢٧ أو ٢٨ صفحة. وهذا الحساب يتمشى تمامًا مع طبعات دوناتوس الذى ربما يكون جوتنبرج قد وضعه فى الاعتبار عندما صمم أبناطه منذ البداية. وعلى أية حال فإن بنط (دوناتوس والتقويم) أو "DK" قد تم تصميمه أساسًا لتنضيد النصوص اللاتينية نظرًا لأنه ينقصه الحروفW, X, Y, Z الكبيرة التى أضيفت فيها بعد لأبجديات اللغات الأوربية الحديثة؛ ويدعو الأمر إلى دراسة متى نبتت تلك الحروف فى اللغات المحلية. وعندما قام جوتفريد زيدلر بدراساته القيمة حول كل الطبعات التى أخذت عن البنط الأول لـ جوتنبرج لم يجد أن هناك أى تداخل بين الحروف التى استخدمت فى طباعة "محاكمة العالم" سواء فى الجزء العلوى أو التجويف. وقد قادته دراساته المستفيضة لهذه الأبناط إلى أن كتاب دوناتوس ذا الـ ٢٧ سطرًا والمحفوظ فى دارمشتادت قد تم طبعه فى وقت سابق على طبع "محاكمة العالم" أما الطبعات الأخرى من كتاب دوناتوس ذى الـ

٢٧ سطرًا والمعروفة باسم: برلين ــ هيلجنشتادت أ؛ برلين ــ هيلنجشتادت ب؛ باريس فهى لاحقة على "محاكمة العالم".

ولكن ما السبب التى جعل جوتنبرج يقطع اطراد طبعات دوناتوس المتعاقبة ليطبع ذلك العمل الآخر الذى لم تصلنا منه إلا قطعة صغيرة؟ يعتقد جوتفريد زدلر أن الأسطورة القديمة لعودة الإمبراطور فردريك قد لعبت دورًا هامًا فى نص قصيدة (نبوءات سبلين) وجعلت المخترع يستجيب للفورة الشعبية العارمة التى فرحت وحيث تم انتخاب فردريك الثالث ملكًا وإمبراطورًا ألمانيا. وهذه الطبعة تعطينا مؤشرًا على أن مخترع الطباعة لم يكن فى يوم من الأيام بمعزل عن الحياة العامة ويعرف ماذا يرضى الجماهير. وأعتقد أنه كان وراء تلك الطبعة دافع ربحى مادى لأن هذه القصيدة المطبوعة كان لها سوق رائجة فى ظل تلك الظروف وإن لم يخل الأمر من دافع سياسى أو دينى كذلك.

وقد دلت الدراسات على أن مؤلف (نبوءات سبلين) أو بمعنى أدق النظم الشعرى لتجميع لنبوءات سبلين القديمة هو زعيم الطائفة الثورنجية كونراد شميد الذى تم إحراقه بتهمة الهرطقة هو وستة من أتباعه فى نوردهاوزن سنة ١٣٦٩م. وقد سجلت المصادر أن ٣٠٠ آخرين من أتباع كونراد شميد تعرضوا للحرق سنة ١٤١٦م فى ظل الحكام العسكريين لمناطق ميزين، وفى ظل نبلاء ثورنجيا وفى ظل كونتات شوارزبرج، قال بعض المتهمين أمام محكمة التفتيش أن الشهيد كونراد شميد سوف يبعث من قبره تحت اسم النبى إينوخ وأن الأخ العلمانى جوندولت الذى أحرق من إيرفورت سيبعث هو الآخر من بين الموتى تحت اسم النبى إليجاه. وتتضمن نبوءات سبلين قطعة كاملة بهذا المعنى. ومن سوء الحظ ليس هناك من سبيل إلى إثبات أن يوحنا جوتنبرج كان يعرف أى شىء عن تلك الارتباطات أو عن تأليف كونراد شميد.

يبدأ نص نبوءات سبلين بأسطورة الخلق وارتداد لوكيفر عن دينه والقذف به فى النار ثم نجد بعد ذلك وصفًا للجنة وإغراء الثعبان لآدم وحواء وطرد أول زوج بشرى من الجنة

وهذه المعلومات تتبع بالتفصيل ما جاء فى الكتاب المقدس وخاصة فى الطبعات التى صدرت من نبوءات سبلين سنوات ١٥١٣، ١٥١٥م التى عاد فيها شميد إلى الطريق الدينى الصحيح.

وبعد ذلك العرض يجىء عرض آدم ذى التسعمائة سنة وهو يرقد مريضًا ويقترب منه الموت ويطلب إلى ابنه سيث أن يحضر له من الجنة فاكهة للعلاج. وعلى بوابة الجنة قابل سيث أحد الملائكة الذى سلمه غصينا يأخذه سيث الذى يعلم وهو فى طريق العودة بأن أباه قد مات فقام بزرعه على قبره. ومن هذا الغصين تنمو شجرة عملاقة قطعها الملك سليمان عندما أخذ فى بناء هيكله؛ ومن خشبها الذى وجد غير صالح للاستخدام فى الهيكل تم بناء جسر على أحد الأنهار.

وقالت إحدى النبوءات للملك سليمان بأن المسيح عيسى سوف يولد وأن اليهود سوف يضطهدونه وأن موته سيكون على صليب مصنوع من شجرة آدم المشار إليها. وتحدثت سبلين عن انتصار المسيحية وامتدادها على امتداد الإمبراطورية فى العصور الوسطى كما تحدثت إحدى أساطير سبلين عن المصائب وسنوات القحط التى ستأتى. وبعد ذلك جاء نقد عنيف ساخر ضد حكم البابوات: ألصق بهم خطايا قاتلة، وقهر الناس، الاستيلاء على الممتلكات المسيحية وإفساد العدل.

وفى إحدى نبوءات سبلين التى تتعلق بتلك الحقبة قالت بأن الإمبراطور فردريك ــ الذى حفظه الله بعظمته ومده بمختلف القوى ــ سوف يعود؛ ولسوف يوحد فردريك الشعب المسيحى تحت راية الله وأن:

القبر المقدس سوف يسترد من جديد

وسوف يزدان التاج المظفر

وسوف تعم البركة كل الأنحاء

هكذا تنبأت سبلين وليس حلمًا

عندما يعلق القصير فردريك

درعه على غصن شجرة

سوف تتحقق النبوءة

فى السماء وهنا تحت...

وبعد أن قام الإمبراطور فردريك بتعليق درعه على الشجرة المتهاوية وتكسرت أغصانها فكان ذلك إيذانا بتحويل كل اليهود وغير المؤمنين والتتار إلى المسيحية وبالتالى لا تكون هناك فى العالم سوى عقيدة واحدة. إنه يسعى إلى تحقيق العدل والسلام إلى أن يظهر المسيخ الدجال لفترة قصيرة ليقود الناس إلى الضلال. وسيعود الاضطهاد والقهر مرة ثانية للمؤمنين وبعدها سيرسل الله أنبياءه إينوخ و إليجاه كى يعظوا بالحق الناس، وسيتم التغلب على المسيخ الدجال وسيذهب إلى الجحيم وفى النهاية يأتى المسيح ليحكم العالم حتى يوم الحساب حيث نجد وصفًا كاملاً فى نص الكسرة الموجودة بين أيدينا.

لقد وصلتنا نبوءات سبلين فى عدة نسخ تعود إلى القرن الرابع عشر والخامس عشر إلا أن هناك فجوة مقدارها نحو خمسين سنة بين طبعة جوتنبرج والطبع التالى للنبوءات الذى توفر عليه هانز سبورر من بامبرج سنة ١٤٩١م والذى جاء بعده مباشرة طبع آخر سنة ١٤٩٢ توفر عليه ماكس إيرر أيضًا من بامبرج و هنريتش نوبلوكتزر فى هايدلبرج. ويرى الثقاة أن طبعات ١٤٩٢م إنما تمثل أحسن طبعات تلك النبوءات على الإطلاق. وربما يكون لظهور هذا الكتاب من جديد فى طبعات شعبية كتلك التى ظهرت فى لاندشوت ١٥١٩ تحت عنوان: "الإمبراطور فردريك الأول فى اسمه بلحية طويلة حمراء أعنى بربا روسا" يكون له علاقة وثيقة بحركة الإصلاح.

لقد تم انتخاب فردريك الثالث وهو من آل هابسبرج ملكًا ألمانياً فى فرانكفورت فى الثانى من فبراير ١٤٤٠م وقد ساند هذا الانتخاب نيقولاس من كيوس بناء على أوامر من البابا. وقد علقت جموع الناس آمالاً عريضة على انتخاب فردريك وتوقعت الكثير فى عهده. ولقد بلغت الخلافات مداها بين حزب الإصلاح الذى استمد قوته من المدن والنبالة الواعية الوطنية وأنصار البابا الذين أرادوا أن تكون لهم الحظوة والصدارة عند

البابا. ولقد أعلن البابا عن حل مجلس بازل ودعا إلى مجلس جديد فى فيرارا ورغم ذلك استمر المجلس فى الانعقاد وأعلن عن انشقاق جديد بانتخاب بابا آخر غير بابا روما أى بابا مضاد. ومن هنا أصبح الملك فردريك الثالث الآن فى وضع يمكنه من فرض السلام كي ينطلق بعد ذلك فى إصلاح الكنيسة والإمبراطورية وفى نفس الوقت كى يرد الترك على أعقابهم. أما فى ستراسبورج ــ التى آثرت سياسة المجلس والتى زارها أخيرًا وحدها الموت الأسود ــ فقد تم الربط بين أسطورة الإمبراطور فردريك والآمال التى علقتها المواطنون على الملك المنتخب حديثًا فردريك الثالث. إن نص نبوءات سبلين الذى يتركز أساسًا حول انتهاكات رجال الدين وتجاوزاتهم إنما يأمل فى تخليص القبر المقدس والآثار المقدسة من أيدى الأتراك مما جعل هذا النص يلقى رواجًا بين العامة فى ذلك الوقت. ويرى الثقات أن هذا هو السبب الحقيقى الذى جعل جوتنبرج يقطع سلسلة طبعات دوناتوس كى يطبع نبوءات سبلين.

بيد أن فردريك الثالث قد خيب ظن مؤيديه السياسيين حيث لم يكن لا ماهراً ولا راغبًا فى شئون الدولة وعرف بين الناس "صاحب أحلام اليقظة الإمبراطور". وقد أصاب حكمه المدن الحرة بارتدادة ونكسة، تلك المدن التى نالت هذا الوضع فى ظل القانون الدستورى للإمبراطورية الرومانية المقدسة للأمة الألمانية والذى استمر حتى ١٨٠٦م. هذه المدن الحرة والأشخاص الذين يحكمونها كانت تتبع القيصر مباشرة وله السيطرة والنفوذ عليها دون حكم وسيط من حكومات إقليمية. فى ظل فردريك الثالث أصبحت تلك المدن مجرد ممتلكات وسلع إمبراطورية وفقدت وضعها المتميز السابق على الأقل من الناحية العملية. ولقد دمر فردريك الإمبراطورية حيث استغل الصراعات الخاصة والصغيرة لمصالح أسرته الخاصة.

فى ظل هذا الوضع ذبلت كل التوقعات التى برزت فى ستراسبورج بعد انتخاب فردريك الثالث سنة ١٤٤٠م بحيث لم تأت سنة ١٤٤٤م إلا وكانت الآمال والتوقعات قد تطايرت وتبددت تمامًا وذلك عندما بات واضحًا تمامًا أنه هو المسئول عن إدخال حجافل الآرمانال إلى الأندلس والتى حاصرت بازل واستراسبورج وفغورمز ومايتز ومن

هنا كان أى طبع لاحق لنبوءات سبيلين يعتبر عملا طائشاً أحمق يوذى الشعور العام. ولذلك يرجع المؤرخون أن نبوءات سبلين لابد وأن تكون قد طبعت فى فترة زمنية بين ١٤٤٠ و١٤٤٤م. وأعتقد أن هذا الاستنتاج منطقى وموضوعى على الرغم من إدراكى التام أن معظم الباحثين فى جوتنبرج يعطون أولوية الطبع لمدينة ماينز وليس لمدينة ستراسبورج.

وعلى أية حال فإن الدراسة المتأنية المحايدة غير المنحازة للمصادر التاريخية تؤيد ما ذهبنا إليه فقد قام هانز ويدمان بتقديم مسح ممتع لذلك فى مقال له بعنوان "حول المصادر التى أرخت لاختراع جوتنبرج" سنة ١٩٧٢م. وكانت حولية ولاية كيلن قد قررت أن اختراع الطباعة تم على يد جوتنبرج من ستراسبورج إلى ماينز سنة ١٤٤٠م. وقد تم إتقانه ١٤٥٠م؛ بينما ماتيو بالميرو يؤكد فى سنة ١٤٨٣م أى أنه كان قريبًا من الأحداث أن الطباعة اخترعت سنة ١٤٤٠ على يد يوحنا جوتنبرج زوم جونجن فى ماينز. وقد كتب جاكوب ويمفلنج فى عمله المعنون "الموجز الألمانى" لسنة ١٥٠٥م وهو أيضًا قريب من الحدث أن يوحنا جوتنبرج اخترع الطباعة سنة ١٤٤٠م فى ستراسبورج وقد أتقنه بعد ذلك فى ماينز. وحيث تأكدنا أن جوتنبرج كان ما يزال فى ستراسبورج فى ذلك الوقت فإننا نخلص بكل اطمئنان إلى أن هذا التاريخ هو أقرب تاريخ لاختراع الطباعة فى ستراسبورج.

ولكن هل طبع جوتنبرج نبوءات سبلين لأغراض هرطقية؟ سؤال ليست عليه إجابة حتى الآن. ولقد أكدت ناتاليا فاسيليفنا فاربانيك فى عملها المذكور سابقًا أن دوافع جوتنبرج كانت فعلاً علمانية هرطقية. ولكن البعض لا يتفق معها فى ذلك وإن لم يستعبدوا تلك الدوافع السياسية ولكن من أجل موازنة الدوافع فإن نص النبوءات يتناول قضايا من تلك التى نوقشت فى مجلس بازل الذى جرّح فيه حتى البابوات أنفسهم بصفة مستمرة. ومن المحتمل أيضًا أن يكون كثير من مواطنى ستراسبورج وأعضاء مجلسها قد رأوا فى هذا العمل إسهامًا فى الموقف السياسى المتوتر. ولا نعتقد أن هذه النبوءات قد خرجت من قلم أحد الهراطقة وإلى جانب أسطورة الإمبراطور فردريك فإن كل عناصر العمل تؤكد أنه حكاية شعبية أو ساجا.

ورغم كل ذلك فإننا لا نجزم جزمًا مطلقًا أن رد الفعل الشعبي كان كله ضد طبع نبوءات سبلين بعد دخول الآرماناك إلى الأراضي الألمانية وإعراض فردريك عن المطالب والآمال الشعبية. ومن المؤكد أن أعداء جوتنبرج لابد وأن يكونوا قد حطوا من قدره بسبب سوء حساباته ولابد أنه ،أيضًا أدرك أنه ليس كل الناس في ستراسبورج أرادوا له الخير بعد أن انقلبت وقائع المحكمة ضد الإخوان دريتزن. وطالما أنه لم تصلنا نسخة واحدة من نبوءات سبلين في ستراسبورج فإن من المحتمل أن يكون مقتنو تلك النسخ أو قسم كبير منهم قد عمدوا إلى حرقها عندما رأوا أن تلك النبوءات لم تتحقق أبدًا. وربما تكون كراهية الناس للإمبراطور فردريك الثالث قد لحقت بالمخترع وأدت إلى خروجه من ستراسبورج.

وخلاصة القول في رأيي الذي أخرج به من كل التفسيرات السابقة أن أي شخص يفحص "كسرة محاكمة العالم" أو "نبوءات سبلين" بالعين المجردة الماهرة ليس فقط من الناحية الطباعية ولكن أيضًا على ضوء الأحداث السياسية المعاصرة، سوف يقتنع تمامًا إن هذه القطعة المطبوعة لابد وأن تكون قد أنتجت بين ١٤٤٠ و١٤٤٤م وأن طبعة واحدة على الأقل من كتاب دوناتوس ذي السبعة وعشرين سطرًا قد سبقتها في الصدور. ومن هذا المنطلق يمكننا القول مطمئنين أن فن الطباعة قد تم اختراعه في ستراسبورج في حدود ١٤٤٠م. ولكنها مدينة ماينز هي المكان الذي خرج منه هذا الفن ليغزو العالم كله.

المحاولات الطباعية الموازية

أسطورة كوستر

دعنا نخوض الآن في حادث آخر وقع في نفس الوقت وكان لعدة قرون مثار جدل وخلاف بين أنصار يوحنا جوتنبرج وأنصار لورنز جانسون كوستر.

كتب أحد الباحثين ويدعى أدريان دي جونجل باللغة اللاتينية (وقد عرف بنفسه على أنه هادريانوس جونيوس "مؤرخ عام" لحاكم الولايات) وصفًا للأراضي الواطئة أي هولندا، وقد طبع ونشر هذا الوصف في ليدن سنة ١٥٨٨م تحت عنوان "باتافيا". وهو

يتضمن تقريرًا عن اختراع الطباعة فى هارلم على نحو ما رآها عليه عندما ألف كتابه سنة ١٥٦٨م حيث كان عليه أن ينتظر ٢٠ عامًا حتى ينشر كتابه. والحقيقة أن أسلوب الكاتب ملىء بالزهو والغرور، ويعرض الصورة بطريقة ساذجة على نحو ما تعرض به قصص العفاريت وتستحق منا أن نقتبس منها نصًا مطولاً:ـ

"لا يحركنى الحسد أو الإرادة المعتلة كي أعقد الفضل لأحد الرجال، بينما أنكره على الشخص الآخر. ولن أقلد عديم الحياء كراسُوس الذى اختلق الأمانة والكرامة لـ سكايفولا على حين أنه فى الوقت نفسه ناضل من أجل الحصول على عطف الجماهير من خلال التملق.

ولسوف أعيد سرد ما تعلمته من السكان كبار السن المحترمين الذين تولوا مناصب رفيعة والذين أقسموا وأكدوا لى أنهم سمعوها من أسلافهم الذين لهم بدورهم وزنهم ومكانتهم ولا يمكن إلا أن نصدقهم.

هناك فى هارلم منذ ١٢٨ سنة [أعنى يونية ١٤٤٠م] عاش فى بيت فخم حيث بعض المبانى ما تزال قائمة حتى اليوم فى ساحة السوق فى مقابلة القصر الملكى، شخص يدعى لورنز جانسون واسم عائلته كوستر. وفى ذلك الوقت كان لتلك العائلة منزلة اجتماعية سامية وموقرة فى العالم. وهذا هو الرجل الذى يجب أن تعقد له الشهرة التى حصل عليها شخص آخر فى الوقت الحاضر؛ شهرة اختراع فن الطباعة كله والذى يؤهله لأن يكلل بأكاليل الغار والنصر أكثر من كل المنتصرين الآخرين.

وبدأت القصة عندما كان الرجل يتمشى ذات يوم فى الغابة القريبة من هارلم ــ مثل كل الناس بعد تناول الغذاء أو فى أيام الأعياد ــ وقطع بعض الحروف من لحاء شجر الخوخ وطبع منها وهى مقلوبة كالأختام حرفاً بعد حرف صورتها على الورق. وطبع من هذه الحروف سطرًا أو سطرين كنماذج يسلى بها أطفال زوج ابنته [أى أحفاده لابنته]. وعندما نجحت تلك التجربة بدأ يطبقها على نطاق أوسع إذ كان الرجل ذا عقلية محبة للاستطلاع تواقة إلى اكتشاف المجهول يساعده فى ذلك زوج ابنته توماس بيترزون

(الذى خلف وراءه أربعة أطفال أصبحوا جميعًا فيما بعد عُمدا فى المدينة لنجابتهم، وأنا أذكر ذلك حتى يعرف الجميع أن هذا الفن قد انبثق عن عائلة أصيلة منسبة وليس عن عائلة من قاع المجتمع). والرجل قبل كل شىء اخترع نوعًا من الحبر الثابت الذى لا يزول بسهولة والذى له قيمة عالية (لأن الحبر الذى كان موجودًا آنذاك يزول بسرعة ويبقعٍ). ومن هذا الحبر طبع لوحات كاملة مصورة أضاف إليها كلمات من حروف متفرقة. ولقد رأيت بنفسى بدايات هذه الجهود [أى اللوحات الأولى] مطبوعة على وجه الورقة فقط وليس على وجهى الورقة. ولقد كُتب الكتاب موضوع الجدل باللغة الهولندية على يد مؤلف مُجّهل وكان عنوانه "مرآة خلاصنا"؛ وفى تلك القطع المهادية ــ التى لم يكن فن طباعتها قد وجد وأتقن ــ كانت الأوراق أيضًا مطبوعة على وجه واحد فقط مع لصق الظهور البيضاء ظهرًا لظهر معًا، وبالتالى لا تشف الطباعة من الظهر.

وفيما بعد ذلك استبدل الرجل الحروف المصنوعة من خشب الخوخ بأخرى مصنوعة من الرصاص، وبعدها صنعها من الصفيح حتى تصير أجمد وأصلب. وما تزال أوانى النبيذ التى استخدمت لصهر وصب تلك الحروف ما تزال معروضة كآثار فى منزل لورنز جانسون فى باحة السوق. هذا المنزل الذى سكنه بعد ذلك حفيد ابنته جيريت توماسون وهو مواطن ذو أهمية وحيثية مات عن سن كبيرة منذ سنوات قليلة مضت. وهكذا استقبل الفن الجديد بحماس شديد وقد اجتذبت منتجاته التى لم تر قبلاً المشترين من كل الأصقاع وجلبت أرباحًا طائلة لأنه مع التجويد والتطوير كان هذا الفن يزدهر. وقد استعان الرجل بعدد من المساعدين وتلك هى بداية المأساة وسوء الحظ لأنه كان من بين الصبية المتدربين شخص يدعى يوحنا (جوهان) والذى يشك المرء من اسم عائلته المشؤوم فاوستوس أن يكون هو ذلك الخادم الخائن الذى جلب النحس على سيده، وربما يكون شخصًا آخر له نفس الاسم. وهذا يكفى لى الآن لأننى لا أريد أن أسىء إلى الموتى الذين عانوا فى حياتهم بما فيه الكفاية من عذاب الضمير.

هذا الـ يوحنا الذى أقسم القسم قبل أن يلتحق بالعمل انتهز أول فرصة بعد أن تعلم بما فيه الكفاية فن وصل الحروف [التنضيد] وصب الأبناط ــ كل العمل فى حقيقة الأمر

ـ لينسل هاربًا. وقد حدث ذلك عشية ليلة الكريسماس وعندما كان الناس جميعًا فى الكنيسة وقد حمل معه كل قوالب الأبناط والأدوات والمعدات التى أعدها سيده لتنفيذ الصنعة وغادر المدينة كلها بجميع تلك الأشياء. وقد هرب أولاً إلى أمستردام؛ وبعدها إلى كولون إلى أن وجد ملاذه أخيرًا فى ماينز ـ حيث غدا خارج حزام النار كما يقولون ـ وحيث عاش فى أمان وحصد الثمار الثرية من وراء سرقته عندما فتح ورشة طباعة.

وما نعلمه على وجه اليقين أنه فى خلال سنة واحدة من عشية الكريسماس تلك سنة ١٤٤٢م طبع وأصدر بنفس أبناط لورنز التى استخدمها فى هارلم كتاب "العقيدة" لـ ألكسندر جالوس وهو كتاب فى قواعد اللغة كان واسع الانتشار آنذاك وكتاب بتروس هسبانوس Tractatus Synctegorrematum.

هذا هو بالتقريب ما علمته من ناس طاعنين فى السن ولكنهم موثوقون عاشوا طويلاً وهم من بين هؤلاء الذين حملوا المشاعل وسلموها من يد ليد. كذلك قابلت آخرين الذين وصفوا لى وشهدوا أمامى نفس الشىء. وأنا أتذكر نيقولاوس جال معلمى وهو رجل قوى الذاكرة وفى سن متقدمة وقدوة وهو يقول لى إنه وهو صبى سمع أكثر من مرة من شخص يدعى كورنيليس مجلد الكتب كان فى ذلك الوقت فى سن الثمانين تقريبًا وكان صبيًا يتدرب فى نفس مكتب الطباعة، تتابع أحداث اختراع ذلك الفن كما قصها ورآها من الأسطى. هذا الـ كورنيليس تحدث عن ازدهار ذلك الفن وتطوره من فن بدائى إلى مرحلة الاتقان ومسائل أخرى من هذا النوع. وكاد الرجل يبكى عندما وصل إلى نقطة وصف حادث السرقة وحنق بشدة لأن الشهرة تحولت إلى شخص آخر مجرم لو لحق به أثناء السرقة لقتلهه ولعن الرجل تلك الليالى على مدى عدة شهور اضطر فيها أن ينام على سرير واحد مع ذلك اللص.

هذا الكلام يتفق مع كلمات العمدة كويرينوس تاليسيوس الذى اعترف لى أنه قد سمع نفس الشىء من قبل من فم نفس مجلد الكتب.

وإذا أذن للحق أن يعود لأصحابه فإن على مدينتنا أن تستعيد شرف هذا الاختراع

العجيب وأن تنال حظها من الشهرة التى سلبت منها ويالها من جرأة وقحة من جانب هؤلاء الذين لا يُخجلون أن يسطوا على تراث الآخرين ويدعوه لأنفسهم؛ وبكل الحماقة يهضموا حقوق الورثة الشرعيين.

ويتساءل بعض الباحثين تعليقًا على النص السابق بأن المرء لا يملك إلا أن يلتمس العذر لـ هادريانوس جونيوس ويقبل عدم التركيز فى تقريره لأنه على أية حال كان يكتب وصفه ويسجل أحداثه بعد قرن ونصف تقريبًا من وقوع تلك الأحداث. ومع ذلك فإنه ضرب من ضروب الإعجاز أن يستطيع كوستر التقاط فكرة صنع الحروف من خشب الخوخ لأحفاده ثم يطور العمل ليطبع كتبًا أولاً من الكتل الخشبية (وهو ما كان حقًا وصدقًا يحدث فى هولندا و هارلم على وجه الخصوص) ثم بعد ذلك من الرصاص ثم من الصفيح وكل هذا فى ظرف ستة شهور سبقت عشية الكريسماس التى قام فيها صبيه الخائن بسرقة الأبناط وسر الطباعة. إن تتابع الأحداث بهذه الكيفية يحتاج فى حقيقة الأمر إلى عدد من السنين.

وكيف تسنى استمرار الطبع بعد أن قام المساعد الخائن بسرقة كافة القوالب التى كانت تصب الحروف فيها؟ وللمرء أن يفترض أنه تم صب أبناط جديدة من قوالب جديدة بنفس السرعة التى تم بها الاختراع من البداية وأن الطبع قد استمر خاصة أن المشروع كما ذكر فى النص كان مربحًا. والحقيقة التى لامراء فيها أن كورنيليس هو شخصية حقيقية عاش فى الفترة المذكورة وكان مجلد كتب وتاجر كتب وخطاطًا ومات سنة ١٥٢٢م عن عمر يناهز الثمانين ومن ثم يكون الرجل فى سن المهد وقت وقوع السرقة ولا يمكن أن يكون قد شارك اللص سريره ونام معه. أما تلك الكتب المطبوعة التى نسبتها إلى كوستر الأجيال السابقة من الباحثين، فقد عرف مؤخرًا أنها جميعًا قد طبعت بعد ١٤٧٠ وربما ليس فى هارلم وإنما فى أوترخت، ومن بينها يقينا كتاب مرآة خلاصنا أو الخلاص الإنسانى عن طريق الكتل الخشبية وكان هذا الفن يمتد لعقود طويلة قبل تاريخ تلك الأحداث. ومن الثابت لنا يقينا اليوم أن كوستر كانت له مكانه ليست باليسيرة فى

إنتاج هذا النوع من كتب الكتل الخشبية. ومن ثم فإن ذلك الجانب من تقرير جونيوس له قوته وصدقه.

ويستطرد الثقات فى القول بأن كتب الكتل الهولندية كانت من نوع غير عادى. وقبل قطع الكتلة الخشبية كان النص يكتب ثم يضغط عليها مقلوبًا من الخلف للأمام وذلك على الوجه الناعم للكتلة الخشبية. وربما يكون قد خطر لبعض قاطعى تلك الكتل أن يبسط هذا العمل وخاصة بالنسبة للعمال غير المهرة الذين يبصمون النص على الورق، عن طريق نحت أختام خشبية تسير كتابتها من اليمين لليسار تستخدم لوضع فواصل على النص حرفًا بحرف على سطح الكتلة الخشبية قبل قطع الكتلة. ومن الطبيعى حتى فى ظل تلك الظروف أن يكون المنتج كتلة خشبية تقليدية ولكن مع ملمح جديد هو طالما أننا نستخدم ختمًا طبق الأصل كنموذج للفواصل بين سطور النص المقطوع على الكتلة وبسبب عدم انتظام السطور فإن من السهل أن نعتقد أن النص قد جمع عن حروف متحركة. ونفس هذه الطريقة يمكن أن تطبق عمليًا وبنفس القدر على لوح من الصفيح أو الرصاص فنحن نعرف من تاريخ طباعة الصور أن قطع المعادن قديم قدم قطع الخشب.

وما يزال هناك فرض آخر يسكن الإنتاج الفكرى الذى كتب حول كوستر. هذا الفرض يقول بأن المطبوعات الهولندية الأولى (كوستريانا) قد تم تنضيدها من حروف تم صبها عن طريق صبة الرمل. وقد حاول أحد مسابك الحروف الهولندية إجراء تجارب على جميع مراحل إنتاج كتاب عن طريق أبناط مأخوذة عن صبات رملية. ولكن من خلال تلك التجربة الفعلية اتضح أنها مرهقة للغاية لأنه بعد كل صبة فلابد من تغيير القالب وتؤخذ بصمة أخرى جديدة عن رمل جديد. وعلى فرض أن هذه العملية تم استخدامها وتوظيفها خلال القرن الخامس عشر فلماذا بقيت فى النفق المظلم.

ورغم أننى أتشكك فى تلك التكنولوجيا وفى جدوى استخدامها إلا أن الباحث المدقق جوتفريد زدلر يقدم لنا تفسيرًا وشرحًا لتعقيدات عملية صب الرمل وذلك فى

كتابه باللغة الألمانية "من كوستر إلى جوتنبرج". وطبقًا لما قدمه من شرح فإن العملية تبدأ بحروف خشبية نموذج تحفر وتعد بواسطة سكين حادة وتصب الحروف بداخل تلك القوالب الخشبية حيث يمكن الحصول على نسخ عديدة من كل حرف وهكذا فإن كل جسم مستطيل يحمل معه سطحًا طباعيًا ويعدل بالضبط من حيث الارتفاع ليضغط على الورق ومن حيث العرض حتى يلتحم بالحروف الأخرى ليكون الكلمات. ويستمر زدلر فيقول:

"إن عددًا من تلك النماذج ينصب إلى أعلى ومع وجود السطح الطباعى فى قمة النموذج وسط خلطة من الرمل التى تستند إلى قاعدة خشبية ويتم الاحتفاظ بها فى صندوق صب حديدى ويضاف المزيد من الرمل ثم يضغط إلى أسفل حتى لا يبقى بارزًا من القمة إلا ثلاث ملليميترات فقط من هذه النماذج. ويسوى سطح الرمل وينثر عليه طبقة من المسحوق العازل. ويثبت إطارعلوى بدقة على صندوق الصب ويملأ بالرمل المضغوط حتى تطمر النماذج بدقة قدر الإمكان. ويتم بعد ذلك ضغط الإطار العلوى لصندوق الصب الذى يحتوى على كل الرمل وذلك على رؤوس الحروف ثم يرفع الإطار بعد الضغط ثم تزال أيضًا القوالب الخشبية تاركة فراغًا على هيئة أجسام الحروف فى رمل الإطار السفلى، وتحفر أخاديد فى رمل الإطار العلوى: أخدود رئيس وكثير من الأخاديد الفرعية لتوصيل وربط كل بنط على حدة وللسماح بمعدن الأبناط الذائب المسال بالوصول إلى جميع الجهات قبل أن يبرد. وأخيرًا يلتحم نصفًا صندوق الصب ويربطان معا بقلاووظ يخترق ألواح القمة الخشبية إلى ألواح القاعدة وبعدها يمكن القيام بعملية الصب أو السبك".

ويعتقد الثقات بعد استعراض طريقة تكنولوجيا الصبة الرملية أن كوستر لم يلجأ إلى هذه الطريقة ذات الإجراءات الشاقة فى إنتاج أبناط الطباعة. ومن غير الطبيعى أو الواقعى أن يكون كوستر قادرًا على حفر الحروف من الخشب بدقة متناهية بحيث تأتى الحروف المختلفة المصبوبة عن تلك القوالب متساوية الارتفاعات المضبوطة. والقصة التى تقول بأن المخترع الهولندى نشر أى قطع الحروف الفردية من نص كتلة خشبية

واستخدمها فرادى بعد ذلك فى مصفوفة كحروف متحركة قد تبدو هى الأخرى بعيدة عن الواقعية. حقًا لقد استخدمت طريقة مماثلة فترة من الزمن فى الشرق الأقصى كما سنرى فيما بعد، إلا أن تلك التكنولوجيا الشرقية بنيت على أشكال الكلمات وليس كحروف متفرقة، على نحو ما نصادفه فى أشكال المربعات الصينية.

ويرى هؤلاء المفكرون أنه إذا كانت أسطورة كوستر قد عاشت على مدار القرون فإن ذلك إنما يرجع فى حقيقة الأمر وقبل كل شىء إلى الملاحظات والتعليقات التى كتبت حول اختراع الطباعة فى حولية ولاية كيلن لسنة ١٤٩٩م والتى ألمحت إليها من قبل وحيث النص الأصلى فى تلك الحولية يسير على النحو الآتى:

"المخترع الأول للطباعة هو مواطن من ماينز وكان قد ولد فى ستراسبورج ويدعى السيرجوهان جوتنبرج. بند: ومع ذلك فإنه على الرغم من أن الفن قد اخترع بداية فى ماينز على النحو الذى مورس به من ذلك الوقت حتى يومنا هذا، إلا أن مراحله الأولى وجدت أساسًا فى هولندا فى كتب دوناتوس التى طبعت هناك فى وقت مبكر. من هذه وغيرها جاءت البدايات الأولى لـ **"الفن الأول"** الذى أصبح الآن أكثر مهارة وأكثر حذقًا بكثير مما كان عليه فى الطريقة الباكرة، والذى غدا يمارس ببراعة مع مرور السنين".

إن كاتب تلك الحولية الذى يشبه اسمه اسم من أمده بتلك المعلومات أولرخ زيل أول طابع فى كولون (كيلن) يؤكد ليس فقط أن جوتنبرج هو مخترع هذا الفن ولكنه أيضًا يقرر أن الكتب كانت تطبع فى هولندا فى وقت مبكر عن وقت جوتنبرج. وربما استنتج بعض الباحثين أن يوحنا جوتنبرج عرف بأمر كتب الكتل الهولندية تلك ومن ثم أعطته بطريقة أو بأخرى نقطة الانطلاق وربما الحافز أيضًا إلى الاختراع. بطبيعة الحال من الممكن جدًا أن يكون قد عرف بأمر كتب دوناتوس التى طبعت فى هولندا ومن المحتمل أن يكون قد ارتحل إلى هولندا فى وقت من الأوقات بين ١٤٤٤ و١٤٤٨م وخبر بنفسه هناك طريقة وتكنولوجيا قطع الكتل الخشبية وصناعة الحبر والطبع أيضًا عن تلك الكتل الخشبية. ومع كل هذا يعتقد بعض الباحثين أنه من غير المعقول أن يكون جوتنبرج

المشتغل بالمعادن قد غير طريقة واتجه صوب الكتل الخشبية أو صوب الأنماط الخشبية وطريقة صب الأبناط بالرمل.

وفى هارلم ما يزال هناك أثر مقام فى سوق جروت لمخترع فن الطباعة. وفى متحف فرانز هالس فى جروت هيليجلاند نجد مجموعة جميلة من كتب الكتل وإرهاصات الطباعة بالحروف المتحركة ومن بينها نسخ من "كتاب الفقراء المقدس" و "كتب دوناتوس"، و"تعليم الأبجدية" وكتاب "الخطايا السبع القاتلة" والكتاب الذى سبق ذكره وهو "مرآة خلاصنا". وفى فليشال حيث متحف أنشيديه يقف تمثال منحوت بالحجم الطبيعى للمخترع لورنز جانسون كوستر يمسك بيده أحد الأبناط وتمثال هادريانوس جونيوس يمسك فى يده كتابًا هو الكتاب الذى يتضمن أسطورة كوستر التى سقنا جانبًا منها.

ماذا وقع فى أفجنون؟

أفجنون مدينة متوسطة الحجم تقع فى جنوب فرنسا وشمال إيطاليا اتخذها البابوات مقرًا لهم فى الفترة من ١٣٠٩م إلى ١٤١٧م بما فيها سنوات الانشقاق الكبير الذى بدأ ١٣٧٨م. وقد ظلت هذه المدينة مركزًا تجاريًا مزدهرًا حتى بعد إنهاء الانشقاق سنة ١٤١٧ م على يد مجلس كونستانس فى تلك السنة. وقد وصلنا عدد من الوثائق يثبت أنه فى تلك المدينة ظهر سنة ١٤٤٤م ــ وهو نفس التاريخ بالضبط الذى توقفت فيه الأخبار عن جوتنبرج فى ستراسبورج ــ شخص يدعى بروكوبيوس والدفوجيل من براغ كان يعرض هناك تعليم طريقة للكتابة الصناعية وكان قد أحضر معه حروفًا من حديد وصفيح ونحاس ورصاص. وطبقًا لإحدى الوثائق القانونية مؤرخة فى ٤ يولية ١٤٤٤م كان فى حوزته أبجديتان من الصلب و٤٨ قالبًا من صفيح وقوالب أخرى كان قد أعدها للأستاذ مانودوس فيتاليس. وهناك ذكر لقلاووظ واحد من الصلب وقالبين من الحديد وأشياء أخرى.

وفى عقد مؤرخ بتاريخ ٢٦ من أغسطس سنة ١٤٤٦م نجد والد فوجيل يلزم نفسه

بتعليم جورج دى لاجاردين من أفجنون فن الكتابة الصناعية؛ وذلك فى مقابل أجر قدره عشرة جولدن فى البداية ثم بعد ذلك ثمانية جولدن كل شهر. وكان على جورج دى لاجاردين أن يقسم ألا يعلم أحدًا آخر هذا الفن الجديد.

وثمة عقد آخر مؤرخ فى ١٠ من مارس ١٤٦٦م موقع هذه المرة مع طابع نسيج يهودى من أفجنون اسمه دافين دى كاديروس، تعهد فيه والدفوجيل أن يسلمه مجموعة من ٢٧ حرفًا عبريًا وللمرة الثانية كان لابد من أن يتعهد اليهودى بالحفاظ على سرية الفن طالما بقى بروكوبيوس والدفوجيل فى أفجنون.

وهناك أخيرًا سجل يؤكد أن مانودوس فيتاليس باعتباره شريكًا سابقًا له فى العمل كان عليه أن يقسم بأن فن الكتابة الصناعية "هو فن حقيقى وثقة لأى شخص يتناوله بحب، ويمكن السيطرة عليه بسهولة وفيه فوائد عديدة ــ وكان على فيتاليس أن يعيد العدد الحديدية والصلب والنحاسية الحمراء والنحاسية الصفراء والصفيح والرصاص وكذلك الخشبية التى كان قد حصل عليها من بروكوبيوس والدفوجيل، ويسترد ١٢ جولدن حصته عند ترك العمل. ويختفى بروكوبيوس والدفوجيل عن الأنظار بعد إبريل ١٤٤٦م أو إن شيئنا الدقة لم نعد بعد ذلك التاريخ نعرف شيئًا عن وجوده فى أفجنون ولم يخلف وراءه شيئًا من الكتب المطبوعة أو أية قرائن تدل عليه وعلى عمله.

ولكن يا ترى ماذا كانت تلك الأسرار التى عرض والدفوجيل أن يفصح عنها فى أفجنون؟ من الواضح أن مانودوس كمدرس مدرسة لم يكن ليبحث عن مجرد تعليم فى عمل معروف ومنتشر بين الناس ولم يكن مشاركًا فى مشروع لإنتاج الكتب والمخطوطات بالطرق التقليدية؛ ويبدو أن الحروف والقوالب المذكورة فى الوثائق لابد وأنها قد استخدمت فى استنساخ نصوص كتبت بالقلم والحبر، أى بواسطة هذا النوع الجديد من الكتابة الصناعية. ويستتبع ذلك بالضرورة أن تكون تلك الحروف والقوالب تمثل أبجدية ما؛ فمجموعة من ٢٧ حرفًا عبريًا إنما تمثل أبجدية كاملة للغة العبرية، و٤٨ حرفًا من الصلب وما يقابلها بنفس العدد من قوالب صفيح إنما تمثل القوالب اللاتينية للحروف الكبيرة والحروف الصغيرة. ولكن كما يرى كثير من الثقاة أنه من المستحيل تنضيد كتاب

من أبجدية مفردة ذلك لأننا نحتاج إلى نسخ كثيرة من الحرف الواحد؛ وربما كان الهدف من الأبجدية الواحدة تلك هو التعليم فقط وليس التنضيد والدليل على ذلك من قول مانودوس نفسه بأن الفن الجديد من السهل تعلمه؛ ومن جهة أخرى يحتاج تنضيد الكتب وطبعها إلى وقت طويل وعملية معقدة.

ومع تسليمنا بذلك فإن هناك من المصادر المعاصرة ما أشار إلى وجود سبك للحروف من معادن مختلفة: صلب، حديد، نحاس أحمر، صفيح، نحاس أصفر، رصاص. وهذا يدعونا إلى تخمين أن قوالب الحديد أو الصلب ربما تستبدل بالنحاس الأحمر أو النحاس الأصفر وبذلك يمكن صب الحروف فى تلك القوالب من الرصاص أو الصفيح. ومن المعروف أن البصم على جلود الكتب بأدوات النحاس الأصفر كان معروفا ومنتشرا فى ذلك الوقت وعلى سبيل المثال وا أشرنا إليه من أخذ صبات لحروف مفردة من المعدن بطريقة الصب الرملية ـ وهى عملية قام بها سباكو الأجراس والنواقيس ردحا طويلاً من الزمن ـ إلا أن شيئًا من هذا القبيل كله لا يمكن أن ينطبق على وصف "الكتابة الصناعية" التى سيطر عليها وأجادها بروكوبيوس والدفوجيل. ولذلك يرى بعض الباحثين أن القوالب والأمهات والحروف المعدنية كانت كلها تستخدم فى كبس النصوص على الكتل الخشبية التى كانت تقطع بسكين لطباعة كتب الكتل الخشبية بالطريقة التقليدية. ويبدو أن كتب الأبجديات وكتب دوناتوس كانت الأعمال الأوسع انتشارًا التى استخدمت فيها الكتل الخشبية. ولما كان الأستاذ مانودوس فيتاليس يعرف احتياجات تلاميذ المدارس وطلابها فى هذا المجال فقد سعى إلى إنتاج النصوص الملائمة لهم بواسطة الكتل الخشبية التى تعلمها من بروكوبيوس. وحتى كلمات فيتاليس من أن الفن الجديد "هو فن حقيقى وثقة لأى شخص يتناوله بحب" تشير إلى أن العمل مع الحروف المفردة يتطلب التنضيد الدقيق وضبط المواضع تمامًا عند الطبع والكثير من الصبر للوصول إلى منتج جيد.. ومهما يكن من أمر فإن كل ما سبق يبقى فروضًا دون تحقيق لأنه لم تصلنا أية مطبوعات من أفجنون لا بالكتل الخشبية ولا بالحروف المتحركة.

ولكن من عساه يكون هذا الـ بروكوب أو بروكوبيوس والدفوجيل (وتكتب

بهجاءات مختلفة فى اللاتينية؟ هل كان محتالاً مخادعًا أم دجالاً مشعوذًا كما ذهبت المصادر الألمانية على وجه الخصوص. تذكر المصادر الألمانية أن أباه كان صانع سكاكين فى براغ وطردت الأسرة كلها من المدينة وسلبت ممتلكاتهم على يد الهوسايت. وحصل بروكوبيوس على المواطنة فى مدينة لوسيرن سنة ١٤٣٩م. ومن الثابت تاريخيًّا أن الإخوان دريتزن الذين سبق وأن أقاموا دعوى قضائية ضد جوتنبرج فى ستراسبورج فى نفس سنة ١٤٣٩م واستولوا على طابعته، كانت لهم علاقات عمل فى مدينة لوسيرن. فى "كتاب الغرامات" الخاص بتلك المدينة يسجل عقوبة على المدعو جورج دريتزن من ستراسبورج لاشتراكه فى شجار خلال زيارة قام بها للمدينة سنة ١٤٤٣م. وربما يفتح ذلك باب إمكانية وجود علاقة من نوع ما بين جورج دريتزن و بروكوبيوس والدفودجيل فى لوسيرن. إن صانع السكاكين لا يحتاج إلا إلى وقت قليل وممارسة بسيطة ليلتقط أساسيات حفر الأسطح المعدنية أو صب الحروف من قوالب وأمهات. بل وربما يكون قد اشترى القوالب والأمهات والحروف من دريتزن وربما أيضًا القلاووظ الحديد الذى يمثل أهم قطعة فى الطابعة. وبهذه المعدات فكر بروكوبيوس فى إقامة مشروع هناك فى أفجنون على غرار بدايات جوتنبرج فى ستراسبورج أى بيع خبرته للآخرين وتعليمهم الطباعة الجديدة. ولكن تنقصنا الأدلة عن علاقة مباشرة بين ستراسبورج و أفجنون. وإن من غرائب الأمور أن نجد من بين المقيمين فى أفجنون فى ذلك الوقت صائغ فضة من ستراسبورج اسمه والتر ريف. وقد سبقت الإشارة إلى شريك لـ يوحنا جوتنبرج فى ستراسبورج اسمه هانز ريف حاكم ليختناو. فهل كانت هناك قرابة من أى نوع بين والتر ريف و هانز ريف؛ وهل كان وجود والتر ريف و صانع السكاكين بروكوبيوس والدفوجيل فى أفجنون هو لنفس الغرض أى تسويق خبرة الطباعة بالحروف المتحركة... إنها أسئلة مثل عشرات الأسئلة حول جوتنبرج والطباعة بالحروف المتحركة لا نجد لها إجابات وستظل مفتوحة إلى أن تأتى القرائن.

يذهب بعض الثقات من الألمان أيضًا إلى الاعتقاد بأن يوحنا جوتنبرج نفسه كان ضالعًا بصورة مباشرة فى عمليات أفجنون. وعلى الرغم من عدم وجود أية قرينة مباشرة

تؤكد وجوده فى مكان محدد فى ذلك الوقت إلا أننى أميل نحو إمكانية حدوث ذلك، على أساس استعادة الإنجازات التى تمت فى ستراسبورج كان من الممكن أن تصل إلى مرحلة الأثمار فى مكان آخر. وحيث تدل كل المظاهر والظواهر أن "الكتابة الصناعية" على نحو ما دلت عليه وثائق أفجنون إن هى إلا امتداد لنشاطات جوتنبرج فى ستراسبورج ومن البديهى أن يكون جانب من المعلومات عن اختراع الطباعة قد تسرب خارج نطاق الشركاء المباشرين بعد العديد من الدعاوى التى رفعت ضد ومع جوتنبرج. وقد حاول الآخرون تكميل الصورة بطريقتهم الخاصة وتحويل المسألة إلى مشروع ربحى. والحقيقة التى أود التأكيد عليها هى أن فترة أفجنون لا ينبغى أبدًا أن يتم تجاوزها وإهمالها لأنها تكشف يقينا عن بعض التفاصيل الفنية المتعلقة بمشروع جوتنبرج فى ستراسبورج "المغامرة والفن". ولا أدرى الأسباب التى جعلت مؤرخى الطباعة يمرون عليها مرور الكرام.

هل تأثر جوتنبرج فى إختراع بالطباعة فى آسيا:

التشابه والتوازى فى الطباعة بالحروف المتحركة المعدنية بين كوريا و جوتنبرج متقارب ومدهش وفكرة إن معرفة الطباعة فى الشرق الأقصى قد شقت طريقها إلى ستراسبورج أو ماينز ترددت كثيرًا فى كتابات مؤرخى الطباعة وتستحق أن نتعقبها وإن كان هذا الموضوع لم يستأثر باهتمام الباحثين إلا فى وقت قريب نسبيًا. وربما كان أول من أثار هذا الموضوع هو مدير متحف جوتنبرج ألويز روبيل آنذاك فى عمله الرائع الذى نشر سنة ١٩٣٩م لأول مرة حيث قال بالنص "إن السؤال عما إذا كانت تكنولوجيا الطباعة الكورية الباكرة قد عرفت فى أوربا على أيام جوتنبرج وعما إذا كان قد تأثر اختراعه بها ليست عليه إجابة إلا النفى طالما أنه حتى الآن لم يثبت لنا وجود أية علاقة مهما كانت بسيطة بين الاكتشافين الكورى وماينز" وتلك النتيجة التى توصل إليها ألويز روبيل تستدعى منا الآن بحثًا واعيًا شاملاً محيطًا.

مما لاشك فيه بلا منازع أن أوربا دانت للحضارة الصينية والعلم الصينى والثقافة الصينية القديمة بالشىء الكثير فى العديد من المجالات. ومن بين الأشياء الكثيرة التى

وجدت فى الصين وشقت طريقها إلى أوربا نذكر القليل: الحرير، الأبرة الممغنطة، بودرة البندقية (البارود)، الورق، القيشانى (البورسلين)... هذا قليل من كثير من الاختراعات والاكتشافات التى توطنت فى الصين وبعد فترة انطلقت من الصين ــ ربما عبر العرب ــ إلى أوربا. والطريق الذى سلكته صناعة الورق من سمرقند والعالم الإسلامى يمكن بكل سهولة تتبعه بل ورسمه متقطعًا عبر القرون بدقة معقولة. وكانت الكتل الخشبية وطباعة كتب الكتب معروفة فى الشرق الأقصى قبل أن تشق طريقها إلى أوربا بما لا يقل عن ٦٠٠ سنة. ومن المؤكد أن المليون نسخة التى أمرت إمبراطورة اليابان شوتوكو بطبعها من كتاب "عجائب دارانى" قد تم نشرها مع ٧٧٠م كما أشرت سابقًا وهناك نماذج كثيرة من نسخ هذا الكتاب فى المكتبة البريطانية وحيث توجد النسخة الوحيدة من كتاب "ماسة سوترا" أيضًا. وكان هذا الكتاب الأخير الذى طبع ٨٦٨م كان ينظر إليه سابقًا على أنه أقدم كتب الكتل الخشبية التى وصلتنا فى جميع أنحاء العالم قبل اكتشاف نسخ "عجائب دارانى" وغيرها من الكتب الأسبق والتى جاءت من الصين وكوريا وحيث ذكر ل. س. جودريتش فى دراسته الطيبة المعنونة "اكتشافان جديدان من مطبوعات الكتل الخشبية الباكرة سنة ١٩٧٢؛ أننا الآن نملك عددًا من "عجائب دارانى" طبعت فى مدى زمن قصير وقريب من بعضها البعض: فى كوريا (٧٥١م؟)؛ فى الصين (٧٥٧م)، اليابان (٧٦٤ ــ ٧٧٠). ولقد أكد جميع الباحثين أن جميع الكتب التى طبعت فى الشرق الأقصى فى تلك المرحلة قد أخذت عن نصوص محفورة على الكتل الخشبية بالطرق التقليدية.

ويرى المراقبون أن الحروف الصينية المكتوبة قد لعبت دورًا هامًا جدًا فى نشر تعاليم كونفوشيوس و بوذا يشبه ويضارع الدور الذى لعبته اللغة اللاتينية والأبجدية اللاتينية بالنسبة للكنيسة الكاثوليكية الرومانية. لقد صاحب طباعة كتب الألواح الخشبية انتشار اللغة الصينية إلى جميع الأراضى التى وصلت إليها تعاليم بوذا وخاصة فى كوريا واليابان. لقد انتشرت كتب وتعاليم بوذا فى الصين وكوريا فى القرن العاشر والقرن الحادى عشر للميلاد وذلك بفضل ومساعدة الكتب المطبوعة بالكتل الخشبية ــ فى خلال حكم الإمبراطور الأول من أسرة سونج ربما سنة ٩٧٢م صدرت طبعة تذكارية من الأعمال

الكاملة لتعاليم (شريعة) بوذا المعروفة تحت عنوان "تريبيتا كا" والتى وقعت فى ١٣٠.٠٠٠ صفحة والتى تطلبت بالضرورة هذا العدد الضخم من الكتل الخشبية. وأكثر من هذا عمت أوراق النقد المطبوعة جميع أنحاء الصين وجميع شرائح السكان منذ القرن الحادى عشر فصاعدًا وكل ذلك بفضل طباعة الكتل الخشبية.

ومما لا يفوت علينا ذكره أن رجل الدولة الصينى شن كوا (١٠٣٠ ـ ١٠٩٣) كتب أنه فى السنوات بين ١٠٤١ ـ ١٠٤٩ قام الصائغ باى شينج بعمل أبناط متحركة من الطين الصلصال ثم سواها على النار ونضدها وطبع بها. وقد وصف شن كوا هذه الطريقة بكلماته الآتية:

"لقد جاء بالطين الصلصال اللزج وقطعه إلى أبناط رقيقة مثل حافة الختم. وكل بنط كان يمثل حرفًا قائمًا بذاته. وقد سوَّاها على النار حتى تصير أجمد وأصلب وكان قد أعد مسبقًا لوحة حديدية وغطاها بمزيج من صمغ (راتنج) الصنوبر والشمع ورماد الورق. وعندما كان يريد أن يطبع كان يأتى بإطار من حديد ويثبته فوق اللوحة الحديدية وداخل هذا الإطار الحديدى كان يضع الأبناط وتضم معًا بقوة وعندما يمتلئ الإطار كله كان يمثل كتلة واحدة متماسكة من الأبناط بعدها يقوم بتقريبه من النار حتى يسخن، وعندما يذوب العجين الذى فى القاع إلى حد ما يأتى الرجل بلوح من الورق ويضغطه على السطح حتى يستوى تمامًا ويصبح كالحجر الأملس صالحًا للطبع".

وقد أثنى شن كوا على الاقتصاد الكبير الذى يحققه هذا الاختراع وأكدَّ على أن نفس الأبناط يمكن استخدامها فى الطبع عدة مراة. ويعلق بعض مؤرخى الطباعة على كلام شن كوا فيقول بأن هذا الوصف غير مرضٍ فى بعض جوانبه: أولاً وقبل كل شىء من غير المحتمل أن صائغا من دون كل الناس يختار أن يشتغل فى الطين الصلصال ثم إنه من الصعب تشكيل الحروف الصينية التى كانت فى الأصل ترسم بالفرشاة مباشرة وبنجاح من الطين الصلصال وخاصة عندما تقلب. وأخيرًا فإن التوفير الاقتصادى يكون قليلاً لأن كل حرف كان يجب تشكيله بمفرده من الطين. وقد يكون من المجدى أن نقترب أكثر من تلك التكنولوجيا التى أبدعها هذا الصائغ باى شينج.

وبسبب عدم وضوح الأطراف عند الطبع بتلك الأبناط الفخارية وربما أيضًا بسبب بعض الصعوبات الأخرى حدث تحول فيما بعد من تلك المادة الفخارية السيراميك إلى الخشب حيث صنعت الأبناط من الخشب بديلاً عن السيراميك. وقد نقل المؤرخ ت. ف. كارتر وصفًا تفصيليًا للتكنولوجيا الجديدة كان قد كتبه وانج تشن سنة ١٣١٤م فيما عرف بأنه أقدم أسلوب فى صنع وتنضيد وطبع من حروف متحركة خشبية:

"يقع الاختيار بداية على خطاط بارع بخط الحروف التى تتخذ نماذج لصنع الأبناط على هيئتها وحسب المقاس المضبوط الذى سيكون عليه حجم الحرف الطباعى يكتب الخطاط نسخة واحدة من كل حرف وتلصق تلك الحروف الخطية مقلوبة على كتلة الخشب، ويقوم أحد العمال بحفر الحرف على الخشب وتترك مسافات صغيرة بين الحروف لإمكانية نشرها (بالمنشار). وفيما يتعلق بعلامات الترقيم والأرقام وما إليها مما يدخل فى باب المواد المساعدة، يعد منها عدد كبير ويحتاج الأمر عمومًا إلى أكثر من ٣٠.٠٠٠ شكل [حرف]. وبعد حفر الأبناط على الكتل الخشبية يتم قطع كل بنط على حدة من جميع الجوانب بمنشار صغير حاد؛ ثم تصنفر الحروف حتى تتخلص من كافة النتوءات وقد تستخدم فى ذلك سكين صغيرة حادة أيضًا وحتى نطمئن إلى أنها جميعًا متساوية ومضبوطة ويتم قياس حجمها واختبارها فى تجارب مبدئية للتأكد من تساوى الحجم والارتفاع. وكخطوة أخيرة يجرى ترتيب الأبناط وتنضد فى صناديق خشبية على نحو ما هو موجود فى "كتاب التراتيل" الرسمى المعيارى.

إذن انتقل صنع الحروف من الفخار إلى الخشب ثم انتقل بعد ذلك أو فى نفس الوقت إلى صنع الحروف من المعدن. ونصادف وصفًا مطولاً لعملية صنع الحروف من المعدن فى مقدمة أول كتاب طبع عن تلك الحروف ونشر فى كوريا وهو الكتاب ذو الخمسين مجلدًا والمعنون: "تقنين آداب السلوك المطول والثقة" المنشور هناك سنة ١٢٣٤م. وقد كتب يى كيو ــ بو (١١٦٨ ــ ١٢٤١) فى خاتمة "كتاب القوانين" الخاص بدولة كوريا يقول من حسن الحظ أن "مجموع القوانين" لم يفقد، فقد كانت هناك ٢٨ نسخة مطبوعة منه عن حروف معدنية [!!] وتم إرسالها إلى الموظفين الرسميين لحفظها. وفى حرد متن كتاب

"أغنية الراهب تشوان نان ــ مينج حول "العقيدة الحقة" نجد أنه "طبع فى كل مرة من الحروف الجديدة الإعداد بعد الطبعة التى أنتجت عن حروف مسبوكة فى السنة ربما [١٢٣٩] فى العقد الأول من سبتمبر" أى عن كتل خشبية تم إعادة حفرها سنة ١٢٣٩ عن طبعة أصلية طوبوغرافية نشرت قبل ذلك التاريخ بعدة سنوات قليلة. لقد تمت الطباعة من أبناط مصبوبة فى ظل ظروف بالغة الصعوبة حيث كانت الحكومة فى المنفى. وعلى أية حال فعلينا أن نفترض أن الطباعة بالحروف المعدنية المتحركة لم تتأثر تأثرًا كبيرًا بالغزو المغولى لكوريا سنة ١٢٣١م خاصة وأننا لا نعرف شيئًا كثيرًا عن التكنولوجيا المضبوطة التى كانت موجودة ومستعملة فى تلك الفترة. ومهما يكن من أمر فإن أحسن كتاب عن تاريخ الطباعة الكورية الباكرة هو ذلك الذى كتبة بو ــ كيى سوهن بعنوان "الطباعة الكورية الباكرة" ونشر فى سيول سنة ١٩٧١م كما أن نفس هذا المؤلف أعد فهرسًا مصورًا لمعرض أقيم فى متحف جوتنبرج فى ماينز سنة ١٩٨٣. وتذكر المصادر الثقات أن الملك تاد شونج أقام "مصنعًا للكتاب" سنة ١٤٠٣م حشد فيه ١٤ قاطع كتل خشبية، ٨ سابكين للحروف، ٤٠ منضدا، ٢٠ طابعًا يعملون فيه بصفة دائمة وفى خلال شهور قليلة تم سبك مئات الآلاف من الأبناط النحاسية. وكان الخطاطون يصممون الحروف التى كانت تنسخ وتحفر على الخشب ثم تضغط على الطين الصلصال ثم تقوى وتجمد وبعد ذلك يصب النحاس المصهور فى كل قالب طينى ويعمل على تفتيتها خلال تلك العملية. وقد أدخلت تعديلات وتحسينات كبيرة على تلك العملية قام بها المخترع الكورى بى تشون. ويقال أن التطور العظيم الذى حدث فى عمليات سبك وسك العملات والأختام المعدنية قد لحق بالضرورة بتلك الحروف المعدنية. وقد وصف بو ــ كي سوهن صناعة أبناط أحدث وأكبر بواسطة نفس الأسلوب.

ولقد قدم لنا سونج هيون (١٤٣٦ ـ ١٥٠٩) وصفًا دقيقًا لعملية صب الحروف المعدنية على النحو التالى:

"فى البداية يقوم الشخص بقطع الحروف على كتلة خشبية ثم يقوم شخص آخر بملء الحُفر الخشبية تلك بالطين الرملى من على شاطىء البحر الذى ينمو عليه الغاب ويتم

ضغط الحروف الخشبية على الرمل وبالتالى تصبح تلك الضغطات بمثابة السوالب للحروف أى القوالب. وعند هذه الخطوة تعشق القوالب مع بعضها البعض ويقوم شخص بصب البرونز المصهور فى إحدى الفتحات حتى يطفو السائل ويملأ تلك القوالب السالبة واحدًا بعد الآخر وبذلك تتكون الأبناط وأخيرًا يقوم أحد الأشخاص باستخراج تلك الأبناط من قوالبها ويرتبها حسب المطلوب وتترك المسافات بينها وذلك عن طريق فواصل توضع فى المواضع المناسبة، تلك الفواصل إما من البوص أو الورق المقوى".

ويرى بعض المؤرخين الألمان أن ترجمة هذا النص من الكورية القديمة إلى اللاتينية قد أدى إلى غموض المقصود بالعملية وتسلسل خطواتها ويقول مصممًا إنه يبدو أن قالبًا واحدًا خشبيًا هو الذى كان يضغط على كتلة مستطيلة من الطين يصير تقويتها واستخدامها كنسخة أم فى القاعدة بين لوحين قائمين منفصلين. ويصب المعدن المصهور من خلال فتحة خاصة (تشبه إلى حد كبير خلطة وقوالب يوحنا جوتنبرج اليدوية) والقطع القائمة أى الرأسية تشكل جدرانًا أو فواصل بين الأبناط المختلفة حتى لا تسيح بعضها على بعض، وترفع تلك الفواصل بمجرد أن تبرد قطع الأبناط النهائية المشطبة. ووضع الفواصل بين الأشكال الصينية أسهل وأكثر توحيدًا عن تلك الحروف اللاتينية متفاوته الأعراض والأطوال. وربما يعيب تلك الطريقة الكورية أن الطين الصلصال ينكمش بنسب غير متساوية عند تسويته بالنار ولذلك يتطلب مستوى السطح وسمكه فى القوالب تعديلاً وضبطًا خاصًا قبل عملية الصب.

ومن الأوصاف الكورية يتضح أن حروف النحاس الأصفر والأحمر والصفيح والحديد والبرونز كانت مستخدمة منذ وقت بعيد قبل جوتنبرج. كما يبدو أن نقطة الذوبان الخاصة بكل معدن من هذه المعادن، وكذلك إجراءات إعداد القوالب من الصلب لكى يصب فيها النحاس الألين ثم الرصاص، كانت كلها معروفة ومدروسة فى كوريا كجزء من صناعة التعدين المتقدمة فى ذلك البلد.

ولعل العيب الأكبر فى هذه الطريقة الشرقية إنما يظهر عند الطبع الفعلى حيث لم يكن

هناك أى نوع من الضغط القوى على السطح بل كل ما هنالك هو فرخ من الورق الرقيق يوضع فوق الأبناط المحبرة ثم تؤخذ البصمة عن طريق الحك بواسطة مِلّوَق خشبى. وهذه الطريقة كانت بطيئة جدًا حيث كان الحك يتم على كل شريحة واحدة بعد الأخرى مع رفع الفرخ الورقى بين حين وآخر للتأكد من دقة الطبع وأنه ليس هناك حاجة إلى الضغط أكثر خلال عملية الحك. ومن هذا لم يكن التقدم فى هذه التكنولوجيا مضمونًا.

وكما أشرنا فى بداية هذا المبحث زعم ألويز روبيل الألمانى أن الكوريين الذين تتألف كتابتهم من ٤٠.٠٠٠ شكل لم يكونوا ليستفيدوا كثيرًا من الطبع أو التنضيد بالحروف المتحركة على نحو ما استفاد الغرب الذى تتألف أبجديته من ٢٦ حرفًا فقط. وعلى الرغم من أن تلك النتيجة تنسحب على الكتابة الصينية إلا أنه مع الكتابة الكورية يجب أن نفرق بين الأشكال الكاملة للكتابة والأشكال الأساسية فيها فنحن نعلم أن الكوريين قد طوروا خطًا مقطعيًا أبسط كثيرًا واستخدموه فى وقت مبكر ربما كان قبل ٦٩٠م. هذا الخط المبسط ربما كان يشبه الخط الصينى ولكن عدد أشكاله كان أقل كثيرًا. ومما يجب أن يذكر فى هذا السياق أن الملك الكورى سيجونج (١٤١٩ ـ ١٤٥٠) أهم حاكم فى أسرة بى طلب تصميم عدد من الكتابات لتسجيل تعاليم كونفوشيوس. وكان أهم تلك العروض هو تصميم كتابة صوتية عرفت باسم (أونمون) التى تتألف من ١١ حرفًا متحركًا و١٤ حرفًا صامتًا مع ١٣ حرف إدغام (حرفين مدمجين فى واحد). ولسوء الحظ استبعدت تلك الأبجدية من الاستخدام الطباعى فى اللحظة الحرجة، فعلى الرغم من اقتراح وزرائه بطبع ١٠.٠٠٠ نسخة من كل كتاب ينشر كتمويل مباشر للطباعة بالحروف المتحركة ولإنتاج الورق، إلا أن الملك أصر أن يقصر تمويله على كتب كونفوشيوس والكتب الرسمية الحكومية فقط. وحيث كان الطبع التجارى للكتب والبيع الحر لها ممنوعين تمامًا هناك فى ذلك الوقت. ولابد لنا من أن نستنتج من تلك القرارات ذات الدوافع السياسية والدينية نوعًا من القهر الوقائى للبوذية وكذلك نستنتج روح المحافظة الفطرية فى الفكر الكونفوشى. يقول كونفوشيوس فى (المختارات: رقم ٧، ١) "أنا أتوسط ولكنى لا أخلق شيئًا جديدًا، وأنا أعتقد فى القديم وأتعلق به". وفى رأيى

الشخصى أن الباحثين لم يلتفتوا كثيرًا لهذا الاتجاه الكورى الكونفوشى العدائى نحو كل ما هو تقدمى وجديد، وربما كان السبب الأساسى فى أن الطباعة بالحروف المتحركة لم تحقق نجاحًا وتقدمًا وتخترق الشرق بنفس القوة والسرعة التى اخترقت بها الغرب عندما اخترعت هناك.

ولقد عرفت الطباعة بالحروف المتحركة فى كاراكوروم عاصمة المغول بعد احتلال المغول لكوريا بسنوات قليلة. ورغم أن المغول عرفوا بقسوتهم البالغة فى الحرب إلا أنهم على الجانب الآخر عرفوا أيضًا بالتسامح مع ديانات الشعوب المغلوبة. ولكى يطوروا نظامهم وبنيتهم المدنية قامت السلطات البربرية للمغول البدو الشامانيين (أصحاب الشامانية الديانة البدائية فى شمال آسيا وأوربا الذين يعتقدون فى عالم محجوب من الآلهة والشياطين لا يظهر إلا لهم فقط)، بالاستعانة بالقبائل المغلوبة مثل الويجوريين الذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة. وفى ظل الاحتلال المغولى لكوريا لم يكن هناك عقبات تحول دون انتشار تعاليم كونفوشيوس وبوذا أو تحول دون انتشار واستمرار طباعة الكتب الدينية، لأن المغول أنفسهم لم يهتموا باستخدام أو حتى معرفة استخدام الحروف المتحركة فى طباعة الكتب. وبالنسبة لهم لم تكن تلك الطباعة إلا وسيلة مريحة لطباعة أوراق النقد التى بها يدفعون أجور جحافل المغول الراكبة. وكانت هناك ملايين من أوراق النقد المطبوعة يتم تداولها فى ذلك الوقت وقد وصفها ماركو بولو وغيره من الرحالة الأوربيين بالتفصيل. وكانت الكتب الكورية المطبوعة تصدر ليس فقط إلى الصين واليابان ولكن أيضًا إلى عاصمة وأقاليم الإمبراطورية المغولية، وأصبحت تلك الكتب بالتالى معروفة للتجار والصناع الذين يعملون فى تلك الأصقاع.

ولكن السؤال الآن هو كيف انتقلت معرفة الطباعة بالحروف المتحركة من كاراكوروم إلى أوربا ومن ثم إلى ستراسبورج أو إلى ماينز؟ لابد للمرء أن يفكر لأول وهلة فى "طريق الحرير" الذى كان مستخدمًا مطروقًا بشدة فى تلك الفترة والذى يبدأ من عاصمة المغول ثم يمر بـ طرفان ثم زونجاريا، فـ طشقند، فـ سمرقند، فـ بخارى وكيفا إلى عاصمة جولدن هورد إلى ساتاى على الفولجا الأسفل وبعدئذ إلى كريميا. وكان الجيران الأقربون

الذين يشاركون حدود طريق الحرير فى آسيا الوسطى هم المسيحيون النسطوريون والبوذيون الويجريون الذين احتلوا الوظائف القيادية لدى المغول ككتاب ومستشارين فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر. ومما يجب ذكره فى هذا السياق أن المغول أخذوا الأبجدية الويجورية التى كانت قد اشتقت بدروها من الأبجدية الآرامية وأدخلت عليها بعض التعديلات. ومن هذا المنطلق يرى بعض المفكرين أن الويجوريين كانوا على أية حال الوسطاء بين الثقافة الشرقية والثقافة الغربية.

وبعد الغزوات المغولية التى امتدت إلى شاطئ الإدرياتيك وبوهيميا حاولت الإمبراطورية المغولية أن تبلور نفسها وتجسد كيانها ولذلك سعى الحكام الجدد إلى حشد العلماء والتجار والصناع والفنانين فى بلاطاتهم وفى الوقت نفسه امتدت التجارة إلى أبعد نقطة فى أراضيهم. وفى القرنين الثالث عشر والرابع عشر كانت هناك لقاءات دبلوماسية تعقد بصفة متكررة فى آسيا الوسطى بين ممثلى الإمبراطورية المقدسة والخان الأكبر. وكان هدف البابا من وراء ذلك هو أن يعقد حلفًا مع المغول ضد العرب الذين كانوا لا يزالون يسيطرون على الأماكن المقدسة فى فلسطين.

وعندما وصل المبعوثان المبشران البابويان جوانيس دى بلانو كاربينى و بندكت البولندى إلى كاراكوروم فى الرابع والعشرين من أغسطس سنة ١٢٤٦م بعد رحلة شاقة مضنية لم يجدا أمامهما فقط المسيحيين النسطوريين والآلانى الإغريق و مسيحيى سانت توماس والمانيشيان بل وجدا أيضًا البوذيين والتاويين والكونفوشيين وكذلك الشامانيين المغول. وعندما حضرا تنصيب كيوك باعتباره الخان الأكبر تقابلاً مع سفراء روسيا و أرمينيا و جورجيا؛ وكذلك سلاطين وأمراء من سوريا والعراق وتركستان وخليفة بغداد وممثلين من الصين وكوريا. ويرى الثقاة أن الكتب الكورية كانت من بين الهدايا التى جلبها هؤلاء الزائرون معهم؛ كما يرون أن من الصعب التأكد من أن الراهبين الفرنسسكانيين قد عادا إلى أوربا فى ذلك الوقت المبكر بمعلومات عن الطباعة بالحروف المتحركة. وسيطرت على رحلتهما فى العودة إلى كولون فى الثالث من أكتوبر سنة ١٢٤٧م التى مكثا فيها طويلاً حتى يتمكن بندكت من كتابة تقريره عن المهمة

التى قاما بها هناك. تلك الحقائق تشير إلى وجود جسر يربط بين كوريا وأوربا فى ذلك الوقت وحيث شوهد أحد أعمدة أوربا المهمين للغاية مقيمًا هناك فى كاراكوروم. ولكن على الجانب الآخر فإن المعلومات المؤكدة عن معرفة أوربا للطباعة بالحروف المتحركة فى كوريا لا يمكن أن تكون قد تأخرت بعد ذلك التاريخ بقرنين.

بعد زيارات قصيرة من جانب العديد من الوفود قام الراهب الفلمنكى الفريار وليام من روبروك بزيارة إلى كاراكوروم فى السابع والعشرين من ديسمبر ١٢٥٣م ومكث هناك بضعة أشهر. وقد سجل فى تقريره وجود مستوطنة أو لنقل جالية كبيرة من الأوربيين منهم فنانون وصناع يعملون فى العاصمة المنغولية تنوعت جنسياتهم بشكل ملفت للنظر: فقد ضمت تلك الجالية الألمان والروس والفرنسيين والمجريين وإنجليزيًا واحدًا ولقد اعتقد وليام أنه وقع على مركز لصناعات الاتصال والمهارات التكنولوجية على حسب تعبيره. ولقد أعلن وليام عن إعجابه الشديد بنظام الكتابة الصينى والذى أشار إلى أنه رأى منه شيئًا مطبوعًا كما أشار بوضوح شديد وبطريق مباشر إلى نقود ورقية وهو الأمر الذى لم يكن معروفًا فى أوربا فى تلك الفترة. ولقد أفاد روجر بيكون فى كتابه (أوبوس ماجوس) من كتابات وليام عن رحلته تلك. ونحن لا نعرف على وجه اليقين ما إذا كان وليام قد تعلم شيئًا من طباعة الكتل الخشبية التى وجدها هناك ونقله إلى بلاده بلاد الفلاندرز أى هولندا؛ فهذا الأمر يحتاج إلى بحث مستفيض.

ومن الخليق بالذكر أن جيوفانى دى مونت كورفينو قد نصب كبير أساقفة بكين (بيجنج) عاصمة الخان الأكبر سنة ١٣٠٧م؛ وقد ظل حتى وفاته سنة ١٣٢٨م يعمل بجد على تقوية تأثير الكنيسة الرومانية الكاثوليكية على الخان وتوسيع عمل محطات البعثة التبشيرية. ولقد وجد التجار الإيطاليون أن التجارة عن طريق البحر قد توسعت وزادت فى الحجم والأرباح أكثر من طريق البر. وعندما قام جيوفانى دى ماريجنوللى بزيارة إلى ميناء زنجز هو سنة ١٣٤٦م وجد فيه مستودعًا كبيرًا أسس خصيصًا للتجار الأوربيين الذين كان يغلب عليهم العنصر الإيطالى. وقبل ذلك كتب ماركو بولو فى نفس الاتجاه عن روح الود والصداقة التى يحاط بها الأوربيون فى المدن الصينية.

ومع انتهاء الحكم المغولى للصين سنة ١٣٦٨م تغير هذا الوضع تغيرًا جذريًا إذ لجأ أباطرة أسرة منج إلى اضطهاد وطرد المسيحيين جميعًا ليس فقط الرومان الكاثوليك، ولكن أيضًا الأرثوذكس والمسيحيين النسطوريين من بلادهم. وعلى إثر ذلك انقطعت العلاقات مع الإمبراطورية المقدسة وتوقفت التجارة مع أوربا؛ كما أن قنوات الاتصال التى كانت قائمة مع الطبقة الحاكمة المغولية قد أغلقت بدورها. ورغم كل ذلك فقد انتشرت معرفة تكنولوجيا الطباعة غربًا وفى ظل الولايات المغولية المتعاقبة.

لقد كشفت الحفريات التى قام بها بول بليوت فى نهاية القرن العشرين فى منغوليا عن مئات من الكتل الخشبية الصغيرة التى أرخها هو بنفسه بحوالى ١٣٠٠م وجدها فى كهف معبد فى تونهوانج، أى فى نفس المكان الذى يتفرق فيه طريق الحرير إلى فرعيه الشمالى والجنوبى. وهذه الكتل الخشبية تشبه إلى حد كبير الأبناط الخشبية التى وصفها وانج تشن من قبل والتى عرضنا لها على الصفحات السابقة فيما عدا أنها لحروف ويجورية التى تصف فى أزواج رأسية ويقطع كل زوج معًا فى تكوينة واحدة. هذا الكشف يؤكد أن الويجريين عرفوا الطباعة من الحروف المتفرقة، وتدل أيضًا أنهم استخدموا اللوجوتايب (حرفان أو ثلاثة أحرف مسبوكة معا) والحروف المزدوجة. هذه الأبناط ليست مربعة مثل الصينية والكورية وإنما هى كتل مستطيلة متفاوتة الأطوال.

وربما كانت الاكتشافات التى وجدت فى مدينة طرفان التى تقع فى منخفض طرفان على الفرع الشمالى لطريق الحرير تخدم هدفنا وتجيب على السؤال الذى طرحناه سابقًا بخصوص انتقال الطباعة بالحروف المتحركة من آسيا الوسطى إلى أوربا. لقد قام الألمانى الباحث جورنفالد باكتشاف عدد من المخطوطات والمطبوعات فى تلك المدينة وتم نقلها إلى برلين وتوفرت على دراستها منذ فترة قصيرة فقط الباحثة آنيمارى فون جابين. وقد توصلت إلى أن معظم المطبوعات المأخوذة عن كتلة خشبية عبارة عن نصوص بوذية باللغة الصينية و الويجورية و المغولية و السنسكريتية و التبتية أو التانجوت. ولأن عقيدتهم دخلت مرحلة عاطفية فقد اجتهد البوذيون ـــ كالرهبان المسيحيين ـــ وكدوا فى عملية نسخ وطبع وتوزيع الكتب المقدسة لينالوا ثواب الله. وقد فسر لنا ت. ف. كارتر فى

كتابه ("اختراع الطباعة فى الصين وانتشارها غربًا" سنة ١٩٥٢ . ـ نيويورك) هذا التطور الجديد لدى البوذيين بعبارة أنيقة جاء فيها: "يمكننا القول بكل الصدق أن تقدم الطباعة وتطورها فى أية منطقة كان الدافع وراءه بالضرورة دين واسع الانتشار". وهل لنا بعد هذه الملاحظة الذكية من جانب كارتر أن نربط اختراع جوتنبرج بالنضال المعاصر من أجل الإصلاح الدينى.

لقد توصل البحث المتأنى حول اكتشافات طُرفان أنه كان من بين القطع التى اكتشفت هناك قطع طبعت من حروف متحركة. ولكن الشىء المدهش فى الدراسات التى قامت بها أنيمارى فون جابين هو تفسيرها لصورة جدارية من طُرفان أنها تحمل تمثيلاً للصائغ باى شنج الذى أتينا على ذكره من قبل وتحت صورته هذه نجد الكلمات [الصائغ] باللغة الويجورية وبقية النقش تحت الصورة مفقود. وتقدم لنا جابين وصفًا لذلك المنظر على النحو الآتى:

"إنه رجل يلبس عباءة طويلة مع لباس رأس رسمى أو بحثى وهو فى هيئة الشغل أى يحنى على ركبة واحدة إلى الأرض والركبة الأخرى منثنية ويبدو أنه يعلم شخصًا آخر أمامه وهو يناوله عصا رقيقة أو قضيبًا. ويبدو أن العصا ليست هى الوحيدة من نوعها لأن هناك أخرى شبيهة لها راقدة على الأرض، كما يظهر الشخص الذى أمامه فى حالة شغل بقطعة ثالثة من نفس النوع ومعه مطرقة وسندان. هذا الشخص اتخذ نفس هيئة الشغل التى عليها الرجل الذى خلفه؛ شعره مربوط لأعلى بتسريحة الرجل الذى يعمل وهو يلبس نفس الملابس على الرغم من عمله اليدوى، وليس الجاكت والبنطلون القصير ولكن العباءة الطويلة الخاصة بالدعة والأبهة. هذه الملابس غير المناسبة إلى جانب غطاء الرأس التى يلبسها الأسطى تكشف عن أن الرسام لم يكن يقصد إلى رسم عمل يدوى روتينى؛ وإنما قصد إلى تسجيل شىء له أهمية ثقافية. وربما سعى فنان طرفان إلى رسم صائغ أسطى هام أثناء العمل يجهز حروفًا من صفيح وقد رسمه هنا مكبرًا بغرض التوضيح والوضوح. وهكذا نستطيع القول بأن باى شنج كان صائغًا أولاً وقبل كل شىء!! ".

وقد خمّن أحد الكتاب الألمان أن الصورة الموصوفة هى لصانع عملات أو ميداليات من قالب صلب ضحل موضوع تحت، وقال أن الضغط فى المعدن الألين يؤدى بالطبع إلى الحصول على القالب أو على الأمهات وعن طريق هذه الأمهات يمكن أخذ نسخ من الصلصال وهو طرى ثم يقوى بعد ذلك عن طريق شيه بالنار. وبناء على هذه يمكن لأى سابك نقود أو ميداليات أن يصنع حروفًا من السيراميك من نفس النوع الذى وصفه شن كوا والذى أتينا عليه من قبل. هذه النظرية تبدد لنا التناقض الذى أثير من قبل وهو كيف يتأتى لصائغ أن يتطرق إلى صناعة الحروف من الطين الصلصال وليس من المعدن. ولو كانت الحالة كذلك فإن الصائغ الذى أمامنا هو صائغ ذهب أو صائغ أى سابك عملات معدنية ومن هنا فإن باى شنج يقترب بنا فى هذه الحالة من يوحنا جوتنبرج فى نفس السياق. والحقيقة أن تداخل الأدوار بين القوالب والأمهات والأبناط التى بنا عليها جوتنبرج اختراعه والذى أشار إليه شعرًا حرد المتن فى كتاب كاثوليكون قائلاً "الاتفاق العجيب والتناسب والانسجام بين القوالب والأبناط" على نحو ما نجده فى صورة باى شنج إنما يؤكد لنا أن الطباعة بالحروف المتحركة إنما عرفت فى آسيا فى القرن الحادى عشر، وليس ثمة خلاف اليوم حول تلك الحقيقة.

ولو تتبعنا أثر طريق الحرير حتى الغرب فسوف نجد أن الطباعة هى الأخرى قد سلكته حتى وصلت إلى سمرقند عاصمة الحاكم المغولى تامرلين (١٣٣٣ ــ ١٤٠٥). ولكن الدراسات التى قام بها بعض الدارسين فى هذا الصدد فى كل من سمرقند وطشقند و ألما أتا لم تسفر حتى الآن عن وجود أية قرائن مادية ملموسة فى تلك المحطات الرئيسية على طريق الحرير تقودنا إلى سير الطباعة من هناك حتى أوربا. وإن كان التقدم الملموس فى العلوم فى ظل تامرلين يجعلنا نخمن أنه أدرك قيمة الطباعة فأدخلها هناك. وربما تجود علينا الأيام القادمة بشيء من الأدلة والقرائن.

وإذا تقدمنا أكثر باتجاه الغرب فى المملكة الفارسية فى عهد الإيلخانيين وحيث ثبت لنا بالقطع أنه كانت هناك أوراق نقد مطبوعة ومتداولة لفترة قصيرة وكان طرح تلك الأوراق النقدية بسبب الظروف المالية المتدهورة وحيث اضطرت الحكومة التجار

استبدال احتياطى الذهب لديهم بالنقود الورقية حتى تمر الأزمة وتنتهى. وكانت صكوك أو شهادات الدفع تلك عبارة عن ورقة مستطيلة بطباعة صينية مع شهادة ألا إله إلا الله محمد رسول الله بالحروف العربية. وتذكر المصادر أنه فى سبيل ذلك أسست تسع مطابع فى تبريز وعواصم الأقاليم ولكن لأن السكان هناك لم يثقوا أو يقتنعوا بأوراق النقد تلك فتوقفوا عن تداولها ومن ثم قاد هذا الإصلاح النقدى إلى انهيار اقتصادى كامل فتم العدول عنها وتستطرد تلك المصادر فتقول بأن تداول أوراق النقد فى بلاد فارس لم يستمر إلا شهرين فقط أكتوبر و نوفمبر ١٢٩٤م. ورغم قصر تلك المدة إلا أن الطباعة بالحروف المتحركة عرفت فى تلك الأصقاع البعيدة عن منبعها الأصلى.

وكان التتار أو القبيلة الذهبية يشكلون معظم بقايا الإمبراطورية المغولية فى الغرب واتخذوا عاصمة لهم أولاً فى ساراى على نهر الفولجا الأسفل ثم بعد ذلك فى ساراى الجديدة بالقرب مما يعرف الآن فولجوجراد. وقد محت المناوشات والحروب أية آثار ممكنة من تلك المناطق وبالتالى لم تصلنا منها قرائن ملموسة تقودنا إلى شيء. ومع ذلك فإن القبيلة الذهبية كانت لها صلات وعلاقات طيبة مع الإيطاليين بعد انقطاع العلاقات بين الصين وأوربا على النحو الذى بسطته سابقًا. وفى سنة ١٣٠٣م عين الدومنيكانى ثاديوس أسقف الكنيسة الرومانية الكاثوليكية لدى القبيلة الذهبية وفى سنة ١٣٧٠ تمت ترجمة كتاب كزموس (الكون) من تأليف تريبيزوند لأسقفية ساراى الجديدة؛ وفى سنة ١٣٣٠م تم إنشاء أبرشية فى تشيرسون. وقد سمح للتجار الإيطاليين ــ وخاصة من جنوة ــ بالاستقرار هنا وفى المدن الأخرى فى كريهاس تحت سلطة وسيادة التتار. وفى نفس الوقت ازدهرت التجارة مرة أخرى مع القبيلة الذهبية والشرق الأقصى عبر طريق الحرير. وبهذه الطريقة ظلت القنوات مفتوحة أمام الأخبار كى تتنقل بين الشرق والغرب.

فى اتجاه الغرب أيضًا عرفت مصر الطباعة بالكتل الخشبية حيث وصلنا منها بعض قطع من كتب الكتل هذه تمكن الباحثون من ردها إلى الفترة ما بين ٩٠٠ و ١٣٠٠م على الرغم من أن تاريخ البدء (القرن الثالث ــ الرابع الهجرى) قد يكون مبكرًا جدًا على الأقل بالنسبة لى. ويرجح الثقاة أن معرفة الطباعة بالكتل الخشبية فى مصر قد جاءتهم من

بلاد فارس ومن تبريز على وجه الخصوص وربما تكون قد جاءتهم من بغداد. وهناك رأى رائع قال به ألبرت كابر الألمانى أيضًا مؤداه أنه طالما أن مصر عرفت فى وقت سابق طباعة النسيج وسيطرت على هذا الفن حسب ما وصلنا من منسوجات مطبوعة فإن من المحتمل أن تكون طباعة الكتب بالكتل الخشبية قد تطورت فى مصر نفسها عن طباعة النسيج تلك ولم تأت إلى مصر من خارجها. وثمة استخدام آخر لطباعة الكتل الخشبية هو ذلك الذى ظهر فى طباعة ورق اللعب (الكوتشينة) الذى دخل إلى أوربا من الشرق على يد الصليبيين على الرغم من أن كل أوراق اللعب التى وصلتنا من أوربا كلها مرسومة بخط اليد وترجع إلى أوائل القرن الخامس عشر فصاعدًا وإن كان من المتداول فى المصادر أن جنوبى ألمانيا قد عرف طبعة ورق اللعب من الكتل الخشبية أيضًا منذ مطلع القرن الخامس عشر وكان إنتاج هذه الأوراق على نفس قدر انتشار طبع صور القديسين فيما يقول ت. ف. كارتر فى كتابه "اختراع الطباعة فى الصين وانتشارها غربًا" الصادر سنة ١٩٢٥.

وثمة نظرية أخرى غير عادية يمكن أن نختم بها تلك الجزئية المتعلقة بكيف عرف يوحنا جوتنبرج بطباعة الكتب فى الشرق الأقصى. هذه النظرية الغربية تفترض أن نيقولاس الكيوسى الذى أتينا عليه فى نقطة سابقة من هذا البحث هو الواسطة أو حلقة الوصل بين الشرق والغرب فى نقل الطباعة بالحروف المتحركة؛ فقد أرسله البابا مبعوثًا من قبله إلى القسطنطينية ليجمع الإمبراطور اليونانى والبطريرك و٢٨ من كبار الأساقفة ويدعوهم إلى مجلس فيرارًا. وكان من بين ضيوف البابا الباحث اليونانى البارز المدعو باسيليوس بيزاريون، أكبر حجة فى الكتب على أيامه هل يمكن أن يكون هو أو أحد أقطاب هذا المجلس الكنسى قد خبر أساليب الطباعة الكورية بالحروف المتحركة وربما يكون قد حضر إلى المجلس بنموذج من الأعمال المطبوعة بالحروف المتحركة. ونحن نعلم أن بيزاريون قد جمع أغنى مكتبة شخصية فى عصره فى كل الغرب قدمها فيما بعد هدية إلى مدينة فينسيا (البندقية) نواة لمكتبة سانت مارك.

لقد عرفنا على وجه اليقين الحائط الموصل بين الشرق والغرب ومن المؤكد أن الناس

فى القسطنطينية قد عرفوا أخبار التطورات الثقافية والتكنولوجية فى الشرق الأقصى أكثر مما عرفها الناس فى روما. وافتراضنا أن نيقولاس الكيرسى (من كيوس) كان هو الوسيط فى هذا الشأن يدعمه سياق الأحداث المعاصرة حيث أن مجلس فيرارا الذى صحب إليه نيقولاس الكيوسى ضيوفه اليونانيين قام البابا يوجنيوس الرابع بافتتاحه فى الخامس من إبريل سنة ١٤٣٨م؛ وأثناء انعقاد المؤتمر بعث البابا نيقولاس إلى ألمانيا بخطابات إلى رابطة المدن السوابية لتجنب حدوث إنشقاق جديد. وقد ذهب أولاً وقبل كل شىء إلى كوبلنز ومن المؤكد أنه ذهب إلى هناك عن طريق ستراسبورج أو ماينز. وعلى أية حال فإنه فى منتصف سنة ١٤٣٨م يفترض أن يوحنا جوتنبرج كان قد قطع شوطًا فى اختراع الطباعة بالحروف المعدنية المتفرقة حسب السياقات التى أتينا عليها من قبل وكان قد تغلب على العديد من المشكلات التى صادفته والتى قيل أن نيقولاس الكيوسى قد قدمها له.

والحقيقة أننى لم أثر قضية تأثر يوحنا جوتنبرج بالطباعة فى الشرق الأقصى كى أوكل من قدره وجهده فى اختراع الطباعة بأى حال من الأحوال. وحتى لو كانت المعلومات الشاملة الكاملة حول هذا الاختراع قد وقعت بين يديه وحتى لو عرض عليه فرخ مطبوع أو كتاب من ذلك النوع فإنه لم يكن ليضيع وقته الطويل هباء فى محاولاته العديدة الطويلة المضنية للوصول إلى إتمام اختراعه وإتقانه.

المشكلات الفنية فى اختراع الطباعة

قوالب سبك الحروف اليدوية

يرى بعض الباحثين أن الأحداث الغريبة التى وقعت فى أفجنون يمكن أن تساعدنا فى التثبت من بعض المعلومات التى تم جمعها من السجلات فى ستراسبورج. ذلك أن يوحنا جوتنبرج قد اخترع آلة الصب اليدوى للأبناط فى ستراسبورج وعن طريق تلك المعدة غدا من السهل سبك أبناط متطابقة بأى عدد نريد سواء كانت الأبناط من الرصاص الخالص أو من أشابة الرصاص ومعادن أخرى من قالب أو من أم مصنوعة من معدن أصلب ربما كان النحاس. لقد كانت القوالب اليدوية هى مفتاح الطباعة بالحروف

المتحركة على نحو ما قال به المفكرون وعلى رأسهم ت. ل. دى فين فى كتابه الباكر "اختراع الطباعة. ــ نيويورك، ١٨٧٦". ويعتقد بعض الكتاب أن "كسرة محاكمة العالم" أو "نبوءات سبلين" على ما قدمنا قد طبعت فى ستراسبورج، واعتقادهم فى هذا الصدد يقينى راسخ وبهذا يمكن القول أيضًا أن العامل الحاكم فى مولد الطباعة وأعنى به قوالب السبك اليدوية قد اخترعت أيضًا هناك فى ستراسبورج وقد عالج عدد من المؤلفين الجوانب الفنية لقوالب السبك تلك بشىء من التفصيل.

وقبل الدخول فى تفاصيل تلك المعدة أو الجهاز سوف أتوقف عند بعض الخلفيات التى تشكل مدخلى إلى المشكلة. هذه الخلفية الفلسفية كانت مألوفة لدى الإغريق ولكن لم يكلف أحد فى العصور الوسطى أن يقرأ ديموقريطس كى يقف على تلك الأفكار. وطبقًا لما جاء به ديموقريطس فإن العالم يتألف من كثير من الوحدات غير المتغيرة أى الثابتة (الجزئيات) والتى من خلال إعادة ترتيبها تأخذ الأشياء مظهرها وطبيعتها. بنفس هذه الطريقة قام المصريون القدماء ومن بعدهم الساميون الشماليون وعنهم قام الإغريق بتقطيع رموز الكلام ــ الكتابة ــ إلى حروف هجائية أو جرافيمات أى خطوط كل منها يمثل صوتًا معينًا وبذلك أصبح من السهل إعادة استخدام تلك الحروف الفردية إلى مالا نهاية لبناء كلمات ونصوص جديدة. وإلى هذين النوعين المتميزين من الحروف: الحروف المنطوقة المسموعة (فونيمات) والمكتوبة المقروءة (جرافيمات)، أضاف يوحنا جوتنبرج نوعًا ثالثًا أطلق عليه الكتاب الحروف الفيزيقية المادية أو الأبناط التى يمكن تنضيدها وطباعتها.

هذه الفكرة فى حد ذاتها فكرة قديمة جدًا حيث عمد اليونان والرومان إلى إعداد أختام بحروف فردية وطبعوا بها على ألواح الطين الصلصال. وفى العصور الوسطى قام سابكو العملات المعدنية والحفَّارون والمجلدون بإنتاج قوالب بأشكال فردية أو حروف للطبع بها على أختام الشمع أو الجلد. وكانت الإضافة أو التجديد الذى قام به جوتنبرج هو جمع أو تنضيد عدد من تلك الحروف الفردية ليعد منها أعمدة أو صفحات محددة تؤخذ من سطحها ضغطات تنقل إلى ورق. ومن هذا الغرض تحدد شكل وحجم حروف

جوتنبرج؛ وكان لابد لكل حرف أن يكون مستطيلاً بالضبط ويسهل التقاطه ووضعه فى مكانه الصحيح: وكان المنتج النهائى لتلك الاعتبارات جميعًا كتلة صغيرة مستطيلة الحجم يتشكل على قمتها صورة بارزة هى سطح الحرف الطابع أو كما نسميه "وجه" البنط معكوسًا. والارتفاع أى البروز النموذجى للبنط يدور فى إطار بوصة واحدة ٢.٥سم. وقد أكدت لنا ذلك حادثة طباعية وقعت يمكن عن طريقها تكوين صورة جانبية عن شكل البنط هذا البنط كان قد سحب وسقط سهوا فوق السطح الطباعى وأفسد فرخًا وصلنا على حاله للمؤلف جوهان نبدر والذى طبع سنة ١٤٦٨م على يد الطابع كونراد وينتر من كولون.

ويشتمل حجم جسم الحرف أو البنط على ارتفاع الحرف بما فى ذلك الاكتاف والأرداف التى يقوم عليها البنط نفسه. ولقد وازن جوتنبرج عندما صنع أبناطه: البنط الأول فى كتاب "دوناتوس والتقويم" وبعد ذلك الكتاب المقدس ذى الاثنين والأربعين سطرًا، وازن بين حجم الحرف فى خط اليد العادى فى الكتب المخطوطة وبين الحجم الذى صنعه من المعدن. وكان من السهل عليه أن يسيطر على المشكلات الفنية المبدئية فيما يتعلق بالبنط الكبير والمتوسط أكثر من سيطرته على الأبناط الصغيرة والصغيرة جدًا. وكان عرض القاعدة أو الكتلة التى يقوم عليها كل حرف تختلف طالما أن خط تكستورا الذى كان سائدًا آنذاك كان هو النموذج الذى أخذ عنه الحرف الصغير وكانت الحروف الصغيرة تتفاوت فى أعراضها مثلاً أو "أو" حيث أن الحرف الثانى ضعف سمك الحرف الأول والحرف الثالث ثلاثة أضعاف سمك الحرف الأول وهكذا. وأخيرًا لابد لكل هذه الجنود من الرصاص أن يكون لها نفس الارتفاع حتى يطبع كل منها بوضوح وبنفس الاستواء على الورق الذى يطبع عليه. وعملية الضبط هذه لا تتم إلا بعد الانتهاء من صب الحروف حيث يثبت كل حرف على قاعدته ووجهه لأسفل على تلك القاعدة الملساء بينما قدمه مغروس على بعد معين من القاعدة حتى يكون الارتفاع أى البروز واحدًا.

وربما يكون جوتنبرج قد اكتسب خبرته فى أشغال المعادن من بعض أصدقائه الأشراف الذين كانوا يشرفون على دار سك العملة فى ماينز وكذلك فى دار سكة الأسقفية

فى إلتفيل. فلقد كان جوتنبرج أستاذًا فى هذا الفن على نحو ما تؤكده مشروعاته الباكرة فى ستراسبورج وكان الرجل يفهم تمامًا كيف كانت القوالب تعد وكيف كانت تصب فيها المعادن. وقد قاده فنه وعمله إلى قدرة فائقة لحفر صور بارزة معكوسة للحروف على الصلب وغيره من المعادن الصلبة ولتحقيق هذه الغاية بدأ بالأطوال القصيرة مستطيلة المقاطع من المعدن يمكن شدها بإحكام فى الكُلاَّب أو المِلْزم وحيث يكون الرأس فى الداخل ويرتب ويلمع فى زاوية قائمة على الساق. وبعد ذلك يتم اختيار نماذج جميلة للحروف المختلفة من واقع مخطوط يتم اختياره سلفًا لهذا الغرض وبحيث يتم تصميم الحرف على مثال تلك النماذج. ويتم رسم الحروف على ورق رقيق بناء على النموذج الخطى ويتم تزييت ذلك الورق الشفاف حتى يبدو الحرف من الخلف مقلوبًا بحيث ينقل إلى السطح المعدنى على وضعه المقلوب هذا. وقد انتشر تعليم هذا الفن فى القرن الخامس عشر على نطاق واسع ومن ثم لم تكن هناك مشكلة أو عقبة أمام "الأستاذ" فى هذا العمل. وبعد أن يتم تحديد كفاف أو محيط كل حرف وخلفيته والمواضع التى لا تطبع يجرى إدخال الحرف فى القاعدة وتثبيته من جميع الجوانب وإبعاد كل شىء عن الجزء أو السطح البارز الذى يتم الطبع به.

ولصنع القوالب الأمهات كان يؤتى بقطعة من الخشب الصلب ويحفر قدر الاستطاعة بحجم وشكل الحرف الذى تم صنعه من النحاس الأحمر غالبًا أو من الحديد الصلب ثم يحشر القالب النحاس أو الصلب فى ذلك الخرم وغالبًا ما تتعدد القوالب فى قطعة الخشب الواحد لتنتج عددًا من الحروف أو عدد من نسخ الحرف الواحد فى الوقت الواحد ثم يصب فى تلك القوالب المحشورة فى القطعة الخشبية المعدن المصهور وتترك حتى تبرد ثم تستخرج من القوالب. وفى هذه الخطوات لابد من مراعاة كافة شروط الحذر والدقة خاصة إذا كان المطلوب عمل عدة نسخ من الحرف الواحد من نفس الحجم والشكل لأن أية فروق ولو بسيطة سوف تفسد المنتج النهائى. وعلى نحو ما أوضحت سابقًا تؤخذ تلك الحروف وتثبت فى قطع أخرى ملائمة الحجم من الخشب بالبروز أو الارتفاع الذى أشرت إليه وتنضد الحروف معا لتكون كلمات والكلمات لتكون سطورًا والسطور لتكون

صفحات وتحزم كل صفحة معدنية حزمًا قويًا بشيء من الكلاَّبات الحديدية حتى لا ينفرط عقدها أثناء الضغط عليها للطبع.

وهناك من الشواهد على أن بنطًا معينًا كان يتتج للاستخدام فى مكان بالذات أى أن كل طابع كان له أبناطه الخاصة التى لا يجوز لغيره أن يستخدمها أو يقلدها وكانت هى تلك القاعدة العامة؛ رغم أن هناك وجهة نظر مخالفة تقول بأنه كان من الممكن إعداد نسخ مختلفة من القوالب وبيعها لإنتاج الحروف فى أى مكان بل وأكثر من هذا كان من الممكن إنتاج كميات إضافية من الحروف فى نفس الورشة وبيعها لاستخدامها فى مكان آخر. على العموم لكلا الرأيين وجاهته ولكن لابد من ربط كل منهما بزمن معين لأنه فى العقود الأولى بل ربما القرنين الأولين للطباعة كان لكل طابع أبناطه الخاصة التى لا يجوز لغيره أن يستخدمها أو تقليدها ولكن بعد ذلك غدا من الممكن بعد انتشار المطابع على نطاق واسع أن يبيع أحد الطابعين أمهاته أو أبناطه لمطابع أخرى وكانت تلك الخطوة هى خطوة وسيطة مهدت بعد ذلك لقيام مسابك الحروف التى تقوم بتصميم وتنفيذ الأبناط وإمداد المطابع بها ومن ثم توقفت المطابع بالتدريج عن أن تقوم هى بتصميم وصب وسبك الأبناط وربما كانت بداية ذلك فى القرن السابع عشر ثم أصبحت ظاهرة عامة فى القرن الثامن عشر.

إن من الصعب علينا حقيقة أن نصف بكل دقة قوالب سبك الحروف اليدوية ومتطلباتها الباكرة وإن كان جوست أمّان قد أمدنا بصورة مأخوذة عن كتلة خشبية عرفت باسم "سابك الأبناط" ترجع إلى سنة ١٥٦٨م، فإن البعض يرى أنها غير دقيقة ويؤكد على أن المغرفة الموجودة فى الصورة والتى تستخدم فى غرف أو صب الرصاص المذاب هى أكبر عشر مرات مما كانت عليه فى الحقيقة ولو كانت المغرفة بهذا الحجم لعرضت السابك للحرق المستمر من الرذاذ المتطاير ويرى هذا البعض أن المغرفة كانت مجرد ملعقة صغيرة. وتؤكد تلك المصادر على أن أحدًا لم يصور خطوات الطباعة أو دقائقها إلا بعد أكثر من قرنين ونصف من اختراعها. وفى الحقيقة لقد بحثت فى أقرب ببليوجرافية عن الطباعة عن أى كتاب عساه يكون قد يعرض لوصف خطوات الطباعة وخاصة صنع

القوالب اليدوية فلم أجد وصفًا أقرب لاختراع الطباعة إلا وصف جوهان فريدريتش جزنر سنة ١٧٤٠ فى ليبزج. ومن الجدير بالذكر أن البيبليوجرافية المذكورة هى تلك التى أعدها: ف. س. بيجور و س. و. وإيهان بعنوان "ببليوجرافية الطباعة" سنة ١٨٨٨م وقد أعيد طبعها ١٩٧٨. وقد جاء فيها "إن الفن الأساسى والنافع فن الطباعة وسبك الحروف بكل أبناطه وقوالبه وبكل معداته ومتعلقاته لم يتم وصفه وتصويره بوضوح مع دراسة قصيرة لأصوله وتطوره والتركيز بصفة خاصة على الطابعين الأوائل فى ليبزج وغيرها من الأماكن فى ألمانيا فى القرون الثلاثة الأولى لهذا الاختراع، لم يتم وصفه إلا على يد جوهان فردريتش جزنر فى ليبزج سنة ١٧٤٠".

فى سنة ١٦٨٣م صدر كتاب موكسون المعنون "تدريبات ميكانيكية" الذى وصف فيه الرجل الصناعات الميكانيكية التى وجدت فى وقته وجاء فيه وصف للمعدات التى كانت مستخدمة فى الطباعة على أيامه ويرى الخبراء أن معدات يوحنا جوتنبرج كانت بالضرورة أبسط وأكثر بدائية مما وصفه موكسون ولا بأس أن نقتبس من موكسون بعض ما جاء به من وصف لمعدات الطباعة فلربما يكون التغير طفيفًا بينه وبين جوتنبرج وهو على أية حال أقرب من جزنر لاختراع الطباعة بنحو ستين سنة:

"يتكون جهاز صب الأبناط من قطع كثيرة تربط فيما بينها بواسطة قلاووظ من حديد وذلك كى نتمكن من إنتاج حرف واحد وبعد صب الحرف المعنى يفك الجهاز لإدخال الصبة الجديدة ثم يعاد ربطه من جديد وهكذا بصفة دائمة يفك الجهاز إلى نصفين ثم يربط. ويتكون كل نصف من نصفى الجهاز أو هما معا يتكاملان ليشكلا: قطعة الفتحة أو الفم التى يصب من خلالها المعدن المصهور المذاب؛ القطع السفلية وكل منها ذات كوة منزلقة من أعلى تمثل الفراغ الذى يصب فيه المعدن ليكون جسم البنط؛ القطع الجانبية التى تستخدم لضبط الجهاز أى لمركزة القالب الأم فوق جسد الحرف؛ صفيحة معدنية خلفية متحركة ثم السلك أو الزنبرك الذى يثبت كل قالب فى مكانه. كل تلك القطع كانت تصنع من النحاس الأصفر ولكنها تغلف من الخارج أو تكيس فى قوقعة خشبية لأن النحاس سرعان ما يسخن ويشق تداوله. وإلى جانب ذلك يكون هناك خُطَّافات

ذات شوكتين مدببتين تستخدمان فى التقاط الحروف التى تم صبها وسحبها إلى خارج الجهاز".

"هذا الجهاز يمثل الساق أو الجسم الفعلى للأبناط لأن كل حرف على حدة ـ مع احتفاظه بتصميمه وحجمه وعرضه ـ سوف يجد له مكانه المحدد فيه وبالتالى لا يجد المنضد صعوبة تذكر فى تنضيد تلك الحروف معا. وفى قاع هذا الجهاز توجد الأمهات أو القوالب التى يغلق عليها بواسطة السلك أو الزنبرك يستمد الحرف أو البنط شكله المستخدم عليه".

"ولابد من تشطيب الأمهات بغاية الدقة حيث ينال كل حرف نفس العمق حتى تتساوى الحروف فى الارتفاع من سطح الورق، ولابد أيضًا من أن تكون الفجوة فى النحاس الأحمر على نفس المستوى والاستقامة حتى يأتى كل شىء مضبوطًا معدولاً".

"وقلب هذا الجهاز متحرك بحيث يمكن دفعه إلى الداخل وإلى الخارج وذلك تبعًا لفئة الحرف وموقفها من حرف" الذى هو أعرض الحروف جميعًا وبحيث يمكن عدل جميع الحروف على حسب عرض الحرف نفسه".

"عن طريق ضبط فواصل القوالب المستخدمة فى صب الحروف يمكن تنظيم حجم جسم البنط لأن جسم البنط يجب أن يثبت على عمق معين لضمان الارتفاع الصحيح للحروف الأعلى من السطر أو الأسفل منه مثل" أو "أو ما يعرف بالحروف الصاعدة والحروف الهابطة".

ولعل الملمح الأساسى المثير فى قوالب السبك اليدوية هذه تلك الفراغات التى تصب فيها المعادن المذابة المصهورة وهى قابلة للضبط والتحريك لتناسب عرض وحجم جسم الحرف للأمام والخلف وهى مثبتة فى أسفل الجهاز وحيث تربط إليها الأمهات والتى تصب فيها المعادن المذابة من فتحة فى أعلى الجهاز. وتذكر المصادر طبقًا للأوصاف التى وصلتنا من سنة ١٧٤٠م أى بعد نحو ستين سنة من وصف موكسون أن السابكين المهرة كانوا فى نحو ١٧٤٠م المزودين بمثل ذلك الجهاز يمكنهم صب وسبك أربعة أبناط فى

الدقيقة الواحدة. وحتى لو كان ذلك على أيام جوتنبرج يستغرق أربعة أضعاف ذلك الوقت أى كل بنط فى دقيقة فإن معنى هذا أن السابك كان يمكنه فى يوم عمل أن ينتج نحو ٦٠٠ بنط أى فى عشر ساعات. وإذا قورن ذلك بحفر الحروف الفردية فى الخشب فإنه يعتبر بكل تأكيد كما هائلاً وزيادة ضخمة فى الإنتاجية وتتضاعف الإنتاجية إذا علمنا أن تلك الحروف تستخدم مرات ومرات حيث تفك بعد طبع عمل معين ويعاد تنضيدها لطبع عمل آخر وهلم جرا.

ومن الجدير بالذكر أن تلك الأبناط حتى بعد خروجها من القوالب اليدوية كانت تحتاج إلى تشطيب؛ ذلك أن تتكون هناك بعض شوائب معدنية على جانبى فتحة الصب بعد أن تمتلئ بالمعدن المذاب المصهور ولابد من إزالة تلك الشوائب عند استخراج الحروف المسبوكة من قاع الجهاز وإزالة ما قد يكون علق بها من تلك الشوائب "الرايش" وربما تصنفر مرة أخرى.

لقد تم تحليل الأبناط التى وصلتنا من سنة ١٥٨٠ (أقدم ما وصلنا من أبناط) لمعرفة التركيبة المعدنية لها فوجد أنها تشتمل على أشابة من ٨٢٪ رصاص؛ ٩٪ صفيح؛ ٦٪ أنتيمون وآثار من نحاس أحمر. ويرى الثقاة أن أشابة يوحنا جوتنبرج ربما تكون على نسبة من الصفيح أعلى من النسبة المذكورة هنا.

مع اختراع واستعمال الحروف المتحركة يرى بعض الباحثين أنه كانت هناك بالضرورة قاعدة للقوالب أو نظام محدد بمقتضاه يحدد التردد النسبى لحروف معينة فى النص وحيث كانت الحروف كثيرة التردد فى النص تصب وتسبك بكميات أو أعداد أكثر وعلى سبيل المثال: e, n, s, t, i, m, a بينما لا نحتاج إلا لعدد محدود من نسخ الحروف قليلة التردد فى النصوص مثل b, c, u, x, z أو الحروف الكبيرة. ومن دراسة وجرد فئات الأبناط التى استخدمها يوحنا جوتنبرج فى بداية عهده بالطباعة يمكننا الجزم بأن أبناطه قد صممت لتنضيد نصوص لاتينية فقط. وسوف أعود لاحقًا إلى النظام الطباعى المعقد الذى استخدمه يوحنا جوتنبرج وكذلك سلسلة التركيبات الخاصة أى الحروف المزدوجة ae وعلامات الاختصارات التى استعان بها.

ومن يقرأ الإنتاج الفكرى حول جوتنبرج ومشكلاته الفنية سوف يتوقف أمام بيان عن أن أبناطه الأولى كانت بها زنيات أو أعناق أى تلك الزوائد الرفيعة التى كانت تمتد من الحافة الأمامية لجسم الحرف كى يستطيع المتضد أن يمسك بالحرف بسهولة ويمنع وضع الحرف خطأً على عصا التنضيد. ولكن بعض الباحثين الألمان ومن بينهم ألبرت كابر لم يروا أثرًا لتلك الزنيات وكل النصوص التى طبعها جوتنبرج لا توحى بذلك؛ وربما كان ذلك من صنع الطابعين الذين جاءوا بعد جوتنبرج والذين رأوا أن يدخلوا شيئًا من التطوير البسيط على اختراعه.

تجهيز غرفة التنضيد:

كل المعلومات التى وصلتنا عن غرفة تنضيد الحروف الباكرة والتجهيزات الموجودة فيها تأتينا كالعادة من الصور والإيضاحيات التى أمدتنا بها تلك الفترة؛ وإن لم يصلنا للأسف أية نماذج عنها من القرن الخامس عشر نفسه وربما كان ذلك بسبب السرية التامة التى فرضت على "الفن الأسود" نفسه. وربما كان أقدم نموذج وصلنا عن دار للطباعة هو ذلك الرسم المأخوذ عن كتلة خشبية بعنوان "توتنتاز" من ورشة ماتياس هوسى فى ليون ويرجع إلى سنة ١٥٠٠م. كذلك يمكننا الحصول على عدد من التفاصيل من علامات الطابع المدعو جودوكوس باديوس أسينسيوس فى باريس المأخوذة هى الأخرى عن كتل خشبية من سنة ١٥٠٩ فصاعدًا. ومن علامة الطابع ديرك فان دير بورن من ديفنتر العائدة إلى سنة ١٥١٥م. وسلسلة أخرى من الرسوم والصور المأخوذة عن كتل خشبية عائدة إلى طوال القرن السادس عشر. وفى هذه الصور نصادف بعد الطابعة نفسها أهم شىء فى كل تلك الصور ما يسمى بصندوق المنضد الذى عادة ما يبدو فى الصورة منحدرًا بعض الشىء. وهو يشبه صندوق الجمع على أيامنا والذى ظل مستخدمًا لفترة قصيرة مضت وكان حجمه نحو أربعة أقدام عرضًا فى ثلاثة أقدام ارتفاعًا (١٢٠× ٩٠ سم) ويقسم إلى نحو ١٠٠ خانة أو عين ضحلة يضم كل منها بنطًا معينًا أو مواد غير طباعية كالمسافات المستخدمة بين الكلمات والمدات التى تملأ بها نهايات السطور. وعادة ما كانت الحروف الأكثر استخدامًا توضع فى خانة أكبر لأن عدد نسخها عادة ما كانت

أكثر ومكانها فى المقدمة حتى تكون فى متناول المنضد بطريقة أسهل وأسرع. ورغم أن ذلك كان هو الهيكل العام لصندوق المنضد إلا أن ألويز روبيل يرى أن صندوق التنضيد عند يوحنا جوتنبرج كان أكبر من هذا الصندوق الشائع ويستدل على ذلك بأن عدد الأبناط التى وجدت فى الكتاب المقدس ذى الاثنين والأربعين سطرًا بلغ ٢٩٠ نوعًا لا نجد أكثرها فى الإيضاحيات والصور التى وصلتنا لغرفة التنضيد. ويرى بعض الباحثين أنه ربما كان هناك صندوقان أحدهما للأبناط الأكثر تداولاً والثانى يجنب للأبناط قليلة الاستعمال وعلامات الترقيم وما إليها. ويبدو المنضد فى الصورة عادة لابسًا قبعة أو كابًا على العكس من رجل الطباعة "الطبيع" الذى كان عارى الرأس. ويشاهد المنضد عادة جالسًا على كرسى عالٍ بلا مسند أو ظهر ويمسك عصا التنضيد بيده اليسرى بينما يده اليمنى تمتد إلى الأبناط تلتقطها وتصفها فى مكانها على العصا، بينما عيناه مركزتان على المخطوط الذى يجمع كلماته وسطوره هذا المخطوط معلق أمامه فى منتصف الصندوق حيث تمسك به فى وضع قائم مسَّاكة النسخة التى تشتمل على مؤشر خشبى أفقى لتحديد السطور. ويمكننا أن نخمن أن عصا التنضيد أو المسطرة إذا جاز لنا ذلك والتى تصف عليها الأبناط فى صف مستقيم وتربط إلى بعضها البعض فى سطور متساوية الأطوال والإحكام؛ كانت تصنع من الخشب وكان طولها هو نفس طول السطر. ويرى البعض أن مسطرة التنضيد قد استخدمت مبكرًا أيضًا مع العصا لمساعدة العصا على أن تستوعب عددًا من السطور فى وقت واحد قبل نقلها جميعًا إلى لوح أو صينية الطباعة الذى كان يصنع غاليًا من الفولاذ ويمثل كل منها صفحة كاملة؛ وإن كانت الصور والرسوم التى وصلتنا لا تكشف عن تلك التفاصيل.

وكان لوح الطباعة أو الصينية الذى ترحل إليها السطور التى تم جمعها توضع فى الأعم الأغلب على يمين صندوق المنضد. وتذكر المصادر أن تلك الصينية كانت عبارة عن طبق من المعدن بحجم الصفحة له حواف منخفضة جدًا من ثلاث نواحٍ فقط، مع ترك الجانب الأيسر أو الحافة اليسرى مفتوحة. وفى تلك الأيام كانت الصفحات المعدنية التى يتم تنضيدها وتوضع فى الصينية أو الطبق، تحمل بعد ذلك على مخدة الطابعة ويجرى طبعها أولاً بأول. وعلى أية حال فقد كان من المألوف أن تعد تجربة أو بروفة مبدئية كى

يقوم مصحح البروفات بتصحيحها حيث كان استخدام اللغة اللاتينية فى كثير من النصوص المطبوعة آنذاك يعطى الفرصة لكثير من الأخطاء أن تزحف على النص ومن ثم وجب تصحيحها. ومن العبارات الجميلة التى قرأتها بخصوص تصحيح البروفات أننا لا ينبغى أن نلوم شيطان الطابع عن كل الأخطاء التى تظهر فى التنضيد لأن شيطان الناسخ قد سبقه فى الجزء الأكبر من الأخطاء فى المخطوط الذى ينضده المنضدون قبل التنضيد بزمان طويل.

وقد يكون من النوافل الاستطراد فى تعديد الأدوات الأساسية الأخرى المستخدمة فى غرفة التنضيد: قطعة كبيرة مستطيلة من الرخام أو الحجر أو منضدة خشبية لتصحيح وضبط الصفحات؛ رفوف أو صناديق لوضع الأبناط الاحتياطية؛ أثاث خشبى ومعدنى لتخزين الأجزاء غير المطبوعة من لوحات الطباعة... هذه الأشياء وغيرها كانت أساسية فى غرفة التنضيد ولكن لم يشا أى من الرسامين التطرق إليها.

الطابعة والحبر فى المطبعة الأولى

يعتبر اختراع يوحنا جوتنبرج تحصيلاً لمجموعة من الاختراعات السابقة عليه وتعديلاً لتكنولوجيات وممارسات أخرى وتكييفها لأغراض طباعة الحروف المتفرقة. وتعتبر قوالب السبك اليدوى للأبناط هى البند أو القطعة الأساسية المحورية فى هذا العنقود من الاكتشافات وإن كانت الطابعة نفسها تشاطر القوالب ذات الأهمية والمحورية. لقد كانت الطباعة فى الشرق الأقصى سواء كانت عن طريق الحروف المعدنية على النحو الذى بسطناه سابقًا أو كانت عن طريق الكتل الخشبية، لا تعتمد على وجود طابعة ميكانيكية فى تعديد النسخ بل كانت تعتمد أساسًا على أسلوب حك الورق فوق سطح الحروف المعدنية أو الكتلة الخشبية حيث كان يؤتى بفرخ الورق ويثبت بدقة على سطح الكتلة أو الفورمة المعدنية الحاملة للحروف بعد تحبيرها جيداً ويضغط هذا الورق باليد جيدًا قبل بداية عملية الحك بأداة خشبية وتتم عملية الحك هذه مربعًا مربعًا فى كل مرة حتى يتم الانتهاء من حك كل الفرخ. وقد جرت العادة على ترك جزء من الفرخ يتدلى خارج الفورمة أو الكتلة لكى يرفع بين حين وآخر للتأكد من سلامة الحك وتساوى ظهور

السطور المطبوعة ووضوحها وأى المربعات تحتاج إلى ضغط أكثر. وبينما كانت اليد اليسرى هى التى تقوم بعملية الحك كانت اليد اليمنى هى التى ترفع حافة فرخ الورق لمراقبة سلامة الطبع واستواء وضوح الحبر على الفرخ. عملية الحك لنقل الحبر من الكتلة أو الفورمة إلى الورق كانت تعرف أيضًا باسم الطباعة "الأنوبيثية". ورغم ما كان فى هذه الطريقة من براجماتية إلا أنها كانت بدائية ومستهلكة للوقت والجهد وحيث كانت هى الأخرى تتطلب سحب تجربة لتصحيحها من كل صفحة، كما كانت كل نسخة تحتاج إلى نفس المجهود والوقت.

من هنا لا يمكننا القول بأن يوحنا جوتنبرج كما أخذ الحروف المتحركة من آسيا فإنه قد أخذ منها الطابعة لأن آسيا لم تستخدم الطابعات كما رأينا من قبل وبالتالى يكون جوتنبرج قد أخذ فكرة الطابعة داخليًا من ألمانيا نفسها. لقد كانت هناك فى ألمانيا عصارات عنب بأحجام متوسطة وكبيرة أو كما كانوا يقولون عملاقة وذلك طبقًا لكمية إنتاج العنب على طول نهر الراين ولابد للمخترع يوحنا جوتنبرج أن يكون قد خبر تلك العصارات منذ طفولته الباكرة فى ماينز نفسها أو فى دير إيبرباخ بالقرب من إلتفيل. ولابد أن معرفته بكل ما يتعلق بالنبيذ كانت قد اكتملت وتعمقت خلال سنواته فى ستراسبورج. ومن هذا المنطلق كانت هناك طابعات مستخدمة فى طبع النسيج عن نماذج من الخشب. ولابد أن القماش كان يسير على طول مخدة الطابعة التى كانت تتربع عليها رسومات ملونة على كتل خشبية بحيث يضغط القماش عند نقط معينة على الكتلة الخشبية المنكفئة على وجهها لتطبع النقشة أو الرسمة على تلك المنطقة من القماش. ونستطيع أن نخمن أيضًا ونحن مطمئنون أن مجلدى المخطوطات وصناع الورق كانت لديهم طابعاتهم الخاصة فى ذلك الوقت لطبع حروف ورسوم على الجلود والورق. المهم أنه كانت أمام يوحنا جوتنبرج دائرة معقولة من نماذج العصارات والطابعات والضغاطات كى يختار من بينها النموذج المناسب لطبع أى ضغط وكبس الورق على أنماط المعدن.

وكل نماذج آلات الطبع الباكرة تشبه بعضها البعض مما يحملنا على الاعتقاد بأنها جميعًا صممت بناء على النموذج الذى صنعه صانع الخزانات من ستراسبورج المدعو كونراد ساسباخ سابق الذكر طبقًا للتعليمات التى قدمها إليه يوحنا جوتنبرج.

وعندما نتأمل مليا علامة الطابع الباريسى جوسى بيد (جودوكوس باديوس آسينسيوس) نشاهد صورة طابعته الخشبية الكبيرة فى الخلفية العامة للعلامة ويتكون إطار الطابعة من عمودين خشبيين جانبيين كبيرين مرتبطين معًا بقطعة أخرى صلبية ذات سمك ١٨ بوصة وهذا الرأس الضخم مهمته الأساسية تحمّل شد الرافعة أو المكبس الموجود فى الجزء العلوى. وفى الجزء الأسفل من الطابعة كانت الجدران الجانبية مشدودة إلى بعضها البعض بلوح ضخم من الخشب لدعم المسار الذى يمر فيه حامل الأبناط المعدنية والذى يتم دفعه للأمام وللخلف خلال عملية الضغط للطبع. ولا نستطيع أن نتبين من الصور ما إذا كانت تلك الطابعات الأولى بها أحزمة ومقبض للتدوير أم لا. وكان الحامل المنزلق هو الذى يحمل المخدة التى عليها صوانى الأبناط. وكانت هناك بطبيعة الحال طبلة أو رفَّادة و رقَّاص مشدودين إلى الحافة الخارجية للحامل بمفصَّلة، وكان الفرخ الذى سيطبع يعدل ويضبط على الطبلة أو الرفَّادة أو الإطار المغطى بالرق أما الرقاص الذى كان مطويًا إلى أسفل عليها فقد كان عبارة عن شىء يشبه القناع ممسوكًا هو الآخر بإطار من حديد وقد صمم بحيث يثبت الصفحة فى مكانها وفى نفس الوقت يحمى المناطق غير الطابعة من التلطخ عرضًا بالحبر. وبعد تحبير الأبناط تغلق الرفَّادة أو الطبلة بحيث يكون الورق فوق فورمة الأبناط المحبرة وبالتالى يكون الحامل فى وضع الاستعداد للانزلاق أو لكبس الورق فوق فورمة الأبناط. ويرى البعض أن الحامل كان بإمكانه التحرك ميكانيكيًا إلى الأمام وإلى الخلف، بينما يؤكد آخرون أن ذلك الحامل فى الطابعات الأولى كان ثابتًا وأن كل شىء كان يتم يدويًا من تحريك وضبط وعدل وتثبيت للورق.

وكانت عملية الطبع أى كبس الورق فوق الفورمة المحبرة تتم بواسطة البلاتينة أو البرميل وهو عبارة عن لوح من الخشب المستوى جدًا السميك الثقيل مثبت من الأركان بقلاووظ بحيث يمكن أن ينزل بإحكام شديد وثقل على الفورمة والورق ويكبسها كبسًا قويًا ويذكر الثقاة أن هذه البلاتينة أو البرميل كان فى الطابعات الأولى يصنع من الخشب، ولكنه بعد فترة من الزمن غدا يصنع من الحديد. وكان هذا البرميل هو محور الطابعة وكان

يتحرك فى عارضتين بين الجدران الجانبية وكانت العارضة العلوية مرنة الحركة لأنها كانت مستندة إلى ثقوب وتدية؛ بينما كانت العارضة السفلية المعروفة باسم "الثابتة" مستقرة فى مكانها لا تتحرك وكانت على هيئة صندوق أو خزانة. وفى صور الطابعات الباكرة نصادف فى أعلى الطابعة صامولة أو طوقًا معدنيًا تتحرك إلى فوق وإلى أسفل داخل "الثابتة" وفى أسفل الطابعة كان المحور يحرك قطعة من الصلب القوى التى تثبت جويطا (مسمارًا كبيرًا) فى لوح معدنى فوق البرميل (البلاتينة) حتى يمكن ضبط كبس الورق على الفورمة باتقان وإحكام. ومن منتصف المحور كان يخرج غمد (جراب) أفقى ربما من المعدن كى يلقم الذراع أو الرافعة الخشبية للطابعة؛ وكان طول تلك الذراع نحو ثلاثة أقدام (٩٠سم). عندما يجذب ذلك الذراع كان البرميل أو البلاتينة ينزل إلى أسفل ويكبس الفرخ على الأبناط المحبرة لتحدث عملية الطبع.

وكان على "الطبيع" أن يشد الذراع نحوه بشدة بكلا ذراعيه حتى يتم الكبس بكل قوة فيكون الطبع أوضح ما يكون؛ ثم يدفع الذراع مرة أخرى إلى مكانه أى إلى وضع الابتداء ثم يسحب الحامل من الطابعة ـــ ربما بمساعدة من الكرنك ـــ ثم بعد ذلك يرفع الطبلة أو الرفادة، ذلك كله قبل أن يتمكن من سحب الفرخ المطبوع خارج الطابعة. وبينما هذا "الطبيع" يراجع الفرخ المطبوع للتأكد من جودة الطبع ونظافته وبعد التأكد من سلامته يضعه على كوم الفروخ المطبوعة أو كما تكشف صور أخرى يعلقه على سلك أو حبل حتى يجف تمامًا كما نفعل مع الملابس المغسولة؛ وبينما الأمر كذلك يقوم زميله بتحبير الفورمة استعدادًا لطبع الفرخ التالى.

ومن أجل القيام بعملية التحبير المتواصل نجد فى الصورة منضدة التحبير قريبة من الطابعة نفسها. وفى كل يد يحمل الحبَّار كرة حبر مزودة فى نفس الوقت كما تذكر المصادر بفرشاة مصنوعة من شعر الحصان وعود الفرشاة نفسها مغطى بجلد الكلب، وهذا العود هو أساسًا من الخشب القوى وينتهى عود الفرشاة عادة بمقبض. ومن الطريف أن رأس الفرشة كما تكشف الصور يشبه عيش الغراب. ويقوم الحبار بداية بمزج حبر الكرتين وخلطهما معًا ويرجهما جيدًا ويقلبهما ثم يضع هذا الحبر اللزج على قطعة الرخام ويتأكد

من خلو الحبر من أية أجسام صلبة ثم يسكب الحبر على فورمة الأبناط ويغطيها جميعًا بالفرشاة ويطمئن إلى أن جميع الصفحات قد وزع عليها الحبر بصورة متوازنة. ومن نوافل القول أن نوعية الطبع وجودته كانت تعتمد بصفة أساسية على جودة الحبر نفسه ويقظة الحبّار إلى جانب مهارة وحساسية الطبيع وقوة جذب الذراع لإحداث الكبس المتوازن.

وكان على الطابع واجب آخر هام يستدعى أقصى درجات الدقة والحذر ألا وهو التأكد من أن كل أوراق الكتاب فى جميع نسخ الطبعة قد طبعت فى نفس الموضع بحيث يتم الحفاظ على نسب الهوامش البيضاء والمتن واحدة فى جميع الصفحات بصفة دائمة. ولتحقيق هذه الغاية كانت هناك علامات تسمى علامات السجل توضع فى مواضع محددة على الطبلة أو الرفادة وكانت فى الأعم الأغلب عبارة عن دبابيس صغيرة تنضد على حواف الفرخ نفسه ومن ثم يمكن للطبيع أن يضبط فرخ الورق بعد دخول الفرخ للطبع على الظهر بحيث يأتى تمامًا فى نفس موضع وجه الفرخ. ويؤكد الثقاة أن كل ما طبعه يوحنا جوتنبرج يقترب من الكمال فى ضبط نسب الهوامش مع المتن. ويؤكد الثقاة مرة ثانية أن يوحنا جوتنبرج كان أول من واجه مشكلة الطبع على وجه الفرخ وظهره أى كلا جانبى الفرخ، وحيث أن طبع الوجهين لم يكن واردًا فى كتب الكتل الخشبية سواء فى الشرق الأقصى أو أوربا على نحو ما كشفت عنه . لقد كان المخترع العظيم يحاول اختراع ما وجده فى المخطوطات إذ كانت تكتب على الوجهين ، وطالما أن المخترع سعى إلى اختراع طابعة تناسب الفكر الطباعى الجديد فقد كان عليه أن يحل كل مشكلات الطبع على الطابعة الجديدة بطرق عبقرية ملهمة.

لقد كان صنع أحبار ملائمة للطباعة الجديدة هو الآخر تحديًا كبيرًا كان على المخترع العظيم أن يواجهه بكفاءة واقتدار حيث ما تزال أحبار جوتنبرج تتلألأ فوق صفحات الكتب التى خلفها لنا الرجل وما يزال سوادها فاحمًا وملمسها كالقطيفة رغم مرور أكثر من خمسة قرون على استخدامها فى الطباعة. ويذكر الثقاة أن قلة فقط من أحبارنا اليوم هى التى تدانى أحبار جوتنبرج رغم أننا لا نملك القول بأن أحبارنا التى نشيد بها الآن هل تصمد لاختبار الزمن خمسة قرون قادمة كما صمدت أحبار جوتنبرج. ويقول الثقاة

المتخصصون أن الأحبار التى استخدمها طابعو المهاديات كانت مزيجًا من سناج (هباب) اللمبات والورنيش والآح (بياض البيض) والبول البشرى كمواد إضافية!! ومن الواضح أن صانعى الأحبار فى ذلك الزمان كانوا يقبلون على استخدام مواد خام شائعة محليًا وذلك لضمان انتاجه بلا انقطاع وبنفس النوعية.

من بين ما تكشف عنه صور الطابعات التى وصلتنا والتى قد لا تحتاج منا وقفة متأنية أو مفصلة ربط الطابعة إلى سقف غرفة الطبع بواسطة عارضة (رافدة) خشبية أو ربما حديدية. وفى معظم الصور يمكننا أن نشاهد بوضوح عارضتين قائمتين ــ وربما عوارض أخرى تكميلية ــ تصلان العارضة الصلبية العليا للطابعة إلى السقف. وفى بعض الأحيان يكون فى هذا الزوج من العوارض خروم للمحور والرافعات لضبط المسافات بين العارضة العلوية للطابعة والسقف. وربما نستنتج من ذلك أن نقل طابعة من مكان إلى مكان آخر بمعنى فكها وتركيبها كان يتطلب مهارة وتمرسا بهذا العمل بل والتأهيل فيه.

وتؤكد المصادر الثقة أن بناء الطابعات ظل يحتذى النموذج الذى وضعه يوحنا جوتنبرج بدون تغيير جوهرى لعدة قرون تالية. وحيث بدأ التغيير والتطوير الحقيقى اعتبارًا من ١٨٠٠م عندما نجح تشارلز ستانهوف فى بناء طابعة متطورة تمامًا كل أجزائها صنعت من الحديد. وبعد طابعة ستانهوف جاءت الطابعة الميكانيكية التى تعمل بمفصلات أو بمسمار العقدة والتى كانت مزودة بذراع أو رافعة تشبه "كوع" الإنسان يقلل إلى حد كبير من المجهود البشرى اللازم لتحريك المكبس. وفى منتصف القرن التاسع عشر جاءت طابعة كونيج ذات الأسطوانة التى استخدمت بنجاح شديد فى طباعة الكتب بطريقة ميكانيكية كاملة. ولكن لنعد مرة أخرى إلى بدايات يوحنا جوتنبرج فى مدينةماينز.

العودة إلى ماينز

الصورة تتغير فى مسقط رأس جوتنبرج

كما أشرت من قبل ترك يوحنا جوتنبرج مدينة ماينز لمدة عشرين عامًا حيث لحقت به فى طفولته هناك دوامة القتال المدنى الداخلى فيها وقد خرج منها حاملاً مثله العليا

كشريف من أشرافها. وفى ستراسبورج أدرك جوتنبرج ماذا كان يحدث هناك تحت قيادة النقابات وقبل شروطها والعمل بنظامها. وربما كان جوتنبرج قد تعرض لصراعات اجتماعية مماثلة فى مدن أخرى ورأى التقدم العام الذى حققته النقابات كما خبر الأشكال الجديدة الوليدة للإنتاج الرأسمالى. ولابد أنه هناك قد أدرك أن الإصرار على الامتيازات الاجتماعية الطبقية قد غدا "موضة قديمة" والعائد من ورائه جد محدود ولا مستقبل له.

ومن الجدير بالذكر أن الناس فى العصور الوسطى كانوا فى الأعم الأغلب ينتمون إلى جماعات اجتماعية وكانوا يجيدون الالتحاق بالطوائف والمذاهب، والنقابات، وجمعيات الانتماءات الخاصة، ورابطات "الأخوة". وكان لكل من هذه الجماعات هويتها الأخلاقية الخاصة التى تميزها عما عداها وتطبعها بطابع ذاتى. ولم يكن يسمح للحرفى المنتمى لنقابة معينة أن يقوم بعمل دون المستوى الذى تحدده النقابة بل وكان يطلب منه فى نفس الوقت أن يتجنب الممارسات الجديدة مما جعل بعض المفكرين يعتقد بأن تلك النقابات ربما تكون قد وقفت عقبة فى سبيل التطور التكنولوجى. ومن هنا كان للتطورات الاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية أن تتخذ سبيلها وربما سرًا بمنأى عن تلك التجمعات.

وكانت مفاهيم الحرفة والفن قد خلقت نوعًا من الوحدة الطاغية على أفراد الحرفة الواحدة وبين الحرف جميعًا. وكانت مثل الحرفى تركز على إجادة العمل أساسًا وأن العبرة ليست أبدًا بالكم بقدر ما هى بالكيف. لقد كانت الجودة والاتقان هما عنوان الحرفى وهما اللذان يحققان له المكانة فى مجتمعه حتى ولو لم يرتبط ذلك بالعامل الاقتصادى. لقد كانت المنتجات عادة ما تعرف بصانعها ونادرًا ما كانت تطرح منتجات مجهولة الصانع. ومن نوافل القول أن إنجازات جوتنبرج كانت تستند يقينا على معرفته الحرفية التى كان قد اكتسبها فى ماينز وفى ستراسبورج على السواء وربما فى أماكن أخرى. وقد سبق وأن ألمحت إلى أن دافع جوتنبرج إلى اختراع الطباعة كان دافعًا دينيًا بالدرجة الأولى وربما بعض الاحتياجات الأخرى التى سادت عصره وربما يكون قد تأثر بالاقتصاديات المتطورة النامية فى إيطاليا وهولندا المزدهرة. وكانت ماينز فى ذلك الوقت كما ألمحت فى نقطة سابقة من هذا البحث المركز السياسى فى الإمبراطورية ولكنها من الناحية

الاقتصادية لم تكن تمثل ثقلاً يذكر وكانت تسبقها فرانكفورت ومدن ألمانية أخرى بكثير؛ وكان مستقبل ماينز السياسى معلقًا فى الميزان.

لقد دخلت قوة ثالثة فى حلبة الصراع والخصومة التى لا تنتهى بين النقابات والعائلات القديمة أى الأشراف والنبلاء؛ ونعنى بهذه القوة الثالثة كبير الأساقفة فمن المعروف أن كبير الأساقفة ديتريتش فون إيرباخ قد وقف بصلابة ضد أن تصبح ماينز مدينة إمبراطورية حرة أى تتبع الإمبراطور مباشرة وأصر على أن يقوم جميع السكان يدفع ضرائبهم وعوائدهم ومكوسهم، وأن يؤدوا الخدمة العسكرية له هو مباشرة باعتباره كبير أساقفتهم. وقد استرعى عُمد المدينة ومجلسها نظره إلى أن لهم حقوقًا وامتيازات قديمة قدم الذاكرة وقد أقرهم عليها سلفه كبير الأساقفة سيجفريد وأنهم ليسوا مستعدين أبدًا أن يقبلوه سيدًا وحاكمًا عليهم بل فقط كبير أساقفة لمدينتهم ماينز. وقد رد عليهم بإبطال تلك الحقوق والامتيازات على الرغم من أن ماينز كانت فعلاً مدينة حرة، ومن ثم أصبح هذا الرجل كبير الأساقفة السلطة العليا فى المدينة فى كل الشئون الروحية والعلمانية وأصبح هو الذى يفرض الضرائب على كل المبيعات فى الأسواق، كما أصبح هو الذى يقيل كبار الموظفين والقضاة فى المدينة.

فى تلك الآونة كانت ديون ماينز للمدن المحيطة بها قد بلغت مبالغ ضخمة للغاية. وقد تحالفت المدن الدائنة لمنع إعلان إفلاس المدينة وعجزها عن السداد سنة ١٤٣٨ م وذلك بشرط تشكيل مجلس جديد للمدينة يكون غالبية أعضائه من الأسر القديمة (الأشراف والنبلاء). وقد نظرت النقابات إلى هذا الموقف من جانب المدن الصديقة نظرة ريبة وعدم ثقة. وبعد ست سنوات من قيام هذا المجلس أو لنقل تلك الحكومة المكونة من الأشراف والنبلاء لم تنخفض الديون التى كانت قد بلغت ١٨٤ و ٣٧٣ جولدن إلا قليلاً رغم التدبير والتقشف. وشكلت لجنة من عشرين من "أصدقاء المجتمع" برئاسة الدكتور كونراد هيومرى للنظر فى أحوال الإدارة انتهت إلى اتهام حكام المدينة بعدم الكفاءة والاختلاس وطالبت بإغلاق الحسابات وبتأكيد من النقابات اضطروا المجلس الحاكم مجلس الأشراف إلى الاستقالة.

فى الثلاثين من نوفمبر ١٤٤٤م وبينما جحافل المرتزقة الآرماناك تقف على أبواب مدينة ماينز تم انتخاب مجلس جديد تألف من ٢٩ عضوًا كلهم من النقابات، وقد استبعد الأشراف تمامًا من المجلس وإن احتفظوا بوظائفهم العاطلة فى دار سك العملة وتجارة الأقمشة. وقام المجلس بتعيين عُمد المدينة الثلاثة وأمناء المال الأربعة وغيرهم من المراقبين من بين أعضاء المجلس ذاته. وبذلك أصبح المجلس هو أقوى سلطة فى المدينة بعد كبير الأساقفة نفسه الذى استمر السلطة التشريعية والقضائية العليا، واستمر فى تعيين رئيس الديوان والحاكم العام للمدينة ورجال البوليس ومراقبى الأسواق. وقد وضعت جميع النقابات وعددها سبع وثلاثون أختامها على الدستور الديمقراطى الجديد للمجلس وذلك فى ٢٣ ديسمبر ١٤٤٤م.

نعم لقد كانت هناك صدامات لعدة سنوات بعد ذلك التاريخ. وقد ألقى المجلس الجديد باللائمة على الأشراف "القدامى" لعدم دفع ما عليهم من مستحقات وفى بعض الأحيان مصادرة ممتلكات المذنبين فى المدينة. وقد اضطر كثير من الأشراف الذين ينتمون إلى الأسر القديمة إلى الانسحاب مرة ثانية من المدينة إلى عزبهم الريفية مع فرض ضرائب جديدة عليهم وسحب الامتيازات التقليدية منهم وإلغائها.

وتجدد الصراع مرة أخرى حول الخانات والحانات المعفاة من الضرائب والتى كانت المؤسسات الدينية تبيع الأنبذة إليها. وكانت هناك شكوى قد رفعت إلى الإمبراطور سيجسموند قبل ذلك أدت إلى إلغاء وضع تلك الخانات والحانات المعفية من الضرائب ومساواتها بسائر قطاعات المجتمع والمؤسسات الأخرى. ومنذ ذلك التاريخ أصدرت السلطات قراراتها بتقييد ساعات فتح تلك الحانات والخانات التى تقدم الأنبذة وإعلان الساعات التى تفتح فيها من على منابر الوعظ فى الكنائس. وعندما اعترض عُمد المدينة وممثلو المواطنين على ذلك الإجراء لدى فرع الكاتدرائية تلقوا ردًا مدهشًا وتفسيرًا لم يتوقعوه وهو أن الأديرة والمؤسسات الدينية كانت توقف عليها مزارع الكروم منذ بداية المسيحية وبالتالى فإن خلفاء تلك الأديرة والمؤسسات اكتسبوا حقًا تقليديًا فى بيع الأنبذة فى جميع أنحاء البلاد بدون أية ضرائب أو رسوم.

وتذكر المصادر أن المجلس الجديد قد وضع ميزانية أكثر تقشفًا من مجلس القدامى السابق وبالتالى استطاع المجلس فى ظل أمناء المال الأربعة: إيبرهارد دايمنشتاين جوهان أبتيكر، جوهان نيوهوزين، جاكوب فوست (وهذا الأخير سنأتى إليه فيما بعد)؛ استطاع أن يسدد مبلغ ٦٠٠٠ جولدن من الديون التى على المدينة سنة ١٤٤٩م فى الوقت الذى لم تتمكن فيه المدينة سنة ١٤٦٠م إلا سداد ٧٠٠ جولدن فقط كفوائد، وحيث تراكمت تلك الفوائد بشكل مكثف. ورغم الإزدهار الظاهرى الذى كانت عليه المدينة إلا أنها فى حقيقة الأمر كانت تتجه رأسًا نحو الكارثة.

من جهة أخرى نمت امتيازات الإكليريين واتسعت لتصبح أكبر عقبة أمام الإصلاح المالى. وما اصطلح على تسميته باسم "انتقام القساوسة" سنة ١٤٣٥م أكد للمرة الثانية على إعفاء الإكليريين من الضرائب. ولكن من المؤسف أن الإكليريين تجاوزوا كل الحدود فى سبيل إثراء أنفسهم بينما كان المجتمع يغرق عميقًا عميقًا فى الديون. ولقد طلب سكرتير المجلس الحاكم الدكتور همفرى من السلطات الدينية أن تسهم فى تسديد عجز الميزانية المدينة بالتوقف عن السماح بمزيد من الأرباح على مبيعات النبيذ. وكانت هناك مفاوضات بين أهل ماينز وأهل المدن القريبة مثل سباير و فورمز التى كانت تعانى بالفعل من مشاكل مماثلة. وعلى الرغم من أن القساوسة كانوا يعبرون عن أسفهم الشديد لما حاق بالمدينة من انهيار اقتصادى إلا أنهم لم يبدوا أى استعداد إطلاقًا للتنازل عن مكاسبهم الضريبية.

ولما كان الموقف ينذر بخطر داهم حقيقى فقد قام الإكليريون بتقديم ١٤٠٠٠ جولدن، كما قامت الأسقفية بتقديم ٧٠٠٠ جولدن كإعانة فقط سنة ١٤٤٨م، ومع ذلك فقد أعلنت المدينة إفلاسها وطلبت حماية كبير الأساقفة من الدائنين المتربصين. وقد توجه المجلس إلى الدائنين يطلب إرجاء المطالبة والصبر حتى يحين موعد تسديد السناهيات التى كانت تمثل بالفعل نصف الديون المستحقة عليها. ولكن لم يكن معظم الدائنين على استعداد لقبول ذلك الاقتراح. وقام فرع كاتدرائية سباير باستصدار أمر بحرمان ماينز من رحمة الكنيسة للعجز عن الدفع، كما استصدر أمرًا إمبراطوريًا بالحرمان من حماية القانون

كما قام كبير أساقفتهم بإعلان حرمانماينز من شركة المؤمنين. ونتيجة لعدم دفع فوائد الديون المستحقة للإكليريين فى سباير كان على أهل ماينز أن يحرموا من الخدمات الدينية مثل التعميد والصلاة الجامعة والدفن عن طريق الكنيسة لمدة ٢١ أسبوعًا حتى قام كبير الأساقفة فردريك برفع الحرمان عنهم فى ديسمبر ١٤٥٠م.

لقد كان "انتقام القساوسة" هو آخر قشة فى هذا الموقف المحزن. لقد كان خطاب مجلس المدينة فى ٢٦ من ديسمبر ١٤٥١م إلى رئيس دير سانت ستيفان عبارة عن صرخة مكتومة يؤكد على أن المؤسسات الدينية تثرى وتثرى بينما المدينة تصاب بالفقر والفاقة والعوز ولكن ما من مستجيب فقد رفض الإكليريون رفضًا قاطعًا الاستجابة لأية طلبات وتمسكوا بامتيازاتهم بشدة وأكدوا على دورهم كحماة لمعظم الحرفيين فى المدينة. وفى الحقيقة لقد حل الإكليريون محل طائفة الأشراف المنحلة سياسيًا فى مواجهة المجتمع.

لقد كانت هناك خلية نشيطة جدًا ضد الإكليريين وكانت تعمل ضدهم علنا وبشكل لا موارية فيه ففى حولية فىChronik Von alten Dingen der Stadt Mainz التى كان يكتبها أحد الأشراف أو أحد المتعاطفين معهم نجد قصيدة هجاء وسخر تتعلق بـ Bruder Schaft der Leckerichten أو "اتحاد ذوى القلوب الحية bon - Vivewrs". وكاتب هذه القصيدة يصف أعضاء نادى الشرب هذا بأنهم هم المحرضون على الاضطرابات التى أدت إلى سيطرة النقابات على المجلس الحاكم. هؤلاء المدمنون ــ فى زمانهم ــ كانوا يمثلون التقدميين بين الطبقة الوسطى فى المدينة وقد وصفوا فى تلك الحولية على أنهم بلهاء حمقى شرهون سكيرون. ويرى بعض المفكرين أن اتحاد ذوى القلوب الحية هذا إنما كان يمثل الارهاصات الأولى لجمعيات الكرنفالات المتأخرة فى ماينز ولكنه فى نفس الوقت كان يمثل تجمعًا ذا أهداف سياسية عريضة؛ رغم أنه قد أنضم إليه فى وقت متأخر أعضاء من الأشراف ورئيس فرع الكاتدرائية وأحد رؤساء الديوان. وكان الأعضاء "الإخوان" النشيطون فى هذا الاتحاد معارضين تمامًا لانتقام القساوسة ومحامين عن النقابات. وقد اقتطفنا من تلك القصيدة بعض أبيات تصور حال تلك الفترة وكانت القصيدة قد كتبت باللغة الألمانية الوسيطة وقد حاولت ترجمتها نظمًا ولكن صعب على ذلك وعلى كل فالهدف هو المعنى والمفهوم:

لقد قيل عن الاتحاد:

أنه يمثل ميلاد رابطة أخوة

تتكون من غلمان أصحاء شرهين

أقاموا من أنفسهم طائفة خاصة

لا يعرفها الكارثوزيون أو يحبونها

الدكتور همفرى معروف بأنه سوط مجعد

يأكل ألذ الطعام ويترك للفقير فتات الطعام

لا يعمل إلا قليلاً ثم يسرع إلى أكل المهلبية

لا يلبث أن يمتلئ عن آخره فيهرع إلى المرحاض

حيث يفرغ فيه محتوياته كوديعة يستودعه إياها

هِنّه كنوف يسمونه الآب

إن اسمه الآخر هو الخنزير حنا

هذا الأخ الآب على نحو ما أتذكر

ليس إلا خنزير رضيع صالح للشواء

كما أنه غض كثير ممتلئ بالعصارة

وهو يمنى نفسه بأن كل يوم هو عيد الفصح

وكل الأطباق الشهية تسعده بهذه الطريقة

وهكذا تسير هذه القصيدة فى وصف كل واحد منهم: كونرات بيشرر الذى يحب "الكرشة" والجمبرى؛ هنريش إيزينك الذى يفضل الزبد والجبن والنبيذ؛ هيرمان فنديك الذى يتلذذ بلحم العجل؛ كلاس جايز الذى يستمتع باللعب وأكل السمك؛ كانون كلاوس جوسيل المغرم دائمًا بشرب النبيذ الفاخر. فى هذه القصيدة تم ذم أحد عشر شخصًا بالاسم. أما الشيء المشترك بينهم جميعًا:

أنهم يأكلون ويشبعون ثم يثرثرون
إن أحسن الأكل هو الذى تجلبه الصداقة المخلصة
ولا يتناولون من الأمور الهامة إلا قليلاً

وفى نهاية القصيدة نجد نماذج من ثرثراتهم:ـ

قال "السوط المجعد" لـ للخنزير حنا
"قل لى أين ذلك الشخص الذى ذكرته"
إنه معك. ولكن ما قصد ابن أخيك الخاص"
سأل الخنزير حنا. أرجوك أخبرنى"
ولما كانوا قد انقسموا إلى فريقين جلس الآخرون
يسرفون فى الشراب كل رجل منهم مثل البقرة
قد وجد المرعى والكلأ المناسب له الآن
إن هذه الطائفة تجتمع من حين لآخر
فى ثقة وصداقة وتفاهم متبادل
ويمكن لأى شخص أيا كان أن ينال العضوية
ويغدو صديقًا حميًا فى تلك الطائفة

وإذا تصادف أن أسرف أحدهم فى الشراب وتحت وطأته أذاع سرًا أو أفشى شيئًا مهمًا فإن الآب هِنَّه (حنا) كنوف يعاقبه بأن يقدم شيئًا فيه متعة أو فائدة لبقية الأعضاء. وأى شىء كانت تناقش تلك الجماعة أو الاتحاد كان يعتبرًا سرًا. ونحن لا نعرف فى حقيقة الأمر ما إذا كان ذلك الاتحاد يهدف إلى أغراض سياسية قيمة كما يزعم كاتب القصيدة أم يتستر تحت دثارها فليس لدينا من المصادر ما يؤكد ذلك أو ينفيه.

بداية جديدة لـ جوتنبرج فى ماينز

فى حقيقة الأمر ليس لدينا أية وسيلة تؤكد لنا أن يوحنا جوتنبرج قد عاد إلى ماينز فى الفترة ما بين ١٤٤٤ و١٤٤٨م كما ذهب إلى ذلك كثير من المؤرخين؛ وربما فعلا يكون قد

غادر ستراسبورج عائدًا إلىماينز مباشرة وحيث أن أخته إلزه قد ذكرت فى سجلات ماينز سنة ١٤٤٣م وربما تكون قد توفيت فى نفس تلك السنة. ومن هذا المنطلق يستنتج المؤرخون أن زوج أخت يوحنا جوتنبرج عاش وحيدًا بمفرده فى بيت آل جوتنبرج فى ماينز لأن ابنته كانت فى ذلك الوقت قد تزوجت وانتقلت للعيش فى فرانكفورت. ويتصور الثقاة أن فيتزثوم قد دعا جوتنبرج سنة ١٤٤٣م إلى العودة من ستراسبورج للعيش معه فى بيت آل جوتنبرج فى ماينز وإقامة ورشته هناك. لأنه من غير المعقول أو المقبول أن يكون جوتنبرج قد عاد طائعًا مختارًا إلى مسقط رأسه فى ديسمبر ١٤٤٤م فى الوقت الذى كان قد صدر فيه دستور جديد لمجلس المدينة يحرم كل الأشراف من جميع سلطاتهم المدنية وتسبب فى رحيل أغلبهم مرة ثانية خارج المدينة. نعم لقد تعلم ذلك الرجل الذى كان سابقًا يدافع عن العائلات والقيم القديمة النبيلة أن يتعايش ويعيش مع النقابات جنبًا إلى جنب ولكن ظهوره مرة ثانية فى ماينز فى الوقت الذى وقف فيه أقرانه من الأشراف متهمين بعدم الكفاءة واختلاس المال العام هو أمر بعيد الاحتمال. ومن المعروف أن عداء المجلس الجديد للعائلات القديمة لم تخف حدته إلا بعد حدوث مفاوضات كثيفة مع المدن الدائنة المجاورة.

وما نزال حتى الآن عاجزين عن معرفة أين قضى المخترع وقته وماذا كان يفعل فى السنوات من ١٤٤٤م إلى ١٤٤٨م وكل ما توصلنا إليه مجرد تخمينات وتكهنات إذ يرى البعض أنه استنادًا إلى خبرته وتجربته السابقة فى إنتاج المرايا المقدسة لحجاج آخن والأرباح الكبيرة التى جناها من ورائها، ربما يكون قد كرر التجربة لأن موسم الحج التالى كان فى سنة ١٤٤٧م وخاصة أن جوتنبرج كان قد سيطر على تكنولوجيا إنتاج تلك المرايا المقدسة بل ربما يكون قد احتفظ بالقوالب التى أعد منها مرايا الموسم السابق فى حوزته. وطبقًا للشركة الأولى على نحو ما بسطناه سابقًا كان هانز ريف قد ساهم برأس المال اللازم، وكان ريف آنذاك هو حاكم ستراسبورج المحاطة بأراضى ليشتناو. ومن المحتمل جدًا أن يكون جوتنبرج قد نقل نشاطه لسنوات قليلة إلى تلك المدينة الصغيرة فى بادن بين كيل و راستات من أجل إنتاج الكمية اللازمة من المرايا المقدسة لموسم الحج الجديد، وربما

يكون قد صحبه خادمه لورنز بيلديك وخبير الطابعات المجرب كونراد ساسباخ الذى عرف عنه أنه غاب عن ستراسبورج عدة سنوات فى ذلك الوقت. ومن الجدير بالذكر أن المحميات التى قامت آنذاك على يمين نهر الراين كانت آمنة بعيدة عن خطر الآرماناك وأن حاكم ليشتناو لم يكن فقط قادرًا على تقديم رأس المال ولكن أيضًا المكان اللازم للصناعة والإقامة لشركائه فى العمل. وربما كان دافع جوتنبرج فى هذا المشروع هو تأمين الأموال الكثيرة اللازمة له فى المراحل التالية من مشروع "المغامرة والفن" المشار إليه مرارًا عديدة فيما سبق. ومن المحتمل أن يكون جوتنبرج وشركاه قد أنتجوا كميات كبيرة من المرايا المقدسة مرة أخرى فى ١٤٤٥ و١٤٤٦ وباعوها فى آخن سنة ١٤٤٧ وبعد ذلك أعد العدة للانتقال إلى ماينز إن هذا الرأى إنما يمثل قطعة الفسيفساء الناقصة فى مسيرة حياة جوتنبرج العملية وبذلك تتم الصورة ولكن هذا الرأى إنما هو مجرد تخمين يفتقر بالضرورة إلى وثائق تدعمه وتؤيده وهو ما لم نعثر عليه حتى الآن.

ولابد لنا أيضًا أن نفترض أن يوحنا جوتنبرج قبل رحيله النهائى قام بعدة زيارات خاطفة إلى ماينز للوقوف على أحوال العمل بها ووزن الظروف القائمة هناك. وسواء كان هذا الفرض سليمًا أو مجرحًا فإن كل الدلائل تؤكد أن جوتنبرج قد طفق عائدًا إلى ماينز فى وقت من الأوقات خلال سنة ١٤٤٨م، السنة التى أعلن فيها الإفلاس الكبير لمدينة ماينز. لأنه فى السابع عشر من أكتوبر سنة ١٤٤٨م اقترض مبلغًا من المال من هناك عن طريق ابن عمه ونسيبه آرنولد جيلثوس زوم إيختزيلر. وهذا ثابت من نسخة موثقة من الأصل الذى يسجل بالتفصيل بيوت وممتلكات جيلثوس فى ماينز التى رهنت إلى راينهارد برومسر و هنشن رودنشتاين لضمان قرض قيمته ١٥٠ جولدن بفائدة سنوية قدرها خمسة بالمائة اقترضها آرنولد جيلثوس من المذكورين.

وقد جاء فى ختام تلك الوثيقة النص الآتى:

"وكان حاضرًا هنا أيضًا هِنّ جنزفلايش والذى يدعى جوتنبرج؛ وقد أكد أمامنا وأمام ورثته بأن المائة وخمسين جولدن المذكورة بعاليه قد سلمت إليه كما تسلم العائد

والفائدة من ورائها. وقد شهد بأنه سوف يدفع بانتظام عن المبلغ المذكور سبعة ونصف جولدن سنويًا دون أية مصاريف أو تكاليف إلى المذكور آرنولد جيلثوس وورثته كما أنه يضمن أن يلاحظ شروط هذا الإعلان بكل دقة وتؤدة...".

ولكن ما الذى يمكن أن نقرأه بين السطور فى هذه الوثيقة؟ إن من الجلى أن جوتنبرج احتاج للمرة الثانية إلى رأس مال للمشروع ولقد تمكن بالفعل من الحصول عليه. إننى أتصور أن آرنولد جيلثوس شأنه شأن الشركاء السابقين فى ستراسبورج قد أغرته قوة العرض الذى قدمه نسيبه جوتنبرج. وربما يكون قد قدم له نماذج من القطع التى طبعها فى ستراسبورج كى يطلع عليها ويتفحصها. ويرى الثقاة أن جوتنبرج قد بدأ فى ذلك الوقت هو وزوج أخته فيتزثوم الذى عرضنا له سابقًا فى بناء ورشة الطباعة بل ويذهبون إلى ما هو أبعد من ذلك إلى حد القول بأن كونراد ساسباخ ربما يكون قد صحب جوتنبرج أو لحق به إلى ماينز حيث أتم تشييد طابعة جديدة لأن كل شىء فى ماينز كان جاهزًا للتنفيذ والعمل. فعلى العكس من تشتت جوانب الإنتاج فى ستراسبورج، كانت كل أدوات العمل ومعداته مجتمعة فى مكان واحد هو بيت آل جوتنبرج، ففى ذلك البيت كان ثمة متسع لورشة عمل كبيرة إلى جانب مخزن فسيح لتخزين الورق والرقوق والمعدن والحبر.

ويرى المؤرخون أن خادمه لورنز بيلدك وزوجته صحبا سيدهما إلى ماينز، كما يرون أن واحدًا أو اثنين من الشركاء الأصليين فى مشروع "المغامرة والفن" فى ستراسبورج قد لحقا به إلى ماينز. ومن المؤكد أن اشتراك هنريتش كيفر و بيرتولد روبيل من هاناو فى شركة جوتنبرج قد تم فى وقت سابق حينما بدأ العمل هناك فى ستراسبورج. كذلك نرى أن أول طابع معلن فى ستراسبورج وهو جوهان منتلين قد عمل مع جوتنبرج لفترة فى ماينز ونستطيع أن نجزم بأن كل هؤلاء المساعدين قد وجدوا فى بيت آل جوتنبرج الإقامة الكاملة والمأوى.

ثمة علامة استفهام كبرى أخرى حول ظروف ملكية أول ورشة طباعة أقامها جوتنبرج فى ماينز فليس هناك عمل واحد مطبوع يحمل اسم جوتنبرج كطابع فى الوقت الذى سعى فيه فوست و شوفر إلى التعريف بنفسيهما فى حرد المتن. وربما فسر البعض

ذلك تفسيرًا دينياً من جانب جوتنبرج مما ستعرض له بالتفصيل فيما بعد. وثمة تفسير آخر بأن الورشة الأصلية لم تكن فى يوم من الأيام من ممتلكات جوتنبرج الشخصية ولكنها كانت ملكية جماعية لعدد من الأشخاص المستثمرين ومن بينهم عمال ساهموا فى الشركة بمجهودهم فقط. وهو ما يذكر بالشركة التى أقامها جوتنبرج فى ستراسبورج واتفق فيها على تقسيم العائد بنسب محددة حسب رأس المال والمجهود على نحو ما أسلفت. ومن المحتمل جدًا أن يكون كلاوس فيتزثوم شريكًا فى هذه الشركة حتى وفاته سنة ١٤٤٩م أو ١٤٥٠م. ولدى تفسير آخر شخصى لم أسنقه من مصدر وهو أن جوتنبرج أراد أن يبقى عمله سرًا لفترة من الزمن حيث وسم هذا العمل بأنه الفن الأسود ومن ثم لم يشأ أن يكتب اسمه على الأعمال الأولى التى طبعها سواء فى ستراسبورج أو فى ماينز.

وتؤكد المصادر الألمانية أنه لا ينبغى لنا أن نستنتج من غياب جوتنبرج عن الساحة بين ١٤٤٤م و ١٤٤٨م أنه سافر إلى هولندا فى تلك الفترة ليتعلم طباعة الكتب عن طريق الكتل الخشبية واللوحات المعدنية وخاصة فى مدينة هارلم حيث قيل إنه أخذ فن طباعة الحروف المتفرقة من لورنزو كوستر على نحو ما عالجناه من قبل. وتستطرد تلك المصادر الألمانية لتقول بأنه ربما سافر إلى هناك للوقوف على أنواع النصوص التى تطبع هناك وكيفية الحصول علي الورق اللازم للطبع وكيفية تسويق الكتب المطبوعة، وحيث تلح علينا تلك المصادر الألمانية فى أن جوتنبرج قد استقى فكرته عن الحروف المتحركة مما كان منتشرًا هناك فى جنوب شرقى آسيا على نحو ما بسطناه تفصيلاً من قبل. وتعود تلك المصادر الألمانية لتنفى نفيًا قاطعًا أن يكون المخترع قد ذهب إلى هارلم لاستقاء فكرة الاختراع بل ربما لتأكيد ومقارنة ما توصل إليه هو بنفسه أى أنه زار تلك المنطقة وهو متمكن من الاختراع الذى توصل إليه.

ومما لاشك فيه أن الطابعة التي أقامها جوتنبرج فى ورشته الجديدة فى بيت آل جوتنبرج فى ماينز كانت متطورة عن تلك التى أقامها فى ستراسبورج؛ فقد أفاد بالضرورة من تجربته هناك ودفعته عبقرية المخترع إلى أن يبدأ هنا فى ماينز شيئًا جديدًا وإن لم ينفصل

تمامًا عما حققه فى ستراسبورج وربما ما خبره وشاهده فى هارلم هولندا وحيث تؤكد المصادر الألمانية أن الخوض فى المجهول وتجربة كل ما هو جديد كان جزءًا من شخصية هذا المخترع العبقرى فلم يكن الرجل ليكترث كثيرًا بالوقت الضائع أو الربح المادى بل انصرف همه إلى تحقيق الأفضل والأحسن فى كل خطوه جديدة فى مشروعه العبقرى "المغامرة والفن".

البنط المستخدم فى دوناتوس والكالندر

أثبتت التجربة أن من المناسب لدراسة جوتنبرج وغيره من الطابعين الأوائل أن نرتب مطبوعاتهم حسب الأبناط المستخدمة فى تلك المطبوعات. ومن المتفق عليه أن أول بنط استخدمه جوتنبرج حسب المعلومات المتوافرة لدينا حتى الآن هو ذلك البنط الذى يطلق عليه " دوناتوس و الكالندر" ويشار إليه بالحرفين الكبيرين DK وحيث استخدم هذا البنط الذى لم يسمه جوتنبرج بأى اسم على حسب ما جرت عليه العادة من بعده، فى تنضيد الطبعات المختلفة من كتاب دوناتوس فى قواعد اللغة اللاتينية وكذلك فى التقاويم المختلفة التى أصدرها المخترع. هذا البنط هو نفسه استخدمه أيضًا جوتنبرج فيما بعد فى تنضيد الكتاب المقدس ذى الستة والثلاثين سطرًا. هذا البنط بنط كبير نسبيًا وأسود غامق والمتأمل فيه يجده من نوع "تكستورا" الذى أشرت إليه فى بداية هذا البحث وهو الاسم الذى يشير إلى التشابه البصرى بين صفحة النص التى نضدت بحروف شديدة التقارب والالتصاق وقطعة السجاد أو القماش المنسوج الذى لا فراغ فيه. وقد أخذ جوتنبرج شكل أبناطه من أشكال الحروف الخطية التى كانت مستخدمة فى كتابة كتاب القداس الذى تنتجه المناسخ الغوطية فى فرنسا وألمانيا هذا البنط كما ذكرت شديد السواد وثقيل ويغلب عليه وجود شبكة من المسافات المحددة بشرط قائمة متوازية. هذه الشبكة من المسافات أمكن تنفيذها عن طريق الحروف السفلية الكبيرة نسبيًا ومن خلال الحروف ذات العراقات العلوية (فوق السطر) والعراقات السفلية (تحت السطر) القصيرة نسبيًا. وهذا البنط DK حرف X الصغير فيه ارتفاعه فوق السطر ٥مم والحروف ذات العراقات

العلوية ارتفاعها فوق السطر ٢مم، بينما الحروف ذات العراقات السفلية طولها تحت السطر ١مم.

ومن النوافل أن نذكر أن أبناط جوتنبرج لم تقتصر فقط على الحروف الكبيرة والحروف الصغيرة (الصندوق العلوى والصندوق السفلى) ولكن اشتمل إلى جانب ذلك على سلسلة واسعة من البدائل الإضافية الواسعة والضيقة لكثير من الحروف وخاصة الحروف المنبسطة إلى جانب الحروف المربوطة معا فى صبة واحدة؛ وعلامات الاختصار وعلامات الترقيم وعلامات الترخيم. وقد استخدمت الحروف الضيقة لكمش طول السطر وعلى العكس استخدمت الحروف الواسعة أو العريضة لبسط السطر وبقيت المسافات بين الكلمات واحدة ثابتة وذلك للحفاظ على نسيج الصفحة واحدًا فى كل الصفحات والإبقاء على المظهر العام منسجمًا فيها جميعًا ويلاحظ على الإنتاج الأصلى فى ورشة الطباعة فى بيت آل جوتنبرج أن السطور لم تكن متساوية الأطوال حيث كانت حواف الأعمدة اليمنى مسننَّة بعض الشىء أكثر مما نجده فى السطور التى تنتهى تحت بعضها تمامًا رأسيًا على نحو ما نصادفه فى تنضيد الحروف لدى دار الطباعة العامة التى أنشئت فيما بعد ففى مطبوعات هذه الدار الأخيرة نجد أن الحروف الضيقة والحروف الواسعة استخدمت بمهارة شديدة بحيث كونت سطورًا متطابقة فى جبهة مستعرضة لها نفس العرض البصرى ومن ثم جاءت الأعمدة والصفحات فى النص ذات حواف يمنى مستقيمة مثل اليسرى بالضبط.

ومن واقع الدراسات التى أجريت على عدد من الأبناط التى استخدمت فى المطبوعات الأولى نجد أنه يتفاوت ويختلف من حين لآخر. والحقيقة التى لا يختلف عليها باحثان أن جوتفريد زدلر قام سنة ١٩٣٤ بأحسن دراسة حول هذا الأمر وخرج من دراسته الرائعة حول البنط المستخدم فى دوناتوس و التقويم DK أنه فى خلال عقد من الزمان بلغ عدد الأبناط التى استخدمها جوتنبرج وكذلك الطابعون الآخرون الذين استخدموها فى بامبرج بلغ ٢٠٢ بنطًا ووجد أن هناك مالا يقل عن عشرة أشكال من حرف (a) الصغير استخدمت فى تلك المطبوعات كبداية. وعلى الرغم من أن تلك

الأبناط التى كانت قد أدخلت حديثًا لا تمكننا من تأريخ الطبع بدقة إلا أنها على الأقل تساعدنا فى الترتيب الزمنى التقريبى للقطع المطبوعة من الدوناتوس والتقويم. وهذه السلاسـل من إعادة تصميم وتنفيذ الحروف الجديدة تقدم لنا فى حقيقة الأمر الكثير من المعلومات حول الاتجاهات المختلفة فى تغير العمل.

لقد استمد جوتنبرج نموذجـه الجمالى من الصفحة المخطوطة حيث كان يبحث عن شكل جديد للخط، طريقة جديدة للكتابة ولم يكن يبحث عن مجرد مجموعة خاصة من المعايير الفنية، يمكن أن تتوافق مع أسلوبه فى تنضيد وطبع النصوص. وربـما بسبب ذلك كانت حـواف الأعمـدة اليمنـى فى مطبوعات جوتنبرج الأولى غير متساوية السـطور لأن النمـوذج الخطـى الذى احتـذاه جوتنبرج هـو الآخـر لا يمـكن أن تتسـاوى نهايـات سـطوره فـذلك فـوق استطاعـة الخـطاط والناسـخ فى ذلك الوقت وقد حاول جوتنبرج أن يقترب قدر الإمكان من النموذج الخطى، ومن ثم صمم حروفًا معقوفة من أعلى بحيث تنحنـى الأجزاء العلوية من الحروف فوق أجسام الحروف التى تليها من جهة اليسار أو من جهة اليمين وتلتحق بها حسب مقتضيات الأحـوال لأن الخـطاط نفسـه كـان يعمـل ذلك دون مـحاولة منه أن يضع كل حـرف فى داخـل إطـاره الخـاص بـه وحـده ولابـد لنـا من أن نعترف أن الـخواص الجمالـيـة للطباعـة لم تتطـور إلا ببـطء فى بداية الأمر ولم تستقل وتبعد عن المخطوطـات إلا بعـد تطـور التكنولوجيـا الجديـدة عـلى مـدى زمنـى طـويل نسبيًا.

لقد كان على يوحنا جوتنبرج أن يستأنف فى ماينز ما بدأه فى ستراسبورج فقد اخترع هناك بالفعل قوالب صب الحروف اليدوية فى حدود سنة ١٤٤٠م. وقد استخدم كما رأينا من قبل تعبير "المغامرة والفن" هناك ليغطى عملية الطباعة التى كانت جديدة وأراد لها أن تبقـى سرًا وذكـرت المصـادر أن بعض مواطنـى ستراسبورج المعاصرين ومن بينهم التاجر صاحب البنك فرايديل فون سيكلنجن، كانوا شركاء للمخترع فى مشروعه؛ وفى الفترة من ١٤٤٠ و١٤٤٤ كان الرجل قد أتم طبع "نبوءات سبلين" التى نسجت بداخلها أسطورة الإمبراطور فردريك التى اكتسبت طابعًا سياسيًا من خلال انتخاب

فردريك الثالث ملكًا على ألمانيا. وكما أثبت الباحث جوتفريد زدلر فإن نسخة دوناتوس ذات الـ ٢٧ سطرًا والمحفوظة فى دارمشتادت طبعت قبل "نبوءات سبلين" بينما نسخة برلين ــ هيلجنشتادت أ من دوناتوس؛ ونسخة برلين ــ هيلجنشتادت ب من دوناتوس؛ ونسخة باريس من دوناتوس طبعت ثلاثتها بعد "نبوءات سبلين" أيضًا فى ستراسبورج على الأرجح. وقد أثبت زدلر بما يشبه القطع أن بنط DK دوناتوس والكالندر صمم أساسًا كى يستخدم فى تنضيد النصوص اللاتينية فى المقام الأول حيث أن بعض الحروف المضغمة المدمجة التى وجدت فى أبناطه لا تستخدم إلا فى اللاتينية كما اختفت من أبناطه حروف W, X, y, Z وهى الحروف التى لم تعرفها اللاتينية حتى ذلك الوقت.

ومع قيام جوتنبرج بطباعة طبعات دوناتوس المختلفة فى ستراسبورج أنهى المخترع فترة من حياته المهنية وكان عليه أن يبدأ مرحلة جديدة فى ماينز: أولاً عن طريق تشييد طابعة جديدة وصب حروف جديدة عن طريق الأمهات أو القوالب القديمة. ومن المرجح أن المحاولات الطباعية الأولى فى ستراسبورج وماينز قد ضاعت وفقدت ربما لسريتها وقلة عدد النسخ التى طبعت منها؛ إلا أن بنط دوناتوس والكالندر DK كان قد صمم خصيصًا لطبع كتاب دوناتوس وعليه جرى التخطيط لهذا الهدف. ونحن نستخدم كلمة دوناتوس للإشارة اختصاراً إلى كتاب "الفن الصغير" للنحوى الرومانى آيليوس دوناتوس، هذا الكتاب الذى كان المقدمة المعيارية القياسية إلى اللغة اللاتينية طوال العصور الوسطى؛ ولأن كل طرق التعليم فى تلك الحقبة كانت بالضرورة تؤدى إلى اللغة اللاتينية لغة التعليم حتى القرن التاسع عشر فقد كان كتاب دوناتوس هو الكتاب المدرسى المعول عليه بلا منافس فى تعلم اللغة اللاتينية مفتاح كل العلوم فى القرن الخامس عشر وكان أوسع الكتب طرا انتشارًا وتوزيعًا فى ذلك الوقت. وقد أكدت الدراسات الأكاديمية الدقيقة أن بنط دوناتوس الكالندر DK قد استخدم فى طبع ٢٤ طبعة مختلفة من دوناتوس على أقل تقدير. ومما يؤسف له أن جميع النسخ الفردية التى وصلتنا من هذا العمل ناقصة ليس من بينها نسخة واحدة كاملة. وبعضها لم يصلنا منها إلا ورقة أو جزء

من ورقة. ومن الممكن أن تكون هناك طبعات أخرى خلاف تلك التى تعرفنا عليها، قد صدرت ولم يصلنا منها شىء وقد يكشف عنها الزمن بطريقة الصدفة فيما بعد.

من هذه المعلومات البسيطة استنتج الثقات معلومات أبسط مؤداها أن أول نوع من الكتب بالحروف المتفرقة فى أوربا كان هو الكتب المدرسية وكان لكثرة استخدامها من قبل التلاميذ والمعلمين أثره فى تمزق وتهرؤ النسخ مما استدعى الإحلال السريع ومن ثم إعادة الطبع مرات ومرات، وربما كان ذلك أيضًا السبب فى وصول ذلك العدد من النسخ وإن كان ناقصًا إلينا. يذكر بعض المؤرخين أن عدد صفحات الكتب المدرسية (١٤ ورقة أو ٢٨ صفحة) المحدود كان يناسب تمامًا طاقة المطبعة الأصلية فى ماينز. وجميع طبعات دوناتوس التى طبعت سواء فى ستراسبورج أو ماينز تم طبعها على رقوق وليس على ورق حتى تتحمل الاستعمال العنيف من جانب التلاميذ والمعلمين. ويستنتج هؤلاء المؤرخون أن إمكانيات المطبعة فى ذلك الوقت لم تكن تسمح إلا بطبع ورقة واحدة فى الوقت الواحد، وحيث كان برميل الطابعة ذا مساحة محدودة. وربما أدى ذلك أيضًا إلى صعوبة تنضيد كل الصفحات أو معظمها فى نفس الوقت استعدادًا للطبع. كذلك فإن كمية الرقوق المتاحة آنذاك ودرجة تحمل الأبناط للضغط الشديد عليها حيث لم تكن الأشابة الصلبة قد تم التوصل إليها فى ذلك الوقت، كلها عوامل أدت بالضرورة إلى صغر حجم الطبعة الواحدة.

وتقدر المصادر أنه على ضوء الحاجة الدراسية لكتاب دوناتوس فإن عدد النسخ التى طبعت فى كل طبعة من الطبعات الأربع والعشرين التى وصلتنا منه سواء طبعة الستة والعشرين أو السبعة والعشرين أو الثمانية والعشرين أو الثلاثين سطرًا كان يدور بين ٢٠٠ و ٤٠٠ نسخة. وتأسيسًا على ذلك فإن مجموع النسخ التى خرجت من مطبعة جوتنبرج عن هذا العمل تراوح ما بين ٤٨٠٠ و ٩٦٠٠ نسخة. وربما يكون هذا العدد من النسخ قد طبع على مدى زمنى واسع نسبيًا ولكن من المؤكد أنه غطى تكاليفه وحقق نوعًا من الأرباح لأصحابه فقد ثبت لنا من نتف المعلومات المتناثرة هنا وهناك أن هذا الكتاب وزع على الجامعات فى إيرفورت و كولون و هايدلبرج و ليبزج و باريس وربما غيرها

من الكليات فى المدن المحيطة بماينز مما لم يصلنا خبره. ونستطيع مطمئنين أن نؤكد كذلك أن الكتاب وجد له سوقًا عظيمة رائجة فى مدارس الأديرة والمدارس العلمانية التى عرفت بمدارس البلديات. ونرى أن التجارة الجديدة إذا ما قورنت بتجارة المخطوطات الموجودة آنذاك كانت أوسع وأشمل وحققت أرباحًا كبيرة لعدد من الأطراف من بينهم تجار الورق والمواد الكتابية الأخرى وباعة الكتب الجائلين. ويقال أن جوهان فوست الذى كانت له علاقات وثيقة بجامعة باريس كان وكيلاً لأول دار طباعة فى ماينز أى مطبعة جوتنبرج ولذلك أدرك بسرعة الإمكانيات الهائلة للفن الجديد وحيث لا يمكن لأحد أن يرى مميزات الكتاب المطبوع وفضله على الكتاب المخطوط إلا بائع وموزع الكتب. لأن المستهلك العادى يحتاج إلى وقت طويل حتى يتعود على المبتكرات الجديدة ويستوعب الفروق بين القديم الذى عاش معه فترة طويلة وبين الجديد الدخيل عليه؛ ولكى يزن ميزان المطبوعات وعيوبها على ضوء المخطوطات. وتذكر المصادر أن هذا الشكل الجديد من الكتابة كان يتميز بميزة واحدة مباشرة على الأقل ألا وهى خلوه من أخطاء الهجاء أو ندرتها فمن المعروف أنه قبل الطبع النهائى للطبعة الواحدة كانت هناك بروفات أى تجارب يصير تصحيحها من أية أخطاء عساها تكون قد وقعت أثناء التنضيد. وإذا قارنا الأخطاء الكثيرة التى وجدت فى المخطوطات والشكوى المريرة منها حتى فى العصور القديمة فإن الكتاب المطبوع كان يعد نعمة كبيرة فى نظر المدرسين والأساتذة الذين كان عليهم أن يلفتوا نظر طلابهم وتلاميذهم إلى تلك الأخطاء الخطية منذ البداية.

لقد عنى دارسو جوتنبرج عناية فائقة بالترتيب الزمنى لطبعات كتاب دوناتوس المطبوعة ببنط دوناتوس والكالندر DK. وحتى هذه اللحظة التى نكتب فيها هذا البحث (صيف ٢٠٠٥) استقر الأمر على أن أول طبعة من دوناتوس هى تلك القطع الصغيرة ذات السبعة والعشرين سطرًا والتى تم اكتشافها داخل بطانة بعض الكتب المهادية فى بازل و ستراسبورج وكانت المجلدون قد استخدموها كدشت لتجليد تلك المهاديات. وهذه الطبعة وربما الطبعات ذات السبعة والعشرين سطرًا الأخرى وغيرها ربما يكون قد تم طبعها فى ستراسبورج بين ١٤٤٠ و١٤٤٤ وفى ماينز من ١٤٤٨ حتى حوالى ١٤٥٢م.

ولقد نجح الدارسون فى التمييز والتفريق بين اثنتى عشرة طبعة على الأقل. والطبعات الثلاث ذات الثمانية والعشرين سطرًا التى وصلتنا من دوناتوس تم تأريخها بين ١٤٥٢ و ١٤٥٦، لأن بنط دوناتوس والكالندر DK يتوافق تمامًا مع البنط المستخدم فى التقويم التركى الذى يرجعه الباحثون إلى تلك الفترة؛ وهم يرون أن الطابع الذى تعمد أن يزيد عدد السطور فى الصفحة الواحدة إنما أراد أن يقلل عدد الصفحات الكلية للمطبوع. ورغم هذا الاستنتاج إلا أنه من الصعب علينا حتى الآن أن نحدد التاريخ اليقينى لطبعة الستة والعشرين سطرًا من دوناتوس. لقد وصلتنا من دوناتوس الستة والعشرين سطرًا طبعتان حتى الآن إلى جانب ورقتين طبعتا منه ولكن على وجه واحد فقط ربما تكونان بروفات تصحيح أو مستأصلات. وفى دراستنا لكتاب دوناتوس ذى الستة والعشرين سطرًا نجد ملمحًا جديدًا يتطلب إعادة دراسة الكتاب المقدس ذى الاثنين والأربعين سطرًا ذلك أن الحافة اليمنى من الصفحات مستقيمة تمامًا وليست فيها "الشرشرة" أو السنون التى صادفناها فى الإنتاج الأول لمطبوعات دار الطباعة فى بيت جوتنبرج، وأطوال السطور فى هذه الطبعة من دوناتوس إنما تتساوى تمامًا مما يوحى بعلاقة من نوع ما بالكتاب المقدس ذى الاثنين والأربعين سطرًا. وفى قناعتى أنه منذ بدأت دار الطباعة فى بيت آل جوتنبرج سنة ١٤٤٨م أو ١٤٤٩ وحتى سنة ١٤٥٨م كانت هناك طبعات متعاقبة متلاحقة من كتاب دوناتوس لسد حاجة السوق وفى الوقت نفسه كان العمل يجرى على قدم وساق فى إعداد طبعة الكتاب المقدس. أما فيما يتعلق بالتقاويم وغيرها من المطبوعات التى طبعت ببنط دوناتوس والكالندر فسوف نعالجها فيما بعد فى سياقها الزمنى.

عمل الكتب

الاختراع يكلل بالنجاح

هناك جدل عنيف ما يزال يشتعل أواره بين الباحثين حول اللحظة التاريخية التى تم فيها التوصل إلى فكرة الطباعة بالحروف المتحركة وهل كانت فى ستراسبورج أم فى ماينز.

يرى ألبرت كابر أن المخترع العظيم عاش حالة تخمر إبداعى دائمة على مدى خمسة عشر عامًا من ١٤٤٠ و١٤٥٤م ولابد أن يكون قد مر عقد من الزمان بين ولادة الفكرة فى رأس جوتنبرج وتحقق الاختراع وتنفيذه بصورة مرضية. ذلك أنه مع نبوءات سبلين و طبعات دوناتوس التى طبعت فى ستراسبورج ومع إقامة دار الطبع فى ماينز تأكد أن الكتب يمكن إنتاجها وتعديد نسخها بصورة أسرع وأدق وأرخص بواسطة طابعة الحروف من خطاطة اليد.

ومع ذلك لم يكن هناك حتى ذلك الحين إنتاج أو إنجاز مدوٍ ساحق يلفت النظر ويشد الانتباه يؤكد أن الكتاب المطبوع يمكن أن يكون بجمال المخطوط. ولم يكن يوحنا جوتنبرج يرى أن الطباعة هى مجرد بديل رخيص لخط اليد ولكنه نظر إليها على أنها حرفة قائمة بذاتها يجب أن تأخذ طريقها الخاص نحو الكمال والإبداع. لقد بلغت المخطوطات ذروة إبداعها فى القرن الخامس عشر ففى فرنسا وعلى الأخص فى بيرجانديا كانت هناك أيدى فى غاية المهارة تعمل فى إنتاج "كتب السواعى" أو كتب الصلاة على ساعات النهار والليل وكان هناك حشد من الفنانين الذين يعملون فى زخرفة وتزويق الكتب. وبدأ التجار الموسرون والأمراء والملوك والأباطرة ينشئون المكتبات الخاصة ويملأونها بالكتب ذات القيمة الفكرية والفنية العالية. وقد بلغ الخط الغوطى الأسود أوج أناقته وجماله فى مناسخ الأديرة فى ألمانيا وأسبانيا وإيطاليا. ولكى تقف طريقة الكتابة الجديدة على قدم المساواة من الناحية الجمالية مع الخطاطة، كان لابد لها من أن تقوم بمهام أكثر طموحًا وأكثر تعقيدًا.

لقد كان أهم الكتب على الإطلاق فى العصور الوسطى هو كتاب القداس أو كتاب الصلاة الجامعة. ففى الصلاة الجامعة المسيحية (ماس) يقوم القسيس بدفع الخبز والنبيذ فى جسد ودم السيد المسيح ثم يقدمها للأحياء والأموات على السواء وهو مجرد رمز على تضحيات المسيح والقربان المقدس فى الطقوس الرومانية الكاثوليكية. وكان كتاب القداس كتابًا لا غنى عنه أبدًا فى شعائر الصلاة الجامعة كما أن الطقوس كلها كانت تعتمد على قراءة كتاب الصلاة الجامعة هذا ــ وكان من الضرورى جدًا أن يكون لكل كنيسة

كتاب القداس هذا الذى يضم القواعد الأساسية للصلاة الجامعة بما فى ذلك النصوص والتوجيهات والإرشادات الواجب اتباعها لصحة القراءة والصلاة إلى جانب التقويم الكنسى والمزامير والترانيم التجاوبية والدروس والصلوات المناسبة فى أيام الأحد والأعياد الدينية.

وكان من المألوف فى كتب القداس فى العصور الوسطى أن تزخرف وتزوق بغزارة وفخامة وكانت أهم أنواع الزخرفة المنمنمات والأوليات (الحروف الأولى) ولكن نتيجة للنسخ الكثير المتعجل كانت تلك الكتب تمتلئ بالأخطاء الهجائية بل وكانت عرضة لأخطاء واختلاف المضمون والمحتوى حين تستقى من عدة مصادر. وربما لهذا السبب وفى سياق عملية التخطيط الكبرى لإصلاح الكنيسة التى أيدها نيقولاس الكيوسى (من كيوس) الذى أشرنا له عدة مرات فيما سبق فى مجلس بازل وكتب عنها فى كتابة "عن الكنيسة الكاثوليكية" خلال إقامته فى بازل سنة ١٤٣٢م طالب كيوس بتوحيد إجراءات وصيغ الطقوس الدينية وإعداد نص معيارى لكتاب القداس يجرى استخدامه وحده فى عموم الكنيسة الكاثوليكية. وعندما أصبح نيقولاس الكيوسى هذا أسقفا على بريكسين كرر نفس تلك المطالب مرات ومرات. ويرى بعض باحثى جوتنبرج أن هناك من الشواهد والمؤشرات ما يوحى بأن جوتنبرج قد وضع فى اعتباره قضية توحيد نسخ كتاب القداس هذا عندما فكر فى التكنولوجيا الجديدة. كما يعتقد هؤلاء الباحثون أن أنماط "تكستورا" الأربعة التى وجدت حتى سنة ١٤٥٧م كانت كلها من إعداد يوحنا جوتنبرج وكانت تمثل مجموعة الأحجام المضبوطة التى تطلبها تنضيد كتاب القداس ومن ثم يمكن أن نستنتج ببساطة أن طباعة كتاب القداس بأعداد كبيرة من النسخ المضبوطة كانت من بين أهداف جوتنبرج البعيدة. بل ويمكن أن نذهب أيضا إلى مدى أبعد من ذلك فنقول بأن نيقولاس الكيوسى قد دعم جوتنبرج فى هذا الاتجاه لما كان لهذا الكيوسى من اتجاه قوى نحو ضرورة التوحيد على نحو ما قال به إ. كونيج فى كتابه عن جوتنبرج والصادر سنة ١٩٨٧ بعنوان "تاريخ الفن وتاريخ الكتاب فى مرحلة الانتقال من المخطوط إلى المطبوع"؛ وقد ربط إ. كونيج بين نسخة الكتاب المقدس ذى الاثنين

والأربعين سطرًا الموجودة الآن فى فيينا وبين نيقولاس الكيوسى. وقد كان هناك تفسير آخر يكشف عن كنيسة كاتدرائية بريكسين كانت هى المالك الأصلى لتلك النسخة وأن نيقولاس الكيوسى عندما كان أسقفا هناك فى تايرول قام بشراء تلك النسخة. وقد ذكر كونيج أيضًا أن هناك عدة نسخ أخرى من الكتاب المقدس الذى طبعه جوتنبرج قد تم تزويقها وزخرفتها فى الأديرة المطورة فى مِلّك، تجرنسى، أوجزبرج وأيضًا تلك التابعة لجماعة بيرسفيلد مثل دير سانت جاكوب فى ماينز و بيترسبرج فى إيرفورت.

ولكن حتى ذلك الحين لم يكن لدى دار الطباعة فى بيت جوتنبرج إلا أبناط دوناتوس والكالندر DK والتى ربما تكون قد صممت أساسًا بحجم متن كتاب القداس. ولم تكن الأحجام الأخرى: بنط الكورال أصغر الأبناط فى هذه السلسلة؛ وكذلك حجم القواعد الصغير وحجم القواعد الكبير؛ قد أضيفت بعد وقد مرت سنوات كثيرة قبل أن يتم تصميم وتنفيذ وصب تلك الأحجام بأعداد كافية. ومن ثم فإن أية خطة لطبع كتاب القداس كان لابد وأن تنتظر طويلاً وتوضع على الرف وبالتالى لابد من اختيار مشروع آخر للطبع لا يستخدم فيه إلا البنط بالحجم الجاهز.

ويرى بعض باحثى جوتنبرج أنه جرى التفكير فى طبع كتاب المزامير طالما أن "الخدمة المقدسة" فى الكنيسة كانت تتطلب مجموعة المزامير كما تطلبها "الشكر" وتطلبها "النواح"؛ إلا أن ذلك كان يتطلب تصميم وتنضيد وصب حجمين آخرين من بنط أكبر كما أن كتب المزامير كان يعيبها أن نصها تفاوت من منطقة كنسية إلى أخرى ومن ثم فالتوحيد مفقود ولابد من طبع طبعات مختلفة طبعة لكل منطقة بعدد من النسخ يمكن تصريفه فى كل منها.

ولو أننا نظرنا إلى اختيار الكتاب المقدس لكى يطبع فى ترجمته اللاتينية التى قام بها سانت جيروم من وجهة نظر حديثة لوجدنا أمامنا ألف مبرر ومبرر ولكن الأمر بالنسبة للعصور الوسطى كان مختلفًا تمامًا ففى منتصف القرن الخامس عشر لم يكن هناك إقبال يذكر على الكتاب المقدس فلم يكن الكتاب المقدس آنذاك هو محور أو مركز الحياة الدينية

على نحو ما هو عليه الآن أو على نحو ما كان عليه القرآن الكريم منذ نزل بالنسبة للمسلمين. فقد نظر اللاهوتيون الكاثوليك إلى الأمر نظرة مختلفة حيث رأوا أن الكتاب المقدس يحتاج إلى شروح وتفسيرات للعامة يقوم بها آباء الكنيسة والقساوسة. وقد وقر فى ضمير الكنيسة بكل طبقاتها الدينية أن تقيد اقتراب العامة من الكتاب المقدس وحرمت تحريمًا قاطعًا الترجمات إلى اللغات العامية. وقد أصرت المجالس الكنيسة المتعاقبة على هذا التحريم. ولكن على الرغم من أن الكنيسة ككل وبصفة عامة كانت ضد طبع الكتاب المقدس وتوسيع نطاق انتشاره إلا أنه كان هناك بالضرورة قبل حركة الإصلاح الدينى محاولات وشخصيات قوية وإن قلت من بينهم نيقولاس الكيوسى الذى أشرت إليه من قبل شجعت على نشر الكتاب المقدس على أوسع نطاق ممكن. ونخطئ فى حقيقة الأمر لو اعتقدنا أنه كانت هناك منذ البداية سوق مؤكدة للكتاب المقدس يمكن أن تشجع على نشره. بل إنه حتى طلاب اللاهوت والقساوسة لم يكن بمقدورهم أن يشتروا نسخة من الكتاب المقدس المطبوع ومن ثم كان لابد من البحث عن مشترى الكتاب المقدس المحتملين بين الأديرة والجامعات والإكليريين الأغنياء أو النبلاء المدنيين وأمراء الكنائس.

وكان على جوتنبرج وشركاه أن يختار الكتاب الكبير الذى يقدمون على طباعته بدقة متناهية وبأقصى قدر من التحرى والحذر. ويرى الثقاة أن قرارهم بطبع الكتاب المقدس ربما جاء متأثرًا بوجهات نظر نيقولاس الكيوسى وجهوده فى إصلاح حال الأديرة. وقد تلقى كيوس باعتباره موفدًا مندوبًا عن البابا وعدا وقسمًا من ٧٠ من آباء الأديرة البندكتيين المجتمعين فى ماينز فى مايو ١٤٥١م بإصلاح مؤسساتهم الدينية. وفى تلك المناسبة أعرب عن رغبته بل وأكد على ضرورة أن تقتنى المكتبات فى جميع الأديرة نسخًا صحيحة سليمة الترجمة من الكتاب المقدس. ومن هنا يعتقد أن المخترع العظيم التقط الفرصة ورأى أن يقوم بوضع اختراعه الجديد فى خدمة حركة إصلاح الأديرة.

عند هذه النقطة لابد أن نتوقف لنقدم رجلاً كان له دور هام لعبه فى تاريخ الطباعة وفى حياة يوحنا جوتنبرج؛ هذا الرجل هو جوهان فوست الذى كان تاجرًا كبيرًا ومرابيًا فى

ماينز. وكان أخوه الصائغ جاكوب فوست عضوًا فى المجلس الجديد الذى كان يتألف من ٢٩ عضوًا والذى حكم مدينة ماينز منذ سنة ١٤٤٤م وكان ينتخب بصفة مستمرة أحد عمد المدينة. ويتضح من الوثائق أن جوهان فوست هو الآخر كانت له علاقة وثيقة بالمخطوطات وتجارتها وكان يجوب مدن الجامعات لعرض نسخ كتاب دوناتوس وغيره من الكتب الدراسية. وقد استنتج المؤرخون أنه كانت هناك علاقة عمل غير رسمية مع يوحنا جوتنبرج فى وقت باكر سنة ١٤٤٩م طالما أن دار الطباعة فى بيت آل جوتنبرج كان يحتاج إلى وكيل يبيع نسخ دوناتوس المطبوعة وذلك مما مكن فوست من تكوين فكرة وخبرة أولية عن احتمالات الفن الجديد التجارية. هذه الفكرة والخبرة ربما لم تتوافر للتجار الآخرين الذين مزجوا بين المخطوطات والمطبوعات التى يتاجرون فيها ولم يقدروا المطبوعات ومستقبلها على نحو ما فعل جوهان فوست، وربما كان كل ما يعنيهم هو أن أسعار المطبوعات أرخص وأقل من أسعار المخطوطات ولم يحاولوا الدخول فى تفاصيل طرق إنتاج تلك المطبوعات. ولعل أهم ما خرج به تجار الكتب فى تعاملهم مع النوع الجديد من الكتابة أنها نوع مفلتر مصفى من الشوائب وأن المطبوعات بالنسبة لتجار الكتب وموزعيها وبائعيها لم تكن أقل قدرًا من المخطوطات.

ومما يلفت النظر أن يوحنا جوتنبرج بين هذه الكوكبة كان يقدم دائمًا على أنه المخترع وصاحب الفضل وكانت قامته دائمًا فوق السحاب ولكنه للأسف كان أجهل ما يكون بالشئون التجارية والمالية وعلى العكس من ذلك كان جوهان فوست رجل أعمال لا يرحم لا يهمه الوقوف طويلاً أمام المشكلات الفنية أو التكنولوجية التى تنشأ بين حين وآخر. ومن ثم وضع رأسماله فى المشروع كآلة حاسبة باردة الحس كل ما يعنيها هو الحسابات والأرقام والربح وانتهز اللحظة المناسبة حى يسحب البساط من تحت قدمى المخترع العظيم. تبالغ بعض الكتابات فى سذاجة جوتنبرج وخبث ودهاء فوست ولكن هناك دائمًا الحد الأدنى من الحقيقة. فقد دلت تصرفات جوتنبرج ووقائعه المالية فى ستراسبورج على أنه نادرًا ما كان ساذجًا بل كان فى الأعم الأغلب يتخذ الاحتياطات والتعاقدات المكتوبة التى تنصفه وتسبب فى سجن الممثل المدنى لمدينة ماينز فى دين له

عليه؛ وفرض شروطًا قاسية لصالحه على شركائه فى مشروع المرايا المقدسة وكذلك فى مشروع الفن والمغامرة. كما رأينا من قبل انتصر على الأخوة دريتزن فى الدعاوى القضائية التى رفعوها ضده. وتكشف الوثائق أيضًا عن أن أحد ضامنى جوتنبرج وهو مارتين بريتشر قد قضى فترتى عقوبة فى السجن بسبب الدين الذى اقترضه لصالح جوتنبرج ولم يتمكن من سداده. هذه جميعًا وقائع تكشف عن أن جوتنبرج لم يكن بالسذاجة التى صورته عليها المصادر المختلفة. ولكن على الجانب الآخر لم تصلنا عن جوهان فوست إلا معلومات قليلة نسبيًا وإن كان فى الآونة الأخيرة قد سلطت عليه الأضواء وتوجهت نحوه بعض الدراسات. ويمكن أن نستخلص منها أن فوست لم يكن مجرد تاجر غنى ومرابيًا وإنما كان أيضًا صائغًا وينتمى إلى نقابة الصاغة مثل شقيقة جاكوب الذى مر ذكره ولا ينبغى إطلاقًا أن ننكر أن عقود العداء بين النقابات والأشراف قد شكلت اتجاه فوست ومشاعره إزاء جوتنبرج وبصفة عامة كان جوتنبرج يصدم مشاعر فوست باعتباره من الأرستقراطية وباعتباره شخصية قيادية تعطى الأوامر إلى جانب قدراته الإبداعية التى اعترف بها الجميع. وكان فوست أيضًا ينظر إلى جوتنبرج باعتباره شخصًا مفرط الذكاء حقق ذاتيته ولذلك كان يجب التعامل معه بمنتهى الخبث والدهاء. وقد سجلت الوثيقة المعروفة باسم وثيقة "هيلما سبرجر" طبيعة وفترة التعامل بينهما تلك الوثيقة التى اتخذت اسم الموثق الذى كتبها (هيلماسبرجر) وكتبت بناء على طلب من جوهان فوست نفسه فى سياق الإجراءات القانونية بينهما وإضفاء الشرعية عليها. هذه الوثيقة فى نظر الجميع تعتبر حجر الزاوية فى صرح البحوث المتعلقة بالمخترع العظيم. وسوف أقدم فيما بعد نص تلك الوثيقة التى كتبت باللغة الألمانية الأثرية القديمة مما يصعب معه فى بعض الأحيان تتبع الوقائع وتفسيرها بدقة ولذلك يفضل أن نسرد الوقائع الأساسية أولاً حتى تفهم الوثيقة على ضوء ذلك السرد.

فى مطلع صيف ١٤٤٩م تلقى جوتنبرج من فوست قرضًا مبدئيًا من المال وذلك لإنتاج geczuge (جزوج) أو شراء معدة لطبعها. وفى "حولية ولاية كيلن" سنة ١٤٤٩م نشر أولرخ زيل أول طابع فى كولون معلومات مفادها أنه فى ١٤٥٠ سيتم البدء

فى طبع الكتاب المقدس اللاتينى فى مدينة ماينز. وقد اقتنع التاجر الثرى فوست بالنتائج الأولية التى صدرت عن دار الطبع القائمة آنذاك وتأكد من تحقيق أرباح كبيرة من وراء الطباعة ولذلك قام بتمويل إنشاء ورشة طباعة أكبر معدة إعدادًا أفضل وذلك بتقديم قرض مقداره ٨٠٠ جولدن. ولإنشاء الدار الجديدة تم اختيار بناية زوم همبريشت التى كانت ملكًا لقريب من بعيد للمخترع يوحنا جوتنبرج واسمه حنا سلمان الذى كان يعيش آنذاك فى فرانكفورت. وقد رؤى أن المبنى الجديد أكثر ملاءمة للمشروع من بناية جوتنبرج وفى حدود معلوماتنا كانت بناية همبريشت خالية تمامًا سنة ١٤٥٠م ولم تكن هناك إلا مشكلات قليلة فى تأجيرها خاصة فى وقت كان الأشراف فيه قد هجروا المدينة مرة أخرى.

وكانت هذه هى المرة الثانية التى يواجه فيها جوتنبرج مهمة إقامة دار طباعة جديدة فى ماينز. وللمرة الثانية يستعين يوحنا جوتنبرج بالمدعو كونراد ساسباخ لتشييد الطابعات. وكان عليه البدء بأربع طابعات فى هذه المرة وحيث كانت واحدة تظاهر الأخرى فى الوردية الواحدة؛ وفى أحوال الذروة كانت هناك ست طابعات. هذا على حين لم يكن هناك سوى طابعة واحدة فى دار الطباعة فى بيت آل جوتنبرج. واشتملت دار الطباعة الجديدة على قاعة كبيرة لتنضيد الحروف لا يقل عدد المحطات بها عن ست محطات عمل كما كانت هناك مخازن واسعة لتخزين الرقوق والورق بكميات مناسبة. ويرى الفقهاء أن جوتنبرج ربما يكون قد أعد كل هذه العدة والاستعدادات لكى تعمل المطبعتان فى وقت واحد بحيث يطبع كتاب دوناتوس والأعمال السريعة ببنط دوناتوس الكالندر DK فى دار الطبع القديمة فى جوتنبرج هوف بينما دار الطباعة الجديدة فى همبريشت هوف تعمل فى طباعة الكتب وفى مقدمتها الكتاب المقدس.

وكان الاتفاق قد تم على أن ما يتم إنتاجه من معدات الطباعة وتجهيزاتها توضع فى خدمة الدين الذى قدمه فوست وقيمته كما رأينا ٨٠٠ جولدن بمعنى أن تعتبر تلك المعدات والتجهيزات مقابل الفوائد على القرض لأننا لا نعلم من الوثيقة ما إذا كانت

هناك فوائد محددة على ذلك القرض بل كذلك لا نستبين من النزاع الذى نشب بين الشريكين والأطراف الآخرين المتعاقدين إن كان هناك فوائد على القرض أم لا. وقد أكد جوتنبرج أنه لم تطرح فى الاتفاق فكرة الفوائد على الدين بل وأكثر من ذلك فإنه لم يتلق المبلغ كاملاً فى الحال على نحو ما كان متفقًا عليه وذكر أنه حصل على أقل من ٨٠٠ جولدن ومن جانبه أقسم فوست أنه هو نفسه قد اقترض ذلك المبلغ أى ٨٠٠ جولدن بفائدة قدرها ٦٪. ومهما يكن من أمر فإن الأمر المؤكد هو أن جوتنبرج و فوست قد دخلا فى تعاقد على تأسيس دار طباعة جديدة سنة ١٤٥٠م.

بنط وطبع الكتاب المقدس ذى الاثنين والأربعين سطرًا

قام يوحنا جوتنبرج بتصميم بنط جديد لطبع الكتاب المقدس الذى خطط له من قبل وبمعنى أدق قام الرجل باختيار كتاب مقدس مخطوط بالتشاور مع زملائه بسبب دقته وجمال خطه نموذجًا يحتذى فى الصيغة المطبوعة منه. ومن ذلك المخطوط تم اختيار أشكال أجمل الحروف المفردة والمدغومة والاختصارات وعلامات الترقيم حتى تكونت لديهم أبجدية كاملة صممت على الورق ثم صبت كحروف معدنية بنفس الخطوات التى مرت بها أبناط دوناتوس والكالندر من تصميم مبدئى على الورق ثم بصم تلك التصميمات الورقية بالمقلوب على كتلة من الخشب ثم حفر تلك الكتل على هيئة الحروف لتكون بذلك القوالب الأمهات ثم تجعل تلك القوالب من نحاس ثم يصب فيها المعدن السائل وتستخرج منها الحروف المعدنية المتفرقة. وبهذه الطريقة والخطوات قام جوتنبرج ورفاقه بصنع ٢٩٠ بنطًا لاستخدامها فى الكتاب المقدس الجديد: ٤٧ حرفًا كبيرًا (كابيتال) و٢٤٣ حرفًا صغيرًا (سمول) بما فى ذلك الحروف الضيقة والحروف الواسعة على نحو ما قدمنا من قبل إلى جانب علامات الترقيم بطبيعة الحال فكم من الوقت استغرق ذلك العمل يا ترى؟

لقد كشفت الدراسات المتأنية المتعاقبة عن أنه فى بداية الأمر كان هناك أربعة منضدين يعملون فى تنضيد الكتاب المقدس على التواكب ثم زاد العدد إلى ستة فيما بعد وكل منضد

فى الوقت الواحد كان يلزمه أبناط ومواد تكفى لتنضيد ثلاث صفحات على الأقل: صفحة فى يده يتوفر على تنضيدها وثانية تنتظر دورها كى توضع على الطابعة وثالثة طبعت ويجرى فكها وتوزيع أبناطها على الصندوق. وبحساب بسيط يمكننا القول بأن الصفحة الواحد من الكتاب المقدس تطلبت ٢٦٠٠ بنط ومن ثم فإن المنضدين الست كان كل واحد منهم يحتاج إلى ٧٨٠٠ بنط تحت أمره وببساطة شديدة كان لابد من توفير ٤٦٠٠ بنط بصفة دائمة فى المطبعة ويتم استبدال كثير منها بصفة دائمة بسبب الاستهلاك الحادث لها فى ظل الاستخدام المتكرر وينطلق الثقاة من ذلك الحساب إلى أن إعداد الأبناط اللازمة للبدء فى طباعة الكتاب المقدس قد استغرق نصف عام على أقل تقدير. وسوف نعالج ما تم فى تلك الفترة بشىء من التفصيل فيما بعد.

يبلغ ارتفاع البنط فى الكتاب المقدس ٧.٢مم منها ٤.٢مم كارتفاع فى الحروف الصغيرة المعروفة بارتفاع ×،٢مم للعراقات الممتدة فوق السطر و١مم للعراقات الممتدة تحت السطر. ويرى الثقاة أن هذا الحجم الصغير الجديد يجعل الحروف أكثر تقاربًا ومن ثم أكثر أناقة من الأبناط المستخدمة فى دوناتوس الكالندر. وبينما تتشابه أشكال الحروف الصغيرة ــ أى داخل الحرف الواحد ــ إلى حد كبير إلا أن الحروف الكبيرة تنوعت فى أشكالها وإبداعاتها. وعلى أية حال فإن الانطباع العام هو أن بنط الكتاب المقدس ذى الاثنين والأربعين سطرًا وبنط دوناتوس/ الكالندر قد صمما ونفذا من خلال الروح ونفس الفكر اللذين امتاز بهما جوتنبرج وإن كان ذلك يعنى أنه قام بنفسه على إعداد القوالب وإنما أشرف فقط على ذلك لأنه كان عليه فى نفس الوقت أن يشرف إشرافًا مباشرًا على أعمال المطبعة الجديدة وشراء الرقوق والورق واختيار عمال المشروع والتعاقد معهم. لقد كان على الأسطى المخترع أن يبتكر التكنولوجيا والبرمجيات التى تعمل بمقتضاها لطبع ذلك العمل المستفيض، كما كان عليه أن يدرب عماله على الفن الجديد ويضع التصور الكامل لإخراج وتصميم الصفحة المطبوعة. وكان على العاملين الجدد أن يتعلموا صنعتى التنضيد والطبع ممن سبقوهم فى هذا المضمار وعلى رأسهم هنريتش كيفر و بيرتولد روبيل. وتذكر المصادر أنه تم تعقب وإغراء هنريتش جونتر الذى كان لوقت

طويل إكليريًا فى سانت كريستوف كى يقوم بعملية تصحيح النص والبروفات وربما يكون قد عمل مستشارًا لاهوتيًا للمشروع ككل. ومن المؤكد أن كيفر و روبيل شركاء جوتنبرج فى أعماله الطباعية الأولى قد ساعدوا ونصحوا فى دار الطباعة الجديدة فى بيت همبرخت وخاصة فى المراحل الأخيرة من الإنتاج. ومن الجدير بالذكر أننى لم أجد أى مصدر مقنع يقول بأن جوتنبرج قد ترك العمل فى بيت جوتنبرجهوف القديم واقتصر على دار الطباعة الجديدة فى همبرختهوف. ويمكن أن نستنتج أنه وشركاه قد عاشوا فى جوتنبرجهوف؛ بينما كان المنضدون والطبّاعون وسابكو الحروف يقيمون ويعملون فى همبرختهوف.

ولا ينبغى بحال من الأحوال أن يغرب عن بالنا أن جوتنبرج قد سعى إلى إثبات أن التكنولوجيا الجديدة كانت قادرة على إنتاج شىء ذى قيمة فنية وجمالية فائقة. وأن نضاله من أجل تركيب هذه التوليفة الجمالية التى لم يكن ليساوم عليها استغرقت كل حواسه. لقد جاءت صفحة الكتاب المقدس المطبوع بحجم ٤٢٠مم طولاً × ٣٢٠مم عرضًا، صورة طبق الأصل من نسخ الكتاب المقدس التى تنتجها أعظم مناسخ ذلك العصر. لقد كانت نسب الأعمدة الجميلة المتسقة المطبوعة والهوامش الرائعة المحيطة بها والتى أعجبت بها أيما أعجاب الأجيال اللاحقة من الطابعين نتيجة محققة لمراسلات يوحنا جوتنبرج لمناسخ الأديرة المختلفة والحصول منها على النسب الذهبية التى كانت مطبقة فى الأديرة على مدار العصور الوسطى ولم تأت مجرد رؤية شخصية أو تصميم شخصى من جانب يوحنا جوتنبرج نفسه.

تلقى جوتنبرج ٨٠٠ جولدن أخرى من فوست موزعة على السنتين ١٤٥٢ و ١٤٥٣ وذلك نظير "العمل المربح للكل" أو نظير "عمل الكتب". وكما أعلن جوتنبرج فيما بعد كان هذا المبلغ بدون فوائد وذلك لإنتاج العمل، بينما أصر فوست على أنه كان قرضًا جديدًا مقابل فوائد ستة فى المائة بضمان العمل "الكتاب". والخلاف الأساسى بين جوتنبرج وفوست، وبنفس القدر بين الباحثين والدارسين يكمن فى تفسيرهم لنص وثيقة هيلماسبرجر، التى سنأتى على ترجمتها كاملة فيما بعد، فيما يخص السؤال ماذا كان "عمل الكتب" أو "العمل المربح للكل" والذى سنعود إليه لاحقًا أيضًا.

تذكر المصادر الثقات أن استثمار الثمانمائة جولدن الجديدة ساعد فى تنضيد وطبع الكتاب المقدس. هذا الكتاب المقدس نفسه يقدم أحسن برهان وقرينة على كيفية إنجازه وعمله. لو أنك قلبت أوراق الكتاب المقدس وأنت بالفعل لا تعرف إلا أقل القليل عن إنتاجه وإنجازه فاذهب أولاً إلى صفحات ٩، ١٠، ١١ وقم بعد السطور على كل منها فلسوف تدهش وتتأكد كما دهش الآخرون واكتشفوا منذ زمن بعيد أن الصفحات من ١ ــ ٩ لا تحتوى إلا على أربعين سطرًا فقط وكذلك فى الصفحات السبع الأولى من ١ صموئيل والتى طبعت معًا على التواكب؛ وصفحة ١٠وحدها تتضمن ٤١سطرًا ولكن اعتبارًا من الصفحة ١١ فصاعدًا نحن الصفحات فى كلا المجلدين نجد السطور وقد أصبحت قياسية وعددها ٤٢ سطرًا فى الصفحة الواحدة؛ ولكن التصفح العابر لا يمكننا من إدراك تلك الملاحظات والسؤال المحير لماذا غير المنضدون رأيهم بعد بدء الطبع وأضافوا سطرين آخرين إلى الصفحة؟ وفى رأينا أن العامل الحاسم هنا هو عامل اقتصادى لأنهم بتلك الزيادة وفروا ٥٪ من الورق والرق اللازم للطبع. ومن الواضح كذلك أن تقريب السطور أكثر جعل النص المطبوع أكثر وضوحًا وبروزًا لأنه قلل البياض المتخلل للسطور، ويلقى الضوء على بعض خصائص جوتنبرج الذى كان دائمًا يبحث عن النواحى الجمالية حتى وإن كان العمل قد قطع شوطًا ولكن نعود فنقول بأن العامل الاقتصادى هو الأساس فى ذلك التغيير والذى لولاه لضحى الرجل بالصفحات التى كانت قد طبعت ولكن ذلك كان يسبب له خسارة واضحة.

ويمكننا الوصول إلى معلومات أكثر وأغزر عن طريق التفحص الدقيق المصل لكل صفحة على حدة. فى بداية الأمر دأب جوتنبرج على وضع عناوين مطبوعة باللون الأحمر فى مطلع كل مقدمة أو سفر وبعد عدد قليل من تلك العناوين المطبوعة بالحمرة صرف النظر عنها وترك مكان العناوين خاليًا كى تضاف بعد ذلك يدويًا بالحبر الأحمر لأن الوقت لم يسعف طباعة لون آخر منفصل كذلك لم يسعف الوقت العملية المعقدة اللازمة لذلك. ونتيجة لقرار العدول عن الطبع بلون ثانٍ تم طبع ملزمة واحدة من ثمانى صفحات لم يصلنا منها إلا نسختان فقط هما نسخة ميونيخ ونسخة برلين، وهما القرينة الأساسية التى تدلنا على الرؤوس التى قام المحمرون بإدخالها إلى النص.

ونستطيع أن نستشف من وجود تعارض فى أسلوب تنضيد الحروف بين الورقة الافتتاحية فصاعدًا من جهة وبين الورقة ١٢٩ فصاعدًا من جهة ثانية أن عاملين مختلفين اشتغلا فى تنضيد حروف الكتاب المقدس فى وقت واحد بدأ أحدهما بافتتاحية العمل من الورقة الأولى والثانى بدأ بالورقة ١٢٩. وكذلك عندما بدأ العمل فى المجلد الثانى حدث تقسيم للعمل أيضًا بين شخصين. حيث نجد منضدًا ثالثًا يبدأ من افتتاحية المجلد الثانى والرابع يبدأ مع الورقة ١٦١. وبعد فترة لحق بهم إثنان آخران من المنضدين. ونستطيع أن نميز بين الفقرات التى نضدها كل منهم على ضوء عاداتهم المختلفة فى تنضيد الكلمات اللاتينية المتكررة والكلمات المدغمة. بل لقد خرج الإحصاء الذى أجرى على ذلك الكتاب المقدس بأن المنضد رقم اثنين كان أسرعهم وأكثرهم عملاً حيث بدأ بالورقة ١٢٩ من المجلد الأول وأكمل ١٤٠ ورقة أو ٢٨٠ صفحة وهو عدد كبير لم يصل إليه أى من الآخرين.

ولأول مرة فى تاريخ الكتاب نجد استراتيجية خاصة تستخدم لإنتاج عمل ما بحيث يرجع إليها المصممون والطابعون من حين لآخر عبر القرون؛ فكل السطور فى الكتاب المقدس متساوية تمامًا فى الطول. ولكن بسبب هذه الطريقة فإن كل عمود من عمودى الصفحة لم يكن على يمينه إلا بياض محدود للغاية أى الفراغ بين العمودين والهامش الأيمن للعمود الثانى وإن كان ذلك كله قد أدى إلى تحسين الصورة البصرية للصفحة المطبوعة وقسمة بعض الكلمات بين سطرين وترحيل بعض علامات الترقيم أو التضحية بها. ومن خلال هذه التفاصيل وضع جوتنبرج أسلوب التنضيد الجديد الذى غدا السمة المميزة لدار الطباعة فى همبرختهوف وحيث زرعت الجوانب الجمالية فى طباعة الكتب لأن المطبوعات الأولى فى جوتنبرجهوف لم يتحقق فيها أبدًا تساوى أطوال السطور على نحو ما أشرت إليه من قبل، ربما لأن جوتنبرج وزملاءه اعتبروا تلك السطور غير متساوية النهايات والأطوال كافية بالنسبة للأعمال السريعة وذات القيمة الوقتية التى طبعت فى دار الطباعة الأولى. ولكن هنا فى الكتاب المقدس تظهر أول قرينة على تفوق الكتاب المطبوع على الكتاب المخطوط فى جانب واحد على الأقل لأنه كان من المستحيل على الخطاط أن ينسخ كتابًا كاملاً بسطور متساوية الأطوال مهما بذل من جهد ودقة.

وإنه حقيقة لضرب من ضروب الإعجاز أن يأتى أول كتاب مطبوع فى أوربا ــ وأنا أفضل أن اعتبر كتب دوناتوس و نبوءات سبلين مطبوعات عارضة وليست كتبًا بالمعنى الدقيق ـ بهذا الجمال وهذه الروعة وبهذه "الأستاذية" التى لم تستطع الأجيال اللاحقة الوصول إليها حتى يومنا هذا. والحق يقال أن انتظامية واتساق التنضيد واستواء الطبع كالحرير الأسود وانسجام الأبعاد والإخراج والمخطط العام كل هذا وغيره كشف عن سيطرة غير عادية على هذا الفن الجديد، مما يصعب الوصول إليه فى ظروفنا الحالية. ويرى الثقاة أنه يكمن خلف هذا كله، وراء هذا الإنجاز الرائع شخصية مشبعة بالتزام حاد نحو الامتياز والتفوق بل وقادرة على نقل تلك الروح وذلك الحماس إلى زملائها العاملين معها.

هذا الكتاب المقدس المعروف بين باحثى أوائل المطبوعات باسم الكتاب المقدس ذى الاثنين والأربعين سطرًا أو بالاختصار B42 يمكن دراسته من زاوية القوى العاملة التى اشتركت فى إنتاجه. وكما رأينا من قبل كان هناك ستة منضدين ينضدون الأبناط لست طابعات (آلات طبع) أى يعمل عليها ١٢ طابعًا لأن كل طابعة يعمل عليها محبراتى واحد "وطبيع" واحد. هذا الطبيع مهمته تلقيم الطابعة الورق وتشغيل الطابعة عن طريق الذراع الرافع للضغط الشديد وإحداث الطبع وسحب الفروخ المطبوعة. إلى جانب هؤلاء لابد وأن الأمر كان يتطلب سابك الأبناط وحفار الحروف ومعيد توزيع الأبناط على الصندوق وصانع الحبر وغيرهم من المساعدين. ومن هذا المنطلق لا يمكن أن يكون هناك أقل من عشرين شخصًا يعملون فى إنتاج الكتاب المقدس فى دار الطباعة الكائنة فى همبرختهوف. ولكن مما يؤسف له أنه لم يصلنا من أسماء هؤلاء إلا عدد محدود ولم تصلنا أيضًا معلومات عن تواريخ التحاقهم بالعمل. وقد عثرنا بالصدفة على اسم جوتز فون شليتستادت و هانز فون سباير، وذلك فى وثائقماينز المؤرخة فى ١٤ من نوفمبر ١٤٦١ و ٢٦ يناير ١٤٦٢م التى جاء فيها: "وكان حاضرًا كلاس جوتز و هانز فون سباير الصائغان". وكلاهما ساعد يوحنا جوتنبرج فى عملية حفر الحروف. وفى وثائق أخرى نقف على أسماء: نومستر، سبيس، كرانتز، بيتر دراخ (من سباير)، جوهان فون شتاين،

رمبولدت، جوهان رينر، جانس فون كوبلنز، هانز راينهارد، كلاس فولف إلى جانب بطبيعة الحال بيتر شوفر من جيرنشايم و نيقولاس جنسون اللذين سنتحدث عنهما بشيء من التفصيل فى حينه فيما بعد. وتكشف الوثائق عن "زميل متعاون من أيام ستراسبورج هو هنريتش إيجشتاين، جاء إلى ماينز فى وقت لاحق لكى يشترك فى تطوير مشروع: "الفن والمغامرة" وأيضًا لكى يتعلم ما وصل إليه الفن. ويرى بعض المؤلفين الباحثين فى جوتنبرج أن كونراد سوينهايم من شوانهايم ــ أول طابع فى إيطاليا فيما بعد ــ كان من بين العاملين مع يوحنا جوتنبرج لفترة من الزمن. ومن الجدير بالذكر أن كثيرًا من هؤلاء الأشخاص الذين عملوا مع جوتنبرج أصبحوا فيما بعد وخاصة فى عقد السبعينيات من القرن الخامس عشر الطابعين الأوائل فى العديد من الأماكن سواء فى ألمانيا أو خارجها. ويبدو أن دار الطباعة فى همبرختهوف أصبحت مدرسة لتدريب وتخريج طابعى المهاديات (أوائل المطبوعات).

وكان فى مقدمة عملية الطبع يأتى العمل الممل الخاص بقطع فروخ الورق المناسبة من جلود الرقوق تاركًا الزيادات لاستخدامها كلما أمكن فى طبع صكوك الغفران أو الفروخ الفردية. نعم لقد كانت هناك فروخ جاهزة مقطوعة فى السوق؛ ولكن بالنسبة لمشروع كبير كهذا يحتاج إلى ورق كثير من حجم واحد فى الوقت المحدد وبصورة اقتصادية كان لابد وأن تقوم دار الطباعة بهذا العمل بنفسها. وبعد عملية تقطيع الفروخ لابد من ترطيب أو تندية تلك الفروخ سواء كانت من الرق أو الورق. وبالنسبة للورق كان يكفى لكل ستة أفرخ أو نحوها أن تغمس فى حمام من الماء ثم تنسج بعدها مع خمس فروخ أخرى جافة؛ وفى خلال عدة أيام تتخلل الرطوبة والندى الحزمة كلها بالتساوى. وأخيرًا يتم طى هذه الأفرخ بالتساوى وبالضبط ثم تثقب بابرة أو آله مدببة وباستخدام فرخ الأساس الذى يقاس عليه حتى يتم طبع النص بالتمام وحماية الهوامش فى حجمها السليم المتناسق. ورغم ما فى هذه الأعمال المبدئية الأولية من قسوة ومعاناة إلا أنها كانت تساعد "الطبيع" فى تثبيت كل فرخ فى مكانه المحدد المضبوط.

وكان الطبع يتم صفحة بصفحة وحيث كان الفرخ الذى يتكون من ورقتين يطبع

أولاً بصفحته الأولى ثم صفحته الرابعة أى يطبع من الظاهر أولاً وبعد ذلك يعلق الفرخ المطبوع من الظاهر على حبل ليجف تماماً قبل قلبه ليطبع من الداخل أى الصفحة الثانية والصفحة الثالثة ثم يعلق الفرخ مرة ثانية حتى يجف وبعد ذلك يفحص الفرخ للتأكد من سلامة الطبع ثم تجمع كل خمسة فروخ معًا لتكون ما يعرف بالقسم أى عشرين صفحة. ورغم ما فى هذه العملية من استهلاك للوقت وتعقيد للأمور إلا أنها كانت دقيقة وتؤدى إلى سلامة العمل فى النهاية لأن أى انحراف أو عدم ضبط فى تحبير صفحة واحدة يؤدى إلى تدمير الفرخ كله ولابد من استبداله. ومن الطبيعى أنه كان يحسب حساب نسبة فاقد وتالف فى هذا الصدد.

لقد تم حساب عدد الكبسات التى يمكن إنتاجها على مطابع تلك الأيام على يد اثنين من الطابعين ما بين ٨ و ١٢ كبسة فى الساعة الواحدة ومن ثم فإن طبع ١٢٨٢ صفحة فى ١٨ نسخة تامة كاملة يتطلب ٢٣٧.١٧٠ كبسة أو عملية تشغيل على الطابعات. وعلى هذا الأساس فإن الطابعات الست فى مطبعة جوتنبرج لو عملت على مدى عشر ساعات يوميًا فإن الأمر إذن تطلب ٣٣٣ يوم عمل صافى ولكن بسبب الزيادة المفرطة فى الأعياد الدينية تقلص عدد أيام العمل الصافية إلى ١٨٨ يومًا فى ذلك الوقت. وإذا علمنا أن الطبع بدأ بأربع طابعات فقط، وأن ثمة أخطاء وقعت وتعطل فى العمل حدث، وتحويل للعمال من عمل إلى عمل آخر، فإن طبع هذا الكتاب المقدس استغرق على أقل تقدير عامين كاملين.

لقد استقرت المصادر المختلفة على أن حجم الطبعة من هذا الكتاب المقدس بلغ ١٨٨ نسخة وربما كان المستهدف هو ٢٠٠ نسخة ولكن المحصول النهائى كان أقل من المائتى نسخة. ولكن من حسن حظنا أنه قد وصلتنا ١٢ نسخة على رقوق و٣٧ نسخة على ورق مع العلم بأنه ليست كل هذه النسخ كاملة تامة. ومن بين تلك النسخ نسخة كاملة على رق وأخرى على ورق اختفتا من ليبزج منذ نهاية الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥م ولكن تم اكتشافهما فى نهاية القرن العشرين فى موسكو وبدأت مفاوضات إعادتهما سنة ١٩٩٤م. والأعداد التى وصلتنا من نسخ الرق والورق تعزز التقديرات التى وضعها الخبراء للمجموع الكلى من النسخ فى كلا الاتجاهين وهى: بين ٣٠ ــ ٣٥ نسخة من الرق

إلى جانب بين ١٤٥ ــ ١٥٠ نسخة من الورق. وقد تطلب طبع نسخ الرقوق استخدام جلود ٥٠٠٠ عجل تم دبغها وإعدادها بطريقة موحدة. وبالمثل بذل مجهود ضخم فى تصنيع الورق اليدوى اللازم لطبع النسخ الورقية وكان اختيار الورق يفرض قرارات جمالية صعبة. لقد بلغت فاتورة الورق وحده بما فى ذلك تكاليف نقله من إيطاليا ما بين ٣٠٠ و ٩٠٠ جولدن حسب أقل وأعلى تقدير وجدناه فى المصادر المختلفة بينما بلغت تكاليف الرقوق نحو ٤٠٠ جولدن. ولابد أن نكون منصفين فنضيف إلى ذلك تكاليف المعدن والحبر وأجور العاملين وإيجارات الأماكن والنثريات الأخرى. وسوف أقدم فى نهاية هذا المبحث ميزانية مفترضة لهذا المشروع كله تم استقاء مفرداتها وتركيبها من أوثق المصادر المتاحة ولكنها فيما أعتقد قريبة جدًا من التكلفة الفعلية للعمل.

إن إنتاج كتاب لمجموعة غير محددة وغير معروفة من المشترين يتطلب بالضرورة الاحتفاظ بالأرصدة من النسخ وربط رأس المال المستثمر لفترات طويلة نسبيًا قبل تصريف النسخ واسترداد العائد. ومن هذه النتيجة البسيطة يمكننا الحكم على جوتنبرج بأنه لم يكن مجرد مخترع عظيم وفنان كتب ضليع وحسب ولكنه فى نظرنا كان رجل أعمال بارع استشرف مميزات الصناعة وسيطر على توزيع العمل لتحقيق الهدف وكذلك تأصيل الإنتاج. كما أنه من جهة أخرى لم يكن يخاف من المغامرة وتحمل المخاطرات.

لقد حددت معظم المصادر نهاية عام ١٤٥٥ على أنها التاريخ الغالب للانتهاء من الكتاب المقدس ذى الاثنين والأربعين سطرًا B42 ولهذا التحديد قرينته المؤكدة حيث أن نسخة المكتبة الوطنية الفرنسية فى باريس تحمل حواشٍ بقلم هنريتش كريمر قسيس سانت ستيفان فى ماينز، تؤكد أنه انتهى من تحمير أوليات تلك النسخة وتذهيبها وتجليدها بمجلديها الاثنين خلال شهر أغسطس سنة ١٤٥٦م. ومن الطبيعى أن يستغرق تحمير ١٢٨٢ صفحة من القطع الكبير ونقش ١٧٠ من الحروف الأولية ثم تجليد المجلدين بضعة أشهر لا تقل عن ستة فى رأينا. ومؤخرًا تم الكشف عن تقرير جديد قادنا إلى نتائج مذهلة فى هذا الصدد.

تقرير معاصر

خلف لنا إينيا سيلفيو بيكولوميني أسقف سينا فى ذلك الوقت ومبعوث البابا إلى الإمبراطور فردريك الثالث والذى زار فرانكفورت فى الفترة من ٥ إلى ٣١ من أكتوبر ١٤٥٤ لحضور جلسة المجلس التشريعى الذى كان يناقش قضية جذب الأمراء الألمان لدعم الحرب ضد الأتراك؛ خلف لنا تقريرًا فى خطاب بعث به إلى الكاردينال الأسبانى خوان دى كارفاجال ومؤرخ فى ١٢ من مارس سنة ١٤٥٥م. هذا التقرير يتحدث عن اختراع عجيب مدهش:

"... كل شيء كتب إلى حول ذلك الرجل البارز الذى قابلته فى فرانكفورت صحيح تمامًا. وأنا لم أر الكتاب المقدس كاملاً وإنما أقسامًا فى خمسة أسفار مختلفة منه. وكان النص خاليًا تمامًا من الأخطاء ومطبوعا بغاية الأناقة والدقة. إن نيافتكم يمكنكم قراءته بدون صعوبة وبدون أية مساعدة من النظارات. وقد علمت من كثير من الشهود أن ١٥٨ نسخة قد تم إنجازها كاملة، رغم أن البعض قد أكد أن مجموع النسخ التى طبعت بلغ ١٨٠ نسخة. وعلى الرغم من أننى لست متأكدًا من العدد الفعلى فإنه لايخامرنى أدنى شك حول تمام المجلدات ودقتها وكمالها حسبما سمعت من الناس. ولو أننى كنت أعرف أنك تريده لاشتريت لك بدون شك نسخة منه.

لقد أرسلت إلى الإمبراطور هنا بعض أقسام الكتاب. وسوف أحاول إذا كان ذلك ممكنًا أن أرتب الحصول على نسخة كاملة من الكتاب المقدس المطروح للبيع هنا وسوف أشتريها لحسابك. ومع ذلك فإننى أخشى ألا أستطيع ذلك، بسبب بعد المسافة من جهة ولأنهم يقولون أن هناك مشترين بالفعل لكل النسخ حتى قبل أن تنتهى طباعتها.

لقد كنتم نيافتكم شغوفين لتلقى معلومات صحيحة يعتمد عليها حول هذا الأمر، ولقد استنتجت أنكم ستبعثون رسولاً أسرع من بيجاسوس ولكن ما قدمته لك فيه الكفاية.

هذه الرسالة جرى الكشف عنها منذ عشرين عامًا تقريبًا عندما نشرت بين أوساط

الباحثين فى جوتنبرج سنة ١٩٨٢ وقد أحدثت ضجة واسعة آنذاك. ومن الواضح من القطعة التى ترجمناها من تلك الرسالة أن بيكولومينى الذى أصبح فيها بعد البابا بيرس الثانى كان قد كتب فى وقت سابق عند ذلك "الرجل المدهش" وهو هنا يرد على استفسار جديد من الكاردينال كارفاجال. وهو هنا يكتب عن إتمام الكتاب المقدس ذى الاثنين والأربعين سطرًا ويسرد لنا بعض المعلومات التى لم تكن معروفة لنا من قبل. ولعل أهم تلك المعلومات هى المتعلقة بتاريخ الانتهاء من العمل حيث أن رسالة الرجل ترجح الانتهاء من العمل إلى خريف ١٤٥٤. وقد أماط هذا الخطاب أيضًا اللثام عن قضية ثانية متعلقة بحجم الطبعة أى عدد النسخ فقد قال بيكولومينى أنه تلقى تقارير متضاربة حول ١٥٨ نسخة و١٨٠ نسخة. وربما جاء ذلك الخلط بسبب قرار اتخذ عقب بدء الطبع مباشرة بزيادة عدد النسخ ويفسر ذلك أن بعض النسخ تتضمن أوراقًا مختلفة من تنضيد جديد على نحو ما نجده فى الأوراق من ١ حتى ٣٢ وجه، ومن ١٢٩ حتى ١٥٨ ظهر فى المجلد الأول إلى جانب الأوراق من ١ حتى ١٦ و الورقة ١٦٢ وجه من المجلد الثانى. وربما انصرف رقم ١٥٨ نسخة إلى النسخ الورقية وحدها بينما انصرف رقم ١٨٠ نسخة إلى العدد الكلى بعد إضافة نسخ الرقوق. ويذهب البعض إلى أن الأمر كان قد انصرف إلى أن تكون الطبعة الأصلية ١٥٨ نسخة، بعد ذلك زيدت إلى ١٨٠ نسخة. والأمر الثالث الهام فى رسالة بيكولومينى ينصب على نجاح هذا العمل فقد بيعت كل النسخ بمجرد الانتهاء من طبعها بل إن الإمبراطور وحاشيته فى فيينا والكاردينال فى روما علموا بهذا الكتاب بمجرد صدوره.

والحقيقة أننى لم أعثر حتى الآن فى أى من المصادر على السعر الذى كان يباع به الكتاب والأدهى من ذلك أننا ربما لا نعرف ما إذا كان ذلك "الرجل المدهش" الذى قابله بيكولومينى فى فرانكفورت هو يوحنا جوتنبرج نفسه أم يوحنا (جوهان) فوست. ويرى البعض أن جوتنبرج ربما يكون قد ذهب إلى فرانكفورت على أمل أن يقابل نيقولاس الكيوسى ليطلعه على سير العمل فى الكتاب المقدس. ويرى البعض الآخر أن الرجل المدهش ربما يكون فوست ذو العقلية التجارية الفذة والذى ذهب إلى فرانكفورت ليسوق الكتاب المقدس ويعمل له الدعاية اللازمة.

وثيقة هيلماسبرجر القانونية:

الحقيقة أن التقرير الذى ورد فى خطاب بيكولومينى يتطلب منا إعادة نظر ودراسة متأنية دقيقة لكل المشكلات المتعلقة ببيع وتسويق الكتاب المقدس والحظوظ المشتركة لكل مطبوعات دار الطبع فى همبرختهوف. وهذا الخطاب يثبت بصفة قاطعة أن الشريكين فى المشروع كان لكل منهما الحق فى بيع نسخ الكتاب المقدس بسعر عالٍ وتنمية السوق اللازمة لذلك. ورغم كل ذلك فإن المطبوعات التى تم إنجازها تسببت فى ضائقة مالية وأدت إلى تقسيم الممتلكات بين الشركاء فى العمل. وطلب فوست إعادة رأسماله إليه مع فوائد مركبة لأنه هو نفسه كان يدفع فوائد على المال الذى اقترضه لصالح المشروع، واتهم جوتنبرج بأنه أساء استخدام بعض الأموال المخصصة للمشروع المشترك واستخدمها فى مشروعات خاصة به وحده. وقد عرض جوتنبرج أن يقدم كشف حساب كامل عن المشروع.

وقد قدم فوست دعوى قضائية أمام المحكمة المدنية لكبير الأساقفة. ولما كانت وقائع القضية نفسها والاستماعات قد تمت فى حجرة طعام دير الفريار الحفاة، فقد فهم أن القضية قد رفعت أمام محكمة دينية لمجرد اللبس فقط. ولكن الحقيقة أن المفاوضات قد تمت فى ظل القضاء المدنى وقد رأسها أمين مال المدينة والعمدة. ومن سوء الحظ أنه ليس هناك سجل توثيقى يحدد تسلسل الوقائع أو ينبئ متى بدأت القضية والتصرفات حيث أن الوثيقة التى كتبها الموثق لا تتناول إلا المرحلة الأخيرة فقط ولم تكتب إلا فى ٦ من نوفمبر ١٤٥٥م. بيد أن الثقاة يقدرون مرور ستة أشهر على بدء الوقائع والتصرفات أى بداية رفع الدعوى الأصلية ثم الاستماع إلى تساؤلات الشاكى واستدعاء وسماع الشهود ووزن إدعاءات المدعى والإدعاءات المضادة للمدعى عليه فيما يتعلق بالعقد المبرم بين الطرفين. الوثيقة المذكورة تتعلق بالوقائع وثيقة الصلة بالموضوع: شكوى فوست؛ وردود جوتنبرج وحيث حكى كل منهما قصته بطريقة مختلفة إلى حد ما؛ والنص الحرفى لحكم المحكمة؛ القسم الذى كان على فوست أن يقسمه. والحقيقة أن كثيرًا من الأسئلة تقفز إلى الذهن عند قراءة هذه الوثيقة ولكن أهم تلك الأسئلة حقيقة تتعلق بلب الموضوع المشار إليه فى

النزاع فما هو الفارق بين "عمل الكتب" من "عمله" أى العمل الخاص بـ جوتنبرج وحده؟ ووثيقة هيلماسبرجر التى نقدمها فيما بعد هى ترجمة مبنية على النص الدقيق أو لنقل الصياغة العصرية الحديثة التى قام بها فرديناند جيلدنر إلى الألمانية الحديثة ولم تحذف منها إلا أشياء غير ضرورية البتة وخارج السياق:

"ليكن معلومًا لكل هؤلاء الذين يفحصون أو يقرأون أو يستمعون إلى هذه الوثيقة العامة، أنه فى سنة ١٤٥٥م فى الخمسعشرية الثالثة فى يوم الخميس السادس من نوفمبر فى السنة الأولى من عهد البابا كاليكستوس الثالث بين الساعة الحادية عشرة والثانية عشرة ظهرًا فى قاعة الطعام الكبرى فى دير الفريار الحفاة فى ماينز بحضورى أنا الموثق العام وبحضور الشهود المذكورة أسماؤهم، جاء الفاضل الحصيف جاكوب فوست المواطن من ماينز ونيابة عن أخيه الحاضر هناك أيضًا جوهان فوست وأعلن أن الوقائع بين أخيه جوهان فوست من جانب و يوحنا جوتنبرج على الجانب الآخر قد أدت إلى تحديد وتثبيت موعد فى هذا اليوم والساعة والمكان حيث استمع ورأى المذكور يوحنا جوتنبرج، جوهان فوست يقسم القسم الذى ينص عليه لفظًا ومحتوى الحكم بين الأطراف المتنازعة. ولكى لا نزعج الرهبان الفريار فى الدير المذكور والذين كانوا ما يزالون متجمهرين فى الصالة قام جاكوب فوست من خلال رسوله بالسؤال عما إذا كان يوحنا جوتنبرج أو أى شخص يمثله موجودًا فى الدير على استعداد لأن يأخذ علمًا بالموضوع. وعند ذلك السؤال دخل إلى قاعة الطعام الفاضل هنريتش جونثر الذى كان فى يوم من الأيام قسيسًا فى سانت كريستوف، هنريتش كيفر و بيختولف فون هاناو خادما يوحنا جوتنبرج وعندما سألهم جوهان فوست عما كانوا يفعلونه هناك ولماذا أتوا وعما إذا كانوا مخولين من قبل يوحنا جوتنبرج فأجابوا معًا فى صوت واحد وعدة مرات بأنهم أرسلوا من قبل سيدهم يوحنا جوتنبرج ليسمعوا ويروا ما يدور حول هذا الموضوع. وعلى إثر ذلك أعلن جوهان فوست أنه ملتزم بالموعد المحدد وأنه سوف ينتظر حتى الساعة الثانية عشرة وظل واقفًا ينتظر خصمه يوحنا جوتنبرج والذى لم يظهر حتى تلك اللحظة بشخصه وأعلن أنه مستعد للمثول أمام المحكمة طبقًا للمادة الأولى من الدعوى القضائية التى تقدم بها

وطالب هيئة المحكمة أن تقرأ على الملأ شكواه ورد جوتنبرج عليها كلمة بكلمة وذلك على النحو الآتى:

"... وساعتها أكدَّ جوهان فوست للمذكور أعلاه يوحنا جوتنبرج: أنه أولاً طبقًا لاتفاقهما المكتوب قدم بكل الثقة الحسنة إلى يوحنا جوتنبرج ٨٠٠ جولدن التى بها يستطيع إتمام العمل ــ وسواء تكلف العمل أكثر من ذلك أو أقل فلا دخل له بذلك [فوست]. وأنه كان على يوحنا جوتنبرج أن يدفع إليه ستة بالمائة فوائد عن هذا المال. ولأنه [أى فوست] اقترض مبلغ الـ ٨٠٠ جولدن لحسابه مقابل فوائد وأعطاه إياها ولكنه لم يكن راضيًا واشتكى بأنه حتى لم يتسلم كل الـ ٨٠٠ جولدن التى لم تكن تكفى. ولذلك حاول [فوست] أن يرضيه بأية طريقة فاقترض له مبلغًا زيادة فوق الـ ٨٠٠ جولدن المذكورة. ثانيًا اقترض [فوست] ٨٠٠ جولدن أخرى إضافية بنفس شروط العقد السابق واضطر بسبب ذلك أن يدفع ١٤٠ جولدن فوائد على هذه الـ ٨٠٠ جولدن الإضافية التى اقترضها. ورغم أن جوتنبرج المذكور كان مضطرًا حسب شروط العقد أن يدفع إليه فائدة مقدارها ستة بالمائة عن الـ ٨٠٠ جولدن الأولى فإنه مع ذلك لم يسددها عن أية سنة من السنين واضطر [فوست] إلى أن يسددها بنفسه مما جعل مبلغ الفوائد يصل إلى نحو ٢٥٠ جولدن على الأقل.

وطالما أن يوحنا جوتنبرج لم يسو أبدًا ولم يدفع له أبدًا مثل تلك الفوائد أى الستة فى المائة عن الـ ٨٠٠ جولدن الأولى وأيضًا كذلك عن الـ ٨٠٠ جولدن الثانية، تلك الفائدة التى كان على [فوست] أن يحصلها من المسيحيين واليهود وأن يدفع ما يقرب من ٣٦ جولدن كفائدة مركبة على أقل التقديرات والتى تصل مع أصل الدين والفائدة الأخرى إلى ما لا يقل عن ٢٠٢٠ جولدن وأنه يدعو جوتنبرج أن يعمل معروفًا وأن يعيد إليه هذا المبلغ كاملاً دون نقصان... إلخ

وبعد هذا السرد رد يوحنا جوتنبرج بأن جوهان فوست كان عليه أن يدفع إليه مبلغًا مقدمًا مقداره ٨٠٠ جولدن حتى يقوم [جوتنبرج] بتصنيع وإعداد المعدات وأنه رضى بهذا المال الذى استخدمه فى ذلك الغرض المحدد وأن تلك المعدات كانت هى ضمان

جوهان المذكور، وأن هذا الـ جوهان [فوست] كان عليه أن يدفع إليه كل سنة ٣٠٠ جولدن مقابل النفقات وكذلك أجور العمال والإيجار والرقوق والورق وحبر الطباعة...

وكان لابد لهما من الدخول فى اتفاق، أن يعيد إليه جوتنبرج الـ ٨٠٠ جولدن ثم يرفع الحجز عن معداته وآلاته ومن المفهوم جيدًا أن عليه أن يتم هذا العمل [صنع الآلات] بالمال الذى قدمه فوست الذى أقرضه إياه فى مقابل تلك المعدات والآلات وبالتالى لا يكون عليه أى التزام فى أن يستخدم الـ ٨٠٠ جولدن [الأولى] فى عمل الكتب. وطبقًا لشروط العقد فإن عليه أن يدفع ستة بالمائة فوائد. وقد قال جوهان فوست أنه لا يصر على هذه الفائـدة، وأكثر من ذلك فإنه [جوتنبرج] لم يتلق الـ ٨٠٠ جولدن الأولى فورًا وكاملة طبقًا للاتفاق كما زعم [فوست] فى المادة الأولى من دعواه. أما فيما يتعلق بالـ ٨٠٠ جولدن الأخـرى فـإن جوتنبرج أبدى رغبته فى أن يقدم إليه كشـف حسـاب بهـا. ولهـذا السـبب فإنـه ليس مدينًا لـ فـوست بأية فوائد أو فوائـد مركبـة وليس عليـه أى التزام قانـونى [فى حـالة الـ ٨٠٠ جولدن الثانية]...

وإزاء تلك الشكوى والرد عليها والدعوى القضائية والدعوى المضادة والتى تم إثباتها على هذا النحو بنفس تلك الألفاظ وغيرها فإننا نعلن الحكم الآن على النحو الآتى:

عندما قدم يوحنا جوتنبرج كشف حساب بكل ما تلقاه وبكل الانفاقات التى أنفقها على مشروع المنفعة العامة وأى مال تلقاه وزاد عن تلك الانفاقات وبقى لديه سوف يحول إلى حساب الـ ٨٠٠ جولدن الأولى. ولكن يبدو من الأرقام أن فوست أعطاه مبالغ زيادة عن الـ ٨٠٠ جولدن المخصصة لمشروع المنفعة العامة ومن ثم وجب على جوتنبرج أن يعيد إلى فوست ذلك المبلغ الزائد أيضًا. ولو أثبت جوهان فوست بالقسم أو عن طريق الشهود المحترمين أنه حصل على المبلغ المذكور أعلاه من آخرين بالفائدة ولم يقدمه من ماله الخاص فإنه فى هذه الحالة يجب على يوحنا جوتنبرج أن يحسن صنعًا بأن يدفع إليه [أى فوست] هذه الفائدة أيضًا على نحو ما تنص عليه كلمات العقد.

ولما قرئ هذا الحكم المسجل هنا على الحاضرين المذكورة أسماؤهم أعلاه هنريتش... إلخ هنريتش و بيختولف خادما يوحنا جوتنبرج المذكور قام المذكور جوهان فوست بأداء

القسم وأكد وتعهد شخصيًا وهو يضع أصابعه على مقدسات القديسين ويده فى يدى أنا الموثق العام بأن كل شيء متضمن فى الوثيقة التى طلبتها المحكمة والتى سلمها إلى صحيح وصادق تمامًا وليساعده الله والقديسون. والوثيقة المذكورة يسير نصها كلمة بكلمة على النحو الآتى:

أنا جوهان فوست اقترضت ١٥٥٠ جولدن التى سلمت جزئيًا إلى يوحنا جوتنبرج وجزئيًا كرست لعملنا المشترك والتى منها خصص مبلغ يدفع سنويًا كفوائد وفوائد مركبة للقرض والذى مازلت مدينًا بجزء منه. لقد كان على أن أدفع عن كل ١٠٠ جولدن اقترضتها ستة جولدن فائدة سنوية. ومن ثم فإننى أطالبه بدفع فائدة عن المبالغ التى تلقاها ولم ينفقها على عملنا المشترك من القرض المذكور على نحو ما كشف عنه الحساب الذى قدمه، وطبقًا للشروط التى يقضى بها التعاقد بيننا. وكل ما ذكرته صحيح كما أنه قانونى وأريد التأكيد على ذلك طبقًا لشروط الإتفاق المنصوص عليها فى المادة الأولى من الدعوى المقدمة منى والتى رفعتها ضد المذكور "يوحنا جوتنبرج".

وهناك مذكرة أخرى ملحقة بالنص السابق مقدمة من نفس الموثق سابق الذكر هيلماسبرجر يسير نصها على الوجه الآتى:

"لقد طلب منى جوهان فوست أنا الكاتب العمومى [الموثق] نسخة أو أكثر بأى عدد يحتاج إليه من الوثيقة المذكورة بعاليه. وكل البيانات المدونة بعاليه سجلت فى التاريخ المذكور بحضور الرجال المكرمين: بيتر كرانس، جوهان كيست، جوهان كوموف، جوهان يسنيك، جاكوب فوست المواطنين منماينز، بيتر جيرنشايم، جوهان بون وبحضور إكليريى مدينة ودوقية ماينز الذين طلبوا واستدعوا للمثول أمام القضاء كشهود.

ماذا عساه يكون عمل الكتب؟

كان من العار فى العصور الوسطى إقراض المال بفوائد ولكن إذا أثبت المقرض أنه اضطر إلى اقتراض هذا المال بفائدة مماثلة للفائدة التى يقرض بها فلا عار عليه. وهذا هو

بالفعل ما أقسم عليه فوست فى قاعة الطعام فى دير الفرنسسكان فى ماينز والتى انعقدت بها المحكمة العلمانية وحيث كان عليه أن يكشف عن كل شىء وضع فيه ماله بل إنه ذهب إلى أبعد من ذلك إذ تنصل من أية مسئولية مشتركة بنيهما "وسواء كلفه الأمر كثيرًا أو قليلاً [إنتاج الآلات والمعدات وأعمال الطباعة] فإن ذلك لم يكن ليعنيه فى شىء". لقد كان الرجل مجرد سمسار التمويل وكان عليه أن يبرئ نفسه من أى اشتراك فعلى فى ذلك الاختراع. ولقد أخذ المؤرخون على فوست خطأً صغيرًا فى أسلوبه وحواره فقد اعتاد فى شكاواه أن يردد أن جوتنبرج قد تلقى منه فى كل مناسبة ٨٠٠ جولدن، بينما عندما أقسم القسم غير أقواله حيث ذكر أنه اقترض فقط مبلغ ١٥٥٠ جولدن؛ كما كان يبذل قصارى جهده لتجاهل طبيعة تلك المبالغ المقدمة إلى جوتنبرج ووجوه إنفاقها. فمن المعروف أن الـ ٨٠٠ جولدن الأولى قدمت إلى جوتنبرج كقرض لمساعدته فى تصنيع الآلة (جتسوج)؛ بينما الـ ٨٠٠ جولدن الثانية كانت تمثل مصاريف التشغيل الجارية فى "عملهما المشترك". بيد أن النقطة المركزية فى تلك الشكوى هى أن جزءًا من المبلغ المخصص للاستثمار فى العمل المشترك أو عمل الكتب قام جوتنبرج فى استخدامه فى غرض مختلف لحسابه الشخصى وهو الأمر الذى لم يحاول المخترع أن ينكره.

ويعترض جوتنبرج بوضوح شديد فى دفاعه عن أنه لم يكن مضطرًا لأن يستخدم الـ ٨٠٠ جولدن الأولى فى "عمل الكتب". ومن الواضح أن "عمل الكتب" كان يقصد بها الكتاب المقدس وحده على الرغم من أن جوتنبرج كان مثل فوست تمامًا متحمسًا لإتمام الكتاب المقدس ذى الاثنين والأربعين سطرًا. وفى قناعتى الشخصية أنه طبقًا لتعبيرات هيلماسبرجر وألفاظه فإن "عمل الكتب"، "عمل الصالح المشترك بينهما"، "العمل المشترك" كلها تعنى نفس الشىء. و يمكن لنا أن نأخذها قضية مسلمًا بها من جانب رجال ورعين أتقياء أنهم كانوا يصفون الكتاب المقدس بأنه "عمل لصالحهم المشترك" وإذا لم تكن تلك التعبيرات تنطبق على الكتاب المقدس نفسه ولكن على إنتاجه فإن الأمر ما يزال خارجًا عن سياق التعبير ولا يمكن أن يكون تعبيرًا دقيقًا عن طباعة الكتاب المقدس. ويرى المؤرخون أن كلمة "عمل" فى ذلك الوقت لم تكن لتستخدم لتعنى الكتاب وبالتالى

يصبح "كتاب الكتب" غير مستقيم ولا يمكن أن يكون بديلاً أو مرادفًا لـ "عمل الكتب" أى صناعة أو صنع الكتب. ومن المعقول والمقبول أن يكون المعنى الجديد لكلمة "عمل" قد استخدم ولكن إذا تم تبديل المترادفات من "عمل الصالح العام لهم" إلى "كتاب الصالح العام لهم" يجعل التفسير غير ذى معنى. وعلى أية حال فإن قبولنا لوصف "كتاب الكتب" على أنه الكتاب المقدس قد يقودنا إلى النتيجة أن "عمل الكتب" قد يشير فعلاً إلى الكتاب المقدس ذى الاثنين والأربعين سطرًا لو أنه كان فعلاً قد تم طبعه فى ذلك الوقت.

إن تغير معانى الكلمات يمكن أن نلاحظه فى كثير من كلمات الوثيقة السابقة وحيث كانت تفهم فى العصور الوسطى بطريقة مختلفة تمامًا عما هى عليه الآن فى يومنا هذا نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين. إن بعض الكلمات له تشكيلة كبيرة من المعانى. إن كلمة "عمل" فى اللغة الألمانية والتى قد تجمع فى الإنجليزية على "أعمال" والتى وردت فى وثيقة هيلماسبرجر يمكن أن تستخدم على الوجوه الآتية:

١ ــ إنجاز مخطط له جيدًا ويقوم على تصور مبدئى واسع النطاق.

٢ ــ صنع أو فعل مشروع ما.

٣ ــ الشىء الذى تم إنتاجه أو إنجازه أى نتائج نشاط مبدع خلاَّق.

٤ ــ المؤسسة أو المنشأة التى تم فيها النشاط نفسه وعلى سبيل المثال الورش أو المصانع التى تم فيها الإنجاز أو الإنتاج.

٥ ــ بالتدريج اكتسبت كلمة "عمل Werk" فى اللغة الألمانية وفى الإنجليزية معنى كلمة كتاب أى عمل فكرى وانتشر هذا المصطلح بهذا المعنى على نطاق واسع فى قرننا العشرين ومطلع القرن الواحد والعشرين فى العديد من اللغات الأخرى.

ولكى نفهم المقصود بعبارة "عمل الكتب" الوارد فى الوثيقة المذكورة فإن من الضرورى أن نفحص كل معنى من المعانى الخمس المذكورة كى نفهم فى أى سياق وأى معنى استخدمت كلمة "عمل" بالوثيقة. فقد قال جوتنبرج فى رده على فوست "... كان

يجب أن نفهم تمامًا أنه كان عليه أن يتم هذا العمل، [تصنيع الأدوات أو الآلات] بماله [فوست] الذى أقرض إياه بضمان تلك الأدوات، وأنه يأمل فى عدم وجود أى عائق أمامه فى استخدام الـ ٨٠٠ جولدن [الأولى] فى عمل الكتب". إن من الواضح أن الاستخدام الأول فى هذه العبارة لكلمة عمل قد انصرف إلى صنع أو شغل شىء ما كجزء من مشروع كبير مخطط له بشروط وأوضاع محددة واضحة: مثل إنتاج الأمهات والقوالب والأبناط وغير ذلك من الأعتدة المستخدمة فى الطباعة. وكل تلك الأعتدة كانت هناك حاجة ماسة إليها لاستخدامها فى الوقت المناسب عند إنجاز الكتاب المخطط له أو فى طباعة الكتب عمومًا. ومن هذا المنطلق فإن من المستحيل أن يكون جوتنبرج قد قصد بعبارته "... وأنه يأمل فى عدم وجود أى عائق أمامه فى استخدام الـ ٨٠٠ جولدن [الأولى] فى إنتاج الكتب المطبوعة. ولكن المعنى المقصود هنا يتضح لنا لو سمحنا لكلمة "عمل" فى عبارة "عمل الكتب" أن تنصرف إلى ورشة أو مصنع أو أعمال الطبع. وهذا هو بالضبط ما كان عليه الحال ودل عليه تعبير "العمل المشترك" أو "عمل الصالح المشترك" أو "عمل النفع العام": ورشة عمل لإنتاج الكتب، أعمال الطبع. وطالما أن اسم "أعمال الطبع" لم يكن قد أطلق بعد على ورشة تصنيع من هذا النوع المحدد، وطالما أيضًا أن تلك الأعمال قد اشتملت على غرفة تنضيد ومسبك إلى جانب غرفة الطبع فقد كان إطلاق وصف "عمل الكتب" مناسبًا تمامًا بالنسبة لذلك المخترع الذى كان فى تلك اللحظة جاهزًا لوضع أفكاره الثورية موضع التنفيذ والممارسة على نطاق واسع لإنتاج كتب عظيمة الشأن من خلال الكتاب المقدس والذى كان من المحتمل أن يتلوه كتاب المزامير وكتاب القداس. وربما يكون جوتنبرج قد فكر فى أن يصاحب تلك الكتب العظيمة جنبًا إلى جنب مطبوعات صغيرة تنتج على نطاق ضيق مثل كتب دوناتوس وصكوك الغفران والتقاويم على أن يكون ذلك فى دار الطباعة فى جوتنبرجهوف وذلك حتى لا يتأثر العمل فى الكتاب المقدس فى دار الطبع فى همبرختهوف. ولكن على الجانب الآخر كان كل ما يهم فوست هو الملكية المشتركة؛ وبالنسبة له كان "عمل الكتب" يعنى

الأعمال التى تجلب عليهم الربح المشترك أو ما سمى "الأعمال المشتركة". ولقد فرق العقد المبرم بين الطرفين بين الأعمال الجارية فى همبرختهوف وتلك الجارية فى جوتنبرجهوف حيث كانت تلك الأخيرة ما تزال تحت السيطرة التامة والملكية الخالصة لـ يوحنا جوتنبرج ولم يكن لـ فوست دخل فيها على الإطلاق.

لقد كان فوست ضد استمرار دار الطبع فى بناية جوتنبرج أى استمرار دار الطباعة الأصلية لأنه رأى أن انشغال جوتنبرج بإعداد أبناط المزامير وكذلك إنشغاله بطبع مزامير ماينز سوف يعطل استرداده لقرضه وحصته فى الأرباح. ومن الطبيعى أن يغضب فوست من قيام يوحنا جوتنبرج باستغلال جزء من رأسمال المشروع المشترك ــ أى جزء من الـ ٨٠٠ جولدن الثانية ــ فى أغراض خاصة به، أى فى عمل جديد بدأه فى دار الطباعة الأصلية فى جوتنبرجهوف. وكان هذا الأمر فى تلك الأيام يطلق عليه "الاختلاس". وفى حقيقة الأمر لم يقم جوتنبرج بنفى إتهام فوست فى هذه الجزئية ولم ينف أن الـ ٨٠٠ جولدن الثانية كانت جزءًا من رأسمال المشروع، واكتفى جوتنبرج بالقول بأنه لم يكن ثمة إلزام عليه أن يستخدم الـ ٨٠٠ جولدن الأولى كلها فى "عمل الكتب" أو المشروع المشترك. وبهذه الطريقة تجنب إعطاء إجابة مباشرة على هذا الشق الثانى من الشكوى، ولهذا السبب طلبت منه المحكمة أن يقدم كشف حساب مكتوب عن كل ما تلقاه وعن كل ما أنفقه من مال خاص بعمل الصالح المشترك ولو أثبت ذلك البيان أن أيا من الأموال المخصصة للمشروع المشترك لم يتم إنفاقه فيه فإنه كان لابد من إعادته. ومن سوء حظنا أنه لم يصلنا ذلك البيان الهام بالموازنة.

ويتفق جل المؤرخين على أن فوست قد احتال على جوتنبرج واستولى على أعماله وأبلغها إلى مرحلة الإثمار وجنى الثمرة وحده. ولقد قام المؤرخون ببحوث كثيرة مضنية لمعرفة دوافع فوست فى إتخاذ إجراءاته القضائية فى ذلك الوقت بالذات. ونحن نعرف أنه بعد أن اتخذ فوست قراره بالتقاضى كانت المبالغ التى يطالب بها تسير على النحو الآتى:

١ ــ رأس المال الأول	=	٨٠٠ جولدن
٢ ــ فوائد ست بالمائة على المبلغ المذكور	=	٢٥٠ جولدن
٣ ــ رأس المال الثانى	=	٨٠٠ جولدن
٤ ــ فوائد على ذلك المبلغ الثانى	=	١٤٠ جولدن
٥ ــ فائدة مركبة	=	٣٦ جولدن
إجمالى الدين		٢٠٢٦ جولدن

بيد أن جميع الحسابات التى بنيت على تلك البيانات بما فى ذلك تلك التى تقرب التواريخ التى عقدت فيها القروض، رغم أنها تكشف عن بعض التناقضات إلا أنها لا تقودنا خطوة واحدة باتجاه القضية المحورية. فإن تلك الحسابات تفترض أن فوست انتظر فى اتخاذ الإجراءات القضائية حتى فرغ جوتنبرج من طبع الكتاب المقدس وقبيل طرحه للبيع فى السوق. وهى نفس اللحظة التى كان فيها جوتنبرج قد وضع كل رأسماله فى المشروع وبالتالى لا يستطيع الوفاء فيها بديون الدائنين. ويرى الأتقياء أن ذلك السلوك من جانب فوست لا يمكن أن يتوافق مع تعاليم الأخلاق المسيحية، بيد أنهم يرون من جهة ثانية فى سلوك هذا الفوست نموذجًا طبق الأصل للمستثمرين الرأسماليين الجدد الذين خرجوا من عباءة النظام الإقطاعى المستقر والذى أخذ دوره فى طابور الجيل الجديد من التجار والممولين ورجال المال والأعمال الناجحين المنتمين إلى الطبقات المتوسطة. ولم تستطع المحكمة بطبيعة الحال أن تتناول تلك النذالة والخسة الواضحة فليس هناك قانون يعاقب على النذالة كذلك فإن المحكمة والقضاة لم يستطيعوا أن يلتقطوا الأهمية التاريخية لذلك الاختراع الخطير إذ حكموا عليه فقط بالمعايير القانونية لذلك العصر. ومن جهة ثانية فقد شاع فى مدينة ماينز الصغيرة آنذاك أن جوتنبرج كان يدير دارين للطباعة فى وقت واحد وأنه كان متورطًا فى طباعة أشياء أخرى إلى جانب الكتب المقدسة

وأنه كان فى حاجة إلى اجتذاب رؤوس الأموال والمواد الأخرى العينية لتلك الأغراض من دار الطباعة فى همبرختهوف ولذلك انخفضت درجة احترامه ومكانته بين الناس ومن ثم فإن شكوى فوست تركت آثارها خلفها. ولكن بعد اكتشاف خطاب بيكولوميني إلى الكاردينال كارفاجال مؤخرًا كان على المؤرخين أن يعيدوا النظر فى دراسة تلك المشكلات.

وليس ثمة خلاف حول خسارة جوتنبرج القضية التى رفعها ضده فوست، وطبقًا للعقد المبرم بينهما عن القرض الأول البالغ ٨٠٠ جولدن فإن فوست كان من حقه الاستيلاء على المعدات والآلات والورشة والطابعات وأبناط الكتاب المقدس ذى الاثنين والأربعين سطرًا بالإضافة إلى الأبناط الصغيرة والكبيرة الخاصة بكتاب المزامير وأية مطبوعات تكون قد طبعت من مزامير ماينز والتى سوف نتحدث عنها فيما بعد. أما فيما يتعلق بالعقد الآخر الخاص بالـ ٨٠٠ جولدن الثانية التى قدمت كاستثمار فى مشروع الصالح المشترك فقد قضت المحكمة بأن يكون لكل من الشريكين حصة مماثلة متعادلة متساوية من نسخ الكتاب المقدس المطبوعة سواء كان ذلك من دخل النسخ المطبوعة التى تم بيعها بالفعل أو كأفرخ مطبوعة فى ملازم معدة للتجليد. وكانت حسابات جوتنبرج للانفاقات والمداخيل قاطعة فى تحديد عدد النسخ التى لم يتم بيعها والتى حصل عليها فوست استيفاء لحقه وكذلك حصته فى الأرباح وبطبيعة الحال كانت تلك الحسابات قاطعة فيما يتعلق بمستحقات جوتنبرج عن عبقريته التى أدت بالقطع إلى نجاح المشروع. وأنا على يقين من أن جوتنبرج لم يخرج من تلك المغامرة خالى الوفاض بادى الأنقاض لا يملك بلغة ولا يجد فى جرابة مضغة.

الميزانية المفترضة للكتاب المقدس ذى الاثنين والأربعين سطرًا

قبل أن نبحر فى عباب هذا الموضوع قد يجمل بنا أن نعرج على القيم المالية للعملات المستخدمة آنذاك فى مقابل الجولدن الذى كان يتعامل به جوتنبرج وزملاؤه فى نحو

١٤٥٠م مع الأخذ فى الاعتبار أن معدلات الذهب والفضة كانت تتغير باستمرار وذلك فى نطاق أرض الراين:ـ

١ جولدن راينى ذهب	=	٢٤ شلن أو
١ جولدن راينى ذهب	=	جنيه فضة واحد + ٤ شلنات أو
١ جولدن راينى ذهب	=	٢٦ ألبى = ١٢ تورنو سجروشن
١ جنيه فضة	=	٢٠ شلن = ٢٤٠ هيللر أو
١ جنيه فضة	=	جنيه واحد هيللر = دينار واحد (ستراسبورج)
١ شلن	=	١٢ هيللر = ٦ فنيج أو
١ شلن	=	هالفتورنوز واحد

وفى تلك الفترة كانت أربع هيللرات قديمة تستبدل عادة بثلاثة من المسكوكات الجديدة. وكان الجروشن (القرش) البوهيمى يساوى ثلاثة أضعاف الجروشن العادى وذلك لاحتوائه على كمية أكبر من الفضة. ولتحديد القوى الشرائية للجولدن فإن الكتب المعاصرة تقدم لنا سلة من السلع للمقارنة: الثور الجاهز للذبح والسلخ كان يساوى من ٦ إلى ٨ جولدن فى ماينز. وفى الوقت نفسه كان قصر صاحب العزبة المبنى بالحجر يتكلف ما بين ٨٠ إلى ١٠٠ جولدن. وكان الأسطى فى أية حرفة أو صنعة يتقاضى ما بين ٢٠ و٣٠ جولدن فى السنة، بينما الدجاجة أو العشر بيضات تساوى واحد فنيج والبقرة تساوى ٢ فنيج وجنيها واحدًا.

لقد تم تصوير يوحنا جوتنبرج فى كل الأوصاف التى وصلتنا على أنه المخترع الذى ابتدع الأفكار وعلى أنه الموهبة الفذة والعقلية المنظمة لهذا الإنجاز العام، بينما فوست هو مجرد ممول صاحب رأس المال. وفى التعليق الذى قال به بيتر شوفر على نحو ما نقله منه تريتميوس فى حوليات هيرسوجينس سنة ١٥١٥م أكد على أن تكاليف طباعة الكتاب المقدس بلغت فى الواقع مالا يقل عن ٤٠٠٠ جولدن عند الانتهاء من طبع الملازم الثلاث

الأولى من الكتاب. هذا التقدير من جانب شخص مشارك فى الأحداث أو كان على مرمى حجر منها استنفرنى لأنه بعيد تمامًا عن التقديرات التى قال بها حموه فوست. وربما كان شوفر ـــ زوج إبنه فوست ـــ عندما أدلى بتلك البيانات إلى تريتميوس بعد ثلاثين سنة من دخول آخر كتاب إلى مطبعته سنة ١٤٨٥م أو بعد ستين عامًا من طبع الكتاب المقدس، يحاول أنْ يحسب كافة تكاليف تطوير اختراع الطباعة منذ بدايته فى ستراسبورج سنة ١٤٣٦م، أو يبالغ فى تقديراته ليكشف عن مدى تضحية فوست ومساعدته المالية الكبيرة فى دعم هذا الاختراع.

وعلى الرغم من أن عددًا من الباحثين وعلى رأسهم أوتـو هـوب و بول شوينك و جوتفريد زدلر و ألويز روبيل و أحدثهم جميعًا سيفيرن كورستن، قد توفروا على دراسة الانفاقات التى دفعت فى إنتاج الكتاب المقدس إلا أن جانبًا كبيرًا من الموضوع مايزال غامضًا ويتطلب المزيد من إلقاء الضوء إذ أنه بينما يبالغ بول شوينك فى تقديرات أثمان وتكاليف الورق نجد سيفيرن كورستن يقدم تقديرًا أقل،ويتفق معه فى هذا الصدد ألبرت كابر خاصة فيما ذهب إليه من أن فرخ الرق المزدوج الورقة (٤ صفحات) يحتاج إلى جلد عجل واحد حيث قام كورستن بإجراء تجربة حديثة وحيث كانت حيوانات تلك الفترة أصغر نسبيًّا من حيوانات اليوم. وهى التجربة الوحيدة التى أجريت فى مجال دراسة تكاليف الكتاب المقدس فلم تجر تجارب على الأبناط وعلى عملية الطبع مقارنة بالأبناط والطابعات والقوالب الحديثة أو حتى تجرى تجارب على الكتاب المقدس المخطوط الذى كان يعتبر النموذج للكتاب المقدس المطبوع بمعنى أن يؤتى بمخطوط ويفك تجليده وتفحص فروخه الفردية فرخًا فرخًا وصفحة صفحة وسطرًا بسطر بل وحرفًا بحرف حتى يوزع ذلك العمل على منضدين مختلفين يعملون على التواكب فى وقت واحد حتى ينتهى العمل ومن ثم تحسب التكاليف وتقارن.

ورغم أن كورستن متمسك بأنه لم يكن هناك سوى أربع طابعات فقط لدى جوتنبرج إلا أن ألبرت كابر يرى أنه كانت هناك ست طابعات على نحو ما كشفنا عنه من قبل تأسيسًا على تحليلات ببليوجرافية من واقع نسخ الكتاب المقدس وحيث استنتج وجود

ستة منضدين يعملون فى وقت واحد كما يرجح الرجل استخدام أغلى وأقوى أنواع القلاووظ الحديدى فى الطابعات بناء على ما استنتجه من وثيقة الرابع من يوليو سنة ١٤٤٤م الخاصة بظهور بروكوبيوس والدفوجيل فى أفجنون والتى تتحدث عن قلاووظ من الصلب والذى لا يمكن أن يكون قد جاء إلا من طابعة ستراسبورج الأولى والتى اختفت بعد وفاة أندرياس درسدن مباشرة على نحو ما كشفنا عنه فى حينه. وتبعًا لذلك فإن أول طابعة قام ساسباخ بتشييدها سنة ١٤٣٨م لابد وأنها كانت تشتمل على قلاووظ من الصلب (الحديد).

ولنا ملحوظة على تسعير الورق: ذلك أنه من غير المرغوب فيه عقد مقارنة مباشرة بين ورق الكتاب المقدس ذى الاثنين والأربعين سطر و ورق المعجم (كاثوليكون) لأن ورق الكتاب المقدس بأكمله تم استيراده من إيطاليا وعلى وجه التحديد من تورينو بينما كان الورق المصنوع فى ألمانيا متاح للاستخدام فى المعجم (الكاثوليكون) و الكتاب المقدس ذى الاثنين والأربعين سطرًا. ومن نوافل القول أن استيراد الورق عبر الألب ونقله كان يضيف زيادة لها شأنها إلى تكاليف الورق. ولذلك لا تتفق مع سيفيرن كورستن من أن الورق المستخدم فى الكتاب المقدس لم يتكلف إلى فى حدود ٣٠٠ جولدن فقط.

لقد توفر ليونارد هوفمان على دراسة وحساب الأجور التى دفعت فى عمل الكتاب المقدس وخلص إلى أنه مقارنة بمعدلات الأعمال المماثلة كان هناك ما بين ١٣ و١٦ شخصًا يعملون فى إنتاج الكتاب المقدس. وعلى ضوء ما وصلنا إليه من وجود ستة منضدين فإن ضعف هذا العدد من الطباعين كان لازمًا لإجراء عملية الطبع بخلاف سابكى الأبناط وغيرهم من المساعدين. ويرى بعض المؤرخين أن بعض العاملين فى المشروع قد عمل بدون أجر أو أجر مخفض وإنما فقط فى مقابل نسخة مجانية مطبوعة من الكتاب المقدس. وحسبما ورد متناثرًا ومجتزأ فى المصادر المختلفة يمكننا أن نعطى الصورة الآتية للإنفاقات على إنتاج الكتاب المقدس:

١ – تصنيع ست طابعات يدوية بقلاووظ حديد غالبًا بتكلفة ٤٠ جولدن للواحدة ——— ٢٤٠ جولدن

البند		المبلغ
٢- تكاليف صناديق الأبناط والبراويز وآثاثات وتجهيزات ولوازم الورشة	=	٦٠ جولدن
٣- إيجار همبرختهوف لمدة ثلاث سنوات	=	٣٠ جولدن
٤- التدفئة الخاصة بأماكن الإقامة والورشة ومواقد صب المعدن لثلاث سنوات	=	٢٠جولدن
٥- تصنيع ثلاث مسابك للقوالب اليدوية بسعر ٢٠ جولدن للواحد	=	٦٠ جولدن
٦- تكاليف الصلب والنحاس والرصاص والأنتيمون	=	١٠٠ جولدن
٧- تكاليف تصنيع الحبر اللازم للطبع	=	٣٠٠ جولدن
٨- ورق لمائة وخمسين نسخة	=	٤٠٠ جولدن
٩ ـ رقوق لثلاثين نسخة	=	٣٠٠ جولدن
١٠ ـ أجور لما بين ١٢ و٢٠ عاملاً لما يربو على ٣٠ شهرًا إقامة كاملة	=	٨٠٠ جولدن
١١ ـ نسخة مخطوطة على أعلى مستوى من الكتاب المقدس لاحتذائها	=	٨٠ جولدن
إجمالى التكاليف بالتقريب	=	٢١٢٠ جولدن

وكما رأينا من قبل من واقع وثيقة هيلماسبرجر أن أقصى مبلغ وضعه فوست فى المشروع كان ١٦٠٠ جولدن فمن أين جاءت الـ ٥٠٠ جولدن الأخرى؟ وهل كان مثل هذا المبلغ موجودًا لدى جوتنبرج أو تحت تصرفه؟ وهل يمكن أن يكون المخترع قد أنتج وباع المرايا المقدسة مرة أخرى على نحو ما فعل لموسم الحج فى آخن سنة ١٤٤٧م لكى يكون رصيدًا من المال يبدأ به؟ ومن المحتمل أيضًا أن يكون لدى هنريتش كيفر و بيختولف فون هاناو أو حتى هنريتش ايجشتاين وغيرهم مدخرات استثمروها فى دار الطباعة الجديدة.

إن حساب دخل الكتاب المقدس صعب صعوبة حساب المصروفات. لقد كان الكتاب المقدس المخطوط والمزوق المكتوب على رقوق يكلف فى ستراسبورج آنذاك نحو

ستين جولدن بل لقد عثرنا على حالة دفع فيها مائة جولدن لكتاب مقدس مخطوط. ولقد خرج بول شوينكه بما تصوره سعرًا تقريبيًا فذكر أن نسخة ورقية من الكتاب المقدس ذات فروخ مفكوكة غير مجلدة كانت تباع بسعر ٣٤ جولدن ونسخة من رق كانت تباع بسعر ٤٢ جولدن. ويرى البعض أن السعر المقترح للنسخة الورقية مرتفع جدًا والسعر المقترح لنسخة الرق منخفض جدًا. ومن المتفق عليه أنه طوال عصر المهاديات كانت النسبة بين سعر النسخ الورقية والنسخ الجلدية هى ١ : ٣ أى أن سعر النسخة على رق هى ثلاثة أضعاف النسخة الورقية. وعلى أية حال كانت الأسعار فى ذلك الوقت محلا للتفاوض والمساومة. إن نسخة ورقية من "الكاثوليكون" محفوظة فى جوثا تحمل ملحوظة بأن سعرها هو ٢٧ جولدن؛ بينما نسخة محمرة ومجلدة و ورقية أيضًا من نفس الكاثوليكون قامت كاتدرائية بامبرج بشرائها بسعر ٤٧ جولدن وجنيه واحد. وقام دير سانت نيقولا بالقرب من باساو بشراء نسخة من نفس الكتاب على رق بسعر ٤٨ جولدن فى الوقت الذى قام فيه دير الكرمليين فى بامبرج بشراء نسخته الورقية من الكاثوليكون بسعر ١٦ جولدن فقط. ومن المتفق عليه أن تكلفة التحمير والتزويق تتكلف ما بين ٦ و١٠ جولدن طبقًا لدرجة التحمير والتزويق، كما يتكلف التجليد الكامل بالجلد نفس المبلغ وربما أعلى قليلاً. وفيما يتعلق بكتاب جوتنبرج المقدس فإنه نظرًا لزيادة عدد النسخ النسبية والتى تم توزيعها فى ماينز والمناطق المحيطة بها ونظرًا أيضًا للحاجة الضاغطة على جوتنبرج لاسترداد رأس ماله فإن البعض يرى أن سعر النسخة لابد وأن يكون منخفضًا. وقد أمدنا ألبرت كابر بتصور للحد الأدنى من السعر على أساس النسخة المفككة:

٣٠ نسخة على رقوق بسعر النسخة ٣٠ جولدن	=	١٥٠٠ جولدن
١٥٠ نسخة على ورق بسعر النسخة ٢٠ جولدن	=	٣٠٠٠ جولدن
إجمالى الدخل الذى تغله هذه النسخ	=	٤٥٠٠ جولدن

ومن هذا الدخل العام كان من الممكن أن يسترد جوهان فوست أمواله بدون مشاكل لو كان جوتنبرج قد سيطر سيطرة تامة على العمل فى همبرختهوف وكان تحت يده رأس

مال كافٍ. ولكن أين يكمن الخطأ فى تلك الحسابات المفترضة للمداخيل ولماذا أفلس المخترع العبقرى؟ لقد وضع الباحثون الثقاة مجموعة من الافتراضات رأوا أنها تكمن وراء انخفاض مردود الكتاب المقدس نأتى على أهمها:

أولاً: من المحتمل أن يكون جوتنبرج قد منح بعض عماله نسخًا مجانية عوضًا عن الأجر أو بعض الأجر وكانت تلك النسخ فى الأعم الأغلب من الورق. وربما كان قبول الدفع بهذه الكيفية قد حقق التزامهم بسرية العمل خاصة وأن جانبًا من هؤلاء العمال كانوا من العمالة المتخصصة الماهرة. ومن الضرورى أن هذا الإجراء قد أدى إلى خفض عدد النسخ الورقية المطروحة للبيع بحوالى عشرين نسخة وبالتالى انخفاض الدخل بمقدار ٤٠٠ جولدن. ومن المحتمل أيضًا أن بعض الدائنين ومن بينهم من أتينا على ذكرهم من أمثال: هنريتش إيجشتاين، هنريتش كيفر، بيختولف فون هاناو قد حصلوا على نصيبهم من الأرباح نسخًا بعدد متفق عليه سلفًا.

ثانيًا: لقد بنى تقرير الدخل على ما ورد فى خطاب بيكولومينى فيما يتعلق بعدد النسخ وبيعها. ولكن إذا أخذنا بدلاً من بيانه الأخير الذى ذكر فيه أن عدد نسخ الطباعة بلغ ١٨٠ نسخة، بيانه الأول من أن عدد النسخ كان ١٥٨ نسخة فإن الدخل فى هذه الحالة ينقص بمقدار ٥٠٠ جولدن. وحتى لو بلغ الدخل ٣٥٠٠ جولدن أو حتى ٣٠٠٠ جولدن فقط فإن المخترع كان ما تزال أمامه الفرصة لتسديد ديونه دون مشقة أو معاناة.

ثالثًا: هناك فقرة فى خطاب إينيا سيلفيا بيكولومينى تؤكد بيع كل نسخ طبعة الكتاب المقدس مباشرة عقب الانتهاء من طبعها. ويحتمل أن مصادر بيكولومينى لم تخبره بالدقة الواجبة أن تلك الأفرخ المفككة سلمت إلى المشتركين الذين لم يكونوا قد سددوا ثمن النسخ بعد. ومن الجدير بالذكر أن تسديد الفواتير فى القرن الخامس عشر كان يستغرق فترات طويلة قد تصل إلى عدة سنين. وأكثر من هذا فإن الأديرة التى طالها الإصلاح سواء البندكتية أو الفرنسسكانية أو الأوغسطية تم الضغط عليها بواسطة رئاساتها لاقتناء ودراسة نسخة محررة جيدًا من الكتاب المقدس ولكن بدون تحديد كيفية التمويل وتدبير الثمن. ويعتقد الثقاة أنه حتى تاريخ رفع الدعوى ضد جوتنبرج فى ٦ نوفمبر سنة ١٤٥٥

م لم يكن معظم النسخ قد تم تسديد ثمنها ولذلك كان من الواضح لماذا عجز جوتنبرج عن الوفاء بديونه وكان افتقاره إلى السيولة سببًا فى مسئوليته القانونية أمام فوست وحكم عليه بأن يسلم كل معدات وأجهزة وأعتدة المشروع الموجودة فى همبرختهوف إلى خصمه فوست.

خطط طموحة ولكن لم تنفذ

لا يعتبر الكتاب تامًا كامل الإنتاج إلا بعد التجليد، وفى العصور الوسطى كان الكتاب الفاخر هو الذى يدخل عليه التحمير والتزويق. وكان من الواضح أن يوحنا جوتنبرج كان يخطط لتنفيذ تلك العمليات جميعًا تحت مظلة "عمل الكتب" على أساس التكليف كما كان يحدث فى مناسخ الأديرة. ولقد فكر الرجل فى تطبيق خطوات الإنتاج الصناعى على الكتب بما فيه من معدلات إنتاج عالية وتكلفة اقتصادية منخفضة وحتى يخرج الكتاب من ورشته مكتمل المراحل النهائية بيد أن الرجل لم يتمكن من تنفيذ خطته الإنتاجية المتكاملة بسبب الدعوى القضائية التى رفعت ضده من قبل فوست ومن ثم انفضاض الشركة بينهما.

لقد كانت هناك ثلاث مراحل أو لنقل جوانب متميزة وواضحة بذاتها فى خطة جوتنبرج المتكاملة يمكن أن نتوقف أمام كل منها برهة من الزمن. أولاً: التحمير ويقصد به إدراج حروف أولية، وعلامات فقرات وشرط قائمة على الحروف الكبيرة التى تميز بدايات الجمل وكذلك كتابة عناوين الفصول والعناوين الجارية باللون الاحمر. ثانيًا: التزويق بمعنى إضافة زخارف وأشكال على الهوامش والأوليات وأية مواضع مناسبة. ثالثًا: التخييط والتجليد أى ضم ملازم الكتاب معًا بين غلافين من جلد أو لوحين مزخرفين من خشب بدلاً من طرحها مفككة الأفرخ مربوطة فيما بينها بدوبارة ويتولى الزبون تجليدها بطريقته الخاصة؛ هذه العمليات الثلاث المتعاقبة كانت تستغرق من ستة إلى تسعة أشهر. وكانت آخر العمليات فى دار الطباعة هى مجرد جمع الملازم المطوية أو الفروخ المطوية فى أقسام متتابعة بحيث تمثل كل منها نسخة كاملة وتراجع تلك النسخ لضمان تتابعها فى ترتيبها السليم ثم تربط كل نسخة بدوبارة أو سلك

لتسهيل تناولها فيما يتلو ذلك من عمليات خارج دار الطباعة سواء التحمير أو التزويق أو التجليد. وقد سبق أن ذكرنا أن جوتنبرج قد طبع دليل التحمير ثماني الصفحات لإرشاد المحمرين فى عملية التحمير.

إن ثمة فرضية ممتعة تتعلق بتزويق كتاب جوتنبرج المقدس ذلك أن هيلموت ليهمان ــ هوبت قد لاحظ سلسلة من التوافقات بين زخرفة حواف إحدى نسخ الكتاب المقدس وتلك الزخارف الموجودة فى نسخة خطية من الكتاب المقدس المعروف باسم "كتاب ماينز المقدس العملاق" الذى تم إنتاجه فى ماينز فى نفس فترة كتاب جوتنبرج المقدس تقريبًا. وقد اتضح أن الإيضاحيات الملونة فى كلا الكتابين المخطوط والمطبوع تشبه شبها مطلقًا رسومات فنان الراين الأوسط الذى يطلق عليه "أسطى أوراق اللعب". ومن الواضح أنه كان هناك تعاون وثيق بين "أسطى كتاب ماينز المقدس العملاق" وبين جوتنبرج. وربما يكون هذا الأمر هو ما دعا هيلموت ليهمان ــ هوبت إلى تطوير فرضيته بأن جوتنبرج قد اخترع وسيلة ميكانيكية لطبع إيضاحيات حواف الكتاب إذ أن خطوط تلك الرسومات قد تم طبعها عن طريق محفورات نحاسية باكرة حيث يجرى الطبع والنحاس مندى ووجهه المحفور يضغط على هوامش الكتاب المقدس صفحة صفحة بحك الظهر حكًا مناسبًا. ولإعداد الرسومات المطلوبة قبل الطبع كان الرسام يقوم بمزج الألوان مع البيض. ومما يذكر فى هذا الصدد أن أقدم محفورات نحاسية مؤرخة ترجع إلى سنة ١٤٤٦م وإذا صح أن جوتنبرج قد طور ذلك الأسلوب الميكانيكى واستخدمه فإنه يكون قد دخل أيضًا فى اختراع الطباعة عن طريق النقش الغائر إلى جانب اختراع الطباعة بالحروف المتحركة. نعم لقد عرف الصاغة أساليب الحفر على المعدن منذ وقت مبكر ولكنهم لم يتجاوزوا الحفر على المعدن والدروع والأسلحة إلى نقل تلك المحفورات على الورق. وليس ثمة إتفاق على الأسلوب الدقيق الذى استخدمه جوتنبرج فى محفوراته ولكن يعتقد أنه كان شيئًا قريبًا من الطباعة. لقد ساعده أسلوب البصم اليدوى على أن يربط ويعيد ربط تشكيلات رائعة من الصور الجميلة: لفافات لولبية، وورود، براعم، دببة، أسود، طيور، رجال وحشيون وهلم جرا. ويعتقد هيلموت ليهمان ـ هوبت أن

جوتنبرج كلف من يعد له كتاب نماذج لتلك الصور وبعد أن خسر جوتنبرج القضية أمام فوست قام الأسطى المختص بورق لعبة الداما (الكوتشينة) بتحويل كتاب النماذج بمبادرة منه إلى كتاب صور لورق اللعب (الكوتشينة) وجعل منه مجلد صور من ستين ورقة. وقد تم ذلك الاستنتاج بعد مقارنة رائعة بين صور الكتاب المقدس ذى الاثنين والأربعين سطرًا وصور كتاب ورق اللعب وأيضًا صور كتاب ماينز المقدس العملاق.

ويؤكد ما ذهبنا إليه أن الكتاب المقدس ذا الاثنين والأربعين سطرًا ــ على خلاف الكتب المقدسة المخطوطة ــ لم يستخدم أية تصاوير دينية أو أية رموز دينية فالغزلان والدببة والطيور والأسود فى كتاب جوتنبرج المقدس أقرب إلى تلك الموجودة فى ورق اللعب؛ والرجل الوحشى يمكن أن يختلط مع الوثنى ووتان. وهناك من يفسر هذا الاتجاه العلمانى فى تصوير الكتاب المقدس بأنه يعكس الموضة السائدة فى ذلك الوقت حيث كانت موضوعات الصيد هى الأوسع انتشارًا. وعلى الجانب الآخر هناك من يرى أن المادة الموضوعية البعيدة عن نص الكتاب المقدس هى وحدها التى كانت تساعد على خلق سلسلة لا متناهية من التكوينات التصويرية ولذلك تم اللجوء إليها. وهناك من يعتقد أن جوتنبرج كان قد خطط لبيع نسخ الكتاب المقدس أو بعضها مجلدة وليس فروخًا مفككة والدليل على ذلك يأتينا من النسخة التى توفر على تحميرها وزخرفتها وتجليدها هنريتش كريمر. كما يدل على ذلك بصورة أوضح قيام الأسطى المجلد جوهان فوجل المشهور بلقب "مجلد عازف العود والعُقد" لأنه كان يستخدم تلك الصورتين فقط فى الجلود التى يجلد بها الكتب، بتجليد عدد من نسخ كتاب جوتنبرج المقدس لجامعة إيرفورت التى كان مرتبطًا بها منذ ١٤٥٥ تحت اسم جوهانز فوجل دى فرانكفورديا باعتباره مجلد الجامعة وبهذه الصفة توفر على تجليد نسخ الجامعة من ذلك الكتاب المقدس. ويظهر اسمه واضحًا جليًا على نسخة مكتبة كلية إيتون من الكتاب المقدس حيث سجل اسمه مبصومًا على الجلدة. كذلك فإن النسخة المطبوعة على رقوق والمجلدة فى أربعة مجلدات فى جامعة ليبزج والنسخة الموجودة فى مكتبة هيسيش فولدا والنسخة التى تنتمى إلى مجموعة شيدة والموجودة الآن فى جامعة برنستون كلها تحمل صورة عازف العود والعقد الخاصة بالمجلد المذكور جوهان فوجل ومن الجدير بالذكر أن نسخة شيده

من الكتاب المقدس هى التى تحمل صورًا مأخوذة من كتاب أسطى بطاقات اللعب كما أنها النسخة التى أكدت لنا أن النسخ الأربعة المذكورة هى من تجليد فوجل؛ وفى قوانين الطبيعة أن هناك نسخًا أكثر من تلك النسخ التى تعزى إلى فوجل ولكن الزمن دمرها. ولكن السؤال الذى يطرح نفسه كيف تأتى للمجلد فوجل أو ما هو السياق الذى أدى بالمجلد فوجل إلى تجليد كل هذا العدد من نسخ كتاب جوتنبرج المقدس؟ هل كان الرجل تاجر كتب إلى جانب عمله كمجلد ومن ثم اشترى عددًا من النسخ المفككة من الكتاب المقدس وجلدها بطريقته الخاصة ثم طرحها للبيع أى أنه اشتراها من ماينز وجلدها وطرحها للبيع فى إيرفورت؛ ذلك أنه من المصادفات العجيبة أن يظهر الرجل فى إيرفورت مباشرة بعد الانتهاء من طبع الكتاب المقدس ذى الاثنين والأربعين سطرًا وأن يقيم جوتنبرج علاقة معه فى الوقت الذى نشب فيه الخلاف مع فوست. وعلى أقل تقدير فإن فوجل كان على علم تام بالتطورات التى وقعت فى ماينز وكان من بين الداعمين المتعاونين مع جوتنبرج. وربما يكون فوجل أحد المستثمرين الذين قدموا مالاً إلى جوتنبرج ولم تطف أسماؤهم على السطح بعد.

لقد خلف لنا الزمن عشر نسخ من كتاب جوتنبرج المقدس بجلودها الأصلية الكاملة من بينها أربع نسخ من تجليد فوجل. ومن بين تلك النسخ العشر ثلاث أو أربع جلدت فى ماينز نفسها و واحدة فى لوبيك، وفى مكتبة هنتنجتون نموذج قام بتجليده جوهان ويذرهان المجلد النشيط فى جامعة ليبزج منذ ١٤٤٦ فصاعدًا. وكل النسخ التى وصلتنا مجلدة تجليدًا أصليًا جاءت جلودها عبارة عن لوحين من خشب تمت كسوتها بجلد سادة مبصوم بصمًا جافًا (أعمى). وكانت العادة فى القرن الخامس عشر أن يتم التجليد بجلود البقر أو العجول أو الخنازير وتتم زخرفة الجلدة الأمامية والخلفية وتبصم بمكعبات نحاسية أو لفافات وأشكال هندسية وكان الكعب الجلد يتصل مباشرة بظهر الكتاب ويقسم إلى خانات تبعًا للشرائط الممتدة والتى تخاط عليها ملازم الكتاب. وقد جرت العادة على تثبيت قطع نحاسية على الأركان لحماية جلدة الكتاب، كما جرت العادة كذلك على تثبيت كلبسات على الحواف الأمامية لحمايتها من الرطوبة والأتربة.

يرى الثقات من دارسى جوتنبرج أنه كانت لدى الرجل خطط طموحة بعيدة المدى.

لقد كان فى نيه الرجل إعداد خط الإنتاج لزخرفة الكتاب المقدس وتجليده بعد طباعة الأفرخ المفككة، وقد أدت به تلك النية إلى سياسة "انتظر و تدبر" التسويقية تلك السياسة التى جلبت عليه أزمة السيولة المالية سنة ١٤٥٥م. لقد كان هدفه المطلق حتى ذلك الوقت نشر كتاب القداس المعيارى الذى اعتبره نيقولاس الكيوسى أداة أساسية فى عملية الإصلاح الدينى. وحيث توافرت فى ذلك الوقت المقومات الطباعية التى كان يفتقر إليها من قبل فالتكنولوجيا قد أكتملت؛ وفريق الحرفيين أصبحت لديه خبرة ممتازة؛ والأحجام الكبيرة للأبناط أصبحت جاهزة للتجريب والاستعمال فى أحد المزامير. ولكن للأسف الشديد تم تدمير كل شيء وغدا أطلالاً بسبب الدعوى القضائية التى أقامها فوست وربحها.

المنافسة غير المتكافئة

عدل أم ظلم

ثار جدل كبير حول الحكم الذى صدر بحق يوحنا جوتنبرج على نحو ما صادفناه فى وثيقة هيلماسبرجر وكان جوهر هذا الجدل هو من كان منهما على حق؟ وللاقتراب من الإجابة لابد أن نستعرض ظروف الوقت الذى صدر فيه الحكم. كان القرن الخامس عشر الذى شهد الظهور التدريجى للطبقات الوسطى فى ألمانيا وغيرها من الدول فترة اضطراب وقلق فى النظم القانونية وخاصة فى مجال الوقائع الائتمانية. وكانت الفلسفة النصرانية المسيحية تعتنق وجهة النظر القائلة بأن المال مجدب أى أنه غير مثمر ومن ثم لا تجوز على قروضه فوائد ومن هنا كانت هناك عدة طرق للالتفاف حول تلك الصعوبة من بينها نظام السناهيات وعقود المعاشات حيث يمكن للمواطنين المحظوظين تأمين دخل ثابت لهم مدى الحياة عن طريق وديعة رأسمالية. وكما سبق وأن عرضنا فى مواضع سابقة استطاع يوحنا جوتنبرج أن يؤمن لنفسه عدة سناهيات من مدينة ماينز حتى سنة ١٤٤٨م ومن مدينة ستراسبورج حتى سنة ١٤٥٣م وكان هناك خرق آخر لتحريم الفوائد أجازه القانون الكنسى إذ أباح للدائن تحديد فوائد على الدين بشرط أن يثبت الدائن أنه حصل على القرض الذى قدمه للمدين بفوائد. وهذا هو بالضبط ما كان على فوست أن يحلف

عليه أمام المحكمة فى دير الفريار الحفاة وذلك حتى يثبت للمحكمة أنه لا توجد شبهة ربوية فيما أقدم عليه من سلوك.

ولأن التغير الاجتماعى فى تلك الفترة وخاصة فى المدن الإيطالية كان سريع الخطى فقد استدعت الظروف الاقتصادية التعامل فى مبالغ مالية ضخمة على فترات متقاربة. وعلى الرغم من ثبات موقف الكنيسة من الربا، إلا أنها تسامحت مع عمليات الالتفاف حول قواعد تحريم الربا. وربما من هذا المنطلق قام الفرنسسكان فى إيطاليا منذ مطلع القرن العشرين بإنشاء محلات سمسرة الرهن لتقديم القروض للمحتاجين. وقد حدث شىء قريب من هذا فى ألمانيا إذ قامت المؤسسات الدينية باستغلال الأموال الطائلة التى تدفقت عليها من الأوقاف الكنسية والهبات والعطايا عن طريق عمليات الائتمان والإقراض بفوائد. ويجب أن نتذكر هنا أن يوحنا جوتنبرج نفسه قد قام فى ١٧ من نوفمبر ١٤٤٢م باقتراض ٨٠ دينارًا من فرع كنيسة سانت توماس فى ستراسبورج. وفى سنة ١٤٢٥م قام البابا مارتين الرابع بإعلان أن شراء السناهيات ليس عملاً ربويًا إذا كانت تلك السناهيات صادرة عن الحكام أو المدن أو الأديرة أو بضمان أرض مملوكة. وحوالى منتصف القرن الخامس عشر أصبحت القواعد والمفاهيم القانونية الصادرة فى روما مقبولة على وجه العموم فى ألمانيا. وقد رأينا من قبل كيف أن الدائنين المقرضين الإكليريين لمدينة ماينز استطاعوا استصدار قرار حرمان المدينة من رحمة الكنيسة لعدم قدرتها على الوفاء بديونها سنة ١٤٤٨م. هذا القرار الذى اتخذته الكنيسة فى مسألة قانونية لا تدخل فى صميم القضايا المسيحية كان صدمة وغير مفهوم بالنسبة للناس العاديين، وغذى العداء للكنيسة وأضاف إلى حالة القلق والاضطراب التى سادت مرحلة ما قبل الإصلاح.

ونحن لا نستطيع كلية الجزم بأن يوحنا جوتنبرج كان على حق تمامًا وأن جوهان فوست رجل المال الباحث عن نفسه كان مذنبًا تمامًا وخارجًا عن إطار التاريخ. وإن لم يستطع خلفاء جوهان فوست وبيتر شوفر حجب الفضل عن جوتنبرج ووضعه إلى آبائهم. لقد عاش جوتنبرج فى مرحلة تحول كبرى وكان إحساسه بالصح والخطأ مبنيًا

على الأعراف الألمانية القديمة أو القانون الكنسى القديم على الرغم من أنه قبل مميزات القانون الرومانى الجديد. وكان التباين بين الاثنين هو الذى يحدد سلوك جوتنبرج؛ وربما صدمت أهدافه ومثله المعايير الاجتماعية الجارية من حيث زيادة الأنا والتركيز على الذات والتى فسرت برغبته فى تحقيق المكاسب.

صكوك الغفران القبرصية:

أسفرت الجهود التى بذلت للتنقيب عن مطبوعات جوتنبرج خارج الكتاب المقدس عن وجود إشارات عابرة إلى قيامه بطباعة بعض صكوك الغفران البابوية سنة ١٤٥٤م، ١٤٥٥م والتى حملت لأول مرة تاريخ النشر الدقيق، وكانت أول قطعة مطبوعة فى العالم الغربى تحمل تاريخ الصدور. وأكثر من هذا فإن تلك الصكوك تعتبر المفاتيح لفهم العديد من المشكلات المتعلقة بالطباعة الباكرة فى ماينز وهى الدليل القاطع على وجود دارين للطباعة فى ماينز فى وقت واحد.

من المعروف أن الأتراك استولوا على مدينة القسطنطينية فى التاسع والعشرين من مايو سنة ١٤٥٣م. وقد اجتمع المجلس التشريعى الكنسى فى ريجنزبرج فى نهاية إبريل سنة ١٤٥٤م لمناقشة ترتيب حملة ضد الترك. ولأن هذا الاجتماع لم يسفر عن نتائج محددة فقد عقد اجتماع ثان حول نفس الغرض فى خريف نفس السنة فى فرانكفورت. وقد قام إينيا سيلفيو بيكولومينى الذى كان فى خدمة البابا والإمبراطور بدق طبول الدعوة لدعم الحرب ضد الترك. وفى نفس الوقت قام الغيور جيوفانى دى كابسترانو بالوعظ فى ساحة قاعة المدينة المسماة رومربرج وفى ساحة كنيسة الكاتدرائية لتجييش الجيوش لحملة صليبية ضد الترك. ومن المعروف أن كابسترانو كان موجودًا منذ الأول من أكتوبر حتى الثانى من نوفمبر ١٤٥٤م مما يعنى أن صك الغفران الأول "صك الغفران لمساعدة مملكة قبرص" الذى وصلتنا أقدم نسخة منه مؤرخة بخط اليد بتاريخ ٢١ من أكتوبر، كان مطروحًا للبيع خلال جولات الواعظ الخطابية المذكورة. ومن المحتمل أيضًا أن يكون إينيا سيلفيو عندما زار فرانكفورت فإنه لم يشاهد الكتاب المقدس المطبوع وحده الذى

أبدعه ذلك "الرجل المدهش" وإنما شاهد أيضًا نسخًا من صكوك الغفران التى كانت مطروحة آنذاك.

ولكن ما هى الظروف التى أحاطت بفكرة صكوك الغفران تلك؟ منذ مطلع العصور الوسطى كان من المعتاد أن يقوم المرء بالتكفير عن خطاياه التى تفرض الكنيسة العقوبات عليها إما بالعمل الصالح أو بالإحسان أو الصوم أو الصلاة أو الحج أو دفع مبلغ من المال. وفيما بعد امتدت الشريعة الكنسية لتسمح لممثليها بإلغاء العقوبة الدينية الموقعة على خطايا معينة فى مقابل عقوبة علمانية معينة مناسبة. وقد جرت العادة خلال الحروب الصليبية أن يتلقى كل المشاركين فيها صك غفران مطلق على بياض أى يغفر لهم كل ما تقدم وما تأخر من ذنوبهم وخطاياهم. ولكن بعد انتهاء الحروب الصليبية واعتبارًا من القرن الثالث عشر فصاعدًا أصبحت الصكوك تصدر مقابل مبالغ مالية تشترى بها لغفران الذنوب والخطايا وكانت المبالغ المدفوعة تتضمن تكاليف إصدار الصك نفسه. وكان حامل الصك او الوثيقة أو الشهادة وكلها تسميات واحدة يذهب إلى القسيس ليعترف أمامه بخطاياه ويبرز له الصك وهكذا يكتسب الغفران صفته الرسمية ويصبح حامل الصك مبرأ من كل ذنب وخطيئة. وكانت الصكوك أو الشهادات تسجل المناسبة أو السبب فى إصدارها بالمصطلحات المحددة القياسية للمناسبة أو السبب وتترك مسافة معينة لتسجيل اسم المشترى وتاريخ الشراء وفى بعض الأحيان تحمل توقيع من أصدر الصك أو بائع الصك. ولم يكن من الضرورى ظهور توقيع بائع الصك إذا ختم الصك بخاتم السلطة التى أصدرته والتى قبضت ثمنه قبل تسليمه للمشترى.

وليس من المنطق فى شىء أن نفرض ناموسنا وحكمنا الأخلاقى الحديث على بيع صكوك الغفران للناس فى القرن الخامس عشر. وكان الهجوم الشرس من قبل وايكليف، هوس، لوثر وغيرهم من دعاة الإصلاح على صكوك الغفران التى تصدرها الكنيسة الكاثوليكية نابعًا من أن تلك الكنيسة قد وضعت فى يدها كل مفاتيح القوة والسيطرة على الناس ومن ثم الحكم على الخطايا وغفران تلك الخطايا. ومن خلال إدعاء الكنيسة باتخاذ

تلك القرارات فقد زعمت أن بيدها حاجز الجنة والنار (الأعراف ــ المطهر) والذى به توقع العقوبة على الخطايا المؤقتة.

يرى بعض الثقاة أن صكوك الغفران لم تكن فى حقيقة الأمر سوى ضريبة خاصة تطبقها الكنيسة فى حالات الطوارئ ففى الحالة التى أمامنا أرسلت مملكة قبرص استغاثة صارخة إلى البابا سنة ١٤٥٠م تطلب المساعدة للدفاع عن الجزيرة ضد تهديدات الغزو التركى. وفى الثانى عشر من أغسطس سنة ١٤٥١م منح البابا نيقولاس الخامس، الملك القبرصى جون الثانى من لوسيجنان صكًا مطلقًا مفتوحًا لمدة ثلاث سنوات يبدأ من الأول من مايو ١٤٥٢م حتى الثلاثين من إبريل ١٤٥٥م ومن ثم كلف ملك قبرص رئيس ديوانه بولينوس زابيه (أو تشابيه فى هجاء آخر) اتخاذ الإجراءات لإصدار الصك بالتعاون مع اثنين من المساعدين له هما جيوفانى دى كاسترو كوروناتو و ألبرتو دى ألبى لابيديه. وهؤلاء الثلاثة بدورهم فوضوا العمل إلى عدد كبير من العملاء نعرف منهم بالاسم ثمانية على الأقل. وهناك حقيقة قل من يعرفها حول هذا العمل هى أن نصف الأموال التى جمعت على الأقل قد صبت فى خزائن كبير الأساقفة وأحد مساعدى زابيه وهو دى كاسترو سابق الذكر الذى اختلس لوحده مالا يقل عن ١٤٠٠٠ جولدن نتجت عن بيع نحو ٣٠٠٠ صك جمعت أموالها من إيرفورت وحدها. وتسخر المصادر الثقاة بالقول بأن ما وصل إلى يد الملك القبرصى من دخل ذلك الصك هو مبلغ ضئيل، دفع إلى المرتزقة للدفاع ضد الأتراك.

فى الثانى من مايو ١٤٥٢م قام موفد البابا نيقولاس الكيوسى الذى أشرنا إليه مرارًا من قبل بتخويل رئيس دير سانت جاكوب فى ماينز بكتابة ٢٠٠٠ صك بخط اليد (؟) لبيعها إلى مواطنى فرانكفورت حتى نهاية الشهر (مايو ١٤٥٢م). وهناك من الشواهد ما يشير إلى أن جوتنبرج قام بطباعة الألفى صك المذكورة باستخدام بنط دوناتوس/ كالندر DK، ولكن مما يؤسف له أنه لم تصلنا من تلك الصكوك الألفين أى نسخة على الإطلاق من أى نوع. وبالنسبة لصكوك ١٤٥٤ و١٤٥٥م هناك ما يؤكد بأن حجم الطبعات كان أكبر بكثير من عدد نسخ صك فرانكفورت لأن صكوك ١٤٥٤ و١٤٥٥م

لم يقتصر توزيعها على منطقة بعينها وإنما غطت دوقيات واسعة النطاق فى ماينز و كولون على الأقل، وثمة فارق آخر بين الاثنين، ذلك أن صكوك ١٤٥٤م و ١٤٥٥م كانت فترة توزيعها أوسع إذ امتدت إلى سبعة أشهر أى سبعة أضعاف الفترة المحددة لتوزيع صك سانت جاكوب، وأخيرًا فقد كان الحماس الشعبى لدعم الحرب ضد الأتراك قد اشتعل أكثر بعد سقوط القسطنطينية.

وما يدهشنا فى صكوك قبرص أنها تحمل نفس النص ولكن من تجميعتين مختلفتين من الأبناط تم إنتاجهما. وقد علل بعض المفسرين ذلك بأن الحاجة كانت ماسة إلى عدد كبير من النسخ ومن ثم سار العمل على جبهتين للحصول على النسخ المطلوبة فى وقت واحد ولكن جوهر الطباعة عند جوتنبرج أنه يمكن إعداد عدد كبير من الأمهات من نفس القالب الواحد وبالتالى إعداد كميات ضخمة من الأبناط المصبوبة فى الأم الواحدة. والسؤال حول اختلاف التجميعتين لا يدور ببساطة حول نص واحد تم تنضيده مرتين فى وقت واحد ولكن حول الأبناط المساعدة للحروف خاصة أن الأبناط تم تصميمها وتنفيذها خصيصًا لتلك الصكوك.

إننا نفرق بين صك الثلاثين سطرًا و صك الواحد والثلاثين سطرًا على أساس خلفية عدد السطور بالنسبة لكل تنضيدة على حدة لنفس النص وإن لم يكن ذلك الاختلاف هو الوحيد فعلى الرغم من أن كليهما يقدم نفس النص إلا أن صك الواحد والثلاثين سطرًا يبدأ بالحرف الأول V،بينما الصك الآخر (٣٠ سطرًا) يبدأ بالحرف الأول U لأنه فى العصور الوسطى كان من المسموح به فى بعض الكلمات اللاتينية التأرجح بين V و U. كذلك فإن الزوجين الآخرين من الحروف الأولى فى الفقرتين الأخريين تحملان عناصر زخرفية مختلفة من بنط أونسيال السائد آنذاك. وقد استخدم بنط دوناتوس/ كالندر فى السطور الاستعراضية فى صك الواحد والثلاثين سطرًا كما استخدم فى نفس الوقت فى جوتنبرجهوف لتنضيد وطباعة "التقويم التركى" إلى جانب "المنشور التركى" أو ما يعرفه بالنص اللاتينى الألمانى للمنشور البابوى الذى أصدره البابا كاليكستوس الثالث. ولخدمة نفس ذلك الغرض الاستعراض فى صك الثلاثين سطرًا تم استخدام بنط الكتاب

المقدس ذى الاثنين والأربعين سطرًا الذى استخدم فى تنضيد وطباعة الكتاب المقدس اللاتينى الذى كان فى ذلك الوقت قيد الطبع أو تم الانتهاء من طبعه فى دار الطباعة المشتركة فى همبرختهوف.

البنط المستخدم فى نص صك الواحد والثلاثين سطرًا هو الغوطى الباستارد الذى اشتق من خط اليد السائد آنذاك فى ألمانيا فى الوثائق المكتوبة ويأخذ بطرف من خصائص حرف شوابخر وفى نفس الوقت يجنح نحو الغوطى المدور. وإذا قارناه بأبناط تكستورا الذى تحدثنا عنه من قبل فإنه أصغر كثيرًا بنى على جسم من ١٤ نقطة طباعية أو ٥مم. وينطوى النص على ٦٠ بنطًا فقط ليس من بينها سوى بنط واحد مدغم أى حرفين ملتصقين.

أما بنط صك الثلاثين سطرًا فهو أصغر بنقطة واحدة بحيث كان حجم الجسم هو ٤.٥مم وينطوى على ٦٧ بنطًا فقط من بينها ثمانية أبناط مدغمة. والحروف هنا تقلد خط الباستارد اليدوى مما يعنى أن مصممى الحروف وقاطعيها كان أمامهم نماذج من الحروف اليدوية ينسجون على منوالها فى كلتا الحالتين وهى نماذج قريبة الشبه فيما بينها ولكن لخطاطين مختلفين. والحروف الصغيرة ذات العراقة السفلية المستقيمة نجدها هنا نحيلة للغاية ومائلة قليلاً وتعكس بوضوح شديد الأسلوب الفرنسى فى الباستارد المخطوط. وقد قاد ذلك إلى الاعتقاد بأن الحروف فى النص والحروف الأولى الأنيقة فى صك الثلاثين سطرًا هى من تصميم وقطع بيتر شوفر وهو خطاط بارع خبير فى الحرف الفرنسى الباستارد نمى خبرته هذه خلال إقامته فى فرنسا. وتتفق المساحة المخصصة للنص والإخراج العام فى كلا الصكين؛ وثمة اختلافات صغيرة ذات بال فى طباعة كل منهما لم يلتفت إليها. ففى صك الواحد والثلاثين سطرًا لا تتساوى أطوال السطور ولذلك يبدو الصك كما لو كان وثيقة مكتوبة بخط اليد. وعلى العكس من ذلك تتساوى أطوال السطور فى نص صك الثلاثين سطرًا وبالتالى تستقيم حواف النص من جهة الهامش الأيمن وحيث استخدمت الشرط فى تقسيم الكلمات المشطورة بين سطرين حتى تتساوى

نهايات السطور من الناحية البصرية على نحو ما نصادفه فى الكتاب المقدس ذى الاثنين والأربعين سطرًا.

وفيما يتعلق بالنسخ الواحدة والأربعين التى وصلتنا من صك الواحد والثلاثين سطرًا نستطيع أن نقف على سبعة فوارق فى هذه الطبعة التى أعيد إصدارها عدة مرات بسبب عدم تقدير احتياجات السوق سلفًا فى بداية حملة المبيعات، تلك السوق التى فاقت كل التوقعات ومن ثم كان من الضرورى إصدار عدد آخر من إعادات الطبع من ذلك الصك. إن أقدم إصدارات هذا الصك تحمل تاريخ ٢٢ من أكتوبر سنة ١٤٥٤م وآخرها يحمل تاريخ ٢٣ من إبريل سنة ١٤٥٥م؛ وهو آخر يوم فى صلاحية ذلك الصك. ومن الجدير بالذكر أن كل النسخ التى وصلتنا من الصك والتى أدرجت فيها البيانات الخاصة (اسم مشترى الصك وتاريخ الشراء...) قد تم بيعها فى نطاق دوقية ماينز نفسها.

أما صك الثلاثين سطرًا فإنه لم يصلنا منه سوى ثمانية نماذج فقط تمثل ستة اختلافات وفوارق مما يدل على أنه ينطوى على ست إصدارات على أقل تقدير. وأقدم النسخ يحمل تاريخ ٢٧ من فبراير سنة ١٤٥٥م وآخرها مؤرخ فى ٣٠ من إبريل سنة ١٤٥٥م وهو آخر أيام الإصدار على نحو ما نوهنا إليه. ويؤكد الثقاة على أن مجال بيع صك الثلاثين سطرًا كان دوقية كولون. وعندما تم اكتشاف تلك الصكوك فى نفس المنطقة فقد ذهب المفسرون إلى أنه ربما يكون شخص ما قد جاء بها بناء على طلب من أهل المنطقة أو ربما يكون قد جاء بها لأصدقائه وأهله كهدية سفر بعد عودته من ماينز. وقد ذهب الثقاة بناء على العدد القليل الذى وصلنا من نسخ الصك ذى الثلاثين سطرًا أن ما طبع منه كان أقل كثيرًا من صك الواحد والثلاثين سطرًا، وبما أنه أحدث من صك الواحد والثلاثين سطرًا فربما يكون هذا الأخير قد اتخذ نموذجًا له.

ويدور النقاش والجدل فى دوائر دارسى جوتنبرج حول استنتاج طباعة صك الواحد والثلاثين سطرًا فى دار طباعة جوتنبرجهوف، بينما طبع صك الثلاثين سطرًا فى دار طباعة همبرختهوف. والجدل هنا حول الوضع المعكوس الذى تم فيه طبع كل من الصكين إذ

استخدم بنط الكتاب المقدس للرؤوس الاستعراضية فى صك الثلاثين سطرًا الذى لم يوجد إلا فى دار الطباعة فى همبرختهوف حيث كانت تستخدم فى تنضيد الكتاب المقدس. وفى نفس الوقت استخدم بنط دوناتوس/ كالندر فى الرؤوس الاستعراضية فى صك الواحد والثلاثين سطرًا وهو البنط الوحيد الذى كان مستخدمًا أساسًا فى جوتنبرجهوف.

ويبدو جليا أن جوتنبرج الذى كان يسيطر فى ذلك الوقت على كلا دارى الطباعة هو الذى وجه عقد طبع الصكوك إلى دار الطباعة فى جوتنبرجهوف وهى الدار التى كانت قد خصصت للأعمال الطباعية الصغيرة أو ما عرف فيما بعد "الطباعة بالقطعة". وتذكر المصادر أن جوتنبرج قد حظى بذلك التكليف الخاص بطبع الصكوك لما عرف عنه من نزعة وطنية ودينية وللتعبير عن رغبته فى تقديم خدمة لأصدقائه فى المناصب الإكليرية العالية فى ماينز وكذلك لصديقه الحميم الكاردينال نيقولاس الكيوسى. كذلك تؤكد المصادر أن قبول جوتنبرج لطباعة صكوك الدفاع ضد الترك إنما جاء لحاجته الشديدة إلى المال لتسديد ديونه لـ فوست خاصة.

ويعتقد الثقات أن الخلاف بين جوتنبرج وفوست لم يكن أبدًا سببًا فى حمل جوتنبرج على طبع صكوك الغفران لجمع بعض الأموال لتسديد جانب من ديونه بل ربما يكون العكس هو الصحيح حيث قام جوتنبرج بتخصيص بعض المال الذى قدمه فوست للعمل المشترك لصناعة الأبناط اللازمة لصك الواحد والثلاثين سطرًا الذى خطط له أن يطبع فى دار الطباعة فى جوتنبرجهوف وبالتالى لا يدخل هذا العمل فى حساباتهما المشتركة، ومن ثم يعتبر هذا المسلك سوء تخصيص لاستثمارات فوست. ومن الواضح أن فوست قد استاء وغضب من توجيه جوتنبرج لهذا العقد المربح إلى ورشته الأصلية. وبصعوبة بالغة نجح فوست فى أن يحصل على عقد طباعة صك غفران دوقية كولون فقط وتوجيهه إلى دار الطباعة فى همبرختهوف.

ولكن هل كانت تلك الصكوك على درجة من الأهمية تقارن بأهمية الكتاب المقدس العظيم حتى يتسابق الشريكان على الظفر بها، وتجعلها ذات قيمة مالية لكلتا دارى

الطباعة فى ماينز وما الذى كانت تمثله تلك الشهادة التى مساحتها أقل قليلاً من قطع الربع. لقد كانت تكلفة هذه الشهادة مكتوبة بخط اليد بما فى ذلك ثمن الرق ثلاثة ألبى أو ٣ فنيج فضة. وكان الكاتب أو الخطاط الذى يعمل بمعدل شهادتين فى اليوم يربح بالتالى أربعة ألبى بعد سداد ثمن المواد التى كانت أساسًا الرق والأختام. وكان الصك المطبوع يكلف نفس المبلغ تقريبًا ولما كان ٢٦ ألبى تساوى جولدن واحدًا ذهبا فإن تسعة صكوك تكاليف حوالى جولدن واحد، ومن ثم فإن ٩٠٠٠ صك تكلف ١٠٠٠ جولدن. ومن الواضح أن الصكوك كانت تطبع فى دار طباعة جوتنبرجهوف بأعداد أكبر من تلك المذكورة. وبطبيعة الحال فإن تلك الأعداد الضخمة من الصكوك كانت تحتاج إلى تكليف ذات بال لتصنيع الأبناط والتنضيد والرقوق وتكاليف الطبع وحتى بعد خصم تلك التكاليف كلها فإنه ستبقى نسبة أرباح عالية تكون سببًا فى خلاف واسع بين الشريكين.

وأكثر من هذا فإنه فى سياق إعداد الرقوق لطباعة الكتاب المقدس لابد وأن تتبقى شرائح يمكن استخدامها فى طباعة الصكوك مما أتاح فرصة لا يمكن إغفالها لنقل بقايا قطع هذه الرقوق إلى دار طباعة جوتنبرجهوف لاستخدامها فى الصكوك. إن سوء التخصيص هذا وما يماثله من تحويل أية مادة ثمينة من مشروع الكتاب المقدس إلى دار جوتنبرجهوف كان بالضرورة يذكى روح الخلاف والصراع بين الشريكين.

ولطرح النسخ الأولى من صك الواحد والثلاثين سطرًا للبيع فى فرانكفورت فى الأول من أكتوبر سنة ١٤٥٤م كان لابد من توجيه الطلب إلى جوتنبرج قبل ذلك التاريخ بثلاثة أشهر على الأقل حتى يستعد هو وعماله بإعداد التصاميم وصب الأمهات وإنتاج الأبناط. ولا نعتقد أن النزاع قد نشب بين الشريكين إلا بعد أن بيعت الإصدارة الأولى من الصكوك لأنه بعد ذلك استيقظ فوست على الأهمية المالية الكبرى لطباعة الصكوك ومن خلال الصراع الذى وقع بين الشريكين بسبب ذلك، سعى فوست إلى أن يحصل لنفسه على نصيب من طبع تلك الصكوك وعلى وجه التحديد تلك الصكوك التى كانت توزع فى أبرشية كولون. وربما كان ذلك هو أول تدخل من جانب فوست فى الشئون الداخلية

للمطبعة. ومع قله السيولة المالية فى يد جوتنبرج وعجزه عن دفع أجور العاملين انتهز فوست الظرف وأخذ يحكم قبضته على ورشة الطباعة. وفى تلك الأثناء قام فوست بتعيين إبنه بالتبنى الإكليرى والخطاط بيتر شوفر فى منصب الثقة فى المطبعة بل وكلفه بتصميم البنط اللازم لتنضيد صك الثلاثين سطرًا. ويرى الثقاة أن ذلك قد وقع فى نوفمبر ١٤٥٤ م. ومن الواضح أن تكليف فوست بطبع "الصك الجديد قد تم بكفاءة واقتدار ومهارة عالية لأن صك فوست وشوفر ذا الثلاثين سطرًا خرج من مطبعة همبرختهوف مع بداية السنة الجديدة".

تلك التواريخ تتواكب تقريبًا مع توقيت رفع الدعوى القضائية من جانب فوست ضد جوتنبرج. هذا النزاع بين الشريكين المالكين كانت له مضاعفاته وآثاره السلبية على العاملين معهما؛ ذلك أن بيتر شوفر الموهوب والإكليرى جوهان بون اللذين كانا يعملان جنبًا إلى جنب مع هنريتش جونتر فى قراءة البروفات وتصحيحها فى الكتاب المقدس إنحازًا إلى معسكر فوست وانتصرت رؤوس الأموال للأسف على عبقرية المخترع. ورغم أن الصراع والنزاع بين جوتنبرج وفوست كان آتيا لا محالة ولا يمكن تجنبه، إلا أن صكوك قبرص هى التى عجلت به. ومن الغريب أن يكون ما حدث فى تركيا البعيدة له تأثيره المباشر على الأحداث فى ماينز.

بيتر شوفر من جيرنشايم

فى ختام الوقائع التى رفعت أمام المحكمة العلمانية التى انعقدت فى صالة طعام دير الفريار الحفاة أصبحت هناك فى ماينز داران للطباعة تواجه كل منهما الأخرى كما لو كانتا خصمين متنافسين بسبب ما وقع من أحداث بين الشريكين. وحتى عقود قليلة مضت كان دارسو جوتنبرج يعتقدون أن جوتنبرج أغلق دار الطباعة فى جوتنبرجهوف بعد فض الشراكة مع فوست وأنه فى الفترة ما بين ١٤٥٥ وحتى ١٤٦٢م لم يعد فى ماينز سوى دار طباعة واحدة هى دار فوست و شوفر تحديدًا. ولكن يرى بعض الباحثين أن هناك من الشواهد ما يؤكد وجود دارين للطباعة فى ماينز تعملان فى نفس تلك الفترة حيث أشار "الفهرس الموحد للطابعين" والذى بدأ الصدور ١٩٢٥م إلى "طابع غير معروف" فى

مـاينز كان يعمل مستقلاً عن فوست و شوفر إلا أنـه أمـر فى نظر البعض لا يمكن الإمسـاك به وإثباته بقرائن ملموسة اليوم.

إن الشىء الوحيد اليقينى الآن هو أن اختراع الطباعة والوصول به إلى مرحلة النضج والاثمار هو من إنجاز يوحنا جوتنبرج. ومن الطبيعى أن يتعرض هذا الإنجاز العظيم من حين لآخر لعمليات تجميل وتطوير وإضافة هنا وهناك من جانب آخرين ولكن من الخطأ الفادح وضع جوتنبرج و فوست على نفس المستوى عندما نتعرض لمناقشة إضافة كل منهما إلى هذا الإنجاز. ولكن لا ينبغى أبدًا أن نستبعد فوست من الصورة لمجرد أنه كان الممول والمقرض والذى استغل الظرف بل يجب الاعتراف بأنه كان على شىء من الألفة والمعرفة بحفر وصب المعادن فقد كان أبوه صائغًا كذلك كان أخوه الأصغر جاكوب على نحو ما أسلفت سابقًا. بيد أن الربح كان بلاشك هو الدافع الأعلى لديه ولم يقدم على تقديم المال اللازم إلا بعد أن رأى فن الطباعة الجديد يصل إلى مرحلة النضج والاثمار، كما كرس كل جهوده وإمكاناته للبلوغ به إلى مرتبة النجاح التى حققها.

لم يكن اختراع الطباعة كما أكدت عدة مرات سابقة موجة عقلية أو ومضة عبقرية فجائية وعابرة ولكن عملية خلاقة استمرت من ١٤٣٧م حتى ١٤٤٥م، عملية لها انتكاساتها وعقباتها ولها فترات ركود وتوقف عن التقدم ومشاكلها العديدة الطازجة التى يجب التغلب عليها. وحتى بعد إنتاج الكتاب المقدس ذى الاثنين والأربعين سطرًا كقرينة حية على تفوق الفن الجديد فى إنتاج الكتب فإن ذلك لم يكن يعنى أنه قد تم التغلب على كل المشكلات الفنية والجمالية وأن كل الأمور قد استقرت وأنه لم يعد هناك المزيد ليضاف.

لقد أدى التنافس بين دارى الطباعة فى ماينز إلى تصدر ورشة همبرجتهوف الموقف وهذا أمر طبيعى لأن كافة الظروف والتسهيلات المساعدة فى إنتاج الكتب بكميات كبيرة كانت مركزة هناك فى تلك الورشة فالورق والرق وكذلك الحبر والطابعات التى تراوح عددها ما بين ٤ ــ ٦ طابعات والتى كانت فى حالة فتوة وصالحة للعمل لفترات طويلة. وفوق كل ذلك كانت هناك القوى العاملة الماهرة المدربة: المنضدون، الطباعون، سابكو

الأبناط وغيرهم من الخبراء. وما هو أنكى وأشد أن جوتنبرج نفسه كان قد أعد لتوه بنطين جديدين ونعنى بهما البنط الكبير والبنط الصغير للمزامير بل هناك من المؤرخين من يعتقد أن أجزاء من "مزاميرماينز" كانت قد طبعت بالفعل.

ولكن ما كان يحتاج إليه جوتنبرج لإتمام المزامير هو طابع أسطى. لقد كان على جوتنبرج الموجوع الذى يحمل فى حلق غصة المرارة أن يتقهقر إلى جوتنبرجهوف. ومن عساه يكون ذلك الطابع الأسطى الذى يملك الخبرة والقوة التى يستطيع بها تنفيذ ذلك المشروع المعقد. لقد كان أحسن طابعين فى الساحة آنذاك هما بيرتولد روبيل و هنريتش كيفر وكلاهما كان صديقًا حميًا لـ يوحنا جوتنبرج بل وشريكًا له وعملا معه فى جوتنبرجهوف. أما فوست المالك الوحيد فى تلك المرحلة كان يحتاج هو الآخر إلى رجل كفء يعتمد عليه ولذلك وقع اختياره على الإكليرى بيتر شوفر ليكون مديرًا لأعماله الطباعية الجديدة.

ولكن من عساه يكون بيتر شوفر هذا؟ لا نعرف عن حياته الباكرة إلا القليل، حيث يرجح الثقاة أنه ولد بين ١٤٢٠ و١٤٣٠ فى مدينة جيرنشايم الصغيرة الواقعة على نهر الراين بين مدينة ماينز و مدينة وورمز وحيث قام أهالى جيرنشايم سنة ١٨٣٦م بتشييد نصب تذكارى لابن بلدتهم الأشهر. ومن المرجح أن أباه كان قد توفى وهو صغير حيث كتب الأب تريتميوس فى حولياته "حوليات هيرسوجينز" الصادرة سنة ١٥١٥ والتى أشرت إليها من قبل بأن بيتر شوفر هو ابن بالتبنى والتنشئة للمدعو جوهان فوست. ومن سوء الحظ أن الباحثين لم يلتفتوا إلى تلك المعلومة إلا مؤخرًا لأنها تتيح لنا فرصة استنتاج أنه طالما أن بيتر شوفر قد شب ونما وترعرع فى بيت الصاغة آل فوست فلابد أن يكون قد كون خبرة عن الأشغال المعدنية ولابد أن يكون ولاؤه لأبيه المتبنى. ويستنتج من البيانات المتناثرة فى المصادر هنا وهناك أن فوست قد أرسل شوفر إلى جامعة إيرفورت سنة ١٤٤٤ م حيث نجد له تسجيلة تحت اسم "بتروس جنشايم" فى سجل الفصل الصيفى تلك السنة. وتسجيلة أخرى فى فصل الشتاء ١٤٤٨/ ١٤٤٩م تحت اسم "بتروس أوبليونيس" كطالب يدرس هناك. ويرى الخبراء أن شوفر قد اتخذ اسمه اللاتينى فى تلك الفترة بحيث أصبح اسم "شيفر أو شبرد" هو أوبليونيس.

ويرد اسم شوفر مرة ثانية سنة ١٤٤٩م باعتباره إكليريًا فى جامعة باريس، وربما يكون قد احتاج إلى تعلم اللغة اللاتينية ليس فقط ليصبح إكليريـاً ولكن حتى يتمكن من الإنضمام إلى الطوائف الدينية النوعية. ويظهر من سجلات الجامعة أنه عمل كاتبًا أو خطاطًا لدى الجامعة وكانت مكتبة جامعة ستراسبورج تحتفظ بنماذج فاخرة فخمة من كتاباته إلى أن دمرت الجيوش البروسية المكتبة والمدينة سنة ١٨٧٠م. ونستطيع أن نكتشف موهبة ومهارة الخطاط من النماذج المحفورة على المعادن.

ومن المرجح أن فوست استدعى ابنه بالتبنى من باريس إلى ماينز حوالى سنة ١٤٥٢م حتى يستفيد من خبرته فى أعمال الطباعة لعدة أسباب من بينها معرفته باللغة اللاتينية؛ وأنه كان خطاطًا ماهرًا كما كان ماهرًا فى أشغال المعادن. ومن المؤكد أن فوست لم يجد من هو أحسن من شوفر. وبكل المعايير أصبح شوفر تلميذ جوتنبرج النهم لتعلم الفن الجديد والذى لم يلبث أن اخترق كافة أسراره. ويمكننا أن نستنتج تعاونه الوثيق وإسهامه فى أنماط المزامير الصغيرة والكبيرة على السواء؛ بل يذهب الثقاة إلى أن بنط صك الثلاثين سطرًا يكشف عن خط يده. وكان من الطبيعى أن يظهر اسمه بين شهود فوست ضد جوتنبرج فى وثيقة هيلما سبرجر حيث وصف باكليرى دوقية ماينز.

وهناك قصة رومانسية بديلة يذكرها المؤرخون لتبرير استدعاء فوست للإكليرى الشاب من باريس وهى أن يكون معلمًا لابنته كريستين، ولم يلبث أن وقع فى غرام تلميذة المدرسة واضطر أن يترك وظيفته الدينية حتى يظفر بيدها. وقد بارك الأب المتبنى (الحمو فيما بعد) نوايا ورغبات الإكليرى الشاب. وهكذا اضطر هذا الشاب الموهوب أن يحول ولاءه من رب العمل جوتنبرج ويعمل وفق مشيئة ورغبة فوست الشخصية. وبمعنى آخر توقف بيتر شوفر عن مساندة ودعم أستاذه الذى علمه كل أصول الصنعة، ومن ثم حملها إلى المالك الجديد. وكل ما يمكن إثباته بيقين فى هذه القصة هو أن بيتر شوفر قد تزوج بالفعل إبنة فوست المدعوة كريستين فى النهاية.

إن الدليل على هذه الجزئية نجده فى حرد متن حوليات الأب تريتميوس حيث ذلك ابن بيتر شوفر من كريستين فى سياق تلك الظروف:ـ

"الحوليات التى بين أيدينا تم طبعها والانتهاء منها سنة ١٥١٥ لسيدنا فى عيد سانت مارجريت فى المدينة النبيلة الشهيرة ماينز المخترعة الأولى لفن الطباعة هذا، وذكر على يد جوهان شوفر حفيد جوهان فوست المواطن فى ماينز المؤلف الأول للفن المذكور والذى بدأ يستوعب فن الطباعة ويسبر غوره من خلال مواهبه الخاصة سنة ١٤٥٠م. وفى سنة ١٤٥٢م فقط بلغ هذا الفن تمامه على يده بمعونة من الله وقد طوعه لطباعة الكتب بمساعدة إبنه بالتبنى بيتر شوفر من جيرنشايم الذى أعطاه ابنته كريستين زوجة له مكافأة على كل الجهود والاختراعات العديدة التى قدمها. لقد أبقى كل من فوست و بيتر شوفر هذا الفن سرًا وحملوا كل عمالهم وأفراد عائلتهم على أن يقسموا على عدم إذاعة هذا السر بأية طريقة كانت. واعتبارًا من ١٤٦٢ فصاعدًا بدأ هذا الفن ينتشر رغم ذلك عن طريق نفس هؤلاء العمال فى كل دول العالم التى أعطته أبعادًا جديدة".

لقد كان النص اللاتينى لهذا الكولوفون محل دراسات عديدة منذ فترة طويلة لما يلقيه من ضوء على محاولات جوهان شوفر لتضليل الأجيال اللاحقة كلها لطمس معالم إنجاز جوتنبرج والمبالغة فى دور فوست. وفى الحقيقة فإن غرض جوهان شوفر واضح وشفاف تمامًا ويمكن تعقبه فى العديد من الكولوفونات اللاحقة لوالده. وعلى الرغم من أن مثل هذه المغالطات التاريخية كانت موجودة على امتداد العصور الوسطى إلا أنها كانت تبلغ الذروة فى الأساطير والخرافات التى تحاك حول القديسين والحكام وكلها تكشف عن عدم احترام نسبى للحقيقة والصدق.

وعلى الرغم من تلك النقائص فى شخصيته إلا أن بيتر شوفر يبقى علمًا فى المجال قدم إسهامات وإضافات أدت إلى تطوير له شأنه فى فن الطباعة يستحق التقدير والثناء. لقد طور إنتاج الكتب بروح المخترع. وقد ساهم عمله الأول كخطاط فى تطوير الجوانب الجمالية فى فن الطباعة.

فى الرابع عشر من أغسطس سنة ١٤٥٧م خرج من دار الطباعة فى همبرختهوف كتاب جميل هو "المزامير الكبرى" أو "مزامير ماينز". ولأول مرة فى تاريخ الطباعة تعطى بيانات الطابع فى الكتاب ويكشف بيان الطبع عن أن الطابعين هما: مواطن ماينز جوهان

فوست و بيتر شوفر من جيرنشايم. وفى إحدى النسخ التى وصلتنا بين عدد آخر نجد علامة الطابع لأول مرة فى تاريخ الطباعة وهى علامة فوست و شوفر الشهيرة مطبوعة باللون الأحمر. وحرد المتن الموجود بالكتاب يجعل من هذا العمل أقدم كتاب يحدد متى وأين وعلى يد من تم إنتاجه. ومما يجب أن نتوقف أمامه ونلتفت إليه أن هذا الكتاب بأكمله مطبوع حتى أولياته الملونة ولم يدخله أى خط يد على الإطلاق.

وحتى اليوم تعتبر مزاميرماينز واحدة من أجمل كتب العالم وهى كإنجاز فنى تقف جنبًا إلى جنب مع كتاب جوتنبرج المقدس. ومن الطبيعى أن تكون الأبناط الكبيرة والصغيرة التى أعدت خصيصًا لهذه المزامير هى بداية الجمال فيها ولكن من نواحى الجمال الخاصة فى هذه المزامير هى الأوليات الملونة بلونين والحروف الأونسيال أو اللومباردية المطبوعة بالحمرة وحدها. الحروف الكبيرة فى هذه المزامير ممثلة بمالا يقل عن ٢٢٨ بنطًا مختلفًا والحروف الصغيرة بمالا يقل عن ٢١٥ بنطًا. ويضاف إلى ذلك ٢٤حرف أونسيال أولى تنتمى إلى أبناط المزامير الكبيرة و٢٩ حرفًا أونسيال تنتمى إلى الحجم الصغير؛ ومجموع الأبناط المستخدمة يصل إلى ٤٩٥ بنطًا بما يزيد بنحو ٢٠٠ بنط عما استخدم فى تنضيد الكتاب المقدس ذى الاثنين والأربعين سطرًا وتجمل بعض المصادر أوليات المزامير فى ٢٨٨ حرف أول تقع فى ثلاثة أحجام. ولم يكن هناك كتاب أكثر إرهاقًا فى إعداده للطبع أكثر من هذا الكتاب وفى الطبع الفعلى له. إن الدقة المتناهية فى تحبير الحروف الأولى باللونين الأحمر والأزرق وتحبير الزخارف يوحى بأنه تم سحب جزءى الأوليات هذه من الفورمة المحبرة وتنظيفهما وإعادة تحبيرهما كل منهما على حدة كل منهما بلون ثم إعادة تثبيتهما داخل النص الأسود وذلك حتى يمكن طباعة الألوان الثلاثة فى ضغطة واحدة. وعلى الرغم من وجود اختلافات طفيفة بين الفروض التى وضعت حول احتمالات تصنيع تلك الحروف الأولية ذات اللونين، إلا أن دقة الصنع والفكر العميق الكامن خلفهما قاد الجميع إلى رأى واحد هو عبقرية يوحنا جوتنبرج التى أنتجت هذا كله.

إن تصميم وتنفيذ بنطى المزامير وكذلك حروف الأونسيال والأوليات المركبة الملونة لابد وأن يكون قد تم قبل نشوب النزاع بين فوست و جوتنبرج. أما الطباعة الفعلية فقد

بدأت سنة ١٤٥٦م واستمرت خلال نظر الدعوى القضائية فى المحكمة ولذلك فإن المرء لابد وأن ينظر إلى مزامير ماينز على أنها من عمل جوتنبرج أو على الأقل جزء منها من عمله. وفى الوقت نفسه تؤكد هذه المزامير على قدرة فوست وشوفر على تنفيذ عمل المخترع العظيم جوتنبرج بكفاءة واقتدار وأستاذية. لقد كانت نيتهما قد انصرفت إلى الظهور أمام عمال الورشة وأمام كل المراقبين للأحوال فى ماينز على أن الإدارة الجديدة ليست أقل كفاءة بأى حال من الإدارة السابقة عليها. لقد سعيًا إلى التفوق على جوتنبرج ومحو اسمه وجهده من الذاكرة. وفى هذا الصدد نستطيع أن نخمن أن دوافع فوست كانت تجارية بالدرجة الأولى بينما دوافع شوفر تكمن فى طموحاته فى أن يخطف الأضواء من جوتنبرج.

ومن المعروف أن كتاب المزامير يضم الأناشيد والترانيم والصلوات المقدسة المائة والخمسين التى يتألف منها سفر المزامير فى الكتاب المقدس، إلا أن مزامير ماينز ليست مجرد مجموعة أغانى المديح والشكر والترانيم الشعبية وتلك التى تستخدم فى المعبد والمزامير المتعلقة بمجيء المسيح وأغانى الملوك والأحزان إلى جانب أغانى التكفير والتوبة؛ إنها أكثر من هذا وأبعد من هذا إنها كتاب صلاة لأنها تحدد المزمور كشعيرة معينة تؤدى فى ساعة بالذات من ساعات الصلاة إلى جانب سبع أغان للمديح وصلوات وقصائد من العهد القديم وثلاث من العهد الجديد؛ وبعد هذا كله تأتى المائة والخمسون مزمورًا على نحو ما وصفت به سابقًا مصحوبة بترانيمها التجاوبية. يلى المزامير الصلوات القصيرة والابتهالات الخاصة بكل القديسين، وصلوات الميت وأخيرًا التراتيل وهى عبارة عن مجموعة من القصائد القصيرة للأعياد الدينية.

وأى كتاب من هذا النوع يحتاج إلى أن يطبع فى حروف كبيرة حتى يتمكن قائد الجوقة وكذلك أعضاء جوقة المنشدين فى الكنيسة أن يقرأوه بسهولة ويسر. وما تزال غرفة الذخائر فى كنيسة كاتدرائية ماينز تحتفظ حتى اليوم بكتب الإنشاد التى اتخذت نموذجًا لإخراج كتاب المزامير. ومزامير ماينز المطبوعة سنة ١٤٥٧م مثل تلك المجلدات المخطوطة تضم نوتات موسيقية ونونات الموسيقى متعددة الأصوات قام بإدخالها محرر أو

ربما قائد الجوقة نفسه. وطالما أن كتاب المزامير كان أداة لا غنى عنها لتأدية الخدمة فى الكنيسة فقد كانت هناك حاجة ماسة إليه فى الأديرة والكنائس ولابد من أن يقتنى فيها بلا جدال. من هذا المنطلق فإن مزامير ماينز لم تجلب فقط البركات الكنسية على الطابعين الأساسيين فيه وإنما جلب لهما كذلك النجاح التجارى فيما بعد.

وأكثر من هذا فإن كتاب مزامير ماينز صدر فى إصدارة ثانية تقتصر على ٢٤٦ صفحة فقط حيث حذف منها عدد كبير من الأغانى التى لا تنشد فى الخدمة العادية فى الكنائس. ومن حسن الحظ أنه قد وصلنا خمس نسخ من كل إصدارة من هاتين الإصدارتين مما يجعل كتاب المزامير على نفس قدر أهمية الكتاب المقدس ذى الاثنين والأربعين سطرًا.

لقد تردد فى المصادر المختلفة أن أهم كتاب فى العصور الوسطى هو كتاب القداس (الذى يشتمل على كل ما يقال وينشد فى القداس على مدار السنة بأكملها). وكان جوتنبرج قد خطط لإصدار كتاب القداس المعيارى الذى غدا ضرورة ملحة بعد جهود جهة الإصلاح الدينى؛ بيد أن أية محاولة لتوحيد كتاب القداس باءت بالفشل وعلى العكس من ذلك قامت الإمبراطورية المقدسة بقهر أية أفكار إصلاحية تم التعبير عنها فى مجلس بازل، ومن هنا لم يستطع فوست و شوفر أن ينفذا خطة طبع كتاب القداس. فقد كشفت الظروف عن أن كل دوقية كانت تحتاج إلى كتاب القداس الخاص بها وحدها على نحو ما كان معمولاً به من قبل. وكل طبعة يجب أن تقوم على عدد النسخ التى تطلبها كل أبرشية على حدة. ورغم ذلك فقد كان هناك جزء من كتاب القداس يجب أن يظل موحدًا طبق الأصل لجميع الكاثوليك الرومان فى كل أنحاء الدنيا وهو ما عرف بالقداس القانونى أو قانون الصلاة الجامعة الذى يبدأ من القداس حتى العشاء الربانى. ولقد تم طبع هذا القسم فيما يظن سنة ١٤٥٨م بأبناط المزامير الصغيرة والكبيرة وبنفس المعايير ومستويات الجودة العالية التى نصادفها فى مزامير ماينز وهذا القسم يقع فى ٢٤ صفحة فقط من القطع الكبير. وقد تم تصميم وقطع أحد الحروف الأولى ذات اللونين خصيصًا لهذا القداس القانونى.

وفى سنة ١٤٥٩م تم إصدار طبعة أو إن شئنا الدقة إعادة طبع معدلة من مزامير ماينز

قام بها أيضًا فوست و شوفر عرفت باسم "المزامير البندكتية". وفى هذه الطبعة تم إعادة ترتيب المزامير طبقًا لكتاب الصلاة فى الأديرة التى دخلها الإصلاح بعد مجلس بيرسفيلد، كما تم استخدام قطع أكبر من الورق يتمشى مع الحجم الكبير للبنط. ومن حيث جمال الطباعة ونوعيتها فإن هذه الإصدارة تفوق الطبعة الأصلية الصادرة سنة ١٤٥٧م؛ ومن الواضح أن تمويل تلك الإصدارة والتكليف بطبعها جاء من طائفة البندكتيين مباشرة. وبالمناسبة كشفت عقود هذه الإصدارة وغيرها عن وجود روابط متينة بين شوفر والبندكتيين، وكان جوتنبرج يفضل الفرنسسكان. ومن الجدير بالذكر أن الخلافات الديرية التى وقعت فيما بعد جددت تلك التحالفات وأعطتها أهمية خاصة.

كان رابع إنتاج متميز خرج من ورشة فوست و شوفر هو كتاب جويلليموس دوراندوس الموسوم "Rationale divinorum offi ciorum" والذى تم الانتهاء منه فى ٦ من أكتوبر ١٤٥٩م وكان شوفر قد توفر على تصميم بنط جديد وصغير جدًا لهذا الكتاب خصيصًا والذى رغم حجمه الصغير فإنه واضح مقروء جدًا من نوع الغوطى الرومانى وقد تم تصميمه على غرار خط يد أحد الانسيين واسع الانتشار آنذاك. وقد نضد النص على عمودين على صفحات الكتاب الذى يقع فى قطع الفوليو؛ والسطور فيما عدا استثناءات قليلة متساوية الأطوال والنهايات. والحروف الأولى الملونة فى بداية الكتاب مطبوعة مع النص ولكن فى بقية الكتاب أى نحو ١٦١ ورقة تمت إضافة الأوليات هذه بخط اليد. وربما كان طبع هذا الكتاب أيضًا عن طريق التكليف والتمويل الخارجى لأن هذا الكتاب من تأليف دوراندوس كان ينظر إليه على أنه المصدر الأساسى للطقوس والشعائر وعلاقتها الرمزية بالمبانى والأثاثات والملابس.

وقد استخدم هذا البنط فى عدد آخر من الكتب فى مجال القانون الكنسى كان السوق فى مسيس الحاجة إليها وخاصة طلاب الشريعة المسيحية. وكان طبع تعاليم Constitutiones البابا كليمنت الخامس اعتبارًا من سنة ١٤٦٠م، كما شهدت سنة ١٤٦٥ ظهور كتاب البابا بونيفاس الثامن المعنون Liber Sextus Decretalium. ومن الجدير بالذكر أن شوفر كان يتطور ويخطو نحو الطابع الذى ينشر الكتب التى تحتاجها الكنيسة.

وبصفة عامة فإن دار فوست و شوفر كانت تفضل الكتب التى لها سوق مؤكدة، وفى نفس الوقت كان خلفاء جوتنبرج ما يزالون متمسكين بالمعايير الجمالية العالية فى إنتاجهم. ويستحق بيتر شوفر وسام الاستحقاق على المستوى الفنى العالى فى تلك الكتب. وفى الرابع عشر من أغسطس ١٤٦٢م ــ أى قبيل سقوط وسلب ونهب ماينز مباشرة ــ صدر الكتاب المقدس ذو الثمانية والأربعين سطرًا فى بنط غوطى رومانى جديد من حجم كبير أيضًا من دار فوست و شوفر. وفى هذه المرة نصادف علامة الطابع مثبتة بعد حرد المتن فى كل نسخ الطبعة لأول مرة. ومايزال هناك الكثير لنقوله عن طبع صكوك نيوهاوزن (الآن هى جزء من وورمز) وكذلك عن طبع الفروخ العريضة وكلاهما لكبار أساقفة ماينز المتحاربين، ذلك الطبع الذى وقع فى دار همبرختهوف.

مطبوعات صغيرة وتقاويم

ببنط دوناتوس/ كالندر

غادر يوحنا جوتنبرج دار الطباعة فى همبرختهوف وعاد إلى دار الطباعة الأصلية فى جوتنبرجهوف. هنا فى جوتنبرجهوف طبع كتاب دوناتوس ذو السبعة والعشرين سطرًا اعتبارًا من ١٤٤٨م ومن الجدير بالذكر أن الطبعات الأولى من الاثنتى عشرة طبعة التى وصلتنا كانت قد طبعت فى ستراسبورج وليس فى ماينز وحيث تم تأريخ "نبوءات سبلين" ما بين ١٤٤٠ و١٤٤٤م. وفى السنوات ما بين ١٤٥٠ حتى ١٤٥٥م حين وجه جوتنبرج كل قواه لتأسيس أعمال الشراكة فى همبرختهوف وطبع الكتاب المقدس ذى الاثنين والأربعين سطرًا، فى تلك السنوات يبدو أن هنريتش كيفر و بختولف فون هاناو قاما بمبادرة منهما بالاستمرار فى العمل وإدارته فى جوتنبرجهوف. ورغم أن وثيقة هيلماسبرجر تشير إليهما على أنهما خادمًا جوتنبرج إلا أننا لا ينبغى أن نفهم المصطلح بمعناه الحرفى الحديث. لقد غدا هنريتش كيفر و بيرتولد روبيل ــ على نحو ما اشتهر به هذا الأخير ــ من الشركاء الشبان لـ يوحنا جوتنبرج خاصة بعد المعاناة المالية التى مر بها وعلى ضوء ما تميزًا به فى عملهما فيما بعد. وربما كان وضعهما نفس وضع شركاء جوتنبرج فى ستراسبورج حيث كان لكل منهما حصة أو نسبة مالية معينة فى مشروعات جوتنبرج

ولذلك حرصًا على إنجاح المشروع وتحقيق ربحية ولابد أن تكون دار الطباعة فى جوتنبرجهوف قد حققت أرباحًا ذات بال من وراء طبع صكوك قبرص ذات الواحد والثلاثين سطرًا وطبع كتاب دوناتوس فى الفترة ١٤٥٤ ــ ١٤٥٦م.

ومن نوافل القول أنه كان يتخلل طبع كتاب دوناتوس إنتاج مطبوعات صغيرة بنفس بنط دوناتوس/ كالندر. ومن المعروف أن التقاويم كانت واسعة الانتشار فى ذلك الوقت وكانت مبيعاتها والعائد الاقتصادى من ورائها تبرر طبعها بأعداد كبيرة.

ومع ذلك فقد كان هناك استثناء من ذلك فيما عرف بالتقويم التركى عن سنة ١٤٥٥م والذى كان فى حقيقة أمره عملاً سياسيًا عنيفًا ضد الترك والذى استخدمت تقسيماته الشهرية وخصائص التقويم فيه كأداة لشحذ وشحن إرادة العالم المسيحى ضد خطر الغزو التركى الذين استولوا على القسطنطينية فى التاسع والعشرين من مايو ١٤٥٣م وبعدها هددوا جنوب شرقى ووسط أوربا. وهذا التقويم التركى يتألف من ست ورقات من حجم الكوارتو. وقد افتتح التقويم بالعنوان: "تحذير للعالم المسيحى من خطر الترك" وبعده نصادف عنوانًا بعد آخر بعضها دينى وبعضها علمانى لحض العالم المسيحى على الدخول فى المعركة: فى يناير البابا؛ فى فبراير الإمبراطور؛ فى مارس حكام البلقان؛ الملكيات الأوربية المتعاونة فى إبريل؛ كبار الأساقفة فى مايو؛ دوفين فرنسا فى يونية؛ دوقات بيرجانديا وسافوى ولورين وكل سكان مكان فى يولية؛ فينسيا وغيرها من المدن الإيطالية والأمراء فى أغسطس؛ فى سبتمبر "جيرمانيا الأمة الألمانية النبيلة"؛ فى أكتوبر الأمراء الألمان، فى نوفمبر المدن الإمبراطورية الحرة، وبالنسبة لديسمبر ذكرت أخبار صد الكفرة على الحدود المجرية والذين وصلوا إلى فرانكفورت فى السادس من ديسمبر ١٤٥٤م. وبناء على تلك الخلفية يمكننا مطمئنين أن نؤرخ ذلك التقويم بتاريخ متأخر نسبيًا ولكن ليس بعد الأول من يناير سنة ١٤٥٥ طالما أن النص ينتهى بتهنئة بالسنة الأولى الجديدة والتى تم تنضيدها بالحروف المتحركة "سنة جديدة سعيدة".

ويلاحظ أن بعض معلومات التقويم تتبع أول طابع فى ستراسبورج (إذا أخرجنا جوتنبرج نفسه من السياق). إن من المحتمل أن يكون إيجشتاين قد حضر طبع الكتاب

المقدس ذى الاثنين والأربعين سطرًا واستمر فى العمل مع جوتنبرج بعد الدعوى القضائية. ولكن يبقى السؤال مفتوحًا مطروحًا هل قام هنريتش إيجشتاين بترتيب وتأمين عملية طبع التقويم التركى؟

إن لدينا بعض المعلومات اليقينية حول التاريخ الذى طبع فيه تقويم Aderlass und Laxier على الرغم من أنه لم تصلنا منه إلا قطعة واحدة من هذا الفرخ العريض، وحيث أنه قصد به أن يستخدم لسنة ١٤٥٧م فلابد أن يكون قد دخل إلى المطبعة فى السنة السابقة أى ١٤٥٦. وهذا التقويم يحدد الأيام المتوقعة لسفك الدماء وضبط الأزمات "المفلوتة" فى سنة ١٤٥٧م طبقًا لمؤشرات التنجم وعلم النجوم.

كذلك فإن Cisianus zu deutsch هو بالمثل تقويم على فرخ عريض يستخدم كوسيلة لتعليم التواريخ على نحو ما تظهر عليه كل سنة وقد اشتهر بين الناس باسم "سيزيانوس" المختصر؛ وهو عبارة عن ترجمة إلى الألمانية للتقويم اللاتينى وهو يبدأ بالكلمات Cisio Janus ولابد أن يكون قد طبع بعد تقويم Adler lass und Laxier طالما أن حروف سيزيانوس تبدو متآكلة أكثر. وقد وصلتنا نسخة واحدة من هذا التقويم مطبوعة على ورق من حجم $17\frac{1}{4} \times 12\frac{1}{4}$ بوصة ويحمل الورق علامة مائية على هيئة رأس الثور تمامًا مثل تلك العلامة الموجودة فى ورق الكتاب المقدس ذى الاثنين والأربعين سطرًا كذلك فإن من المحتمل أن يكون "المنشور التركى" الذى أصدره البابا كاليكتوس الثالث الذى خلف البابا نيقولاس الخامس عقب وفاته، قد طبع سنة ١٤٥٦م أو نهاية ١٤٥٥م. ذلك أنه فى ٢٩ من يونية سنة ١٤٥٥م دعا البابا الجديد إلى حملة صليبية ضد الأتراك تبدأ فى الأول من مايو سنة ١٤٥٦ وكان لابد من توزيع ذلك المنشور الذى طبع بالألمانية واللاتينية قبل بدء الحملة بعدة أشهر. وكانت الحملات الإعلامية والدعاية التى تقوم بها الكنيسة فى ألمانيا قد عهد بها إلى الأسقف هنريتش كالتسين من تروندهايم والمولود فى كوبلنز والذى ترجم هذا المنشور إلى الألمانية بنفسه؛ وربما يكون هو أو أحد مساعديه قد رأوا الفوائد العظيمة التى يمكن الحصول عليها من وراء طبع ذلك المنشور.

وتبدأ الترجمة الألمانية من ذلك "المنشور التركى" بالعبارات الآتية: "هذا هو المنشور البابوى وصك الغفران الألمانى ضد الأتراك الأشرار الطغاة الملعونين سنة ١٤٥٦م" وهذا المنشور يتألف من ١٤ ورقة مطبوع على ورق وحجمه ٨ ١/٤ × ٥ ١/٢ بوصة والنص مطبوع على ٢٥ صفحة فقط.

كذلك يمكننا مطمئنين أن نعزو إلى سنة ١٤٥٦م استنادًا إلى حالة بنط دوناتوس/ كالندر وأسلوب التنضيد طبعة من كتاب "الاقليم الرومانى" أو قائمة بكل الأسقفيات فى جميع أنحاء العالم. هذه الطبعة تم اكتشافها سنة ١٩٤١م فى كييف ولا تنقص هذه الطبعة سوى الورقة الأولى والورقة الأخيرة والصفحات من ٣ حتى ١٨ فى حالة جيدة تمامًا. وقد تم تمييز اسم "ألمانيا" فى بداية القسم الخاص بالأسقفيات الألمانية بحرف أول محمر مما يفترض معه أن من قام بتمويل طبع ذلك العمل اللاتينى كان له اهتمام خاص بمقاطعات ألمانيا الكنسية. وربما نستنتج من هذا العمل وجود علاقة بين طباعته ومحاولة البابا كاليكسوس إرسال الكاردينال نيقولاس الكيوسى إلى أقاليم الراين ولكن فى اللحظات الأخيرة عدل عن هذا الإرسال وانسحب نيقولاس من البعثة ومن ثم فإن علينا أن نبحث عمن يكون كلف طبع هذه القطعة من بين المقربين من كبير أساقفة ماينز أو من شريف ماينز جولدنشاب الذى أقام معه نيقولاس الكيوسى خلال زياراته السابقة والذى أسس فيها بعد دار طباعة خاصة به.

وثمة فرخ عريض آخر يرجع إلى تلك الفترة الباكرة وهو الصلاة اللاتينية المعنونة "Res Bice domine Sancte pater" والتى كتبها إكبرت فون شونا وحيث يظهر فيه عدم استواء نهايات السطور نفسها وانتظام مستوى الحروف. وحجم هذه الورقة هو ١١ ١/٢ بوصة × ٨ بوصة وهناك بعض التقصفات فى الهامش العلوى مما يوحى بأن هذا الفرخ كان معلقًا فى خطاف. وكان فكرة تعليق مثل هذه الصلوات قد نبعت من نيقولاس الكيوسى الذى عبر خلال تفتيشه السابق للدوقيات الألمانية أن تعلق نصوص الصلوات على جدران الكنائس حتى يتعلمها ويستوعبها المتعبدون على وجهها الصحيح.

وآخر التقاويم والقطع الصغيرة التى طبعت ببنط دوناتوس/ كالندر هو المعروف

باسم "التقويم الفلكى لعام ١٤٤٨م". هذا التقويم له أهمية محورية فى دراسات وبحوث جوتنبرج على الإطلاق ولأن تاريخه قد تأكد تمامًا بسنة ١٤٤٨ فقد اعتبر حجر الأساس فى تأريخ منظومة المطبوعات الباكرة كلها. هذا الفرخ العريض بحجمه العريض البالغ ١/٤ ٢٨ بوصة × ١/٢ ٢٦ بوصة يتألف فى حقيقة الأمر من ست قطع لصقت معًا كل تحمل مساحة مطبوعة بحجم ١/٢ ١٠ بوصة × ٧ بوصات ولم يصلنا منها سوى القطع التى تحمل الفترة الزمنية من يناير إلى إبريل. ومن الطبيعى أن يلجأ الطابعون إلى طبع كل قطعة منفصلة عن الأخرى لأن إمكانيات الطابعات فى ذلك الوقت لم تكن تتسع إلا لمساحة أقصاها ١٢ بوصة × ٨ بوصات. ومن حيث المحتوى فإن "التقويم الفلكى" يسجل تسجيلاً كاملاً حسابات وبيانات سنة ١٤٤٨م؛ وإن كان الهدف الحقيقى وراءه أن يعتبر قائمة مواقيت للاستخدام اليومى من جانب المنجمين الشعبيين؛ كما يكشف هذا التقويم عن مواقع الكواكب فى دائرة البروج والأقمار الجديدة والكاملة بقصد عمليات التنبؤ. وكان من المعروف أن البيانات التى يتضمنها هذا التقويم تبقى ثابتة لفترة تتراوح بين ٢٠ ــ ٣٠ سنة بعد سنة الأساس ١٤٤٨م التى أعد فيها التقويم وكان من المعروف ولوقت طويل أن الفلكى الشهير فيما بعد: ريجيومونتانوس هو الذى أعد هذا التقويم كتكليف دراسى وهو طالب فى ليبزج وذلك لإعادة حساب المعلومات الفلكية عن تلك السنة بالذات، أى سنة ١٤٤٨م. وكان جورج فون بورباخ و ريجيومونتانوس هما أول فلكيين فى العصر الحديث يحددان خسوف القمر بدقة متناهية فى التاسع من سبتمبر ١٤٥٧ فى مِلك. ومرة أخرى نصادف فورة حماس ثانية من جانب نيقولاس الكيوسى الذى وجد أنه من الضرورى إدخال إصلاحات جذرية ومراجعات شاملة لجداول ألفونس خلال انعقاد مجلس بازل. وقد طفق يشتغل بهذا الإصلاح هو وصديقه الكاردينال اليونانى بيزاريون مع كل من بورباخ و ريجيومونتانوس سابقى الذكر. وليس هناك ما يدل على أن جوتنبرج قد تلقى مخطوطة هذا "التقويم الفلكى" من نيقولاس الكيوسى نفسه مباشرة ولكن اهتمام جوتنبرج بهذا الأمر جاء نتيجة لحماس الكاردينال له.

من جهة أخرى قام كارل فهمر سنة ١٩٤٨ باعداد دراسة مستفيضة لبروفات كانت

قد اكتشفت حديثًا مطبوعة بنفس بنط التقويم الفلكى ومدعومة بدراسات أخرى قام بها فيكتور ستيجمان للمحتويات الفلكية للتقويم، قام باستنتاج أن التقويم طبع بعد التاريخ المعلن بعشر سنوات أى ١٤٥٧/ ١٤٥٨م. ومن الواضح أن أى تقويم يقصد به ــ مثل ذلك التقويم ــ أن يخدم كأساس للتنبؤات يجب أن يقدم أيضًا خريطة البروج المولودة فى وقت مبكر ومن هذا المنطلق فإن مواقع الكواكب يجب أن تكون أقدم من تاريخ طبع التقويم. وقد أثار هذا التاريخ المبكر للتقويم تساؤلات كثيرة وجدلاً وخاصة أن حالة الأبناط تشى بأنه لابد وأن يكون قد طبع بعد "المنشور التركى" سابق الذكر. وأكثر من هذا فإن الحروف الفردية تبدو ناضجة فى التقويم الفلكى مما يحملنا على الاعتقاد بأن أول ظهور لها جاء بعد إعادة صياغة بنط دوناتوس/ كالندر، كى تستخدم فى الكتاب المقدس ذى الستة والثلاثين سطرًا. وإن كانت هذه الملاحظات جميعًا لا تنهض دليلاً على تقدم تاريخ دوناتوس ذى السبعة والعشرين سطرًا أو نبوءات سبلين. إن من المنطقى أن نرتب المطبوعات التى طبعت ببنط دوناتوس/ كالندر حسب الحالة المادية للأبناط، ولكن على أن نضع فى الحسبان كذلك فى نفس الوقت العوامل الخارجة كالاعتبارات السياسية والاجتماعية عند تأريخ أية قطعة مطبوعة.

وعندما نأخذ الأمر برمته فإن من الجدير بالذكر أن كل المطبوعات الصغيرة التى طبعت بأبناط دوناتوس/ كالندر وصلنا نصفها على الأقل إما فى نسخة واحدة أو فى كسرة غير كاملة. ويقودنا ذلك أيضًا إلى استنتاج أنه مايزال هناك عدد كبير من المطبوعات قد اختفى من الوجود وتلاشى دون أثر أو أنه فى انتظار الاكتشاف. ويبدو لنا أن العمل الرئيسى فى دار الطبع فى جوتنبرجهوف تركز أساسًا على طبع كتاب دوناتوس. إن الطبعات السبع من دوناتوس ذى الثلاثين سطرًا قد أتبعت فيما يظهر لنا بطبعتين أخريين من نضيدة الستة والعشرين سطرًا والتى تشبه فيهما حالة بنط دوناتوس/ كالندر تلك الموجودة فى التقويم الفلكى مما يعنى أنهما كانتا قد صدرتا فى سنة ١٤٥٧/ ١٤٥٨م.

ولكن إلى أى حد كان يوحنا جوتنبرج بشخصه ضالعًا فى تلك المطبوعات الصغيرة؟

لقد استوعب الرجل خسارته للدعوى القضائية ومصادرة دار الطباعة فى همبرختهوف وتبدد أحلامه فى خططه المستقبلية؛ ويرى البعض أنه لم يخرج من تلك الأزمة خالى الوفاض تمامًا ومن المؤكد أنه قد شق عليه أن يرجع أدراجه إلى الإمكانيات الطباعية المحدودة فى جوتنبرجهوف؛ ومن السهل علينا أن نقتفى أثره ونستدل على تأثيره فى اختيار موضوعات الأعمال التى تطبع فى عناوين مثل "المنشور التركى"؛ "التقويم التركى" إلى جانب بطبيعة الحال "التقويم الفلكى".

فى الحادى والعشرين من يونية ١٤٥٧م ظهر اسم جوتنبرج كشاهد فى وثيقة قانونية فىماينز، وإن كانت محتوياتها أو موضوعها ليست له أهمية تذكر وتتعلق ببيع عقار مثقل بفوائد ديون دائمة لصالح كنيسة سانت فيكتور فى ماينز. وعلى الأقل تظهر هذه الوثيقة يوحنا جوتنبرج كرجل محترم صاحب ممتلكات فى ذلك الوقت. وقد تم عقد اتفاق البيع فى منزل ليونارد منجوس الشماس فى سانت فيكتور وربما تؤكد لنا تلك الوثيقة على أن جوتنبرج كان عضوًا فى رابطة أخوة سانت فيكتور آنذاك. ولكن على الجانب الآخر فإن سجل حسابات فرع سانت توماس فى ستراسبورج يقدم معلومات غير سارة عن جوتنبرج إذ يكشف عن أن جوتنبرج منذ ١٤٥٨م قد تخلف عن الوفاء بدفع أربعة جنيهات كفائدة سنوية عن قرض ٨٠ جنيها أو دينارًا كان قد اقترضه سنة ١٤٤٢م. وفى سنة ١٤٥٧/ ١٤٥٨ تم إثبات دفع شلنين نفقة لمحاولة القبض على يوحنا جوتنبرج وضامنه مارتين بريختر. ويمكن أن نستنتج أن الفائدة المربوطة على تلك السنة قد دفعت، ولكن منذ ذلك التاريخ بدأ سجل حسابات فرع سانت توماس فى تسجيل وإثبات الفوائد المستحقة عليه اعتبارًا من ١٤٥٨ على التعاقب على أنها واجبة السداد لم تدفع؛ وحتى الأوامر القضائية التى أرسلت إلى ماينز لم تفلح فى العثور على الرجل وبات من الواضح أن جوتنبرج يعانى مشكلات مالية جمة.

الكتاب المقدس ذو الستة والثلاثين سطرًا

وقع باحثو جوتنبرج فى النصف الأول من القرن العشرين فى مأزق علمى من الصعب أن نقع فيه فى مطلع القرن الواحد والعشرين. هذا المأزق فى تلك الفترة هو أيها طبع أولاً

الكتاب المقدس ذو الستة والثلاثين سطرًا أم الكتاب المقدس ذو الاثنين والأربعين سطرًا. لقد وصلنا من الكتاب المقدس ذى الستة والثلاثين سطرًا ثلاث عشرة نسخة فى مجلدين باللغة اللاتينية وأحيانًا يجلد فى ثلاثة مجلدات بدلاً من اثنين وجدت جميعًا فى المكتبات وقد طبعت بالبنط الأصلى الذى استخدمه جوتنبرج من دوناتوس/ كالندر؛ ولذلك استنتج الباحثون من تلك المعلومة وحدها أن كتاب الستة والثلاثين سطرًا المقدس لابد وأن يكون أسبق من كتاب الاثنين والأربعين سطرًا المقدس. كما أن كتاب الستة والثلاثين سطرًا لم يطبع الطباعة الجيدة التى عليها كتاب الاثنين والأربعين سطرًا مما قوى هذا الزعم. والحقيقة أنه قد تم تجديد كل أبناط دوناتوس/ كالندر وأعدت إعدادًا جيدًا لطباعة هذا الكتاب المقدس ومع ذلك فقد افتقرت إلى الفخامة المطلقة. ومما ضاعف حيرة الباحثين أن الأوراق من الأولى وحتى الرابعة من المجلد الأول والأوراق الافتتاحية فى المجلد الثانى قد تم تنضيدها من مصدر مخطوط غير مألوف وغير معروف. وفيما عدا تلك الأوراق فإن باقى النص قد احتذى الكتاب المقدس ذا الاثنين والأربعين سطرًا. ولم تلبث قضية الأولوية أن حُلَّت.

يرى بعض المفكرين أن جوتنبرج باعتباره مالك بنط دوناتوس/ كالندر والذى كان منغمسًا فى طبع الكاثوليكون فى دار جوتنبرجهوف بين ١٤٥٨ و١٤٦٠م لم يكن ليقدر فى نفس الوقت أن يطبع ذلك العمل المستفيض أى الكتاب المقدس ذا الستة والثلاثين سطرًا. وفى المكتبة الوطنية الفرنسية بباريس ورقة واحدة من كتاب الستة والثلاثين سطرًا عليها تعليق من المحرر أن عمله قد تم الانتهاء منه سنة ١٤٦١م. ومنذ ذلك الوقت ثبت لنا بالقطع أن طابع بامبرج أولبرشت بفستر كان يعمل بالفعل فى أبناط كتاب الستة والثلاثين سطرًا فى العام ١٤٦٠/ ١٤٦١ وهو الوقت الذى ظهر فيه كتاب "إيكرمان البوهيمى" ولكن هذا الكتاب ملئ بالعيوب من النوع الذى لا يمكن أن يقع فيه أولبرشت بفستر عندما طبع الكتاب المقدس ذى الستة والثلاثين سطرًا.

وهناك جدل آخر لصالح بامبرج كموطن لطباعة ذلك الكتاب المقدس حيث أن هناك مالا يقل عن عشرة أنواع من الورق استخدمت فى طبع الكتاب المقدس ذى الستة

والثلاثين سطرًا وكل هذه الأنواع جاءت من مصانع ورق كلها تقع فى نطاق مدينة بامبرج وليس من بين هذا الورق كله ورقة واحدة من النوع الذى استخدم فى الطباعة فى ماينز آنذاك. ومن المعروف أن الورق يعتبر قرينة هامة فى بحوث المهاديات وأوائل المطبوعات لأنه عن طريق تصميم العلامات المائية ــ التى تشكل فى السلك الموجود فى أحواض صنع الورق ــ يمكن تحديد مكان وتاريخ صنع الورق موضوع الدراسة. إن المصدر الأصلى لكل النسخ والقطع التى وصلتنا من الكتاب المقدس ذى الستة والثلاثين سطرًا نجده فى أديرة ومجموعات بامبرج أو مناطق نفوذها. وأخيرًا فإنه من الثابت فى السجلات الرسمية أن الأمير الأسقف فى بامبرج جورج الأول فون شومبرج أهدى إلى دير الفرنسسكان فى كوبورج سنة ١٤٦٣م نسخة من هذا الكتاب المقدس على رق. وقد تم اكتشاف ثلاث ورقات من رقوق من هذا الكتاب المقدس فى كوبورج سنة ١٩٤٠م.

وبالصدفة البحتة فإن الموثق أولرخ هيلماسبرجر الذى وصف نفسه فى الوثيقة الشهيرة التى أتينا عليها من قبل بأنه إكليرى أسقفية بامبرج كان هو الشخص الذى أخطر الأمير الأسقف بالفن الجديد للطباعة، وربما يكون جورج فون شومبرج باعتباره خبيرًا عالمًا وراعيًا للعديد من الفنون هو الذى رعى مشروع طبع ذلك الكتاب المقدس وهناك من الشواهد ما يؤكد أن الكتاب المقدس ذا الستة والثلاثين سطرًا تمت طباعته بالتكليف المباشر وقد تحمل الأسقف الأمير تكاليف الورق والطباعة وتسلم كل نسخ الطبعة التى نعتقد أنها زادت عدة مرات عن الكتاب المقدس ذى الاثنين والأربعين سطرًا من واقع الإصدارات المختلفة التى وصلتنا من الأقسام الأولى. وهناك من يرى أن كتاب الستة والثلاثين سطرًا قد خطط له فى ماينز أصلاً حيث تم العثور على بروفة تجريبية ولو أنها تقع فى أربعين سطرًا مطبوعة على ورق دشت من مخطوطة سجل حسابات خاص بتاجر قماش من ماينز. وهناك فرضية أخرى هى أن جميع أبناط هذا الكتاب قد تم تصنيعها بالكامل فى دار جوتنبرجهوف ثم نقلت بعد ذلك إلى بامبرج.

لقد افترض الثقات أن هنريتش كيفر ونفر قليل من الزملاء لا نعرف أسماءهم قد صحبوا نقل تلك المعدات، بل وذهبوا إلى أبعد من ذلك فقالوا إن جوتنبرج لابد وأن

يكون قد أقام فى بامبرج من حين لآخر حيث كانت ورشة طباعة جديدة قد أسست هناك وبدأت طباعة جديدة هناك لدعم العمل الذى يجرى تنفيذه ويحتاج إلى أن ينهل من معين خبرة جوتنبرج. وهناك اسم آخر يجب ذكره فى هذا السياق هو جوهان سنسنشمدت من إيجر لأنه فيما بعد بين ١٤٦٩ و١٤٧٠م قام كيفر و سنسنشمدت بتأسيس أول مكتب للطباعة فى نورمبرج، وربما يكون سنسنشميدت. قد عمل مع جوتنبرج و كيفر فى ماينز مثلما فعل مواطن ماينز كونراد زننجر و أولرخ هان من إنجولستادت الذى أصبح أول طابع فى روما. بينما تعلم جوهان نيقولاى من بامبرج والذى اشتغل بالطبع فى بيروجيا اعتبارًا من ١٤٧٠ فصاعدًا و جورج هيرولت وهو أيضًا من بامبرج الذى اشتغل بالطباعة فى روما بعد ١٤٨١م، تعلما الطباعة "الفن الأسود" فى مدينتهم بامبرج خلال نفس الوقت الذى كان يطبع فيه الكتاب المقدس ذو الستة والثلاثين سطرًا أو ربما يكونا تعلما الطباعة فى ورشة أولبرشت بفستر. ومن الجدير بالذكر أن بامبرج نفسها تطورت إلى مركز انطلقت منه الطباعة إلى دول ومدن أخرى فى المستقبل.

عند التخطيط لإنتاج وطبع الكتاب المقدس الجديد صممت الصفحة بحيث تضم ٤١ سطرًا بالبنط المحَّسن من دوناتوس/ كالندر ولكن النقاش حول الجوانب الجمالية انتهى إلى نسب أفضل ومن ثم تم تقليص عدد السطور فى الصفحة إلى ٣٦ سطرًا مما أدى بالضرورة إلى توسيع العمل. إذ بينما احتل الكتاب المقدس ذو الاثنين والأربعين سطرًا ١٢٨٦ صفحة فإن نفس النص بالحجم الكبير احتل فى الكتاب المقدس ذى الستة والثلاثين سطرًا ١٧٦٨ صفحة ومن ثم كان كتاب الستة والثلاثين سطرًا أكثر بـ ٤٦٢ صفحة ولعل هذا يفسر توزيع بعض النسخ على ثلاثة مجلدات. وعلى الرغم من ضخامة العمل فإنه كانت هناك طابعتان فقط تقومان بطبع تلك المجلدات ويعمل على تغذيتها أربعة منضدين. وربما بسبب كبر حجم البنط وانخفاض عدد الأبناط صعب التحكم فى نهايات السطور وإتقانها على نحو ما هو موجود فى النموذج الذى احتذته هذه الطبعة وأعنى به الكتاب المقدس ذا الاثنين والأربعين سطرًا، ورغم ذلك فإن الكتاب المقدس ذا الستة والثلاثين سطرًا يعتبر بلا جدال من الأمهات كما غدا من المتفق عليه أن يكون طبع

هذا الكتاب قد تم بين ١٤٥٨ و١٤٦٠م ولكن الذى مايزال محل جدل حتى الآن هو هل كان هذا الكتاب من إنتاج جوتنبرج أم لا؟ إن العناصر الحاسمة فى هذا الكتاب أى الأبناط والتنسيق العام للكتاب هى من إسهامات جوتنبرج، ولكن هنريتش كيفر هو الذى أتم العمل وأوصل المشروع إلى نهايته ومن كونه خادمًا ومساعدًا لجوتنبرج على نحو ما وصف به فى وثيقة هيلماسبرجر، أصبح الرجل أسطى طابعًا بطريقته الخاصة.

إن من الصعب أن نقدر اليوم حجم طبعة الكتاب المقدس ذى الستة والثلاثين سطرًا. وكما ألمحت من قبل وصلنا من هذا الكتاب ثلاث عشرة نسخة إلى جانب بعض القطع والأوراق الفردية على رقوق. ومن بين التقديرات التى سيقت فى هذا الصدد: عشرون نسخة على رقوق وستون نسخة على ورق. إن مثل هذا التقدير كان كافيًا لسد احتياجات دوقية بامبرج فى ذلك الوقت.

لقد تم بيع كل الأبناط والورشة والطابعتين الخاصة بهذا الكتاب إلى أولبرشت بفستر بعد الانتهاء من طبع الكتاب بفترة ليست طويلة. وكان بفستر حتى ذلك الوقت سكرتيرًا للقسيس ثم (بعد ١٤٥٩) الأمير الأسقف فى بامبرج، جورج الأول فون شومبرج. لقد أدرك بفستر استخدامات أكثر لفن الطباعة ولذلك تخصص بعد ذلك ــ بعد طبع كتاب دوناتوس ــ فى نشر سلسلة من الكتب الشعبية الصغيرة باللغة الألمانية خاصة. وفى سنة ١٤٦١م نشر الرجل "إيكرمان البوهيمي" وصدرت طبعة ثانية منه سنة ١٤٦٣ والتى اشتملت على خمس صفحات كاملة مأخوذة عن كتل خشبية وفى سنة ١٤٦١م كذلك صدرت مجموعة من الخرافات من تأليف الكاتب السويسرى أولرخ بونر بعنوان "الحجر الكريم" وحازت نفس الشهرة والانتشار وتم تزيينه بنحو ٢٠٠ صورة مأخوذة عن كتل خشبية على الرغم من تكرار بعض اللوحات من موضع إلى آخر فى الكتاب مما يجعل بفستر أول طابع يربط بين الطباعة بالحروف المتحركة والإيضاحيات المطبوعة المأخوذة عن كتل خشبية. وعلى الرغم من تنضيده وطباعته لم يكن ليقارن بالجودة التى وصل إليها جوتنبرج أو فوست و شوفر، إلا أن منتجاته كانت تباع بسرعة لجودة النص والإيضاحيات.

وعن طريق مكتب الطباعة هذا فى بامبرج الذى أصبح فيها بعد ورشة بفستر انتشرت "طريقة الكتابة الجديدة" فيها وراء أسوار ماينز. ويجب أن نشير إلى وجود رعاة نشطاء ربطوا المدينتين معًا؛ وكانت الإضافة التى قدمتها بامبرج هى الإيضاحيات المأخوذة عن كتل خشبية والتى صحبت من الآن فصاعدًا الكتاب المطبوع فى انتشاره داخليًا وخارجيًا.

وهناك من الشواهد ما يؤكد أن هنريتش كيفر عاد إلى جوتنبرجهوف، وعندما عاد إلى بامبرج كانت نوعية الطباعة التى يقدمها بفستر قد تقدمت خطوات واسعة إلى الأمام.

من عساه يكون طابع الكاتوليكون؟

من الطبيعى أن يشعر يوحنا جوتنبرج بعد أن فقد كل شىء فى همبرختهوف أنه قد أصبح محاصرًا محدود الإمكانيات فى جوتنبرجهوف ولم يعد يجد فى الطبع الروتينى لكتاب دوناتوس أى تحدٍ لقدراته الإبداعية الخلاقة. لم ينكسر الرجل تمامًا بل بقيت فى رأسه بعض المشروعات الطموحة التى أراد بها أن يوسع مؤسسته الطباعية فى جوتنبرجهوف وكرس ما تبقى لديه من مال لتحقيق ذلك الهدف ولعل هذا يفسر أيضًا عجز الرجل عن تسديد فوائد الديون التى كانت عليه فى ستراسبورج على نحو ما كشفت عنه سابقًا. كذلك فإن من المتوقع أن مشروع طبع الكتاب المقدس ذى الستة والثلاثين سطرًا بأدواته وأبناطه الذى موله الأمير الأسقف جورج الأول فون شومبرج فى بامبرج قد أدر عليه بعض الدخل ولكن المبلغ المطلوب للمشروع الجديد كان كبيرًا ربما يقترب من المبلغ الذى انفق على إنتاج الكتاب المقدس ذى الاثنين والأربعين سطرًا ولذلك كان المخترع فى حاجة ماسة إلى ظهير مالى يمول ولو جزئيًا العمل الجديد ذلك الممول وجده فى شخص الدكتور كونراد هيومرى، كاتب مدينة ماينز وللمرة الثانية وضع آلاته ومعداته هنا مقابل ذلك التمويل أى فى مقابل رأس المال الذى يقدمه الدكتور هيومرى.

وهكذا فإن جوتنبرج بدأ يتعافى من كارثة الكتاب المقدس ذى الاثنين والأربعين سطرًا وبدأ يضع قدمه من جديد على بداية الطريق؛ رغم أنه هذه المرة لم تكن فرصة الربح والنجاح أمامه سهلة مضمونة. لقد كان انتصار جوتنبرج فى الدفاع عن اختراعه الفذ ممثلاً فى إتمام طبع الكتاب المقدس ذى الاثنين والأربعين سطرًا علامة بارزة رفعت درجة

إحساسه بذاته كثيرًا بعد عقود من الكفاح والصراع. ومن المؤكد أنه أحس بالآثار الضخمة التى أحدثتها اكتشافاته فى نشر الثقافة والعلم والمعرفة. وبينما استمر فوست و شوفر فى إحاطة مشروعاتها الطباعية وجهودهما فى تطويرها بأقصى درجة من السرية، فإن جوتنبرج قد عدل عن ذلك الاتجاه وأصبح يعلن عما يصل إليه من نتائج عكس ما كان عليه فى بداية حياته العملية؛ ولم تكن الطباعة لتتوطن فى بامبرج بدون موافقته على ذلك وحماسه الشديد له. واستطرادًا فى نفس الاتجاه نجد أنه فى سنة ١٤٥٧م أو حولها ترك هنريتش إيجشتاينماينز عائدًا إلى ستراسبورج ليمارس الطباعة هناك لأنه اعتبارًا من ١٤٥٨م بدأ صدور الكتب من ورشة الطباعة التى أسسها هنريتش إيجشتاين و جوهان منتلين. وتلحظ العين الخبيرة وجود علاقة وثيقة بين بداية الطبع فى بامبرج و ستراسبورج و عجز جوتنبرج عن تسديد فوائد ديونه لفرع سانت توماس فى ستراسبورج وكذلك الاقتراض من الدكتور كونراد هيومرى وبدء العمل فى طبع الكاثوليكون كل هذه الوقائع يجب ربطها ببعضها البعض وتنتظر الدراسة الدقيقة لها وإعادة النظر وإننا لعلى يقين بأن جوتنبرج حاول نشر الطباعة خارج ماينز حتى يكسر حدة احتكار وتفوق فوست وشوفر فى الطباعة التى قام باختراعها ووضع دار طباعة همبرختهوف فى حجمها داخل إطار من المنافسة الحرة المفتوحة أمام الجميع.

الكاثوليكون من تأليف جوهان بالبوس دى جانوا والذى نشر فى ماينز ١٤٦٠م، أحسن ما يمكن أن يوصف به هو أنه معجم لاتينى كبير إلى جانب قواعد نحو اللغة اللاتينية، والذى اعتبره المتعلمون فى ذلك الوقت دائرة معارف ينهلون منها. ومنذ ألف هذا العمل سنة ١٢٤٦م وهو وينسخ طوال عشرات العقود إلى أن تم طبعه بعد أكثر من قرنين من الزمان. ومن هذه الخلفية كان هناك إحساس عام بأنه هذا العمل الهام الشهير سيكون له سوق رائجة.

ومن الطبيعى أن يتطلب طبع هذا العمل الذى يقع فى ٧٤٤ صفحة من القطع الكبير من ٣٠٠ نسخة وبدرجة جودة عالية إمكانات مالية وبشرية فنية كبيرة. ولقد وصلنا من هذا العمل ٦٤ نسخة ورقية و١٠ نسخ على رق؛ وربما يجود علينا الزمن باكتشافات

جديدة وهى جميعًا تحتاج إلى دراسات مستفيضة حيث أن ما بين أيدينا من نسخ يكشف عن إصدار طبعتين أو ثلاثة من ذلك العمل. ولقد استخدم فى طبع هذا العمل بنط صغير نظراً للعدد الكبير من الصفحات الذى يقع فيه هذا المعجم بل يرى الخبراء أنه أصغر بنط استخدم فى الطباعة حتى ذلك الوقت. والبنط المستخدم فى المعجم هو الغوطى الرومانى الذى صمم على غرار خط اليد الذى استخدمه الكتاب الإنسيون وذلك على عكس النصوص الدينية التى يستخدم فيها خط تكستورا على نحو ما نصادفه فى كتاب جوتنبرج المقدس ومزامير ماينز، أو خط باستارد الغوطى المستخدم فى صك الثلاثين سطرًا. أما بالنسبة لبنك المعلومات أو دائرة معارف العلوم كما يحلو للبعض أن يسميها اليوم كان من المناسب أن يستخدم فى طباعته خط مختلف ولذلك وقع الاختيار على الغوطى الرومانى.

وقد وزع التنضيد على عمودين فى الصفحة الواحدة على نحو ما هو موجود فى الكتاب المقدس ذى الاثنين والأربعين سطرًا ومع ذلك وكما ألمحت سريعًا من قبل فإن السطور لا تتساوى فى نهاياتها حيث نجد نوعًا من "الشرشرة" فى حواف العمود الأيمن كما يحدث اليوم فى حالة الكتابة بالحاسب الآلى أو الراقنة. وهذا النوع من التنضيد يعرف فى أيامنا بالجمع الممزق ومايزال موجودًا بيننا وهو يناسب النصوص التى لا يقصد بها أن تقرأ باستمرار، لأن النصوص التى يقصد بها أن تقرأ على اتصال وبصفة مستمرة تحتاج إلى أن تكون سطورها مستقيمة ونهاياتها متساوية ويمثلها فى ذلك الوقت الكتاب المقدس وفى أيامنا الكتب الأكاديمية. ونحن ندرك تمامًا أن طابع الكتاب المقدس ذى الاثنين والأربعين سطرًا لا يمكن أن يكون هو أو طبق الأصل طابع الكاثوليكون لأن الكتاب المقدس أفخم وأكثر إنسجامًا وإتساقًا فى تنضيده. وعلى الجانب الآخر فإننى أعتقد أن طبع الكاثوليكون مع ذلك تطلب جهدًا كبيرًا ووقتًا طويلاً حتى يكون هناك توافق بين المحتوى وإخراج النص فى هذا العمل المستفيض.

وفى محاولة لاصطياد طابع الكاثوليكون فإن على المرء أن يتفحص حرد المتن اللاتينى بعناية والذى ترجمته إلى العربية تسير على النحو الآتى:

"بمعونة من الله الأعلى الذى بأمره تغدو ألسنة الأطفال فصيحة بليغة والذى يكشف

للوضيع ما يخفيه عنه الحكيم، قد تم طبع وتشطيب هذا الكتاب النبيل، الكاثوليكون، فى سنة تجسد سيدنا ١٤٦٠م فى المدينة الأم ماينز من الأمة الألمانية المشرفة التى صاغتها رحمة الله وخصها بدرجة عالية من ومضات العبقرية والموهبة الفياضة وخصها بالمجد وفضلها بالفخار على كل أمم الأرض الأخرى. وقد تم هذا العمل بدون الاستعانة بالقلم البوص أو المعدن أو الريشة ولكن عن طريق تناغم عجيب ونسب ومقاييس من القوالب والأمهات. فالشكر والمجد لك: الآب المقدس نفسك، الابن معًا والروح القدس، السيد الثالوث الأقدس والواحد أنت أنت الذى لا يتوقف المؤمنون الورعون عن تسبيحه وعن الثناء على مريم المباركة. وهم جميعًا يلهجون بالثناء والعرفان بالجميل للكنيسة بسبب هذا الكتاب. الشكر لله".

ولكن ما الذى يريد هذا الكولوفون أن يوصله لنا؟ إنه يريد أن يُعلمنا بكلمات وهاجة من الفخر والكبرياء المحلى والوطنى أن كتاب "كاثوليكون" قد طبع فى ماينز ثم يعطينا بعد ذلك لمحات تشير إلى التكنولوجيا الجديدة فى محاولة لوصف التناغم والإنسجام العجيب بين الأنماط وكيفية تنضيدها فى صفحات ربما بنفس الأسلوب والطريقة التى وصفها بها نيقولاس الكيوسى فى كتاباته العلمية التى أشرت إليها من قبل. وفى نهاية الكولوفون نجد شكرًا وثناء لله الذى يجرى البلاغة والفصاحة على ألسن الأطفال وحتى هذه العبارة إنما تعكس النزعة الروحية عند نيقولاس الكيوسى الذى يختتم كتابه De Canjecturis Libri duo بالكلمات الآتية:

"الحمد والشكر لله الذى أفاء على من واسع علمه حتى تتفتح عيوننا على جمال الروح... إن الاستقامة هى نفسها المثالية والإخلاص والصدق والإنصاف أو العدل ومراعاة الكمال فى كل الوجود والانضباط أى حقيقة الحقائق كلها التى لا تغلفها سحب أو غموض أو احتمال.. وأنت أيضًا سوف تصل إلى الصدق الخالص الذى لا شبهة فيه".

إننا نستشف من نص هذا الكولوفون فى الكاثوليكون أن من توفر على كتابته صاحب عقلية لاهوتية ورعة متعمقة على ألفة ومعرفة بنصوص الكتاب المقدس وقادرة على الدمج بينها.

ويلاحظ فى هذا الكتاب كما فى كل الأعمال التى طبعها جوتنبرج نزعته الصارمة إلى عدم كتابة اسم الطابع. ولذلك مايزال الجدل يدور حتى يومنا هذا حول ما إذا كان جوتنبرج هو الطابع الفعلى لهذا الكاثوليكون. وربما كان السبب فى هذا الخلاف هو انتشار بنط الكاثوليكون فيما بعد واستخدامه فى عدد آخر من الكتب كما أن حرد المتن لا يمكن أن يكون من صياغة جوتنبرج نفسه وإنما غالبًا تحت إشرافه شخصيًا وقام به إكليرى الأبرشية هنريتش جونتر الذى يستنتج أنه هو الذى صحح البروفات أيضًا.

وثمة تبرير آخر أو لنقل تفسير آخر لعدم ظهور اسم جوتنبرج أبدًا فى كل ما طبعه هو أنه لم يكن المالك الأساسى للعمل وإنما مجرد مدير أعمال أو شريك فى العمل إلى جانب النزعة الدينية المتغلغلة فيه والتى تقضى بعدم الملكية الفردية وأن الأنا يجب أن تندمج فى المجموع وفى خدمة الله.

إن الاختلاف الواضح فى نص بيان الطبع بين الكاثوليكون و المزامير يكشف عن وجهات نظر متفاوتة نحو العالم، وهى السمة التى ميزت العصر الغوطى المتأخر وفترة الانتقال التى أدت إلى النهضة والرأسمالية المبكرة. إن طابع الكاثوليكون فى رأى الثقاة شخص كان مايزال جزءًا راسخًا من مجتمع الكنيسة والمؤمنين الذى يعتبر الاختراع مِنَّة من الله تلقاها المخترع شاكرًا ممتنًا. بينما الطابعون فى دار همبرختهوف لم يكونوا على هذه الدرجة من الإيمان ومن ثم فإنهم يشيرون إلى إنجازاتهم بصفة شخصية وبشىء من الفخر والكبرياء مما يدخل فى عداد الدعاية التجارية للعمل؛ وقد تحرر فكرهم من طبقية القيم التى كانت سائدة فى العصور الوسطى، وكانوا يبحثون عن تطوير العمل التجارى الفردى والتربح من ورائه.

إن فريق العمل فى الكاثوليكون مايزال محفوفاً بالمشاكل مليئًا بالمخاطر. لقد تم التعرف فى وقت باكر على ثلاث إصدارات متميزة من هذا الكاثوليكون: **إحداهما** على رق و ورق بعلامة مائية تمثل رؤوس الثور واستهلال مطبوع بالحمرة؛ **والثانية** على ورق يحمل علامة مائية على شكل حرف D المصنع فى مصنع ورق جاليزيانى بالقرب من بازل ولكن بدون الاستهلال المطبوع؛ **والثالثة** مطبوعة على خليط من الورق يحمل بعضه علامة مائية على

شكل برج والبعض الآخر يحمل علامة مائية على هيئة تاج. وقد استنتج الباحث دارس الورق ثيو جيراردى أن الورق الذى يحمل علامة البرج وعلامة التاج لا يمكن أن يكون موجودًا قبل ١٤٦٠ ويرى أن ١٤٦٨م هى السنة المرجحة لطباعة الإصدارة الثالثة. ولكن كشف البحث عن أن دير ماريين فى ألتنبورج كان قد اشترى نسخة من هذا الكاثوليكون سنة ١٤٦٥م بمبلغ ٤١ شوك (٦٠ قرشا: جروشين) أى ما يعادل ٢٧ جولدن. هذه المعلومات موجودة فى إحدى التمليكات الموجودة على تلك النسخة. هذه القرينة إلى جانب قرائن أخرى دامغة تؤكد أن الكاثوليكون قد تم طبعه حوالى ١٤٦٠م ومن بينها الواقعة التاريخية المؤكدة وهى سقوط ماينز نفسها فى أكتوبر ١٤٦٢ وتم سلبها ونهبها على يد جحافل كبير الأساقفة، أدولف فون ناساو، وقد تم الاستيلاء على دار الطباعة فى جوتنبرجهوف، وأعلنت ولاءها وتأييدها لكبير الأساقفة الجديد وتم نفى جوتنبرج نفسه من المدينة ومن غير المقبول أن تكون أبناط الكاثوليكون قد تركت على حالها فى المطبعة وسلمت من هذا الصراع المسلح لتستخدم بعد ذلك فى طبعات لاحقة.

ويعتقد ألبرت كابر أن طبع الكاثوليكون كان عملاً مشتركًا بين عدة أطراف وأن جوتنبرج كان صاحب الفكر والتنفيذ بينما كان الدكتور كونراد هيومرى هو الممول الرئيسى للمشروع. ومن جهة ثانية قام هنريتش كيفر الذى أتم فى سنة ١٤٥٩ طباعة الكتاب المقدس ذى الستة والثلاثين سطرًا فى بامبرج بإصدار طبعة مشتركة من الكاثوليكون من نفس الأبناط مع موثق بامبرج الذى أشرت إليه من قبل وهو هيلماسبرجر. وقام فريق ثالث تحت قيادة هنريتش جونثر و بيرتولد روبيل وربما آخرين بالاشتراك فى العمل ودفع جانب من التكاليف فى إصدارة ثالثة. وقد يكون متعمدًا وعن قصد استخدام أنواع مختلفة من الورق ذى العلامات المائية المتعددة لتمييز الإصدارات المختلفة. ويرى كابر أيضًا أنه كانت هناك صعوبة فنية بالغة فى هذا الإنتاج المشترك للإصدارات الثلاث تتمثل فى نقل الصفحات من طابعة إلى أخرى ولا يمكن التغلب على هذه الصعوبة إلا إذا كانت الطابعات الثلاث موجودة فى نفس الغرفة وهو ما تيسر فى جوتنبرجهوف.

لقد أدت بحوث ودراسات الورق التى قام بها الباحث الأمريكى بول نيدهام إلى فرضية عبقرية وهى أن الكاثوليكون لم يطبع من حروف متحركة على الإطلاق وإنما طبع عن طريق سبائك معدنية كل سبيكة تتألف من سطرين على الأقل وربما من أربعة أسطر حيث لاحظ ذلك الباحث أن فى كلا العمودين فى الصفحة الواحدة نجد سطرين أو أربعة سطور تتقدم قليلاً أو تتأخر قليلاً عن نظيراتها فى الحافة اليسرى ولم يحدث ذلك أبدًا فى سطر واحد أو كل ثلاثة سطور وبالتالى كان من الواضح أن، تلك الصفحات قد نضدت من سبائك متماسكة مكونة من سطرين أو أربعة. من هذا المنطلق جاء الاستنتاج بأن جوتنبرج أيضًا هو مخترع الطباعة بالصفائح المجسمة؛ ومن هنا أيضًا نتصور كيف أمكن الاحتفاظ بتلك الصفائح المجسمة لاستخدامها فى طبعات لاحقة حسب الحاجة. ولكن يرى البعض أن تثبيت تلك السبائك ذات السطرين أو الأربعة على كتلة خشبية لطبعها كانت مسألة صعبة ومضيعة للوقت إذا لم تكن أساسًا خارج الفكر التكنولوجى للقرن الخامس عشر بل وتنتقص من مزايا اختراع جوتنبرج. وربما كان خروج سطرين أو أربعة قليلاً أو دخولها قليلاً عن الحافة اليسرى للصفحة المطبوعة إنما جاء من الأسلوب المتبع فى رفع السطور من عصا التنضيد ووضعها على صينية الصفحات وربما جاء أيضًا من عدم دقة غلق الصفحات المعدنية على مخدة الطابعة؛ وعلى أية حال فإن هناك إجماعًا على أن الكاثوليكون قد تم تنضيده كلية من حروف متحركة.

وثمة رسالة صغيرة من تأليف ماتياس دى كراكوفيا أسقف وورمز " Dialogus rationis Cans Cientiae" طبعت بنفس بنط الكاثوليكون ولكن يرى الخبراء أنها سبقت الكاثوليكون ربما فى محاولة تجريبية لهذا البنط وهناك مسافات كبيرة بين السطور. ولكن فى صفحة الكاثوليكون تقاربت السطور من بعضها مما يعنى أنه تم تعديل القوالب وأعيد صبها من جديد. ورسالة دى كراكوفيا مطبوعة على عمود واحد وتحتل عددًا محدودًا من الأوراق من قطع الكوارتو. وفى نسخة باريس من تلك الرسالة نجد تمليكه باسم هنريكوس كيفر (هنريتش كيفر) وملحوظة تفيد أن كيفر أعارها لشخص ولم يعد فى حاجة إلى استعادتها. ويرى البعض أن كيفر قد اشترك فى إنتاج تلك الرسالة على الرغم

من أنه رحل إلى بامبرج ليشرف على طباعة الكتاب المقدس ذى الستة والثلاثين سطرًا هناك. ولعل تلك الملحوظة تعزز الرأى القائل بأنه قد جرت العادة فى دار جوتنبرجهوف تقديم نسخ مجانية أو كجزء من الأجر لكل أو بعض من اشتركوا فى إنتاج العمل. وربما كان مسموحًا لهم ببيع النسخة أو النسخ التى تلقوها.

يضاف إلى ذلك أن رسالة صغيرة أيضًا من تأليف سانت توما الأكوينى صدرت بنفس البنط وتقع فيما لا يزيد على ١٤ ورقة وتحمل تاريخًا سابقًا على البدء فى تنضيد الكاثوليكون؛ وقد صدرت منها إصدارة أخرى فى تاريخ لاحق تم زيادة عدد سطور الصفحة من ٣٤ سطرًا إلى ٣٦ سطرًا وهذه الرسالة بعنوان Summa dearticu lis fidei. ومما يجدر ذكره فى هذا الصدد أن رسالة دى كراكوفيا سابقة الذكر Dialogus rationis قد طبعت هى الأخرى فى عدة إصدارات لاحقة بنفس البنط. ومايزال بول نيدهام الباحث الأمريكى على اعتناق فكرة أن هاتين الرسالتين فى طبعتيهما الأولى والإصدارات اللاحقة لهما قد أخذت عن سبائك كل منها تتألف من سطرين فى قطعة معدنية واحدة.

وحتى كتابة هذه السطور فى سنة ٢٠٠٥م لم تتم الإجابة عن السؤال من عساه يكون قد طبع الكاثوليكون ونحن فى حاجة إلى مزيد من الاكتشافات من المهاديات المطبوعة ببنط الكاثوليكون حتى نصل إلى حل لذلك اللغز.

حروب كبار أساقفة ماينز

إعتبارات سياسات الكنيسة

نكب يوحنا جوتنبرج عدة مرات بسبب الأحداث العنيفة التى وقعت فى عصره ففى طفولته اضطر إلى الفرار من ماينز مع أسرته وقضى فترة من طفولته بعيدًا عن موطنه الأم. وفى شبابه اضطر كذلك إلى الهجرة من ماينز بسبب الصراعات السياسية بين الأشراف والنقابات وكان عليه أن يبدأ من جديد فى ستراسبورج. وعندما بدأ مشروعه المشترك هناك فى الاثيار "المغامرة والفن" والنجاح سقط شريكه أندرياس دريتزن فجأة صريعًا

ضحية "الموت الأسود" وانتكس المشروع انتكاسة كبرى على نحو ما بسطناه سابقًا. وبمجرد أن نجح جوتنبرج فى إعادة بناء مشروعه وأخذت بواكير المطبوعات فى الصدور زحفت حجافل الآرماناك على ستراسبورج واضطرته إلى مغادرة ستراسبورج. وعندما عاد إلىماينز حيث أخذ يكلل اختراعه العظيم بأكاليل الغار وإنتاج الكتاب المقدس ذى الاثنين والأربعين سطرًا ولكن الدعوى القضائية المدنية التى رفعها عليه جوهان فوست اضطرته إلى التنازل عن كل الأعمال والمعدات والأجهزة فى دار همبرختهوف وإلى أن يوقف كل خططه المستقبلية. وبمجرد أن انتهى العمل فى الكاثوليكون فى دار جوتنبرجهوف؛ وكذلك انتهاء العمل فى الكتاب المقدس ذى الستة والثلاثين سطرًا فى بامبرج باستخدام بنط دوناتوس/ كالندر، بمجرد ذلك تجمعت نذر عاصفة قوية. فى ظل هذه الظروف اكتشفت الشخصية الفريدة الفذة طاقات جديدة بينما الآخرون ملّوا الصراع الطويل الأبدى ويئسوا من كل شىء. فى ظل هذه الظروف قامت الشخصية المبدعة المبتكرة بالانتهاء من الإنجاز العظيم الضخم الذى قدم للعلم والثقافة أداة لم يكن يحلم بها لقرون كثيرة تلت.

لقد أخذ صرح النظام الاجتماعى القديم يتفتت كسرة كسرة وبدأت ملامح الطبقة الوسطى تتضح شيئًا فشيئًا مع مسيرة القرن الخامس عشر. وكانت الصراعات بالضرورة تتجمع فيما وراء واجهة الطبقة الكنسية فى ظل سياق تاريخى لم يكن الناس فى ذلك الوقت على وعى به. لقد نظروا إلى العالم من حولهم نظرة خاطفة كأشباح وظلال مستها أضواء الصيف، وبقيت معانيها ونشاطاتها غامضة غير ملموسة بالنسبة لهم. ولم يرتب واحد منهم فى أن معاصرًا لهم قد صك المفتاح الذى يفتح أبواب المعرفة لكل البشر ومن ثم فهم العمليات الاجتماعية والعلمية والعلاقات القائمة بينها.

إننا لكى ندرك كيف انتشرت الطباعة فى العالم بهذه السرعة التى انتشرت بها وكيف خرجت من ماينز إلى سائر أنحاء ألمانيا ثم إلى سائر أنحاء أوربا ثم كيف عبرت المحيط إلى العالم الجديد فى خلال نصف قرن فقط ثم سائر أنحاء العالم بعد ذلك، لابد لنا من أن نلقى نظرة فوقية طائرة على بعض القضايا العالمية المعاصرة لأن الأحداث التى حدثت

على المسرح فى ماينز فى السنوات القليلة التى تلت الاختراع إنما تمثل المنظر العام على المسرح العالمى فى ذلك القرن. هنا سوف نصادف مرة أخرى ولكن فى ظروف مختلفة ثلاث شخصيات واجهت بعضها البعض فى بازل منذ فترة طويلة حيث كان كل منهم ممثلاً بالغ الأهمية فى حزب الإصلاح. أول هذه الشخصيات إينيا سيلفيو بيكولومينى الذى أصبح الآن البابا بيوس الثانى أقوى رجل فى العالم الغربى... نعم لقد بقى فى الظل فى الخلفية ولكنه كان فى نفس الوقت محرك العرائس ومع ذلك فإنه باعتباره الأب المقدس لم يمارس أى اتجاه مقنَّع فى الغالبية تلك المرحلة، بل إنه حتى حلفاؤه توقفوا عن الوثوق به وحتى المطالبية العظمى من مواطنى ماينز توقفوا عن تنفيد قراراته كلها. وكان أحد أصدقائه المقربين نيقولاس الكيوسى الذى كان من أشد الراغبين فى إدخال إصلاح جذرى على الكنيسة قد استسلم لقوة الأرشيدوق النمساوى سيجسموند وسحب نفسه من منصب أمير/ أسقف بريكسين وطفق عائدًا إلى روما حيث حاول عبثًا إدخال إصلاحات على الإدارة البابوية.

وقد سجل البابا بيوس الثانى فى "الشروح" ما قاله له نيقولاس الكيوسى فى هذا الصدد:

"إنك تريد أن تستخدمنى كأداة لتنفيذ طموحك الشخصى. إننى لا أستطيع ولن أستطيع أن أنصاع لذلك، فالنفاق والتملق شىء كريه إلى نفسى. وإن كنت تتحمل سماع الصدق فإننى لا أحب أى شىء يدور فى دوائر الإدارة البابوية، كل شىء مشوش ولا أحد يقوم بواجبه بشرف. فلا أنت ولا الكرادلة تأخذون رغبات الكنيسة بصدق وعلى محمل الجد. من ذا الذى يرعى حرمة القانون الكنسى؟ أين نجد الكهنة الموقرين فى أداء الخدمة المقدسة؟ كلهم ذهبوا يبحثون عن مصالهمح وأطماعهم الشخصية؛ وإذا تحدثت أنا عن إصلاح حقيقى فإنهم يضحكون على. إننى شخص غير ضرورى وغير مرغوب فيه فى كل هذا، فاسمح لى بأن أنسحب لأن الموقف بالنسبة لى أصبح لا يحتمل..."

لقد طلب نيقولاس من البابا أن يسمح له بالتقهقر إلى مكان منعزل ولكن البابا رفض وإن صمم كيوس، وكحل طلب إليه البابا بيوس أن يأخذ راحة فى المناطق المحيطة بروما

مباشرة. وهل كان الأمر مصادفة أن يأتى الطابعان الألمانيان سوينهايم و بنارتز إلى إيطاليا ليؤسسا أول دار طباعة فى سوبياكو سنة ١٤٦٥؟.

لقد لقى الأرشيدوق سيجسموند الذى طرد كيوس من أسقفية بريكسين الآن دعمًا قويًا من جريجور فون هيمبورج أكبر مناوئ ومعاد للعرش البابوى والذى عندما أتم دراسته فى بولونيا واجه كيوس باعتباره عضو المجلس الكنائسى ورفع عليه دعوى قضائية فى ماينز. وعندما انعقد المجلس فى بازل كون ثلاثتهم: بيكولوميني و كيوس و فون هيمبورج جبهة ممتدة لإصلاح البلاط والإدارة البابوية. وفى نفس الوقت كان فون هيمبورج على وشك الظهور مرة ثانية فى ماينز.

كانت ألمانيا ماتزال منقسمة إلى فريقين خرجا من بطن السياسات التى اعتمدت فى مجلس بازل: فريق أنصار البابا وفريق الإصلاحيين. والفريق الذى أيد البابا كان هو الرابح بسبب السياسة الحاذقة العنيدة التى اتبعها وبوضوح شديد غدت ألمانيا آنذاك تدار من روما. وقد غير كل من إينيا بيكولوميني و نيقولاس الكيوسى معسكرهما: من أنصار الإصلاح إلى أنصار المركزية الرومانية. وقد كوفئ أحدهما بقلنسوة الكاردينال الحمراء والآخر بتاج البابا المثلث نفسه. أما الصديق الثالث فقد بقى ثابتًا على مبدئه السابق وهو جريجور فون هيمبورج الذى دخل فى نزاع جديد مع صديقه السابق والبابا الحالى سنة ١٤٥٩م فى مانتوا؛ وقد تم حرمانه من الكنيسة بسبب مناوشاته. لقد ضعف حزب الإصلاح أساسًا بسبب المراوغات بين الأمراء الألمان الذين وضعوا مصالحهم الأسرية فوق مصالح الوطن.

لقد خرج من بطن مجلس بازل بعض مثيرات الوعى القومى الذى طالب فى بعض الأحيان بضرورة تشكيل مجلس عام لحل مشاكل الكنيسة ومشاكل كل الأمم المسيحية والذى يمكنه أيضًا أن ينتقد أية انتهاكات يقوم بها البابا نفسه. لقد تركز الاهتمام بدرجة كبيرة على ماينز فقط بسبب كبير أساقفتها الذى احتل المكانة الأولى بين المنتخبين الإمبراطوريين وأنيط به دعوة المجالس التشريعية الإمبراطورية إلى الانعقاد والذى كان يتوقع من خلاله وحده تشكيل مجلس جديد.

ويصور الاقتباس الآتى من خطاب كتبه مارتين ماير رئيس ديوان كبير الأساقفة ديتريتش فون إيرباخ سنة ١٤٥٧م إلى إينيا سيلفيو بيكولومينى الذى كان مايزال الكاردينال فى تلك الفترة، يصور اتجاه كثير من عمد ماينز الذى كان يشاطرهم إياه يوحنا جوتنبرج إزاء ما كان يدور هناك فى ألمانيا:

"لقد اصطنعت الإدارة الرومانية آلاف الوسائل التى تسلب بها أموالنا بطريقتها الخاصة كما لو كنا برابرة. ورغم أننا كأمة شهيدة كونت من خلال شجاعتها ودماء أبنائها "الإمبراطورية الرومانية المقدسة" وجعلت منها سيدة وملكة العالم، إلا أنها تحدرت الآن إلى الفقر والعبودية ودفع الجزية... وعلى أية حال فإن أمراءنا قد استيقظوا الآن من غفوتهم وبدأوا يفكرون كيف يحاربون تلك الكارثة وهم مصممون على إزالة هذا الغبن والظلم مرة واحدة وإلى الأبد، وعلى استرداد الحريات القديمة".

ومما يذكر أن خطاب ماير قد منح إينيا بيكولومينى الفرصة كى يقدم اقتراحات قوية للبلاط البابوى ويحسن صورته كمرشح فى الانتخابات البابوية التالية.

صكوك نيوهاوزن سنة ١٤٦١ و١٤٦٢

فاز ديثر فون إيزنبورج فى انتخابات كبير الأساقفة بأغلبية الأصوات داخل لجنة محدودة تم تشكيلها من قبل فرع الكاتدرائية وأصبح الرجل كبير أساقفة ماينز فى ١٨ يونية ١٤٥٩م. وكان لهذه الانتخابات انعكاسات سياسية مباشرة. وكان فرع الكاتدرائية يدرك تمامًا مدى كراهية ديثر للعملية الديمقراطية. وكان ديثر قد أخذ على نفسه عهدًا بشن الحرب ضد فردريك الأول منتخب البلاتين بالراين، وذلك كشرط إضافى للتصديق على انتخابه. ولا يخفى على أحد قصد الحزب البابوى من وراء هذا المطلب وحيث أنه إذا نشبت الحرب بين منتخبين فإن ذلك كفيل بمنع أى تجمع واتحاد بين الأمراء الألمان على الأقل لسنوات قادمة تالية وكان اجتماعهم واتحادهم فى مجلس واحد يعنى صراعًا دائمًا للبابا.

ولكن ما الذى دعا ديثر إلى عدم الوفاء بالوعد الذى قطعه على نفسه فى الانتخابات

بسرعة وعدم القيام بشن الحرب التى وعد بها؟ السبب غير واضح وغير معروف لنا. ولكننا نعلم أنه فى ١٤ يولية ١٤٦٠م قام فردريك المنتخب بشن الحرب هو وهزم ديثر فى معركة قرب فيدرشايم. لقد حدث نوع من الارتباك عندما تم تدمير كنيسة ودير سانت كرياكوس فى نيوهاوزن بالقرب من وورمز خلال الحرب التى بدأها كبير الأساقفة. وكان موقف الأسقف ديثر يدعو إلى الشفقة عندما أسرع خصمه بإعادة بناء الكنيسة والدير. لقد قام الخصمان فى النهاية بعقد اتفاق سلام ودخلا بعد ذلك فى تحالف صداقة استمر طيلة عشرين سنة وذلك اعتبارًا من ٤ من أغسطس ١٤٦٠ فى همزباخ على نهر بيرجستراس. ومن المؤكد أن البابا قد نظر إلى هذه الاتفاقية مع فردريك الشخص الذى تسبب فى ازعاجات كثيرة لروما، على أنها مدعاة لعدم الثقة فى ديثر والتى عرفت على الملأ باسم حرب كبار الأساقفة. وتذكر المصادر أن البابا بيوس الثانى نفسه لم يندهش من جراء هذا التحول فقد كان فى يوم من الأيام رئيس الكاتدرائية فى وورمز ويعرف الظروف هناك. كذلك لم يندهش البابا عندما تقرب منه رودلف فون رودشايم رئيس كنيسة وورمز ثم أسقف ماريبور و وبركلاو وطلبه المساعدة فى إعادة بناء الدير. ومن ثم قام البابا بإصدار صك. وعهد إلى رودلف فون رودشايم بإدارة جمع عائد هذا الصك حيث أن فون رودشايم كان من المقربين من بلاط البابا. وقد قام فون رودشايم بدوره بتكليف رينهارد فون ستيلنجن أسقف وورمز بذلك العمل.

عند هذه النقطة يجمل بنا أن نستعيد موقفًا شبيهًا بموقف طباعة الصكوك القبرصيةز والصك الذى نحن بصدده المشار إليه بعاليه هو "صك لصالح كنيسة كرياكوس فى نيوهاوزن بالقرب من وورمز" وقد طبع هذا الصك الجديد بنص طبق الأصل من الصكوك القبرصية ولكن ببنطين مختلفين: بنط الكاثوليكون الذى استخدم لإحدى الإصدارتين وبنط دوراندوس الذى استخدم فى الإصدارة الثانية وكلا الإصدارتين تحملان اختلافين واضحين حيث هناك نسخ للإناث ونسخ للذكور من المشترين للصك وهذه الصيغ الأربعة وصلنا منها نسخ تحمل إعادة الطبع سنة ١٤٦٢م. ويفسر الثقات وجود إصدارتين ببنطين مختلفين من صكوك نيوهاوزن من خلال وجود دارين للطبع

تعايشتا معًا فى تلك الفترة. ذلك أن بنط دوراندوس كان مستخدمًا فى دار طباعة فوست و شوفر فى ذلك الحين ووجود ذلك البنط فى تلك الدار ثابت قطعًا وبلا أدنى شك لدى كل المصادر واستخدامه فى صكوك نيوهاوزن مقرر تاريخيًا. نعم هناك فى حقيقة الأمر مدارس مختلفة متعارضة حول من طبع الكاثوليكون. ولكن إذا كان ثمة دليل قوى على استخدام أبناط مختلفة فى طبع نص الصك ويعنى هذا الدليل وجود دارين للطبع فإن الدار الثانية بالقطع هى تلك الدار الموجودة فى جوتنبرجهوف. وإذا كان بنط الكاثوليكون موجودًا هناك فى تلك الدار فليس ثمة شك أيضًا أن الكاثوليكون قد تم طبعه هناك.

ولكى نصل إلى شىء من الحقيقة حول صك نيوهاوزن فلابد من طرح التساؤل حول من عساه يكون موَّل طبع تلك الصكوك؟ هناك احتمال من الاثنين إما أن يكون أسقف وورمز المدعو راينهارد فون ستيلنجن وإما أن يكون رودلف فون رودشايم المشار إليه سابقًا. ففى نسخة شتوتجارت من صك نيوهاوزن المطبوعة ببنط الكاثوليكون والصادرة للسيدة/ أنَّا فوجتين من إلوانجن يتدلى ختم مبصوم بدرع رودلف فون رودشايم وهذا الدرع يصور ثلاث أشكال أحدها يصور سانت فيكتور مع لواء الصليب وهو بهذه الكيفية يكون قد خلف ديثر فون إيزنبورج الذى كان رئيسًا للكنيسة من ١٤٤٢ حتى ١٤٥٩م. وقد أسلفت بأن جوتنبرج كان عضوًا فى أخوة فيكتور وكان على أعضاء تلك الأخوة أن يحضروا أربع صلوات جامعة كل سنة وفى أوقات معينة كان على كل منهم أن يقدم قربانا (هدية) مناسبا فى مذبح الكنيسة؛ وعند وفاة أى عضو منهم فإن جميع الإخوة لابد وأن يحضروا مراسم الدفن. وعلى أية حال فإن روابط وعلاقات جوتنبرج مع مؤسسة سانت فيكتور موثقة توثيقًا جيدًا وراسخة ومن المعقول جدًا أن يكون جوتنبرج قد كلف بطباعة صك نيوهاوزن بطلب من رئيس المؤسسة وطالما أن المنافسة بين الطابعين لم تكن سرًا وكانت معروفة جيدًا فى ماينز فإن من الطبيعى أن يكون المشترى الآخر وأعنى به راينهارد ستيلنجن قد لجأ إلى مطبعة فوست و شوفر.

وثمة دليل آخر لصالح يوحنا جوتنبرج يؤكد أنه هو الذى طبع صك نيوهاوزن ببنط

كاثوليكون ذلك أنه عند تنضيد أبناط تلك الصكوك تم إعادة استخدام علامتى اختصار من بين الأبناط التى أنتجت لطبع الصك القبرصى ذى الواحد والثلاثين سطرًا بنفس الأسلوب الذى استخدمتا فيه فى ذلك الصك القبرصى ببنط دوناتوس/ كالندر فى العناوين. ومايزال هناك دليل آخر سوف نأتى عليه فيما بعد. وعلى العموم فليس بنط الكاثوليكون هو وحده ولكن أيضًا بنط الصك القبرصى ذى الواحد والثلاثين سطرًا الذى استخدم مرة أخرى فى دار طباعة بيخترمونز فى إلتفيل المكان الذى كانت للمخترع يوحنا جوتنبرج به علاقات وثيقة.

لقد طبعت كل صيغ صك نيوهاوزن على رق سادة وبدون أية جوانب جمالية إلا ماندر وهى أقل كثيرًا من الصكوك القبرصية. وهذه الصيغ أقرب ما تكون إلى الإيصالات البسيطة وشكلها العام لا يضيف شيئًا إلى محتوى الصك أو الرسالة التى يحملها مما يكشف عن أن مصممى تلك الصكوك كانوا بمنأى عن الأحداث والشئون فى نيوهاوزن.

إن صك نيوهاوزن يشير ببساطة شديدة إلى بداية الصدام فى حرب كبار الأساقفة التى ساهمت فيها طباعة الكتب فى ماينز من الخطوط الجانبية فقط ولم تدخل فى صميم هذه المعركة. ولكن الأحداث السياسية طفت على السطح بسرعة واضحة.

الدبلوماسية، طبع الكتيبات، الحرب

بعد اختيار ديثر كبير أساقفة شكَّل فرع كاتدرائية ماينز وفدًا برئاسة الكاهن منش فون روزنبرج للسفر إلى روما لطلب تأكيد وتأييد الانتخاب والحصول على طيلسان البابا أو الرداء الكهنوتى. وكان البابا بيوس الثانى الذى كان يرأس اجتماعًا فى مانتوا للتحضير لحملة صليبية ضد الترك قد توقع أن يحضر ديثر بنفسه ولذلك استقبل هؤلاء السفراء بجفاء شديد. وقد اشترط لتقديم طيلسان البابا إلى ديثر بتحقيق ثلاث مطالب أساسية: أن يتعهد كبير الأساقفة المنتخب بألا يدعو إلى اجتماع مجلس عام؛ ألا يدعو إلى اجتماع "الحكام النبلاء" إلا إذا حصل من البابا مسبقًا على إذن صريح مباشر؛ وأخيرًا أن يؤمن

عشر دخل دوقيته للبابا فى حربه ضد الترك. هذه الشروط المخزية الشائنة التى فرضت على دييثر كأول منتخب للإمبراطورية رفضها الوفد رفضًا قاطعًا.

وفى ديسمبر من سنة ١٤٥٩م قام دييثر بإرسال وفد جديد إلى مانتوا برئاسة لاهوتى الكاتدرائية فولبرخت فون ديرس كما ضم الوفد المارجريف (الحاكم العسكرى) لـ براندنبرج والفصيح المفوه جريجور فون هيمبورج الذى تحدث نيابة عن دييثر. وفى هذه الحالة أعطى البابا موافقته على انتخاب دييثر وقدم الطيلسان وقرر ألا يدفع كبير الأساقفة إلا المبالغ المعتادة التى تسدد خلال السنة؛ وقد قبل الوفد هذا الشرط خشية أن يقوم البابا باختيار كبير أساقفة آخر من قبله هو. ولكن الوفد لم يكن مدركًا لنية البابا رفع قيمة الطيلسان وضرائب الرتبة الكنسية (كبير الأساقفة) إلى مبلغ ٢٠٥٠٠ جولدن فى الوقت نفسه، وقد دفع الوفد جزءًا يسيرًا من تلك المستحقات البابوية كان فى حوزتهم واقترضوا باقى المبلغ من مجمع بنكى رومانى كان تابعًا فى حقيقة الأمر للخزانة البابوية. وبهذا التصرف من قبل الوفد، يكون وفد ماينز قد وقَّع على مذكرة عهد ووعد تتضمن شرطًا جزائيًا أنه فى حالة عدم سداد القرض فإن المدين يكون عرضة للحرمان من الكنيسة.

لقد كانت المبالغ الضخمة المستحقة للبابا مقابل الإنعام بالطيلسان البابوى والرسامة فى المنصب أو ضريبة الرتبة الكنسية (كبير الأساقفة)، كانت على الدوام مثار نزاع وخلاف مرير بين أنصار البابا الذين يدافعون عن تلك المستحقات البابوية من جهة وأنصار الإصلاح الذين رأوا أن تلك المبالغ غير معقولة أو مقبولة من جهة ثانية. لقد قام مجلس بازل بإلغاء مبالغ الطيلسان البابوى ولكنها فرضت مرة ثانية على ألمانيا فى ظل اتفاقية فيينا التى وقعت فيما بعد. منذ ذلك التاريخ رفعت مبالغ الطيلسان البابوى على كبير أساقفة ماينز إلى ١٠.٠٠٠ جولدن؛ وقد قام البابا تعسفيًا وبدون اتفاق بمضاعفة ذلك المبلغ وقد أبلغ دييثر الفاتيكان أنه مستعد لدفع مبالغ الطيلسان ولكن حسب المبالغ المعتادة فى ذلك الوقت. وقد جاء رد الفاتيكان بأن المبلغ المطلوب قد تم دفعه بالفعل وبالكامل على نحو ما أكده صيارفة الفاتيكان. وفى حقيقة الأمر كان الصيارفة يتآمرون مع البلاط البابوى الذى وعد بتغطية المبلغ الذى تقدمه البنوك فى حالة عجز دييثر. ولم يسدد دييثر فى الموعد

المحدد ومن ثم قام البابا بحرمانه من الكنيسة أو عزل من الاتصال بالكنيسة؛ وطبقًا لقواعد القانون الكنسى كان عليه أن يتخلى عن وظيفته باعتباره كبير أساقفة منذ ذلك الحين.

تصرف ديثر على العكس تمامًا فدعـا المنتخبين الإمبراطوريين إلى اجتماع عام فى نورمبرج فى فبراير سنة ١٤٦١م وعين جريجور فون هيمبورج المتحدث المفوه باسم حزب الإصلاح مستشارًا شخصيًا له. ومع ذلك فقد بقى جريجور فون هيمبورج والأرشيدوق سيجسموند النمساوى ــ الذى تجاسر وأسر الأمير/ الأسقف لـ تيرول الكاردينال نيقولاس من كيوس فى يوم عيد الفصح ــ على ولائهما للبابا. كذلك فإن كبير الأساقفة المحروم من الكنيسة اتخذ من صديق محروم من الكنيسة محاميًا مدافعًا عنه. وكان هذا التصرف من جانب ديثر إهانة شديدة صارخة للبابا وفى ظل هذا المناخ اجتمع **"الحكام النبلاء"** فى نورمبرج. ولعل بضع فقرات من مضابط اجتماعهم التى وصلتنا تستحق الاقتباس لما تلقيه من ضوء على الواقع السياسى آنذاك:

"عندما تجمع كبير أساقفة ماينز و الأمير الإقطاعى للراين و فردريك الحاكم العسكرى لـ براندنبرج بأنفسهم ومبعوثين عن أسقفيات ترير و عدد آخر من الأمراء والنبلاء، تجمعوا فى مؤتمر عظيم فى يوم الأحد المسمى يوم "الذكريات" وتدارسوا معا الأعباء الثقيلة والضرائب الباهظة التى تحملوها منذ فترة طويلة هم وأراضيهم وشعوبهم والأمة الألمانية بأسرها والتى مازالوا يتحملونها تحت ضغط وقهر البلاط البابوى فى روما. ولكى نكون محددين قاطعين ١ ــ من خلال فرض بنس العشر ثم العُشرين ثم الثلاثة أعشار ٢ ــ من خلال إلغاء الحق الدستورى فى الدعوة إلى الانعقاد المعتاد للمجلس العام ٣ ــ من خلال رفع ومضاعفة المبالغ المطلوبة مقابل الإنعام بالرتبة الكنسية فوق المستوى المعتاد سابقًا ٤ ــ من خلال خرق القرارات التى اتخذت وطبقت فى المجالس المقدسة المنعقدة فى كونستانس و بازل والتى تم التصديق عليها من قبل البابا نفسه ٥ ــ من خلال كسر وخرق الاتفاق الموقع بين الأمة الألمانية والإدارة الرومانية ٦ ــ من خلال كل أنواع الإتاوات الأخرى التى تفرضها الإدارة الرومانية على الأمة الألمانية

حاليًا والتى فى مقدورها أن تفرضها مستقبلاً. وهكذا فإنه من أجل لم شمل الأمة فى مجلس عام للكنيسة المسيحية اتفق المنتخبون والأمراء والرسل المبعوثون المذكورون سابقًا على البيان الختامى الآتى:

١ ـ أن يقوم المنتخبون وغيرهم من الأمراء والنبلاء بإرسال رؤساء دواوينهم إلى فرانكفورت يوم الجمعة بعد الأحد [٢٢ مايو] لمناقشة الأمر والاتفاق على أحسن وأسرع السبل لوضع حد لتلك الإساءات وإلى الأبد والتحضير لمجلس عام.

٢ ـ يبقى رؤساء الدواوين هؤلاء فى فرانكفورت حتى يوم الأحد الذى بعد الجمعة [٣١ مايو] لمناقشة وصياغة تلك القضايا مع الأمراء والنبلاء أنفسهم الذين سوف يصلون إلى هناك نفس ذلك اليوم. ولا ينبغى أن تنفض تلك الجمعية العمومية حتى تصوغ الوسائل الفعالة والطرق السليمة الكفيلة بتخليص الأمة الألمانية من تلك الأثقال والأعباء إلى الأبد.

٣ ـ هؤلاء المنتخبون والأمراء والنبلاء الذين حضروا اجتماع نورمبرج شخصيًا أو أرسلوا ممثلين عنهم لا ينبغى لهم أن يدخلوا فى أى تفاهم لا مع البابا ولا مع شخص يعرقل خططهم أو يعوق عملية إزالة القهر عن الأمة الألمانية. وأكثر من هذا فإن عليهم جميعًا أن يظلوا متحدين متشاورين حتى تكلل هذه الجهود بالنجاح.

٤ ـ يقوم كبير أساقفة ماينز بإعلام المنتخبين والأمراء والنبلاء فى الأمة الألمانية الذين لم يحضروا اجتماع نورمبرج فى الوقت الحاضر بالمؤتمرات التى سوف تعقد فى فرانكفورت يوم الجمعة التالى للأحد، ويوم الأحد التالى للجمعة كما يخطرهم بجدول الأعمال ويستحثهم على المشاركة.

٥ ـ الحاكم العسكرى (المارجريف) لـ براندنبرج: فريدريك سوف يرسل هذا البيان الختامى إلى فردريك دوق ساكسونيا ويحمله على دعم هذه القرارات وما يصل إليه فى هذا الصدد سوف يبلغ به كبير أساقفة ماينز.

٦ ـ الاتفاق الذى تم التوصل إليه وتم تجسيده لمواجهة القهر من خلال إلغاء

الأعشار المفروضة من الكنيسة والضرائب المضاعفة أو المضروبة فى ثلاثة والتى تدفع إلى روما، ذلك الاتفاق الذى تم إعلانه فى نورمبرج وتم التوقيع عليه من قبل الأمراء والمندوبين الحاضرين مبدئيًا يجب أن يوقع بصفة نهائية ويختم فى فرانكفورت يوم الأحد التالى ولابد للأمراء والمندوبين أن يحضروا معهم اختامهم حتى يمكن كتابة الوثائق المناسبة وتختم على الطبيعة وأرض الواقع.

وقع وقع هذا البيان وختمه بخاتم كل من كبير الأساقفة ديثر و المنتخب فردريك و مبعوث كبير أساقفة ترير. وقد قام فردريك الحاكم العسكرى (المارجريف) لـ براندنبرج على ما كلف به، بإعلان تأييد بيتر كنور كبير أساقفة سالسبورج، وكذلك تأييد أساقفة بامبرج، فيرتزبورج، كونستانس، هيلدشايم وأيضًا تأييد لويس دوق بافاريا/ لاندشوت.

وعند هذه النقطة قام كبير الأساقفة ديثر بشن هجوم مضاد فى اتجاهات عديدة وعندما دعا إلى عقد مجلس عام شعر البابا بخطر داهم على مركزه. ولم يتقدم ديثر بطلب إلى البلاط البابوى لرفع حرمان الكنيسة عنه حسبما كان يقضى القانون الكنسى. وبدلاً من ذلك انتهز الفرصة ودعا إلى عقد المجلس وقد قوبلت دعوته بالموافقة الفورية من جانب كثير من الأمراء والأساقفة الألمان الذين شعروا مثل كبير أساقفة ماينز بأنف روما فى كل شئونهم.

أما الخطوات المضادة من جانب البابا فقد جاءت سرية وبدهاء ومرونة على الرغم من أنه كان من سلطته الشرعية تعيين كبير أساقفة جديد لكنه دون لغط ودون شوشرة بدأ فى عزل ديثر عن حلفائه وقام بتعيين موفدين له هما رودلف فون رودنشايم ـــ المذكور سابقًا باعتباره رئيس كنيسة وورمز والباحث الكاهن فرانسيس الطليطلى. وقد ذهب هذان الموفدان لمقابلة مؤيدى ديثر وبسطا لهم ما تم بشأن المساهمات ضد الأتراك والخطط المستقبلية ضدهم وأجليا الموقف القانونى للبابا. وعلى التوازى مع تلك الجهود كلف البابا جوهان فيرنر فون فلاسلاند رئيس كنيسة بازل بتمهيد الطريق نحو انتخاب كبير أساقفة جديد لماينز. وفى الوقت نفسه دعا ديثر إلى اجتماع جديد للحكام النبلاء يعقد فى فرانكفورت يحضره الإمبراطور وكافة الأمراء وقد أضاف أنه فى حالة غيابهم سوف تتخذ

القرارات بدونهم. بيد أن الإمبراطور الملك الألمانى عارض ذلك الاجتماع، وبأمر منه أغلقت بوابات فرانكفورت فى وجه هذا المؤتمر.

من هنا دعا ديثر إلى نقل الاجتماع إلى ماينز فى الرابع من يونية وعلى الرغم من تخلى زملائه الأمراء والملك نفسه عنه إلا أنه بقى متفائلاً فى البداية ولكنه أدرك فى النهاية أنه بقى وحده ومعه سكرتيره هيمبورج. وانتصر مبعوثا البابا وربحا اليد العليا من خلال إغرائهما للآخرين وحصلا منه على سحب بيان نورمبرج الخاص بالرسوم الواجبة الدفع على المنصب الكنسى وفى مقابل ذلك وعداه بأن يتساهل البابا فى مسألة المبالغ الواجبة الدفع بالنسبة للطيلسان.

فى نفس الوقت كان فلاسلاند يتفاوض مع المرشح الذى خسر منصب كبير الأساقفة سنة ١٤٥٩م أمام ديثر وهو أدولف فون ناساو و وصل معه إلى اتفاق؛ وقد رحب الإمبراطور بخطة إزاحة ديثر وانتخاب أدولف فون ناساو كبير أساقفة جديد. وتبعًا لذلك هرع فلاسلاند عائدًا إلى البابا الذى أعلن خلع ديثر فون إيزنبورج وتعيين أدولف فون ناساو كبير أساقفة جديد. وقد حمل فلاسلاند المرسوم البابوى المؤرخ فى ٢١ من أغسطس وسلمه إلى أدولف فون ناساو. وفى نفس الوقت أصدر البابا مذكرة قصيرة أرسلت إلى جميع الأمراء وعد فيها البابا بعدم زيادة الأعشار إلا بعد موافقتهم. هذا التنازل من جانب البابا أكسبه تأييد المحايدين من الأمراء الألمان فيما ذهب إليه من عزل كبير الأساقفة المنتخب لأول مرة فى حياة الأمة الألمانية.

أما المنظر الذى تلا ذلك على مسرح الأحداث بين الأطراف المباشرين فقد تم بناء على توجيهات سرية فى ٢٦ من سبتمبر ١٤٦١م حين كان ديثر وسط جماعة إكليرية ينتمى إليها أدولف فون ناساو أيضًا فى فرع الكاتدرائية فى ماينز، وتقدم إليه أدولف فون ناساو بين موفدى البابا وقرأ على الجميع قرار البابا المتعلق بخلع ديثر وتعيينه هو مكانه؛ وقد عقدت المفاجأة ألسنة الكهنة فى الكاتدرائية وانسحبوا للخلف للمناظرة والجدل؛ وقد جاء قرارهم بطبيعة الحال لصالح أدولف فون ناساو؛ وهم بهذا انصاعوا لتوجيهات البابا. أما لاهوتى الكاتدرائية فولبرخت فون ديرس فقد صعد إلى مسرح الجوقة

الموسيقية، ونفس الرجل الذى أحضر طيلسان البابا إلى دبيثر هو نفسه الآن يعلن على الملأ اسم كبير الأساقفة الجديد بنفس الطريقة التى أعلن بها منذ عامين اسم سلفه ديثر.

ولم يكن جريجور فون هيمبورج مقيمًا فىماينز فى ذلك الوقت لأنه تحت تهديدات البابا اضطر إلى الابتعاد بنفسه عن دييثر ولأن الكنيسة كانت قد حرمته من رحمتها فقد تعرض لهجمات شرسة من قبل الأعداء. ولابد أنه قد أدرك بعد إجهاض اجتماع "الحكام النبلاء" فى ماينز أنه لم يعد لدى دييثر شىء يقدمه لدعم سياسات الإصلاح التى كان يناضل من أجلها. ولقد توجه دييثر إلى الدكتور كونراد هيومرى باعتباره مستشاره الجديد والذى أتينا على ذكره من قبل بسبب علاقاته مع يوحنا جوتنبرج. ومن خلال هيومرى الممول المفترض وربما مالك معدات الطباعة فى جوتنبرجهوف كان لابد لصراع الأسقفين أن يمس وبطريق مباشر المخترع يوحنا جوتنبرج ويرى ثقاة الباحثين أن هناك عشرات الأسباب التى تجعل جوتنبرج متعاطفًا مع الأهداف السياسية التى تبناها كبير الأساقفة دييثر.

وكان دييثر بمفرده مستعدًا لعقد اتفاق مع أدولف فون ناساو باعتباره واجهة البابا ولكن المنتخب الحاكم العام للراين خطا وتقدم نحو دييثر وعرض عليه تأييد ودعم كل قواته المحاربة. ومن هذه النقطة تم التحالف بين دييثر و المنتخب فردريك و فيليب كونت كاتزنلبوجين. وربما لهذا السبب ابتعد مواطنو ماينز عن أدولف فون ناساو وأعلنوا تأييدهم وولاءهم لأنصار ديثر إيزنبورج الذى تضاعفت قوته الآن وخاصة بعد أن وعد مجلس المدينة بإلغاء ما ألمحت إليه سابقًا بـ"انتقام القساوسة" لسنة ١٤٣٥ والذى منح الإكليريين امتيازات كاسحة. كذلك رجع إلى حظيرة الأسقف القديم بعض كهنة الكاتدرائية المتأرجحين ومن بينهم القيِّم روبرخت فون سولز، رابان فون لينشتاين، داموا فون فرونهايم. ومن هذه النقطة كان دييثر فى وضع يمكنه من فرض شروطه. وقد نهج مجلس المدينة هذا النهج تحت رئاسة الدكتور هيومرى وطلب من كل إكليرى أن يقسم بأن يحمى المدينة من كل أذى تتعرض له. وفى ظل هذه الظروف قام بعض الإكليريين وأعضاء فرع الكاتدرائية الذين وقفوا فى جانب أدولف فون ناساو بالانسحاب من المدينة إلى بنجن احتجاجًا على ما يحدث.

وفى الأول من فبراير ١٤٦٢م أصدر البابا أمره إلى جميع كبار الأساقفة والأساقفة والمطارنة أن يعلنوا فى كل يوم فى كنائسهم عن حرمان ولعن ديثر ومؤيديه. ومع ذلك لم تلتف الكنائس فى مدينةماينز إلى هذا الأمر البابوى ولم تعره أى اهتمام.

ومن الملحوظ أن الأفرخ العريضة الدعائية ظهرت تباعًا بسرعة واضحة وكانت كلها من طبع فوست و شوفر وكان بعضها يأخذ جانب ديثر والبعض الآخر يأخذ جانب أدولف ولم تستطع المصادر أن تحدد التواريخ الدقيقة لطباعتها وكل ما يمكن أن نفعله هو أن نرتبها حسب تتابع الأحداث. بعد الثامن من أغسطس سنة ١٤٦١م صدر فرخ فردريك الثالث المعنون "تأكيد عزل ديثر فون إيزنبورج" وهو منضد ببنط جديد فى مكتب فوست و شوفر: وهو البنط الذى أعد للاستخدام فى الكتاب المقدس ذى الثمانية والأربعين سطرًا؛ وبعد ذلك صدر فرخ إعلانى يتضمن "قرار البابا بيرس الثانى بعزل كبير الأساقفة ديثر" الصادر فى ٢١ من أغسطس ١٤٦١م. ثم نصادف بعده الفرخ العريض الذى يتضمن "مذكرة قصيرة إلى أدولف فون ناساو بتأكيد انتخابه كبير الأساقفة" وهو فى نفس التاريخ السابق وقد وصلنا منه إصدارتان. وثمة فرخ عريض آخر يتضمن "مذكرة قصيرة إلى فرع كاتدرائية ماينز حول انتخاب أدولف فون ناساو". ومن الجدير بالذكر أن كل تلك الأفرخ العريضة أو المذكرات تم تنضيدها وطبعها فى دار فوست و شوفر ببنط دوراندوس.

فى الثلاثين من مارس ١٤٦٢م قام ديثر بإصدار بيان رسمى ربما يكون الدكتور كونراد هيومرى. هو الذى كتبه وطبع وأرسل إلى جميع الولايات والمدن وكذلك إلى النقابات فى جميع المدن. وفى هذا البيان الرسمى اقترح أن يسوى النزاع الذى نشب وديا أمام هيئة تحكيم تتألف من ملك بوهيميا؛ منتخبو البلاتين و كولون و ساكسونيا وأسقف أوجزبورج وعدد آخر من القضاة. ويرى الثقاة أن هذا الاقتراح غير واقعى من الناحية السياسية ولكنه استخدم كدعاية فى حرب بات واضحًا أنها وشيكة. وقد ذكرت إحدى الحوليات الباكرة الصادرة سنة ١٦١٢ "حولية سبير أن طابع ماينز الأول يوحنا جوتنبرج طبع منشورًا لحساب ديثر فون إيزنبورج؛ ولكن الثقاة يرون أنه ليس ثمة دليل

أو قرينة على ذلك لأن كل الأفرخ العريضة التى وصلتنا بها فى ذلك هذا البيان الرسمى الذى نحن بصدده طبعت بأبناط دار فوست و شوفر.

وفى تاريخ لم يحدد خلال ربيع ١٤٦٢م صدر بيان رسمى من أدولف فون ناساو يرد فيه على اتهامات ديثر وقد افتتح هذا البيان بالكلمات: "لقد نمى إلى سمعنا أن ديثر فون إيزنبورج...". هذا البيان وطلب مقدم من ديثر إلى البابا بيوس الثانى بدايته: "الأب الأقدس..." لم يوجهها إلى أشخاص بعينهم وإنها قصد بهما النشر العام والدعاية المطلقة. وكانت كل تلك المطبوعات الدعائية يقصد بها كسب التأييد لصاحب الدعاية والنيل والتشهير بالخصوم. وإلى جانب الأسلحة المادية فى الحرب: المِطْرَدات (سلاح مكون من فأس ورمح فى وقت واحد)؛ المغازل (سيف مستقيم مستدق الرأس ذو حدين)؛ السيوف، المدافع، الهركوبات (سلاح نارى قديم)؛ إلى جانب ذلك استخدم سلاح الحرب النفسية عن طريق الطباعة.

لقد كسب فردريك المنتخب المعركة وحقق نصرًا مؤكدًا على قوات أدولف فون ناساو المتحالفة فى سيكنهايم بالقرب من شوينزنجن فى الثلاثين من يونية ١٤٦٢م كما استطاع أسر كونتات ولايات فيرتمبرج وبادن أيضًا وكذلك أسقف متز وأخذهم سجناء عنده فى قلعته فى هايدلبرج؛ ونتيجة لذلك ارتفعت أسهم ديثر عالية إلى عنان السماء.

سقوط ماينز

عندما أعلن ديثر عن عزمه إلغاء امتيازات "انتقام القساوسة" التى تضمنت إعفاءات من الضرائب ومكاسب خاصة للإكليريين، كسب الرجل قلوب وعقول الكثير جدًا من مواطن ماينز. وكان النصر الذى حققه المنتخب فردريك قد دعم موقف أعضاء المجلس الحاكم فى ماينز ولكنه فى نفس الوقت جعلهم فى حاجة إلى إعطاء المزيد من الاهتمام لأمن المدينة. ولهذا قام المنتخب و كونت كاتزنلبوجن بتقديم من ٢٠٠ إلى ٣٠٠ مرتزقة راكب لحماية المدينة؛ ولقد تقاعس عمد المدينة ربما لتوفير المال وربما لأن خزانة المدينة كانت أصلاً خاوية من الأرصدة. ولهذا السبب كان هناك نحو ٢٠٠ من سكان المدينة يؤيدون

ناساو علنا بعضهم استجابة لمنشورات البابا والبعض الآخر لأغراض أنانية شخصية طمعًا فى أن ينالوا المكافآت اللاحقة من أدولف فون ناساو مقابل ولائهم له.

وكان أنصار ناساو الذين اتخذوا من إلتفيل مقرًا لهم قد استغلوا نقطة الضعف هذه لرسم مؤامرة شديدة التفاصيل. وقد وصلنا عدد من الوثائق المميتة التى تحدد حتى كيف توزع الأسلاب والغنائم. حتى النبيذ والحبوب والمحاصيل والمدفعية والأسلحة كان لابد من تقسيمها بالتساوى بين أدولف فون ناساو وحلفائه: لودفيج فون فيلدنز المعروف بالدوق الأسود؛ إيبرهارد فون إيبنشتاين؛ فيريتش فون فولكنشتاين. أما فيما يتعلق بكل المجوهرات والأموال النقدية ومقتنيات البيوت الثمينة ــ فيما عدا أموال ومقتنيات وذخائر فرع الكاتدرائية والكنائس ــ فيأخذ نصفها كل من أدولف فون ناساو و لودفيج فون فيلدنز والنصف الثانى يوزع بين سائر الأتباع. وكان للأميرين معًا السلطان القضائى على المساجين. وتكشف تلك الوثائق أيضًا عن أن ألبيج فون سولز باعتباره رئيس الأركان فى هذه الحرب كان له عشر الأسلاب كما وعد القادة العسكريون من ذوى الرتب العالية بأن يحصل كل منهم على ٥٠٠٠ جولدن. وأى جندى يتسلق سور المدينة أولاً سوف يمنح ١٠٠٠ جولدن. وقد وصف أحد المفسرين الكنسيين الباكرين هذا الاتفاق بأنه "عقد لصوص" ومع ذلك قبل منصب كبير أساقفة عرضه عليه البابا نفسه.

لقد قرر هؤلاء المتحالفون أن يهاجموا المدينـة فى اليوم المحدد للاجتماع بين ديثر و المنتخب و كونت كاتزنلنبوجن وهو ٢٧ من أكتوبر فى ماينز ويأخذوها على غرة ويأسروا الأقطاب الثلاثة ويأخذوهم سجناء. بيد أن الاجتماع تم تأجيله ليوم واحد. وقيل فى هذا الصدد أن المنتخب فردريك كان فى طريقه إلى ماينز وعندما وصل إلى مانهايم حذره قسيسه المصاحب له ماتياس فون كيمنات الذى كان يستطيع قراءة الطالع عن طريق النجوم ومن ثم طفق راجعًا.

وقد وقع الهجوم فجر يوم عيد سانت سيمون الثلاثاء الثامن والعشرين من ١٤٦٢م عن نقطة قريبة من الجوتور حيث السور مغطى بأشجار الكروم وأشجار الفاكهة وعزلته

نسبيًا عن البيوت وقد قام شجعان المحاربين باستخدام السلالم فى تسلق الأسوار وفتحوا بوابات جوا و أبتمنستر ليسهلوا الدخول لما يقرب من ٥٠٠ جندى مسلح. وقد امتدت النيران على طول الضفة اليسرى لنهر الراين (ريجناو). وقد اشترك فى الهجوم ٣٠٠٠ رجل منهم ١٠٠٠ فارس على جيادهم؛ ٢٠٠٠ راجل كان من بينهم ٤٠٠ مرتزقة سويسرى.

وفى تمام الساعة الخامسة صباحًا قرع جرس الإنذار من برج سانت كوينتين وقد هرع بعض السكان إلى الأسوار والبعض الآخر إلى قاعات النقابة. أما هؤلاء الذين تجمعوا أمام راتهاوس فكانوا من قوات إيزنبورج تحت إمرة القائد المدنى راينهارد فون بالدشايم و كونز إيخت وقد نجحوا فى دفع الغزاة المتمردين إلى الخلف باتجاه بوابة جوتر. وقد لقى العمدة دايمرشتاين حتفه؛ وكان كونت كونيجشتاين يصيح فى قواته "اضربوا المراطقة حتى الموت، لا تأخذوا أى أسير" وكانت جماعة واحدة من المدافعين عن المدينة قد تفوقت وتميزت بشكل ملحوظ هى تلك التى قادها العمدة جاكوب فوست الأخ الأصغر لـ جوهان فوست.

أما كبير الأساقفة ديثر وكونت كاتزنلنبوجن اللذين أمضيا الليلة داخل المدينة فقد هربا فوق الأسوار عبر الراين وقبل الهروب طالب المواطنين بالدفاع عن المدينة قدر الطاقة وأنه سوف يرجع من هوخهايم بإمدادات كبيرة. وطوال الوقت كانت قوات الأعداء تضغط بشدة وتشق طريقها إلى الأمام حتى تغلبت على المقاومة فى وسط المدينة. وعندما جاءت الإمدادات الخارجية لمساعدة أنصار إيزنبورج كان الوقت قد تأخر وأخذ بعضهم أسرى سجناء. ومن بين أهل ماينز الذين اشتركوا فى الدفاع عن المدينة سقط ٤٠٠ قتيل؛ وعندما جاء المساء كان كل شيء قد انتهى وسقطت المدينة فى أيدى الغزاة وغدت منازل الأشراف والإكليريين واليهود فريسة للناهبين السالبين.

وفى صباح اليوم التالى دخل المنتصر كبير الأساقفة أدولف فون ناساو المدينة على صهوة جواده. وكان على المدينة أن تسلمه كل خطابات الامتيازات التى تتمتع بها. وفى يوم السبت دعى كل المواطنين إلى الاجتماع فى ساحة السوق؛ وظهر هناك نحو ٨٠٠

شخص على أمل أن يدعوا إلى أن يقسموا قسم الولاء لـ ناساو. ولكنهم وجدوا أنفسهم محاطين بقوات ريجناو والمرتزقة السويسريين مثل الغنم فى الحظيرة على نحو ما جاء فى التقارير التى وصفت المعركة فى حينها. وقد أغلظ لهم كبير الأساقفة القول وعنفهم بشدة وأعلن عليهم أنه بسبب عصيانهم وعدم طاعتهم للبابا والإمبراطور فإن حياتهم قد أهدرت ولكنه سوف يحقق العدل فيهم ويعاملهم بالحسنى ويكتفى بطردهم من المدينة وقد استرحمه أهل ماينز ولكن بدون جدوى؛ وسيقوا جميعًا خارج المدينة من خلال حصن جوب؛ وكان طابورهم إلى أسوار المدينة محاطاً بصفين من الجنود وكان على أحد الصفين المرتزقة السويسريون بآلاتهم الحربية (النشابية) وعلى الصف الثانى قوات ريجناو المسلحة والتى كانت تسب أهل ماينز وتلعنهم على أنهم مرتدون هراطقة. وقد فقد هؤلاء المنفيون كل ما كانوا يملكونه وقد نزعت منازلهم وسلمت لأتباع كبير الأساقفة الجديد. وبطبيعة الحال سقطت جميع الأموال فى خزائن المدينة والملابس والأقمشة فى المخازن وكافة الذخائر الأخرى من حلى ومجوهرات فى أيدى الغزاة المنتصرين. وبطبيعة الحال ظفر اللوردات والقادة بنصيب الأسد من الغنائم ونال كل فارس ١٥ جولدن وكل راجل نصف هذا المبلغ.

وعندما سمح للمطرودين بالعودة إلى ماينز أيام المرافع سنة ١٤٦٣ (الأيام الثلاثة السابقة على أربعاء الرماد)، تم القبض على ١٥ منهم وسجنوا، ٣٠٠ لم يكونوا قد اشتركوا فى المعركة سمح لهم بالبقاء فى المدينة أما الباقون وكانوا أكثر من ٤٠٠ شخص فقد أجبروا على القسم بألا يقربوا المدينة أبدًا من على بعد ميل كامل وأن يظلوا بعيدين تمامًا عن ريجناو والمنطقة التى تحكم من كونجشتاين وعندما كانوا يغادرون من حصن جويفورت (حصن فورت) إثنين إثنين كان الكتبة يسجلون أسماءهم فى سجل خاص. وعلى الرغم من أنهم سلبوا كل شىء فقد كان عليهم أن يدفعوا غرامات أخرى مقدارها نصف جولدن. وبنفس هذه الطريقة فقد دائنو المدينة وكل مستحقى السناهيات كل مستحقاتهم وبمعنى آخر أعلن كبير الأساقفة عدم مسئوليته عن أية التزامات مالية على المدينة لأى أحد. وقد أحصيت الخسائر الكلية التى سببتها الحرب للمدينة بنحو مليونى

جولدن وفى الأعم الأغلب انساب هذا المال إلى روما أولاً وأخيرًا. كذلك أعيد فرض كل المستحقات البابوية على المدينة؛ وقد أجلت محادثات السلام لمدة سنة أخرى تقريبًا. وكان على ديثر فون إيزنبورج أن يتخلى عن لقبه ككبير أساقفة وفى مقابل ذلك تلقى تعويضًا كبيرًا. وفى اجتماع صاخب فى فرانكفورت فى الرابع والعشرين من أكتوبر ١٤٦٣م تخلى عن سيفه الانتخابى وفى غمرة الانكسار أعفاه البابا إعفاءً مطلقًا من كل شىء على يد موفد بابوى. وبهذه الطريقة استرد البابا سيطرته وسيادته على الشئون الدنيوية مثل الشئون الدينية على الأقل من الناحية الظاهرية.

ولكن كيف عمل جوتنبرج ودارا الطبع فى ماينز فى ظل تلك الظروف؟ ومن الثابت فى المصادر التى كتبت عن جوتنبرج أنه كان من أشد المؤيدين لحزب ديثر فى حين وجد جاكوب فوست شقيق جوهان فوست من بين الخونة التسعة المعروفين بالاسم، وهناك فى هذه القصة تناقض غير مفهوم لأننا كما أشرنا من قبل كانت جماعة جاكوب فوست هى الجماعة المتميزة فى الدفاع عن المدينة وقد وجد جاكوب العمدة الصائغ مجروحًا جرحًا عميقًا من جراء الدفاع عن المدينة فى الثامن والعشرين من أكتوبر وتوفى متأثرًا بجراحه. وكانت مطبعة فوست و شوفر تطبع منشورات أنصار ناساو بنفس القدر الذى تطبع به منشورات أنصار إيزنبورج وفى كل الأحوال أغلقت هذه المطبعة من ٢٨ من أكتوبر ١٤٦٢م حتى أيام المرافع (الأيام الثلاثة السابقة على أربعاء الرماد) سنة ١٤٦٣م. ومن المحتمل أن صاحب المطبعة والطابع طردا من المدينة مثل غيرهما. ومع ذلك فإنه بعد هذا التاريخ تمت طباعة "المنشور التركى" الذى أصدره البابا بيوس الثانى فى ٢٢ من أكتوبر ١٤٦٣م والذى نشر باللغتين الألمانية واللاتينية فى عدة طبعات؛ وهو مطبوع تميز بوجود ديباجة مطبوعة لوحدها فى ورقة مبدئية منفصلة اعتبرت إرهاصة مبكرة لصفحة العنوان وتسير على النحو الآتى ترجمة للعنوان أو الديباجة باللغة الألمانية "هذا هو المنشور باللغة الألمانية الذى أرسله إلينا الأب الأقدس البابا ضد الأتراك الأخساء الخونة".

من المؤكد والثابت فى المصادر المختلفة أن جوتنبرج قد جرد من كل ممتلكاته حيث

صودرت بناية جوتنبرجهوف ونزعت من أصحابها وسلمت لأحد أنصار أدولف فون ناساو وهو كونراد ويلفونج. ومن المرجح أن المخترع وشركاه قد سيقوا خارج المدينة فى الثلاثين من أكتوبر سنة ١٤٦٢م؛ ولم يكن الرجل فى وضع يسمح له بتجميع فريق من الزملاء مرة أخرى لاستئناف إصدار طبعات أخرى من الكاثوليكون. وقد هجر المنضدون والطبّاعون من كلا دارى الطباعة فى مدينةماينز فرادى أو فى مجموعات وهاجروا إلى مدن أخرى بل ودول أخرى ومن المحتمل أن يكون بعضهم قد حمل معه أدوات خفيفة أوعينات من المطبوعات. ولعل أهم وأخطر قطعة حملوها معهم وهم خارجون كانت خبرتهم العملية فى الطباعة بالحروف المعدنية المتحركة. وسوف نتناول فى مواضع لاحقة أقدار ومصائر بعض هؤلاء الطابعين الذين تفرقوا شذر مذر.

ومن سخرية القدر أن المنتصر فى ذلك اليوم أدولف فون ناساو قد أغفله الزمن وطواه ولا يتذكر اسمه إلا بعض المؤرخين فقط. بينما المهزوم ديثر فون إيزنبورج انتخب فيما بعد كبير أساقفة مرة ثانية بعد وفاة أدولف بعدة سنوات وسبب إزعاجًا جديدًا للبابا. ويذكر الجميع ديثر اليوم باعتباره مؤسس جامعة ماينز. بيد أن رجلاً واحدًا لم يعر إلا اهتمامًا محدودًا للحرب بين الطرفين المتنازعين دخل التاريخ من أوسع أبوابه على مر الأزمان وفى جميع بقاع الأرض وضربت شهرته الآفاق فى الزمان والمكان، وقد تفوقت أسلحته على المطردات والمغاول والسيوف والمدافع وعلى كل عمليات التخريب والهدم والسلب والنهب التى حدثت فى المدينة.

وعلى أية حال فإنه ماتزال هناك بعض جوانب العداء الإكليرى تحتاج إلى شرح وتوضيح. ذلك أن أى باحث فى موقف جوتنبرج السياسى إزاء هذا النزاع لا يمكنه أن يغفل أو يتجاوز تلك الخلافات الحادة التى اشتدت بين طائفتى البندكتيين والفرنسسكان؛ وعندما سيطرت قوات أدولف على مدينة ماينز واحتلتها تم حرمان جميع الفرنسسكان من الكنيسة وتم طردهم خارج المدينة وتم تحويل كنيسة الفرنسسكان فيها إلى أصطبل للخيول؛ وأصبح وجود الأغلبية الفرنسسكانية فى ألمانيا مجرد رمز أو وجودًا صوريًا طالما أن البابا هو فى الواقع القائد الأعلى للكنيسة الكاثوليكية وقد حظيت

الكنائس الإقليمية بدرجة من الإدارة الذاتية. وكان ديثر يعتمد على فرنسسكان ماينز فى دعمه وتأييده فى صراعه مع البابا وكان جوتنبرج فيا نعلم ووالديه وبعض أسلافه من الفرنسسكان. ولابد أن يكون اتجاه جوتنبرج إزاء الصراع الكنسى المحتدم قد تأثر فيما يبدو بعلاقاته وتعاونه الشخصي مع الدكتور كونراد هيومرى سكرتير كبير الأساقفة إيزنبورج.

وقد احتل البندكتيون موقعًا آخر مختلفًا حيث كان ممثلهم الشهير جابريل بيل، الذى كان أيضًا واعظًا نشيطًا فى كاتدرائية ماينز منذ سنة ١٤٦٠م، قد طرد من المدينة ومعه كل أخوته فى الطائفة لأنهم كانوا من يؤيدى أدولف ناساو. وفى الثامن عشر من سبتمبر ١٤٦٢م كتب بلغة ملؤها المرارة عن أنصار ديثر يقول:

"... لقد اقترفوا خطايا محزنة فى حق الله والكنيسة المقدسة وما فعلوه لا يختلف عما يقترفه اليهود والوثنيون الذين استباحوا دم سيدنا العزيز... ولذلك فأنا أحضكم جميعًا واستحلفكم بحب سيدنا المسيح ومن أجل الله أن تتطهروا من كل تلك الآثام...".

وإذا أخذنا تلك المعانى التى جاء بها بيل حرفيًا فإننا نستنتج أن البندكتيين يكونون قد اضعفوا قوة ديثر فون إيزنبورج. ومن الجدير بالذكر أن بيتر شوفر كانت له علاقات وثيقة بالبندكتيين؛ ومن المحتمل أن يكون هو الذى طبع مزامير ماينز الثانية لحساب البندكتيين فى بيرسفيلد. ومن المعروف أن بيتر شوفر قام سنة ١٤٧٣م ببناء مبنى للصلاة الجامعة فى دير البندكتيين فى ماينز.

وكيف نفسر كل هذا الكم من المطبوعات الجدلية ليس فقط من جانب أنصار فون ناساو التى تضمنت الرسائل الرسولية فى ٢١ من أغسطس ١٤٦١م التى تنحى ديثر، وتأكيدات الإمبراطور وخطابات البابا التى تنصب أدولف كبير أساقفة، ولكن أيضًا مطبوعات ديثر وخاصة بيانه الرسمى فى ٣٠ مارس ١٤٦٢ وكلها خرجت من دار الطباعة الخاصة بـ فوست و شوفر. وفى الأفرخ العريضة التى طبعت لـ أدولف يتعاطف شوفر مع البندكتيين وهذا الميل يكفى كدافع قوى لإصدار العدد الكبير من المطبوعات لذلك الجانب. وعلى الجانب الآخر يرى البعض أن إصدار العدد الكبير من المطبوعات

لصالح إيزنبورج جاء من خلال جوهان فوست الذى مات أخوه فى سبيل قضية ديثر وموقفه كعمدة ينسجم مع مواقف النقابات التى ساندت قضية أنصار إيزنبورج ضد البابوية. ويبدو أنه كانت هناك نصيحة إلى فوست أن يوازن ويعدل فى المطبوعات بين الطرفين المتنازعين.

ونختم هذا المبحث بكلمات قليلة حول تلك الأحداث العسكرية والسياسية: ففى الكثير من المصادر التى تناولت الصراع المسلح بين كبار أساقفة ماينز وكلها صبت اللوم فى سقوط ماينز على حكم النقابات الذى ساد هناك فى تلك الفترة والذى أهمل دفاعات المدينة. ففى مدن أخرى ومنها ستراسبورج على سبيل المثال على العكس كانت إدارة النقابات عاملاً مساعدًا فى تقوية دفاعات المدينة. وطبقًا لما أوردته بعض التقارير كان هناك عدد كبير من أهل ماينز فى تحالف مع حزب فون ناساو وكان هناك أيضًا بعض الخونة: هيرمان شتيرنبيرج الجنايني وأمين الصندوق آنذاك؛ دودو فيشر و هن أورتفاين وكلاهما أسطى بناء؛ أورتون صانع الحبال و دود صائد الأسماك. عامل الترحيلة هاينز فون هيختشايم يقال إنه فتح بابا التفاوض مع معسكر ناساو وقام هو و دود برشوة الحارس حتى يترك بوابة جوتور مفتوحة تلك الليلة. ويرى الثقاة أن بذور الخيانة قد بذرت بين العامة وقبلهم بين الإكليريين والبندكتيين على وجه الخصوص، وأن الخونة كانوا يعملون تحت ضغط أخلاقى مارسته الكنيسة عليهم حتى ينفذوا تعليمات البابا.

وعشية عيد كل القديسين سنة ١٤٦٣م قام كبير الأساقفة الجديد بإصدار وثيقة مهمة تمنع أى اجتماع للمنتخبين أو غيرهم من أولى الأمر دون الحصول المسبق على موافقة الإمبراطور وذلك حتى يضع حدًا لأفكار الإصلاح ولأهداف أعضاء المجالس الحاكمة ويؤجلها لأطول فترة ممكنة. ولكن مع اندلاع حرب كبار أساقفة ماينز لا حلت مشاكل الكنيسة ولا حلت مشكلة استقلال ألمانيا السياسية عن روما. هذه التوترات الدينية والسياسية تفاقمت واتحدت مع هموم الفلاحين المقهورين وصبت الوقود فى الحركة الدينية السياسية الاجتماعية التى قام بها كل من مارتين لوثر و توماس مونتزر.

تذكر حتمية الموت

المنفى الأخير ـ إلتفيل

فى الثلاثين من أكتوبر ١٤٦٢م كان على يوحنا جوتنبرج أن يقف بين ٨٠٠ من زملائه المواطنين فى ساحة السوق ويمر هو وإخوانه الطابعون من خلال سياج "كوردون" من العسكر السويسريين وريجناو. ومن المحتمل أن زملاءه تجمعوا خارج أسوار المدينة متحلقين المخترع العجوز وتحدثوا معا عن خط السير والجهات التى يقصدونها للعمل. بعضهم ذهب إلى ستراسبورج و بامبرج وحيث كانت الطباعة قد ثبتت أركانها، وبعضهم قصد إلى بازل أو كولون، وارتحل بعضهم يجرب حظه فى المدن الإيطالية. وقد أحلتهم الظروف جميعًا من الاحتفاظ بأسرار فن الطبع ولذلك فلسوف أخصص الصفحات الختامية من هذا البحث لأوائل الطابعين وخلفائهم.

ولكن إلى أين توجه جوتنبرج بعد تلك المحنة؟ ثمة احتمال أن يكون المخترع قد ارتحل إلى فرانكفورت لكى يعيش مع إبنة أخته التى كانت قد توفيت مؤخرًا والتى تحمل هى الأخرى اسم إلزه والتى كانت فى ذلك الوقت أرملة هن همبرخت، والتى وصفها المؤلف ألويز روبيل بوريثة جوتنبرج. ولكن هذه الفرضية أغفلت حقيقة هامة هى أنه كان هناك حظر إقليمى مفروض على المخترع العظيم فى نفس الوقت.

ومما ينبغى أن يذكر هنا أن جوتنبرج فى سنة ١٤٤٢م قد حصل على قرض من فرع سانت توماس فى ستراسبورج قيمته ٨٠ دينارًا تساوى نحو ٦٧ جولدن وأنه دفع مؤخرًا فى سنة ١٤٥٧م أربعة دنانير فائدة سنوية على هذا القرض على نحو ما ألمحت إليه سابقًا. وقد رفعت المؤسسة دعوى قضائية على جوتنبرج وضامنه مارتين بربختر فى المحكمة الإمبراطورية العليا فى روتفيل بعد أن أرسلت له عدة خطابات إنذار وتنبيه لتسديد الفوائد المستحقة فى ١٤٥٩ و١٤٦٠م ولكن دون طائل. وبعد ذلك اضطرت المحكمة إلى إرسال عدة استدعاءات إلى جوتنبرج فى ماينز على يد رسول. ولما لم يظهر جوتنبرج ولم يمثل أمام المحكمة اعتبر خارجًا عن القانون بمعنى أن يحرم ويجرد من حقوقه ويعتبر غير

كفء قانونًا. وأكثر من هذا يمكن القبض عليه فى أى وقت. ولكن جوتنبرج كان فى حقيقة الأمر محميًا باعتباره مواطنماينز لأن كبير الأساقفة فى ماينز لم يكن يعترف إلا بسلطان محاكم ماينز القضائية ولكن بعد أن تم طرده من ماينز فى ظل الظروف السابقة فقد كان عليه أن يحترس من دخول مناطق فرانكفورت.

ولم يكن أمام جوتنبرج إلا مكان واحد يمكن اللجوء إليه أى إلتفيل. وعلى الرغم من أن شقيق جوتنبرج المعروف باسم فراييل لم يكن على قيد الحياة آنذاك إلا أن إبنتة أوديلجن وزوجها سورجنلوخ الذى يحمل أيضًا اسم جنزفلايش كانا مايزالان على علاقة طيبة بـ يوحنا جوتنبرج. وأكثر من هذا كان جوتنبرج على معرفة وثيقة بالسيدة/ جريتجن سوالباخ التى كانت ممتلكاتها مجاورة لصيقة بممتلكات أوديلجن والتى كانت آنذاك متزوجة من هنريتش بخترمنز. ومن المحتمل أنه من خلال صداقة هنريتش أو نيقولاس بخترمنز تم تعارف شريفا ماينز منذ الطفولة وبعدهاغادر ماينز إلى إلتفيل.

لقد ذكرت المصادر أن زوج ابنة هنريتش بخترمنز، جاكوب سورجنلوخ كان من أنصار كبير الأساقفة الجديد. وفى وقت من الأوقات فى شهر مايو ١٤٦٢ ذهب الرجل من إلتفيل إلى ماينز كى يؤلف الرأى العام لصالح أنصار ناساو، وعندما جنح به مركبه فى إلتفيل فى رحلة العودة هوجم وجرح من جانب أنصار إيزنبورج. ومن الواضح أنه كان لـ يوحنا جوتنبرج فى إلتفيل أنصار وشفعاء يعتمد عليهم.

نيقولاس جنسون و إلتفيل:

شغل المفكرون أنفسهم بمن عساه يكون قد صحب المخترع جوتنبرج إلى إلتفيل. هل ذهب معه كما هى العادة خادمه بيلديك وزوجته أم أنهما لم يعد لهما وجود فى حياة المخترع أو على أرض ماينز؟ هل كان فى صحبته فيجاند سبيس الذى اشترك فيما بعد فى شركة الطباعة التى أسسها بخترمنز؟ وهناك مؤشرات تكشف عن وجود صلة وثيقة بين نيقولاس جنسون وجوتنبرج فى ذلك الوقت حيث نشط الفرنسى جنسون فى دير مارينتال فى راينجاو الذى كان قد بنى آنذاك مما يعنى أنه قد التقى مع جوتنبرج قبل بناء الدير بوقت كاف فى مناطق مجاورة لمدينة إلتفيل.

وقد ظهر نيقولاس جنسون كواحد من أهم الطابعين فى فترة أوائل المطبوعات. وكانت موهبته الفنية ومهاراته التكنولوجية قد وضعته فى مقدمة الطابعين الباكرين وكان قد أرسل إلى ماينز بناء على مرسوم أصدره الملك الفرنسى تشارلز السابع فى ٤ من أكتوبر ١٤٥٨م الذى كان قد بلغته أخبار عن الاكتشاف الجديد فى ماينز. وكان الهدف من هذه البعثة إلى ماينز هو تعلم فن الطباعة من "جيهان جوثمبرج، شيفاليير" ويعود به إلى فرنسا. ومن أجل تحقيق هذا الهدف التحق بإحدى المؤسسات الصناعية الطباعية وكان فى الأصل رسامًا ثم عمل بعد ذلك حفارًا فى دار سك النقود الفرنسية الملكية فى باريس وانتهى به الترقى فى الوظيفة إلى أن أصبح رئيس دار السكة فى تورز. وقد ثبت لنا بالقطع أنه عمل مع يوحنا جوتنبرج فى تلك الفترة وتعلم منه فن الطباعة وكسب ثقته؛ ومما يجب أن يذكر هنا أن جنسون لم يعد إلى فرنسا أبدًا بعد ذلك حيث أكدت كل المصادر هذا الأمر حيث لم يعد الملك تشارلز السابع فى السلطة وقد خلفه على العرش لويس الحادى عشر الذى لم يكن جنسون على وفاق معه ولم يكن يتوقع منه استقبالاً وديًا ومن ثم ولى وجه شطر مكان آخر.

وبسبب سقوط مدينة ماينز دخل جنسون دوامة الأحداث السياسية والعسكرية وربما دفعه توقيره واحترامه لأستاذه المخترع إلى أن يصحبه فى رحلته بعد إبعادهم عن ماينز. ولا ندرى على وجه اليقين ما إذا كان جنسون فعلاً قد قضى سنتى ١٤٦٤، ١٤٦٥ يعمل مع "إخوان الحياة العامة" فى مارينتال حيث أنتج لهم بنطًا استخدم هناك فيما بعد، وذلك على نحو ما ذهب عدد من المصادر. ومن المعروف أن دير إخوان الحياة العامة فى مارينتال بدأ بناؤه سنة ١٤٦٣، وكانت لـ يوحنا جوتنبرج علاقات طيبة معهم لأنهم كانوا "إخوان القلم" ثم أصبحوا بعد ذلك إخوان المطبعة لأنهم كما قيل استبدلوا القلم بعصا التنضيد فى العديد من مؤسساتهم بمعنى آخر تركوا الخطاطة واستخدموا الطباعة وذلك حتى يتمكنوا من إنتاج المزيد من الكتب. ومن الثابت تاريخيًا أن جنسون عمل لدى الطابعين الأوائل فى فينسيا حيث كان يصمم وينفذ لهم أبناطهم وخاصة الطابعين الشهيرين جوهان و فندلين من سبير. وقد استمر يعمل فى فينسيا وخرج من بين أصابعه أحسن

وأجمل وأنضج الأبناط الرومانية فى القرن الخامس عشر. ويبدو أنه قبل رحيله إلى إيطاليا ساعد المخترع فى إقامة دار طباعة صغيرة فى سنة ١٤٦٣م.

جوتنبرج ودار بخترمنز للطباعة

فى نهاية السبعينيات من قرننا العشرين نشر محررو "الفهرس الموحد بأوائل المطبوعات" فى ألمانيا صك غفران غير معروف طبع ببنط كاثوليكون ١٤٦٤م. وكان البابا بيوس قد أصدر هذا الصك للمدعو فراتر رادولفوس الرئيس العام لطائفة الفريار فى ترينتى المعروفين شعبيًا باسم "إخوان الحمار" لما اشتهر عنهم من حبهم للسفر الكثير والترحال على ظهور الحمير. وكان هذا الصك قد صدر أصلاً سنة ١٤٥٨م لمساعدة أهدافهم النبيلة لتحرير السجناء والعبيد المسيحيين. وهذا الصك لم يصلنا إلا فى طبعة واحدة وإن كان قد طبع أيضًا سنة ١٤٦٤ ولكن على يد فوست و شوفر. وقد تم تنضيده ببنط دوراندوس أساسًا مع بنط الكتاب المقدس ذى الثمانية والأربعين سطرًا للعناوين الرئيسية.

وهذا الصك يمثل الحالة الثالثة بعد الصكوك القبرصية ١٤٥٤ و١٤٥٥م و صكوك نيوهاوزن سنة ١٤٦١ و١٤٦٢م الذى نجد نفس النص فيه طبع من تنضيدتين مختلفتين للحروف مما يوحى بأنه قد توفر عليه طابعان مختلفان. هذا الصك فيما يتعلق بدار فوست و شوفر يؤكد استمرار ما نعرفه عنها منذ فترة طويلة، استمرارها فى إعادة استخدام الأبناط القديمة حيث أنها الوحيدة التى تملك بنط دوراندوس (المستخدم فى النص) وبنط الكتاب المقدس ذى الثمانية والأربعين سطرًا للعناوين والأوليات. ولكن من الجهة الأخرى فطالما أن الطباعة قد توقفت فى دار جوتنبرجهوف فى تلك الفترة فإن هذا الصك يشير بالضرورة إلى أن بنط كاثوليكون قد أتيح للاستخدام فى مكان آخر خارجماينز فى ورشة طباعة أخرى. ونحن نعلم أن طبع الكاثوليكون قد تم تمويله على نطاق كبير أو كليًا من قبل الدكتور كونراد هيومرى ومن ثم نظر إليه على أنه مالك وصاحب بنط كاثوليكون. ونحن نعرف أنه حول ذلك الوقت أسست دار طباعة فى إلتفيل وعلى كل الاحتمالات كانت هناك مساعدة مباشرة فى تأسيسها من قبل يوحنا جوتنبرج وكان

إنشاؤها بتعليمات مباشرة من كبير الأساقفة هناك أدولف شخصيًا أو أحد مساعديه الأقربين. وأن جانبًا من التعاقد مع فريار تريتتى الذى ألمحنا إليه تم مع دار الطباعة الجديدة بناء على ذلك. ومن المرجح أنه لتجهيز المطبعة الجديدة تم نقل قوالب وأمهات ومعدات وأبناط كاثوليكون إلى المطبعة الجديدة بناء على اتفاق ودعم من الدكتور كونراد هيومرى إلى جانب ما أمكنهم نقله من المعدات من دار جوتنبرجهوف إلى إلتفيل.

إن "صك إلى فراتر رادولفوس" المطبوع ببنط دوراندوس يعيد إلى الأذهان باستخدام حرف U المستخدم كاختصار لكلمة الكون باللاتينية، التشابه بينه وبين "الصك القبرصى" ذى الثلاثين سطرًا وإن كان هذا الحرف الأول ليس طبق الأصل للحرف الموجود فى صك قبرص الثلاثينى السطور ولكنه صمم ونفذ بطريقة حاولت تقليده إلى حد كبير. كذلك استخدم حرف V فى "صك إلى فراتر رادولفوس" الموجود فى بنط كاثوليكون بنفس الشكل الموجود عليه فى صك قبرص ذى الواحد والثلاثين سطرًا ولكن يوجد فيه من الاختلافات ما يؤكد على أنه إعادة تنفيذ وأقل روعة من الحرف الأصلى وأصغر حجمًا. ويستطيع المرء رغم كل ذلك، على نحو ما فعل باحثون مختلفون، أن يميز U فى أحد الصكوك عن V فى صك آخر كما هو واضح فى صكوك قبرص جميعًا. هذه الاختلافات والاتفاقات تؤكد الاستنتاج القائل بأن هناك علاقات وثيقة الصلة بين طابع صك قبرص ذى الواحد والثلاثين سطرًا وطابع "صك إلى فراتر رادولفوس" ببنط الكاثوليكون. وليس من المستغرب إذا كان الصك المطبوع ببنط دوراندوس الذى سبق الصك الآخر أكثر أناقة وجمالاً فى تنضيد وقد استخدمت هذه الأبناط فقط فى العناوين والرؤوس حيث كان من الضرورى بالنسبة للصك المجموع بأبناط الكاثوليكون حفر الكلمات التى تتطلب التأكيد بأبناط معدنية وبيتها داخل النص نفسه على هيئة كتل صغيرة. وكانت هذه العملية تحديًا تكنولوجيا وكانت محاولة للتغلب على النقص الواضح فى الأبناط المتاحة فى دار الطباعة الجديدة فى إلتفيل. وهناك تأكيد تكنولوجى على استخدام تلك الحروف المحفورة على كتل معدنية إلى جانب الحروف المتحركة من قبل إخوان الحياة العاة فى مارينتال.

ومن الثابت تاريخيًا أن دار الطباعة الجديدة فى إلتفيل كانت ملكًا للأخوين هنريتش و نيقولاس بخترمنز وكانت تقع فى بناية بخترمنز هوف على الجانب الغربى من حارة الكنيسة (كيرشجاس) لقد طبع هنا فى هذه الدار "Vocabularius ex quo" بين ١٤٦٥ و١٤٦٧ وهو معجم لاتينى وصفته الدراسات الباكرة بأنه موجز لمعجم كاثوليكون الذى كان المصباح المنير فى دار جوتنبرجهوف قبل سبع سنوات من هذا التاريخ؛ والذى تقلبت عليه فيها بعد عدة تسميات ألمانية. وكانت أوراقه الـ ١٦٦ ذات العمود الواحد تمثل حجم الكاثوليكون، ولذلك كان أرخص وفى فترة وجيزة تم طبع أربع طبعات متتالية منه. وقد طبعت منه طبعة ذات قطع صغير على أفرخ سائبة مما يعنى أنه كان يتم طبع صفحتين متجاورتين معا فى وقت واحد على نفس الطابعة. وقد اشتق هذا المعجم اسمه من الكلمتين الافتتاحيتين فيه. ولم يكن هذا العمل مجرد موجز منقح من الكاثوليكون ولكن أيضًا من أبناطه من صبة جديدة ذات أطراف حادة. وهذا يعنى مرة أخرى أن طابع هذا المعجم كان وثيق الصلة بطابع الكاثوليكون. ويرى ألبرت كابر أن ثمة اتفاقًا وقع بين الظهير المالى كونراد هيومرى و يوحنا جوتنبرج تم بمقتضاه نقل كمية من أمهات الكاثوليكون ووضعت تحت أمر الأخوين بخترمنز حتى يستطيعا صب حروف جديدة منها فى إلتفيل. وبعد وفاة هنريتش بخترمنز تشارك أخوه نيقولاس مع فيجاند سبيس من أوتنبرج فى طبعة جديدة من المعجم، تلك الطبعة التى ظهرت سنة ١٤٦٩.

ويرى دارسو جوتنبرج اليوم أن الأخوين هنريتش ومن بعده نيقولاس لم يسهما بشىء يذكر فى الطباعة الفعلية حيث كانا فى الأعم الأغلب مجرد أسطوات أو مُلاَّك لدار الطباعة فى إلتفيل التى أسسها فى حقيقة الأمر جوتنبرج ويديرها عماله بالمياومة، ومن المرجح أن فيجاند سبيس كان واحدًا من هؤلاء الطابعين وكان قد تعلم الطباعة فى دار جوتنبرجهوف قبل ارتحاله مع المخترع فى إلتفيل. ويعزو الثقاة انخفاض جودة طبع هذا المعجم مقارنة بكتاب كاثوليكون إلى تقدم جوتنبرج فى السن وتدهور بصره. وعلى الجانب الآخر يبدو أن دار الطبع فى إلتفيل قد ساعدته على كسب معيشته ودعمه ماليًا واجتماعيًا منذ مصادرة كل ممتلكاته وسناهياته.

ولقد ظهرت طبعة ثالثة من المعجم سنة ١٤٧٢م مطبوعة من صبة جديدة من الأبناط من تلك المستعملة فى صك قبرص ذى الواحد والثلاثين سطرًا. ويجمع الثقات على أن جوتنبرج وحده أو مموله السابق الدكتور هيومرى كان فى وضع يمكنه من إنتاج الأمهات التى استخدمت فى صب الحروف فى دار طباعة بخترمنز. وهذا الأمر يؤكد من جديد أن الصك القبرصى ذا الواحد والثلاثين سطرًا لم يكن ينتج إلا فى دار جوتنبرجهوف.

ويرى المحللون أنه من الجلى بذاته أن مدينة صغيرة رقيقة مثل إلتفيل على نهر الراين كانت مؤهلة لأن تكون واحدة من المدن الأولى فى العالم التى تدخلها الطباعة، وتجد نفسها فى زمن يسير على نفس المستوى والارتباط مع المدن الكبيرة الهامة شأنها فى ذلك شأن ماينز، بامبرج، ستراسبورج، بازل، روما. والتفسير الوحيد لذلك هو أن يوحنا جوتنبرج شخصيًا كان مشاركًا مشاركة مباشرة وفعالة فى إنشاء دار الطباعة فى إلتفيل.

يوحنا جوتنبرج يحصل على معاش من البلاط

يكشف الخطاب التالى نصه عن المصير الذى آل إليه المخترع العظيم. هذا الخطاب يحمل ختم سيد يوحنا جوتنبرج الجديد أدولف الثانى من ناساو و مؤرخ فى ١٧ يناير ١٤٦٥ وسلم يدا بيد إلى يوحنا جوتنبرج ويحمل فى نسخة مخطوطة معاصرة وصلتنا بحالة جيدة ترويسة "كيف يقوم سيدى لورد ماينز بتعيين يوحنا جوتنبرج خادمًا فى حاشية فخامته":ـــ

"نحن أدولف... نعلن ونقرر بكل وضوح وعلى الملأ عن طريق هذه الوثيقة أننا قد أدركنا وعرفنا الخدمات الصادقة والعظيمة التى قام بها العزيز المخلص لنا يوحنا جوتنبرج والتى سوف يقوم بها فى المستقبل لنا ولدوقيتنا. ولهذا السبب وباستثناء خاص قد عيناه وتلقيناه كخادم لنا وأحد أفراد حاشيتنا؛ ونستقبله ونعترف به بهذه الصفة بناء على هذه الوثيقة. وأكثر من هذا فلن وسوف لن نحرمه من هذه الخدمة طالما بقى على قيد الحياة وذلك فى سبيل أن يستفيد ويربح أقصى شىء من هذه الخدمة. ولسوف نقوم فى كل

سنة بكسوته فى نفس الوقت وبنفس الكيفية التى نكسو بها أفراد حاشيتنا العاديين، نكسوه كواحد من رجالنا النبلاء وسوف أتأكد أنه نال كسوة بلاطنا. وفى كل سنة سوف نقدم له عشرين مالتر من الحبوب و٢ فودر من النبيذ لاستهلاكه المنزلى وبحيث لا يبيعها ولا يعطيها لأحد وتكون غيرخاضعة للضرائب والرسوم والمكوس فى مدينتنا ماينز وكذلك نعفيه بكل لطف على مدى حياته كلها وطالما بقى خادمنا من واجب الحراسة والخدمة العسكرية والضرائب والنثريات المختلفة التى فرضناها بالفعل والتى سنفرضها مستقبلاً على مواطنينا والمقيمين معنا على ارض مدينتنا ماينز. وفى مقابل هذا فإن يوحنا جوتنبرج المذكور قد وعدنا صادقًا وأقسم وحلف بشخصه بكل القديسين أن يظل مواليًا ومخلصًا لنا، وأن يمنع الضرر عنا وأن يلبى رغباتنا ويفعل كل ما يفعله الخادم المخلص من واجبات لسيده العادل. وأعد بمراعاه وتنفيذ كل البنود والنقاط والمواد المسجلة بعاليه بكل الصدق والإخلاص والإيمان وبحكم هذه الوثيقة؛ وأعد ألا أتصرف عكس ما ورد فيها أو أتسبب فى اتخاذ أى إجراء أيا كان شكله يخالف ما جاء بها. وكل غش أو خداع أو تزوير مستبعد تمامًا. وكشاهد على ما نقول وضعنا ختمنا على هذه الوثيقة التى تم إصدارها فى إلتفيل فى يوم الخميس يوم سانت أنطونى ١٧ يناير سنة ألف وأربعمائة وستين وخمسة.

وبعد إحلال السلام فى الخامس من أكتوبر سنة ١٤٦٣ بين أدولف الثانى و ديثر فون إيزنبورج سعى كبير الأساقفة الجديد إلى إخماد القلاقل السياسية داخل دوقيته، وإلى حد ما وضع حد للظلم السائد آنذاك. وكان الدكتور كونراد هيومرى من ألد خصومه رغم أنه تم تعويضه عن الخسائر التى منى بها بسبب سقوط ماينز ومن السهل علينا أن نستنتج أنه بناء على اقتراح من روما نفسها، من خلال نفوذ الكاردينال نيقولاس الكيوسى أو من الأمير/ الأسقف فى بامبرج، أو ربما من خلال جامعة باريس نفسها أن أدرك أدولف الثانى أهمية وقيمة الفن الجديد فى طباعة الكتب وأهمية وقيمة مخترع هذا الفن. ولكن من جهة أخرى يمكننا القول بأن أدولف الثانى قد خبر بنفسه من خلال الحرب الأخيرة قوة السلاح الجديد أى سلاح الطباعة وإلى أى مدى يمكن استخدامه فى حرب من نوع آخر.

ولكن ما الذى تريد تلك الوثيقة أن تقوله لنا بالتفصيل؟ إن مادتها الأساسية هى التكريم العام للمخترع العظيم الذى تم الاعتراف به كرجل نبيل فى ظل وسط لم يكن وديا بالنسبة له. وإلى جانب هذا التكريم تريد الوثيقة أن تقول أنه تم تقديم نوع من الحماية الاجتماعية لرجل كان مطاردًا من قبل المحكمة الإمبراطورية فى روتفيل بسبب قرض لم تتم تسويته وكان معرضًا فى أى وقت من الأوقات لأن يقذف به فى سجن المديونين. لقد تلقى الرجل كسوة البلاط كل سنة وما يقرب من ٢١٨٠ كيلو من الحبوب و٢٠٠٠ لتر من النبيذ معفاة تمامًا من الضرائب والرسوم ولاستخدامه الشخصى الخالص. وعلى الأقل أصبح فى استطاعته أن يدعو أصدقاءه إلى ليلة بهيجة مليئة بالأكل والشراب دون أن يخشى الفقر والعوز.

وتكشف الوثيقة كذلك بوضوح شديد أن النبيذ والحبوب يمكن أن تسلم إلى جوتنبرج داخل نطاق مدينة ماينز. ويفهم من ذلك بطبيعة الحال أنه لم يعد منفيا ولم يعد محظورًا عليه دخول مدينة ماينز إلى الأبد على نحو ما حكم عليه بعد سقوط المدينة. ويرى الثقاة أنه كان يعيش جزءًا من السنة فى ماينز ويقضى الصيف والخريف فى إلتفيل على نحو ما تعود عليه كثير من الأشراف. وقد وضعت هذه الوثيقة حدًا لمنفاه الذى بدأ فى ٣٠ من أكتوبر سنة ١٤٦٢م والحاجة المؤقتة إلى أن يقيم نهائيًا فى إلتفيل.

إن "الخدمة الصادقة والعظيمة" التى قام بها وسوف يقوم بها جوتنبرج فى المستقبل ربما تضمنت فيما تضمنت إنشاء مؤسسة طباعة فى إلتفيل لصالح كبير الأساقفة. وربما سعى كبير الأساقفة من وراء تكريم يوحنا جوتنبرج أن ينال الحظوة لدى الإدارة البابوية والبلاط البابوى وحيث كان هناك عدد من الشخصيات المؤثرة فى البلاط ينظر إلى اختراع الطباعة بإعجاب شديد. أما السؤال عمن أسدى إليه المعروف الكبير فى هذا السياق، إنه ذلك الشخص الذى لا يحتاج أبدًا إلى أن يسأل. إننا يجب أن ننظر إلى أدولف الثانى على أنه مخرب ومدمر مدينة ماينز ذات الكبرياء السابق، الرجل الذى صادر حرية المدينة وأذل مواطنيها وسلم إلى روما كثيرًا من الحقوق التقليدية للمنتخب الأول للأمة الألمانية. إنه جوتنبرج الذى أسدى المعروف وأسبغ الشرف على الأمير عندما قبل هذا التكريم من

يده. وبالنسبة لـ جوتنبرج فإن هذا التشريف والتكريم يجب أن ينظر إليه على أنه هبة من الله أجراها له على يد كبير الأساقفة.

وفاة يوحنا جوتنبرج

كان الموت فى العصور الوسطى يعتبر أعظم مغامرة للإنسان الفرد وهناك حيث تلتقى خطوط النوافذ الغوطية المدببة وأقواس الأبواب، وعلى القمة يتخيل المرء الموت ليس كنهاية أبدية ولكن كنوع من المحاكمة والحكم على الميت. وفى تصورهم كانت حياة المؤمن توجه نحو موت سعيد مبارك تأكيدًا للحياة بعد الموت. وقد أحاطت الأفكار الخرافية والمغلوطة بالحياة الآخرة تلك حيث معظم الناس اعتنقوا البعث بكامل أجسادهم مهندمين بملابسهم اللطيفة التى كانوا يلبسونها فى آخر حياتهم وفى فرنسا على سبيل المثال كان الاعتقاد السائد هو أن اللص أو القاتل يجب يدفن عاريًا تمامًا مع ضحيته وبحيث يبعث أمام القاضى يوم الحساب دون أى غطاء يستر عورته. وكان تحمل الظلم والقهر والاستغلال فى الدنيا ممكنًا من خلال الإيمان بعدالة الآخرة على نحو ما نجده فى رائعة دانتى الكوميديا الإلهية التى صور فيها الجحيم والمطهر وعدالة الله الذى يمكن بلوغ رحمته فقط من خلال الأعمال الصالحة والشفاعة.

ولابد وأن يكون جوتنبرج قد أعد نفسه للموت منذ فترة طويلة وخاصة منذ انضم إلى "إخوة سانت فيكتور" على نحو ما ألمحت سابقًا وحيث كانت هذه الجماعة تؤمن لأعطائها مراسيم دفن دينية وصلاة جامعة على أرواحهم حتى تطيب نفوس موتاهم. ويرى الباحثون فى جوتنبرج أنه كان ينتظر يومه الآخر بهدوء ورباطة جأش.

وكان تعيين يوحنا جوتنبرج فى حاشية كبير الأساقفة على نحو ما صادفناه فى الوثيقة السابقة هو آخر ما سجل عن جوتنبرج فى حياته الدنيا؛ وإن كانت هناك كتابات وتقارير تقليدية غير رسمية تشير إلى أنه أصيب بالعمى وكف بصره فى أخريات سنينه. ومن الطبيعى أنه مع تقدم السن أن يتدهور بصره إلى حد عدم القدرة على حفر القوالب وصنع الحروف بوضوح وكانت صناعة النظارات قد وصلت إلى ألمانيا من إيطاليا متأخرة جدًا.

لقد عاش جوتنبرج حتى سنة ١٤٦٨م إذ هناك حاشية على هامش المخطوط المسمى "حولية زيمر" نصها [كان هانز [جوهان] جوتنبرجر يسكن هنا فى ألجشايمر بورش]؛ تشير إلى بناية ألجشايمر المجاورة لكنيسة سانت كريستوف بالقرب من جوتنبرجهوف والتى حولت بعد ذلك إلى مدينة جامعية لطلبة الجامعة. وبنفس هذه الطريقة قام كبير الأساقفة أدولف خلال غزوماينز والاستيلاء عليها بمصادرة بناية جوتنبرجهوف ذلك المنزل الكبير وأعطاه لأحد أنصاره؛ ففى سنة ١٤٦٣م قام أدولف بتسليم هذا المبنى إلى لودفيج زو ليختنبرج. وتذكر المصادر أنه من المحتمل أن يكون يوحنا جوتنبرج قد استرد هذا المنزل وبسط سيادته عليه مرة ثانية بعد أن أنعم عليه كبير الأساقفة بالعودة إلى ماينز وجعله من بين أعضاء بلاطه. وفى سنواته الأخيرة كانت تبلغه أخبار انتشار مشروعه "المغامرة والفن" فى مدن أخرى وفى الصيف خلال إقامته فى إلتفيل كان بالضرورة يتفقد مطبعة نيقولاس بخترمنز.

ومن المحتمل أن تكون قد بلغته رسالة من الخارج بأن شريكه الباكر وخصمه جوهان فوست مات فى باريس فى وباء الطاعون الذى اجتاح المدينة سنة ١٤٦٦م. وقد تأكد هذا الخبر حيث ذكر اسمه خلال القداس الذى أقيم على روحه فى كنيسة فيكتور فى باريس وألحق اسمه بكلمة الطابع.

فى السادس والعشرين من فبراير ١٤٦٨م وثق الدكتور كونراد هيومرى تسلمه معدات طباعية من ممتلكات يوحنا جوتنبرج والذى لابد وأن يكون قد توفى قبيل ذلك التاريخ بفترة وجيزة. وخطابه بتلك المناسبة يؤكد على هذا المعنى ونقتبس منه الفقرة الآتية:

"أنا كونرادت هيومرى، الدكتور، أعلن بهذا الخطاب: حيث أن الأمير الأكثر تبجيلاً، سيدى المعظم المحبوب اللورد أدولف كبير أساقفة ماينز قد تلطف وسمح لى بالحصول على القوالب المختلفة والحروف والآلات والأدوات وغيرها مما يستخدم فى الطباعة التى خلفها يوحنا جوتنبرج بعد وفاته والتى كانت ومازال تخصنى لديه. ولهذا فأنا مدين له شاكر لطفه وفضله وأسجل هذا كله فى هذه الوثيقة وأشهد:أننى لن

استخدم الآن أو فى المستقبل القوالب والأدوات المذكورة فى الطباعة إلا داخل نطاق مدينة ماينز وليس فى أى مكان آخر، وكذلك فى حالة رغبتى فى بيعها فإن عرض على مواطن من المدينة نفس المبلغ الذى يعرضه على الغريب الأجنبى فلسوف أعطيها وأسلمها للمواطن المقيم فى ماينز تفضيلاً له على جميع الغرباء وتأكيدًا لشهادتى هذه وضعت ختمى الخصوصى فى نهاية هذه الوثيقة التى أعدت فى يوم الجمعة التالى ليوم سانت ماتيو من سنة سيدنا عيسى المسيح ١٤٦٨.

ولكى نفهم هذه الوثيقة حق فهمها ثمة ملحوظة لابد من وضعها فى الاعتبار بادئ ذى بدء هذه الملحوظة كتبت فى كتاب طبع بعد وفاة جوتنبرج مباشرة، ويرى الثقاة أنها لقسيس إلتفيل والكاهن فى مؤسسة سانت فيكتور ليونهارد منجوس. هذه الملحوظة التى كتبت بخط يد غوطى عائد للقرن الخامس عشر تقرر [فى سنة ١٤٦٨ بعد الميلاد وفى يوم سانت بلاسيوس مات الأسطى المبجل حنا جنزفلايش يرحمه الله]. وكان منجوس يعرف جوتنبرج معرفة وثيقة فقد كانا معًا شاهدين على شراء عقار سنة ١٤٥٧ فى بودنهايم. هذه الصفقة كانت لصالح إبنة شقيقته أوديلجن وزوجها جوهان جنزفلايش فون سورجنلوخ، وكانت تلك العقارات قد أثقلت بفوائد الديون المستحقة لمؤسسة سانت فيكتور. وكانت للمخترع يوحنا جوتنبرج علاقات أكثر من منجوس الذى تحدر من أسرة فرسان قديمة فى إلتفيل وذلك من خلال عضوية كل منهما فى اخوة سانت فيكتور وإقامته المتقطعة فى إلتفيل، وربما يكون أيضًا قد حرص على حضور خدمات القسيس هناك. وربما عندما اشترى منجوس هذا الكتاب من دار طباعة شوفر تذكر صداقته ومعرفته بالمخترع نفسه ومن ثم أسرع بتسجيل تاريخ وفاته تحت علامة الطابع.

وتأسيسًا على ملحوظة منجوس تلك يكون يوحنا جوتنبرج قد مات فى الثالث من فبراير سنة ١٤٦٨م؛ وهو تاريخ ينسجم مع التاريخ الذى تسلم فيه الدكتور كونراد هيومرى الأدوات والمعدات الطباعية وهو ١٨ من فبراير ١٤٦٨م وقد تعهد ألا يبيع تلك الأدوات والمعدات التى خلفها جوتنبرج خارج مدينة ماينز. ومن هذا النص الصريح نستنتج بلا جدال أن جوتنبرج استمر فى إدارة دار الطباعة بعد الانفصال عن فوست سنة

١٤٥٥م وأن ممول مشروعاته كان الدكتور كونراد هيومرى. وكان من بين المشروعات التى مولها هيومرى كان طبع الكاثوليكون الذى أشرت إليه مرارًا من قبل والذى لابد وأن تكاليفه كانت عالية. ومما يجب أن يذكر هنا أن الدكتور كونراد هيومرى كان رجلاً غنيًا واسع الأفق حريصًا على نشر العلم والمعرفة. وربما من هذا المنطلق وافق على أن تستخدم دار الطبع فى إلتفيل والخاصة بآل بخترمنز أبناط الكاثوليكون فى أعمالها. لقد كان الرأس السياسى للنقابة والضوء الهادى فى جماعة الأخوة "اخوة الحياة العامة" هو نفسه راعى يوحنا المخترع، وكانت أهدافه أهدافًا أخلاقية معنوية بعيدة جدًا عن أهداف فوست المادية التجارية. لقد كان خطاب هيومرى هو تعهد صريح ربما كتب بناء على طلب أو مبادرة من كبير الأساقفة الذى انصرفت رغبة إلى عدم السماح بخروج فن الطباعة إلى خارج مناطق سلطته. ومن المؤكد أن تلك الرغبته قد لاقت هوى ومآزرة من جانب شوفر و بخترمنز.

وترقد رفات جوتنبرج على نحو ما هو مثبت فى الوثائق المختلفة تحت أرض كنيسة سانت فرانسيس وبعد وفاة جوتنبرج بفترة قام آدم جلثوس بنشر نقش يشبه شاهد قبر فى كتاب طبع بعد ٣١ سنة من وفاة المخترع فى ماينز وشاهد القبر مكتوب باللاتينية ترجمته بالعربية تسير على النحو الآتى:

[إلى يوحنا جنزفلايش، مخترع فن الطباعة والذى يستحق أقصى درجات الشرف والتكريم من كل أمة وكل لسان. قام آدم جلثوس بوضع هذا النصب التذكارى تخليدًا لاسمه إلى الأبد. إن رفاته ترقد فى سلام فى كنيسة سانت فرانسيس فى ماينز].

ومما يذكر فى هذا الصدد أن آدم جلثوس هو ابن آدم جلثوس فون دن يونجن آبن وأمه مارجريت فون فورستنبورج. وكلتا العائلتين تمتان بقرابة لأجداد جوتنبرج. وكان أرنولد جلثوس قد ساعد جوتنبرج فى الحصول على أول قرض حصل عليه فى ماينز بعد عودته من ستراسبورج. وطالما أن والدى آدم جلثوس تزوجا فى ١٤٥٧م فإن من المحتمل أن يكون كاتب هذا النقش قد استعاد ذكرى المخترع. وكان آدم جلثوس حاصلاً على إجازة فى الحقوق ويعمل فى خدمة المذبح فى كنيسة سانت نيقولاس فى سانت كويتين فى ماينز

وفى نفس الوقت قسيسًا فى مذبح موقوف على نفس القديس فى كنيسة الأبرشية فى إلتفيل.

وطالما أننا لا نعرف على وجه اليقين سنة ميلاد المخترع بنفس يقين سنة وفاته؛ ولكن يفترض أنها سنة ١٤٠٠م أو بعدها بقليل، فإن جوتنبرج يكون قد عاش نحو ٦٨ عامًا. وبالنسبة للرجال فى القرن الخامس عشر ــ والذين كانوا عرضة للموت خلال الحروب والمعارك وأوبئة الطاعون والأمراض المختلفة ــ يعتبر سن ٦٨ أو حتى ٦٥ مدى واسعًا بالنسبة للأشخاص الذين بدأوا حياتهم العملية مبكرًا ووضعوا كل طاقتهم فيه. وطالما أن عمل جوتنبرج كان يمثل له تطويرًا دائمًا لطاقته الخلاقة فإننا نعتقد أن سعيه الدؤوب فى تحقيق أهدافه جعله على الدوام شابًا مليئًا بالطاقة والحماس.

الشهرة الأبدية

إنتشار الطباعة قبل ١٥٠٠

بعد سقوطماينز سنة ١٤٦٢م ونتيجة لطرد الطابعين من المدينة، انتشر الفن الجديد وبسرعة مذهلة فى كل ربوع أوربا وخاصة فى المدن التجارية ومدن الجامعات وحيث كانت هناك حاجة ماسة إلى الكتب والتى لا يمكن سدُّها إلا عن طريق التكنولوجيا الجديدة وحدها. وقد سارت المطابع الجديدة على نفس نهج المطابع التى قامت فى ماينز والتى تبدأ عادة بتصميم الحروف وإنتاج القوالب وإعداد الأمهات وصب الأبناط. كما أن الطابعات والتجهيزات الجديدة سارت على نفس نمط طابعات وأدوات ماينز. ومن المؤكد أن الإعداد المبدئى لهذا العمل كان يستغرق عامين على الأقل حتى تكون الأبناط جاهزة للتنضيد وإنتاج الكتب الأولى منها وطرحها للبيع. وربما كان هذا هو السبب الذى من أجله كان كثير من المطابع الجديدة يبحث عن ممول والذى يظهر اسمه عادة تحت علامة الطابع أو فى حرد المتن. ومن الملامح الأساسية أيضًا فى طباعة تلك الفترة أن المفاهيم لم تكن قد جردت بعد وأن الطابع كان فى نفس الوقت هو الناشر بل والموزع الذى يسوق منتجاته أى أن الطابع كان ثلاثة فى واحد. ولم يبدأ تجريد المفاهيم

وتفكيك التخصصات إلا بعد فترة طويلة من الزمن. وأكثر من هذا أخذ الطابعون يبيعون حروفهم وأبناطهم لبعضهم البعض. وفى ذلك الوقت بالضبط أخذت المسابك فى النشوء، كما بدأ ظهور باعة الكتب المطبوعة والذين خرجوا غالبًا من بطنى تجارة المخطوطات واتخذ لهؤلاء الباعة أماكن محددة ثابتة وبعضهم كان يحصل على كل نسخ الطبعة الواحدة لتصريفها بنفسه. وربما عن هذا الطريق كذلك بدأ ظهور دور النشر المستقلة. وهذا التمييز بين النشر والطبع وسبك الحروف بدأ يقينا فى إيطاليا وفرنسا قبل ألمانيا.

وفى ماينز تطورت مطبعة بيتر شوفر باتجاه الازدهار؛ وقد استمر نشاطها موجهًا أساسيًا باتجاه طبع الكتب اللاهوتية. وقد طبع شوفر كتب القداس واحدًا إثر آخر لمدن برسلاو، كراكاو، ميسين ثم آخر لمدينة كراكاو ثم كتاب قداس مدينة جنسين ثم ثالث لمدينة كراكاو وأخيرًا كتاب قداس ماينز. وكل تلك الطبعات جرى تنقيحها حتى تصلح للاستخدام فى أسقفيات معينة ثم نفذت بعد ذلك لكل دوقية وحيث قامت بتزويد أديرتها وقساوسها بها. وهذا النوع من الكتب لم يكن لينطوى على أية مخاطر مالية على الإطلاق وكان شوفر يحرص على النوعية الجيدة من الإنتاج مقابل أسعار عالية وقد حصد الرجل من حيث زرع جوتنبرج. وقد مات شوفر مواطنا محترمًا مبجلاً وقاضيًا مدنيا لمدينة ماينز سنة ١٥٠٣م.

والحق يقال إن الطابعين الآخرين فى ماينز لم يكن لديهم ألمعية أو ذكاء بيتر شوفر؛ وعلى سبيل المثال فإن جوهان نوميستر تصفه المصادر بأنه نموذج لطابع المياومة الذى تعلم حرفته فى ورشة جوتنبرج و فوست. وقد ارتحل نوميستر إلى فولجينو و بيروجيا وطبع هناك ثم عاد إلى ماينز حيث طبع كتاب "التأملات" من تأليف جوهان دى توريكريماتا سنة ١٤٧٩م قبل أن يستأنف عمله فى ألبى وليون. وتتميز طباعته فى ماينز بجمال قطعها المعدنية التى صممت على أساس طبعة صدرت فى روما على يد أولريخ هان سنة ١٤٦٧.

فى ماينز أيضًا صدر كتاب أنيق على يد إيرهارد رويتش وهو خطاط رسام مولود فى

أوترخت ويدور حول رحلة حج إلى الأرض المقدسة سنة ١٤٨٣ قام بها رئيس كاتدرائية ماينز بيرنهارد فون برايدنباخ الذى وثق رحلته بلوحات تشغل الصفحة بأكملها مأخوذة عن كتل خشبية. ورغم أن رويتش قد ذكرا اسمه فى حرد المتن على أنه الطابع إلا أن المصادر ترجح أن يكون شوفر قد طبع هذا الكتاب لحساب رويتش وقد طبعت منه عدة طبعات. وفى ماينز أيضًا قام الطابع بيتر فون فرايدبيرج بطبع سلسلة من الكتب الصغيرة المشوقة بسبب مدى محتوياتها.

وقد أشرت من قبل إلى طبع الكتاب المقدس ذى الستة والثلاثين سطرًا فى بامبرج بتمويل من الأمير/ الأسقف جورج فون شومبورج وهو الكتاب الذى توفرت على طباعته مطبعة أولبرشت بفستر التى كانت تطبع الكتب الشعبية وكانت تستخدم الكتل الخشبية فى إنتاج صورها الملونة باليد. أما الطابعون الذين شاركوا فعليًا فى إنتاج الكتاب المقدس ذى الستة والثلاثين سطرًا فقد كان من بينهم هنريتش كيفر و جوهان سنسنشمدت وربما كذلك جوهان نيوميستر. وبعد إصدار كتاب "إيكرمان البوهيمى" وكتاب "الحجر الكريم" لمؤلفه أولرخ بونر قام بفستر بنشر "أربعة تواريخ" إلى جانب طبعات باللغة الألمانية واللغة اللاتينية من "الكتاب المقدس للفقراء".

وفى وقت لاحق دعى كل من جوهان سنسنشمدت و ماجستر هنريتش بتزنشتاينر وكلاهما من ليبزج إلى أن يؤسسا مطبعة فى دير مايكلزبيرج بالقرب من بامبرج وكان أول كتاب طبعاه هناك " كتاب القداس البندكتى" الفاخر سنة ١٤٨١م. وكان هناك طلب وإقبال شديد على كتب سنسنشمدت الدينية وقد تلقى تكليفًا من أحد باعة الكتب بالجملة والناشرين هو بيتر دراخ لطبع "كتاب قداس أولوموسين"، "كتاب قداس براجين"، هذان الكتابان وغيرهما كان دراخ يقوم ببيعها عن طريق وكيله فى بوهيميا و مورافيا المدعو جوهان شميدهوفر. ويمكننا أيضًا أن نصف سنسنشمدت بأنه طابع جوال. ولكى يلبى رغبات العديد من الأساقفة الذين كانوا يرغبون فى معرفة فن الطباعة والإشراف على الطباعة أصدر الرجل الطبعات الأولى من "كتاب قداس راتيسبونن" سنة

١٤٨٥م فى ريجنزبورج؛ كتاب قداس فرايزنج سنة ١٤٨٧م فى فرايزنج؛ كتاب قداس أوجستين سنة ١٤٨٩م فى ديلنجن مقر كبير أساقفة أوجزبورج؛ ومن الغريب ألا يصدر عنه "كتاب قداس بامبرجن" إلا سنة ١٤٩٠م.

وبعد وفاة جوهان سنسنشمدت قام زميله جوهانز بفايل باستئناف طبع كتب الشعائر الدينية إلى جانب الكتيبات الرسمية العادية. وثمة طابع آخر من بامبرج هو هانز سبورر طبع هو الآخر كتيبات شعبية كانت من أسباب اندلاع حرب الفلاحين أو عجلت بقيامها والتى كان من بينها كتيبات كونز هاس:

وقد طرد هانز سبورر من مدينة بامبرج لأنه نشر شعر هجاء وسخرية حول فشل الدوق أولبرخت الشجاع الساكسونى فى أن يكون أسقفا منتخبًا، وقد ارتحل إلى إيرفورت.

وتعتبر ستراسبورج من أهم مراكز الطباعة فى القرن الخامس عشر وتعتبر الثالثة من الناحية الزمنية لدخول الطباعة؛ إذا أغفلنا قيام الطباعة هناك على يد يوحنا جوتنبرج منذ البداية وطبعه لنبوءات سبلين أول نموذج أوربى للطباعة بالحروف المتحركة والتى كما أشرت فى موضع سابق من هذا البحث طبعت فى وقت ما بين ١٤٤١ و١٤٤٤ لارتباط مادتها العلمية بانتخاب فردريك الثالث وحملات الآرماناك مما يجعل ستراسبورج أول مدينة فى كل أوربا تدخله الطباعة بالحروف المتحركة رغم أن فن الطباعة قد بلغ غايته فى ماينز التى خرجت منها الطباعة بالحروف المتحركة وانتشرت فى جميع ربوع العالم.

وإذا نحينا جانبًا التجارب الأولى للمخترع يوحنا جوتنبرج فإن الثقاة يعتبرون هنريتش إيجشتاين و جوهان منتلين هما أول طابعين فى ستراسبورج. ومن الثابت تاريخيًا أنهما عملا معًا مع المخترع جوتنبرج خلال إقامته فى ستراسبورج. ومن الجدير بالذكر أن إيجشتاين الذى كان موظفًا رسميًا لدى أسقف ستراسبورج: روبيرت، رحل إلى ماينز حوالى ١٤٥٤م ليقف على أحدث تطورات مشروع "المغامرة والفن" وعاد إلى ستراسبورج سنة ١٤٥٧م ليؤسس دار طباعة بالاشتراك مع منتلين الذى كان يعمل

صائغًا وكاتب عدل (موثق عقود) فى ستراسبورج منذ ١٤٤٧م. وقد نشر الكتاب المقدس ذو التسعة والأربعين سطرًا فى مجلدين فى بحر سنتى ١٤٦٠ و١٤٦١. وبعد سنة ١٤٦٥ قام كل منهما بتأسيس دار طبع خاصة به وحده. وقد نشر منتلين بمفرده "أول كتاب مقدس ألمانى" فى الواحد والعشرين من شهر يونية ١٤٧٠م. وقيل إن المترجم الذى ترجم هذا الكتاب من اللاتينية إلى الألمانية يدعى فالدينسيان والنموذج المخطوط الذى أخذ عنه يرجع إلى القرن الرابع عشر. ولما كانت اللغة الألمانية المستخدمة فى هذا الـ "أول كتاب مقدس ألمانى" رديئة لم تظهر فى أى لغة محلية أخرى فقد تعرض هذا الكتاب لانتقادات مريرة متكررة. ولكن بعد أن منع كبير أساقفة ماينز بيرتولد فى ٢٢ مارس ١٤٨٥ طبع وبيع الكتب المقدسة باللغة الألمانية خشية أن يقرأها العامة ويقرأون تفسيرات الكتاب المقدس التى كانت خارجة عن خط الكنيسة وفيها ما يحض على الثورة ضد الكنيسة؛ عند ذلك اتجه منتلين إلى نشر كتب اللاهوت وكتب الفلسفة أساسًا. وقد جعلت منه الطباعة مواطنًا غنيًا جدًا ومحترمًا جدًا عند وفاته سنة ١٤٧٨م.

أما إيجشتاين فقد ركز فى مطبوعاته على آداب العصور الوسطى والترجمات الألمانية لأمهات الكتب اللاتينية. وقد طبع لمديرى مبيعاته المتنقلين ما يمكن أن نعتبره أول قائمة مطبوعات أو أول مطوية للإعلان عن كتبه ولم يلبث منتلين و شوفر أن حذيا حذوه فى إصدار تلك المطويات.

وقد خلف منتلين فى أعمال الطباعة زوج ابنته أدولف روش وقد ركز هو الآخر على طبع الكتب الإنسية وكتب الأدب الكلاسيكى. ومن بين طابعى ستراسبورج الآخرين لعل أهمهم كان هنريتش كنوبلتزر طابع كتاب "Ente Krist" وهو كتاب اشتهر بإيضاحياته القوية المعبرة المأخوذة عن كتل خشبية. ومن بينهم كذلك جوهان جرونتجر. وتذكر المصادر أنه مع ختام القرن الخامس عشر كان هناك فى ستراسبورج مالا يقل عن ٥٠ مطبعة.

وفى كولون فى تلك الفترة كان هناك نحو ٣٠ مطبعة. وكان أول طابع بها هو أولرخ

زيل الذى التحق بجامعة إيرفورت سنة ١٤٥٣ وتعلم فن الطباعة على يد فوست و شوفر وقبل أن يسجل نفسه طالبًا فى كلية الآداب الجامعية فى كولون سنة ١٤٦٤م. وربما يكون قد فتح مطبعته الخاصة به هناك فى نفس ذلك الوقت لأن أول طبعة أصدرها خرجت من مطبعته سنة ١٤٦٥. وكان يركز فى نشره على كتب اللاهوت والكتب الكلاسيكية اللاتينية. ومن بين طابعى كولون الآخرين نذكر بارتولوماوس فون أونكل و هنريتش كوينتل باعتبارهما أفضل من طبع كتبًا مقدسة بلهجات شمالى ألمانيا وساكسونيا والتى تضم ثروة من الإيضاحيات المأخوذة عن كتل خشبيـة. وقـد اسـتطاع كوينتل أن يصدر مالا يقل عن ٤٠٠ عمل فى ٢١ سنة بين ١٤٧٩ و١٥٠٠م مما جعله واحدًا من أخصب الطابعين فى زمانه وأغزرهم إنتاجًا.

وفى بازل كان أول طابع بها هو بيرتولد روبيل الذى كان صبيًا سابقًا لدى يوحنا جوتنبرج وكان أول إصدارته الكتاب المقدس باللغة اللاتينية من القطع الكبير سنة ١٤٦٨م وقد جلب له هذا العمل شهرة وإزدهارًا مبكرين رغم أن المنافسة الشديدة المتزايدة دفعت به إلى الخلف. وفى بازل أيضًا برز الطابع مايكل فنسلر الذى جاء من ستراسبورج وأسس مطبعة بدأت بداية قوية وقد طبع كتب القداس لمدن: كولون، ماينز، بازل، تريير، سالسبورى ونشر مالا يقل عن خمسة وعشرين كتاباً فى اتجاهات متباينة وبعد ذلك واجهت مطبعته مشاكل مالية أفلس بسببها ومن ثم خرج من السوق. ويذكر بعض ثقاة المؤلفين أن جوهان أميرباخ و جوهان فروبن كانا من أحسن الناشرين الذين عرفتهم بازل فى ختام القرن الخامس عشر وعرفا بأنهما من الطابعين الأكاديميين المثقفين الذين أقاموا علاقات صداقة حميمة مع جل المفكرين فى أوربا. وقد وضع أميرباخ نفسه ومطبعته فى خدمة حركة الإنسية؛ وقد تميزت مطبوعاته بدقة التحرير والتصحيح وربما كان أول طابع يدرج فى مطبوعاته قائمة تصويبات. وقد اشتهر جوهان بيرجمان فون أولب بين طابعى بازل بنشره كتاب سباستيان برانت "مركب المجانين" الذى توفر على عمل إيضاحياته من كتل خشبية أولبرخت ديرر.

ولعله من غير المفيد فى بحث مخصص لدراسة يوحنا جوتنبرج أن نعدد أكثر من ستين

مدينة وموضعًا ناطقًا بالألمانية دخلته الطباعة فى القرن الخامس عشر بل ويصعب أيضًا أن نأتى على ذكر جميع المطابع التى وجدت فى المدينة الواحدة والتى ربت فى بعض المدن عن خمسين مطبعة كما رأينا من قبل. ولكن لا ينبغى أن تنتهى هذه الدراسة دون الوقوف على أكبر مطبعة أو لنقل مشروع طباعى فى كل القرن الخامس عشر وأعنى به مطبعة أنطون كوبرجر فى نورمبرج والذى وضعت تحت تصرفه كافة الإمكانيات: المطابع القوية الكافية وتجارة الكتب الناجحة المزدهرة فى أكبر مشروع رأسمالى. وقد ذكرت المصادر أنه عمل لديه أكثر من مائة حرفى واستدم فى وقت واحد ٢٤ طابعة؛ وقد زار مندوبوه كل أسواق ومعارض الكتب الكبيرة، وكانت له فروع فى فينسيا، ميلانو، باريس، بريسلاو، فيينا، باساو، كراكاو، بودا. ومن الطريف أن حجم أعماله الطباعية فى بعض الأحيان كان يفوق طاقة مطابعه ولذلك كان يلجأ إلى المطابع فى المدن الأخرى لتنجز له ما فاض على طاقته. وكانت المجالات الغالبة على مطبوعاته: اللاهوت، الفلسفة، القانون، الشعائر والطقوس الدينية. وتجمع المصادر على أن أحسن ما أبدع هذا الطابع هو كتاب هارتمان شيديل "حولية نورمبرج" الذى تضمن ١٨٠٩ صورة مأخوذة عن كتل خشبية عن ٦٤٥ رسمًا أصليا توفر عليها فنانا نورمبرج: مايكل فولجموت و فيلهلم بلايدنفورف. أما الإنجاز الفنى الذى لا يبارى والذى خرج من مطبعة كوبرجر فكان بطبيعة الحال مجموعة اللوحات والإيضاحيات التى قام بها أولبرخت ديرر عن كتل خشبية لكتاب "سفر الرؤيا" فى طبعاته اللاتينية والألمانية؛ وقد احتفظ الفنان بحقوق نشر تلك اللوحات الفذة وأشرف على طباعتها بنفسه. وكان لدى كوبرجر مالا يقل عن ٣٠ تصميمًا مختلفًا للأبناط تحت تصرفه للاختيار من بينها ما يلائم كل حالة وطبقًا لأحوال السوق التى يصرف فيها الكتاب وعادات الناس القرائية وطبقًا للمجال الموضوعى الذى يتناوله العمل وعلى سبيل المثال فإنه بالنسبة للطبعة الألمانية من كتاب شيديل "الحولية العالمية" استخدم الرجل بنط شواباخر، فى حين استخدم للطبعة اللاتينية من نفس الكتاب بنط روتندا "المدور" الذى كانت له شعبية وانتشار فى إيطاليا. وفى إدارته للعمل أخذ كوبرجر عن جوتنبرج مفهوم تقسيم

العمل، ومدخلات كبار الفنانين وتنسيق عمليات الإنتاج والتسويق تحت إشراف شخص واحد وسيطرته.

لقد كان هناك نحو ٣٠٠ مطبعة تعمل فى ٦٠ مدينة ألمانية حتى سنة ١٥٠٠م، ولكن قبل هذا التاريخ بفترة طويلة عبرت الطباعة حدود الإمبراطورية الألمانية وحيث ارتحل طابعون ألمان إلى إيطاليا وفرنسا وأسبانيا وأقاموا مطابعهم هناك؛ وقد أخفق كثير منهم لعدم قدرتهم على مواكبة صعوبات البيئة الأجنبية والتعايش معها. لقد علموا أبناء تلك البلاد فن الطباعة وبعض الألمان حقق نجاحات باهرة ولكن عندما ازدادت المنافسة من الطابعين المحليين اضطروهم إلى الخروج مرة ثانية.

ولعل أحسن تصوير لهذا الموقف تستخلصه من خطاب بعث به إلى البابا سكتوس الرابع، جيوفانى أندريا بوسى أسقف أليريا الذى كان سكرتيرًا للكاردينال نيقولاس الكيوسى لعدة سنوات ثم بعدها كان مديرًا لمكتبة الفاتيكان. هذا الخطاب يتخذ شكل التماس مقدم للبابا بطلب مساعدة مالية للطابعين الألمانيين سوينهايم و بنارتز. وفى هذا الالتماس نجد قائمة بكل الـ ٢٨ كتابًا التى أصدراها بين ١٤٦٥ ومارس ١٤٧٢م بداية من سوبياكو ثم بعد ذلك من روما وقد بلغ مجموع نسخ تلك العناوين الثمانية والعشرين "إذا لم نكن مخطئين" ١٢٤٧٥ نسخة وقد اختتم هذا الالتماس بالفقرة الآتية:

"إنه بسبب الإنفاقات فى طباعة مجلدات نيقولاوس دي ليرا " Postilla Super Bibliam" فقد ازدحمت مطبعتنا بالرزم الراكدة ولكنها [المطبعة] خوت من وسائل العيش. ولو أننا كنا قادرين على بيع عملنا فإننا لم نكن لنلجأ ونتلمس مساعدتكم الخيرة حرصًا على وقتكم الضاغط ومشاغلكم العديدة. ونحن نسألكم فقط أن تستعرضوا قائمة كتبنا على أمل أن تستوقفكم تلك العناوين الشهيرة وتحرككم نحو المساعدة. وإذ خارت قوانا فإننا نتلمس مساعدتكم الرحيمة التى فى مقابلها سنقدم لكم بكل السرور أى عدد من النسخ مما عملت أيدينا تختارونه. وليمتعكم الله بالصحة ورضا النفس. الأب المقدس. روما. ٢٠ مارس ١٤٧٢. فى السنة الأولى من عهدكم".

ومن الواضح أن هذا الالتماس إلى البابا لم يسفر عن أية مساعدة مالية ولهذا السبب لم يستطع أول طابعين فى إيطاليا أن يجددًا أبناطهما وبالتالى تدهورت أعمالهما الطباعية؛ ومات بنارتز سنة ١٤٧٦م وتفرغ سوينهايم لأعمال حفر الخرائط التى برع فيها، وكان الاثنان قد واجها منافسة حادة منذ فترة طويلة قبل هذا التاريخ. وعلى الجانب الآخر حقق أولرخ هان من إنجلوشتادت والذى درس فى ليبزج سنة ١٤٤٣م واشتغل بالطباعة فى بامبرج تحت إدارة أولبرخت بفستر، نجاحًا كبيرًا فى فن الطباعة؛ وقد استخدم حرف روتندا المدور الذى كان مفضلاً فى إيطاليا وكان فى بعض الأحيان يزين كتبه بصور مأخوذة عن كتل خشبية كانت تلون يدويًا فيما بعد. وقد كشفت الدراسات الحديثة عن أنه فى سبيل إعداد الـ ٣٤ صورة الموجودة فى كتاب جوهان دى توريكرياتا "التأملات" نسخ فريسكو جدارية موجودة فى دير رومانى ينتمى إلى طائفة فرا أنجليكو. وفيما بعد طبع عددًا من المنشورات والمراسيم البابوية والخطب والقوانين. وكان أولرخ هان أول من طبع نوتات موسيقية مصاحبة للنص سنة ١٤٧٦. وقد جاء فى حرد المتن فى كتاب القداس هذا "طبع مع النوتات كى تغنى وهو ما لم يحدث أبدًا حتى الآن".

لقد استطاع الطابعون الألمان ومعظمهم من الإكليريين والباحثين الاحتفاظ بمواقعهم فى روما حتى نهاية القرن الخامس عشر. وفى فينسيا عاصمة الثقافة الإنسية ومقر الإنسيين الأساسى والتى غدت أهم مركز باكر للطباعة فى إيطاليا واجه أسطوات الطباعة الألمان أقسى وأخشن منافسة من جانب نظرائهم الإيطاليين. وكان أول طابع فى فينسيا هو الألمانى جوهان فون سبير وربما كان هو نفسه هانز فون سباير الذى ورد اسمه كشاهد فى بعض الوثائق فى ماينز ١٤٦٠ و١٤٦١م. والذى ربما يكون قد تعلم الطباعة من يوحنا جوتنبرج مباشرة وكان أول كتبه قد طبع هناك سنة ١٤٦٩؛ وقد عمل بالاشتراك مع أخيه فندلين فون سبير الذى استمر فى الطباعة بعد وفاة أخيه جوهان المبكرة. ومن الجدير بالذكر أن فندلين نجح فى إصدار أول كتاب مقدس باللغة الإيطالية سنة ١٤٧١م.

ولعل من بين أهم الطابعين فى فنيسيا وأحسن مصمم أبناط فى نفس الوقت هو نيقولاس جنسون وقد أشرنا من قبل أن جنسون قد ارتحل من باريس إلى ماينز لتعلم فن الطباعة من جوتنبرج سنة ١٤٥٨ وقضى عدة سنوات فى صحبة إخوان الحياة العامة فى ماريتال. ومن ماريتال ذهب إلى إيطاليا لأسباب شرحتها من قبل وعمل لفترة قصيرة مع جوهان فون سبير وشقيقه فندلين. وفى سنة ١٤٧٠م أسس مطبعته الخاصة التى تطورت فيما بعد لتصبح شركة تضم معه بعض الطابعين الألمان وتحت الإشراف والتمويل المالى من جانب تاجر فرانكفورت الغنى أوجيلهايمر. وفى نفس سنة ١٤٧٠ نشر أول كتاب بالبنط الرومانى الفخم الذى صممه جنسون بنفسه والذى ألقى بظلاله على كل الأبناط الرومانية التى تلت. لقد كانت الأبناط الطباعية الباكرة مأخوذة عن خطوط يدوية سائدة مضافًا إليها لمسات جمالية من صنع الفنان. وقد استطاع جنسون أن يتمثل الحروف الإنسية الصغيرة وينقلها مباشرة إلى أبناط معدنية. ومات الرجل سنة ١٤٨٠ فى ظل ظروف من الازدهار والنجاح.

كذلك حاز إيرهارد راتدولت من أوجزبورج شهرة ونجاحًا من خلال عمله مع رجلين من نفس بلده هما بيتر لوسلين و بيرنهارد مالر؛ وقد نشروا فى فينسيا نحو ستين كتابًا علميًا كان لها صدى عظيم هناك. وكان هذا الطابع يحيط معظم صفحاته بإطارات ملفوفة مطبوعة بخط أبيض من تصميم وتنفيذ بيرنهارد مالر وقد أخذت تلك الإطارات عن كتل خشبية وطبع بعضها فيما بعد بألوان مختلفة. وكان إيرهارد راتدولت قد بلغ من الكبر عتيا عندما نقل أعماله الطباعية فى فينسيا إلى أوجزبورج ولكن تصاميمه للحروف الأولى فى فينسيا انتشرت هى وتصاميم الإطارات إلى كثير من المدن الألمانية الأخرى. وقد غدا الرجل مشهورًا فى ألمانيا بطباعته لكتب الشعائر.

وليس ثمة شك فى أن أشهر طابع وناشر إيطالى فى فترة المهاديات التى تمتد تعسفيًا إلى سنة ١٥٠٠م هو الإنسى ألدوس مانوتيوس الذى طبع الكلاسيكيات اليونانية واللاتينية بكثرة وبشكل جديد فى فينسيا وكان مصمم الحروف ومنفذها الشهير فرانسسكو جريفو من بولونيا قد أعد له سلسلة كاملة من الأبناط اليونانية والرومانية. ويعتبر ألدوس

مانوتيوس هو أول من أدخل الحرف المائل الصغير الضيق على غرار خط يد الإنسيين، وهو البنط الذى استخدم فى تنضيد الكتب الرخيصة من حجم الجيب والتى كانت تطبع فى طبعات كبيرة نسبيًّا.

ويعتبر كتاب فرانسسكو كولونا المعنونHypnerotomachia Poliphili أجمل ما طبع ألدوس مانوتيوس وقد ظهر هذا العمل سنة ١٤٩٩ ويحتوى على ١٧٠ صورة مأخوذة عن كتل خشبية يحيط بكل منها إطار أسود لموازنة ثقل النص نفسه. وتذكر المصادر أن هذا الكتاب بلا تردد يعتبر قمة فنون الكتاب فى عصر النهضة ويعتبر الكتاب الوحيد الذى يقف من الناحية الجمالية ندًا للكتاب المقدس ذى الاثنين والأربعين سطرًا المنشور قبله بنحو ٤٤ عامًا.

وبحلول عام ١٥٠٠ كان قد نشر فى فينسيا وحدها أكثر من ٤٥٠٠ عنوان صدرت عن ١٥٠ مطبعة فى طبعات متقاربة النسخ تتراوح الواحدة منها بين ٢٠٠ و٥٠٠ نسخة. وإلى جانب روما و فينسيا كان هناك نحو ٥١ مركزًا طباعيًا آخر. لقد كان الاقتصاد الإيطالى فى تلك الفترة متقدمًا للغاية مع نهاية القرن الخامس عشر بحيث تفوقت على البلد التى اخترع فيها فن الطباعة سواء فيما يتعلق بعدد الكتب أو نوعية الكتب التى صدرت فيها.

ولعل ثانى أهم مركز للطباعة فى تلك الفترة الباكرة بعد فينسيا كانت العاصمة الفرنسية باريس والتى بلغ عدد سكانها فى ذلك الوقت ٢٠٠.٠٠٠ نسمة. لقد دعا اثنان من السلطة الأكاديمية فى السوربون هما غليوم فيشيه و جوهان هنلين ثلاثة من الطابعين الألمان للحضور إلى باريس وهم: أولرخ جيرنج من كونستانس و مايكل فرايبورجر من كولمار و مارتين كرانتز من ستراسبورج. وكانت مطبعتهم تعتبر جزءًا من مكتبة الجامعة تحت الإشراف العلمى لـ هنلين والإشراف المالى لـ فيشيه. وينتهى أول كتاب طبعوه بحرد متن من أربعة أبيات شعرية فى ثمانى شطرات ترجمتها إلى العربية يمكن أن تسير على النحو الآتى:

كما تشع الشمس بنورها فها أنت تنشرين العلم على الأرض.

إنه الغذاء الملكى لربات الفنون السبع فى باريس.

الفن الإلهى غدا مقبولاً من الجميع.

ذلك الفن الذى اخترعته ألمانيا من الكتابة الصناعية.

أنظر وشاهد أولى الكتب التى صنعت بتلك الوسائل.

فى أرض فرنسا داخل جدرانك.

مايكل، أولرخ، مارتين الأسطوات.

قاموا بطبعها ولسوف يطبعون المزيد منها.

وللأسف كانت رعاية الجامعة لهذا المشروع قصيرة الأجل واضطر الطابعون إلى الانتقال خارج الجامعة إلى شارع سانت ــ جاك على الرغم من أن الجامعة ظلت تمدهم ببعض التكليفات يطبعونها لحساب الجامعة. ومن الطريف أن خريجى جامعة السوربون من الألمان كانوا يعملون فى تصحيح بروفات هذه المطبعة قبل أن ينشئوا مطابعهم الخاصة أو يشتركوا فى مطابع قائمة بالفعل مع آخرين ويصدق هذا القول على طابعين من أصول ألمانية مثل: بيرتولد رمبولدت؛ بيتر فاجنر (بتروس كايزاريس)؛ سيمون دولياتوريس؛ جورج وولف وغيرهم. لقد أصبح تيلمان كيرفر طابعًا مهمًا فى باريس وكان هناك إقبال شديد على "كتب الساعات" أو السواعى التى ينشرها ويكلف مطابع أخرى بطبعها لحسابه وكان جان بتيت الناشر يحذو حذوه فى تكليف الطابعين الآخرين بالطبع لحسابه. وقد ساعدت مركزية سلطة الإشراف على طبع ونشر الكتب على إزدهار هذه الصناعة والتجارة فى فرنسا وبحيث غدت فرنسا فى النصف الثانى من القرن السادس عشر الدولة الرائدة فى صناعة الكتاب.

لم تلبث ليون أن حذت حذو باريس فى تطوير صناعة الكتاب وأصبحت مهدًا من مهاد اختراع جوتنبرج وقام الطابعون الألمان بتكوين علاقات وثيقة مع تجار الكتب

الفرنسيين فى تلك الحاضرة الفرنسية. وقد صور جوهان تريشسيل فى حرد متن أحد كتبه تلك الحقيقة بكلماته "الرجل الفرنسى والرجل الألمانى يجد كتبى تحيط به. وكل فرنسا تمتدح وتعجب بكتبى وتشتريها. هنا [فى ألمانيا] يتكون الكتاب فى الرحم وهناك [فى فرنسا] تتناوله الأيادى. أنظر هناك من يتعجب ويندهش ولا يصدق أن جوهان تريشسيل هو الذى صمم ونفذ تلك الأبناط".

انتشرت الطباعة كذلك فى نفس الفترة وبسرعة فى أسبانيا والبرتغال وفى هولندا وبلجيكا وإنجلترا وسويسرا وبولندا، وفى بوهيميا ومورافيا والمجر ويوغوسلافيا والدنمارك والسويد كل هذا خلال الثلاثين سنة الأخيرة من القرن الخامس عشر وبعد ذلك غزت العالم كله وغطته بأجمعه على مراحل مختلفة فيما بعد. ويمكننا القول مطمئنين أن ٥٠٪ من المهاديات كانت كتبًا دينية لاهوتية ويأتى بعدها مباشرة الكتب الكلاسيكية إلا فى إيطاليا حيث كانت لها الأولوية قبل كتب اللاهوت. وفى المرتبة الثالثة تأتى الكتب الشعبية والتقاويم والأدب باللغات العامية المحلية. وكم يكون ممتعًا أن نستقصى المهن التى تحدر عنها الطابعون الأوائل، إذ كشفت دراسات وبحوث أوائل المطبوعات عن أن معظم هؤلاء الطابعين كانوا من الإكليريين خاصة وغيرهم كانوا من الصاغة، كما تحدر جانب من هؤلاء الطابعين من مهن هى بالفعل ذات صلة بالكتاب مثل قطع الكتل الخشبية أو الخطاطة والتحمير والنسخ.

لقد قدَّم غليوم فيشيه الأستاذ رئيس السوربون فى باريس والذى أتينا على ذكره من قبل لأحد الكتب سنة ١٤٧١م.

"لقد كان يوحنا جوتنبرج أول الرجال الذين ابتكروا فن الطباعة الذى عن طريقه تصنع الكتب، وليس عن طريق الكتابة بقلم من غاب على نحو ما كانت تصنع به الكتب من قبل وليس عن طريق قلم المعدن كما نفعل الآن، ولكن بحروف معدنية وبسرعة وأناقة وجمال. إنه رجل حاز بكل تـأكيد كل ربات الفنون وكل الفنون. وكل الأصوات التى تجد فى الكتب بهجة تكرمه بالمديح والثناء الإلهى".

وقبل ذلك بقليل ظهر النص اللاتينى الآتى فى كتاب نشر سنة ١٤٧٠ فى باريس: "لقد صنعت ألمانيا أشياء كثيرة خالدة ولكن أعظمها على الإطلاق فن الطباعة". والسطور الآتية طبعت فى أحد الكتب فى سيينا سنة ١٤٨٧م "ما كان فيما مضى يحتاج الكاتب لإنجازه فى عام تنجزه الهدية القادمة من ألمانيا فى يوم واحد". كذلك كتب فيرنر رولفنك فى كتابه اللاتينى "كراسات مؤقتة": "إن فن الطباعة الذى اكتشف فى ماينز هو فن الفنون جميعًا وعلم العلوم جميعًا؛ ومن خلال انتشاره السريع غنى العالم وتنور بكنز لا يقدر بثمن من المعرفة والحكمة المدفونة".

ويقدر الثقاة بعد دراسات إحصائية معقدة أنه كان هناك حتى سنة ١٥٠٠م نحو ٢٥٥ مركزًا طباعيًا توفرت على نشر مالا يقل عن ٣٠.٠٠٠ عمل مطبوع بعدد من النسخ يصل إلى ٢٠ مليون نسخة. لم يذهب جهد جوتنبرج سدى.

تاريخ دراسات جوتنبرج

رغم أن جوتنبرج وإنجازاته يدرس منذ خمسة قرون عددًا ورغم كثافة تلك الدراسات والبحوث عبر القرون إلا أنه ماتزال هناك جوانب فى شخصية وإنجازات جوتنبرج لم تستطع الدراسات النفاذ إليها ولم تغطها لعدم وجود البيانات والمعلومات الخاصة بتلك الجوانب. ونأمل أن نصل إلى اكتشافات جديدة تقودنا إلى تبصرات واستبطانات أخرى نملأ بها الفجوات ونصحح بها بعض المفاهيم.

وعلينا فى ختام هذا البحث عن يوحنا جوتنبرج أن نلقى نظرة راجعة على الدراسات الماضية ونظرة تقدمية مستقبلية. ومن الطبيعى ألا نتمكن من الحديث عن دراسة وبحث جوتنبرج فى القرن السادس عشر ذلك أنه من المرعب حقيقة أن تختفى ذكرى المخترع بسرعة فى ذلك الوقت وعلى سبيل المثال قام جوهان شوفر ابن بيتر شوفر بإغفال ذكر اسم جوتنبرج من كل كلوفونات الكتب المتعاقبة عن قصد وسوء طوية ونسب الفضل كله إلى جده جوهان فوست وإلى أبيه شوفر على أنهما وحدهما هما مخترعا هذا الفن ومن خلال هذه التعمية لم يستطع الكثيرون الوصول إلى المخترع الحقيقى ومعرفته فمن الجلى أنه لا أولرخ فون هوتن ولا إراسموس من روتردام توصلا إلى المخترع الحق. كذلك جاء

تضليل آخر من جانب طابع ستراسبورج جوهان شوت الذى نسب اختراع الطباعة إلى جوهان منتلين أحد أوائل الطابعين فى ستراسبورج والذى أتينا على ذكره من قبل وهى خرافة وجدت صداها لدى العديدين. وتسجل الكتب الدراسية فى الأراضى الواطئة حتى اليوم أن لورنز جانسون كوستر هو الذى اخترع الطباعة على نحو ما قدمت سابقًا فى عدة مواضع من هذ البحث؛ كما يقف تمثال له فى مدينة هارلم شاهدًا على ذلك. وفى شمالى إيطاليا وعلى وجه التحديد فى مدينة فلتر يقف نصب تذكارى للفيزيائى والشاعر بامضيلو كاستالدى تخليدًا لذكراه على أنه هو مخترع فن الطباعة. وفى يوم عيد سانت جون سنة ١٦٤٠م أقيم احتفال بمناسبة مرور قرنين على اختراع الطباعة نظمه فى ليبزج الرئيس المساعد فى دير سانت نيقولاى، سياستيان جوتفريد ستارك حيث كرم فوست و شوفر باعتبارهما المخترعين للطباعة ووصف جوتنبرج بأنه مجرد مساعد لهما. وفى الاحتفال بالمئوية الثالثة لاختراع الطباعة، أقيمت المراسيم وألقيت الخطب والكلمات فى كنائس مدينة ليبزج وكذلك فى الجامعة لم يذكر رئيس الجامعة جوهان كريستوف جوتشيد إلا فوست و شوفر باعتبارهما مخترعى الطباعة ولم يشر من قريب أو بعيد إلى يوحنا جوتنبرج.

والحقيقة أن البحث العلمى حول جوتنبرج بمعناه الحديث يبدأ بنشر كتاب جوهان دافيد كوهلر الموسوم "تبرئة وإنقاذ سمعة يوحنا جوتنبرج من واقع المستندات والوثائق ذات الحجية" سنة ١٧٤١م وبعد ذلك البحث الموثق توالت الوثائق والمصادر تباعًا وظهرت إلى النور نظريات مؤيدة ونظريات معارضة، وعلى مر العقود كانت المناظرات والبحوث والدراسات العلمية بل ودخل فى الميدان خبراء وباحثون من مجالات أخرى ورغم كل الخلافات والنزاعات إلا أن نتائج مثمرة وأعمالاً خلاقة حول جوتنبرج وإنجازاته تم نشرها وتداولها رغم أن بعض الدراسات الجدلية التى استمرت طويلاً قد وصلت إلى طريق مسدود على نحو ما حدث مع "كتاب القداس الخاص". وقد أشعل وقود تلك البحوث والدراسات والمناظرات علماء وباحثون ثقاة من أمثال: أوتو هوب، أدولف شميدت، جوتفريد زدلر، كونراد هايبلر، بول شوينك وغيرهم. لقد ساد لفترة طويلة أن "كتاب القداس الخاص" هذا هو أقدم كتاب مطبوع فى العالم ولكن ثبت بعد

ذلك وبعد تحليل العلامة المائية للورق أنه إعادة طبع متأخرة من طبعة بازل سنة ١٤٧٣م؛ وما يزال باب الاجتهاد مفتوحًا حول هذا الكتاب. ومهما يكن من أمر تلك الدراسات فإنها تلفت نظرنا إلى شىء هام وهو أن معلوماتنا عن جوتنبرج ماتزال قليلة وتحذرنا من التعميم.

ولعل الكتاب القياسى عن يوحنا جوتنبرج هو ذلك الذى أعده بتأن وتفضيل ألويز روبيل الذى كان لفترة طويلة مديرًا لمتحف جوتنبرج فىماينز والذى رغم ما فيه من هنات وتحيز قليل لماينز يعتبر علامة فارقة فى تاريخ دراسات وبحوث جوتنبرج. إلى جانب العدد الكبير من الدراسات التى تناولت جوانب محددة من حياة وإنجازات جوتنبرج نشرت فى العقود الأخيرة دراسات تحليلية تركيبية رائعة يمكننا أن نتميز منها دراسات فرديناند جيلدنر و هانز لولفنج وكذلك العمل الهام الذى نشره هانز فندهام حول الوضع الحالى لبحوث جوتنبرج وأيضًا الدراسة الشيقة المصاحبة لصورة الكتاب المقدس ذى الاثنين والأربعين سطرًا طبق الأصل والتى توفر على نشرها الناشر إديون/ فيرلاج. ومن الطبيعى أن ينشر كل ما هو جديد فى "كتاب جوتنبرج السنوى" الذى تتوفر عليه جمعية جوتنبرج.

ورغم أننا لا نأمل فى اكتشافات هامة فى المستقبل القريب إلا أن اتجاهات البحوث فى المستقبل تركز على الظروف والبيئة والعلاقات التى أحاطت بشخص المخترع. ذلك أن العديد من الشخصيات القيادية فى تلك الفترة والتى كانت له علاقات بالمخترع لديها ما يمكن أن تقدمه لنا وتقوله ومن بين تلك الشخصيات نيقولاس الكيوسى، إينيا سيلفيو بيكولومينى، جريجور فون هايمبورج، بيتر كنور وغيرهم وكانوا جميعًا على صلة بما يقوم به جوتنبرج وبالاختراع الذى قدمه للبشرية وربما لم نكتشف من وثائقهم إلا النزر اليسير. ومن المؤكد أن هناك ضامنين وكفلاء للمخترع فى ستراسبورج و ماينز فى انتظار الباحثين والدارسين. وكلنا أمل فى أن تساعدنا التكنولوجيا الحديثة على تحليل أحبار الطباعة والورق المستخدمة آنذاك والكشف عن أسرار جديدة. وأكثر من هذا فإننا فى أمس الحاجة إلى دراسة النسخ المختلفة من العمل الواحد دراسة مقارنة لتوليد بيانات

ومعلومات جديدة ولعل كتاب الكاثوليكون مايزال فى أمس الحاجة إلى المزيد من الدراسات. ولكن حتى أقصى ما يمكن إنفاقه من مال ووقت لن يلقى إلا ضوءًا محدودًا على مزيد من حياة وإنجازات جوتنبرج وإن كان علينا ألا نيأس.

يوحنا جوتنبرج اليوم

ليس أشق ولا أصعب من الإجابة على سؤال ماذا فعل اختراع الطباعة بالعالم؟ ذلك أنه يحتاج إلى مجلدات وإلى حشد من الباحثين فى جميع نواحى الحياة ومع ذلك لن تكون الإجابة شاملة واعية. فاكتشاف الطباعة بالحروف المتحركة لم يكن إلا استجابة لحاجة إجتماعية وأنه لابد وربما فى نفس الجيل كان لدى آخرين نفس الفكرة ونفس المفهوم وإن لم يخرجها إلى حيز التنفيد. ونحن هنا لن نغرق أنفسنا فى مناقشة حول أهمية الفرد داخل سياق العملية التاريخية. لقد فتحت دراسات الطباعة الحديثة والثورة التى أحدثتها آفاقًا تاريخية مختلفة ومجالاً جديدًا للبحث العلمى.

إن من المقطوع به أن اختراع الطباعة قد أدى إلى انتشار التعليم بمعدلات مختلفة لأن هذا العمل وضع الكتب والمعرفة فى متناول المجتمع المختلفة. كذلك أدى هذا الاختراع إلى تقدم اقتصادى كبير من خلال إنتاج واستهلاك وتوصيل وتنمية المهارات فى مجال حيوى جديد مثل مجال صناعة وتجارة الكتب. يذكر بعض الثقاة أن كريستوفر كولومبوس عرف أن الأرض كروية من خلال الأعمال المطبوعة وأنه يمكن بلوغ الهند من جهة الغرب كذلك. لقد ساعدت الكتب يقينا على تركيم العلم والمعرفة ودفعهما قدما إلى الأمام. ولقد أفادت جميع الأفكار التقدمية من الطباعة وعلى سبيل المثال لا الحصر قرظ مارتين لوثر الطباعة لأنها كانت أكبر معين للقيام بعملية الإصلاح وبدون عشرات الآلاف من الأفرخ العريضة التى تم طبعها وتوزيعها ما كان ممكنًا لمطالب الفلاحين أن يتم تداولها والتعرف عليها فى حرب الفلاحين سنة ١٥٢٥م. ولقد كتب فرديتش شيللر سنة ١٧٨٨ فى "تاريخ تقسيم الأراضى الواطئة المتحدة": لقد لعبت الطباعة ونشر الكتيبات دورًا حيويًا بارزًا فى ظهور الأراضى الواطئة إلى حيز الوجود. إنه من خلال هذا الجهاز استطاعت عقول قليلة ثائرة أن تخاطب الملايين. وربما لهذا السبب حدث رد الفعل

لدى السلطات المختلفة فى كل مكان وأسرعت بتكميم المطبعة من خلال الرقابة وغيرها من الوسائل التى فرضتها الدولة والسلطة الدينية. كتب كارل ماركس "إن من الجلى الواضح، الأسباب التى تجعل المطبعة أهم أداة فى تثقيف وتعليم وتفقيه الجموع.. إنها تحول المعركة المادية إلى معركة المثل، ومعركة اللحم والدم إلى معركة روحية؛ معركة الحاجات والشهوات والمستلزمات إلى معركة النظريات والمنطق والشكل". ويضع هنريتش مان نفس الشىء فى قالب آخر إذ يقول "إن كتب اليوم هى أعمال الغد".

وفى هذا المعنى فإن أهمية الكتاب تأخذ فى الازدياد. وتقوم الدول النامية فى العالم بمواجهة أمية مئات الملايين من سكانها بالكتب المطبوعة. كما أن كل دولة تقوم من جانبها بخلق صناعة نشر وإنتاج فكرى خاص بها وثقافة نابعة من بيئتها. كما كشفت التجربة فى أوربا على الأقل أن الطباعة ساهمت مساهمة فعالة فى التعليم باللغات المحلية وتسهم أيضًا فى إحياء آدابها الشعبية. كما أسهمت فى تنمية التلاقح الفكرى والثقافة بين الشعوب.

وليس ثمة شك فى أن مآثر الطباعة وآثارها الحميدة والتى ستظل باقية أنها نقلت أدب الطفل من المشافهة إلى كتب مطبوعة يلجأ إليها الأطفال وخاصة الموهوبون لتنمية مواهبهم واكتشاف قدراتهم الذاتية وليعلموا أنفسهم بأنفسهم. ومن المؤكد أن الكتب المطبوعة قد أدت إلى تحقيق نوع من الديمقراطية السياسية والديمقراطية الفكرية فالمعلومة والقراءة الآن حق لكل مواطن.

وأخيرًا وليس بآخر فقد أثَّرت الطباعة والكتب فى عالم تذوق الفنون ذلك أن تعديد نسخ كتب الأدب بسعر زهيد وكذلك نشر كتب الفنون المصورة والبصرية وكتب الموسيقى واتاحتها أمام عدد لا يحصى من الناس أدى بالضرورة إلى تنمية الحياة الثقافية والفنية. وغنى عن القول أن إلحاق النص الجاف بمستنسخات مصورة ساهم إلى حد كبير فى فهم النص وتذوق المعانى.

ولكن ماذا عن التطورات الكبيرة فى مجال الكتاب الإلكترونى والمكتبة الرقمية التى بدأت تجتاح العالم مع العقد الأخير من القرن العشرين ومطالع القرن الواحد والعشرين وماذا يعنى لنا جوتنبرج فى عصر حل فيه التنضيد أو لنقل الجمع التصويرى والرقمنة محل

التنضيد المعدنى. لقد تحدث أستاذ الاتصالات الكندى مارشال ماكلوهان عن نهاية "كوكبة جوتنبرج" وتنبأ بحل العقدة القائمة بين الأبجدية والقوالب الإلكترونية. وفى رأيه أن الزمن القادم ينتمى للقرية العالمية؛ على نحو ما نصادفه الآن فى الراديو والتليفزيون والإنترنت وغيرها من وسائل الاتصال الإلكترونى. ولكن فى رأى ألبرت كابر أن من يرى نهاية للكتاب المطبوع أو يرغب فيها إنما يعلب بأيدى هؤلاء الذين يريدون مجتمع توليد المعلومات فقط والردة إلى شكل جديد من الأمية. إن كل ما حدث هو أن تكنولوجيا التنضيد والطبع قد اتخذت شكلاً جديدًا فقط كما أن شكل الكتاب نفسه قابل للتحول والتغير. ومن المؤكد أن يوحنا جوتنبرج لم يكن على أية حال مخترع شكل الكراس الذى عليه الكتاب الآن. لقد أصبح اسم جوتنبرج مرادفًا لمفهوم وفكرة تنضيد وجمع حروف متفرقة معًا ونظمها فى كلمات وسطور وصفحات ونصوص. ومايزال هذا المبدأ الأساسى فى الطباعة قائمًا سواء صبت تلك الحروف من أشابة الرصاص/ الصفيح/ الأنتيمون أو نضدت بواسطة شعاع كاثود عن طريق الاستربوسكوب بسرعة إلكترونية ٥٠٠.٠٠٠ حرف فى الساعة أو أية سرعة يصل إليها فيما بعد.

لقد ارتبط اسم جوتنبرج وأصبح أيضًا مرادفًا للموازنة بين التجديد التكنولوجى والنواحى الجمالية وموقفنا اليوم يمكن أن يقارن من جوانب عديدة بعصر جوتنبرج وحيث يمكن التحدث بنفس لغة التحول من الكتاب المخطوط إلى الكتاب المطبوع والتحول من تنضيد الحروف إلى اختزان معنوى للبيانات ونقلها عبر تكنولوجيا معلومات جديدة. لقد كافح جوتنبرج من أجل شكل جديد للكتاب يناسب العيون والأيادى بمالا يمثل تغييرًا جذريًا فى هذه الزاوية عن الكتاب المخطوط بقدر التغيير الذى بدأ الآن فى عصر الرقمنة والإلكترون فالكتاب لم يعد فى حاجة إلى وضعه فى جهاز قراءة تكنولوجى. ومايزال الكتاب الإلكترونى يحتاج إلى تصميم يستعمل نفس الخيال ونفس الطاقة ومايزال هو الأداة الأساسية لحمل الفكر. وربما لهذا السبب فإن جوتنبرج حتى الآن على الأقل ما يزال شخصًا حيًا فى إنجازه وفى المستقبل سيكون نموذجًا يحتذى.

حولية جوتنبرج

تتويجًا لهذا البحث نورد فيما يلى أهم الأحداث فى حياة يوحنا جوتنبرج مرتبة على السنين إلى جانب الأحداث الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية التى عاصرها الرجل من قريب أو بعيد وطالت الرجل واختراعه.

١٣٨٦	زواج والدى يوحنا جوتنبرج.
١٣٨٨	تشوسر يكتب رائعته "حكايات كانتربرى".
١٣٩٠	أول مصنع للورق فى كل ألمانيا يقام بالقرب من نورمبرج على يد أولمان سترومر.
١٣٩٩ ــ ١٤١٣	هنرى الرابع ينصب ملكًا على إنجلترا.
١٤٠٠ ــ ١٤٠٣	التاريخ المرجح لمولد يوحنا جنزفلايش الذى عرف فيما بعد باسم جوتنبرج وذلك فى ماينز.
١٤٠١ (٢٢ من أكتوبر)	مولد نيقولاس الكيوسى (كوسانوس).
١٤٠٣	الملك تادشونج يقيم أكبر دار للطباعة فى كوريا بمئات الآلاف من الأبناط البرونزية.
١٤١٠ ــ ١٤٣٧	تنصيب سيجسموند ملكًا على ألمانيا وإمبراطورًا رومانيًا مقدسًا.
١٤١٣ ــ ١٤٢٢	هنرى الخامس ملكًا على إنجلترا.
١٤١٤ ــ ١٤١٨	إنعقاد مجلس كونستانس.
١٤١٥	حرق جان هوس على خازوق الحرق فى كونستانس بعد إتهامه بالهرطقة.
١٤١٧ ــ ١٤٣١	تنصيب البابا مارتين الخامس.

١٤١٨	تاريخ أول كتلة خشبية للطباعة فى أوربا.
١٤١٨ ـ ١٤١٩	المدعو جوهانيس دى ألتا فيلا (= إلتفيل) يدرس فى جامعة إيرفورت.
١٤١٩	وفاة والد يوحنا جوتنبرج والمدعو فرايبل جنزفلايش زور لادن.
١٤٢٢	تنصيب القاصر هنرى السادس ملكًا على إنجلترا، ووصيا على بيدفورد.
١٤٢٢	التاريخ المرجح لمولد وليام كاكستون أول طابع وناشر فى إنجلترا.
١٤٢٧ ـ ١٤٢٨	أول ظهور اسم "هنجن زو جودنبرج" ليوحنا جوتنبرج فى إحدى وثائق ماينز.
١٤٢٨	النقابات تتولى قيادة مجلس مدينة ماينز بعد معركة ضارية.
١٤٢٨	يوحنا جوتنبرج يغادر ماينز لجهة غير معلومة.
١٤٣١ (٣٠ مايو)	حرق جان دارك فى روون لإتهامها بالسحر.
١٤٣١ ـ ١٤٤٧	تنصيب البابا يوجنيوس الرابع.
١٤٣١ ـ ١٤٤٨	مجلس بازل ولأول مرة يحضره نيقولاس الكيوسى، إينيا سيلفيو بيكولومينى، جريجور فون هايمبورج كممثلين.
١٤٣٩ ـ ١٤٤٩	انتخاب أماديوس الثامن دوق سافوى بابا على يد مجلس بازل ضد بابا روما يوجنيوس الرابع.
١٤٣٣ (صيف)	وفاة أم يوحنا جوتنبرج.

١٤٣٤ (١٤ مارس)	أول ذكر ليوحنا جوتنبرج فى ستراسبورج.
١٤٣٦	الصائغ هانز دون يتلقى من يوحنا جوتنبرج ما يزيد على ١٠٠ جولدن "وذلك لقاء استخدام طابعة فقط".
١٤٣٧	يوحنا جوتنبرج يعلم مواطن ستراسبورح الغنى أندرياس دريتزن تلميع الحجر الكريم.
١٤٣٧	نيفولاس الكيوسى يسافر إلى القسطنطينية لجمع وفد من كنيسة الأرثوذكس اليونانية لتأييد البابا يوجنيوس الرابع.
١٤٣٨ (مطلع)	أندرياس دريتزن، أندرياس هيلمان، هانز ريف، يوحنا جوتنبرج يكونون شركة لإنتاج المرايا المقدسة.
١٤٣٨ _ ١٤٣٩	ألبرت الثانى ملكًا على ألمانيا.
١٤٣٨ (٢٦ ديسمبر)	أندرياس دريتزن يموت بسبب "الموت الأسود" [وباء الطاعون].
١٤٣٨ _ ١٤٤٣	تكوين شراكة تعاونية لمشروع "المغامرة والفن".
١٤٣٩ (١٢ ديسمبر)	الحكم ضد جوتنبرج فى القضية التى رفعها فى ستراسبورج جورج وكلاوس دريتزن.
١٤٤٠ _ ١٤٩٣	فردريك الثالث ملكًا على ألمانيا.
١٤٤٠ _ ١٤٤٤	من المرجح أن يكون جوتنبرج قد طبع أولى قطعه "كسرة محاكمة العالم" فى ستراسبورج بين هذه السنوات.
١٤٤٣	موت شقيقة يوحنا جوتنبرج إلزة.

١٤٤٤ (١٢ مارس)	آخر ذكر ليوحنا جوتنبرج فى ستراسبورج.
١٤٤٤ ـ ١٤٤٦	بروكوبيوسوالدفوجيل يُعلِّم فن الكتابة الاصطناعية فى أفجنون.
١٤٤٤ (٣٠ نوفمبر)	انتخاب مجلس جديد لمدينةماينز تحت رئاسة الدكتور كونراد هيومرى والذى استبعد الأشراف منه.
١٤٤٧ ـ ١٤٥٥	تنصيب البابا نيقولاس الخامس.
١٤٤٨ (١٧ من أكتوبر)	يوحنا جوتنبرج يحصل على قرض قيمته ١٥٠ جولدن فى ماينز بمساعدة قريبه أرنولد جيلثوس.
١٤٤٨	تأسيس ما سمى بدار الطباعة الأصلية فى ماينز فى مبنى جوتنبرجهوف حيث طبعت طبعات كتاب دوناتوس وبعض الأعمال العابرة.
١٤٤٩	بداية التعاون مع جوهان فوست حيث حصل منه جوتنبرج على قرض أول قيمته ٨٠٠ جولدن ثم بعد ذلك مبلغ استثمار بقيمة ٨٠٠ جولدن أخرى.
١٤٥٠	تأسيس المشروع المشترك بين جوتنبرج وفوست لـ"عمل الكتب" فى جوتنبرجهوف.
١٤٥١ (مايو)	سبعون أب أديرة بندكتيون يقسمون أمام مندوب البابا نيقولاس الكيوسى لإصلاح أديرتهم.
١٤٥٢ ـ ١٤٥٥	طبع الكتاب المقدس ذى الاثنين والأربعين سطرًا فى مجلدين.
١٤٥٣ (٢٩ مايو)	الأتراك يستولون على القسطنطينية.
١٤٥٤ (أكتوبر)	إينيا سيلفيو بيكولوميني يقرر أنه فى ذلك الوقت تمكن من رؤية بعض أقسام من الكتاب المقدس ذى الاثنين والأربعين سطرًا فى فرانكفورت.

١٤٥٤ ـ ١٤٥٥	طبع صك قبرص ذى الواحد والثلاثين سطرًا.
١٤٥٤ (نهاية)	طباعة التقويم التركى عن سنة ١٤٥٥.
١٤٥٤ ـ ١٤٥٨	تنصيب البابا كاليكسوس الثالث.
١٤٥٥ ـ ١٤٨٥	حروب الورود: الحروب الأهلية خلال حكم هنرى السادس و إدوارد الرابع و ريتشارد الثالث ملك إنجلترا.
١٤٥٥ (٦ نوفمبر)	هيلماسبرجر الموثق (كاتب العدل) يسجل دعوى فوست ضد جوتنبرج فى وثيقة قانونية.
١٤٥٥	جوهان فوجيل الأسطى مجلد الكتب يجلد فى تلك السنة عدة نسخ من كتاب جوتنبرج المقدس فى جامعة إيرفورت كما وجد فى سجلات الجامعة تحت اسم "جوهانز فوجهيل دى فرانكفورديا".
١٤٥٦ (أغسطس)	هنريتش كريمر يسجل ملحوظة فى نسخة باريس من الكتاب المقدس ذى الإثنين والأربعين سطرًا أنه انتهى من تحمير وتزويق وتجليد تلك النسخة فى التاريخ المذكور.
١٤٥٦	موت شقيق جوتنبرج الأكبر المدعو فرايل فى إلتفيل.
١٤٥٦	المنشور التركى الذى أصدره البابا كاليكسوس الثالث يطبع باللاتينية والألمانية فى تلك السنة.
١٤٥٧ (١٤ من أغسطس)	مزامير ماينز تصدر عن دار فوست و شوفر فى ذلك التاريخ.
١٤٥٨ ـ ١٤٦٠	طبع الكتاب المقدس ذى الستة والثلاثين سطرًا فى بامبرج.

١٤٥٨ ــ ١٤٦٠	طبع الكاثوليكون فى دار جوتنبرجهوف.
١٤٥٨ ــ ١٤٦١	طبع الكتاب المقدس ذى التسعة والأربعين سطرًا فى ستراسبورج.
١٤٥٨ ــ ١٤٦٤	ولاية البابا بيوس الثانى.
١٤٥٩ (١٨ يونية)	انتخاب دييثر فون إيزنبورج كبيراً الأساقفةماينز.
١٤٦١	أولبرخت بفستر يبدأ الطبع فى بامبرج.
١٤٦١ ــ ١٤٦٢	طبع صكى نيوهاوزن.
١٤٦١	المحكمة الإمبراطورية فى روتفيل تصدر حكمها ضد جوتنبرج لتوقفه عن دفع فوائد دين عليه فى ستراسبورج منذ ١٤٥٨.
١٤٦١ (٢٦ سبتمبر)	تعيين أدولف فون ناساو كبيراً لأساقفة ماينز من قبل البابا بيوس الثانى.
١٤٦٢ (٢٨ من أكتوبر)	سقوط ماينز.
١٤٦٤	طبع صكى طائفة الثالوث الأقدس (فراتر رادولفوس) فى ماينز وإلتفيل.
١٤٦٤ ــ ١٤٧١	ولاية البابا بول الثانى.
١٤٦٥ ــ ١٤٦٧	طبع معجم إكس كيو فى إلتفيل.
١٤٦٥	سوينهايم و بنارتز يقومان بالطبع فى دير سوبياكو بالقرب من روما.
١٤٦٥ (١٤ يناير)	جوتنبرج يعين فى حاشية كبير الأساقفة ويحصل على معاش.

١٤٦٦	أولرخ زيل يقوم بالطبع فى كولون.
١٤٦٧	أولرخ هان يقوم بالطبع فى روما.
١٤٦٧	بيرتولد روبيل يقوم بالطبع فى بازل.
١٤٦٨ (٣ فبراير)	وفاة يوحنا جوتنبرج.
١٤٦٨ (٢٦ فبراير)	الدكتور كونراد هيومرى يعلن أيلولة معدات الطبع من جوتنبرجهوف إليه.
١٤٧٣ ـ ١٤٧٦	وليام كاكستون يطبع أول كتاب باللغة الإنجليزية "سجل تواريخ تروى" فى بروغيز (نهاية ١٤٧٣/ مطلع ١٤٧٤). وصدور "حكايات كانتربرى" عن مطبعته فى ويستمنستر سنة ١٤٧٦.

المصادر

١ ـ شعبان عبد العزيز خليفة. الكتب والمكتبات فى العصور الحديثة. ـ القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٢م.

2 – BÜhler, Curt F. The Fifteenth Century Books: the Scribes, the Printers, the Decorators. – Philadelphia: University of Pennsy lvania Press, 1960.

3 – Carter, H. AView of Early Typogrphy up to about 1600. – Oxford: 1969.

4 – Carter, T. F. The Invention of Printing in China and its Spread West Ward.- New York, 1925.

5 – Davis, H. **and** Carter, H. (Edt.) Mechanick Exercises on the Whole Art of Printing by Joseph Moxon (1683 – 1684). – London: 1958.

6 – De Vinne, T. L. The Invention of Printing. – New York: Francis Heart, 1877.

7 – Eisenstein, E. The Printing Press as an Agent of Change. – Cambridge: 1979.

8 – Kapr, Albert. The Art of Lettering. – Munich, New York, London and Paris, 1983.

9 – Konig, E. The History of Art and the History of the Book at the Time of Transition From Manuscript to Print. – London: 1987.

10 – Lehman, P. Gutenberg and the Master of Playing Cards. – New Haven, 1966.

11 – Lowry, M. Nicholas Jenson and the Rise of Venetian Publishing in Renaissance Europe. – Oxford: 1991.

12 – McLuhan, M. The Gutenberg Galaxy. – London and Toronto: 1962.

13 – McMurtrie, Douglas C. The Book: the Story of Printing and Book Making. – London: Oxford Vniversity Press, 1948.

14 – McMurtrie, Douglas C. The Gutenberg Documents: With translation of the Texts into English Based With Authority on the Com pilation by Dr. Karl Scharbach. – New York: Oxford University Press, 1941.

15 – McMurtrie, Douglas C. The Invention of Printing: a bibliography. – Chicago: Club of Printing House Craftsmen,1942.

16 – Masson, I. The Mainz Psalters and Canon Missae: 1457 – 1459. – London: 1954.

17 – Moran, J. Printing Presses: History and Development from the Fifteenth Century to Modern times. – London: 1973.

18 – Needham, P. Johann Gutenberg and the Catholicon Press: Papers of the Bibliographical Society of America, 76. – 1982.

19 – Needham, P. The Type Setting of the Mainz Catholicon – **in.** – The Book Collector, vol. 35, 1986.

20 – Needham, P. Slipped Lines in the Mainz Catholicon: a Second opinion. – **in.** – Gutenberg – Jahrbuch. – 1993.

21 – Painter, G. D. Gutenberg and the B 36 Group: a reconsideration Essays in Honour of Victor Sholdrer. – Mainz:1970.

22 – Partridge, W. J. The type – Setting and printing of the Mainz Catholicon. – **in.** – The Book Collector, vol. 35, 1986.

23 – Sholdrer, Victor. Johann Gutenberg: the In Ventor of Printing. – 2 **nd** ed. – London: 1970.

24 – Schwab, R. N. et al. Cyclotton Analysis of the Ink in the 42 – line Bible. – **in.** – The Bibliogrophical Society of America, 77, 1983.

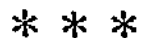
25 – Schwab, R. N. New Evidence on the Printing of the Gutenberg Bible: the Inks in the Doheny Copy. – **in.** – PBSA, 79. – 1985.

26 – Schwab, R. N. Ink patterns in the Gutenberg New Testament: The Proton Milliprobe analysis of the Lilly Library Copy. – **in.** – PBSA, 80.- 1986.

27 – Schwab, R. N. New Clues About Gutenberg in the Huntington 42 – Line Bible: What the Margins Reveal. – **in.** – Huntington Library Ouarterly, vol. 51, 1988.

28 – Sohn, Pow – Key. Early Korean TyPography. – Seoul: 1971.

29 – Zedler, G. Das Mainzner Catholicon. – Mainz: 1905.



محتويات المجلد الخامس عشر

* مقدمة المجلد الخامس عشر ٧
الجرائد الرسمية ٩
جروفر، واين ١٤
جروليير (نادى كتاب) ١٨
جريم، جاكوب، جريم، فيلهلم ٢٦
جرين، بارثولوميو ٢٨
الجزائر، المكتبات فى ٢٩
جزر الهند الغربية ٣٩
جزنز، كونراد ٩٤
جلزنس، رودلف ٩٧
جليسون، إليزا ١٠٢
جماعة البحث فى التصنيف ١٠٥
جماعة دراسة البحث فى التصنيف ١١٢
جمال محمود حجر ١٩٤٨- ١١٤
جمعة الماجد ١٩٣٢- ١٦٨
الجمعيات الببليوجرافية ١٧٤
جمعيات النشر ومحبى الكتب ١٧٨
الجمعية الأمريكية لعلم المعلومات ١٨٥

الجمعية الببليوجرافية الأمريكية	١٩٣
الجمعية الببليوجرافية البريطانية	١٩٧
الجمعية الببليوجرافية لجامعة فيرجينيا	٢٠٤
الجمعية المصرية للمكتبات والمعلومات	٢٠٦
جنكسون، سير هيلارى	٢٣٦
جنوب إفريقيا، المكتبات فى	٢٤٠
جنوب المحيط الهادى، المكتبات فى	٣٠١
الجنيزا	٣٠٦
جواتيمالا، المكتبات فى	٣١٦
الجوائز الأدبية	٣٣٢
جوائز المكتبات المدرسية	٣٤٠
جوائز المكتبات والمعلومات	٣٤٢
جوتنبرج، يوحنا	٣٥٣

* * *

دائرة المعارف العربية في علوم الكتب والمكتبات والمعلومات

تصميم : محمد حجي

